كتاب

عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيّ

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن وصف الكتاب وترجمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد، فهذا هو الجزء العاشر من كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة وبه يتم ذلك الكتاب القيم، وهو كما قال فيه مؤلفه بحق : "لِقاح عقول العلماء ونتاج أفكار الحكماء، والمتخير من كلام البلغاء، وفِطَن الشعراء، وسير الملوك وآثار السلف" .

وقد قامت بطبعه دار الكتب المصرية مع سائر الموسوعات العلمية والأدبية والتاريخية التى عُرفت "بمشروع إحياء الآداب العربية". ذلك المشروع الذى تَوج فى عهد مولانا المليك المعظم "فؤاد الأول" — حفظه الله — برغبته السامية ورضاه الكريم .

وهذا كتاب من أقوم الكتب التى اشتمل عليها ذلك المشروع الجليل، وسنذكر كلمة نصفه فيها ونصف النسخ التى آعتمدنا عليها فى الطبع ، مع ذكر المصادر التى استعنّا بها فى تصحيحه حتى ظهر خاليا على ما نعتقد من التحريف والتصحيف اللذين ملئ بهما أصلاه، وهما النسخة الأوربية والنسخة الفتوغرافية اللتان آعتمدنا عليهما كمصدرين لطبع هذا الكتاب ؛ ثم نذكر كلمة عن حياة المؤلف وزمنه ومكانته من العلم وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته .

وصف الكتاب

قسم المؤلف كتابه هذا الى عشرة كتب صغيرة :

الأوّل كتاب السلطان — وقد تكلم فيه المؤلف عن السلطان وسيرته وسياسته، واختيار العمال، وصحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه، والمشاورة والرأى واتباع الهوى، والسر وكتمانه و إعلانه، والكتابة والكتاب، وخيانات العمال والقضاء ، والشهادات ، والأحكام ، والظلم ، والحبس ، والحجاب، والتلطف فى مخاطبة السلطان والخفوت فى طاعته .

والثانى كتاب الحرب — وقد تكلم فيه المؤلف عن آداب الحرب ومكايدها، والأوقاتِ التى تختار لها، والدعاء عند اللقاء، والصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه، والحيل فى الحروب، وأخبار الجبناء والشجعان والفرسان وأشعارهم، والعدّة والسلاح، وآداب الفروسة، والمسير فى الغزو والسفر، والطيرة والفأل، ومذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها . وقد عرض فيه لذكر الخيل والبغال والحمير والإبل وغير ذلك .

والثالث كتاب السؤدد — وقد أسهب فيه المؤلف عن مخايل السؤدد وأسبابه ، والتناهى فى السؤدد ، والسيادة والكمال فى الحداثة، والهمة والخطار بالنفس ، والشرف والسؤدد بالمال وذمّ الفقر والحض على الكسب ، وذم الغنى ومدح الفقر، والتجارة والبيع والشراء والدين ، واختلاف الهمم والشهوات والأمانى، والتواضع والكبر والعجب، ومدح الرجل نفسه وغيره . ثم الحياء والعقل والحلم والغضب والعز والذل والهيبة والمروءة ، واللباس والتختم والطيب والمجالس

والجلساء والمحادثة والثقلاء والبناء والمنازل، والمُزاح والرخص فيه . ثم التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها، والغلو والتوسط في الدين، وذمّ فضل الأدب والقول، والتوسط في الجدة والاقتصاد في الإنفاق والإعطاء، وأفعالٍ من أفعال السادة والأشراف .

والرابع كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة — وقد تكلم فيه المؤلف عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم، ورجوع المتخلق إلى طبعه، والحسد والغيبة والسعاية والكذب والقِحة وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر والحمق وطبائع الإنسان، وما نقص خلقه من الحيوان، والمشتركات من الحيوان والمتعاديات وغير ذلك . ثم تكلم عن الأمثال المضروبة في الطبائع، وعن طبائع الحيوان وخواصها كالسباع وما شاكلها، وتكلم عن النعام والطيور وأنواعها، والحشرات والنبات والحجارة والجن ... الخ .

والخامس كتاب العلم والبيان — وقد تكلم فيه المؤلف عن العلم والكتب والحفظ، والقرآن والحديث، والأهواء والكلام في الدين، والرد على الملحدين، والإعراب واللحن، والتشادق والغريب، ووصايا المعلمين، والبيان والاستدلال بالعين والإشارة، والشعر وحسن التشبيه فيه، والأبيات التي لا مثل لها، والتلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض . ثم سرد عدّة خطب للخلفاء الراشدين ومشاهير الإسلام كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد ابنه وعتبة بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير وزياد والحجاج وغيرهم .

والسادس كتاب الزهد — وقد تكلم فيه المؤلف عما أوحى الله جل وعز إلى أنبيائه عليهم السلام ، والدعاء والمناجاة والبكاء والتهجد والموت والكبر والمشيب والدنيا ، ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ، و بعض المواعظ من كلام الزهاد وصفاتهم .

والسابع كتاب الإخوان — وقد تكلم فيه المؤلف عن الحث على آتخاذ الإخوان وآختيارهم ، والمحبة والإنصاف فى المودّة ، ومداراة الناس وحسن الخلق والجوار والتلاقى والزيارة والمعاتبة والتجنى والهدايا والعيادة والتعازى والتهانى ، وشرار الإخوان والقرابات والولد ، والآعتذار وعتب الإخوان والتباغض والعداوة وشماتة الأعداء .

والثامن كتاب الحوائج — وقد تكلم فيه المؤلف على استنجاح الحوائج ، ومن يعتمد فى الحاجة و يستسعى فيها ، والإجابة إلى الحاجة والردّ عنها ، والمواعيد وتنجزها ، وحال المسئول عند السؤال ، والعادة من المعروف تقطع ، والشكر والثناء والترغيب فى قضاء الحاجة ، وآصطناع المعروف ، والقناعة والآستعفاف ، والحرص والإلحاح .

والتاسع كتاب الطعام — وقد تكلم فيه المؤلف عن صنوف الأطعمة ، وأخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم ، وآداب الأكل والطعام ، والجوع والصوم ، والضيافة وأخبار البخلاء ، والقدور والجفان ، وسياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره ، والحمية وشرب الدواء ، والحدث والحقنة والتخمة ، والقىء والنكهة ، والمياه والأشربة ، والألحان وما شاكلها ، ومضار الأطعمة ومنافعها ، وعن أنواع كثيرة

من منافع النبات والبقول والحبوب والبزور والفواكه كالبصل والثوم والكرنب والقنبيط والخردل والحمص والتفاح والأترجّ وغير ذلك .

والعاشر كتّاب النساء — وقد تكلم فيه المؤلف عن أخلاق النساء وما يختار منهن وما يكره ، والأكفاء من الرجال ، والحض على النكاح وذم التبتل ، والحسن والجمال ، والقبح والدمامة ، والطول والقصر ؛ ثم ذكر المهور وأوقات عقد النكاح وخطب النكاح ، ووصايا الأولياء للنساء عند الهِداء ، وسياسة النساء ومعاشرتهن ؛ ثم آستطرد الى ذكر القيان والعيدان والغناء ، والتقبيل والدخول بالنساء والجماع ، والقيادة والزنا والفسوق ومساوئ النساء ، والولادة والولد ، والطلاق ، والعشق والغزل .

النسخ التى اعتمدنا عليها فى طبعه

(١) النسخة الفتوغرافيــة وهى منقولة عن النسخة الخطيــة المحفوظة بمكتبة كو بريلى بالأستانة تحت رقم ١٣٤٤ ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٩٧ أدب وهى خاليــة من الضبط ، وخطها غير واضح و بعيد عن الإتقان اذا قورن بخط الجزأين الأول والثانى المحفوظين بمكتبة بطرسبرج «لينن جراد» فإن خطهما هو النسخىّ المعهود وهو واضح متقن ، وأكثر ألفاظهما مضبوط بالحركات .

ومع رداءة خط نسخة كو بريلى وعدم ضبط ألفاظها فهى كثيرة التحريف والتصحيف والأخطاء ، و يتبين كل ذلك من التعليقات التى كتبناها بأسفل صحف أجزاء الكتّاب .

ويبلغ طول صفحات نسخة كوبريلى ٢٣ سنتيمترا، وعرضها ١٧ سنتيمترا، وطول ما رسم من الكتاب فى الصفحات ٢٠ سنتيمترا بعرض ١٣ سنتيمترا، وفى كل صفحة ٢٨ أو ٢٩ سطرا؛ وجميع الأجزاء مكتوبة بقلم إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الواعظ الجزرىّ فى شهور سنة ٥٩٤ هـ، وتقع فى ٦٥١ صفحة .

(٢) النسخة الألمانية وإليك وصفها :

طبع منها الأجزاء الأربعة الأولى فى جوتينجن من سنة ١٨٩٩ إلى سنة١٩٠٨ م بعناية الباحث المستشرق بروكلمن،وعليها ملاحظاته باللغة الألمانية، وقد قال فى المقدّمة التى وضعها لهذه الطبعة : إنه اعتمد فيها على الأصلين الخطيين الآتيين :

(أوّلا) نسخة بطرسبرج « لينن جراد » حيث يوجد الجزآن الأوّلان فقط . وقد رمز لها فى تعليقاته بالحرف «ب» .

(ثانيا) نسخة كوبريلى بالأستانة حيث توجد نسخة كاملة تحت رقم ١٣٤٤ وقد رمز لها فى تعليقاته بالحرف « ك » .

أما هذان الأصلان الخطيان فقد أخذت دار الكتب المصرية عنهما نسختين بالتصوير الشمسىّ، وهما محفوظتان بها؛ فنسخة كوبريلى تحت رقم ٤٢٩٧ أدب وأجزاؤها كاملة ، وهى التى اعتمدناها فى الطبع مع الكتب الأربعة التى طبعت بجوتينجن؛ ونسخة بطرسبرج «لينن جراد» محفوظة بها تحت رقم ٥٥٤٩ أدب ، وهى مقصورة كما ذكرنا على الجزأين الأوّل والثانى فقط ،ولم تستحضرهما دارالكتب إلا بعد طبع عدّة أجزاء من الكتاب ، وعند استحضارهما بادرنا بمراجعة هذين الجزأين اللذين قد تمّ طبعهما عليهما فوجدنا أن الباحث المستشرق بروكلمن راجع

نسخته عليهما بمنتهى الدقة، فاكتفينا بهذه المراجعة ومراجعتنا نحن أثناء الطبع على نسخته وتنبيهنا على مواضع الخلاف بينها وبين نسخة الأستانة الفتوغرافية، وقد أثبتنا فى آخر هذه المقدّمة بعض صورهما الشمسية .

وقد أعاد طبع الكتاب الأوّل (كتاب السلطان) فى مصر سنة ١٣٢٤ ﻫ (١٩٠٧ م) محمد إبراهيم أدهم الكتبى .

اهتمام دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب

وقد آهتمت دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب القيم بمراجعته على هذين الأصلين . فقام القسم الأدبى بترقيمه وضبطه وتصحيحه مما وقع فيه من التحريف والتصحيف، مع تكميل الناقص من المصادر الأخرى المطبوعة والمخطوطة، وتفسير الغريب من الألفاظ، وتوضيح الغامض من المعانى، وبيان أسماء الأمكنة والبلدان، وطالما وفّق فى مراجعته إلى معظم المصادر التى نقل عنها المؤلف؛ وقد آعتمدنا فى مراجعة هذا الكتاب على المصادر الآتية :

آداب السياسة بالعدل، اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور، الأشباه والنظائر المعروف بحماسة الخالديين، الأشربة للؤلف، الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى، الأمالى لأبى علىّ القالى، البخلاء للجاحظ، البيان والتبيين للجاحظ، التاج للجاحظ، تاريخ الحكماء للقفطى، تاريخ الطبرى، تاريخ المسعودى، تذكرة ابن حمدون، الحيوان للجاحظ، سيرة آبن هشام، الشعر والشعراء للؤلف، كتاب سيبويه، كتاب المنطق، كليلة ودمنة، كتاب المعارف للؤلف .

وغير ذلك من المصادر الأخرى . وقد خصصنا فهرسا شاملا لجميع الكتب التى راجعناها فى نهاية هذا الجزء مع فهارس أخرى .

ترجمة ابن قتيبة [1]

تعريف بالمؤلف

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، أحد العلماء الأدباء، والحفاظ الأذكياء، كان إماما فى اللغة والأدب والأخبار وأيام الناس، متفننا فيها صادقا فيما يرويه، عالما بمشكل القرآن ومعانيه، وغريب الحديث ومراميه، ودقيق الشعر ومغازيه، وكان مستقل الفكر، جريئا فى قول الحق؛ وهو أوّل من تجرّأ على النقد الأدبى فألف فى أكثر فنون الأدب المعروفة، وعدّت كتبه من أمهات الكتب المفيدة المشهورة الأنيقة. ولذا أشاد المؤرخون بذكره، وأطنبوا فى مدحه.

مولده ونشأته

كان أبوه من مدينة مرو. وأما هو فاختلف فى مولده، فقال ابن الأنبارى وابن النديم وابن الأثير: إنه ولد فى الكوفة؛ وقال آخرون — ومنهم السمعانى والقفطى —: مولده فى بغداد سنة ٢١٣ هـ، وقد نشأ بها وتثقف على أهلها وأخذ العلم عن رجالها، وقد أقام بالدينور [2] مدّة ولايته القضاء فنسب إليها، كما لقب أيضا بلقب المروزى.

---

(١) استقينا هذه الترجمة من عدّة مصادر منها: فهرست ابن النديم، وتاريخ بغداد للخطيب، وطبقات النحويين للزبيدى، والأنساب للسمعانى، وتاريخ ابن خلكان، وإنباه الرواة للقفطى، ونزهة الألباء لابن الأنبارى، وطبقات المفسرين للداودى، وطبقات فقهاء السادة الحنفية، وشذرات الذهب، وبغية الوعاة للسيوطى، وقلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان، والكلمة القيمة التى كتبها الاستاذ محب الدين الخطيب عن تاريخ حياة ابن قتيبة بأول كتاب الميسر والقداح. وغيرها من الكتب التى استقينا منها تراجم تلاميذه وشيوخه كمعجم الأدباء لياقوت ومعجم البلدان له أيضا والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.

(٢) مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين وبينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا.

شـــيوخه

شب ابن قتيبة فى بغداد، وكانت يومئذ مهدَ العلم، ومنتدى الأدب، ومدينة الحضارة؛ فأكبّ على الدرس وجدّ فى التحصيل على علماء الحديث وأئمة اللغة والرواية وشيوخ الأدب، فحدّث فيها عن الزيادى[(١)] وعن إسحاق[(٢)] بن راهويه وأبى حاتم السجستانى[(٣)] والرياشى[(٤)] وعبد الرحمن[(٥)] ابن أخى الأصمعى وحرملة[(٦)] بن يحيى وأبى الخطاب

---

(١) هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان أبو إسحاق الزيادى، وينتهى نسبه الى زياد بن أبيه. وكان نحويا لغويا راوية، تتلمذ لسيبويه وأبى عبيدة والأصمعى، وله مصنفات كثيرة ومات سنة تسع وأربعين ومائتين (بغية الوعاة للسيوطى).

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن أبى الحسن إبراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى المعروف بابن راهويه، جمع بين الحديث والفقه، وكان أحد أئمة الإسلام ومن أصحاب الشافعى، وله مسند مشهور، سمع من سفيان ابن عيينة ومن فى طبقته، وسمع منه البخارى ومسلم والترمذى. وكانت ولادته سنة احدى وستين وقيل سنة ثلاث وستين وقيل سنة ست وستين ومائة، وسكن فى آخر عمره نيسابور وتوفى بها ليلة الخميس النصف من شعبان وقيل الأحد وقيل السبت سنة ثمان وقيل سبع وثلاثين ومائتين وقيل سنة ثلاثين ومائتين. (تاريخ ابن خلكان).

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستانى من ساكنى البصرة كان إماما فى علوم القرآن واللغة والشعر، روى عن أبى عبيدة وأبى زيد والأصمعى، وروى عنه ابن دريد وغيره. كان أعلم الناس بالعروض واستخراج المعمى، وكان يعدّ من الشعراء المتوسطين وكان يعنى باللغة، وترك النحو بعد اعتنائه به، وكان جماعا للكتب يتجر فيها وله مصنفات كثيرة، توفى سنة خمسين أو خمس وخمسين أو أربع وخمسين أو ثمان وأربعين ومائتين وقد قارب التسعين (بغية الوعاة للسيوطى).

(٤) هو العباس بن الفرج أبو الفضل الرياشى اللغوى النحوى، قرأ على المازنى النحو وقرأ عليه المازنى اللغة. وكان عالما باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعى، وأخذ عن المبرد وابن دريد وله مصنفات كثيرة. قتله الزنج بالبصرة بالأسياف وكان قائما يصلى الضحى فى مسجده سنة سبع وخمسين ومائتين ولم يدفن إلا بعد موته بزمان (بغية الوعاة للسيوطى).

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله أخى الأصمعى ويكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن، وكان ثقة فيما يرويه عن عمه وعن غيره من العلماء، وقد ذكره الزبيدى فى الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين، وله من المصنفات كتاب معانى الشعر (إنباه الرواة للقفطى).

(٦) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبى أبو حفص المصرى، روى عن ابن وهب مائة ألف حديث وروى عن الشافعى ولازمه، ولد سنة ١٦٦ هـ وتوفى لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين (الخلاصة وتهذيب التهذيب).

زياد بن يحيى الحسانى[1] وغيرهم، وأقرأ كتبه ببغداد الى حين وفاته، وانتفع بها كثير من التلاميذ الذين أصبحوا من جلة العلماء وأئمة اللغة وفحول البلاغة .

تلاميـــذه

ممن أخذ العلم عن ابن قتيبة ابنه القاضى أبو جعفر[2] أحمد بن قتيبة الفقيه الأديب وأبومحمد عبدالله[3] بن جعفر بن درستويه الفسوىّ العالم المشهور وعبيدالله بن عبد الرحمن[4] السكرىّ وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ وعبيد الله بن أحمد بن بكر التميمى

(١) هو زياد بن يحيى بن زياد الحسانى أبو الخطاب البصرى، كان ثقة روى عن معتمر بن سليمان وحاتم بن وردان و بشر بن المفضل وغيرهم، وروى عنه أبو حاتم وابن خزيمة و إبراهيم بن أبى طالب وغيرهم. مات سنة أربع وخمسين ومائتين . (أنساب السمعانى) .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب ولد ببغداد ومات بمصر وهو على قضائها سنة ٣٢٢هـ، وقد روى عن أبيه تصانيفه كلها، حدّث عنه أبو الفتح المراغى النحوى وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى وغيرهما، وقال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرّزاذ النجيرمىّ : إن أبا جعفر بن قتيبة حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظا ولم يكن معه كتاب، وأحسبه ذكر ذلك عن أبى الحسين المهلبى . وحدّث أبو سعيد بن يونس قال : قدم أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة مصر سنة ٣٢١هـ وتولى بها القضاء وتوفى بها وهو على القضاء سنة ٣٢٢ هـ (معجم الأدباء لياقوت) .

(٣) هو عبدالله بن جعفر بن درستويه (بضم الدال والراء وضبطه ابن ماكولا بالفتح) ابن المرزبان النحوى أبو محمد أحد من اشتهر وعلا قدره وكثر علمه، جيد التصنيف، صحب المبرد ولقى ابن قتيبة وأخذ عن الدارقطنى وغيره، وكان شديد الانتصار للبصريين فى النحو واللغة، ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين ومات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصنف الإرشاد فى النحو وشرح الفصيح والرد على المفضل فى الرد على الخليل وغريب الحديث والمقصور والممدود ومعانى الشعر وأخبار النحاة وغير ذلك (بغية الوعاة للسيوطى) .

(٤) اسمه كما ورد فى كتاب المسائل المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٦ لغة ش « أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السكرى » .

وروى عنه أبو سعيد الهيثم الشاشيّ[1] الأديب وأبو محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف[2] ابن ناصح البياني وأبو بكر المالكي[3] . وفي سماعات كتاب (تأويل مختلف الحديث) المذكورة في آخر نسخته (المطبوعة في مصر سنة ١٣٢٦) أن ممن قرأه على ابن قتيبة أبابكر أحمد بن محمد بن الحسن الدينوري، وأبا بكر أحمد بن حسين بن إبراهيم الدينوري وأحمد بن مروان المالكي . هذا ولابأس من الإشارة هنا الى أن بيت ابن قتيبة قد توارث العلم، فقد تقدّم أن أبا جعفر أحمد بن قتيبة قد أخذ العلم عن أبيه، ونزيد هنا أن حفيده أبا أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن مسلم ، ومولده في بغداد في حياة جده سنة ٢٧٠هـ، انتقل الى مصر فسكنها وروى فيها عن أبيه عن جدّه كتبه المصنفة .

---

(١) هو أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي البنكثي أصله من ترمذ وسكن بنكث فنسب اليها ، كان إماما حافظا رحالا أديبا قرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد، وروى عن عيسى ابن أحمد العسقلاني وأبي عيسى الترمذي وغيرهما من أهل خراسان والجبال والعراق ، وروى عنه أبو القاسم على بن أحمد بن محمد الخزاعي ومات بالشاش سنة ٣٣٥ هـ وله مسند في مجلدين ضخمين أسمعناه بمرو على أبي المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد الحافظ رحمه الله (معجم البلدان لياقوت في آسم بِنكث) .

(٢) هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني القرطبي أبو محمد مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان ؛ قال ابن الفرضيّ : كان بصيرا بالحديث والرجال ، نبيلا في النحو والغريب والشعر، سمع من بقي بن مخلد والخشني وابن وضاح ، ورحل فسمع عليه ، وببغداد من ثعلب والمبرد وابن قتيبة وخلائق ، وانصرف الى الأندلس بعلم كثير وطال عمره ورحل اليه الناس وكان يُشاوَر في الأحكام ، ولد يوم الاثنين لعشرين من ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين ومات ليلة السبت لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة أربعين وثلثمائة ، وكانت الرحلة اليه بالأندلس وفي المشرق الى أبي سعيد بن الأعرابي وكانا متكافئين في السن ، وقد صنف كتاب أحكام القرآن وكتاب الخمر وغرائب مالك والناسخ والمنسوخ والأنساب . وغير ذلك (بغية الوعاة للسيوطي) .

(٣) فقد جاء في مقدّمة مناقب آل أبي طالب للمازندراني أن سنده في مؤلفات ابن قتيبة ينتهي الى أبي بكر المالكي هذا عن آبن قتيبة ، والمازندراني عالم فاضل من علماء الشيعة توفي بمدينة حلب سنة ٥٨٨هـ زمن دولة آل حمدان . وكتابه هذا مطبوع في بمبي (الهند) سنة ١٣١٣ هـ .

صلته بآبن خاقان

وقد كان لابن قتيبة صلة بأبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الدولة العباسية لذلك العهد، وصنف لهذا الوزير كتابه "أدب الكاتب" وذكره فى الخطبة وأثنى عليه .

عقيـــدته

اختلف العلماء آختلافا بينا فى ناحية ابن قتيبة الدينية، فقال ابن تيمية : إنه من أهل السنة وذكره فى كتابه تفسير سورة الإخلاص (ص ٨٦) بقوله : « وهذا القول آختيار كثير من أهل السنة؛ منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما، وابن قتيبة من المنتسبين الى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله فى ذلك مصنفات متعدّدة» . ثم قال « ويقال : هو (يعنى ابن قتيبة) لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة» . وقال فى الكتاب نفسه (ص ٩٥) ما نصه : «وابن الأنبارى من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف، ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة، وقصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة، وليس هو أعلم بمعانى القرآن والحديث وأتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه فى ذلك، وان كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ اللغة » .

ونقل ابن تيمية فى هذا الكتاب (ص ٨٦) عن صاحب كتاب "التحديث بمناقب أهل الحديث" قوله : «وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، وأجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل الى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرا لإبراهيم الحربى ومحمد بن نصر المروزى، وكان أهل المغرب يعظمونه

ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة . ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه»[1] .

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد، ونقله عنه جلال الدين السيوطى فى البغية ومحمد ابن أحمد الداودى فى طبقات المفسرين، : «وكان ثقة ديّنا فاضلا» . ونسبه البيهقى الى فرقة الكرّامية[2]، وهم أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرّام، وكان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهى فيها الى التجسيم والتشبيه ؛ وهم طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتى عشرة فرقة .

وقال الحافظ الذهبي فى "ميزان الاعتدال" (ج ٢ ص ٧٧ طبع مصر) : «ورأيت فى مرآة الزمان أن الدارقطنى قال : كان ابن قتيبة يميل الى التشبيه، منحرفا عن العترة وكلامه يدل عليه» . واستبعد ذلك الجلال السيوطى والداودى بأن له كتابا فى الرد على المشبّهة[3] . هذا وقد ذكرهم ابن قتيبة فى كتابه "تأويل مختلف الحديث" ونسبهم الى الافتراء على الله تعالى فى أحاديث التشبيه[4] .

ونقل السيوطى والداودى عن الحاكم قوله : «أجمعت الأمة على أنه كذاب» ثم نقلا قول الحافظ الذهبي : «ما علمت أحدا اتهم القتيبي فى نقله مع أن الخطيب قد وثّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدجال ومسيلمة» . وقال الحافظ الذهبي ردّا على قول الحاكم : «إن هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله» .

(١) أنظر (ص ٨٦ من هذا الكتاب) .

(٢) راجع الكلام على هذه الفرقة فى الملل والنحل للشهرستانى (طبع أوربا ص ٧٩ — ٨٥) .

(٣) المشبهة صنفان : صنف شبه ذات البارى بذات غيره ، وصنف آخر شبه صفاته بصفات غيره وكلا الصنفين يفترق الى فرق شتى ، وقد تكلم عليهم بإسهاب الأستاذ عبد القاهر البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق (ص ٢١٤ — ٢١٩ طبع مصر) وراجع أيضا الملل والنحل للشهرستانى (ص ٧٥ طبع أوربا) .

(٤) أنظر (ص ٧ — ١٣ من كتابه تأويل مختلف الحديث طبع مصر) .

*(٢-٤)

علمـــه

أجمع الذين ترجموا لابن قتيبة على أنه كان أحد العلماء الأدباء، والحفاظ الأذكياء، وعلى أنه كان رأسا فى العربية واللغة والأخبار وأيام الناس وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف.

وقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: «ولابن قتيبة مصنفات كثيرة جدا رأيت فهرسها ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين فى أنواع العلوم».

وقد تقدّم قول صاحب التحديث بمناقب أهل الحديث: إن لابن قتيبة زهاء ثلاثمائة مصنف.

وقد اتفق العلماء على أن مصنفات ابن قتيبة كلها مفيدة، وأنها عظيمة القدر، جليلة النفع، حتى كان أهل المغرب «يتهمون من لم يكن فى بيته من تأليف ابن قتيبة شىء» (١). غير أن أبا الطيب عبد الواحد بن على اللغوى (٢) أخذ عليه فى كتابه "مراتب النحويين" (ص ١٣٧) «أنه قد خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها». ولعل سبب ذلك ماقاله عنه ابن النديم: «إنه كان يغلو فى البصريين إلا أنه خلط المذهبين، وحكى فى كتبه عن الكوفيين». ولم يقف نقده عند حدّ النحو بل تجاوزه إلى كثير من مؤلفاته، وفى جملتها كتاب المعارف والشعر والشعراء وعيون الأخبار فقال: «إن ابن قتيبة كان يشرع فى أشياء ولا يقوم بها، نحو تعرّضه لتأليف أمثال هذه المؤلفات».

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير (ج ٣ القسم الثالث من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ).

(٢) توفى سنة ٣٥٢ هـ. وكتابه مراتب النحويين من نفائس مخطوطات «الخزانة التيمورية» التى وقفها فقيد العلم والأدب واللغة المغفور له أحمد تيمور باشا المتوفى يوم السبت ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٨ هـ (٢٦ أبريل سنة ١٩٣٠ م) وهو محفوظ بها تحت رقم ١٤٢٥ تاريخ.

وقال ابن خلكان فى ترجمته : « والناس يقولون إن أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب، وإصلاح المنطق كتاب بلا خطبة. وهذا فيه نوع تعصب عليه، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شيء وهو مفنن، وما أظن حملهم على هذا القول إلا أنّ الخطبة طويلة والإصلاح بغير خطبة » . وقد عدّ ابن خلدون كتابه أدب الكاتب من دواوين الأدب الأربعة، كما هو مشهور ومعروف .

مـــؤلفـاته

(١) غريب القرآن

ذكره ابن خلكان والخطيب والداودى فى طبقات المفسرين، والسيوطى فى البغية، وابن كثير فى تاريخه، وابن الأنبارى فى نزهة الألبا، والقفطى فى إنباه الرواة، وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب، ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية، وصاحب كشف الظنون. وتوجد منه نسخة فى الخزانة الظاهرية بدمشق (رقم ٣٣ لغة)، وفى مكتبة المرحوم الشيخ عثمان القارئ بالطائف كتاب تفسير غريب القرآن، وقد وصفت هذه النسخة بالمجلد الثانى من المجلة السلفية (ص ٨) بأنها فى عشر كراسات، ابتدأها المصنف بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وتأويلهما واشتقاقهما، وأتبع ذلك ألفاظا كثر تردادها فى الكتاب لم ير بعض السور أولى بها من بعض، ثم ابتدأ بتفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله لأنه أفرد للشكل كتابا جامعا كافيا، قال : « وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وألا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الأدلة على الحرف المستعمل، ولا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد؛ فإنا لو فعلنا ذلك فى نقل الحديث لاحتجنا إلى أن نأتى بتفسير السلف رحمة الله عليهم بعينه، ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التى ألفها نقلة

الحديث . ولو تكلفنا بعد اقتصاص اختلافهم تبيين معانيهم وفتق جملهم بألفاظنا، وموضع الاختيار من ذلك الاختلاف، و إقامة الدلائل عليه والإخبار عن العلة منه، لأسهبنا فى القول وأطلنا الكتاب، وقطعنا منـه طمع المتحفظ، وباعدناه عن بغية المتأدب، وتكلفنا من نقل الحديث ما قد وفيناه وكفيناه . وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلفنا فى شىء منه بآرائنـا غير معانيهم، بعد اختيارنا فى الحرف أولى الأقاويل فى اللغـة وأشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفسير ... الخ »

(٢) مشكل القرآن

ذكره ابن خلكان والخطيب والسيوطى فى البغية، والسمعانى فى الأنساب، وابن كثير فى تاريخه، وابن الأنبارى والداودى فى طبقات المفسرين والقِفْطى وابن العماد الحنبـلى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وصاحب كشف الظنون، وتوجد منه نسخة بمكتبة كوبريلى بالأستانة وأخرى بمكتبة ليدن ونسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية : أولاهما برقم " ٦٦٣ تفسير " محفوظة بمعرض الدار، وهى من الكتب النادرة القيمة، كتبها محمد بن أحمـد بن يحيى فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وتقع فى ١٧٠ صفحة وطولها نحو ٢١ سنتيمترا تقريبا وعرضها نحو ١٤ سـنتيمترا تقريبا، والمكتوب فى كل صفحة نحو ٢٥ سـطرا ؛ وثانيتهمـا محفوظة بدار الكتب تحت رقم " ٥١٨ تفسـير " وهى مكتوبة بالخط النسخ، وعلى هوامشها بعض تعليقات مضبوطة كلها بالحركات، تمت كتابتها فى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثمـان وخمسين وخمسمائة من نسخة بخط أبى طالب بن عبد الواحد بن عبد المحسن بن أبى الوفاء الأنصارى

الدمشقى المعروف ببرهان الدين، وقرئت على العلامة أبى منصور موهوب بن أحمد بن محمــد بن الخضر الجواليقى مؤلف كتاب « المعرب من الكلام الأعجمى » ، وهى مخرومة من أولها بمقدار ورقة ، وطولها نحو ١٥ سنتيمترا وعرضها ١١ سنتيمترا، والمكتوب فى كل صفحة ١٥ سطرا، وعدد أوراقها ١٣٤ ورقة .

وأوله : «الحمد لله الذى نهج لنا سبيل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب، ولم يجعل له عوجا ، بل نزله قيّما مفصلا بيّنــا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ... الخ » .

وقد تكلم فيه ابن قتيبــة عن العرب وما خصهم الله به من العارضة وقوة البيان واتساع المجاز، ووجوه القرآن واللحن والتناقض والاختلاف، والمتشابه من القرآن، والقول فى المجاز والاستعارة والمقلوب، والحذف والاختصار، وتكرار الكلام والزيادة فيه والكناية ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، واللفظ الواحد للمعانى المختلفة، ودخول بعض الصفات مكان بعض .

وقد جمع بين كتابى غريب القرآن ومشكل القرآن العلامة ابن مطرّف الكنانى فى « كتاب القرطين » ، ومنه نسخة قديمة فى الخزانة التيمورية رقم « ٥٩ لغة » ولأبى القاسم عبد الله بن محمد العكبرى المتوفى سـنة ٥١٦ كتاب اسمه « الانتصار لحمزة فيما نسـبه إليه ابن قتيبة فى مشكل القرآن » ذكره صاحب كشف الظنون

(٣) معـانى القرآن

ذكره السيوطى فى البغية والداودى فى طبقات المفسرين .

(٤) كـتاب القراءات

ذكره ابن النديم فى الفهرست .

(٥) إعراب القـــراءات

هكذا سماه ابن خلكان والقفطى فى إنباه الرواة . وفى الفهرست لابن النـديم وبغية الوعاة للسيوطى وطبقات فقهاء السادة الحنفية وطبقات المفسرين للداودى «إعراب القرآن» ويظهر أنهما كتاب واحد .

(٦) الردّ على القائل بخلق القرآن

ذكره السيوطى فى البغية والداودى فى طبقات المفسرين .

(٧) آداب القـــراءة

ذكره صاحب كشف الظنون .

(٨) غريب الحـــديث

ذكره ابن النديم وابن خلكان والخطيب والداودى والسيوطى وابن كثير وابن الأنبارى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وشذرات الذهب ، وقال صاحب كشف الظنون : «حذا فيه حذو أبى عبيد القاسم بن سلام[1] فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر ، وقال فى مقدّمته : أرجو ألا يكون بقى بعـد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال» .

(١) قال صاحب كشف الظنون فى كلامه على علم غريب الحديث (ص ١٥٥ ج ٢ طبع الأستانة) ان أول من جمع فى الفن شيئا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ فجمع فيه كتابا صغيرا ، وألف بعده أبو الحسن النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤ هـ كتابا أكبر منه ، ثم جمع الأصمعى كتابا أحسن فيه وأجاد وكذلك غيره من الأئمة جمعوا أحاديث وتكلموا عليها فى أوراق الى أن جاء أبو عبيد القاسم بن ســلام بعد المائتين فجمع كتابه وصار هو القدوة فى هذا الشأن ، فانه أفنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه : «انى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة ، وربمـا كنت أستفيد الفائدة من الأفواه فأضعها فى موضعها فكان خلاصة عمـــرى» .

وفى الخزانة الظاهرية بدمشق الثلث الأول والثلث الأخير من هــذا الكتاب رقمى « ٣٤ و ٣٥ لغة » .

(٩) مشكل الحديث

ذكره ابن خلكان والخطيب والسمعانى وابن كثير وابن الأنبــارى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وابن العماد الحنبلى ، وقد ذكر ابن النديم من مؤلفاته كتاب «المشكل» بهذا اللفظ فقط ، ولعله مشكل القرآن الذى تقدم الكلام عليه أو مشكل الحديث هذا .

(١٠) تأويل مختلف الحديث

ذكر ابن النديم فى مؤلفات ابن قتيبة كتابين: أحدهما باسم «مختلف الحديث» وثانيهما باسم «اختلاف تأويل الحديث» ، ولعل هذه الأسماء الثلاثة لكتاب واحد هو هذا الذى نتكلم عنه ، وذكره الداودى فى طبقات المفسرين باسم «مختلف الحديث» وكذلك السيوطى فى البغية ، وأورده صاحب كشف الظنون باسم «اختلاف الحديث» و باسم «كتاب المناقضة» ، وقد طبع هذا الكتاب محمود افندى شابندر زاده البغدادى بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ . وروجع على ثلاث نسخ :

(١) النسخة الدمشقية — مكتوبة بخط العلامة المفضال السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى من نسخة المكتبة العمرية المودعة فى مكتبة المدرســة الظاهرية بدمشق ، فرغ كاتبها منهــا فى جمادى الآخرة ســنة إحدى وأربعمائة هجرية وعليها خطوط كثير من الحفاظ أهل الرواية .

(٢) النسخة البغدادية — صححها الأســتاذ المفضال الســيد محمود شكرى الآلوسى مؤلف كتاب بلوغ الأرب فى أحوال العرب ، ومكتوبة بخط الفاضــل

عبد المجيد بن السيد مطرود البغدادى الكرخى من نسخة محفوظة فى مكتبة المدرسة المرجانية، قال كاتبها فى آخرها: إنه نسخها بواسط فى شعبان من سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة هجرية .

(٣) النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى ضمن مجموعة مخطوطة رقمها « ٢٠٠ مجاميع م» تقع فى ثلاث صفحات ومائة صفحة، وهى منسوخة بخط السيد محمد خلوصى حافظ الكتب بمكتبة راغب باشا ، فرغ من كتابتها فى أوائل سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف باسم « الرد على من قال بتناقض الحديث» وسماها مفهرس دار الكتب المصرية باسم « كتاب المتشابه من الحديث والقرآن وذكر الأحاديث التى قيل بتناقضها » ونقلها جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٢ ص ١٧١) فى ترجمته لابن قتيبة باسم « المشتبه من الحديث والقرآن» ، وكلتا التسميتين غير صحيحة. والحقيقة أن هذا هو كتاب «تأويل مختلف الحديث » غير أنه لم يصرح باسمه فى أوله فظنه المفهرس كتابا آخر ووضع له هـذا الاسم باعتبار موضوعه .

(١١) إصلاح غلط أبى عبيد

ذكره بهذا الاسم الداودى فى طبقات المفسرين،والسيوطى فى البغية . وذكره ابن النديم فى الفهرست باسم «إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث»، وذكره ابن خلكان والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وابن العماد الحنبلى باسم « إصلاح الغلط » ، والظاهر أن هذه الأسماء الثلاثة لكتاب واحد . وذكره صاحب كشف الظنون وقال : «إن أبا المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروى المتوفى سنة ٤١٤ هـ شرحه » .

(١٢) المسائل والأجوبة

ذكره الداودى فى طبقات المفسرين، والسيوطى فى البغية بهذا الاسم . وذكره ابن النديم وابن خلكان والقِفطى ومؤلف صاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية باسم «المسائل والجوابات» ،ومنه نسخة فى مكتبة (غوطا) وأخرى بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة مخطوطة رقم «٦ لغة ش» بقلم العالم الجليل الأستاذ الشنقيطى وعنوانه « كتاب المسائل » ومضبوط أغلب كلماتها بالحركات . والكتاب رواية تلميــذ ابن قتيبة أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن السكرى عنه، رواية أبى عمر محمد بن العباس ابن محمد بن زكريا بن حَيُّوَيْهِ عنه، رواية أبى الحسن على بن عمر الحربى القزوينى الزاهد عنه، رواية أبى الحسن على بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس الدينورى عنه، رواية أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى عنه .

وموضوعه أســئلة وجهت لابن قتيبة فى الحديث واللغة فأجاب عنها ، ويقع فى إحدى عشرة صفحة، وطوله نحو ٢٣ سنتيمترا وعرضه ١٧ سنتيمترا، والكتابة فيه تملأ جميع الصحف، وكل صفحة نحو ٣٢ سطرا تقريبا .

(١٣) دلائل النبوّة

ذكره ابن النديم والداودى فى طبقات المفسرين، والسيوطى فى البغية، وصاحب كشف الظنون بهذا الاسم ، وذكره ابن الأنبارى فى نزهة الألبا باسم «دلائل النبوّة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام » .

وقد ذكر أبو الطيب اللغوى فى كتابه «مراتب النحويين» الموجود منه نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية أن له كتابا اسمه « معجزات النبى صلى الله عليه وســلم » ولعله هو هذا .

(١٤) جامع الفقه

ذكره ابن النديم بهذا الاسم وذكره القِفطى باسم «كتاب الفقه» .

(١٥) كتاب التفقيه

ذكره ابن النديم وابن خلكان والقِفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وصاحب كشف الظنون، قال ابن النديم : «هـذا الكتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط "برك" وكانت تنقص على التقريب جزأين، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط فزعموا أنه موجود، وهو أكبر من كتب "البندنيجى" وأحسن منها» .

(١٦) كتاب الأشربة

ذكره ابن النديم وابن خلكان والقِفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وابن العماد الحنبلى وصاحب كشف الظنون، وأشار اليه المؤلف فى كتابه «الميسر والقداح» الذى عنى بتصحيحه وطبعه الأستاذ محب الدين الخطيب بالمطبعة السلفية (ص ٤٣) وقد نقل عنه ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد فى كلامه عن الطعام والشراب (ج ٣ ص ٤٠٩ — ٤١١ طبع بولاق) ونشر أكثره (مسيو أرتوركى) المستشرق الفرنسى بالمجلد الثانى من مجلة المقتبس فى الصحف (٢٣٤ — ٢٤٨ و ٣٨٧ — ٣٩٥ و ٤٣٠ — ٤٣٦ و ٥٢٩ — ٥٣٥) ومنه نسخة فى لندن وأخرى بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة مخطوطة من كتب المرحوم مصطفى فاضل باشا محفوظة تحت رقم «١٦٦ مجاميع م» وهى مجموعة قيمة فيها نحو عشرين رسالة مختلفة، بعضها رسائل قيمة للأصمعى وأبى بكر بن دريد وغيرهما، وهى منسوخة بقلم عبد الحميد بن أحمد اللوجى فى جزأين قدّم الثانى وأخر الأول فى التجليد، فأوله يبتدئ من ورقة ١٢٣ وينتهى فى ورقة ٢٩٧، وكان الفراغ من كتابته نهار الجمعة غرة المحرم سنة خمس ومائتين وألف

هجرية . وثانيه يبتدئ من ورقة ١ إلى ورقة ١٢٢ وكان الفراغ من كتابته فى أواخر المحرم سنة خمس ومائتين وألف هجرية . وكتاب الأشربة يقع فى هذا الجزء من ورقة ٥٥ الى ورقة ٨٠ وطول الصفحة ٢٦ سنتيمترا وعرضها ١٥ سنتيمترا وعدد سطور كل صفحة ٣٠ سطرا تقريبا ، وخطها دقيق واضح عارٍ عن الشكل .

(١٧) الرد على المشبهة

ذكره ابن النديم فى الفهرست والداودى فى طبقات المفسرين والسيوطى فى البغية والقفطى فى إنباه الرواة .

(١٨) أدب الكاتب

ذكره ابن النديم وابن خلكان والسمعانى وصاحب قلادة النحر وابن كثير فى تاريخه والقفطى وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب بهذا الاسم ، وذكره الخطيب وابن الأنبارى باسم « أدب الكتّاب » ، وسيأتى أن بعض شراحه سمى كتابه : « الاقتضاب فى شرح أدب الكتّاب » وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، فطبع بمصر طبعات مختلفة ، وطبعه فى ليدن سنة ١٩٠١ «مسيو ماكس جروفرت» وكتب عليه ملاحظات باللغة الألمانية . وطبع منه اثنا عشر بابا فى ليبزج سنة ١٨٧٧ ومعه مقدّمة وترجمة لابن قتيبة باللغة الإنجليزية .

وتوجد منه سبع وثلاثون ورقة تبتدئ من أوّله ، مكتوبة بقلم على بن السيد على سنة ١١١٨ ضمن مجموعة مخطوطة وتنتهى قبيل « أبواب الفروق » معنونة باسم : «المنتخب لابن قتيبة فى اللغة وتواريخ العرب » فوضعها مفهرس الدار اعتمادا على هذه التسمية فى فهرس كتب اللغة تحت رقم « ٤٩٩ مجاميع » والحقيقة أنها قطعة من كتاب أدب الكاتب .

وقد شرحه كثير من العلماء، وأجل هذه الشروح :

(١) شرح أبى محمد عبـد الله بن محمد المعروف بابن السـيد البطليوسى المتوفى سـنة ٤٢١ ه ، وهو شرح قيم طبع فى المطبعة الأدبية ببيروت سـنة ١٩٠١ م ، ذكر فيه مؤلفه أن غرضه تفسير الخطبة ، وتكلم على أصناف الكتبة ومراتبهم وجل ما يحتاجون اليه فى صناعتهم، ثم على نكته والتنبيه على غلطه وشرح أبياته ، وقد قسمه الى ثلاثة أجزاء : الأول فى شرح الخطبـة ، والثانى فى التنبيه على الغلط ، والثالث فى شرح أبياته، وسماه « الاقتضاب فى شرح أدب الكتّاب » .

(٢) وشرحه أبومنصور موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ ه، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريلى بالأستانة مكتوبة بخط ولده أبى محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد سنة ٥٣٥ ه، وعليها بخط المؤلف ما يفيـد أن ولده أبا محمد قرأها عليه وأن أخاه إسحاق سمعها منه .

(٣) وشرحه كذلك سليمان بن محمد الزهراوى وأبو علىّ حسن بن محمد البطليوسى المتوفى سنة ٥٧٦ه، وأحمد بن داود الجذامى المتوفى سنة ٥٩٨ه، وإسحاق بن إبراهيم الفارابى المتوفى سنة ٣٥٠ ه .

وشرح بعضهم خطبته خاصة كأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠ ه، ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٩ أدب ش) تمت كتابتها سنة ٥٨٦ ه، وهى معارضة بنسخة عليها خط أبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب النحوى ، وبهوامش هذه النسخة بعض تقييدات .

وشرح الخطبة أيضا مبارك بن فاخر النحوى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، وشرح بعضهم أبياته فقط كأحمد بن محمد الخازرنجى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ . وللشيخ طاهر الجزائرى تلخيص أدب الكاتب، وقد طبع بالمطبعة السلفية ١٣٣٧ هـ .

(١٩) عيون الشعر

ذكره ابن النـديم وقال : إنه يحتوى على عشرة كتب وذكر منها سبعة هى : كتاب المراتب، وكتاب القلائد، وكتاب المحاسن، وكتاب المشاهد، وكتاب الشواهد وكتاب الجواهر، وكتاب المراكب .

(٢٠) كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر

ذكره ابن النديم بعد ذكره الكتاب الذى قبله ويظهر أنه جزء منه .

(٢١) معـانى الشـعر الكبير

ذكره ابن النديم وقال : إنه يحتوى على اثنى عشر كتابا منها : كتاب الفرس ستة وأربعـون بابا، كتاب الإبل سـتة عشر بابا، كتاب الحرب عشرة أبواب، كتاب العرور عشرون بابا، كتاب الديار عشرة أبواب، كتاب الرياح أحد وثلاثون بابا، كتاب السباع والوحوش سـبعة عشر بابا، كتاب الهوام أربعـة عشر بابا، كتاب الأيمـان والدواهى سبعة أبواب، كتاب النساء والعزل باب واحد، كتاب النسب واللبن ثمـانية أبواب، كتاب تصحيف العلماء باب واحد .

(٢٢) كتاب المعـانى

فى خزانة أيا صوفيا بالأستانة « رقم ٤٠٥٠ » الجزء الأول من كتاب المعـانى لابن قتيبة وهذا الجزء فى الخيل . وفى المكتب الهندى بلندن الجزء الثانى منه وأوله باب الذباب ويحتمل أن يكون هذان الجزءان من الكتاب السابق .

(٢٣) ديوان الكتاب

ذكره ابن النديم والداودى والسيوطى وصاحب كشف الظنون .

(٢٤) تقـويم اللسان

ذكره صاحب كشف الظنون، وقد ذكر فى فهرس الدار أن الجزء الثـانى من كتاب بهـذا الاسم ضمن كتب اللغة « برقم ٣٣٠ » لابن قتيبة، وموضوعه رسم الكلمات وضبط الألفاظ اللغوية وبيان معناها ، وهو مخطوط بخط طه بن عرفة البططى، وليس فيـه مايدل على أنه لابن قتيبـة ، وقد يكون لمؤلف آخر غيره، وفى كشف الظنون مؤلف بهذا الاسم لزين الدين قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩هـ فى مجلدين .

(٢٥) خلق الإنسان

ذكره ابن النديم والداودى والسيوطى وصاحب كشف الظنون .

(٢٦) كتاب الخيـل

ذكره ابن النديم وابن خلكان والداودى والسيوطى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفيـة . وقد ذكر صاحب كشف الظنون كتابا لابن قتيبة باسم : «كتاب الحيل» ولعله محرف عنه .

(٢٧) كتاب الأنواء

ذكره ابن النديم وابن خلكان والدوادى والسيوطى والسمعانى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفيـة وصاحب كشف الظنـون . وهو من تحف النوادر المحفوظة بالخزانة الزكيـة لواقفها حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا، ويقع فى ١٦٨ صفحة ويظهر أنه ناقص من آخره ، ولم يعلم كاتبه غير أنه ثابت من

الصفحة الأولى أن الأستاذ الكبير السيد محمود شكرى الآلوسى قابله على أصله وعنى بتصحيحه . وفيه تعليقات كثيرة على هوامشه، وأوّله بعد البسملة : «هـذا كتاب أخبرت فيه بمذهب العرب فى علم النجم مطالعها ومساقطها وصفاتها وصورها وأسماء منازل القمر وأنوائها وفرق ما بين يمـانيها وشاميها ... الخ»

وفيه بعد المقدّمة الكلام على منازل القمر ومعنى النوء والطلوع والغروب وعلاقة المطر بالنوء، وأسماء المنازل وهيئاتها كالبطين والثريا والجوزاء وغير ذلك، وكيفية نزول القمر بهذه المنازل، وأوقات النتاج والأزمنة وتحديد أوقاتها عند العرب، والفصول والبروج والشمس وشروقها وغروبها والفجرين والشفقين، وأشهر الكواكب والرياح والسحاب والبرق، واختلاف مناظر النجوم وكيفية الاهتداء بها .

(٢٨) جامع النحو الكبير

ذكره ابن النديم والداودى والسيوطى والقفطى وصاحب كشف الظنون .

(٢٩) جامع النحو الصغير

ذكره ابن النديم والداودى والسيوطى والقفطى وصاحب كشف الظنون .

(٣٠) الميسر والقـــداح

ذكره ابن النـديم وابن خلكان والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وصاحب كشف الظنون، وتوجد منه نسخة بالخزانة الزكية كتبت سـنة ٦٢٢ هـ بخط ابن الشيرازى ، وأخرى بالخزانة التيمورية منقولة عنها، وقد طبعها الأسـتاذ محب الدين الخطيب بعد أن صححها وعلق عليها وكتب ترجمة لمؤلفها ووضع فهارسها بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٢ هـ .

(٣١) فضل العرب على العجم — أو كتاب العرب وعلومها

نقل عنه ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٨٨ طبع بولاق) ونشر بعضه الأستاذ جمال الدين القاسمى أحد علماء دمشق فى المجلد الرابع من مجلة المقتبس (ص ٦٥٧ — ٦٦٨) ومن (٧٢١ — ٧٣٥) نقلا عن نسخة فى مكتبة المرحوم شاكر أفندى الحمزاوى الدمشقى بخط مسند الشام الشيخ إبراهيم الجنينى من رجال القرن الثانى عشر، وقد نسخها من أصل مخروم الآخر حتى كتب فى آخر نسخته : هذا آخر ما وجدته ... الخ .

ونشر الأستاذ السيد محمد كرد على منه قطعة فى رسائل البلغاء من صفحة (٢٦٩ — ٢٩٥) سنة ١٣٣١هـ، وفى دار الكتب المصرية منه نسخة فى جزأين ضمن مجموعة مخطوطة بخط أبى الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش ، فرغ من كتابتها فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهذا الكتاب ناقص من الأول. وأول الموجود منه من أثناء الكلام على تناول الطعام وآدابه وما ورد من أخبار النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل العرب وينتهى إلى آخر الجزء الأول، ثم يبتدئ الجزء الثانى وفيه الكلام على فضل العرب فى العلوم والحكم والشعر والكلام المسجع المنثور ، ودفع ما نسب إلى العرب من الجفاء والغباوة ، وتفردهم بجملة علوم كعلم الخيل والفراسة والقيافة والكهانة والفال ، واشتهارهم بالخطب وارتجالها والشعر وأوزانه والحكم ومنثور الكلام ومسجعه وغير ذلك .

وأول هذا الكتاب كما ورد فى النسخة التى نشرها الأستاذ جمال الدين القاسمى بمجلة المقتبس : « قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : جعلنا الله وإياك على النعم شاكرين، وعند المحن والبلوى صابرين، وبالقسم من عطائه راضين، وأعاذنا

من فتنة العصبية وحمية الجاهلية، وتحامل الشعوبية فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة، وتلحق بها كل رذيلة، وتغلو فى القول، وتسرف فى الذم، وتبهت بالكذب، وتكابر العيان، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف، وتغصّ من النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكر بالشجا، وتطرف منه على القذى ... الخ » .

(٣٢) التسوية بين العرب والعجم

ذكره ابن النديم والقفطى ولا ندرى أهذا هو الكتاب السابق أم كتاب آخر! .

(٣٣) المعـارف

ذكره ابن النـديم وابن خلكان والخطيب والسـمعانى وصاحب قلادة النحر وابن كثير وابن الأنبارى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وابن العماد الحنبلى، وهو من قبيل كتب التاريخ العام وأقدمها، فيه خلاصة مبدأ الخلق وتاريخ الأنبياء وأنساب العرب وسيرة النبى صلى الله عليـه وسلم ومغازيه وأخبار الصحابة والتابعين والخلفاء والولاة ورواة الشـعر وأصحاب الرأى والحديث والقراء والنسابين وأصحاب الأخبار والغـريب والنحو والأوائل وصـناعات الأشراف وأهل العاهات ونوادر الحوادث وأخبار ملوك العرب والعجم .

ومنـه نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية إحداهما من نسخ الأسـتاذ الشـنقيطى ، وعلى هوامشها بعض تعليقات محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم «٣ أدب ش» كتبها أحمد بن يونس سنة ستين ومائة وألف، والثانية محفوظة تحت رقم « ٤٢٩ تاريخ » وليس فيهـا ما يدل على سـنة كتابتها ، وهى عارية عن الشكل، ومنه نسخة مطبوعة بجوتينجن سنة ١٨٥٠ م، قام بطبعها وكتابة تعليقات وتصحيحات عليها المستشرق وستنفلد، وأخرى طبع مصر سنة ١٣٠٠ ه .

(٣٤) عيون الأخبار

ذكره ابن النديم وابن خلكان والخطيب والسمعانى وابن كثير وابن الأنبارى والقفطى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وابن العماد الحنبلى وقد وصفناه بإسهاب فى أوّل هذه المقدّمة .

(٣٥) طبقات الشعراء

ذكره ابن خلكان والدوادى والسيوطى والقفطى وابن العماد الحنبلى بهذا الاسم . وذكره ابن النديم باسم : «الشعر والشعراء» وهو يحتوى على تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله عز وجل وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ويدخل فى ذلك أخبار أشهر شعراء الجاهلية وصدر الإسلام إلى أيام المؤلف وأمثلة من أشعارهم .

وبدار الكتب المصرية منه نسختان مخطوطتان، أولاهما بقلم معتاد بخط يحيى ابن محمد المغربى الزواوى، نقلها عن نسخة مخطوطة بمكتبة راغب باشا بالأستانة، وفرغ من كتابتها سنة ١٢٨٦ هـ، وبهامشها بعض تقييدات، وهى محفوظة تحت رقم « ٥٥ أدب» ، وثانيتهما بخط عيسى بن محمد بن سلمان، فرغ من كتابتها سنة ١٠٥٩ هـ وبهامشها بعض تقييدات ، وهى محفوظة تحت رقم «٤٢٤٧ أدب» وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، طبع قسما منه « مسيو ريتر سهوزن» بمطبعة بريل بليدن سنة ١٨٧٥ م ومعه مقدّمة وترجمة باللغة الفلمنكية . وطبعه كاملا «مسيو دى جو به» بالمطبعة المتقدّمة سنة ١٩٠٤ م ووضع له مقدّمة وملاحظات باللغة اللاتينية وفهرسا بأسماء الرجال والقبائل والأماكن وآخر لتفسير مفرداته . وطبع بمصر سنة ١٣٢٢ هـ، ووقف على تصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى، وكتب عليه بعض تعليقات .

(٣٦) كتاب الحكاية والمحكى

ذكره ابن النديم .

(٣٧) كتاب فرائد الدر

ذكره ابن النديم .

(٣٨) حكم الأمثـال

ذكره ابن النديم .

(٣٩) آداب العشرة

ذكره ابن النديم .

(٤٠) كتاب العلم

ذكره ابن النديم والقفطى وقال ابن النديم : إنه فى نحو خمسين ورقة .

(٤١) كتاب القلم

ذكره الداودى والسيوطى بهذا الاسم ولعل هـذا الكتاب هو الكتاب السابق حصل التشابه بين اسميهما من تحريف النساخ .

(٤٢) الجوابات الحاضرة

ذكره الداودى والسيوطى وصاحب كشف الظنون .

(٤٣) تعبير الرؤيا

ذكره ابن النديم فى الفهرست (ص٣١٦) وأبو الطيب اللغوى فى كتابه "مراتب النحويين" .

(٤٤) تاريخ ابن قتيبة

فى الخزانة الظاهرية بدمشق كتاب بهذا الاسم رقم (٨٠ تاريخ)، وهو من كتب مكتبة الخياطين التى وقفها الوزير أسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ هـ ، وقد أشار

صاحب كشف الظنون فى كلامه على تاريخ أبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ الى قول المسعودى عنه : «ان ابن قتيبة أخذ ما ذكره وجعله عن نفسه» .

(٤٥) كتاب الإمامة والسياسة

اشتهرت نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة، وهو كتاب يبحث فى تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد الأمين والمأمون، وقد طبع بمصر عدّة طبعات، ومنه نسخ خطية فى مكاتب لندن وباريس؛ وبدار الكتب المصرية منه نسخة مخطوطة كتبت سنة ١٢٩٧ هـ . وقد شك العلماء كثيرا فى نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة، وأول من بدأ هذا الشك المستشرق "غانيغوس الجريطى" وتبعه فى ذلك "الدكتور دوزى" فى صدر كتابه تاريخ الأندلس وآدابه المطبوع فى ليدن سنة ١٨٨١ م طبعة ثالثة .

واستند فى نظريته هذه الى الأسباب الاتية :

(١) أن كثيرين من الذين ترجموا لابن قتيبة لم ينسب اليه واحد منهم كتابا أو مؤلفا بهذا العنوان .

(٢) أن مؤلف الكتاب يذكر فى مواضع مختلفة أنه استمدّ معلوماته من أناس حضروا فتح الأندلس مع أن فتح الأندلس كان فى سنة ٩٢ هـ ، وميلاد ابن قتيبة فى سنة ٢١٣ هـ .

(٣) أن أسلوب الكتاب يختلف كثيرا عن أسلوب ابن قتيبة المعروف فى كتبه .

(٤) أن شيوخ ابن قتيبة الذين يروى عنهم فى كتبه لم يرد لهم ذكر فى أى موضع من مواضع الكتاب .

(٥) أنه يظهر لمن تصفح كتاب الإمامة والسياسة أن مؤلفه كان مقيما بدمشق وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا الى الدينور .

(٦) أن مؤلف الكتاب يروى عن ابن أبى ليلى ، وابن أبى ليلى هذا هو محمد ابن عبـد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى أبو عبـد الرحمن الفقيه قاضى الكوفة توفى سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) أى قبل أن يولد ابن قتيبة بخمس وستين سنة .

(٧) أن مؤلف الكتاب قد ذكر أسماء بلاد لم تكن فى زمن الرشيد ، فقد تكلم عن غزو موسى بن نصير لمراكش مع أن هذه المدينة محدثة بناها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) وابن قتيبة توفى سنة ٢٧٦ هـ .

وليس من العلماء من نقل عن هـذا الكتاب على أنه لابن قتيبة إلا القـاضى أبا عبد الله التوزرى المعروف بابن الشباط ، فقد نقل عنه فى الفصل الثانى من الباب الرابع والثلاثين من كتابه «صلة السمط» .

(٤٦) كتاب الجراثيم

فى الخزانة الظاهرية بدمشق نسخة قديمة من هذا الكتاب منسوبة لابن قتيبة رقمها «٥٩ لغة» والظاهر أنها مجموعة تشمل عدّة رسائل لمؤلفين مختلفين ، طبع منها "الأب موريس بويجس" كتاب النعم لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى فى ليبزج سنة ١٩٠٨م ، وكتب عليه بعض تعليقات ، وذيله بفهارس ، وصدّره بمقدّمة باللغة الفرنسية . ونشر منها الدكتور "أوغست هفنر" أستاذ اللغة العربية فى كلية "انسبروك" كتاب النخل والكرم فى المجلد الخامس من مجلة المشرق وأعاد نشره "الأب لويس شيخو" اليسوعى ضمن مجموعة كتب ورسائل لغوية مختلفة وسماها «البلغة فى شذور اللغة» . وقد رأى الدكتور هفنر أن هذا الأثر للأصمعى فنشره على أنه له ، ولكن معيد نشره "الأب

لويس شيخو" يرى أنه من المحتمل أن يكون لأبى عبيــد معاصر الأصمعى المتوفى سـنة ٢٢٤ ﻫ . وقد استنتج ذلك من أن شروح المفردات توافق ما جاء فى لسان العرب والمخصص منسوبا لأبى عبيد أكثر منها للأصمعى، كما رأى أنه من المحتمل أيضا أن يكون الكتاب لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى .

ومنهــا كتاب «الرحل والمنزل» الذى نشره "الأب لويس شيخو" ورجح أنه لابى عبيد لتوافق ما جاء فيه مع ما ينقل عن أبى عبيد من النصوص فى معاجم اللغة واذا صح ذلك فلا يبعد أن يكون فى هــذا الكتاب قطعة أو أكثر لابن قتيبة فكان ذلك باعثا على نسبة الكتاب اليه فى هذه النسخة المخطوطة .

(٤٧) كتاب الفرس فى معانى الشعر

ذكره القفطى فى إنباه الرواة .

وفاة ابن قتيبـــة

قال ابن خلكان : إنه «توفى فى ذى القعدة سنة سبعين وقيل سنة إحدى وسبعين وقيل أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال . وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة شديدة سمعت من بعد ثم أغمى عليه ومات؛ وقيل : أكل هريسة فأصابته حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه ومات الى وقت الظهر؛ ثم اضطرب ساعة ثم هدأ؛ فما زال يتشهد الى وقت السحر ثم مات رحمه الله تعالى» .

هذا وقد ذكرت وفاته فى التراجم الأخرى بما لا يخرج عن ذلك .

الفهــارس

وقد قام القسم الأدبى بعمل فهارس وافية لهذا الكتاب تشمل :

١ — فهرس الأعلام الواردة فى هذا الكتاب وهو يشتمل على عدة فهارس هى :

(ا) فهرس رجال السند وهم الذين روى عنهم المؤلف وقد اكتفينا في الأسماء التي تكررت كثيرا بذكر ثلاثة أرقام لكل واحد منهم من كل مجلد .

(ب) فهرس الشعراء وهم الذين اختار المؤلف من شعرهم، أو استشهد بقولهم في ثنايا سطور الكتاب، أو ذكروا عرضا في الحواشي .

(ج) فهرس الأعلام وهم الذين ذكروا بمناسبات خاصة .

٢ — فهرس القبائل والأمم والبطون والعشائر .

٣ — فهرس أسماء البلاد والمدائن والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك .

٤ — فهرس أسماء الكتب التي نقل عنها المؤلف أو التي ذكرناها في الحواشي من كتب المراجعة . وقد ميزنا الكتب التي ذكرها المؤلف بهذه العلامة « § » .

٥ — فهرس الأمثال الواردة به .

٦ — فهرس أيام العرب والغزوات والوقائع .

٧ — فهرس القوافي، وقد راعينا في هذا الفهرس أن نأتي بذكر أول كلمة في مطلع القصيدة مع مراعاة القافية في الترتيب الهجائي و بيان العروض .

٨ — فهرس خاص لأنصاف الأبيات الواردة في الكتاب مرتبة باعتبار أوائلها

ملاحظات

١ — لم نتبع في ترتيب هذه الفهارس حذف صدور الكنى من أسماء الأعلام ولفظ « ذو » و « ذات » ونحو ذلك كما هي عادة واضعي الفهارس للكتب

العربيــة ولكن راعينـا الترتيب الذى وضـعناه فى فهـارس أجزاء كتاب الأغانى والنجوم الزاهرة ، وهو مراعاة صدور هذه الكنى فى الترتيب ووضعها فى الحرف الذى تبتدئ به، فمثلا وضعنا « أبو لبيد » « وأم حفص » وما أشبههما فى حرف الألف كما وضعنا اسم « ذو الرمة » مثلا فى حرف الذال و « بنت عوف بن عفراء » فى حرف الباء وهكذا .

٢ — الرقم الأول بعد تعيين المجلد يدل على رقم الصفحة والثانى يدل على عدد السطر فمثلا (ج ٢ — ٧٩ : ٤) يدل على صفحة ٧٩ سطر ٤ من المجلد الثانى .

٣ — هـذه الفهارس لا تشـمل ما ذكر فى الكلمة التى كتبناها عن وصف الكتاب وترجمة المؤلف .

كلمــة شـــكر

وإنا نقـدم جزيل الشكر ووافر الثنـاء لمن عاوننـا فى تصحيح هـذا الكتاب أو أرشدنا إلى مواضع النقد فيه بعـد طبعه، ونرجو من كل قارئ عثر فيه على غير الصواب أن ينبهنا إليه .

وإن ننس لا ننس أثر الأسـتاذ المربى الكبير « محمد أسـعد براده بك » مدير دار الكتب المصرية فى هـذا الكتاب وغيره من مطبوعات الدار فالى الهمة العالية وإلى النهضة التى آضطلع بأعبائها فى جميع فروع العمل بالدار يرجع الفضل فى إظهار هذا الكتاب القيم وغيره على هذا النحو . جزاه الله عن العلم والأدب خير الجزاء ؟

أحمد زكى العدوى

رئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية

فهرس

صفحة

الجزء الأول ــ كتاب السلطان

الجزء الثـاني — كتاب الحرب

الجزء الثـالث — كتاب السُّؤدُد

ا

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صحيفة

كتاب العـلم والبيان

كتاب الزهد

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

باب من المواعظ

كشف

ببيان المطبوعات المعدّة للبيع بدار الكتب المصرية

عدد الأجزاء		الثمن للأفراد ملّيم	الثمن للأفراد جنيه	الثمن للمكاتب أو لعشرة أجزاء ملّيم	الثمن للمكاتب أو لعشرة أجزاء جنيه
١	المصحف الشريف المذهب	—	٢	—	٢
١٤	صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ... ... (ثمن الجزء)	١٥٠	—	١٤٠	—
١	مسالك الأبصار	١٥٠	—	١٢٠	—
٢	أساس البلاغة ... ... (ثمن الجزء)	٢٥٠	—	٢٣٠	—
١	التـاج	١٥٠	—	١٢٠	—
١	الأصـنام	٦٠	—	٤٠	—
١	الأغانى (وجار طبع الأجزاء الباقية)	٢٠٠	—	١٨٠	—
٦	نهـاية الأرب (وجار طبع الأجزاء الباقية) ... (ثمن الجزء)	١٥٠	—	١٢٠	—
٢	عيون الأخبـار (وجار طبع الاجزاء الباقية) («)	١٥٠	—	١٢٠	—
٢	ديوان مهيـار (وجار طبع الجزء الثالث) («)	١٥٠	—	١٢٠	—
٩	فهـرس الكتب العربية (عدا الجزء الثـانى) والتركـية والفارسية § ... ... (ثمن النسخة)	٥٠٠	—	٥٠٠	—
٣	فهرس الكتب العربية (وجار طبع الأجزاء الباقية) (ثمن الجزء)	٥٠	—	٥٠	—
١	فهرس الكتب الافرنجية (جزء أول ، مطبوع باللغة الفرنسية وخاص بمصر)	٤٥٠	—	٤٥٠	—
١	فهرس الكتب الافرنجية (جزء ثان ، مطبوع باللغة الفرنسية وخاص بالشرق)	٥٠٠	—	٥٠٠	—
١	فهرس النقود العربية (مطبوع باللغة الانجليزية)...	٦٠٠	—	٦٠٠	—
١	مجموعة الخطوط العربية §	٥٠٠	٢	٥٠٠	٢
١	التحفة السنية	٥٠	—	٥٠	—
١	خريطة الممـالك الاسلامية	٤٠	—	٤٠	—

(§) لا تباع المجموعة وفهرس الكتب العربية إلا باذن خاص .

كتاب الإخوان

كتاب الحـوائج

كتاب الطعام

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورى رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بَلاؤُه صفة الواصفين وتفوت آلاؤُه عددَ العادِّين وتسع رحمته ذنوب المسرفين ، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تخيب لديه طِلْبة ولا يضل عنده سعى ، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعَقْد الندم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذى ابتعث فينا البشير النذير السراج المنير هاديا الى رضاه وداعيا الى محابِّه(١) ودالّا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكتُه المقرَّبون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما طَما بحر وذرَّ شارِق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد فان لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحمدها مَغَبَّة ، وأحمدها مغبَّة ما تُعلِّم وعُلِّم لله وأريد به وجه الله تعالى .

ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوِّين وأجود المسئولين .

وإنى كنت تكلفت لمُغْفِل التأدب من الكُتَّاب كتابا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيَّنتُ شُمول النقص ودروسَ العلم وشغلَ السلطان عن إقامة سُوق الأدب

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «محابّه» .

حتى عفا ودرَس، بلغتُ به فيه همّة النفس وثَلج الفؤاد وقيّدتُ عليه به ما أطرفنى الإله[1] ليوم الإدالة، وشرطتُ عليه مع تعلّم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره[2] متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتنى الهمة الى كفايته وخشيت إن وَكَلْتُه فيما بقى الى نفسه وعوّلتُ له على اختياره أن تستمرّ مَرِيرتُه على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأوّل، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكَلال من الحدّ فيلحقه خَوَر الطباع وسآمة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له فى ذلك عمل مَنْ طَبَّ لمن حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعوّلت على الله فى الجزاء والأجر.

فان هذا الكتاب، وإن لم يكن فى القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالى الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا فى تهجد الليل وسَرْد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفِل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومَسُوسهم مؤدّبا وللملوك مستراحًا [من كدّ الجِدّ والتعب][3] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) فى النسخة الألمانية: «ما أضل من الآلة ليوم الإدالة».

(٢) فى النسخة الفتوغرافية: «النظر». (٣) زيادة فى النسخة الالمانية.

وعلى الناشد طلبها، وهى لَقَاح عقول العلماء ونَتَاج[1] أفكار الحكماء وزبدة المَخض وحِلْية الأدب وأثمار طول النظر والمتخيرًّ من كلام البلغاء وفِطَن الشعراء وسِيَر الملوك وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثِقافها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبَثها، وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت، وتستنجح بها حاجتك اذا سألت، وتتلطف فى القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت، فان الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه، وتعمُر بها مجلسك إذا جدَدْت وأ هَزَلت وتوضح بأمثالها حججك وتَبُدُّ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَئونة، وتستولى على الأمد وأنت وادع [[2] وتلحق الطَّرِيدة ثانيا من عِنَانك وتمشى رويدا وتكون أوّلا] هذا اذا كانت الغريزة مُوَاتيةً والطبيعة قابلة والحس منقادا، فان لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب، لمن أراه عقلُه نقص نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والرويَّة عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه، ما نَعَش منها العليل وشحذ الكليل وبعث الوَسْنان وأيقظ الهاجع حتى يُقَارب بعون الله رُتَبَ المطبوعين .

ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقتهم، فوفّيت كل فريق منهم قِسْمه ووفَّرت عليه سهمه وأودعته طُرَفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر فجائعها والزوالِ والانتقال وما يتلاقَوْن به اذا آجتمعوا ويتكاتبون به اذا آفترقوا،

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «ونتاج» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فى المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفا، ويأطِرَ على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب . ولم أُخْلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجِبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَرُوضٌ أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن القارئ من كَدِّ الجِدّ[(١)] وإتعاب الحق فإنّ الأذن مَجّاجة وللنفس حَمْضَةٌ، والمَزْح إذا كان حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسبابٍ أوجَبْتَه [مشاكلا][(٢)] ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتهى بك كتابنا هذا الى باب المِزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما ، فاذا مرّ بك أيها المتزمّتُ حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به .

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخّص فيما تشددت فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيّأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه تَوَقِّى المتزمّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبل اليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين ، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعِّر خدّك وتُعْرض بوجهك فان أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تعزّى بعزاء الجاهلية

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية «الجهد» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فأعِضُّوه بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا". وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لبُدَيْل بن وَرْقاء، — حين قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : إنّ هؤلاء لو قد مَسَّهم حَزُّ السلاح لأسلموك — : « اعْضَضْ ببَظْر اللّات ، أنحن نُسْلمه ! » . وقال علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه : «من يَطُلْ أيْرُ[1] أبيه ينتطقْ به» . وقال الشاعر فى هذا المعنى بعينه

فلو شاء ربّى كان أيرُ أبيكم * طويلا كأيرِ الحارث بن سَدُوس

قال الأصمعىّ : كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشَّعْبىّ : إن هذا لا يجىء فى القياس، فقال : أيْرٌ فى القياس، الولد ذكرٌ . وليس هذا من شكل ما تراه فى شعر جرير والفرزدق لأنّ ذلك تعيير وٱبْتِهَارٌ فى الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرين وٱفرُق بين الجنسين، ولم أترخّص لك فى إرسال اللسان بالرَّفَث على أن تجعله هِجِّيرَاكَ على كل حال ودَيْدَنك[2] فى كل مقال، بل الترخّص منّى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها ، تنقّصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجيّة والرغبة بها عن لِبْسة الرياء والتصنع . ولا تستشعرْ أنّ القوم قارفوا وتنزّهت وثلَمُوا أديانَهم وتورّعتَ . وكذلك اللحْن إن مرّ بك فى حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأنّ الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسْنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا : قيل لمزيد[3] المدينى — وقد أكل طعاما كَظَّه : — قِى فقال : ما أقِى، أقِى نَقًا ولحم جَدْى ! مرتى طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوّا الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وورد فى مجمع الأمثال للميدانى «مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه ينتطِقْ به » . (٢) فى النسخة الألمانية «ودينك» .

(٣) ورد فى النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لُمَزَيْد) وكذلك ورد فى الأغانى ج ١٣ ص ١١٧ من غير ضبط وورد فى كتاب البخلاء للجاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مُزبد) . وورد فى الأصل الفتوغرافى الذى بين أيدينا هكذا (للزبّد) . وفى تاج العروس فى مادة (زبد) : ومزبد كمحدِّث اسم رجل صاحب النوادر وضبط كمعظَّم ووجد بخط الذهبىّ ساكن الزاى مكسور الموحدة .

هـذا قيًّا لأكلتـه . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفّيت بالإعراب والهمزِ حقوقَها لذهبت طُلاوتها ولاّستبشعها سامعُها وكان أحسن أحوالها أن يكافئَ لطفُ معناها ثقلَ ألفاظها فيكون مثل المخبرَ عنها ما قال الأول

اضربْ نَدَى طلحةِ الخيراتِ إن نخروا * بِبُخلِ أشعثَ واستثْبِتْ وكن حكَمَا
تخرجْ خُزَاعةُ من لؤم ومن كرم * فلا تعُدَّ لها لؤما ولا كرماَ

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء فى جارية له

أمُغَطًّى منِّى على بصرى للـ * ـحبّ أم أنتِ أكمل الناس حسنا
وحديثٍ ألَذُّه هو ممّا * يشتهى الناعتون يوزَن وزنا
منطقٌ بارعٌ وتلحَن أحيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا(1)

وإن مرّ بك خبر أو شعر يتّضع عن قدر الكتّاب وما بُنى عليه فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما قلة ما جاء فى ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن الحسَن إذا وُصل بمثله نقص نُوراهما(2) ولم يتبيَّن فاضل بمفضول . واذا وُصل بما هو دونه أراك نقصانُ أحدهما من الآخر الرجحانَ ، ومدار الأمر وقِوَامُه على واحدة تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهى أن تُحْضر الكلمة موضعَها وتصلها بسببها ولا ترى غبنًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فاذا رأيت حالا تُشاكِل ماحضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرَص القول فان للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : ربَّ كلمةٍ تقول : دعنى .

(1) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُعوص فى حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال «وخير الحديث ما كان لحنا» أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اھ نقلا عن أمالى القالى . وقيل تلحن أحيانا أى تخطئ فى الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستثقل منهنّ لزوم حاقّ الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسياق الكلام يأتلف معه . ولعله عنى باللحن فى المصراع الأول الخطأ فى الإعراب وباللحن فى المصراع الثانى المعنى الذى ذهب اليه ابن دريد أو اللحن بمعنى التوقيع . (2) فى النسخة الفتوغرافية : «نوارهما» .

وإن وقفتَ على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبَعا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفَّح الكتب كلها، فانه ربَّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كالتلطف فى القول يقع فى كتاب السلطان ويقع فى كتاب الحوائج ويقع فى باب البيان، وكالاعتذار يقع فى كتاب السلطان وفى كتاب الاخوان، وكالبخل يقع فى كتاب الطبائع وفى كتاب الطعام، وكالكِبَر والمشيب يقع فى كتاب الزهد ويقع فى كتاب النساء .

واعلم أنَّا لم نزل نتلقَّط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السنّ والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكُتَّاب فى فصول من كتبهم وعمَّن هو دوننا غيرَ مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأَمَة الوَكْعاء لجهلها فضلًا عن غيرها ، فان العلم ضالَّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزْرِىَ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبَط من الكاشحين، ولا تَضيرُ الحسناءَ أطمارُها ولا بناتِ الأصداف أصدافُها (*) ولا الذهبَ الإبريزَ مَخرجُه مِنْ كِبًا ، ومن ترك أخذَ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّ مرّ السحاب .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سُليمان بن معاذٍ عن سِماك عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمةَ غيرُ الحكيم وتكون الرَّميَةُ من غير الرامى » . وهذا يكون فى مثل كتابنا لأنه فى آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فأما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) فى النسخة الألمانية : "لموضعه"، وربما عينه السياق .

إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح فى صدرك منه الشكوكُ ، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدَثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث فى عصره وكل شرف فأوّله خارجيّةٌ (*) ، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغُفران زلته و بخس المتأخر والتجنّى عليه . والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا و يزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

و إنى حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع فى عشرة كتب بعد الذى رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة ، كل كتاب منها مفرد على حدته ، كتاب الشراب ، وكتاب المعارف ، وكتاب الشعر ، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأوّل من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه الى استعماله من الآداب فى صحبته وفى مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به فى اختيار عُمّاله وقضاته وحُجّابه وكُتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه فى أحكامهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثانى "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) فى اللسان «الخارجىّ الذى يخرج و يشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن العُـدد والسلاح والكُرَاع وما جاء فى السفر والمسير والطِّيَرة والفَأْل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيَل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطالبيِّين وأخبار الأمصار وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثالث "كتاب السُّؤْدُد" وفيه الأخبار عن مَخَايل السؤدُد فى الحَدَث وأسبابه فى الكبير وعن الهمة السامية والِخطَارِ بالنفس لطلب المعالى واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُزَاح وترك التصنُّع والتوسط فى الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمُدَايَنة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدُدفضممته اليهوجعلتهما جزءا واحدا وفيهالأخبار عنتشابه الناس فىالطبائع وذمِّهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغِيبة والسِّعاية والكذب والقِحَة وسـوء الخلق وسوء الجوار والسِّباب والبخل والحمق ونوادر الحَمْقَى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصـغار الحيوان والنبات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام فى الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة

والتلطف فى الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات[1] وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهّاد وكلامهم فى الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكِبَر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودّة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقى والزيارة والمعانقة والوَداع والتهادى والعيادة والتعازى والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب[2] الاخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الاخوان فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدّ والهدِيَّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعتَمَد فى الحاجة ومن يُستسعَى لها والإجابة الى الحاجة والرّد عنها والمواعيد وتنجُّزها وأحوال المسئولين عند السؤال فى الطّلاقة والعُبُوس والعادة من المعروف تُقْطَع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب فى قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «المقالات» .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى «وعيب الإخوان ومغاويهم وتعاديهم ...» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحَلْواء والسَّوِيق واللبن والتمر والخبائث منها التى يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأَكَلَة والمَنْهُومين والدعاء الى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمْية وشرب الدواء ومضارّ الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتَف من طِبّ العرب والعجم وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبيْن فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء فى أخلاقهنّ وخَلْقهنّ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال فى ذلك والحسن والجمال والقبح والدَّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهُور وخِطَب النكاح ووصايا الأولياء عند الهِدَاء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهن خلا أخبار عُشّاق العرب فانّى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودِع هذا الكتاب منها إلا شيئا يسيرا ، وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك فى صدر أوّلها لأُعفيك من كدّ الطلب وتعب التصفُّح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتُها ولِتَقْصدَ فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجَه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فان هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثرُ من أن يُحاط بها أو يُوقَف من ورائها أو تنتهى حتى يُنتَهى عنها .

وقد خفّفتُ وإن كنتُ أكثرت ، واختصرت وإن كنت أطلت ، وتوقّيتُ في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومِنْ بُعد الشُّقة بالإياب ، ولم أجد بُدًّا من مقدار ما أودعتُه الكتابَ منها لتتمّ به الأبواب، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضا ويغفر بخيرٍ شرًّا وبجِدٍّ هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنّ به والرجاء له من الخيبة والحرمان .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدّثنا محمد بن خالد بن خِداش قال : حدّثنا سَلْم بن قُتَيبة عن ٱبن أبى ذئب عن المَقْبُرىّ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرِصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فنعمتِ المُرضِعةُ وبئستِ الفاطمةُ" .

حدّثنى محمد بن زِياد الزيادى قال حدّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِى قال حدّثنا شَرِيك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلا قال عند النبى صلى الله عليه وسلم : بئس الشىءُ الإمارةُ. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "نعم الشىء الإمارة لمن أخذها بحقِّها وحِلِّها" .

حدّثنى زيد بن أَخْزَمَ الطائى قال حدّثنا ٱبن قُتَيبة (*) قال حدّثنا أبو المِنْهال عن عبدالعزيز ٱبن أبى بَكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : ٱبنته بُوران، قال: "لن يفلح قوم أسندوا أمرَهم الى ٱمرأة" .

حدّثنى زيد بن أخزم قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت أيُّوب يحدّث عن عِكْرمة عن ٱبن عباس أنه قدم المدينة زمن الحَرّة فقال : من استعمل القومُ؟ قالوا : على قريش عبدَالله بن مُطِيع ، وعلى الأنصار عبدَالله بن حَنْظلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القَوْم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافيــة : أبو قتيبة ، وليس عنــدنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معا فى كتب الأنساب .

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن حسّان قال كان الحسن يقول : «أربعة من الاسلام إلى السلطان الحُكْم والفيء والجمعة والجهاد» . وحدّثني محمد قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قِلَابة قال قال كعب : «مَثَلُ الاسلامِ والسلطان والناس مَثَلُ الفُسطاطِ والعمودِ والأطنابِ والأوتادِ ، فالفُسطاط الاسلام، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلُح بعضه إلا ببعض» .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : «السلطان سُوقٌ فما نَفَق عنده أُتِيَ به» . وقرأت في كتاب لابن المقفّع: «الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكنْ للبرّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسُد(١) بذلك الفجورُ والدناءة في آفاق الأرض» . وقرأت فيه أيضا : «المُلْك(٢) ثلاثة مُلْك دين ومُلْك حزم ومُلْك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينُهم هو الذي يعطيهم مالهم ويُلْحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما مُلْك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخُّط ولن يضرّه طعن الضعيف مع حزم القوي . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر .

حدّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَير الباهليّ قال حدّثنا اسحق بن نُجَيْح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله حُرَّاسا فحرّاسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الدِّيوان» .

---

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى سَعيد بن سَلْم الباهلى قال أخبرنى شُـعْبة عن شَرَقىّ عن عِكْرِمة فى قول الله عز وجل ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : «الجَلاوِزَةُ يحفظون الأمراءَ» .

[وقال الشاعر (*)

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * خليًّا من اسم الله والبركاتِ

يعنى باسم الله، وفيه قول الله ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت فى كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يُنْفَق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خِصْب ولا أمن » .

وقرأت فيه : «خير السلطان من أشبه النَّسر حوله الجِيَف لا من اشبه الجيفة حولها النسور» وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدّثنى شيخ لنا عن أبى الأَحْوص عن ابن عمّ لأبى وائل عن أبى وائل قال ، قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرنى أيضا عن أبى قُدامة عن علىّ بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاثٌ من الفَواقر : جار مُقامةٍ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وامرأة إن دخلتَ عليها لسَنَتْكَ وإن غبتَ عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت فى اليتيمة : «مَثَلُ قليل مضارّ السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سُقْيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفْر

(*) زيادة فى النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرّ سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج له البحار فتشتدّ البليّة منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله فى الأرض التى أحيا والنبات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلْغوا ذكر خواصّ البلايا التى دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التى يرسلها الله نُشُرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لَقَاحا للثمرات وأرواحا (*) للعباد يتنسّمون منها ويتقلبون فيها وتجرى بها مياههم وتَقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس فى برهم وبحرهم ويخلُص ذلك الى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها المتأذّون ولا يُزِيلها ذلك عن منزلتها التى جعلها الله بها وأمرها الذى سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحَرْث والنسل ونَتاجا للحَب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويحملها] ويخرجها الحرُّ باذن الله ويُنْضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرّ فى حرهما وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا الى الخير والصلاح. ومن ذلك الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد يستوحش له أخو القفْر وينازع فيه ذو البليّة والرِّيبة وتعدو فيه السِّباع وتَنْسابُ فيه الهوامّ ويغتنمه أهل السَّرَق والسَّلَّة ولا يُزرِى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يُلحِق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحقَّ فى الشكر لله على ما مَنّ به عليهم منه. ومَثَل النهار الذى جعله الله ضياء ونُشُورا وقد يكون على الناس أذى الحرّ فى قَيْظهم وتُصَبِّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّخُوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه الى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شىءٌ من سَرّائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نَعْماؤها بغير كدر وميسورُها من

(*) فى النسخة الفتوغرافية : رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذًا هى الجنــة التى لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح والتى ليس فيها نصب ولا لُغُوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضرُّه خاصةً فهو نعمة عامة وكل شىء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام » .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت فى التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شىء يجِلّ وألباب السُّوَق مشغولة بأيسر الشىء ، فالجاهل منهم يعذِر نفسه بدَعَةِ ماهو عليه من الرِّسْلة ولا يعذِر سلطانه مع شدّة ماهو فيه من المُــونة ، ومن هناك يعزِّز الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان » .

وروى الهَيْثَم عن ٱبن عيَّاش عن الشَّعْبى قال : « أقبــل معاوية ذات يوم على بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحدّثونى عن ٱدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتتْ حقا ولا أسَّست ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقىَ الحَجيج وضامنَ الأيتام أن يطلبها وقد ضمِن له أبو سفيان بنى عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خَصْلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأنتم تدَّعونها بها وحدها ، ولكنّا نقول : أحق قريش بها من بسط الناسُ أيديهم إليه بالبَيْعة عليها ونقلوا أقدامَهم إليه للرغبة وطارت اليه أهواؤُهم

للثقة وقاتل عنها (*) بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمرٌ تضيق به الصدور، إذا سئلتم عمّن اجتُمع عليه من غيركم قلتم حقٌّ . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فطالبوهم ، وإن كانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروْا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس ندّعي هذا الأمر بحقّ من لولا حقُّه لم تقعد مقعدَك هذا ، ونقول كان تركُ الناس أن يَرضَوْا بنا ويجتمعوا علينا حقًّا ضَيَّعُوه وحظًّا حُرِمُوه ، وقد اجتمعوا على ذي فضل لم يخطئ الوِرْدَ والصَّدَرَ ، ولا ينقُص فضلَ ذي فضلٍ فضلُ غيره عليه . قال الله عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فأما الذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهدٌ منه إلينا قبِلْنا فيه قولَه ودِنَّا بتأويله ولو أَمَرَنا أن نأخذه على الوجه الذي نهانا عنه لأخذناه أو أَعْذَرْنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارًّا . انتهتِ القضيةُ إلى داود وسليمان فلم يُفَهَّمْها داودُ وفُهِّمها سليمان ولم يضرَّ داودَ . فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي للمؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت عمّي وصِنْو أبي ومن أبغض العباس فقد أبغضني وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوّتي آخر النبوة » . وقال لأبي طالب عند موته : ياعم قل لا إله إلا الله أشفعْ لك بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدّثنا الرياشي عن أحمد بن سلّام مولى ذُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهرٌ جارٍ » .

(*) في الأصل الفتوغرافي : عليها .

وحدّثنا الرياشى قال حدّثنا مُسْلم بن إبراهيم قال حدّثنا القاسم بن الفضل قال حدّثنا ٱبن أخت العجاج عن العجاج قال : «قال لى أبو هريرة ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بُقْعانُ[1] الشأم فيأخذوا صدقتك فاذا أتوْك فتلقَّهم بها فاذا دخلوها فكن فى أقاصيها وخلّ عنهم وعنها ، وإياك وأن تسبَّهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك فى ميزانك يوم القيامة » وفى رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصَدِّق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فان أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيا خَفَّفَ عن ظالم » .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرهبة ، والمحبة ، والديانة » .

وقرأت فى بعض كتب العجم كتابا لأَرْدَشيرَ بن بَابَك إلى الرعية ، نسخته : «من أردشير المُوبَذ[2] ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة ، والكتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عَمَـرة[3] البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد ٱلله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوتها الموظّفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لاتستشعروا الحقد فيَدْهَمَكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط ، وتزوّجوا فى القرابين فانه أمسّ للرحم وأثبتُ للنسب ، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

---

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) فى النسخة الألمانية : المؤبد ، والموبذ كالموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) فى النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتابا من أرسطاطاليس إلى الاسكندر وفيه : « املك الرعيـة بالإحسان اليها تظفرْ بالمحبة منها فان طلبك ذلك منهـا باحسانك هو أدومُ بقاءً منه باعتسافك، وآعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها الى القلوب بالمعروف، وآعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجْهد ألا تقولَ تسلم من أن تفعل » .

وقرأت فى كتاب الآيين(١) أن بعض ملوك العجم قال فى خطبة له : «إنى إنمـا أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر» .

ونحوه قول العجم : « أَسْوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها» .

وقالوا : « لا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالهـا من العامة [كَرْهًا](٢) ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير » .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام عن شيخ له قال : « كان أَنُو شَرْوَانُ إذا ولّى رجلا امر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعـة أسطر ليوقّع فيه بخطه فاذا أُتى بالعهد وقّع فيه : سُسْ خيارَ الناس بالمحبـة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفِلَةَ الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أَوْرد أعرابى إبلَه فلما شربتْ ضرب على جُنوبها وقال عليكِ زيادًا . فقلت له : ما أردتَ بهذا؟ قال : هى سُدًى، ما قام لى بها راعٍ مذ ولىَ زياد . فسرَّ ذلك معاوية وكتب به الى زياد» .

---

(١) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا عن هذه الكلمة فى كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الالمانية .

قال عبد الملك بن مروان : «أنصِفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللِّين فى غير ضعف والقويُّ فى غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنى لأُجْمِع أن أُخرِج للسلمين امرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فان نفَرت القلوب من هذا سكنت الى هذا» .

قال معاوية : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى و بين الناس شعرةً ما آنقطعتْ . قيل : وكيف ذاك؟ قال : كنت اذا مدّوها خلّيتها و إذا خلَّوْها مددتها » .

ونحو هذا قول الشَّعْبى فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبِّ، إذا سُكت عنه تقدّم و إذا رُدّ تأخر» . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشى وهو الذى لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا و يضحك فى الغضب و يأخذ ما (*) فوقه من تحته » .

وأَغْلظ له رجل فحلُم عنه فقيل له : أتحلم عن هذا؟ فقال : «إنى لا أَحُول بين الناس و بين ألسنتهم مالم يَحُولوا بيننا و بين سلطاننا» .

كان يقال : «لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة» .

(*) فى الأصل الفوتوغرافى : من .

قال زياد : «أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سِمَانا ما سَمِنوا» .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : «إنى أيقظت رأيى وأنَمْتُ هواى ، فأدنيتُ السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ فى أمره . وقلّدت الخراجَ الموفِّر لأمانتــه ، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظًّا من نظرى ولطيف عنايتى ، وصرفت السيف الى النَّطِف المسىء ، والثوابَ الى المحسن البرىء فخاف المُرِيب صولةَ العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنمــا][1] أنا لكم كالظَّليم الرائح عن فراخه : ينفى عنها القَذَر ويباعد عنها الحجر ويكنّها من المطر ويحميها من الضِّباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشأم أنتم الجُنَّة والرداء وأنتم العُدَّة والحِذَاء » .

فخر سُلَيم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : «اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلسانى » .

وقال الوليــد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : «هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها وآقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصَّنائع » .

وفى كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فــا أَوْدَعْتَها[2] من شىء فلتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقــال : « لم أهزِل فى وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وآستكفيت على الجزاء وأثبت على العنــاء لا للهوى ، وأودعت القلوب[3] هيبة لم يشُبْها مقت وودّا لم تشُــبْه جرءة وعمّمت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .
(٢) فى الأصل الفوتوغرافى : قلوب الرعية خزائن مكها فا أودعها من شىء فليعلم أنه فيها .
(٣) فى الأصل الفوتوغرافى : القلوب .

وقرأت فى كتاب التاج : قال أَبْرَوِيزُ لابنه شِيرَوَيْه وهو فى حبسه : « لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك ، أَعطِهم عطاء قَصْدًا وآمنعهم منعا جميلا ووسّع عليهم فى الرجاء ولا توسّع عليهم فى العطاء» . ونحوه قول المنصور فى مجلسه لقوّاده : صدق الأعرابى حيث يقول : أَجِعْ كلبَك يتْبَعْك . فقام أبو العباس الطُّوسى فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبَعه ويدعك .

وكتب عمر الى أبى موسى الأشعرى : «أما بعد، فان للناس نَفْرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياءُ مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فآثِرْ نصيبَك من الله فان الدنيا تنفَد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفسّاق وآجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وعُدْ مرضَى(*) المسلمين وآشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّتُه ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عُرْوة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجَم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدّث نفسَه . ثم التفت الينا فقال : لا يَبْعُدَنّ ابن هند! إن كانت فيه لمخارج لانجدها فى أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنُفَرِّقُه وما الليث الحَرِبُ على براثنه بأجرأ منه فيتَفَارَقُ لنا . وإن كنا لنخدعه وما آبن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط فى الأصل الفتوغرافى هكذا (مُرَضى) ويظهر أنه من عمل الناسخ ، وفى الأصل الألمانى : مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فَيَتَخَادَعُ لنـا ، واللہ لوددت أنّا مُتِّعْنَا به ما دام فى هــذا حجر (وأشار إلى أبى قبيس) لا يُتَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتَقِص له قوة ، قلنا : أَوْحَشَ واللہ الرجلُ . قال : وكان يَصِلُ بهذا الحديث : كان واللہ كما قال العُذْرى

رَكـوبُ المنابر وثّابُها * معَنٌّ بخطبتــه مِجْهـــرُ
تُرِيعُ إليه هوادى الكلام * إذا خَطِل النـثر المِهْمَرُ (١)

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنا جد سُران (٢) وسُرانُ عمّ الأصمعى قال : « كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب فى أن يَلِينَ لهم فانه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار فى خدورهنّ . فقال عمر : إنى لا أجد لهم إلا ذلك ، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتقى (٣) » .

قال وتقدمت إليه آمرأة فقالت : « يا أبا عقر (٤) حفص ، اللہ لك ، فقال : مالكِ أَعقِرْتِ ؟ أى دُهِشت فقالت صلعتُ (٥) فرقتَك .

قال أَشْجَعُ السُّلَمِىُّ فى إبراهيم بن عثمان

لا يُصلح السلطانَ إلا شــدّةٌ * تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم
ومن الوُلاة مقحَّمٌ لا يُتَّــقَى * والسيف تقطُر شَفْرتاه من الدم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها * بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

(١) فى التاج مادّة هـ م ر : وخطيب مهمر : مُكثِر . وأورد هذا البيت . وفى الأصل الفتوغرافى "ممهر" ولم نجده فى القاموس ولا فى اللسان .

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافى عاريا عن الضبط ، وضبط فى النسخة الألمـانية بضم أوّله وقد بحثنا عنه فلم نهتد اليه .

(٣) فى الأصل الألمـانى : مِنْ على .

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمـانى ولعله محرّف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقولها يا أبا حفص عمر ، فقالت من دهشتها يا أبا عَمر حُفَص كما قالت فى آخر الحكاية صلعت فرقتَك وكأنها أرادت أن تقول فرقتُ صلعتك .

(٥) فى الأصل الألمـانى هلعت وهو تحريف .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القرّاء وشر القرّاء أقربهم من الأمراء» .

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حِمْص الى عمر : « إن مدينـة حمص قد تهدّم حصنها[(١)]، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه» فكتب اليه عمر «أمّا بعد، فحصنها بالعدل، والسلام» .

ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولِىَ لم يطابق بين جفونه وأرسـل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسىء خائف » .

كان جعفر بن يحيى يقول : «الخراج عمود الملك وما استُغزِر بمثل العدل ولا استُنزِر بمثل الظلم » .

وفى كتاب من كتب العجم أن أردشـير قال لابنه : « يا بنى، إن الملك والدين أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أُسٌّ والملك حارس، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتَك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسِرّك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول» .

وكان يقال : « مهما كان فى الملِك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس: لاينبغى أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يُرْج أو أوعد بشر لم يُخَفْ ، ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيـلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة [ولا[(٢)] ينبغى أن يكون حديدا فانه اذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية] ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه اذا كان حسودا لم يشرِّف أحدا ولا يصلح النـاس إلا على أشرافهم، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره واجترأ عليه عدوه» .

(١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: واأبتاه، وبكت. فقال معاوية: «يا ٱبنــة أخى إنّ الناس أعطوْنا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكَثْنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكونى بنت عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى ٱمرأة من عُرْض المسلمين».

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على: «إنّ المسلمين ولَّوْك أمرهم بعد علىّ فشمِّر للحرب وجاهد عدوك ودارِ أصحابَك وٱشــترِ من الضَّنِين دينَه بما لا يثلِمُ دينك وولِّ أهــل البيوتات والشرف تستصلحْ بهم عشائرهم حتى تكونَ الجمــاعةُ فإن بعض مايكره الناس، ما لم يتعدَّ الحق وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين، خيرٌ من كثير ممــا يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووَهْن الدين».

حدّثنى محمد بن عُبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال: «كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يَعْرِفُ من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فان قالوا نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبلْ».

اختيــار العمال

رُوى أن أبا بكر الصــديق رضى الله عنه لمــا حضرته الوفاة كتب عهدا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهِد أبو بكر خليفة رسول الله عنــد آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتّقِى فيها الفاجر: انى استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك علمى به، وإن جار وبدّل فلا علم

لى بالغيب ، والخيرَ أردتُ ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿ وسيعلم ٱلذين ظلموا أىَّ مُنقَلَب ينقَلِبون ﴾ » .

وفى التاج أن أَبْرَوِيزَ كتب الى ٱبنــه شِيرَوَيْهِ من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتــك ٱمرأ [كان](١) فى ضَعَة فرفعتَه ، أو ذا شرف وجدته مهتضَما فٱصطنعتَه ، ولا تجعله ٱمرأ أصبتَه بعقوبة فٱتَّضع عنها ولا ٱمرأ أطاعك بعد ما أذللتَه ولا أحدا ممن يقع فى خَلَدك أن إزالة سلطانك أحبّ(٢) له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضَرِعا غُمْرا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيرا مُدْبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السنّ من جسمه » .

وقال لَقِيط فى هذا المعنى

فقــلِّدوا أمركم لله دركــم * رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُتْرَفا إنْ رخاءُ العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا(٣)
ما زال يحلُب دَرَّ الدهر أَشطُرَه * يكون متَّبِعا يوما ومتَّبَــعا
حتى ٱستمرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُه * مستحكِمَ السنِّ لا لَخما(٤) ولا ضَرَعا

ويقال فى مثَل : « رأْى الشيخ خير من مَشهَد الغلام » ومن أمثال العرب أيضا فى المجرِّب « العَوانُ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ » .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى "لخما" وكتب تحته كالتفسير له "كبيرا" والصواب "لخما" ومعناه كبير السن جدّا ونظيره من شعر العرب قوله

له حكَمَات الدهر من غير كَبْرة * تَشِين فلا فانٍ ولا ضَرَع غُمْــر

قال بعض الخلفاء : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمّنى . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان فى القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيعَ بن زياد [الحارثى](١) . قال : صدقتم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مُجالِد عن الشَّعبى قال ، قال الحجاج : دلونى على رجل للشُّرَط فقيل : أىَّ الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُبُوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق فى الحق على جرة(٢) يهون عليه سِبَـالُ الأشراف فى الشفاعة » فقيل له : عليك بعبـد الرحمن بن عبيد التميمى . فأرسـل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفينى عيالَك وولدَك وحاشيتَك . قال : ياغلام ، نادِ فى الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برِئَتْ منه الذمة . قال الشعبى : فوالله ما رأيت صاحب شرْطة قطّ مثـلَه ، كان لا يحبس إلا فى دين ، وكان إذا أُتى برجل قد نقب على قوم وضع مِنْقَبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أُتى بنبَّاش حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أُتى برجل قاتل بحـديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أُتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أُتى برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شىء ضربه ثلثمائة سـوط . قال : فكان ربمـا أقام أربعين ليلة لا يُؤتَى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمـانى وهو تحريف والصواب لايُحْنق فى الحق على جِرَّة ، يقال ما يُحْنق فلان على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لايحنق على جِرَّته » اهـ . انظر اللسان فى مادة حنق .

وقرأت فى كتاب أبرويز الى ٱبنـه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة : إما رجلا يُظهر زهـدا فى المـال ويدّعى ورعا فى الدين فانّ من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج وٱجتهد فى العِمارة، فان هو لم يَرَعْ ولم يَعِفّ إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حريًّا أن يخون قليلا ويوفّر كثيرا ٱستسرارًا بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فان ظهرتَ على ذلك منه عاقبتَه على ماخان ولم تحمَدْه على ماوفر، وإن هو جَلّح فى الخيانة وبارز بالرياء نكّلت به فى العذاب واستنظفتَ ماله مع الحبس . أو رجلا عالمـا بالخراج غنيا فى المـال مأمونا فى العقل فيدعوه علمـه بالخراج الى الاقتصاد فى الحلْب والعِمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالمـا بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْتِرا من المـال فتوسّع عليه فى الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثرَ لفاقته اليسيرَ، ويُزْجى بعلمه الخراج، ويَعِفّ بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليـك بأهل العُـذْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم وإن قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : دلَّنى على قوم من القراء أُوَلِّهم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا، فما ظنُّك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منهـا ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يَسْتَحْيون لأحسابهم فولِّهم .

أحضر الرشيد رجلا ليولِّيَه القضاء فقال له : إنى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبـه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العَجَلة ، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه . وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من نتفقّه به . فولِّي فما وجدوا فيه مطعنا .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعي قال حدّثني صالح بن رُسْتَم أبو عامر الخزّاز قال قال لي إياس بن معاوية المُزَنيّ : أرسل إليّ عمرُ بن هُبيرة فأتيتُه فساكتني فسكتُّ ، فلما أطلتُ قال : إيهٍ . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن فيّ ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حَديد ، وأنا عَيٌّ . قال : أما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأمّا العيّ فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأمّا سوء الخلق فيقوّمك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولّاني [وأعطاني(*)] ألفي درهم فهما أول مال تموّلته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطّرحه مخافة ضره ، فِعْلَ الذى تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمّها في جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغَناء يجده عنده كتكارُه المرء على الدواء البَشِع لنفعه » .

حدّثني المعلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد تضمّن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوّنه

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن مجالد عن الشَّعْبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لى أبى : « يا بُنَىّ إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنى أوصيك بخلال أربع : لا تفشينّ له سرا ، ولا يجرِبنّ عليك كذبا ، ولا تغتابنّ عنده أحدا ، ولا تَطْوِ عنه نصيحة » قال الشَّعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إى والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزِدْه » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادعُ له ثم اَصفح صفحا جميلا ، ولا يرينَّ منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغى لمن خدم السلطان ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم اذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يلحف فى مسئلتهم » .

وقرأت فى كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخِطَار ، وإنما تشبَّه بالجبل الوَعْر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء اليه شديد والمُقام فيه أشدّ ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأنّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التى لها طلب المزيد ، ولا خير فى الشيء الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واَطِّراحٍ للأنفة ، وصل الى حاجته » .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرْم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه» .

وكانت العرب تقول : «اذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكن من بُعْدانه» .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : «لا تكوننّ صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولَّوْك ، حَذِرا اذا قرّبوك ، أمينا إذا آئتمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَمُوك (١) ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلَّ البعد والحذر منهم كلَّ الحـذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخـدُم (٢) السلطان بحقّه يَحُلْ (٣) بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة» .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنّ له فى الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنّه إن (٤) أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنك تعتدّ عليه ببَلَاء . وإن استطعت ألا يَنْسى حقَّك وبلاءَك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله فى أوّل صحبتك له فلا تجدَ موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرَك فلا تكن المجيب . وآعلم أن آستلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) فى الادب الكبير : ضاموك ، وفى نسخة منه ظلموك .

(٢) فى الادب الكبير : من يأخذ عمل .

(٣) فى الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجَب بنفسه المستخفّ بسلطانه ؟ » .

وقال : «مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب» .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن آختصه لمجالسته ومحادثته : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا اعجبك الكلام فاصْمُت و إذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن](*) لا تساعدنى على ما يقبح بى ولا تردّن علىّ الخطأ فى مجلسى ولا تكلّفنى جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودَع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّمنى بقدر ما آستنطقتُك واجعل بدل التقريظ لى حسن الاستماع منى . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . و إذا سمعتَنى أتحدّث فأرِنى فهمَك فى طَرْفك وتوقُّفك ولا تجهد نفسك فى تَطْرية صوابى ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تُظهر من استحسان ما يكون منى ، فمن أسوأ حالا ممن يستكدّ الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المعجَب بما تَسمع منه وقد أحللتَه محل من لا يُسمع منه؟ واقل من هذا يُحْبِط إحسانك و يُسقط حقّ حرمةٍ إن كانت لك . إنى جعلتك مؤدّبا بعد أن كنت معلّما وجعلتك جليسا مقرّبا بعد أن كنت مع الصبيان مباعَدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبى العباس وعنده أبو جعفر فسلّم على أبى العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسـئلة الملوك عن أحوالهم من تحيات النَّوْكَى، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير، فقل: صبَّح الله الأميرَ بالكرامة. وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمـة، فان المسئلة توجب الجواب فان لم يجبك اشتدّ عليك وإن أجابك اشتدّ عليه » .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : « جانبِ المسخوطَ عليه والظَّنينَ عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد ، فاذا رأيته قد بلغ فى الانتقام ما ترجو أن يلين بعده[1] فاعمل فى رضاه عنك[2] برفق وتلطُّف، ولا تُسارَّ فى مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليـه بجفنك وعينك فان السِّرَار يخيِّل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به، وإذا كلمك فاصْغَ الى كلامه ولا تَشْغل طَرْفَك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت فى كتاب للهنـد أنه أُهدِى لملك الهنـد ثياب وحَلْى فدعا بامرأتين له وخيَّر أحظاهما عنده بين اللباس والحِلْية، وكان وزيره حاضرا، فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تَغْضِيناً بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية لئلا يَفْطَن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تَقِرّ تلك فى نفس الملك وليظنّ أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للاخرى [فلما[3] حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصَّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شىء يسير أربعين سنة] .

قال شَبِيبُ بن شَيْبة : « ينبغى لمن ساير خليفـة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شىء لم يحتجْ الى أن يلتفت : ويكونَ من ناحية إن

(١) فى الأدب الكبير «من الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالى» والإعتاب الرجوع عن الاساءة .

(٢) فى الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافى .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَن الريح التى تؤدّى الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن ٱبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء» .

قال ثُمَامة (١) : كان يحيى بن أكثم يماشى المأمون يوما فى بستان موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمون فى الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا فى الطريق التى بدأ فيها فقال ليحيى: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنتُ وأتحوّل أنا إلى حيث كنتَ. فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هَوْل المطلع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحوّل يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : «أوّل العدل أن يعدل الرجل على بِطَانته ثم على الذين يلُونَهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المدائنى قال، قال الأحنف: «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تَهَالكوا عليه فانه من أَشْرَفَ للسلطان أَذْرَاه ومن تضرّع له أَحظاه (٢)» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى محمد بن عمرو الرومى (٣)[قال حدّثنا زُهير بن معاوية] عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال، قال حُذَيْفة بن اليمان : «ما مشى قوم قطّ الى سلطان الله فى الأرض ليُذِلُّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدى .

(٢) هكذا فى الألمانية، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن تطامن له تخطاه ، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التى لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش، وما استهدف لها قصمته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صَفْوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدناني حتى كنتُ أقربَ النـاس منه فتنفَّس ثم قال : يا خالد، لربَّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الىّ حديثا منك. فعلمت أنه يعني خالد بن عبد الله . فقلت: يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدا أَدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجف فأَعْجف ولم يدعْ لراجع مرجعا، على أنه ما سألني حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيهات

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكنْ(١) * إليــه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبِــل

حدّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هـذا الحديث ، وببعضه نهيك(٢) : اعتل يحيي بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى في هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفننا(٣). فقال له يحيي : ربمـا ثقل على السمع خَطْرةُ الحقّ به، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكني أرى في الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم في المعرفة وقد نُبهت، وربمـا كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيي : للأمور منصرَف الى العواقب وما حُتم لابد من أن يقع ، والمنعة(٤) بمُسَالَمَة الأيام نُهْزة فاقصد لمـا دعوتك له من هـذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هي الصفراء مازجتْها مائيةٌ من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : لم تكدْ .

(٢) ورد هذا الاسم في النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفي تقريب التهذيب لابن حجر: «نهيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفي تحفة ذكرى الأرب في مشكل الاسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نهيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفي النسخة الفتوغرافية : "متعقبا" وفي النسخة الألمـانية : "متعينا" وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفي الفتوغرافية : "المتعة" وفي الألمـانية : "المنفعة" وكلاهما محرف .

ما يحدث للهب عند مماسّته رطوبة المـادة من الاشتعال نخـذ ماء رُمّانين[1] فدقّهما بإهْلِيلَجة سوداء تُنهِضْك[2] مجلسا [أو مجلسين][3] وتسكِّن ذلك التوقد الذى تجد إن شاء الله.

فلما كان من حديثهم الذى كان، تلّطف منكه حتى دخل على يحيى فى الحبس فوجده جالسا على لِبْد ووجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ[4] أى يخدم فاستعبر منكه وقال: قد كنت ناديت لو أُعرتُ[5] الإجابة. قال له يحيى: أتراك علمتَ من ذلك شيئا جهلتُه؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشَّفَق وكان مزايلةُ القـدَر الخطيرِ عبثا قلّما تنهض به الهمة. وبعـدُ فقد كانت نعمٌ ارجو أن يكون أولها شكرا وآخرها أجرا. فما تقول فى هذا الداء؟ قال له منكه: ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك ممـا يجب لك. قال يحيى: قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تعهـدنا فافعل. قال منكه: لو أمكننى تخليف الروح عندك ما بخِلت بذلك، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك. قال الفضل كان يحيى يقول: دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها.

وقرأت فى كتاب للهند: «إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للاصحاب وسخاء نفسه عمن فُقد منهم مثل البَغِىِّ والمكتِّب، كلما ذهب واحد جاء آخر».

والعرب تقول: «السلطان ذو عَدَوَانٍ وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرَأٍ» يريدون أنه سريع الانصراف كثير البَدَوات هَجُوم على الأمور.

---

(١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد: نخذ ماء الرمان فدقّ فيه إهليلَجة الخ.

(٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنقضك". وفى الألمانية: "تنقصك" وكلاهما تحريف.

(٣) الزيادة عن العقد الفريد.

(٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم". وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل

(٥) فى العقد الفريد "أسرعتَ" وفى الأصلين الفتوغرافى والألمانى هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ: "أعرت" ولعله الصواب.

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن، هات نعلى . فجاء بها، فقال : يا معاذ ضعها فى رجلى . فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجّه أبو جعفر يَقْطِينَ بن موسى الى أبى مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعلَها آبنُ سلامةَ الفاعلةِ؟ لا يكنِّى. فقال يقطين : عجّلتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرنى أن أحصى الأموال ثم أسلّمَها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرَفَةَ بِرْذَونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغنِي المعرفةُ اذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال: جارّة ذيلَها، تدعو ياويلَها، بدجلَة أو حولها، كأنا بعد ساعة، قد صرنا فى دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كنّ فى صدرى شفى الله منها : كتاب أبى مسلم إلىّ وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من السوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثيّة؟ . وضربُ سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط» .

قال المنصور لسَلْم ابن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم ؟ فقال سَلْم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يابا أُمَيَّة .

قال أبو دُلَامة

أبا مُجْـرم ماغيَّر الله نعمـة * على عبـده حتى يُغيّرها العبد
أفى دولة المَهدىّ حاولتَ غَدْرة * ألا إن أهل الغدر آباؤُك الكُرْدُ
أبا مجرم خوفتنى القتـلَ فانتحى * عليك بما خوفتنى الأسـدُ الوَرْدُ

قال مرْوان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجتُ إلى أن تصير مع عدوّى وتظهر الغدر بى ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجِز عن حفظ

حُرمتى بعد وفاتى» فقال عبد الحميد: إن الذى أمرتنى به انفع الأمرين لك وأقبحهما بى وما عندى إلا الصبر(*) حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال

أُسِـــرُّ وفاء ثم أُظهِـــر غَدرة * فمن لى بعذرٍ يُوسِعُ الناسَ ظاهِرُهْ

المشـاورة والرأى

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشىء فيأخذُ به» .

وقرأت فى التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقـال أحدهم : «لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليـا به ، فانه أَمْوَت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسـلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فان إفشاء السر الى رجل واحد أوثق من إفشائه الى اثنين ، و إفشاءه الى ثلاث كإفشائه الى العامة لأن الواحد رهن بما أُفشى اليه والثانى يطلِق عنه ذلك الرهن والثالث عِلَاوة فيه، و إذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المَعاريض، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنبٍ واحد ، وإن ٱتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .

وقرأت فى كتاب للهنـد أن ملكا استشار وزراء له، فقال أحدهم : « الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحَزَمِة كما يزداد البحر بموادّه من الأنهـار، وينال بالحزم والرأى مالا يناله بالقوة والجنود، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهطُ فيه، ومنها ما يستعان فيه بقوم، ومنها ما يستغنى فيـه بواحد . وفى تحصين السر الظَّفَرُ بالحاجة والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشـير ، فانه يزداد برأيه

(*) فى النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسَّليط ضوءا . وإذا كان الملك محصِّنا لسره بعيدا من ان يُعرَف ما فى نفسه متخيِّرًا للوزراء مهيبا فى أنفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البرىء ولا يأمنه المُريب مقدّرا لمـا يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرّنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به » .

قال أبو محمد : كتبت (*) الى بعض السلاطين كتابا وفى فصل منه : « لم يزل حَزَمَةُ الرجال يستَحْلُون مرارة قول النصحاء ويستَهْدُون العيوب ويستثيرون صواب الرأى من كلِّ حتى الأمةِ الوَكْعاء، ومن احتاج الى إقامة دليل على مايدّعيه من مودّته ونقاء طويّته فقد أغنانى الله عن ذلك بمـا أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادةَ الحال » .

وفى فصل آخر : « وقد تحملتُ فى هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أُستشَرْ وأحللت نفسى محل الخواصّ ولم أُحَلّ ونزعتْ بى النفس، حين جاشت وضاقت بمـا تسمع ، عن طريق الصـواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوّك منبسطا بمـا يدّعيـه عليك وسهامه نافـذة فيك ، ورأيت وليّك مُكعوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل فى أمرك، ولا شىء أضرّ على السلطان فى حال ولا أنفع فى حال منهم . وبما يُجريه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفى فصل منه : « وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامّة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوع ممـا

(*) فى الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يعذِرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبِس، وأخوك من صدقك وآرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك» .

قال زياد لرجل يشاوره : «لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ،وإن الناس قد ابدَعت بهم خصلتان : إضاعة السر، و إحراج النصيحة . وليس موضع السر الا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك» .

وكتب بعض الكتّاب : «اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلَط لك الوعر بالسهل من كلامه ومَشُورته ليكون خوفك كفئا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاشّ لك الحاطب عليك من مدّ لك فى الاغترار ووطّأ لك مِهاد الظلم وجرى معك فى عِنانك منقادا لهواك» .

وفى فصل : «إنى وإن كنت ظَنينا عندك فى هذه الحال ففى تدبرك صفحات هذه المشُورة ما دلك على أن مَخرَجها عن صدق و إخلاص» .

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثى عبيد الله آبن عمر فى أخيه أبى بكر أن يوليه القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث الى أبى بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبى بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أ ترى لى أن أَلِىَ القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت علىّ به ثم أسمعك تنهاه ! قال : أيها الأمير استشرتنى فاجتهدت لك رأيى ونصحتك ، واستشارنى فاجتهدت له رأيى ونصحته .

كان نصر آبن مالك على شُرَط أبى مسلم ، فلما جاءه إذنُ أبى جعفر فى القدوم عليـه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليـك ، قال له أبو جعفر لمـا صار اليه : استشارك أبو مسلم فى القدوم علىّ فنهيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال: سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدّث عن أبيه محمد آبن علىّ قال « لا يزال الرجل يزاد فى رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : «لقد كنت ألْقَى الرجل من العرب أعلم أن فى قلبه علىّ ضِغنا فأستشيره، فيثير الىّ منه بقـدر ما يجده فى نفسه (١) فلا يزال يوسعنى شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيننىَ وأستنجده فيُنجدنى » .

وقرأت فى كتاب إبرَويزَ الى ابنه شيرويه وهو فى حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد فى الرجال من ينضج (٢) لك الكَىّ ويحسِم عنك الداء ويخرج لك المستكِنّ ولايدَع لك فى عدوّك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوّك فيك فرصة إلا حصَّنها، ولا يمنعك شدّة رأيك فى ظنك ولا علوُّ مكانك فى نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أَحْمَدتَ اجتنيت وإن ذممت (٣) نفيت، فان فى ذلك خصالا : منهـا أنه إن وافق رأيَك ازداد رأيك شدّة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فان رأيته معتليا لمـا رأيت قبِلت، وإن رأيته متضِعا عنه استغنيت، ومنها أنه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويمحض لك مودّته وإن قصّر» .

وفى كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشُورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأى وازداد مرضا وحَمل الوزر» .

---

(١) نقل بهامش النسخة الألمـانية عن نسخة ''فيثور'' الخ .

(٢) فى الأصل ''ينصح'' وهو تحريف .

(٣) هكذا فى النسخة الألمـانية والفتوغرافية ، والمناسب لمـاقبله ''أذممت'' يقال أذممته أى وجدته ذميا .

وفى آداب ٱبن المقفع : « لا يُقذفن فى رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألبّاء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : «الرأى الفرد كالخيط السَّحيل ، والرأيان كالخيطين المبرمَين ، والثلاثة مِرارٌ(*) لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأىٌ سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أخّرَ الحزمَ رأىٌ قدّم الحـذَرا

كتب الحجاج الى المهلَّب يستعجله فى حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسِبيّ يوم عقدت له الخوارج : تكلمْ . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب . وقال أيضا : خمير الرأى خير من فطيره ، ورُبّ شىء غابُّه خير من طريِّه ، وتأخيره خير من تقديمه . وقيـل لآخر : تكلمْ . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتا .

كان ٱبن هبيرة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من صحبـة من غايتُه خاصة نفسه والانحطاطُ فى هوى مستشيره ، وممن لا يلتمس خالص مودّتِك إلا بالتأتّى لموافقة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر فى حوادث غدك » . وكان يقال : « من أعطى أربعا لم يُمنَع أربعا : من أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب ، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخِيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلّما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) فى النسخة الألمـانية مرائر . والمرار : الحبل الذى أُجيد فتله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازِق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رِزّا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَازِبَته فقصّروا فى الرأى دعا الموكَّلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مَرَازِبَتَك وتعاقبنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إنّ النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم . قال الشاعر

وأنفع من شاورتَ من كان ناصحا * شفيقا فأبصرْ بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيقُ ورأيه * غريب ولا ذوا الرأى والصدرُ واغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشُّورى عليك غَضاضة * فان الخَوَافى رافدات القَوادم
وخلِّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن * نَؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدنِ من القربى المقرِّب نفسه * ولا تُشهِد الشُّورى آمرأ غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغُلّ أختَها * وما خير سيف لم يؤيَّد بقائم
فانك لن تستطرد الهمَّ بالمُنَى * ولن تبلغ العليا بغير المَكارم

قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عَبْس : ما أكثر صوابَكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ » .

وقال القطامى فى معصية الناصح

ومعصيةُ الشفيق عليك مما * يزيدك مَرّة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلْتَ منه * وليس بأن تَتَبَّعه اتباعا
كذاك وما رأيتُ الناس إلا * الى ما جرّ غاويهم سِراعا
تراهم يغمزون من آستركوا * ويجتنبون من صدَق المِصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياشى

ومولًى عصانى وآستبدّ برأيه * كما لم يُطَع بالبَقَّتين قَصير
فلمّا رأى أن غبَّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدورُ
تمنَّى بئيسا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة «يا بنى حَنيفة بُعْدا كما بَعِدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جَرْسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديقُ ومن تهمتى الندامةُ، وأصبح فى يدى من هلاكم البكاءُ ومن ذلّكم الجزعُ ، وأصبح ما فات غيرَ مردود وما بقى غير مأمون. وإنى لمّا رأيتكم تتّهمون النصيح وتسفِّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وَهْن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم» .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : «قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حُلو كلامه بمُرّه وحَزْنه بسهله ويحرك الاشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وَعيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكّ فى مودته وصافى غيبه، وما زلتَ بحمد الله الى كل خير طريقا منهجا ومَهْيَعا واضحا» .

وكتب عثمان الى علىّ حين أحيط به : «أما بعد فانه قد جاوز الماء الزُّبى وبلغ الحزام الطُّبْيَين وقد تجاوز الأمر بى قدرَه .

فان كنتُ مأكولا فكن خيرآكل * وإلا فأدركنى ولمّا أمزَّق»

وقال أوس بن حَجَر

وقد أُعتِب ٱبنَ العم إن كنتُ ظالما * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا
وإن قال لى ماذا ترى؟ يستشيرنى * يجدْنى ٱبن عمٍ مِخْلَطَ الأمر مِزْيَلا
أقيم بدار الحـــزم ما دام حزمها * وأحْرِ إذا حالت بأن أتحوّلا
وأستبدل الأمر القوىّ بغـــيره * إذا عَقْـــد مأفُونِ الرجال تحلّلا

وكان يقال : «أناة فى عواقبها دَرَك، خير من معاجلة فى عواقبها فَوت» .

وأنشدنى الرياشى

وعاجِزُ الرأى مضياع لفُرصته * حتى إذا فات أمر عاتَب القَدَرا

وكان يقال : «روِّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأى

كان ابن الزبير يقول : «لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه» . وسئل بعض الحكماء : ما العقل؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفةُ ما لم يكن بما كان» . وكان يقال : «كفى مُخبِرا عما مضى ما بقى، وكفى عِبرًا لأولى الألباب ما جربوا» . وكان يقال : «كل شىء محتاج الى العقل، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حَجَر

الألمعى الذى يظن بك الظّن كأن قد رأى وقد سمعا

وقال آخر

وأَبغِي صــوابَ الظنّ أعــلمُ أنه * إذا طاش ظنُّ المرءِطاشت مَقادِرهْ

وقال على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى عبد الله بن عباس : «إنه لينظر الى الغيب من سِتْر رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله» . ويقال: «الظنونَ مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتّاب

أصُونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكميت

مثــلُ التدبر فى الأمر آئتافُكَه * والمرء يعجز فى الأقوام(١) لا الحيل

وقال آخر

وكنتَ متى تُهزَز لخطب تُغَشِّــه * ضرائبَ أمضَى من رِقاق المَضارب

تَجلّلَتَــه بالرأى حتى أريتَــه * به ملءَ عينيه مكَانَ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصــير بأعقــاب الأمور كأنمــا * يَرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر فى مثله

عليم بأعقــاب ٱلأمور برأيه * كانّ له فى اليوم عيناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنّمــا * يخاطبُه من كل أمر عواقبُهْ

وقال جثامة بن قيس(٢) يهجو قوما

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

---

(١) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الاقدام .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً * ولا ترون وقد ولّين أذنابا
وقلّما يفجأ المكروهُ صاحبَـه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبُّرا

ويقال : «ظن العاقل كهانة» . وفى كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد الحازمين الذى إذا نزل به البلاء لم يبطَر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارفُ بالأمر إذا أقبل فيد فعــه قبل وقوعه ، والعاجز فى تردّد وتَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

وإنى لأرجو الله حتى كأنّنى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغِرّةُ مرّةٍ من فعل غِرّ * وغِرّةُ مرّتين فعالُ مُوقِ
فلا تفــرح بأمر قد تدنّى * ولا تأيس من الأمر السّحيقِ
فان القرب يبعُد بعــد قرب * ويدنو البعد بالقَــدَر المَسُوق
ومن لم يتق الضَّحْضَاح زلّتْ * به قدماه فى البحــر العميق
وما اكتسب المحامدَ طالبوها * بمثــل البِشْر والوجه الطَّليق

وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلَجَة : أظنك أحمق . قال: «أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه» . ونقش رجل على خاتمه: «الخاتم خير من الظن» . ومثله : «طِينةٌ خيرمن ظنّة» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية وقال جنامة بن قيس . والبيت لجرير كما فى اللسان .

آتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظَّرِب : الرأى نائم والهوى يقْظان، ولذلك يغلِب الرأىَ الهوى . وقال آبن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * إلى بعضِ ما فيه عليك مقال

وقال بزرجمهر: «إذا آشتبه عليك أمران فلم تدرِ فى أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه» .

كان عمرو بن العاص صاحبَ عُمارة بن الوَليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو آمرأته فوقعت فى نفس عمارة فدفع عمرا فى البحر فتعلق بالسفينة وخرج، فلما ورد بلاد الحَبَشة سعى عمرو بعمارة الى النَّجاشىّ وأخبره أنه يُخالِف الى بعض نسائه فدعا النَّجاشِى بالسواحر فنفخن فى إحْليله فهام مع الوحش، وقال عمرو فى ذلك

تعلَّمْ عُمارًا أن من شرّ شيمة * لمثلك أن يُدعَى آبن عم له آبنما
وإن كنتَ ذا بُردَين أحوى مُرَجَّلا * فلست براءٍ لابن عمك مَحْرَما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يمَّما
قضى وطَرًا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذُكِرت أمثالُه تملأ الفما

وقال حاتم طيِّئ فى مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤلَه * وفرجَك نالا مُنتهى الذم أجمعا

وقال آخر

جارَ آلجنيد علىَّ مُحتكِما * جهلا ولستُ بموضع الظلم
أكَل الهوى حُجَجى وربَّ هوى * مما سيأكل حجّةَ الخصم

قال اعرابى : «الهوى هوان، ولكن غُلِط باسمه» .

وقال الزبير بن عبد المطّلب

وأَجتنِب المقاذِع حيث كانت ✻ وأترك ما هَوِيتُ لـما خشِيت

وقال البُرَيق الهذلى

أبِن لى ما ترى والمرءُ تأبَى ✻ عزيمتُـــه ويغلبـــه هواه
فيَعمَى ما يُرَى فيـــه عليه ✻ ويحسَـــب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صَدَقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السّر وكتمانه وإعلانه

حدّثنى أحمد بن الخليـــل قال حدّثنا محمـــد بن الحُصَيب قال حدّثنى أوس ابن عبد الله بن بُرَيدة عن أخيه سهل عن بُرَيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استعينوا على الحوائج بالكتمان فانّ كلّ ذى نِعمة محسُود". وكانت الحكماء تقول: «سِرّك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتادَ لسره موضِعا فقد أذاعه» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب عن عمّه الأَصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال : دخل ابن أبى مِحْجَن الثقفى على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول

إذا مُتُّ فادفنّى الى أصل كَرْمة ✻ تُروِّى عِظامى بعدَ موتى عُروقُها
ولا تدفنِّى فى الفَـــلاة فانّنى ✻ أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقُها

فقال ابن أبى مِحجَن : لو شئتَ ذكرتَ أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية : وما ذاك؟ قال قوله

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسَبى ✻ وسائلى القومَ ما حزمى وما خُلُقِى
القومُ أعلمُ أنى من سَرَاتهم ✻ إذا تطيش يدُ الرِّعديدة الفَرِق
أُعطِى السِّنان غداة الرَّوع حِصَّته ✻ وعاملَ الرُّمح أُرويه من العَـلَق
قد أركَب الهوْلَ مسدولاً عَساكِرُه ✻ وأكتم السر فيـــه ضربة العنق

وأنشدني للصَّلَتَان العَبْدِي

وسرُّك ما كان عند امرئٍ * وسرُّ الثلاثة غيرُ الخَفِي

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثّل بهذين البيتين

ولا تُفشِ سرَّك إلّا اليك * فانّ لكلّ نصيح نصيحا

فانّي رأيت غُواةَ الرجا * لِ لا يتركون أديما صحيحا

وقال الشاعر

ومُراقَبَيْن تكاتَما بهواهما * جعلا القلوبَ لما تُجِنّ قُبورا

يتلاحظان تلاحُظا فكأنّما * يتناسَخان من الجفون سُطورا

وقال مِسْكين الدَّارِمي

أُواخي رِجالا لست أُطلِع بعضَهم * على سرّ بعض غيرَ أني جِماعُها

يظلّون شتّى في البلاد وسرُّهم * الى صخرة أعيا الرِّجالَ انصِداعُها

وقال(*)

ولو قدرتُ على نِسيان ما اشتملت * مني الضُّلوعُ من الأسرار والخبر

لكنت أوّلَ من يَنْسَى سرائرَه * إذ كنتُ من نشرها يوما على خَطَر

أسرّ رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له: أَفَهِمت؟ قال: لا، بل نسيتُ.

قيل لأعرابي: كيف كِتمانك للسر؟ قال: «ما قلبي له إلا قبر». وقيل لمُزبد: أيّ شيء تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق لِمَ خبّأتُه. وقال الشاعر

إذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجالُ فمَن تلوم

إذا عاتبتُ من أفشى حديثي * وسرّي عنده فأنا الظَّلوم

وإني حين أسأم حملَ سرّي * وقد ضمّنتُه صدري سَؤوم

(*) في النسخة الألمانية: وقال آخر. على أنا لم نعثر على هذا الشعر لمسكين الدارمي.

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال : «أجحَد المُخبِر وأحاِف للستخبر» . وكان يقال : «مِن وَهْى الأمر إعلانُه قبل إحكامه» . وقال الشاعر

إذا أنت حمَّلت الخؤونَ أمانة * فانك قد أسندتَها شرَّ مُســنَد

وقال عمرو بن العاص : «ما آستودعتُ رجُلا سرّا فأفشاه فلمتُه ، لأنى كنت أضيق صدرا حين آستودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرّها * فسرّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليــد بن عُتبة لأبيــه : إن أمير المؤمنين أسرّ الى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك ، أفلا أحدّثك به؟ قال : لا يابنى «إنه من كتم سره كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت : وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلّل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : ياوليد ؟ أعتقك أخى من رِقّ الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكِيدة تُحـاوَل أو منزِلة تُزاوَل أو سريرة مَدخُولة تُكتم ، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شىء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جَميل بن مَعمَر

أموت وألقَى الله يابَثْن لم أَبُح * بسرِّك والمســتخبِرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

ولـمـا تلاقَيــنا عرفتُ الذى بها * كمثل الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فقالت وأرخت جانب السِّتر إنما * معى فتكلَّم غيرَ ذى رِقْبة أهلى
فقلتُ لها ما بى لهم من ترقُّب * ولكنَّ سرّى ليس يحمله مِثلى

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صِيانته وسَتره، أى فلا أُبديه لأحد . وقال زهير

السِّترُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سِتر

وقال آخر

فسرّى كإعلانى وتلك خَليقتى * وظُلمةُ ليلى مثلُ ضوءِ نهارِيا

وقال آخر لأخ له وحدَّثه بحديث : اجعل هذا فى وعاء غير سَرِب . والسَّرِب السائل . وكان يقال : «للقائل على السامع جمعُ البال والكتمان و بسطُ العذر» . وكان يقال : «الرِّعاية خير من الاسترعاء» .

أتى رجل عُبَيد الله بن زِياد فأخبره : أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولى سبَّه . فأرسل اليه فأتاه فقال : يابن همام إن هذا يزعم أنك قلت : كذا وكذا . فقال ابن هَمَّام

فأنت آمرؤ إمّا ائتمنتُك خاليا * فخُنتَ، وإمّا قلتَ قولا بلا علم
و إنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الخيانة والإثم

وقال آخر

اخفِض الصَّوت إن نطقتَ بليل * والتفِتْ بالنهار قبل الكَلام

وقال بعض الأعراب

ولا أكتُم الأسرارَ لكنْ أنِمُّها * ولا أدَع الأسرار تَغلى على قلبى
و إنّ قليل العقل من بات ليلَه * تُقلِّبه الأسرارُ جنبًا الى جنب

وقال أبو الشِّيص

لا تأمَننّ على سِرّى وسِرّكم * غيرى وغيرَك أوطَىَّ القَراطيس
أو طائرٍ سأُحلِّيه وأنعَته * ما زال صاحبَ تنقير وتأسيس

سُـــودٍ بَراثِنُه مِيـــلٍ ذَوائبُهُ * صُفرٍ حَمالِقُه فى الحسن مغموس
قد كان هَمَّ سليمانٌ ليـــذبحه * لولا سعَايتُـــه يوما بِبِلْقيس

وقال أيضا

أفضى اليـكَ بسرِّه قلمٌ * لو كان يعرفه بكى قلمُهْ

وقال مُسْلم بن الوليد فى الكتاب يأتيك فيه السر

الحزمُ تَحرِيقُه إن كنتَ ذا حذَر * و إنما الحزمُ سوء الظنّ بالناس
إذا أتاك وقـــد أدَّى أمَانتَـــه * فاجعل صِيانته فى بطن أرْماس

وقال آخر

سَأكتُمه سرِّى وأحفَظُ سرَّه * ولا غرَّنى أنى عليــه كَرِيم
حَليمٌ فيَنسَى أو جهولٌ يُشيعه * وما النــاسُ إلا جاهل وحليم

الكُتَّاب والكِتَابة

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه عن وهب بن جرير عن أبيـــه عن يونس بن عبيد(١) عن الحسن عن عمرو بن تَغلَب عن النبىّ صلى الله عليـــه وســلم قال "من أشراط الساعة أن يَفيض المـال و يظهر القـلم وتفشو التجار" قال عمرو : إن كنا لنلتمس فى الحِواء(٢) العظيم الكاتبَ، ويبيع الرجلُ البيع فيقول : حتى أستأمِن تاجِر بنى فلان .

حدّثنا أحمـد بن الخليل عن إسماعيل بن أَبَان عن عَنْبَسة بن عبد الرحمن القُرَشىّ عن محمد بن زَاذَان عن أُمّ سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُملِي فى بعض حوائجه فقال "ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُمْلِى به".

(١) كذا بالفتوغرافية . وفى الالمانية «عبيد الله» ولعله يونس بن عبيد بن دينار العبدى راوى الحديث كثيرا عن الحسن البصرى وغيره . (٢) الحواء مجتمع بيوت الحى اذا تدانت .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد المُنعِم عن أبيه عن وَهْب قال: «كان إدريس النبىّ عليه السلام أوّلَ من خطّ بالقلم وأوّلَ من خاط الثياب ولبسها وكان من قبلَه يلبَسون الجلودَ» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال: أخبرنا جرير عن يَزِيد بن أبى زِياد عن عِياض ابن أبى موسى أن عمر بن الخطّاب قال لأبى موسى: آدعُ لى كاتبَك ليقرأ لنا صُحُفا جاءت من الشأم . فقال أبو موسى: إنه لا يدخَل المسجِد. قال عمر: أبِه جَنابةٌ؟ قال: لا، ولكنّه نصْرانى . قال: فرفَع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالكَ ! قاتلك الله ! أمَا سمِعت قول الله عز وجل (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا آتخذتَ رجُلا حنيفيا ! فقال أبو موسى: له دِينُه ولى كتابتُه . فقال عمر: «لا أُكرِمهم إذ أهانهم الله ولا أعزّهم إذ أذلهم الله ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال اخبرنا عيسى بن يونس قال حدّثنا أبو حيّان التَّيْمى عن أبى زِنْباع عن أبى الدِّهْقانة قال: ذُكِر لعمر آبن الخطّاب غلام كاتب حافظ من أهل الحِيرة وكان نصرانيا، فقيل له: لو آتخذتَه كاتبا . فقال «لقد آتخذتُ إذًا بطانةً من دون المؤمنين» .

حدّثنى أبو حاتم قال: مُرامِر بن مَرْوة (*) من اهل الأنْبار وهو الذى وضع كتابة العَربيّة، ومن الأنبار انتشرت فى الناس .

(*) هكذا فى النسخة الفتوغرافية والالمانية . والذى فى القاموس: ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربى . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامى ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال: قال ابن برى: الذى ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائنى أنه مرامر بن مَرْوة .

حدّثنى أبو سهل عن الطَّنَافِسى عن المُنْكَدِر بن محمــد عن أبيه محمد بن المُنْكَدِر قال جاء الزُّبَير بن العوّام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت؟ جعلنى الله فِداك ! قال ” ما تركتَ أَعْرابيَّتك بعد “ .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجّهه الى مصر: «تفقّد كاتبك وحاجَبك وجليسك، فان الغائب يخبّره عنك كاتبُك، والمتوسِّم يعرفك بحاجبك، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك» .

ابن أبى الزِّناد عن أبيــه قال : كنت كاتبا لعمر بن عبــد العزيز فكان يكتب الى عبد الحَميــد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المَظالم فيراجعُــه ، فكتب اليه : «إنه ليُخيَّل الى أنى لو كتبتُ اليك أن تُعطى رجلا شاة لكتبتَ الى : أضأن أم ماعِز ، ولو كتبتُ اليك باحدهمــا لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابى هذا فلا تُراجِعنى فى مَظْلِمة» .

وكتب أبو جعفر الى سَــلْم[1] بن قُتَيبة يأمره بهدم دُورِ مَن خرج مع إبراهيم وعَقْر نخلهم . فكتب اليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدُّور ؟ فكتب اليه أبو جعفر . «أما بعد ، فانى لو أمرتُك بافساد تَمرهم لكتبتَ الىّ تستأذن فى أيِّه تبدأ أبالبَرْنِىّ أم بالشِّهْرِيز؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : «للكاتب على الملك ثلاثة، رفع الحِجاب عنه، واتّهام الوشاة عليه، وإفشاء السرّ إليه» .

كانت العَجَم[2] تقول : «من لم يكن عالما باجراء المِياه و بحفر فُرَض الماء والمسارب ورَدْم المَهاوى ومَجارِى الأيام فى الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزْن الموازين

(١) فى الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) فى الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرع المُثلَّث والمُربَّع والمُختلِف الزّوايا ونَصْب القناطر والجُسور والدّوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصنّاع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته» .

قال مَيْمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك اليه الطمَع» .

وقال : «إذا آخيتَ الوزير فلا تخْش الأمير» .

وفى كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملكَ فى المـال والهَيبة والطاعة من الناس فليصرعْه الملكُ ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائنى قال : خلا زِياد يوما فى أمر ينظر فيه وعنـده كاتب له يكتب وابنـه عُبيدالله ، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهَّد هذا لا يكتبْ شيئا . ونام ، فوجد عبيد الله مَسّا من البول فكَره أن يُوقظ أباه وكره أن يُخلِّى الكاتب فشدّ إبهاميه بخيط وختَمَه وقام لحاجته .

قال أبو عبَّاد الكاتب : ماجلس أحد قط بين يدى إلا تخيَّل الى أنى جالس بين يديه .

وقرأت فى التاج أن أبْرَوِيز قال لكاتبه : «أكتُم السرّ واصدقُ الحديث واجتهد فى النصيحة واحترس بالحذر ، فان لك علىَّ أن لا أعجَل بك حتى أستأنِى لك ولا أقبَل عليك قولا حتى أستيقن ولا أُطمع فيك أحدا فيغتالَك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطَّنها وفى ظل مملكة فلا تستـزيلنه ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايَحةً (*) من عدوّك واقصِد الى الجميـل ٱدِّرَاعًا لغدك وتحصَّن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسَّن عنـدى بمـا قدرت عليـه من حسن ولا تُشْرِعنّ الألسـنةَ فيك ولا تقبِّحنّ الأحدوثةَ عنـك وصُن نفسـك صَون الدُّرّة الصافية وأخلِصها إخلاص الفضّة البيضاء وعاتِبها معاتبة الحَذِر المُشفق وحصِّنها تحصين المدينة المَنيعة . لا تدعَنّ أن ترفع الىّ الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمَن الكبيرَ فانه ليس شاغلى عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذِّب أمورك ثم ٱلقَنى بهـا وأحكم لسانك ثم راجعنى به ولا تجترئنّ علىّ فأمتعِضَ ولا تنقبض منى فأتّهِمَ ولا تُمَرِّضنّ ما تلقانى به ولا تُخْدِجَنّه . و إذا فكرت فلا تعجّل و إذا كتبت فلا تُعْـذِر ، ولا تستعينن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تُقَصرن عن التحقيق فانها هُجْنة بالمقالة ولا تَلْبِسنّ كلاما بكلام ولا تباعدنّ معنى عن معنى . أكرِمْ كتَابَك عن ثلاث : خضوعٍ يستخفّه ، وانتشارٍ يُثَبِّجُه ، ومعانٍ تقعد به ، وٱجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول ، وليكن بَسطةُ كتابك على السُّوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ما تملك عظيما وما تقول صغيرا فانمـا كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليـا كعلوّه وفائقا كفَوْقه . واعلم أن جُمّـاع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشىء ، وسؤالك عن الشىء ، وأمرك بالشىء ، وخبرك عن الشىء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ٱلتُمس لها خامس لم يوجد و إن نُقِص منها رابع لم تتم ، فاذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأَسْجِحْ واذا أخبرت فحقّق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بجَزَامير القول كله فلم يشتبه عليـك واردُه ولم يُعْجزك منـه صادرُه . أثبت فى دواوينك ما أدخلت وأَحْصِ فيهـا ما أخرجت وتيقّظ لمـا تأخذ وتجرَّدْ لمـا تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجنّ وزن قيراط فى غير حقّ ولا تعظّمن إخراج الكثير فى الحق ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتى » .

قال رجل لبنيـه : « يابنى تَزَيَّوْا بزى الكتّاب فان فيهـم أدب الملوك وتواضع السُّوقة » .

قال الكسائى : «لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشىء بعد الشىء أقرِنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شىء بها وأبعد شىء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابى : «رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحَتْف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة : « جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتّاب الى صديق له : «وصل الىّ كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشدّ على كل مفصل حزًّا منه . أنجزتَ فيه عدّة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا » .

ويقال : «عقول الرجال فى أطراف أقلامها» .

ويقال : «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظَّفَرين و إملاك العجين أحد الرَّيعين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللّبَن أحد اللحمين» . وقد يقال : المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزَّمانة الخفية . وقرأت فى بعض كتب العجم أن موبذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال : « كُتّاب الملوك عَيْبتُهم المَصُونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظمَ سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك ، ولا أقرب هَلَكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ، فتُرفَع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادَهم لأنفسهم فلا يتّهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما ، وأن التئام أُلفتهما صلاح خاصّتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى الحَجّاج يقتلنى * إنى لأحمق من تَخْـدِى به العِيرُ
مسـتحقبا صُحُفا تُدمى طوابعُها * وفى الصحائف حيّات مَنَاكيرُ

وقال بعض الشعراء فى القلم

عجبت لذى سِنَّين فى المـاء نبتُه * له أثر فى كل مصرٍ ومعمَرِ

وقال بعض المحدثين فى القلم

ضئيل الرُّواء كبير الغَناء * من البحر فى المنصِبِ الأخضرِ
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الأصفر
يمــرّ كهيئة مَرّ الشــجا * ع فى دِعْص مَحْنِيَـةٍ أعفـرِ
إذا رأسُـــه صَحّ لم ينبعث * وجاز الســبيلَ ولم يبصِرِ
وإن مُديةٌ صـدَعَت رأسه * جرى جرىَ لا هائب مُقصِر
يقضّى مآربَـــه مقبــلا * ويَحْسِـمها هيئةَ المـدبِرِ
تجــود بكفّ فتى كفُّه * تســوق الثّراء إلى المعسر

وقال حبيب الطائى يصف القلم

لك القـــلم الأعلى الذى بشَــبَاته * يصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
لعـابُ الأفاعى القاتلاتِ لعـابُه * وأرْىُ الجَنَى آشـتارتْه أيدٍ عواسلُ
له ريقـــةٌ طَلٌّ ولكنّ وقْعها * بآثاره فى الشرق والغـــرب وابــلُ
فصـيح إذا استنطقتَه وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجلُ
اذا ما آمتطى الخمسَ اللطافَ وأُفْرِغَتْ * عليـه شِعابُ الفكر وهى حوافلُ
أطاعته أطــرافُ القنا وتقوّضتْ * لنجــواه تقويضَ الخيام الجحافــلُ
تراه جليلا شأنُه وهـــو مرهَفٌ * ضَنًى وسمينا خطبُــه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى يصف القلم

وأسمرَ طاوى الكشح أخرسَ ناطقٍ * له ذَمَلَانٌ فى بطون المَهَارِقِ
إذا استعجلتْه الكفُّ أمطرَ خالُه * بلاصوت إرعادٍ ولا ضوءِ بارق
كأنّ اللآلى والزبرجد نَطْقُــه * ونَوْرُ الخُزامى فى بطون الحدائق

وقال بعض المحدَثين يمدح كاتبا

وإذا تألق فى الندِىّ كلامه آلـ * ـمنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم ٱنْتَحتْ * برقت مصابيح الدُّجى فى كتبه
باللفظ يقرُب فهمه فى بُعــده * منا ويبعـــد نيـــله فى قربه
حكَم فَسَائحها خِــلال بَنانه * متــدفق وقَلِيبها فى قلبــه
كالروض مُؤتلِف بحمــرة نَوْره * وبياض زَهرته وخضرة عُشْبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسانٍ لا ضميرله * كأنه فخِــذ نيطت الى قدم
يُبدى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدى ضميرَ سواه مَنطِق القلم

بعث الطائى الى الحسن بن وهب بدواة أبنوس وكتب اليه

قــد بعثنا إليـــك أمَّ المنــايا * والعطايا زِنجيّــة الأحسـاب
فى حَشاها من غير حَرب حِرابٌ * هى أمضى من مرهَفات الحِراب

وقال ابن أبى كريمة يصف الدواة والقلم

ومسودّة الأرجاء قدخضتُ ماءها * وروّيت من قعرهـا غير مُنبَط
خميصَ الحشا يروَى على كل مشرب * أمينا على سر الأمـــير المسلَّط

وقال بعض أهل الأدب : إنمـا قيـل "ديوان" لموضع الكتبة والحُسّاب لأنه يقال : للكتّاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمّى موضعهم باسمهم .

وقال آخر: انما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوِزْر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمـال ، قال الله عز وجل (وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حليهم، ولهذا قيل للإثم : وزر، شُبِّه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتبا كتب الغداة يسُبّنى * من ذا يطيق براعة الكُتّاب
لم ترض بالإعجام حين سببتنى * حتى شكّلت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتنى * وصدقت فيما قلت غيرَ مُحابِى

وقال آخر

ياكـاتبا تنـثُر أقلامه * من كفّه دُرّا على الأسطر

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع

صلى الاله على امرئ ودعتهُ * وأتم نعمته عليـــه وزادها

ومنه أخذ الكُتّاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طيئ فى معنى قولهم مُتُّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفـــرِّق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتأخر

وقال جرير فى معناه

رُدّى فؤادى وكونى لى بمنزلتى * يا قبل نفسِك لاقى نفسىَ التلَفُ

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أحلتَ عما عهِدتُ من أدبك * أم نلتَ مُلكا فتِهت فى كتبكْ (١)
أم هل ترى أن فى التواضع للاخوان نقصا عليك فى حسَبك
أم كان ما كان منك عن غضب * فأىُّ شىء أدناك من غضبك
إنّ جَفاء كتّابِ ذى مِقة * يُكتب فى صدره : وأمتع بك

وقال الأصمعى فى البرامكة

إذا ذُكِر الشركُ فى مجلس * أنارت وجوه بنى بَرْمَك
وإن تُليت عندهم آية * أتوا بالأحاديث عن مروك (٢)

وقال آخر

إن الفَراغ دعانى * الى ٱبتناء المساجدْ
وإن رأيَى فيها * كرأْى يحيى بن خالد

مرّ عبد الله بن المقفّع ببيت النار، فقال

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * حذَرَ العدا وبه الفؤاد موكّل

وقال دِعبِل فى أبى عبّاد

أَوَلَى الأمور بضَيعة وفساد * أمر يدبّره أبو عبّاد
حنِق على جلسائه بدواته * فمرمَّل ومضمَّخ بمداد
وكانه من دَيرِ هِرْقَلَ مُفلتٌ * حَرِدٌ يجرّ سلاسل الأقياد

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد ابن الزيات عليه فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى وهو محرف عن "مزدك" واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج فى أيام قباذ بن فيروز فبدّل شريعة زرادشت واستحلّ المحارم وسوّى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اهـ باختصار عن ابن الأثير. وقد ورد البيتان فى البيان والتبيين للجاحظ .

خيانات العمال

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيه قال: ذُكِر لنا أن امرأة من قريش كان بينها و بين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها الى عمر فأهدت المرأة الى عمر فخذ جَزور ثم خاصمته اليه فوجّه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، افصِل القضاء بيننا كما يُفْصل فخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفى على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى اليه رجل سِراجا من شَبَهٍ(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث اليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرته .

حدّثنا إسحاق قال حدّثنا رَوْح بن عُبادة قال حدّثنا حمّاد بن سَلَمة عن الجريرى(٢) عن أبى نَضْرة عن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد الى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطْعم طيّب ومَلبَس ليّن ومركَب وَطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردتَ بهذا إلا مقاربتى، وإن كنتُ لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمَثَلى ومثَل هؤلاء، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشىء؟ قال الربيع : لا .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن أبى نَجيح قال: لما أُتِى عمر بتاج كسرى وسِوَاريه جعل يقلبه بعود فى يده ويقول : والله إن الذى أدى

---

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الجريرى بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الجريرى ، فقد جاء فى تهذيب التهذيب وفى الأنساب للسمعانى أن من جملة من روى عنه الحمّادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون اليك ما أدّيت الى الله فاذا رتَعت رتَعوا . قال : صدقت .

حدّثني أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال : لما أُتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد فكوّم كُومةً من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرّى وابيضّى وغُرِّى غيرى . وأنشد

هــذا جَنَاىَ وخيارُه فيه * اذ كل جانٍ يدُه الى فيه

حدّثني محمــد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن إسماعيل بن أبى خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليــه أربعا : ألّا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقى ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجَصٍّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخْرِج أعناقَها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان المــاء والطين» .

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعْ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفَضْل .

حدّثنا محمد بن عبيد عن هَوْذة (١) عن عوف عن ابن سيرين [(٢) وإسحاق عن النضر بن شُميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لمــا قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، أسرقت مال الله؟ قال أبو هريرة لست بعدوّ الله

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا فى تهذيب الكمال فى أسماء الرجال . وليس فى ترجمة أحدهما من يروى عن هَوْذة هذا ، ولعل رواية الألمــانية هى الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمــانية .

ولا عدوّ كتابه ولكنى عدوّ من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبىّ ابن نبىّ وأنا ابن أُمَيمة[1] أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهلا قلت خمسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يُضرب ظهرى ، ويشتم عرضى ، وينزع مالى .

حدّثنا محمد بن داود عن نصر بن قُديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبى بُرْدة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إنى قرأت فى بعض الكتب : «من أحمقُ من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن أعزّ[2] ممن أعزّنى . أيا راعى السوء دفعتُ اليك غنما سمانا سِحاحا فأكلتَ اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمْن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع» .

حدّثنى محمد بن شَبَابة عن القاسم بن الحكم العُرَنى القاضى قال حدّثنى اسماعيل ابن عيّاش عن أبى محمد القرشى عن رَجَاء بن حَيْوة عن ابن مَخْرمة[3] قال : إنى لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية حين قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله . ألا إنه لن يبعِّد من رزق الله ولن يقرِّب من أجلٍ أن يقول المرء حقا وأن يذكّر بعظيم . ألا و إنى ما وجدت صلاح ما ولّانى الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا و إنى ما وجدت

(١) اسم أم أبى هريرة . (٢) فى النسخة الالمانية : ومن أغرّ ممن اغترّبى .
(٣) فى الالمانية : "مخرمة" ولعل الصواب مافى الفتوغرافية حيث ذُكر فى ترجمة رجاء بن حيوة ان من شيوخه المسور بن مخرمة .

صلاح هذا المـال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقرُّمَ البَهْمةِ » .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد اذا ولى رجلا قال له : خذ عهدَك وسِرْ الى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأسَ سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلّمتك من معرّتنا أمانتـك ، وان وجدناك خائنا قويا استهنّا بقوّتك وأحسنّا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجُرْمين جمعنا عليك المضرّتين ، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتبى : بُعث الى عمر بحلل فقسـمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حُلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سلمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى ٱتَّزرتُ(*) به هو ثوبك؟ قال : اللهم نعم . فقال سلمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمعْ .

بلغنى عن حفص بن عِمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المِنْهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذكر عليا فتنقَّصه فقام شدّاد فقال : «الحمد لله

(*) كذا بالأصـل ، وفى القاموس : وائتزر به وتأزر به ولا تقل اتزر وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اهـ . وفى النهاية لابن الاثير انه خطأ لان الهمزة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال المطرزى انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغانى انه يجوز أن تقول اتزر بالمئزر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتّمنه والأصل ائتمنه .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها النـاس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منهـا البرّ والفاجر، وإن السامع المطيع لاحجة عليـه وإن السامع العاصى لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالنـاس صلاحا عمّل عليهم صلحاءهم وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المـال فى سُمحائهم ، واذا أراد بالعباد شرا عمّـل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المـال عنـد بخلائهم . وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشّك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمـال ، وقال : ألستُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسـلمين تعمَّدتَ جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم . وإن كان مما شاركك فيـه المسلمون فاحتجنتَه دونهم، أصبتَه اقترافا وأنفقته إسرافا ، فان الله عز وجل يقول (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكوف، فقال ما هذا؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارقٌ صاحب شُرْطة خالد القسرى بابن شبرمة، وطارق فى موكبه فقال ابن شبرمة

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنهـا * سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابن شبرمة بعـد ذلك على القضاء، فقال له ابنه : أتذكر يومَ مرّ بك طارق فى موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنى، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلَهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينـة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدرّاج الضّبابى .

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفّنى * ولا أننى من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا متُّ أن يُعطوا الذى كنت أمنع

ثم قال : والله ما أسفت على هـذه الولاية ولكنى أخشى أن يلىَ هـذه الوجوه من لا يرعى لهـا حقها .

ووجدت فى كتاب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ : « إنى أشركتك فى أمانتى ولم يكن رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كَلِب ، والعدوّ قد حَرِب قلبتَ لابن عمك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين وٱختطفتَ ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلّ داميةَ المِعْزى » وفى الكتاب : « ضَحِّ (*) رويدا فكأنْ قد بلغتَ المدى وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحل الذى به ينادِى المغترّ بالحسرة ويتمنى المضيّع التوبةَ والظالم الرجعةَ » .

وفى كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدىّ بن أرطاة : « غرّنى منك مجالستُك القرّاءَ وعمامتُك السوداء فلما بلَوْناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون بين القبور ! » .

قال ابن أحمر يذكر عمال الصدقة

إن العِياب التى يُخْفون مُشْرَجة * فيها البيان ويُلْوَى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخفَ عين على عين ولا أثر
هل فى الثمانى من السبعين مَظْلِمة * وربَّما بكتاب الله مصطبِر

وقال عبد الله بن همّام السَّلولى

أقلى علىَّ اللوم يا أم مالك * وذُمِّى زمانا ساد فيه الفَلاقِسُ

(*) ضَحِّ من ضحّيت الغنم اذا رعيتها فى الضحى ، أى ارع نفسك على مهل فانما أنت على شَرَف الموت .

وساعٍ مع السلطان ليس بناصح * و"محترَس من مثله وهو حارس" (*)

قدم بعض عمّـال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحـدّثهم بالكذب ، فقـال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنُّكم بأناس خـــير كُسبهم * مصرَّحُ السحتِ سَمَّوْه الإصاباتِ

وقال أبو نواس فى إسماعيل بن صَبيح

بنيتَ بمـا خنتَ الامام سِقَاية * فلا شربوا إلا أمرَّ من الصبر
فما كنتَ إلا مثلَ بائعة ٱستها * تعودُ على المَرْضَى به طلبَ الأجرِ

يريد معنى الحديث أن ٱمرأة كانت فى بنى إسرائيل تزنى بحَبّ الرمّان وتتصدّق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمينَ الله سـيفك نِقْمة * اذا ماق يوما فى خلافك مائق
فكيف باسماعيل يُسْـلِم مثلُه * عليكَ ولم يُسْـلِم عليكَ منافقُ
أُعيذك بالرحمن من شرّ كاتب * له قـلم زانٍ وآخرُ سارق

وقال فيه أيضا

ألا قلْ لاسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هانَ ضَرْبَةَ لازم
أتُسْمِنُ أولادَ الطريد ورهطَه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخـبرُ من لاقَيت أنك صائم * وتغـدو بفرج مُفْطر غير صائم
فإن يَسْرِ إسماعيـلُ فى بَجَرَاته * فليس أمـير المؤمنين بنـائم

ولى حارثة بن بدر "سُرَّق" فكتب اليه أنس الدؤلى

أحارِ بنَ بدر قد وليتَ ولايةً * فكن جُرَذًا فيهـا تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شىء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما فى لسان العرب .

وبار تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذِّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يحقّقوا
ولا تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئا أصبتَه * لحظُّك من مُلك العراقين سُرَّقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن جُوَيرية بن أسماء قال، قال فلان : «إن الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضِّياع خان» .

قرأت فى كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فاذا لم يُطمع منك فى الصغير لم يُجترأ عليك فى الكبير . وأَبْرِد البريد فى الدرهم ينقصُ من الخراج، ولا تعاقبن على شىء كعقوبتك على كسره ولا ترزقنَّ على شىء كرزقك على إزجائه، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقنَ دم المزجِى وتوفير ماله من غير أن يعلم انك أحمدتَ أمره حين عفّ واعتصم من أن يهلك» .

وقرأت فى التاج أن أبروَيز قال لصاحب بيت المال : «إنى لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك إنما تحقِنُ بذلك دمك وتعمُر به أمانتك فانك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعل أحدا على ذخائر المُلك وعمارة المملكة والعُدّة على العدو إلا وأنت آمنُ عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتيمه التى هى عليها، فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى، ولا تتعوّض بخير شرا ولا برفعة ضَعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة» . وكان يقال : « كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة » .

قدم معاذ من ايمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان، حساب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا أَلِى لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابى رجلا خائنا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقَمًا و إن فلانا يَحْسُوها حَسْوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وآلزم العفاف يلزمك العمل، وإياك والرُّشَا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضـــاء

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بِشْر بن المفضَّل بن لاحق قال حدّثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لاينبغى للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالمـا قبل أن يستعملَ، مستشيرا لأهل العلم، ملقيا للرَّثَع[1]، منصفا للخصم، محتملا[2] للائمة » .

حدّثنى على بن محمد قال حدّثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصارى عن عبد الله بن لَهِيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن على عليه السلام أنه قال : «ذمتى رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العِبَرَ[3] ألّا يهلك على التقوى زرعُ قوم ولا يظمأ على التقوى سِنْخ أصل . ألا و إن أبغض خلق الله الى الله رجل قَمَش جهـلا غارًّا بأَغْباش الفتنة عِميًا[4] بمـا فى عقد الهـدنة سماه أشباهه من الناس عالمـا ولم يُغْنِ فى العلم يوما سالمـا . بكَّر

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمـانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر فى العقد الفريد وفى البيان والتبيين بما نصه : اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل الرأى .

(٣) فى النسختين الألمـانية والفتوغرافية، « يهيج » والتصويب عن نهج البلاغة .

(٤) فى الأصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشوا رثًّا (*) من رأيه، فهو من قطْع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت. لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب. خبّاط عَشَوات ركّاب جهالات. لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يَعَضّ فى العلم بضرس قاطع. يَذْرو الرواية ذَرْو الريح الهشيمَ، تبكى منه الدماء وتصرُخ منه المواريث و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام. لا مَلِىءٌ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهلٌ لما قُرِّظ به »

قال ابن شبرمة

ما فى القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهونْ علىّ اذا قضيتُ بسنة * أو بالكتاب برَغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهَيْثم عن ابن عيّاش عن الشَّعْبي قال: كان اول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبِيل على المدائن، ثم عزله واستقضى أبا قُرَّة الكندى وهو اسمه فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبوقرة. ثم استقضَى شريحَ بن الحارث الكندى فقضى خمسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروقَ بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة فى زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض فى الفتْنة. فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا فى الطريق فقال: يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كبِرتْ

(*) فى الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة.

سنّك واختلط عقلك وارتشى ابنك، فقال [شريح لا جرم](*) لا يقولها أحد بعدك . فأتى الحجاج فقال : والله لاأقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفيك أو تبغيني رجلا. فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبى بردة بن أبى موسى . فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيدَ بن جُبَير كاتبا ووزيرا .

وروى الثورى عن علقمة بن مَرْثَد أنه لقى محاربَ بن دِثَار وكان على القضاء فقال له : يامحارب، الى كم تردّد الخصوم؟ فقال له : إنى والخصوم كما قال الأعشى

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق * وما بى من سقم وما بى مَعْشَق
ولكن أرانى لا أزال بحادث * أغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأطرَقُ

حدّثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفُتْيا فعليك بالحسن معلمى ومعلم أبى ، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى — وكان على قضاء البصرة يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُمَيد الطويل، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك : حطّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّدُوسى ، وتدرى مايقول لك ؟ يقول لك : اجحد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادّع ما ليس لك وادّع بيِّنةً غُيَّباً .

قرأت فى الآيين : « ينبغى للحاكم أن يعرف القضاء الحقَّ العدل والقضاءَ العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بتثبُّت وروية ويتحفّظ من الشبهة» . والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى قال حدثنى عمى الأصمعى قال قال أعرابى لقوم يتنازعون : هل لكم فى الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق؟ قال : التحاطّ والهَضْم فان أخذ الحق كله مُرٌّ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى شىء فحكّما رجلا له فى المخطئ هوى، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثرُ .

الهيثم بن عدي قال : تقدّمت كُلْثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عُمَير وهو قاضى الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يُرمى بها فقضى لها ، فقال هُذَيل الأشجعى

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما ادّعَتْ من صامت المال والخَوَلْ
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه * وكان وليد ذا مراء وذا جَدَلْ
ففتّنت القبطىَّ حتى قضى لها * بغير قضاء الله فى السُّوَر الطُّوَلْ
فلو كان من فى القصر يعلم علمَه * لما استُعمِل القبطىُّ فينا على عملْ
له حين يقضى للنساء تَخَاوُصٌ * وكان وما منه التخاوصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دلٍّ كلمته لحاجة * فهمَّ بأن يقضى تنحنح أو سَعَلْ
[وبرّق عينيه ولاك لسانَه * يرى كلّ شيء ما خلا شخصَها جَلَلْ][1]

فكان عبدالملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتنى السعلة أو التنحنح وأنا فى المتوضّأ فأكفّ عن ذلك .

وقال ابن مناذر[2] فى خالد بن طَليق وكان قد ولى قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذى * من هاشم فى سرِّها واللبابْ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى القاموس : وابن مناذر ويضم فيصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر، وفى الأغانى أنه اذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . انما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّـخْطة عاقبتنا * بخالد فهو أشـــدّ العقابْ
كان قضاةُ الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذابْ
ياعجبًـا من خالد كيف لا * يخطئ فُتْيَا مرةً بالصوابْ

وقال فيه

جُعـل الحـاكم يا للنّـاس من آل طَليق
ضُحْـكَةٌ (١) يحكم فى النـا * س برأى الجَاثِليـق
أىُّ قاض أنت فى النقـ * ـص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيـثم ما أنـ * ـت لهـذا بخليـقِ
لا ولا أنت لمـا حُمِّـلتَ منـه بمُطيـقِ

أراد عدِىُّ بن أرطاة بكرَبن عبد الله المزنى على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فان كنتُ كاذبا أو صادقا فما يحِلّ لك أن تولينى .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لمـا عُزل ابن شُـبرُمة عن القضاء قال له والى اليمن : اختر لنا رجلا نوليـه القضاء . فقال له ابن شـبرمة : ما اعرفه . فذُكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه فجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدرى لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء . قال: ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ماتقول فى رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت مافى بطنها؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلونْاك (٢) فما وجدنا عندك شيئا . فقيل له : ما القضاء فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقوَّم حاملا وتُقوَّم حائلا و يغرم قدرَ ما بينهما .

---

(١) فى القاموس : الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى فى بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتثل كقنفذ . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية .

حدّثنى عبد الله بن محمد الخَلَنجى (*) قال : كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول فى رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فوُلد لكل واحد من امرأته ولد ، ماقرابةُ مابين الولدين؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عمّ الآخر لأمه .

ودخل رجل من أهل الشأم على عبد الملك بن مروان فقال : إنى تزوجت امرأة وزوجت ابنى أمّها ولا غنى بنا عن رِفدك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتنى ماقرابةُ مابين أولادكما اذا أَولدتُما ، فعلتُ . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدتَه سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فان أصاب لزمنى الحِرمان ، وإن أخطأ آتسع لى العذر . فدعا بالبحدلى فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرماح ، أحدهما عمّ الآخر والآخر خاله .

قال ابن سيرين : كنا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قُبّـة له وبين يديه كانُون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فِراشه فساره بشىء لا ندرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لى إصبعك فى هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هـذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسئلنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه الى القضاء .

كان يقال : «ثلاث إذا كنّ فى القاضى فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأَحبَّ المحامد ، وكره العزلَ . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالما ، ولا يسمع شكيّة من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية : «عبد الرحمن» وفى أنساب السمعانى ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضى الى العــدل فى لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر» .

قال الشــعبى : حضرت شُرَيحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكتْ فقلت : ياأبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : ياشعبى، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاء يبكون .

بلغنى عن كَثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أُدلى اليك فانه لا ينفع تكلُّم بحق لانفاذَ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمَع شريف فى حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البيِّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا ، ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شىء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك ممـا ليس فيه قرآن ولا سنة، واعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عنــد ذلك ثم اعمَد لأحبّها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادّعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه و إلا استحللتَ عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حدّ أو مجرَّبا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو قرابة . إن الله تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . و إياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر و يحسن الذخر، فانه من صلَحتْ سريرته فيما بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس، ومن تزيّن للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله، والسلام» .

وقال سَلَمة بن الخُرْشُب لسُبَيع التغلَبى فى شأن الرُّهُن التى وضعت على يديه فى قتلى عَبْس وذُبْيان .

أبلغْ سُبَيعا وأنت سيدنا * قِدْما وأوفى رجالنا ذمَما
أن بَغيضًا وأن إخوتها * ذُبْيان قد ضرّموا الذى اضطرما
نُبِّئتُ أن حكّموك بينهم * فلا تقولنّ بئس ما حكما
إن كنت ذا عِرْفة بشأنهم * تعرفُ ذا حقِّهم ومن ظلَما
وتُنزل الأمر فى منازله * حكما وعلما وتحضر الفهَما
فاحكم فأنت الحكيم بينهم * لن يعدَموا الحقّ باردا صَتَمَا
واصدعْ أديمَ السواء بينهم * على رضا من رضِى ومن رَغِما
إن كان مالا فمثل عِدّته * مالٌ بمال وإن دمًا فدَمَا
هذا وإن لم تُطِق حكومتَهم * فانبذْ اليهم أمورَهم سَلَمَا

وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبى سلمى، فلما بلغ قوله

فان الحق مقطعُه ثلاث * يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمة أو حجةٌ .

وقال ابن أبى ليلى الفقيه فى عبد الله بن شبرمة

وكيف ترجّى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم فى نفسكا
وتزعم أنك لابن الجُلَاح * وهيهات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العِجْلى قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخَيْزُران وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، " شاهِىَ " فأقام بها ثلاثا ولم تُوافِ فخفّ زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح، فقال العَلَاء بن المِنْهال الغَنَوى

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مُوضِعًا فى كل يوم * تَلقَّى من يحجُّ من النساء
مقيما فى قرى شَاهِى ثلاثا * بلا زاد سوى كِسَرٍ وماء
يزيد النـاسُ خيرا كلّ يوم * فترجــع ياشريك الى وراء

وقال فيه أيضا

فليت أبا شريك كان حيا * فيُقْصِر حين يبصره شريكُ
ويترك من تدرِّيه علينا * اذا قلنا له هـذا أبوكَ(١)

وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكام

أبكى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكّام
إن الحوادث ماعلمتُ كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى القاسم بن الفضل قال حدّثنى رجل من بنى جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سَوَّار بن عبد الله فقضى على الجريرى، فمر سَوَّار ببنى جرير فقام اليه الجريرى فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيتُ أحلاما فعبَّرتُها * وكنتُ للأحلام عبَّارا
رأيتُنى أخنق ضبًّا على * جُحْروكان الضبُّ سَوَّارا

فى الشهادات

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال لى أيوبُ(٢) : إن من أصحابى من أرجو دَعْوته ولا أُجيز شهادته . قال وقال سَوَّار : ما أعلم أحدا أفضل من عَطَاء السَّلَمى، ولوشهد عندى على فَلْسَين لم أجزشهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأى ليس بالحازم،

(١) فى هذا الشعر الإقواء وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية «أبو أيوب» .

لا أنه يطعن عليه فى دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوّار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنــه ؟ قال : كما أعلم أنك سَوّار بن عبد الله ابن عَنْزة بن نَقْب . قال : وشهد رجل عنــد سوار فى دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من المــاء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أىَّ شىء أكتب؟ فقال : كلَّ شىء يُخْرِج الدار من يد هذا ويجعلها فى ملك هذا فاكتبه . [قال[1] أبو حاتم بلغنى أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدّب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إنى أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاءُ أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلمّ شهادتَك . فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبى فراس، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفتُ ألف مُحْصَنة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبى ليلى فقال فى مجلسه ذلك

إنِ القومُ غطَّوْنِى تغطيتُ دونهم * وإن بحثوا عنى ففيهــم مَبَاحِثُ
وإن حفروا بئرى حفرتُ بِئارَهم * ليُعلم ما تخفيه تلك النَّبَــائِثُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشىء .

أتى رجل ابن شبرمة[2] بقوم يشهدون له على قَرَاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم فى القراح من نخلة؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلِمْنا : كم فيه من أُسطُوانة؟ فأجازهم .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى النسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم نقف فى ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصـــمُ لا يرتجى النجاةُ له * يوما إذا كان خصمُه القاضى

قدّم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدِلُّ بخاصّة ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصّته : إن يكن الحقُّ له عليك آخذْك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليــه أقضِ عليه ثم أقضِ عنه .

وقال أبو اليقظان: كان عبيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه. فقيل له فى ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة فى واد بالمدينة . قال فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما: أنتمـا فى فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان! وقد سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثلَ الذى حضرت فيمن اقتطع شـبرا من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين! والحَكَمُ أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحَكَم إذا جار رُزِئَ دينَه والمحكوم عليه إذا جير عليه رُزِئَ عرَض الدنيا [إن شئتما فأدليا بحجتكما و] (١) إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا .

وكان السِّنْدىّ ابن شَاهَك لا يستحلف المكارى ولا الحائك ولا الملاّح ويجعل القول قول المدّعى مع يمينه، ويقول : اللهم إنى أستخيرك فى الجمّال ومعلّم الصبيان .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العِذْيَوْط ولا المغذّى ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول فى ثوبى .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبرى : أتجيز شهادة رجل عفيف تقىّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لى أبا مودود(١) حاجبى ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شَمال يشوبها شىء من الجَنُوب . فقال : أتَرَوْنى كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لى مُحارب بن دِثَار : وليت القضاء فبكى أهلى وعُزِلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليتَ القضاء فكرهتَه وجزعْت منه فبكى أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك . فقال : إنه لَكَما قلتَ .

قدم إياس بن معاوية الشأم وهو غلام فقدّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضى : أتقدّم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشأم لا يفسدْ علىّ(٢) الناس .

قال أعرابى لخصم له : « والله لئن هَمْلَجْتَ الى الباطل إنك عن الحق لقَطُوف» .

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : مورد . (٢) فى الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين .

باب الأحكام

حدّثنى عَبْدة بن عبد الله قال حدّثنـا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت الزبير بن الحارث يحدّث عن عكرمة عن أبى هريرة قال : «قضى رسول صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فى الطرق أنها سبع أذْرُع» .

حدّثنى يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنتم[١] عن غزال بن مالك الغِفَارى عن أبيه عن جدّه قال : «كفل النبى عليه السلام رجلا فى تهمة» .

قال وحدّثنى أيضا عن إبراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك عن أبيـه عن جدّه قال قال أبو هريرة : « حبس النبى صلى الله عليه وسلم فى التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدّثنى يزيد قال حدّثنى الوليد[٢] عن جرير بن حازم عن الحسن : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب» وقال لى رجل بالمدينة : هو ذو رباب .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن سليمان بن حَرْب عن جرير عن يَعْلى بن حَكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : «أتى ماعزُ بن مالك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى زنيت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان فى الرابعة رجمه» .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثـورى عن على بن الأقمر عن يزيد بن أبى كبشة أن أبا الدرداء أُتى بامرأة سرقت ، فقال : أسرقتِ؟ قولى : لا .

(١) فى النسخة الألمـانية : ''خيثم'' ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية ''أبو الوليد'' .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف، فٱنتهروه وقالوا : اصدق الأميرَ . فقال الأحنف : إن الصدق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيّاش عمن حدّثه عن ابن عباس قال « جزُّ الرأس واللّحية لا يصلح فى العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسُكًا لمرضاته » .

حدّثنى شبابة عن القاسم عن الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال «إياكم والمُثْلة فى العقوبة جَزَّ الرأس واللحية» .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا يونس عن أبى بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى فى رجل فزّع رجلا فضرِط بأربعين درهما .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن جُوَيبر عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحلّ فى هذه الأمة غَلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال : كان عامر بن الظَّرب العَدْوانى حَكَم العرب، فنزل به قوم يستفتونه فى خنثى وله جارية يقال لها خُصَيْلَة[1] . وربما لامها فى الإبطاء فى الرعى وفى الشىء يجده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبستُ هؤلاء القوم وريّثتُهم حتى أسرعتِ فى غنمى . قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعْه مبالَه . فقال لها : "مَسِّى خُصَيْل بعدها أو رَوِّحى" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية «جميلة» وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب خصيلة هذه فى حكيات العرب قال ولعلها هى التى كان أبوها عامر يقول لها "مسى سُخَيل بعدها أو صبِّحى" بناء على أنها كانت تسمى سخيلا أيضا . وقد ذكر الميدانى أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال : وأُتِى ابن زياد بانسان له قُبُل وذكر ولا يُدرى كيف يُوَرَّث . فقال : من لهذا؟ فقالوا : أرسل الى جابر بن زيد . فأرسل اليه ، فجاء يَرْسُف فى قيوده فقال : ما تقول : فى هذا؟ فقال : ألزقْه بالجدار فان بال عليه فهو ذكر ، وإن بال فى رجليه فهو أنثى .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنـا قيس بن الربيـع عن أبى حصين أنـ رجلا كسر طُنْبورا لرجل فخاصمه الى شريح ، فقال شريح : لا أقضى فى الطنبور بشىء .

[حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه قال : قال لى أبو العجاج : يابن أصمَع والله لئن أقررتَ لأُلْزِمنّك . أى لا تقر] (*) .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه عن مَعْمر قال : ردّ رجل على رجل جارية اشتراها منه ، فخاصمه الى إياس بن معاوية ، فقال له : بم تردّها؟ قال له : بالحمق . فقال لها إياس : أىّ رجليك أطول؟ فقالت : هذه . فقال : أتذكرين ليـلة وُلِدتِ؟ قالت : نعم . فقال إياس : ردّ ردّ .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن قيس عن أبى حُصَين قال : رأيت الشَّعبىّ يقضى على جلد أسد .

الظـــلم

حدّثنى عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُرَيب قال حدّثنى الأصمعىّ] (*) قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أنـ رجلا وآمرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتَنقَّب قبيحة المَسْفر ، وكان لها لسان فكأن العاملَ مال معها فقال : يعمَد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء اليها ! فأهوى زوجها الى النِّقاب فألقاه

(*) زيادة فى النسخة الألمانية .

عن وجهها فقال العامل : عليكِ اللعنة ! كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ . وأنشد الرياشيّ في نحو هذا

رأيتُ أبا الجَحْناء في الناس جائرا * ولون أبي الجحناء لونُ البهائم
تراه على ما لاحَهُ من سواده * وإن كان مظلوما له وجهُ ظالم

أبو حاتم عن الأصمعى عن أبي عمرو بن العَلاء قال : كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلا يظلِم ويعتدِي يقول : فلان لا يموت سَوِيًّا . فيرونْ ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويا . فلم يقبل حتى تتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن(١) لكم دارا سوى هذه تجازَوْن فيها .

كتب رجل من الكُتَّاب الى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهِيًا عن الشكر محجوبا بالنعم صارفًا فضلَ ما أوتيتَ من السلطان الى ما تقِلّ عائدته وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان ، وأن يستزلّك الشيطان بخَدْعه وغروره وتسويله فيُزيلَ عاجل الغِبْطة وينسيَك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر في يومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغرَّه طولُ الأمل وتراخى الغاية ولم يضرب في غَمْرة من الباطل ولا يدرى ما تَجلَّى به مغبّتُها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذى لا يفنيه كَرّ الجديدين واختلاف العصرين » .

حدّثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا معاوية بن عمرو قال حدّثنا أبو إبراهيم السقّاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتَى بمعلم الصبيان(٢) يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إنى لأستحيي أن أظلم [من لا يجد(٣)

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من الناسخ . (٢) في الفتوغرافية : الكُتّاب .
(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

عليّ ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إنى لأستحيي ان أَظْلِم] وأَحْرَجُ أن أُظلَمَ » . وكان يقال : اذا أراد الله ان يُتحف عبدا قيّض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : «أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بُسِطت بالقدرة يداه» .

ذُكر الظلم فى مجلس ابن عباس فقال كعب : إنى لا أجد فى كتاب الله المنزل أن الظلم يُخْرب الديار . فقال ابن عباس أنا أُوجِدُكَهُ فى القرآن ، قال الله عز وجل ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان فُرْعَان وهو من بنى تميم(١) لا يزال يُغير على إبل النـاس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك ، فقال الناس : كبرتَ والله يا فُرْعان . فقال : لا والله ولكن جذبنى جذبة مُحِقٍّ . وكان سُدَيف بن ميمون مولى اللِّهْبيين يقول : اللهم قد صار فيئُنا دُولَةً بعد القسمة وإمارتُنا غلبة بعد المشورة وعهدُنا ميراثا بعـد الاختيار للأمة . واشتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكِّم فى أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيامَ بأمورهم فاسقُ كلِّ مَحلَّة . اللهم وقد استحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريدُه . اللهم فأتحْ له يدا من الحق حاصدة تبدّد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحق فى أحسن صُوَره وأتم نوره .

ولى أعرابى بعض النواحى فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح فقالوا : قتلناه وصلبناه . فقال : فهل أديتم ديته؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدّوها . فلم يبرحوا حتى أدّوها .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبنى تميم .

كان أبو العَاج على جوَالى البصرة فأُتى برجل من النصارى : فقال ما آسمك ؟ فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةُ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال : فأخذ منه ثلاثَ جزًى .

ولى أعرابى "تَبَالَة" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير أعزنا الله و إياه ولّانى بلادكم هذه، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى، ولن أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربا ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون اليه . قال بعض الشعراء

بنى عمّنا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفنتم بصحراء الغُمَير(١) القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّة * فنقبلَ ضَيْما أو نحكِّم قاضيَا
ولكن حكمَ السيف فيكم مسلَّط * فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا
فان قلتم إنا ظَلمنا فلم نكن * ظَلَمنا ولكنّا أسأنا آلتقاضيا

[وقال(٢) آخر

تفرحُ أَن تغلبنى ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]

وكانوا يتوقَّوْن ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . آخسَئوا فيها ولا تكلّمونِ . أخذتُ سمعك و بصرك بسمع الله و بصره . أخذت قوّتك بقوّة الله . بينى و بينك سِتْر النبوّة الذى كانت الانبياء تستتر به من سَطَوات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مطلع عليك ويحجُزك عنى و يمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوبا للشَّمَيْذَر الحارثى . والغمير موضع بين ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبى رِغَال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لمواضع أخر . وقد ورد فى الفتوغرافية هكذا « العبيط » محرفا عن « الغَبِيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغبيط وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغبيط بَعاعَه * كصَرْع اليمانى ذى العِيَاب المحمّل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأميرَ إذا ظُلمنا * فمن يُعْدِى اذا ظَـلم الأميرُ

[وقال آخر (١)

إذا كان الأمــير عليك خصما * فلا تُكْثِرِ فقد غلَب الأميرُ]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالما على غيرك فتحكُم لى وقد استعديتُك عليك مظلوما فضاق عنى عدلك ، وذكّرنى قول القائل

كنت من كُربتى أفِرّ اليهم * فهمُ كُربتى فأين الفِرار

[ونحوه (١)

والخصــم لا يُرتجى النجاحُ له * يوما إذا كان خصمه القاضى]

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان يقال : ما أُعطِى أحد قط النَّصَف فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النَّصَفة قطّ على أحد فقبِلها إلا دخلتنى له هيبةٌ ولا ردّها إلا اختبأتُها فى عقله .

وقال البَعيث

وإنى لأعطى النَّصْف مَن لوظلمتُه * أقرّ وطابت نفسه لىَ بالظُّــلم

وقال الطائى

يرى العلقَم المــأدوم بالعز أَرْيةً * يمَانِيَةً والأَرْىَ بالضــيم علقما

إذا فرشُوه النَّصْفَ نامتْ شَذَاتُه * وان رَتَعُوا فى ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفَتْ * قواطع فى أَيْمــاننا تقطُر الدما

تركناهمُ لا يستحِلّون بعدها * لذى رحِم يوما من الدهر محرَّما]

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثانى فى صحيفة ٧٠

بلغنا عن ضَمْرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عُمّاله : أما بعد فاذا دعَتْك قدرتُك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناءَ ما تُؤتِى اليهم وبقاءَ ما يؤتون اليك، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلَمه، فقال : أقصِر يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك .

قولهم فى الحبس

[فى الحديث(١) المرفوع : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عزّ وجلّ طولَ الحبس فأوحى الله إليه : مَن حَبسك يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ولو قلتَ : العافيةُ أحبّ الىّ لعوفيت» .]

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد .

وكُتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبورُ الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الاعداء» .

أنشدنى الرياشىّ

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسألُه ❊ ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابى

ولمّا دخلتُ السجن كبّر أهلُه ❊ وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفى الباب مكتوبٌ على صفَحاته ❊ بأنك تَنْزُو ثُمَّ سوف تلين

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

ويقال : إنّ قولهم « تنزو وتلين » رُؤى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثـلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصَنِها مـــنزلا * ثقيـــلا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا فى كِرًا * ولا مُســتعيرٍ ولا مالكِ
ولستُ بغصبٍ ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقفَ عن هالك
ولى مُسْمِعان فأدناهمـا * يغـنّى ويسمع فى الحالك
وأقصاهمـا ناظرٌ فى السما * ء عمـــدا وأوسَخُ من عارِك

المُسمع الاول قيده والثانى صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر

ولى مُسمِعانِ وزَمّارة * وظلٌّ مديد وحصن أمَقّ

الزمّارة الغُلُّ، وأصل الزمّارة السَّاجُور .

قال أبوعبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بِلال بن أبى بُردة ، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشَّع *

فقال بلال : أمَا إنهـا لا تَقَشّع حتى يصيبك منها شُؤبُوبُ بَرَد . وأمَر به الى الحبس، فقـال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة . فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمَت وأقيادٌ ثِقال وقيّم يقـال له حَفْص .

قال الحجاج للغضبان بن القَبَعْثَرى ورآه سمينا : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرَّتَعَة، ومن كان فى ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته فى السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلُّونى بصلعاءَ صيلَمٍ * بإحدى زُبَى ذى اللِّبْدتين أبى الشِّبل
خرجتُ خروج القِدْح قدح ابن مُقْبلٍ * على رغم آناف النوابح والمُشْلى
علىّ ثيابُ الغانيات وتحتها * عزيمةُ مرءٍ أشبهتْ سَلَّة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يَفُكّنى * ويطلق عنى مقفَلات الحدائد
فان يك قيدى ردّ همّى فربما * تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
وما من بلاء غيرَ كلَّ عشية * وكلَّ صباح زائرٍ غيرِ عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخرَ قاعد

وقال بعض الشعراء فى خالد بن عبد الله القسرى حين حُبس

لعمرى لقد أعمرتُمُ السجنَ خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
فان تحبسوا القسرىّ لاتحبسوا اسمه * ولا تسجُنوا معروفَه فى القبائل

وقال بعض المسجنين(١)

أسجنٌ وقيد واغتراب وعُسْرة * وفقد حبيب! إن ذا لعظيم
وإنّ امرأ تبقى مواثيقُ عهده * على كل هذا، إنه لكريم

وقال آخر مثله

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن منَ آهلِها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفى هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين» نجد التضعيف لا فى القاموس ولا فى اللسان .

إذا جاءنا السجّان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هـذا من الدنيـا
وتُعجبنا الرؤيا بجُـلّ حديثنـا * إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فان حسُنتْ لم تأتِ عجلى وأبطأت * وإن قبُحت لم تحتبِس وأتتْ عجلى

وقال يزيد بن المهلّب وهو فى الحبس : يا لهَفى على طَلِبَة بمائة الف وفَرَج فى جبهة أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح فى قيدك السماحةُ والـ * ـجود وحملٌ لمضلِع الأثقالِ

فقال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتُك رخيصا فاشتريتك[(1)] .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب اليه من الحبس بأبيات منها

تَفْديك نفسى من كل ما كرهتْ * نفسُك إن كنتُ مذنبـا فاغفرْ
يا ليت قلبى مصـــوَّر لك ما * فيه لتستيقن الذى أُضمـــرْ

فوقّع الرشيد فى رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها

كأنّ الخَلْق رُكِّب فيه روح * له جسد وأنت عليـه رأس
أمينَ الله إن الحبس بأْسٌ * وقد وقّعتَ «ليس عليك بأس»

فأمر باطلاقه

الحجـاب

أبو حاتم عن العتبى عن أبيـه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابى وقف على باب معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شَمْلتين، فلمـا دخل على معاوية قال : هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد معوّلا إلا عليك . أمتطى الليل بعد النهار وأَسِمُ المجَاهل بالآثار . يقودنى نحوَك رجاء[(2)] وتسوقنى إليك بلوى، والنفس مستبطِئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقرّبه . فقال فى ذلك

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يئستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتّى * حللتُ محلّةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قَذاها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فأدركتُ الذى أمّلتُ فيه * بمكثٍ والخُطا زادُ العَجُول

وقال غير العتبى: لما دخل عبدالعزيز بن زُرَارة على معاوية قال له : «إنى رحلتُ اليك بالأمل واحتملتُ جَفْوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الحِرمانُ . وليس ينبغى للمتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن ييأس . وأول المعرفة الاختبار فابْلُ واختبِرْ» وفى حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر

من يأذن اليومَ لعبد العزيزْ * يأذنْ له عبدُ عزيزٍ غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حجبنى . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبوالدرداء: من يَغْشَ سُدَدَ السلطان يقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا فُتُحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجُنّة أستنيم اليها ، وقد ولّيتك بابى ، فما تراك صانعا برعيتى ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم فى إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضعَ استحقاقهم وأرتّبهم حيث وَضعهم ترتيبُك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغَهم عنك . قال : قد وفّيتَ ما لك وما عليك إن صدّقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت فى التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدّمن مستغيثا ولا تضعنّ ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنّ ذا ضعة بسهولته . وضَع الرجالَ مواضعَ أخطارهم ، فمن كان مقدَّما له الشرفُ ممن آزدرَعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدّم فلم يصُن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعْه تمـيرا له فألحق بآبائه مهلة سبقهم فى خواصهم ، وألحق به فى خاصته ما ألحق بنفسه . لاتأذن له إلا دُبُرا ولا تأذن له إلا سِرَارا . وإذا وِرد عليك كتاب عامل من عُمّالى فلا تحبسـه عنى طرفةَ عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الىّ فيها ، وإن أتاك مدّع لنصيحة فاستكتبْها سرّا ثم أدخِلْه بعد أن تستأذن له . حتى اذا كان منى بحيث أراه فادفع الىّ كتابه ، فان أحمدتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ ، ولا ترفعنّ الىّ طِلْبة طالب إن منعتُه بخّلنى وإن أعطيته آزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن علىّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك؟ ثم استأذن له فان العلم كاسمه ، ولا تحجبن سَخْطةً ولاتأذنن رِضًا ، اخصُص بذلكَ المَلك ولا تخصّ به نفسَك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لاتحجبن عنّى أحدا إذا أخذتُ مجلسى ، فان الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عِىٍّ يكره أن يُطّلَعَ عليه منه ، أو ريبة ، أو بخل فيكره أن يدخُل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الورّاق فقال

إذا آعتصم الوالى باغلاق بابه * وردّ ذوى الحاجات دونَ حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربّما * نزعت بظنٍّ واقع بصـوابه
فقلت به مَسٌّ من العِىّ ظاهرٌ * ففى إذنه للنـاس إظهارُ ما به
فان لم يكن عِىّ اللسان فغالبٌ * من البخل يحمى ما لَه عن طِلَابه
فان لم يكن هـذا ولا ذا فريبةٌ * يصرّ عليهـا عنـد إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرْض المَلْك حاجبه
فبه تبدو محاسِنُه * وبه تبدو مَعايِبه

وقال آخر

كم من فتى تُحمَد أخلاقه * وتسكُن الأحرار فى ذمّتهْ
قد كثّر الحاجبُ أعداءَه * وسلّط الذمّ على نِعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة ابن حِصْن والأقرع بن حابس فخرج الآذنُ فقال : أين صُهَيب ؟ أين عمّار ؟ أين سلمان ؟ فتمعّرتْ وجوهُ القوم . فقال واحد منهم : لِمَ تتمعّر وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَا أعدّ الله لهم فى الجنة أكثرُ .

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنُه * على ما أرى حتى يخفّ قليلا
إذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجىء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك
فلو كنتَ بوّاب الجِنان تركتُها * وحوّلتُ رِجلى مُسرعا نحوَ مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عدتُ بعد اليوم إنى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغَى المكارمُ
متى ينجحُ الغادى اليك بحاجة * ونصفُك محجوب ونصفك نائم؟

وقال آخر

ولست بمُتّخذ صاحبا * يُقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألفيته غائبا
ويُلزم إخـوانَه حقّــه * وليس يَرى حقَّهم واجبا
فلستُ بلاقِيهِحتىالمماتِ * إذ أنا لم ألقَه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد فى حاجب الحجاج وكان يحجُبه دائما

ألا رُبَّ نصح يُغلَق البابُ دونَه * وغشٍّ إلى جنْب السرير يُقَــرَّب

وقال آخر

ماضاقت الأرضُ على راغب * يَطَّلِبُ الرزقَ ولا هاربِ
بل ضاقت الأرض علىطالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجب رجل عن باب سلطان فكتب اليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة والهمم القصيرة وابتذال الحُرية، فان نفسي والحمد لله أبيّة ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عنــد نازلة ولا استرقّها طمع ولا طُبِعت على طَبَع وقد رأيتك ولّيتَ عِرْضك من لايصونه ووصلت ببابك من يَشِينه وجعلت ترجمان عقلك من يُكثِر من اعدائك وينقص من أوليائك [ويسيء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك](١) ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصــديق منزلة، ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العليّ الى مرتبة الوضيع ويرفع الدنيّ الى مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البَذاذة ويميل الى ذى اللبــاس والزينة ويقدّم على الهوى ويقبل الرُّشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعــاله * إلّا تَجَنُّبَ كلّ أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذنَ الغداءُ برغم أنف الحاجب

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وهذا ضدّ قول الآخر

إذا تغــدّى فــتر بوّابه * وآرتدّ من غير يدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُحْتَسى * عيــالُه طــرًّا وأصحــابُه

وقال آخر

يا أمــيرا على جَرِيب من الأر * ض له تسـعة من الحُجّاب
قاعدا فى الخراب يُحجَب عنه * ما سمعنا بحاجب فى خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * حُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائى

يا أيهــا الملك النــائى برؤيته * وجودُه لمُــراعى جوده كَثَبُ
ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لى أملا * إن السماء ترجّى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجَّبٍ حاولتــه فوجدته * نجما عن الركب العُفَاة شَسُوعا
أعدمتُه لمــا عدمت نوالَه * شكرى فرُحْنا معدَمِيْن جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالبــاب أمس القعودا * وجُفينــا به جفاء شــديدا
وذممنــا العبيــد حتى إذا نحــ * ــن بلْونا المولى عذرنا العبيــدا

وحُجب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبِّــلة قوما فأنت لهــا نُبْل
فلا ترتفع عنــا لشيء وَلِيتَه * كما لم يصغِّر عندنا شأنَك العزل

وكتب رجل من الكتاب فى هذا المعنى الى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وأَرْتَبَتْ بك دِيَمُها إن[1] أكثر مايجرى فى الظن بك بل فى اليقين منك أنك أملَكُ ماتكون لِعنانك أن يَجْمَح بك ولنفسك أن تستعلىَ عليك اذا لانتْ لك أكنافُها [وٱنقاد[2] فى كفّك زمامُها لانك لم تنَل مانلتَ خَلْسًا ولا خَطْفا، ولا عن مقدار جَزَفَ اليك غيرَ حقك وأمال نحوك سوى نصيبك . فان ذهبتَ الى أن حقك قد يحتمل فى قوّته وسعته أن تضمّ اليه الجَفْوة والنَّبْوة فيتضاءل فى جنبه و يصغر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك . وٱيْمِ الله لولا مابُليتْ به النفس من الظن بك وأنّ مكانك منها لايسدّه غيرُك نسختْ عنك وذهلتْ عن إقبالك و إدبارك ولكان فى جفائك مايردّ من غِرّتها و يبرّد من غُلتها ، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك» .

أبو حاتم عن العتبىّ قال : قال معاوية لِحُضَين بن المنذر وكان يدخل عليه فى أخريات الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحْسَن إذنُك . فانشأ يقول

كل خفيف الشأن يسعى مشمِّرا * إذا فتح البوّاب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً * وحلما الى أن يفتح الباب أَجْمعا

وقال بعض الشعراء فى بشر بن مروان

بعيدُ مردِّ العين ما ردّ طرفَه * حِذَارَ الغواشى بابُ دار ولاستْرُ
ولو شاء بشر كان من دون بابه * طَمَاطمُ سودٌ أو صقالبةٌ حمرُ
ولكن بشرا يَسَّرَ البابَ للتى * يكون له فى غِبِّها الحمدُ والأجر

وقال بشر

فلا تبخلا بخل ٱبن قَرْعة إنه * مخافةَ أن يُرجى نَداه حزينُ

---

(١) كذا بالأصول التى بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) كل مابين هذين القوسين المربعين غير موجود بالنسخة الفتوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئتَه فى العُرف اغلق بابه * فلم تلقَه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين

وقال ابن هَرْمة يمدح

هشٌّ اذا نزل الوفودُ ببابه * سهل الحجاب مؤدَّب الخدّام
و إذا رأيتَ شقيقه وصديقه * لم تدرِ أيُّهما أخو الا رحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب اليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعْذر تعلّل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عِكْراش]

و إنى لأَرْثِى للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبهْ
وأرثى له من مجلس عند بابه * كمَرْثِيَتِى للطِّرْف والعِلْجُ راكبه

وكتب عبد الله بن أبى عيينة الى صديق له

أتيتك زائرا لقضاء حق * فحالَ السِّتْر دونك والحجاب
ولست بساقطٍ فى قِدْر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذُّباب

أبوحاتم عن عبدالله بن مصعب الزبيرى قال: كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون لذوى الهيئات والشارات وأعرابى يدنو فكلما دنا طُرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذِننا يَعْتَام بِزَّتَنا * وليس للحسب الزاكى بمُعْتَام
ولو دُعينا على الأحساب قدّمنى * مجدٌ تليد وجَدّ راجح نامى
متى رأيتَ الصقور الجُدْلَ يَقْدُمُها * خِلْطان من رَخَمٍ قُرْع ومن هَامِ

دخل شَريك الحارثى على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلى من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرتَ فى الوجوه ، وأعرف آسمك فى الأسماء إذا ذُكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكُرْ لى اسمك تجتمعْ معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن للآخر فدخل عليه فجلس فوقَ صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم ، و إنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مِجْلَز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبِل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر اليه وقال : إنى لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتنى .

قال أشجع السلمى يذكر باب المَنْصُور(١) بن زياد

على باب آبن منصورٍ * علاماتٌ من البـذل
جماعاتٌ وحَسْب البا * ب فضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوّذ بالله من قَرَع الفِناء ومن قرع المُراح . وقال بعض الشعراء

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابكَ مَجْمَعُ الأسواق
أرَجَوك أم خافوك أم شَامُوا الحَيَا * بحَرَاك(٢) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم النـاسُ على بابه * والمَشْرَعُ العذبُ كثير الزحامْ

(١) هكذا فى النسخة الألمانية . وفى الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما فى الكامل للبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » فى البيتين . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن النَّدَى حيث ترى الضِّغَاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء
يسقط الطيرُ حيث يَنْتثِر الحبُّ * وتُغشى منازل الكرماء

دقّ رجل على عمر بن عبد العزيز[1] الباب فقال عمر: من هذا ؟ قال أنا . قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شَبِيب بن شَيبة من دار الخلافة يوما فقال له قائل : كيف رأيت الناس؟ فقال : رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية

إذا ٱشتدّ دونى حجابُ ٱمرئ * كفيتُ المؤونة حُجّابَه

حُجب أعرابى على باب السلطان فقال

أُهينُ لهم نفسى لأُكرِمَها بهم * ولا يُكرِم النفسَ الذى لا يُهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم * نُتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت البابَ أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدى[2]

أبلغْ أبا[3] مالك عنى مُغَلغَلة * وفى العتاب حياةٌ بين أقوام

(١) فى النسخة الفتواغرفية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزمّانى .

(٣) كذا بالأصل و يوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للمرتضى : أبا مسمع

أدْخلتَ قبلىَ قوما لم يكن لهمُ * من قبلُ أن يلجُوا الابواب قدّامى
لو عُدّ بيتٌ و بيتٌ كنتُ أكرمهم * بيتـا وأبعدَهم من منزل الذّام
فقد جَعلتُ إذا ما حاجتى نزلت * ببـاب دارك أدلُـوها بأقـوام

التلطف فى مخـاطبة السلطان
و إلقاءِ النصيحة إليه

العتبى قال قال عمرو بن عُتْبة للوليد حين تنكّر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُنطقنى بالأنس بك وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك . وأراك تأمن أشياءَ أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا؟ أم أقول مشفقا؟ فقال : كلٌّ مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه . ونعود فنقول : فقتل بعد أيام .

وفى إلقاء النصيحة إليه : قرأت فى كتاب للهنـد أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبـة فى الحقير الصغير فكيف الجليلَ الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسـوء موقعُه من الأسماع والقلوب فى جَنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقُمه لكان خرقا منى أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا الى أن بقاءنا [موصول] (١) ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدّا من أداء الحق اليك وإن أنت لم تسئلنى [أو خفتُ ألّا تقبل منى] (١) ، فانه يقال : من كتمَ السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد خان نفسَه .

الخفوت فى طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إنى قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعدّ لك منّى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مَشحُوذا على عدوّك فاذا شئت فقل .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وفى مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى آغدُ علىّ غدا لكذا . فقلت : أنا والصبح كفرسَى رِهان . وفى مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال له : أنا أطْوَع لك من اليد وأذل لك من النّعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرِّداء وأذلّ لك من الحِذاء .

التلطّف فى مدحه

قال خالد بن عبد الله القَسْرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته، فانك قد زنتها، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل

وإذا الدُّرّ زان حسنَ وجـوه * كان للدرّ حسنُ وجهك زَينا

فقال عمر : أُعطِى صاحبُكم مَقُولا ولم يُعط معقُولا .

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأَورد وأصدر عن رايك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطُه الرأى على الهوى فيك بعد أن ميَّل بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوا الى غايتك فأسقطهم مضمارُك وخَفّوا فى ميزانك ولم يزدك رفعةٌ إلا آزددتَ لله تواضعا، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له هيبة وإجلالا، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عُزوفا، ولا تقريبا إلا ازددت من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إيثار حقّه عن الأخذ لها بحقها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها، ولا الجَذَل بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وإمعان النظر فى عواقبها» .

وفى مدحه : دخل العُمَانى الراجز على الرشيد لينشده وعليه قَلَنسُوة طويلة وخُفّ ساذَج، فقال له الرشيد : ياعمانى، إياك أن تنشدنى إلا وعليك عِمامة عظيمة الكَوْر

وخفّان دلقان[١] فبكّر إليه من الغد وقد تَزيّا بزِيّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال : يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروان ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المنصور ثم المهدى . كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلت أيديهم وأخذت جوائزهم، الى كثير من أشباه الخلفاء وكِبار الأمراء والسادة والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى مَنظَرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفّا ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين . فأعظَم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفى المديح : كتب الفضل بن سهل الى أخيه الحسن بن سهل فقال : «إن الله قدجعل جَدّك عاليا وجعلك فى كل خير مُقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيرّك، وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا، وقدجدّد لك من البِرّ كيت وكيت . وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .

وفى مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى ، ولكنّى أستحسن قول العتّابىّ

ما ذا يَرى قائلٌ يثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهير
فُتَّ المدائحَ إلا أن ألسُننا * مُستَنطَقات بما تخفى الضمائير
[[٢]فى عترة[٣] لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتّاب ولم تُقضَ المَشاعير
هذى يمينك فى قُرباكُ[٤] صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدِّلَقم كما فى القاموس دويبة كالسَّمُّور. وفى العقد الفريد «دَلِقان». وفى البيان والتبيين « دُمَالقَان » والدمالق الحجر الأملس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الأصل « عبرة » بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغانى .

(٤) فى الأصل « جدواك مائلة » والتصحيح عن الأغانى .

وفى مدحه : كتب بعض الكتّاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المُثني عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحَقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد فى فضلك عونا على تجاوزها . ومن سعادة جَدك أن الداعى لك لا يعدَم كثرةَ المشايعين ومساعدةَ النّية على ظاهر القول » .

وفى مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرةُ المنصتين له ، ومما يبسط لسان مادحك أمنُه من تحمّل الإثم فيه وتكذيبِ السامعين له » .

وفى مثل ذلك : لمّا عقَد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرو ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : « أما بعد فان يزيد ابن معاوية أملٌ تأمُلونه وأجل تأمَنونه ، إن ٱستضفتم إلى حِلمه وَسِعكم ، وإن ٱحتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن ٱفتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَذَعٌ قارحٌ سُوبق فسبق ومُوجِد فمَجَد وقُورِع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه» فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفى مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير، أسكَتَنى عن وصفك تَساوِى أفعالك فى السودد وحيّرنى فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختُها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها، فلست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عليك ، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتَها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشىء يتغلغل فى معدِنه ويحِنّ إلى عنصره ، فاذا صادف مَنبِته ولُزَّ فى مغرسه ضرب بعِرقه وسَمَق بفرعه وتمكّن تمكُّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمُخبر عن ضوء النهـار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث انتهى بىَ القول منسوبٌ الى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك الى الدعاء لك، ووكَلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفى مثله كتب العتّابى الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلَفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك، المسدودُ بك ثَلْمُهم والمُجدَّد بك قديمُ شرفهم والمنبّه بك أيامُ صيتهم والمنبسِط بك [آمالُنا والصائربك أَكالُنا والمأخوذ بك] (١) حظوظنا، فانه لم يخمُل من كنت وارثه، ولا درَست آثارُ من كنت سالك سبيله ولا آمّحتْ معاهد من خلَفته فى مرتبته » .

وفى شكره : قرأت فى التاج قال بعض الكتّاب للملك : « الحمد لله الذى أعلقنى سببا من أسباب المَلِك ورفع خسيستى بمخاطبته وعزّز ركنى من الذّلة به وأظهر بَسْطتى فى العامّة وزيّن مقاومتى فى المشاهدة وفقَأ عنى عيونَ الحَسَدة وذلّل لى رقاب الجبابرة وأعظم لى رغبات الرعيّة وجعل لى به عقِبا يُوطأ وخطرا يُعظَم ومزية تحسُن، والذى حقّق فىّ رجاء من كان يأملنى وظاهر به قوة من كان ينصرنى وبسط به رغبة من كان يسترفدنى، والذى أدخلنى من ظِلال الملك فى جَناح سترنى، وجعلنى من أكافه فى كَنَف آتسع علىّ » .

وفى شكره وتعداد نِعَمه : قرأت فى سير العجم أن أردشير لمـا استوسَق له أمرُه جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفـة والطاعة وحذرهم المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخرّ القوم سُجّدا وتكلّم متكلّمهم مجيبا فقال : « لا زلت

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

أيها الملك محبُوّا من الله بعزّة النصر ودَرَك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت نتابَع لديك النعم وتُسبَغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التى يُؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتُها فى دار القرار التى أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلْفى عنده والحُظْوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاءَ الشمس والقمر زائدين زيادةَ البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلّها فى عُلوّك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عَمّنا عمومَ ضياء الشمس ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فجمعتَ الأيدى بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألّفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحَنَ والحسائكَ بعد آستعار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرَك بوصف ولا يحدّ بتَعداد ، ثم لم ترضَ بما عمّمتنا به من هذه النّعم وظاهرت من هذه الأيادى حتى أحببتَ توطيدها والاستيثاقَ منها وعملت لنا فى دوامها كعملك فى إقامتها وكَفَلت من ذلك ما نرجو نفعه فى الخُلوف والأعقاب ، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلُغ همَم الآباء للأولاد ، فجزاك الله الذى رضاه تحرّيتَ وفى موافقته سعيت أفضلَ ما التمستَ ونويتَ» .

وفى مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : «قدمتَ فأعطيت كُلّا بقسطه من نظرك ومجالسك وصِلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد» .

وفى شكره : كتب بعض الكتّاب الى الوزير يشكر له : « من شكر لك عن درجة رفعتَه اليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتَها وحُشاشة تبقّيتها ورمقٍ أمسكت به وقمت بين التلف وبينه » .

وفى شكره : قرأت فى كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهى إليه ومدًى تُوقف عنده وغاية فى الشكر يسمو إليها الطَّرْف خلا هذه النعمةَ التى فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَنا جمّة أبقتْ للماضين مِنّا وللباقين فخرَ الأبد وردّت عنا كيد العدوّ وأرغمت عنا أنف الحسود وبسطت لنا عزا نتداوله ثم نخلفه للأعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين الى ظلّ ظليل وكَنَف كريم وقلب عطوف ونظر رءوف، فكيف يشكر الشاكر منا وأين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدّى ما يلزمنا ونقضى المفترَض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذى لو لم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامتــه وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان فى ذلك ما يحسّن الشكر ويستفرغ المجهود » .

التلطف فى مسئلة العفو

قال كسرى لبوشت المغنىّ وقد قتل فهلوذ (*) حين فاقه وكان تلميــذَه : « كنتُ أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرَ تمتّعى حسدُك ونَغَلُ صــدرِك » ثم أمر أن يلقَى تحت أرجلِ الفِيَلة فقال : أيهــا الملك إذا قتلتُ أنا شــطرَ طربك وأبطلتُه وقتلتَ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتى عليه ؟ قال كسرى : دعوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جُعل له من طول المدّة .

وفى العفو أيضا . قال رجل للمنصور : «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله من أن يَرْضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين» .

وفى العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام اليه رجل منهم فقال : أيها الأمير إن لى عليك حقا . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوما فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُــد الله رجلا سمع ذاك إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلّوا

(*) فى الأغانى ج ٥ ص ٥٨ : الفهليذ .

عنه. ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال : لقديم بغضى إياك . قال : و يخلّى هذا لصدقه .

وفى العفو: أسر معاوية يوم صفّين رجلا من أصحاب علىّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فانها مصيبة . قال : وأيّةُ نعمة أعظمُ من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى . اضربا عنقه . فقال : اَللهم اشهدْ أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لأنك ترضى قتلى، ولكن قتلنى فى الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فان فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببتَ فأوجعت فى السب ودعوتَ فأبلغتَ فى الدعاء . خلّيا سبيله .

وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .

يدى يا أمير المؤمنين أُعيذُها * بعفوك أن تلقى مكانا يَشينُها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبةً * إذا ما شِمالى فارقتْها يمينُها

فأبى إلّا قطعه، فدخلت عليه أمّه فقالت : يا أمير المؤمنين، واحِدى وكاسِبى . فقال : بئس الكاسب ! هذا حدّ من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها . فعفا عنه .

وفى مثله : أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليُضرب به ضرط الشأمى فوقع العمود بين يدى الغلام ونفَرت دابة عبدالله فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت اليه وقال : أصلح الله الأمير! رأيتَ ضرطة قطُّ أنجتْ من الموت غير هذه ؟ قال : لا، [قال] (١) هذا والله الإدبار . قال : وكيف ذاك ؟ قال : ماظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .

(١) زيادة يعينها السياق .

وفى مثله : خرج النعمان بن المنـذر فى غِبِّ سماء فمرّ برجل من بنى يَشْكُر جالسا على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكرى : أليس ٱبن سَلْمى ؟ قال، : نعم . قال : والله لربمـا أمررتُ يدى على فرجها . قال له : ويحك، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتُك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيَّوْه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيتَ اللعن ، إنك والله ما رأيتَ شيخا أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعضّ ببَظْر أمه من شيخ بين يديك . فقـال النعمان : دَعُوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيـ * ـم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعـاقِب فى اليسيـ * ـر وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعـرَف فضلُهـا * ويُخاف شدّةُ نَكْلِها

وفى مثله : لمّـا أخذ المأمون إبراهيم بن المهدى استشار أبا إسحاق والعباس فى قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك فى عظَم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعـلا، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عوّدك الله . وكان فى اعتذاره اليه أن قال : إنه وإن بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحِلْمُ أمير المؤمنين وفضـله يُبلغاننى عفوَه ولى بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن فى حق سببك (*) حقُّ الصفح عن جُرمك لبلَّغك ما أمَّلتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عنى المأمون صلةً لرحِمى ولا محبة لاستحيائى ولا قضاءً لحق عمومتى، ولكن قامت له سُوقٌ فى العفو فكره أن يُفسـدها بى . ومن أحسن ما قيل فى مثله قول العتّابى

رحَل الرجاءُ إليـك مُغـترِبا * حُشِـدت عليـه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية و فى العقد الفريد "نسبك" .

رَدّتْ إليــكَ ندامتى أمَــلى * وثنى إليكَ عِنــانَه شُكرى
وجعلتُ عَتْبَــك عتب موعظة * ورجاءَ عفوكَ مُنتهى عــذرى

وقول على بن الجَهْم للتوكل
عفــا الله عنك ألا حرمةٌ * تعوذ[1] بعفوك أن أُبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لأنت أجــلّ وأعــلى يدا
ألم تر عبــدا عــدا طوره * ومولًى عفا ورشيدا هدى
ومفســد أمر تلافيتَــه * فعــاد فأصلح ما أفسـدا
أقلْنِى أقالك من لم يزل * يَقِيك ويصرف عنك الردى[2]

وفى مثله . وَجِد بعض الامراء على رجل بجفاء واطّرحه حينا ثم دعا به ليسئله عن شىء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى أعتللتَ ؟ فقال
ما مسّنى سُقْــمٌ ولكنى * جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير[3]

فعاد له .

وقال آخر
ألا إن خير العفـو عفوٌ معجَّل * وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال : بحَسْب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفى العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيتَ وإن عفوت أحسنت والعفو أقرب للتقوى .

---

(١) فى الأصلين الفتوغرافى والألمانى «تجود» والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام فى ذاته مستقيم الوزن، وأورده صاحب العقد نثرا وبعده «وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلّا نظرتَ فى أمرى نظرمَن بُرْئى أحبُّ اليه من سُقْمى وبراءتى أحبُّ اليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة .

وفى مثله : أتى الأحنفُ ٱبن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم، فقال، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا فى باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا فى حق فالعفو يسعهم، فخلّاهم .

وفى مثـله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زِنْباع فقـال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تنقض منى مِرَّة أنت أبرمتهـا أو تُشمت بى عدوا أنت وَقَمْتَه[1] وإلّا[2] أتى حلمُك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

* إذا ٱلله سَنَّى عقدَ أمرٍ تيسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن . فقال له رَجَاء بن حَيْوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثـله : قال ابن القِرِّيَّةِ للحجاج فى كلام له : أَقِلْنِى عثرتى وأَسِغْنِى ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة . فقال الحجاج : كلّا، والله حتى أوردَك جهنم . ألست القائل برُسْتُقُبَاذ : تَغَدَّوا الجدىَ قبل أن يتعشّا كم .

وفى مثله : أمر عبدالملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين، إنك أعزَّ ما تكون أحوجُ ماتكون الى الله، فاعفُ له فانك به تُعان وإليه تعود . فخلّى سبيله .

(١) قهرته وأذللته .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفى مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذّبه به] (١) : إن القدرة تذهب الحَفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب، فان تعفُ فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا . فقال [أولى لك] (١) أمّا حتّى تأتى الشأم راجلًا فلا عفو .

وفى مثله : ضرب الحجاج أعناق أَسَارى أُتى بهم، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ فى المكافأة . فقال الحجاج : أفٍّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفَّ عن القتل .

وفى مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلقَ بأطرافك وأقول أى ربِّ سلْ مصعباً فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبتَ لى من حياتى فى خَفْض . قال أعطوه مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى، أُشهد الله أن لابن قيس الرُّقَيات منها خمسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من الله * تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتّقى الله فى الأمور وقد أفـ * ـلح من كان همَّه الاتقاءُ

فضحك مصعب، وقال : أرى فيك موضعا للصنيعة، وأمره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفى مثله : قال عبد الملك (٢) بن الحجاج التغلبى لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك من العراق . قال : كذبت، ليس إلينا هربتَ، ولكنك هربت من دم الحسين وخفتَ على دمك فلجأت الينا . ثم جاء يوما آخر فقال

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمنى وتَرْثِى خَلّتى * وأراك تدفعنى فأين المَدْفع

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربتى أفِرّ إليهم * فهـمُ كربتى فأين الفرار

وفى مثله : قَنَّع الحجاجُ رجلا فى مجلسه ثلاثين سوطا وهو فى ذلك يقول

وليس بتعزير الأمير خَزَايةٌ * علىّ إذا ما كنتُ غير مُريب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين وفعـله * لكالدهر، لاعارٌ بما فعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للوَلىّ : يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله ، وأنت تقتله متعمدا، فانظر لنفسك. قال : قد تركته لله .

وفى مثله . حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : رُمِى الحجاج فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأُخذ فأُدخل عليه وقد ذهبتْ روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكى الحجاجَ : أنت الرّامينا منذ الليلة ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال، ما حملك على ذلك ؟ قال : العىّ[(١)] واللهِ واللؤم . قال : خلّوا عنه . وكان إذا صُدِق انكسر

وفى مثله : حدّثنى أبو حاتم عن الاصمعى عن عثمان الشحّام قال : أُتى الحجاج بالشَّعبى فقال له : أخرجتَ علينا يا شعبي؟ قال : أجدب بنا الجنابُ وأَحزن بنا المنزلُ واستحلَسْنا الخوفَ واكتحلنا السهرَ وأصابتنا خَزْية لم نكن فيها بَرَرةً أتقياء ولا فَجَرة أقوياء . فقال الحجاج : لله أبوك . ثم أرسله .

(١) كذا بالأصل ولعله الغى .

وفى مثله: أُتى موسى بن المهدى برجل كان قد حبسه فجعل يُقَرِّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقرّعنى به ردٌّ عليك وإقرارى بما تعتدّه علىّ يُلزمنى ذنبا لم أجنه، ولكنى أقول

فان كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً * فلا تَزْهَدَنْ عند المعافاة فى الأجر

وفى مثله: قال الحسن بن سهل لنُعَيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظّمه: على رِسْلك أيها الرجل، تقدّمتْ لك طاعةٌ وتأخرتْ لك توبة، وليس لذنب بينهما مكان، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو.

وفى الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إنى لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقَى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت(١) أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظّم من أمره، غير أنى أسأل الله الذى لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه مما تبلغه نيتى فى إرادته للأمير أدنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه».

وفى الدعاء له: قرأت فى كتاب رجل من الكتّاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلُغه وأملٍ فيك تُحقّقه حتى تُمَلّى من الأعمار أطْولها وترقَى من الدرجات أفضلَها».

وفى الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قُبضت ضِياعُه فقال: السلام عليك أميرَ المؤمنين. محمد بن عبد الملك سَليل نِعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دَوحتك، أتأذن له فى الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمتع الله حِيَاطة ديننا ودنيانا ورعايةِ أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك

(١) فى النسخة الفتوغرافية «لاجتنبت» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلّك الهارب الى كَنَفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلّم فى حاجته .

وفى شكر السلطان وفى حمده : قدِم رجل على سليمان بن عبد الملك فى خلافته فقال له : ما أقْدمك علىّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمنى عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت الينا وفاضت فى رِحالنا وتناولهَا الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرَّهبة فقد أَمِنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسنِ سِيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفى حمده : كتب بعض الكتّاب الى وزير : « كلُّ مَدًى يبلغه القائلُ بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكُرُ للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَمٌ عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّتات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدىَ الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمّنتَ سَرْب البرىء وخفضت جاشه وأخَفْتَ سُبُلَ الجانى وأخذتَ عليه مذاهبه ومطالعه ووقفتَ بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أَمنوا بها من العِثّار والكبوة » .

وفى حضه على شكر الله عز وجل ، قال شبيب بن شيبة للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضَ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان، ويتلوه فى الجزء الثانى كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعيّ عن يحيي بن أبي كَثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَمَنَّوْا لقاء العدوّ فعسى أن تُبتلَوْا بهم ولكن قولوا اللهمّ اكفِنا وكُفّ عنا بأسهم ، وإذا جاءوكم يَعْزِفون ويزحَفون ويصيحون فعليكم الأرضَ جلوسا ، ثم قولوا : اللهم أنت ربّنا وربُّهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، فاذا غَشُوكم فثوروا فى وجوههم» .

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عمن حدّثه أنّ أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صالح قبلَ الغزو فانما تقاتِلون بأعمالكم .

حدّثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع (1) عن ابن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيح قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وامضُوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتِلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبُنوا عند اللقاء ولا تمثّلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقَّوا قتلهم إذا التقى الزَّحْفان وعند

---

(١) فى الألمانية "الحكم" .

حُمَّة النَّهَضات[1] وفى شنّ الغارات. ولا تَغُلُّوا عنـد الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عرَض الدنيا وأبشروا بالرِّبَاح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكثم بن صَيْفِىّ فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال : أقلُّوا الخـلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصِّياح من الفشل والمرء يعجِز لا محالة. تثبّتوا فان أحزم الفريقين الرَّكين، ورُبَّتَ عَجَلةٍ تُعقب رَيْثا، وآتَّزروا للحرب وادّرعوا الليل فانه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختُلِف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى (يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَـةً فَٱثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُـولَهُ وَلَا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأوزاعىّ قال، قال عُتْبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعنى أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم — جُثِيًّا على الرُّكَب كأنهم خُرْس يتلمّظون تلمّظ الحيّات . قال : وسمعتهم عائشـة يُكبِّرون يوم الجمَل فقالت : لا تكثروا الصياح فان كثرة التكبير عند اللقاء من الفشَل[2] .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبىّ عن أبى إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجّهه الى الشـام فقال : يا يزيدُ سِرْ على بركة الله . فاذا دخلتَ بلاد العدوّ فكن بعيـدا من الحَمْلة فانى لا آمن عليك الجَوْلة . وآستظهر بالزاد وسِرْ بالأدلّاء ولا تقاتِل بمجروح فانّ بعضه ليس منه، وآحترس من البَيَات فانّ فى العرب

(١) أى شدّتها ومعظمها . (٢) فى الفتوغرافية «القتال» .

غِرّة، وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعى عنك. وإذا أتاك كتابى فأنفذه فانما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وآمنع النـاس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلِحّنّ فى عقوبة [١][فان أدناها وجع] ولا تسرعنّ اليها وأنت تكتفى بغيرها. وآقبل من الناس علانيتهم وكِلْهم الى الله فى سرائرهم. ولا تَجَسَّسْ عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسدَه. وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

[١][قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه الى عُمَان : يا عكرمة سِرْ على بركة الله ولا تَنزل على مستأمن ولا تؤمّنن على حق مسلم وأَهْدر الكفرَ بعضه ببعض. وقدّم النُّذُرَ بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا فى عقوبة ولا عفو. ولا ترجُ إذا أُمِّنت ولا تخافنّ إذا خُوّفت ولكن آنظر متى تقول وما تقول. ولا تعدنّ معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمِّنن شريفا دون أن يُكفَل بأهله ولا تُكفلنّ ضعيفا أكثر من نفسه. وآتق الله فاذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح[٢] أميرَ سَرِيَّة الى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحا تَجَر، وإلا احتفظ برأس المـال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوّك أشدّ حذرا من احتيال عدوّك عليك.

وحدّثنى محمد بن عبيد عن آبن عيينة قال : أخبرنى رجل من أهل المدينـة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمرو بن العاص: «إذا بعثتك فى سرية فلا تَنَقَّهم وآقتطعْهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية.

(٢) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمـانية وفى العقد الفريد «مروان».

حدّثنى محمد بن عبيد [عن ٱبن عيينة][1] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمَير قال : غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : «لا يغزوَنّ معى رجل بنى بناء لم يكمله، ولا رجل تزوّج امرأة لم يَبْنِ بها، ولا رجل زرع زرعا ثم لم يحصُده» .

[1][وذكر ابن عباس عليا فقال : ما رأيت رئيسا يوزَن به . لَرأيتُه يوم صِفّين وكأنّ عيينه سِراجا سَليط وهو يحمّس أصحابه الى أن ٱنتهى إلىّ وأنا فى كَثْفٍ[2] فقال : معشرَ المسلمين، استشعِروا الخشية وعنُّوا[3] الأصوات وتجلببوا السكينة وأكملوا اللُّؤَم وأخفوا[4] الجون وقلقلوا السيوف فى اغمادها قبل السَّلّة وٱلحظوا الشَّزْر وٱطعنوا النَّبْر[5] ونافِحُوا بالظُّبا وصِلُوا السيوف بالخُطَا والرماحَ بالنَّبْل وٱمشوا الى الموت مشيا سُجُحا . وعليكم بهذا السواد الأعظم والرِّوَاق المطنَّب فٱضربوا ثَبَجَه فان الشيطان راكد فى كِسْره نافج خُصْيَيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوَثْبة يدا وأخّر للنُّكوص رجلا] .

ولما ولّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما، وقد استكفيتُك صغيرا فلا تتكلنّ على عذر منى فقد اتكلتُ على كفاية منك . وإياك منّى قبل أن أقول إياى منك، فانّ الظن إذا أَخْلف فيك أَخْلف منك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسك ، وكن لنفسك تكن لك، واذكر فى يومك أحاديث غدك ترشُدْ إن شاء الله .

قال الأصمعى قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيّار الليثى : ينبغى للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى اليه سرّه، وحصن يلجأ اليه إذا فزع فينجيه — يعنى فرسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خَوْنه،

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الأصل «كنف» وهو تحريف والكثف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أى الحبس والأسر أى ٱحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده فى نهج البلاغة ولعله «أخفّوا الخوذ» جمع خوذة أى اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم فى الحرب . (٥) يقال طعن نبر : مختلَس كأنه ينبِر الرمح عنه أى يرفعه بسرعة . وفى نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشزر .

وذخيرة خفيفة المحمَل إذا نابتــه نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همّه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغنى عن عبّاد بن كثير عن عُقَيل [بن خالد](١) عن الزُّهْرى(٢) عن عبيد الله بن عبد الله عن ٱبن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غُلِب قوم قطّ يبلغون اثنى عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين : لن نُغلب اليوم عن قلّة . وكانوا اثنى عشر ألفا فهُزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ الآية)](١) .

وقالوا كان يقال : ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البغى، قال الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنَّكثُ، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وقرأت فى كتاب للهند : لا ظَفَر مع بَغْى، ولا صحّة مع نَهَم، ولا ثناء مع كِبْر، ولا صداقة مع خَبّ، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرّ مع شُحّ، ولا ٱجتنابَ مُحرّم مع حرص، ولا محبة مع زهو(٣)، ولا ولاية حُكم مع عدم فِقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودَد مع انتقام، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمّه ذلك فقيل له : ما يُهمّك منهم؟ وجّهْ اليهم وَكيع بن أبى سُود فانه يكفيكهم . فقال : لا ، إنّ وكيعا رجل به كِبْر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّتْ مبالاته بعدوّه فلم يحترس منه فيجد عدوّه منه غِرّة .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى وفى النسخة الألمانية : الزبيرى والصواب الأوّل فان المعروف فى كتب طبقات المحدّثين أن عقيل بن خالد يروى عن الزهرى والزهرى يروى عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) فى الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت فى بعض كتب العجم أنّ ملكا من ملوكهم سئل : أىّ مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبـار وإفشاء الغَلَبـة وإظهار السرور وأمانة الفَرَق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغشّ ولا تحويل شىء عن شىء إلا بسـدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم فى القتال فقال : مخاتلة العدوّ عن الرِّيف وإعداد العيون على الرَّصَد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب وألا تُخرِج هاربا الى قتال ولا تُضيِّقَ أمانا على مستأمِن ولا تَشِبَّ عن أصحابك للبُغْية ولا تَشْدَهنّك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت فى كتاب للهند : الحازم يحـذر عدوّه على كل حال . يحذر المواثبة إن قَرُب، والغارة إن بَعُد، والكمينَ إن انكشف، والاستطراد إن ولّى، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ماوجد بُدًّا لأن النفقة فيه من الأنفُس والنفقة فى غيره من المـال .

وقرأت فى الآيين : قد جرت السنة فى المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر فى المَيْسرة ليكون لقاؤه يَسْرا ورميه شَزْرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدُما وترك ذلك على حال مُمَايلة أو مُجانَبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان (١) فان زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . (٢) [وإذا عَمِىَ الجند فليناوِش أهل الميمنة والمـادّتان فأما الميسرة] فلا يَشُذنّ منهم أحد إلّا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف بائقته فيردّون عاديتهم مع أنّ أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمـانية وفى الفتوغرافية هكذا ''المـاذيان'' ولم نوفق الى تصو يبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمـانية .

الا مائلين و يعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يألُوَنّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جندُه عينَ الشمس والريح، ولا يحاربَنّ جندا الا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدٌّ ، فاذا كان كذلك فليَجْهَد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهـار. وينبغى على كل حال أن يخلَّى بين المنهزمين وبين الذهاب ولا يُحبسوا. وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدوّ أن ينالوا من المـاء فليس من الرأى أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُحْرجوا الى الجدّ فى محاربتهم. وإن كان العدوّ قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند ريّ العدوّ من المـاء وسقيهم دوابَّهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أَسْلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشدَّ ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولْتَسِر الطلائع فى قرار من الأرض ويقفوا على التّلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها. وليكُن الكمين فى الخَمَر والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكَ فى المواضع التى يتخوف فيها البياتَ. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان فى انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من فى الجند من المقاتِلَة مجرَّبين ذوى حُنْكة وبأس فبِدَارُ العـدوّ الجند الى الوقعة خير للجنـد . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بدّ فبِدَار الجند الى مقاتلة العدوّ أفضل للجند . وليس ينبغى للجند أن يقاتلوا عدوّا إلا أن تكون عدّتُهم أربعة أضعاف عدّة العدوّ أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوّهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدوّ مثل نصف عدّتهم . وإن توسط العدوّ بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم، وينبغى أن يُنتخب للكمين من الجند أهلُ جرأة وشجاعة وتيقّظ وصَرَامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يَصْهل ولا يغنث(١)، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى، قريبة من

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية "يعنت". ولعل الصواب ينهت كيضرب والنهات النفس بأنين وهو الزحير .

المـاء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروِيّة والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضَريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المَكْمن متفرقين إذا ترك العدو الحراسة و إقامة الرَّمايا، و إذا أونس من طلائعهم توانٍ وتفريطٌ واذا أَمْرَجُوا دوابَّهم فى الرعى، وأشدَّ ما يكون البرد فى الشتاء وأشدَّ ما يكون الحر فى الصيف . وأن يرفضّوا و يفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن يستخبر بعضهم بعضا وأن يسرعوا الايقاع بعدوّهم و يتركوا التلبّث والتلفّت . و ينبغى للمبيّتين أن يفترصوا البيَات إذا هبَّت ريح أو أُونِس من نهر قريب منهم خريرٌ فانه أجدر ألا يُسمَع لهم حسّ . وأن يُتوخّى بالوَقْعة نصفُ الليل أو أشدُّ ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدوّ و بقيتهم حوله، ويبدأ بالوَقْعة من يصير منهم فى الوسط ليُسمع بالضجّة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُشرَّد قبل الوقعة الأَفْره فالأفره من دوابّهم و يقطّع أرْسَانُها وتُهمَز بالرماح فى أعجازها حتى تَحيرَ وتَعيرَ و يُسمع لها ضوضاء، وأن يهتِف هاتف و يقول : يا معشر أهل العسكر النَّجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . و يقول قائل : أيها الرجل استحيِْنى لله . و يقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوْه أوْه، ونحو هــذا من الكلام[(١)] . وليُعلم أنه إنما يُحتاج فى البيَات الى تحيير العدوّ و إخافته وليجتنبوا التقاطَ الأمتعة وآستياقَ الدوابّ وأخْذَ الغنائم . قال : و ينبغى فى محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدَر على استمالته من أهل الحصن والمدينـة ليُظفر منهم بخَصْلتين : إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتُهم و إفزاعهم بهم، وأن يُدسَّ منهم من يصغّر شأنهم و يؤيسهم من المَدَد و يخبرهم أن سرّهم منتشر فى مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن و يشار اليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأُخَر ذليلة ومواضع يُنصب المَجانيق

(١) فى النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة : وأنشد

فأوّه بذكراها إذا ماذكرتُها * ومن بعد أرض دونها وسماء

عليها ومواضع تُهيّأ العَرّادات لها ومواضع تُنقب نقبا ومواضع توضع السَّلالم عليها ومواضع يُتسوّر منها ومواضع يُضرم النار فيها ليملأهم ذلك رعبا، ويكتب على نُشّابة: إياكم أهلَ الحصن والاغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فان الزمان خبيث وأهله أهل غدر فقد خُدع أكثرُ أهل الحصن واستُميلوا، ويُرمى بتلك النّشابة فى الحصن ثم يُدسّ لمخاطبتهم المِنْطيق المُصيب الدّهىّ المُوارِب المخاتِل غير المِهْذار ولا المغفَّل. وتؤخّر الحرب ما أمكن ذلك فان فى المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فان كان لا بد من المحاربة فليحارِبوا بأخفّ العُدَّة وأيسر الآلة . وينبغى أن يغلب العدوّ على الأرض ذات الخَمَر والشجر والأنهار للعسكر ومصافّ الجنود ويُخلّى بين العدوّ وبين بساط الأرض ودَكادكها .

وفى بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشدّ الأمور تدريبا للجنود وشَحْذا لها، فقال: استعادة القتال وكثرة الظَّفر، وأن تكون لها موادّ من ورائها وغنيمة فيما أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظَّفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُناصبة، والتشريفُ للشجاع على رءوس الناس .

قال المدائنى [قال نصر بن سيّار](١) : كان عظماء الترك يقولون : القائد العظيم ينبغى أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان : شجاعة الديك، وتحنُّن الدجاجة، وقلب الأسد، وحَمْلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وخَتْل الذئب . وكان يقال فى صفة الرجل الجامع : له وَثْبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب](١) وجَمْع الذّرّة، وبُكُور الغراب .

وكان يقال : أصلح الرجال للحرب المجرِّب الشجاع الناصح .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى الأصمّ قال ، قيل لعمرو بن معاوية العُقَيلى وكان صاحب صَوَائف : بم ضبطت الصوائف؟ أى الثغور قال : بسَمَانة الظهر وكثرة الكعك والقَديد . وفى كتاب الآيين : ليكن أوّل ما تحمله معك خبزا ثم خبزا ثم خبزا . وإياك والمَفَارش والثياب . أبو اليَقْظان قال قال شبيب الخارجى : الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المَدَد ، يعنى الليل . وقيل لبعض الملوك : بيّتْ عدوّك . قال : أكره أن أجعل غَلَبتى سرقة .

المدائنى قال : لمـا اشتغل عبـد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتْك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم ، ودعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم . فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكا فقال : لا يكن العدوّ الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظَّنين الذى يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربمـا تخوّف الرجل السُّمَّ الذى هو أقتل الأشياء وقتله المـاء الذى يحيي الأشياء ، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التى تملكه ثم قتلته العبيد التى يملكها . فلا تكن للعـدوّ الذى تُناصِب بأحذرَ منـك للطعام الذى تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منـه نذيرَك وإن عظُم آمَنُ منّى من كل أمر عرّيتــه من نذيرك وإن صغُر . واعلم أن مدينتــك حِرْز من عدوّك ، ولا مدينةَ تحترز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمى أن خالد بن بَرْمك، حين فصل مع قَحْطَبَة من خراسان، بَيْنا هو على سطح بيت فى قرية قد نزلاها وهم يتغدّون نظر الى الصحراء فرأى أَقَاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة : أيها الأمير نادِ فى الناس : يا خيــل الله اركبى، فان العدو قد نَهَد اليك وحَثَّ، وغاية أصحابك أن يُسْرِجوا ويُلْجِموا قبل أن يروا سُرْعان الخيل، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد : ما هذا الرأى؟ فقال خالد : أيها الأمير لا تتشاغل بى وناد فى الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعَها حتى خالطت الناس! إن وراءها جَمْعا كثيفا . قال : فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلِموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد ٱصْطُلِم .

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : آمرك بالتقدّم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك فى غد كما تُعِدّ الســلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدرى لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعَــدَد الأيام وأنت لا تدرى لعلك لا تأكله . وكان يقال : كل شىء طلبته فى وقته فقد مضى وقته .

[وقرأت فى كتاب سير العجم أن فَيْرُوز بن يَزْدَجَرد بن بَهْرام لمّا ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطِلة ببَلْخ، فلما انتهى الى بلاده اشتدّ رُعب اخشــنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه فى أمره، فقال له رجل منهم : أعطنى موثِقا وعهــدا تطمئن اليــه نفسى أن تكفينى أهلى وولدى وتُحسن اليهــم وتَخْلُفَنى فيهم، ثم ٱقطعْ يدىّ ورجلىّ وأَلْقِنى على طريق فيروز حتى يمرّ بى هو وأصحابه فأكفيكَ مؤونتهم [وشوكتهم] وأورِّطهم مورِّطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار : وما الذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكنا فى ذلك؟ قال : إنى قد بلَغتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقِن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمرى بأفضل ما تُختَم به الأعمار من النصيحة لاخوانى والنكاية فى عدوّى فيشرُف بذلك عقبى وأصيب سعادة وحُظْوة فيما أمامى، ففعل به ذلك وأمر به فأُلق حيث وصف له .

فلما مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمل الى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغِرّته وقال : إنى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجُموا عليه فينتقم الله لى منه بكم، وليس فى هذا الطريق من المكروه الا تَفْوِيزُ يومين ثم تُفْضون الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤُه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيَّن لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتَل العطشُ أكثرهم ولم يخلُص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدّون لهم فواقعهم على تلك الحَالَة(١) وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يحُدّ فيما بينه وبين مملكته حدّا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك بخلّى سبيله وانصرف الى مملكته، فمكث فيروز بُرهة من دهره كئيبا ثم حمله الأَنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه الى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغى والغدر مع ما فى ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إنى إنما شرَطتُ له ألّا أَجُوز الحجر الذى جعلته بينى وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) فى الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

ليحمل على عَجَلة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك ، إنّ العهود والمواثيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مايُسِرّ المعطِى لها ولكن على مايُعلِن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهدَ الله وميثاقه على الأمر الذى عَرَفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى فى غَزَاته حتى انتهى الى الهياطِلة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلمه ، فخرج اليه فقال له اخشنوار قد ظننت أنه لم يدْعُك الى غزونا الّا الأنَف مما أصابك . ولعمرى لئن كنّا احتلنا لك بما رأيتَ ، لقد كنت التمستَ منّا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببغى ولاظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذى وكّدْتَ على نفسك ، أعظَمَ أنَفا وأشدّ امتعاضا مما نالك منّا ، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى ومَنَنَّا عليكم وأنتم مُشرِفون على الهلَكة وحقَنّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب الينا فيه والمريدَ لنا عليه ففكِّرْ فى ذلك وميِّل بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشدُّ عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَحْ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببُغْيته وٱستمكن منه عدوّه على حال جَهْد وضَيْعة منه وممن معه ، فمنّ عليهم وأطلقهم على شرط شرَطوه وأمر اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكروه القضاء وٱستحيا من النَّكْث والغَدْر أن يقال امرؤ نكث العهدَ وختَر الميثاق . مع أنى قد ظننت أنه يزيدك لجاجا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدّتهم وطاعتهم لك ، وما أجدنى أشكّ أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخُوصك بهم عارفون بأنك قد حملتَهم على غير الحق ودعوتَهم الى ما يُسخط الله ، فهم فى حربنا غير مستبصرين ونيّاتُهم فى مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قَدْر غَناء من يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايتُه فى عدوّه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فمع عار و إن قُتل فالى النار، فأنا أذكّرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمتى عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة و إشفائكم على الممات، وأدعوك الى ما فيه حظّك و رشدُك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوْا على ذلك فى كل ما أحبوه أو كرهوه، فأَحْمــدوا عواقبَه وحسُن عليهم أثرُه، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظَّفر بنا والبلوغ لنَهْمتك فينا و إنما تلتمس منا أمرا نلتمس منك مثله وتناوئ عدوّا لعله يُمنَح النصر عليك فقــد بالغتُ فى الاحتجاج عليك وتقدّمتُ فى الإعذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى آعتززنا به ووثِقْنا بما جعلتَه لنا من عهده إذا آستظهرتَ بكثرة جنودك وآزدهتْك عدّة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله ما كان أحد من نُصحائك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يَحْرِمنّك منفعتَها مَخْرُجها منى فإنّه لا يُزْرِى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قِبــل الأعداء كما لا يُحبّب المضارّ اليهم أن تكون على أيدى الأولياء. واعلم أنه ليس يدعونى الى ما تسمع من مقالتى ضعف أُحِسّه من نفسى ولا قِلّةٌ من جنودى، ولكنى أحببتُ أن أزداد بذلك حجّة وآستظهارًا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة آستيجابًا ولا أوثر على العافيــة والسلامة شيئا ما وجــدتُ اليهما سبيلًا، فأبى فيروز إلا تعلّقا بحجّته فى الحجر الذى جعله حدّا بينه و بينه وقال: لستُ ممن يردَعه عن الأمر يهمّ به وعيدٌ ولا يقتاده التهدّد والترهيب، [ولو كنت[1] أرى ما أطلبك غدرًا منى ما كان أحد أنظرَ ولا أشدَّ اتقاءً منّى على نفسى فلا يغرّنك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرّة الأولى من القلّة والجَهْد والضعف]. قال اخشنوار: لا يغرّنك ما تخدَع به نفسَك من حملك الحجر أمامك، فانّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصفُ من إسرار أمرٍ و إعلان آخر، إذًا ما كان ينبغى لأحد أن يغترّ بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، و إذًا لمــا قبل الناس شيئاً

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

مما يعطونه من ذلك، ولكنّه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقَد العهودُ والشروط له . فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة، وما رأيتُ للفَرَس الذى كان تحته نظيرا فى الدواب فانه لم يُزِلْ قوائمَه ولم يرفع حوافرَه عن موضعها ولا صَهَل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة فى طول ما تواقَفْنا . وقال اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كلّه فلم يحرّك رأسَه ولم ينزع رجله من ركابه ولاحَنا ظهرَه ولا ٱلتفت يميناً ولا شمالًا ، ولقد تورّكت أنا مرارا وتمطيتُ على فرسى وتلفّتُّ الى مَن خلفى ومددتُ بصرى فى أمامى وهو منتصبٌ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما أرادا بما وصفا من ذلك أن يَنتشر هذان الحديثان فى أهل عسكريهما فيُشغَلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز، فرفعها على رُمح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبَغيه ويخرجوا من متابعته، فانتقض عسكر فيروز وٱختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى ٱنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى قال : لا رادّ لما قُدّر، ولا أشدّ إحالةً لمنافع الرأى من ٱلهوى وٱللّجاج ، ولا اضيع من نصيحة يُمنَحُها من لا يوطّن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها، ولا أسرعَ عقوبة ولا أسوأَ عاقبة من البغى والغدر، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان: لما خرج شَبيب بن يزيد بن نُعَيم الخارجى بالموصل بعث اليه الحجّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قوّاد قتلهم وهزم جيوشهم وكان أحد القوّاد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفةَ وخرج الحجّاجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجّاجَ قبل

أن يصل الى الكوفة فأَقْحَم الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله ، ومرّ شبيب بعَتّاب بن وَرْقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيبٌ الكوفة وآلى ألّا يَبْرح عنها أو يَلْق الحجاج فيقتله أو يُقتل دونه ، فخرج الحجاج إليه فى خيله ، فلما قرُب منه عَمَد الى سلاحه فألبسه أبا الوَرْد مولاه وحمله على الدابة التى كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أرونى الحجاج ، فأومأوا له الى أبى الورد فحمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق فى دُجَيل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التى تختار للسـفر والحرب

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرىّ قال : كان أحبّ الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يعقد فيه رايتَه يوم الخميس ، وكان أحبّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخّر الحربَ ما آستطعت فان لم تجد بدّا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن عَوْن عن محمد آبن سيرين أنّ النعمان بن مُقَرِّن قال لأصحابه : إنى لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحبّ ما يَلْقَى فيه إذا لم يُلْقَ فى أول النهار إذا زالت الشمسُ وحلّت الصلاة وهبّت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يكره الحجامةَ والابتداء بعمل فى مُحاق القمر وفى حلوله فى برج العَقْرب . [وقال بعضهم (١) : كنت مع عمر آبن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدَّبَران فقلت : آنظر الى القمر ما أحسن آستواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك ، وقال : إنما أردتُ أن ننظر الى منزلته ، وإنّا

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

لا نقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهّار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غَرْس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وٱبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خِطَب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رَجاء قال : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول اذا ٱشتدّت حَلَقه البلاء وكانت الضَّيقَه : « تضيَّقى تفرَّجى » ثم يرفع يديه فيقول : «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ٱللهم كفّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدُّ بأسًا وأشدّ تنكيلا فما يخفِض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر .

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عُقْبَة عن سالم أبي النضر مولى عمر(١) بن عبيد الله وكان كاتبا له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أَوْفى حين خرج الى الحَرُورِيّة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقىَ فيها العدوَّ ٱنتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال : « لا تمنّوا لقاءَ العدو وٱسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاثبتوا وٱصبروا وٱعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف» ثم قال . «اللهمّ منزِل الكتاب ومُجرىَ السحاب وهازم الأحزابَ ٱهزمهم وانصرنا عليهم» وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا فى مثل ذلك فقال : «اللهمّ أنت ربُّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وٱنصرنا عليهم » .

حدّثني محمد بن عبيد قال : لما صافّ قتيبةُ بن مسلم التُّركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو فى أقصى الميمنة جانح على سِيَة(٢) قوسه

(١) كذا بالنسختين وهو عمرو بن عبيد الله كما فى تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما ٱنعطف من طرفيها .

يُنَضْنِض بإصبعه نحو السماء . فقال قتيبةُ : تلك الإصبع الفاردة أحبّ الىّ من مائة ألف سيف شَهِير وسنان طَرِير . فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطرق .

الصبرُ وحضّ الناس يوم اللّقاء عليه

حدّثنى سهلُ بن محمـد قال حدّثنا الأصمعىّ قال كان عاصم بن الحدثان رجلا من العرب عالمـا قديمـا وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربمـا جاءه الرسولُ منهـم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لأبنه : أنشـد أبا فراس فأنشده

وهمُ إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صُـبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يغشَوْن حَوْماتِ المنون وإنها * فى الله عنـد نفوسهم لصِغار
يمشون فى الخَطّىِّ لا يثنيهـمُ * والقوم إذ ركبوا الرماح تِجَار

فقال له الفرزدق : ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفوفهم (١) . فقال عاصم : يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدّثنا سهل قال حدّثنا الأصمعى قال قال سَلِيط بن سـعد قال بِسطام بن قيس لقومه : تَرِدون على قومٍ آثارُهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صِرْدان ولكنهم صُبُرٌ على الشرّ . يعنى بنى يَرْبوع . وفى هؤلاء يقول معاوية : لو أنّ النجوم تناثرت لسقط قمرها فى حجور بنى يربوع . قال الأصمعىّ قلت لسليط : أكان عُتَيبـة (٢) بن الحارث ضخمًا؟ قال : لا ولا من قوم ضِخَام . يعنى بنى يربوع .

(١) الحفّ المِنسَج وجمعه حفوف . (٢) فى النسخة الألمـانية «عيينة» وهو تحريف .

[1][وقال عمر بن الخطاب لبنى عَبْس : كم كنتم يوم الهَبَاءة[2]؟ فقال : كنا مائةً كالذهب ، لم نكثُر فنتوا كل ولم نقِلّ فنذِلّ . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عددًا ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هُنَيهة . قال : فلذلك إذًا . قيل لعنترة العبسىّ : كم كنتم يوم الفَرُوق[3]؟ قال : كنا مائة لم نكثُر فنفشَل ولم نقِلّ فنذِلّ] .

وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل فى الصبر، قول نَهْشَل بن حَرِىّ ابن ضَمْرة

ويوم كأن المُصْطَلِين بحَرّه * وإن لم تكن نارٌ قيامٌ على الجمر
صبرنا له حتى يَبُوخ وإنما * تُفرَّج أيامُ الكريهة بالصبر

ومثله قول الآخر

بكى صاحبى لما رأى الموت فوقنا * مُطِلًّا[4] كإطلال السحاب إذا ٱكفهرّ
فقلت له لا تَبْكِ عينُك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
فما أخّر الإحجامُ يوما معجَّلا * ولا عجّل الإقدامُ ما أخّر القدرْ
فآسَى على حالٍ يَقِلُّ بها الأسى * وقاتل حتى ٱستبهم الوِرْدُ والصَّدرْ
وكَرّ حِفَاظا خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المَكَرّ

وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع مُوَقًّى . وقالت الخَنساء

نُهِين النفوسَ وهونُ النفو * س يوم الكريهة أوقَى لها

وقال يزيد بن المهلّب

تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجد * لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) أرض لغطفان و يومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس على ذبيان . (٣) موضع بديار بنى سعد و يومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا .
(٤) فى الألمانية مظلا كاظلال الخ بالظاء المعجمة .

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة

وقَوْلى كلّما جشأتْ وجاشت * من الأبطال ويحك لا تُراعِى
فانّكِ لو سألتِ حياةَ يوم * سوى الأجل الذى لكِ لم تُطاعِى

[1][وقال معاوية بن أبى سفيان شجّعنى على علىّ بن أبى طالب قولُ عمرو بن الإطْنابة .

أبت لى عِفّتى وأبى بلائى * وأَخْذى الحمد بالثمن الرَّبِيح
وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامةَ البَطَل المُشِيح
وقَولى كُلَّما جَشَأت لنفسى * مكانكِ تُحمَدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثرَ صالحاتٍ * وأحمِى بعدُ عن عِرْض صحيح
أبتْ لى أن أقضّى فى فعالى * وأن أُغضِى على أمرٍ قبيح

وقال رَبيعة بن مَقْروم

ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازل * وعلَامَ أركَبُه إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذمِّر[2] الناس ويقول : يا أهل الاسلام، إنّ الصبر عزّ وإنّ الفشل عجز وإنّ النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إنّ الشِّواء والنَّشِيل والرُّغُف[3] * والقينةَ الحسناء والكأسَ الأُنُف
للضارب بين الخيلَ والخيل قُطُف

وقال أعرابى : الله يُخْلِف ما أتلف الناسُ، والدهر يتلف ما جمعوا، وكم من مِيتَة عِلّتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت . ومثله قول أبى بكر الصديق لخالد : احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة .

[1][قدِمت مُنْهزِمةُ الرومِ على هِرَقل وهو بأَنْطاكِيَة، فدعا رجالا مِن عظمائهم فقال : ويحكم ! أخبرونى ما هؤلاء الذين تقاتلونهم ؟ أليسوا بشرًا مثلكم ؟ قالوا : بلى . يعنى

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .
(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

العرب. قال : فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا فى كلّ موطن. قال : ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم ؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤْتَوْن . قال : أخبرْنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال: ويلكم فما بالكم كما تَصِفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له : من أين هو؟ قال : لأنّ القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر ولا يظلمون أحدا ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله وننهَى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . قال : صدقتَنى، والله لأخرجنّ من هذه القرية فما لى فى صحبتكم خير وأنتم هكذا. قالوا : نُشهدك الله أيها الملك. تدَع سُورِيَة وهى جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم] .

ذكر الحرب

قالت العرب : الحرب غَشُوم، لأنها تنال غير الجانى . وقال الكميت

الناس فى الحرب شتّى وهى مقبِلةٌ * ويستوون اذا ما أدبر القُبُل
كلٌّ بأَمْسِيِّها طَبٌّ مولّيَةً * والعالمون بذى غُدْوِيِّها قُلُل

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن مَعْديكَرِب : أخبرنى عن الحرب . قال : مُرّة المَذَاق إذا قَلَصتْ عن ساق، مَن صبَر فيها عُرِف ومن ضعف عنها تَلِف . وهى كما قال الشاعر

الحرب أوّل ما تكون فتيةً * تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتى اذا ٱسْتَعَرَت وشبّ ضِرَامها * عادت عجوزًا غير ذات خليل (١)
شَمْطاء جَزّت رأسَها وتنكّرت * مكــروهةً للّــثْم والتقبيــل (١)

كان يزيد بن عمر بن هُبَيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يُمِدّه بالرجال ولا يرفع ما يَرِد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال

أرى خَلَلَ الرماد وَمِيضَ جمــرٍ * ويوشــك أن يكون له ضِرامُ
فانّ النـار بالعُودين تُذْكى * وإنّ الحـرب أوّلهـا الكلام
فان لم يُطْفِها عقـلاء قوم * يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهَـامُ
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقـاظٌ أُميّـــة أم نيـام

ونحو قوله : «الحرب أوّلها الكلام» قول حُذَيفة : إنّ الفتنة تُلْقَح بالنجوى وتُنْتَج بالشكوى .

العتبيّ عن أبيه قال قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأبنه الحسن : يا بُنَى لا تدعوَنَّ أحدا إلى البِرَاز، ولا يدعوَنّك أحد اليه إلا أجبتَه فانه بَغْى .

فى العدّة والسلاح

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيْفة (٢) عن السائب آبن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان عليه دِرْعان يوم أُحُد . قيل لعبّاد بن الحُصَين وكان أشدّ رجال أهل البصرة : فى أىّ عدّة تحبّ أن تلق عدوك؟ قال : فى أجل مُستأخِر .

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا بِشر بن المفضَّل قال حدّثنا داود بن أبى هنـد عن عِكْرِمة قال : لمـا كانت ليـلة الأحزاب قالت الجَنُوب للشَّمَال : آنطلق بنا نُمِدّ

(١) فى العقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضا كما فى الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم .
(٢) فى الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إنّ الحرّة لا تسرى بالليل، فكانت الريح التى أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا ٱبن أبى الزِّنَاد قال : ضرب الزبير بن العوّام يوم الخنـدق عثمان بن عبـد الله بن المغـيرة فقطّه الى القَرَبوس فقالوا : ما أجودَ سيفك! فغضب، يريد أنّ العمل ليده لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ يصف سيفا

ماضٍ وإن لم تُمضِـه يد فارس * بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يُصقَلِ
متوقِّد يَفْــرِى بأوّل ضَرْبة * ما أدركت ولو آنهـا فى يذْبلِ

وقال آخر

وما السيف إلا بَزُّ غادٍ لزينـــة * إذا لم يكن أمضى من السيف حاملُهْ

رؤى الجرّاح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقيـل له فى ذلك. فقال : إنى لست أقى بدنى و إنما أقى صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أَدرُعا وقال : إنى لم أشتر أدراعا إنمـا اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلّب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلئِما إلا كان عندى رجلين، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة[1] فقال : صدق ، إنّ للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصَّريخ: السلاحَ السلاحَ ولا ينادون: الرجالَ الرجالَ . [[2]قال المهلب لبنيه : يا بَنِىّ لا يقعدنّ أحد منكم فى السوق، فان كنتم لا بدّ فاعلين فالى زَرّاد أوسَرّاج أو وَرّاق. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معد يكرب: أخبِرْنى عن السلاح . قال: سَلْ عما شئت منه. قال : الرمح؟ قال : أخوك و ربما خانك. قال النَّبل؟ قال : منايا تخطئ وتصيب .

(١) فى النسخة الألمـانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

قال : التُّرْس؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليـــه تدور الدّوائر . قال : الدِّرع ؟ قال : مُثْقِــلة(١) للراجل مُتْعِبة للفارس، وإنّها لحصن حصين . قال : السيف؟ قال: ثَمَّ، قارعتْك أُمُّك عن الثُّكْل . قال عمر : بل أُمُّك . قال " الحُمَّى أَضْرعتْنى لك(٢) " .

وقال الطائىّ يصف الرِّماح،

مثقَّفات سلبْنَ الرومَ زرقتَهـا * والعُرْبَ سُمْرتَها والعاشق القَضَفا(٣)

وقال دِعْبل يصف الرُّمح

وأَسْمــرٍ فى رأســه أزرَقٌ * مثلُ لسان الحيّة الصادى

وقال الشاعر

تلمَّظ السيفُ من شوق إلى أنسٍ * فالموت يَلْحَظ والأقدار تنتظِر
أظَلّه منـــك حَتْف قد تجلّله * حتى يؤامر فيــه رأيَك(٤) القــدَر
أمضى من السيف إلا عند قدرته * وليس للسيف عفو حين يَقتدِر

وقال آخر

متى تَلْقَنِي يَعْدُو ببَزِّى(٥) مقلِّصٌ * كُميتٌ بَهِـــيمٌ أو أغرّ محجّلُ
تلاقِ امرأً إن تلقَه فبسيفه * تُعلّمك الأيام ما كنت تجهل

وقال علىّ رضى الله عنه : السيف أنمى عددا وأكثر ولدًا(٦) . وفى الحديث « بقيّة السيف مباركة » يعنى أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال المهلّب : ليس شىء أنمى من سيف . ويقال : لا مجــد أسرع من مجد سيف .

(١) فى الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد فى مجمع الأمثال وفى النسخة الألمـانية : « إليك » . (٣) النحافة . (٤) فى الفتوغرافية « ربّه » (٥) قال فى اللسان : البَزُّ والبِزّة السلاح ويدخل فيه الدرع والمِغفر والسيف . (٦) هكذا فى النسخة الألمـانية ، وفى الفتوغرافية « السيف أنمى عددا وأكرم ولدا » ، وفى نهج البلاغة بقية السيف أبقى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع علىّ رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : إذا استمكن عدوّى من ظهرى فلا يُبْقِ . وقال أبو الشِّيص

خلتْه المنون بعد اختيال * بين صَفَّين من قنًا ونِصَال
فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذَال

بلغ أبا الأغرّ أنّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث آبنه الأغرّ وقال : يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، و إيّاك والسيف فانه ظلّ الموت، وآتق الرمح فانه رِشاء المنيّة، ولا تقرب السِّهام فانها رُسُل لا تُؤامِر مُرسِلَها . قال : فبما ذا أقاتل؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يملأْنَ الأَكُفّ كأنّها * رءوس رجال حُلِّقت فى المَواسِم

وقال الخُزَيمى فى بغداد أيام الفتنة

يا بؤسَ بغدادَ دارِ مملكة * دارتْ على أهلها دوائرُها
أمهلها الله ثُمّ عاقبها * لما أحاطت بها كبائرُها
رقّ بها الدّين وآستُخِفّ بذى الـ * ـفضل وعزّ الرجالَ فاجرُها
وصار ربَّ الجيران فاسقُهم * وآبتزّ أمنَ الدروب شاطرُها
يحرق هذا وذا يهدّمها * ويشتفى بالنِّهاب داعرُها
والكرخ أسواقُها معطّلة * يَسْتَنّ شُذّاُبها وعائرُها (١)
أخرجت الحربُ من أساقطهم * آسادَ غِيلٍ غُلْبًا تُساوِرها
من البوَارِى تِراسُها ومن الـ (٢) * ـخُوص اذا استلأمت مغافِرها
لا الرزقَ تبغِى ولا العطاءَ ولا * يحشُرها بالعناء (٣) حاشرُها

(١) فى الطبرى «عيّارها» . (٢) جمع بارىّ بتشديد الياء وهو الحصير المنسوج .
(٣) فى الطبرى «للقاء» .

ونحوه قول علىّ بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليــد * ويَخذُل فيها الصدّيقَ الصدّيق
فَنـاء مُبيـد وذُعر عتيـد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصّباح بِطُول الصياح * السِّلاح السـلاح فمـا نستفيق
فبـالله نبـلُغ ما نرتجـى * وبالله ندفـع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخَاريّة ابن زياد[(١)]، فقال رجل من أهل البادية يُذمِّر قومه : يا معشر العرب ويا بنى المحصَنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدَعون بها لَبِنة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولأعتراكم من نُشّاب معهم فى جِعَاب كأنها أُيور الفيَلة ينزعون فى قِسِىٍّ كأنهـا العَتَلُ فتئِطُّ أحداهنّ أطيط الزُّرْنُوق يَمْغَط أحدهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه ثم يرسل نُشّابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، فخلع قلوبَ القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : ائتزروا وارتَدُوا وانتعلوا وألقوا الخِفَاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكُبَ وٱنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمَعَدِّيَّة، أو قال العربية . ودَعوا التنعّم وزِىّ العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تخُور قوًى ما كان صاحبها ينزِع ويَنْزُو . يعنى ينزع فى القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدى الرمى بالنشاب .

العمرى . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه [اليمنى و بيده اليسرى أذنَ(١) فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرَاميزَه و يَثِبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صِفِّين : عَضُّوا على النَّواجذ من الأضراس فانه أَنْبَى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العُقَابين فقال له أبوه : طِدْ رجلك وأَصِرَّ إصْرار الفرس واذكر أحاديث غد و إياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل . [وقال غيره طِدْ رجليك إذا ٱعْتصيت بالسيف والعصا وأنت مخيَّر(٢) فى رفعه ساعةَ المسالمة والموادعة(٣)] .

وقرأت فى الآيين أن من إجادة الرمى بالنُّشّاب فى حال التعلُّم إمساكَ المتعلم القوسَ بيده اليسرى بقوّة عَضُده الأيسر والنُّشابة بيده اليمنى وقوّةِ عضده الأيمن وكَفُّه أَصْدَرَيْه(٤) و إلقاؤه ببصره الى مَعْلَم الرمى و إجادته نصبَ القوس بعد أن يطأطئ من سِيَتِها بعض الطَّأْطأة وضبطُه إيّاها بثلاث أصابع و إحناؤه السبَّابة على الوتر، و إمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضما وتحويله ذَقَنَه الى منكبه [الأيسر](٢) و إشرافه رأسَه و إرخاؤه عنقه وميلهُ مع القوس و إقامتُه ظهرَه و إدارتُه عضدَه ومَغْطُه القوسَ مترافعا ونزعُه الوترَ الى أذنه و رفعُه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويلٍ لعينه وارتعاشٍ من جسده واستبانتُه موضع زِجّجَةِ النُّشاب .

وقرأت فى الآيين : من إجادة الضرب بالصَّولجان أن يضرب الكُرة قُدُما ضرب خُلْسةٍ يُدير فيه يده الى أذنه ويُميل صَوْلجانه الى أسفلَ من صدره ويكون ضربه متشازرا مترفِّقا مترسِّلا ولا يُغفل الضرب(٥) ويرسل السِّنَان خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَة الى غاية الغرض ثم الجرّ للكرة من موقعها ، والتوخّى للضرب لها تحت محزم

(١) زيادة فى النسخة الألمانية وفى البيان والتبيين «يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى» . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله «رفعهما» . (٤) فى الألمانية : «وكفه الى صدره» .

(٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيّان ؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قِبَل لَبّتها فى رفق ، وشدّةُ المزاولة والمُجاحَشة على تلك الحال والتركُ للاستعانة فى ضرب الكرة بسوط والتأثيرِ فى الأرض بصوبلحان والكسرِ له جهلا باستعماله أو عقرِ قوائم الدابة ، والاحتراسُ من إيذاء من جرى معه فى ميدانه ، وحسنُ الكفّ للدّابة فى شـدّة جريه ، والتوقّى من الصَّرْعة والصَّدْمة على تلك الحال ، والمجانبـةُ للغضب والسَّبّ ، والاحتمالُ والمُلاهاة ، والتحفُّظ من إلقاء كُرة على ظهر بيت وان كان ستُّ كُرِينَ بدرهم ، وتركُ طرد النَّظّارةِ والجُلوسِ على حيطان الميدان فان عرض الميدان انما جعل ستين ذراعا لئلا يُحالَ ولا يُضارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدَّعوة لرجاله : أَشعِروا قلوبَكم الجرأة عليهم فانها سبب الظَّفَر ، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المُحارِب .

المسير فى الغزو والسفر

حدّثنا شَبَابة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عيَّاش عن مَعْدان بن حُدَير الحَضْرمى عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يَغْزون من أمتى ويأخذون الجُعْل يتقوَّوْن به على عدوهم كمثل أمّ موسى تُرضع ولدَها وتأخذ أجرها» . حدّثنى محمد بن عُبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حَرْملة عن سعيد بن المسَيّب قال : لمـا نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُعرَّس أمر مناديا فنادى : لا تَطرُقوا النساء . فتعجّل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم (١) . وتأمر بالمُحِلَّات وهى الدلو والفأس والسُّفْرة والقِدْر والقَدَّاحة ، وإنمـا قيل لها مُحِلَّات لأن المسافر بها يحلّ حيث شاء ولا يبالى ألّا يكون بقربه أحد .

(١) فى الميدانى «السَّفَر ميزان السَّفْر» أى أنه يُسفِر عن أخلاق المسافرين ، وفى الفتوغرافية السفر مجلاة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال، قال لقمان لابنه: «يا بنيّ إذا سافرت فلا تنَم على دابّتك فان كثرة النوم سريع فى دَبَرِها، فاذا نزلتَ أرضا مُكْلِئة فأعطها حظّها من الكلأ وآبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك و إذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدَّلَج فان الأرض تُطوَى بالليل. و إذا أردت النزول] (١) فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيّات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تُربة وأكثرها كلأ فانزلها، و إذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ). و إذا أردت قضاء حاجة فأبعِد المذهبَ فى الأرض وعليك بالسُّتْرة. و إذا آرتحلت من منزل فصلّ ركعتين وودّع الأرض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة . و إذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا : هل مرّ بكنّ اليوم ذاكر لله؟ و إن آستطعت ألا تَطعَم طعاما حتى نتصدّق منه فآفعلْ . وعليك بذكر الله جلّ وعزّ مادمتَ راكبا و بالتَّسبيح مادمت صائما و بالدعاء مادمت خاليا. و إيّاك والسّيرَ فى أوّل الليل وعليك بالتّعريس والدُّلْجة من نصف الليل الى آخره . و إياك ورفعَ الصوت فى سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقَوسك وجميع سلاحك وخُفّك وعمامتك و إبْرَتك وخُيوطك وتزوّد معك الأدْوية تنتفع بها وتنفع مَن صحِبك من المرضى والزمْنى . وكن لأصحابك موافقا فى كل شيء يُقرّبُك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التبسُّم فى وجوههم وكن كريما على زادك بينهم و إذا دعوك فأجبهم، و إذا استعانوك فأعنهم و إذا استشهدوك على الحق فاشهَد لهم وآجهد رأيك. و إذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم أو يعملون فاعمل معهم. [و إن تصدّقوا أو أعطوا فأعط] (١) . واسمع لمن هو أكبر منك . و إن تحيّرتم فى طريق فانزلوا، و إن شككتم فى القصد فتثبّتوا وتآمروا، و إن رأيتم خيالا واحدا

(١) زيادة فى النسخة الالمانية .

فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيّركم واحذروا الشخصين أيضا إلّا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل اذا أبصر شيئا بعينيه عرف الحق بقلبه .

علَّم أعرابى بنيه إتيانَ الغائط فى السفر فقال لهم : اتَّبعوا الخَلَاء وجانِبُوا الكَلَا واَعْلُوا الضَّرَاء(١) وأَفْجُوا إفحاج النعامة وامسحوا بأشمُلكم .

[(٢)وقال عمرو بن العاص للحسن بن على بن أبى طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل تَنْعت الخِرَاءة ؟ فقال : نعمْ، تُبعِد المشىَ فى الأرض الضَّحْضَح حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستَنْج بالرَّوْثة ولا العَظْم ولا تَبُل فى الماء الراكد].

أراد الحسن البصرىّ الحج ، فقال له ثابت : بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب . فقال : ويحك ! دَعْنا نتعايشْ بستر الله، إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ماتماقت عليه . وفى الحديث المرفوع عن بَقِيَّة عن الوَضِين بن عَطَاء عن محفوظ بن عَلْقمة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه «أَما إنّك إن ترافق غير قومك يكن أحسنَ لخلقك وأحقَّ أن يُقتَفى بك» .

أتى رجل هِشَاما أخا ذى الرُّمَّة الشاعر فقال له : إنى أريد السفر فأوْصِنى . قال : صلِّ الصلاة لوقتها فانك مصلّيها لا محالة فصلِّها وهى تنفعك ، وإياك وأن تكون كلبَ رُفْقتك فان لكل رُفْقة كلبا ينبح دونهم، فان كان خيرا شَرَكُوه فيه وإن كان عارا تقلَّده دونهم .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عَطَاء عن أبيه قال : اذا ضَلَّتْ لأحدكم ضالّةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالّة تَهْدى الضالّة وتردّ الضالّة اردُد علىّ ضالّتى، اللهم لا تبلُنا بهلاكها ولا تُتعبنا بطلبها، ما شاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله. ياعباد الله الصالحين ردّوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل : ياعباد الله أعينونا . [(٢)وقال أبو عمرو : إذا ضلّت لأحدكم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما واراك من شجر . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ثم يتشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادىَ الضّال ورادّ الضالّ اردُد على ضالتى بعزّتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدّثنى محمد بن عبيد عن حمزة بن وَعْلة عن رجل من مُراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن على عن على رضى الله عنه قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «يا علىّ ، أمانٌ لأمّتى من الغَرَق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللهِ مَجْرَيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن محمد بن عجْلان عن عمرو ابن شُعَيب قال : أراد عمر أن يُغْزِى البحرَ جيشا، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين، البحر خَلْق عظيم يركبه خَلْق ضعيف دُودٌ على عُود بين غَرَق وبَرَق[(١)] قال عمر : لا يسألنى الله عن أحد حَمَلتُه فيه . وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول فى السفر اذا أسحر: سمِعَ سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحِبْنا فأفضلْ علينا ثلاثا، اللهم عائذٌ بك من النار ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعى عن حسّان بن عطيّةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى سفره حين هاجر: « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكُ شيئا مذكورا، اللهم أَعِنّى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام وآكفِنى شرّ ما يعمل الظالمون فى الأرض، اللهم فى سفرى فآصحبْنى، وفى أهلى فاخلُفْنى، وفيما رزقتنى فبارك لى، ولك فى نفسى فذلّلْنى، وفى أعين الصالحين فعظّمْنى، وفى خُلُق فقوّمنى، والیك ربّ فحبّبْنى، الى من تكلُنى ربَّ المستضعَفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحيرة والدهش . وفى النسخة الألمانية «ترق» وهو تحريف .

وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سَرْجِس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المُنقلَب والحَوْر بعد الكَوْر ودعوة المظلوم وسوء المنظَر فى الأهل» وزاد غيره «اللهم ٱطوِ لنا الأرض وهوّنْ علينا السفر» .

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيّئتين وخيرُ الأمور أوساطها وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ . وفى الحديث « لا تُحَقْحِقْ فتنقطع ولا تَباطأ فتُسبَق ولكن ٱقصِدْ تبْلُغ » والحقحقة أشدّ السير . وفى حديث آخر « إن المُنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرَّار

تُقطِّع بالنزول الأرضُ عنّـا * وبُعد الأرض يقطعه النزول

الأصمعى قال، قيل لرجل أسرع فى سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آ كل الوَجْبَة وأُعرِّس إذا أَسْحرت وأرتحل إذا أَسْفرت وأسير الوَضْع وأجتنب المَلْع بختتكم لمُسْيِ سَبْع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذَكْوان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة الى المدينة فى يوم وليلة، فقدم على أبى هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلَّى العَتَمَة، فقال له أبو هريرة : حاجٌّ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفَرْتَ قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم تَرَنِى كلَّفتُهم سـيرَ ليـلة * مِنَ آل منًى نَصًّا الى آل يثرب
فأقسمت لاتنفكُّ ما عشتُ سَيْرتى * حديثا لمن وافى بجَمْع المحصَّب

ومن السير المذكور مَسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخَطِيم

هممنا بالإقامـة ثم سرنا * كسير حُذَيفةِ الخير بن بدر

قال الشَّرَقىّ بن القَطَامى : خرجت من الموصل أريد الرَّقّة فصحبنى فتى من أهـل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد ورَكْوة وعصا ، ورأيته لايفارقها مُشاة كنّا أو رُكبانا وهو يقول : إن الله جعـل جِمَاع أمر موسى وأعاجيبـه و براهينه ومآربه فى عصاه ، ويُكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بمـا يقول ، فتخلّف المُكارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا و يقف حمارى ولا شىء فى يدى فيسبقنى الى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافينى المكارى ، فقلت : هذه واحدة . ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربمـا أَحْضَر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زَالِجٌ حتى انتهينا وقد تفسّختُ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير ، فقلت : وهذه أخرى . فلما كان فى اليوم الثالث هجمنا على حيّـة منكَرَة فسارت الينا فأسلمتُه اليها وهربت عنها فضربهـا بالعصا حتى قتلها ، فقلت : هـذه ثالثة . [وهى أعظمهنّ] وخرجنا فى اليوم الرابع وبنـا قَرَمٌ الى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَها فقلت : هـذه رابعة . فأقبلتُ عليه فقلت : لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها الى المنزل . فأخرج عُويدا من مِزْوده ثم حكّه بالعصا فأَوْرَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَار ، ثم جمع ما قدر عليه من الغُثَاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب فى جوفها فأخرجناها وقد لزق بهـا من الرماد والتراب مابغّضها الىّ فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شىء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة . ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنة رَوْثا وترابا فلم نجد موضعا نظلّ فيه فنظر الى حديدة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نِصَابا لهـا ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت : وهذه سادسة . ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فى الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابى

فقلت : هذه سابعة . فلمـا صرنا الى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لى: لو عدلتَ معى فبتّ عندى! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل ببيعة فما زال يحدّثنى ويُطْرِفنى الليلَ كلّه فلما كان السحَر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك! أما أنت بمسلم؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس؟ قال : لأن أبى نصرانى وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررتُه بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدبا فخبرّته بالذى أحصيتُ من خصال العصا، فقال : والله لو حدّثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا كنتم فى الخِصْب فأمكنوا الرِّكَابَ أسنَّتَها(١) ولا تَعْدوا المنازل وإذا كنتم فى الجَـدْب فاستَنْجُوا(٢) وعليكم بالدُّلْجَة فإن الأرض تُطْوَى بالليـل وإذا تغوّلتْ لكم الغِيلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السِّباع والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها الملَاعِن» .

وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته

عُدِّى السنين لغيبتى وتصبَّرى * وذَرِى الشّهورَ فإنهنّ قصار

فأجابته

اذكُرْ صبابتَنَا اليك وشوقنا * وآرحم بناتِك إنهنّ صِغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكُب أسنتها » وقال ناقلا عن أبى عبيد ان كانت اللفظة محفوظة فكأنها جمع الأسنان، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشْب سِنٌّ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال الزمخشرى ان الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تمنع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها سمنت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تنحر فشبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها، وهو كما ترى متكلف لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى

طرِبتَ إلى الأُصَيْبِية الصِّغار * وهاجك منهـمُ قربُ المـزار
وكلّ مسافر يزداد شـوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفى الحـديث المرفوع قال ابن مسعود : كنّا يوم بدر ثلاثةً على بعير فكان علىّ وأبو لُبَابة زَمِيلَىْ(١) رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عُقْبَتُهما قالا : يا رســول الله اركب ونمشى عنــك . فيقول «ما أنتما بأقوى منّى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

خطب قتيبة بن مسـلم على منبر خراسان فقال فى خطبته : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصّروا الأشعار .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر .

وقال بعض الشعراء

سُرِرتُ بجعفرٍ والقربِ منه * كما سُرّ المســافر بالإياب
وكنت بقربه إذ حلّ أَرضِى * أميرا بالسَّكِينـة والصّواب
كممطورٍ ببـلدته فأضحى * غنِيـا عن مطالبة السحاب

وقال آخر فى معناه

وكنت فيهم كممطور ببلدته * فسُرَّ أنْ جمَعَ الأوطانَ والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفس * كرام رجتْ أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيــمة إنهـا * تؤوب وفيهـا ماؤُها وحياؤها

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعة بن عبد المنذر وهو صحابى معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيـــمة سالمينا
[وما تَدْرينَ[1] أىُّ الأمر خير * أما تَهْوِينَ أم ما تكرهينا

وقال بعض المحدثين

قبّــح الله آل برمــك إنى * صرت من أجلهم أخا أسـفار
إن يكن ذو القرنين قد مَسَحَ الأر * ض فإنى موكّــل بالعِيَار]

التفـــويز[2]

حدّثنى أبى، أحسبه عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال : لمـا كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسـير إلى الشام واليا مكان أبى عبيدة بن الجرّاح[3]، أخذ على السَّماوةِ حتى انتهى إلى قُرَاقِر، و بين قراقر وسُوَى خمس ليال فى مفازة، فلم يعرِف الطريق ، فدُلّ على رافع بن عَمِيرة الطائى وكان دليـلا خِرّيتًا فقال لخالد : خلِّف الأثقال واْسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا، فكره خالد أن يخلّف أحدا وقال: لا بد من أن نكون جميعا . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفســه وما يسلكها إلا مغرور مخاطِر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بد من ذلك . فقال الطائى لخالد : ابْغِنى عشرين جَزُورا مَسَانّ عِظَاما ففعل فظمّأهن ثم سـقاهن حتى رَوِينَ ثم قطع مَشَافِرهنّ وكَعَمَهنّ لئلا تَجْتَرّ، ثم قال لخالد : سِرْ بالخيـول والأثقال فكلمـا نزلت منزلا نحرت من تلك الجُزُر أربعـا ثم أخذت ما فى بطونها من المـاء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة فى النسخة الألمـانية .

(٢) يقال فوّز الرجلُ بإبله اذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمـانية وفى النسخة الفتوغرافية أبى عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ اذ اسم أبى عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح الفهرى فلعله من سهو النساخ .

وجَهِد الناسُ وعطِشتْ دوابّهم، فقال له خالد : ويحك، ما عندك؟ قال : أدركت الرىّ إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عَوْسج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال : احْفِروا فى أصلها فحفَروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزوّدوا، فقال رافع : والله ماوردتُ هذا الماء قطُّ إلا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام . فقال راجز المسلمين فى ذلك

لله درُّ رافع أنَّى ٱهتدى * فَوَّز من قُرَاقِر إلى سُوَى
أرضا إذا سار بها الجيش بَكَى * ماسارها قبلك من إنس أَرَى(١)

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفْنة وأحدهم يتغنّى

ألا علِّلانى قبل جيش أبى بكر * لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرى
ألا علِّلانى بالزُّجاج وكرِّرا * علىّ كُمَيت اللون صافيةً تجرى
أظن خيول المسلمين وخالدا * سيَطْرُقكم قبل الصباح من البِشْر
فهل لكُمُ فى السير قبل قِتالهم * وقبل خروج المُعْصِرات من الخدر

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه فى الجفنة، ثم أقبل على أهل البِشر فقَتل منهم وأصاب من أموالهم .

ابن الكلبى قال : أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم يَسْتذْرِى بفىء السَّمُر والطَّلْح يأسا من الحياة، فبينا هم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس

لمّا رأتْ أن الشَّريعة همُّها * وأن البياض من فَرائصها دَامِى
تيمّمتِ العينَ التى عند ضارِجٍ * يفىء عليها الظّل عَرْمَضُها طَامِى

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «أدى» بالدال ولعله "أَوَى" بمعنى عاد ورجع .

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارِج عندكم ، وأشار اليه ، فجَثْوا على الرُّكَب فإذا ماءٌ غَدَق و إذا عليه العَرْمض والظلّ يفىء عليه فشربوا منه رِيّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا المــاء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها مَنسىّ فى الآخرة خامل فيها ، يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدّثنى عبــد الرحمن بن عبد الله[1] بن قُرَيب عن عمه الأصمعى عن رجل من بنى سليم أن رُفْقة ماتت من العطش بالشَّجِى ، فقال الحجاج : إنى أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فاْحْفِروا فى مكانهم الذى ماتوا فيــه لعل الله يسقى الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

تراءت له بين اللِّوى وعُنَــيزةٍ * وبين الشَّجِى مما أحال على الوادى

والله ما تراءت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجــاج عضيدة[2] السلمى أن يحفر بالشجى بئرا فحفر فأنْبَط ، ويقــال : إنه لم يمت قوم قطّ عطشا إلا وهم على ماء .

قالت العرب «أن تَرِدَ المــاء بماء أَكْيَسُ » . ويقال فى مثل : « بَرْدُ غَداةٍ غرّ عبدا مِن ظَمأ » .

فى الطيرة والفأل

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : هَرَب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يُســبق اللهُ على حمــار * ولا على ذى مَيْعَــةٍ مَطَّار
أو يأتىَ الحَتْفَ على مقدار * قد يصبح اللهُ أمامَ السَّارى

(١) فى الألمــانية عبيد الله وهو تحريف .

(٢) هكذا فى النسختين الألمــانية والفتوغرافية ، وفى معجم البلدان : «عبيدة السلمى» .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطِّيرة ويَعيبها أشدّ العيب وقال : فَرَقَتْ لنا ناقةٌ وأنا بالطَّفّ فركبت فى إثرها فلقينى هانئ بن عتبة (١) من بنى وائل يركُض وهو يقول

* والشرُّ يَلْقَى مُطَالِعَ الأَكَمِ *

ثم لقينى رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثتَ لهم بُغَا * ةً ما البُغاة بواجدينا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع فى صغره فى نار فأحرقتْه فقبُح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقةٍ فارقٍ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتِجت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطَّلْق ، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقِّش (٢)

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واقٍ (٣) وحاتِمِ
فإذا الأشائمُ كالأيا * منِ والأيامنُ كالأشائِمِ
وكذاك لا خيرٌ ولا * شرٌّ على أحدٍ بدائم

[وقال آخر (٤)

وليس بهيّاب إذا شدّ رحلَه * يقول عدانى اليومَ واقٍ وحاتمُ
ولكنه يمضى على ذاك مُقدِما * إذا صدّعن تلك الهَنَاتِ الخُثَارِمُ (٥)]

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «عبيد» . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المرقم» وهو تحريف وقد أورد فى اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشاءم بهما . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الأصل «الخشارم» وهو تحريف والخثارم كعلابط : الرجل المتطير . وقد أورد فى لسان العرب هذه الأبيات ونسبها الى خُثَيم بن عدى وقيل للرَّقَّاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن برى . أنظر اللسان مادة «و ق ى» .

وقال آخر

تَعَــلَّمْ أنه لا طـير إلا * على متطـيِّرٍ وهو الثُّبور
بَلَى، شيءٌ يوافق بعضَ شيء * أحايينـا و باطلُه كثير

حدّثنى الرياشى عن الأصمعى قال: سألت ابن عَوْن(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضا فتسمع : يا سالم، أو باغيا فتسمع : يا واجد . وفى الحديث المرفوع « أَصْدَقُ الطِّيَرة الفأل» . وفيه «الطِّيَرُ تجرى بقدَر »

أراد أبو العالية(٢) أن يخرج من البصرة لعلّة كانت(٣) به فسمع مناديا ينادى: يامتوكل، فحطّ رحلَه وأقام .

وقال عكرمة كنّا جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . [قال(٤) كعب لابن عباس : ما تقول فى الطِّيَرة قال : وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله . قال كعب : إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل . يعنى التوراة] .

حدّثنى محمد بن يحيي القُطَعىّ(٥) قال حدّثنى عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبى(٦) حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشــة رضى الله عنها فقالا : إن أبا هريرة

---

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفى الألمـانية « عون بن عبـد لله » ولم نعثر فى كتب التراجم على من تسمّى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا مات بين سنة عشر ومائة الى عشرين ومائة ه فلا تصح رواية الأصمعى عنه لأنه ولد سـنة ١٢٢ فلعل ما فى الفتوغرافية هو الصواب و يكون المراد به عبد الله بن عون بن أرطبان البصرى فقـد توفى هذا فى سـنة ١٥١ أى والأصمعى فى السن التى يتلق فيها عن مشايخه . (٢) فى النسخة الألمـانية «أبو العتاهية» . (٣) فى الألمـانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق . (٤) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٥) كذا بالنسخة الألمـانية من غير ضبط . وفى الفتوغرافية « القطيعى » بضم أوّله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه « القطعى » بضم أوّله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه فى تقريب التهذيب ولعله نسبه الى قطيعة — بجهينة — بن عبس ابن بغيض وهو أبو حى كما فى القاموس وقد ذكر صاحب تهـذيب التهذيب محمد بن يحيي هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى . وهو هنا يروى عنه . (٦) فى الألمـانية « ابن حسان » وهو تحريف .

يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطِّيَرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شَفَقًا ثم قالت : كذب، والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم، مَن حدّث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة فى الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

كان عبد(١) الله بن زياد صوّر فى دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال : كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالح . وأنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ

يا أيّها المُضمِر هَمًّا لا تَهُمّْ * إنك إن تُقدَر لك الحُمّى تُحَمّْ
ولو علوتَ شاهقا من العلَم * كيف تَوَقِّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِىّ الكندىّ فى ثلاثة عشر رجلا معه قال حُجْر : دعونى أصلِّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل له : أجَزِعت؟ فقال : ما توضأت قطُّ إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها . و إن أجزعْ فقد رأيت سيفا مشهورا وكَفَنا منشورا وقبرا محفورا . فقيل له : مُدّ عُنقَك، فقال : إن ذلك لدمٌ ما كنت لأُعِين عليه . فقدّم فضربتْ عنقُه . وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خَثْعم فقال : إن صدقت الطِّيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كُثيِّر عَزَّة الى مصر يريد عزة، فلقيه أعرابىّ من نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت فى وجهك شيئا؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «عبيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما فى المعارف لابن قتيبة، ولا ندرى أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه . فقال له : تُوافى مصر وقد ماتت عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافى مصرَ والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال

فما أعيف النَّهْدىَّ لا دَرّ دَرُّه * وأزجرَه للطير لا عزّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتّف أعلى ريشـه ويُطايره
فأما غُراب فاغتراب ووحشة * وبَانٌ فبَيْن من حبيب تعاشره

وهوِى بعد عزةّ امرأة من قومه يقال لها : أمّ الحويرث . فخطبها فأبت وقالت : لا مال لك، ولكن آخرج فآطلبْ فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى مخزوم، فبينا هو يسـير عنّ له ظبى فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب على وجهه فكرهه وتطيّر منه، فانتهى الى بطن من الأزد يقال لهم بنو لِهْب، فقال : أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقصّ عليه القصة، فقال: قد ماتت أو خَلَف عليها رجل من بنى عمها. فلما انصرف وجدها قد تزوّجت فقال

تيمت لِهْبـا أطلب العلم عندهم * وقد رُدّ علم العائفيـن الى لهب
فقال(١) جرى الطير السَّنِيح ببَيْنهـا * فدونك فاهمِلْ جِدَّ مُنهمِرٍ سَكب
فإلّا تكن ماتت فقـد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد الصَّفَّار قال حدّثنـا هَمّام بن يحيى عن قَتَادة عن حَضْرَمِىِّ بن لاحِق أو عن أبى سَلَمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أمرائه : « اذا أبردتم الىّ بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .

[(٢)خرج عمر الى حَرَّة وَاقِم فلقى رجلا من جُهَينة فقال له : ما آسمك ؟ قال : شهاب . قال : ابن من؟ قال : ابن جَمْرة . قال : وممن أنت؟ قال : من الحُرَقة.

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .
فيممت شـيخا منهـم ذا أمانة * بصـيرا بزجر الطـير منحنى الصلب
فقلت له ماذا ترى فى سـوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضِرَام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما اراك تدركهم إلا وقد احترقوا، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو فى طريقه بنعامات خمس، فقال لأصحابه : قولوا فى هذه . فقال بشر بن حسان : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا عدوى ولا طِيرَة» ومن علم شيئا فليقله ولكنى أقول : فتنة خمس سنين .

قرأت فى كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفّوا قال وهرز لغلام له : أخرج الىّ من الجُعْبة نُشَّابة وكان الأُسوار[(١)] يكتب على كل نُشّابة فى جعبته ، فمنها ما يَكتب عليه اسمَ الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه[(٢)]، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبد يده فأخرج له نشابة عليها اسم امرأته فتطيّر وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . رُدّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرزُ فى طائره ثم آنتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن، فاذا ترجمتُها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها فى كبد قوسه ثم قال : صفوا لى ملكهم، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَغَط فى قوسه حتى اذا ملّأها سرّحها فأقبلتْ كأنها رِشَاء منقطع حتى فَضَّت[(٣)] الياقوتةَ فطار فُضَاضها ثم فلقتْ هامتَه وهُزِم القوم . وقال المَعْلُوط

تَنادَى الطائران بَبيْن سَلْمى * على غصنين من غَرْب و بان
فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغَرب اغتراب غير دانى

أخذ معناها أبو الشِّيص فقال

أشاقك والليل مُلقِ الجِرَان * غراب ينوح على غصن بان
أحَصُّ الجناح شديد الصياح * يبكّى بعينين ما تَذْرِفان
وفى نَعَبات الغراب اغتراب * وفى البان بَيْنٌ بعيد التدانى

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) فى الفتوغرافية « أبيه » .
(٣) فى الفتوغرافية : « حتى صَلّت الياقوتةُ فطارت فُضاضًا » .

وقال الطائىّ

أتضعضعتْ عَبَرَاتُ عينك أن دعتْ * ورقاءُ حين تضعضع الإظلام
لا تَنْشِجنّ لها فان بكاءها * ضحك وإن بكاءك استغرام
هنّ الحَمام فان كسرت عِيَافةً * من حائهنّ فانهنّ حِمَام

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى موسى بن مسعود عن عِكْرِمة بن عمّار عن إسحق بن عبدالله بن أبى طَلْحة عن أَنَس بن مالك قال: جاء رجل منا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرتْ فيها أموالنا ثم تحوّلنا منها الى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذروها وهى ذميمة».

بلغنى عن ابن كُنَاسة عن مبارك بن سعيد أخى سفيان الثَّوْرىّ قال: بلغنا أن أعرابيا أضاع ذَوْدا له فخرج فى الطلب حتى أدركه العطش، فمرّ بأعرابى يحتلب ناقة فنَشَده ضالّتَه فقال له: متى خرجت فى الطلب؟ ادن منى حتى أسقيك لبنا وأرشدك. قال: قبل طلوع الفجر. قال: فما سمعتَ؟ قال: عواطيس حولى: ثُغَاء الشّاءِ ورُغَاء البعير ونُبَاح الكلب وصياح الصبىّ. قال: عواطيس تنهاك عن الغدوّ. قال: فلما طلع الفجر عَرَض لى ذئبٌ. قال: كَسُوبٌ ذو ظفَر. قال: فلما طلعت الشمس لقيتُ نعامةً. قال: ذات ريش واسمها حسن، هل تركتَ فى أهلك مريضا؟ قال: نعم. قال: ارجع فانك ستجد ضالتك فى منزلك.

حدّثنى عبد الرحمن عن حَفْص بن عمر الحَبَطىّ قال حدّثنا أبو زُرْعة يحيى بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ(١) عن يُبَيع عن كَعْب قال: كانت الشجرة تنبت فى محراب سليمان النبى صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسانٍ ذَلِق فتقول: أنا شجرة كذا وفىّ دواء كذا. فيأمر بها سليمان فيُكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع فى الخزائن حتى كان

(١) فى الأصل «الشيبانى» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب.

آخر ما جاء منها الخروبة فقالت: أنا الخروبة . فقال سليمان: الآن نُعيتْ الىّ نفسى وأُذن فى خراب بيت المقدس . قال الطائىّ يصف عَمُّورِيَّة

بِكرٌ فما افترعتْها كفُّ حادثة * ولا ترقّت اليها هِمّة النُّوب

جرى لها الفال بَرْحا يوم أَنْقِرة * اذ غُودرت وَحْشةَ الساحات والرَّحَب

لَمّا رأت أختَها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أَعدَى من الجَرَب

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين: كانت العجم تقول: اذا تحوّلت السِّباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها دلّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتدّ ويتفاقم . واذا نقَلت الجُرذان بُرّا وشعيرا أو طعاما الى رب بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده، وإن هى قَرَضت ثيابه دلّت بذلك على نقص ماله وولده، فينبغى أن يُقطع ذلك القَرْض ويُصلح . وإذا شبّت النار شبوبا كالصَّخَب دلت على فرح شديد، واذا شبت شبوبا كالبكاء دلت على حزن، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدور فانها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضُر . وإذا فشا المَوت فى البقر وقع المُوتانُ فى البشر، وإذا فشا الموت فى الخنازير عمّ الناسَ السلامةُ والعافية، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس ضَيْقة، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصب الناسُ . وإذا أكثرت الضفادع النَّقيق دلت على موتان يكون . واذا أَنَّ ديك فى دار فشا فيها مرض الرجال، واذا أَنَّتْ دجاجة فشا فيها مرض النساء، واذا صرخت ديوك صُراخا كالبكاء فشا الموت فى النساء، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعب غراب أسود بخاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعمر . واذا قوّقت دجاجة وجاوبها غراب دل على عُمران يخرَب . وإذا غطّ الرجل الحسيب فى نومه بلغ سَنًّا ورفعة، ومن نفخ فى نومه أُفسد ماله، ومن صَرّتْ أسنانُه فى نومه دل ذلك منه على نميمة،

وينبغى أن يُضرب على فيه بخُفٍّ متخرِّق . ومن سقطت قدّامَه حية من جُحر أصابته معرّة ومضرة . واذا رئى فى الهواء دُخْنة وظلمة من غير علة تُخوف على الناس الوباء والمرض . واذا رئى فى آفاق السماء فى ليلة مصحية كاختلاف النيران غَشِى البـلاد التى رئى ذلك فيها عدوّ ، فان رئى ذلك وفى البلاد عدوّ انكشف عنها . واذا نبح كلب بعد هَدْأةٍ نبحة بغتة دل على أن السُّرّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما فى تلك الدار أوما جاورها . واذا صفّق ديك بجناحيـه ولم يصرخ دل على أن الخـير محتبس عن صاحبه . واذا أكثر البوم الصراخ فى دار برئ مريض إن كان فيهـا . وإذا سُمع لبيت تنقُّض شَخَص من فيه عنه ، واذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقم الأمر فى التحارُب وسـفك الدماء . واذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء ومُوتان جارف ، واذا أكثرت الكلاب فى البَغَتات الهريرَ دلت بذلك على إتيان العدوّ البلادَ التى هى فيها ، واذا صرخ ديك فى دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بَلِيّة قد شارفت تلك الدارَ ، واذا صرخت دجاجة فى دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . واذا أكثر ديك النَّزَوان على تُكَأَة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضـعة . واذا ذَرَق ديك على فراشـه نال مالا رغيبا وخيرا كثيرا وذلك اذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فان ذرقت دجاجة على فراشـه نالت زوجته منـه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغى مباعدته . وينبغى أن يُعرف كُنْه من كان مِنْطيقا لعـلّه لا يجيد العـمل ، وحال من كان سِكِّيتا مترمِّتا لعـله بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخَلْق فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزّمِن والكريه الاسم والجارية

البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقِران والحيوان المُوثق والدابّة المَقُودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبُّون الصحيح البدن الرضيّ الاسم والمرأة الوسيمة الثيّب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التى عليها حُمُولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُنَحُّون عن سمع الملك ألحان المغنيات ونَقيض الصوارى وصهيل الخيل والبَرَاذين ويتخذون فى مبيته ديكا ودجاجة . واذا أهديت له خيل سُنِح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَح بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن شَبيب بن غَرْقَدَة [عن عُرْوَة] (١) البارقى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى أَشْهل بن حاتم قال حدّثنى موسى بن على بن رَبَاح اللَّخمى عن أبيه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد أن أُعِدّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشتره اذًا أدهَم أو كُميتا أَقْرح أَرْثَم أو محجّلا مُطْلَق اليمين» وفى حديث آخر « فانها مَيامين الخيل ثم اْغزُ تسلمْ وتغنم إن شاء الله » .

حدّثنى سهل بن محمد قال أخبرنى أبو عبيدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بإناث الخيل فان ظهورها حِرْز وبطونها كنز» قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستحبّ من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد

(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق — وهو كما قال السمعانى جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد اليمن — عروة بن الجعد بن أبى الجعد البارقى الصحابى .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىُّ المـال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخلَ «ومُهْرة مأمورة» يريد كثيرة النتاج . قال : وكان يكره الشِّكَال(١) فى الخيل . [قال أبوذرّ(٢) : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبَّ اليـه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدى مطر بن درّاج : أىُّ الخيل أفضـل؟ قال : الذى اذا استقبلتَه قلتَ نافر ، واذا اسـتعرضته قلت زافر(٣) ، واذا اسـتدبرته قلت زاجر(٤) . قال : فأىّ البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقَبَة الكثير الجلَبَة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأىّ البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عِنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلتَه أَقْعى وإذا استدبرته جَبَّى(٥) وإذا استعرضته استوى وإذا مشى رَدَى واذا عدا دحا .

محمد بن سـلّام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابنَ عمٍّ له الى الشأم ومصر يشترى له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألست صاحب قَنْص؟ قال : بلَى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معـنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزُّفْرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنبيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاخر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظيم الكفل ممتلئه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبَّى : انكب على وجهه وقد أورده فى الأمالى « جَنَا » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يرجُم الأرض رجما بين المشى الشديد والعدوّ . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كُلّ شيء تستحسنه فى الكلب فاطلبه فى الفرس . فقدم بخيل لم يك فى العرب مثلها . وقالوا : سُمّيت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابى فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان فى أَشْطان[(١)] فلما أُرْسلت لَمَع لمعة سحاب فكان أقربها اليه الذى تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بنى أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المِبَرّ من المُبْطِئ المُقْرِف . أما الجواد المبر فالذى لُهِزَ لَهْزَ العَيْر[(٢)] وأُنِّفَ تأنيفَ السَّيْر[(٣)]، الذى اذا عدا آسلهب[(٤)] واذا قِيد آجلَعَبّ واذا انتصب آتلأَبّ . وأما المبطى المقرف فالمدلوك الحَجَبَة[(٥)] الضخم الأَرْنبة[(٦)] الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة][(٧)] الذى إن أرسلَته قال : أمسكنى وإن أمسكته قال : أرسلنى وأنشد الرياشى

كمُهْرِ سوء اذا سكّنتَ شِرّته * رام الجِماحَ فان رفَّعتَه سكنا

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك فى العِتاق والهُجُن، فدعا سَلْمان بن ربيعة الباهلى فأخبره، فأمر سلمان بطَسْت فيه ماء فوُضع فى الأرض ثم قُدمت الخيل اليه فرسا فرسا فما ثَنَى منها سُنْبُكَه فشرب هجَّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه عرَّبه . وذلك لأن

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافيــة هكذا (جاو الشيطان) الخ وفى لسان العرب : ووصف أعرابى فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان فى أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان فى أشطان» فحرفها الناسخ كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفى القاموس : الملهوز المضبَّر الخَلْق والتضبير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشى ويوافقه ما فى اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفى الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهْزَ العير" . وفى اللسان نهزت الدابّةُ اذا نهضت بصدرها للسير، ولعل معناه أنه يندفع فى السير كاندفاع العير الوحشى .

(٣) فى اللسان : واذا أنف يأتنف السير وهو تحريف دفع اليه توهم أن السير هنا بمعنى المشى لأن المؤنَّف هو المحدّد من كل شىء ومنه سير (جلد) مؤنَّف أى مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قُدَّ حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) اسلهب : مضى . وآجلعبّ : امتدّ على الأرض . واتلأبّ : استوى .

(٥) حجبة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه، ومدلوكها الذى ليس لحجبته اشراف فهى ملساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) فى الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

فى أعناق الهُجُن قصرا فهى لا تنال المـاء على تلك الحال حتى تثنى سنابكها وأعناق العتاق طوال .

وحدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال : ذكروا أن كسرى كان اذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافرَه، قال : المطبخ . واذا قال : يشتكى ظهـره، قال : البَيْطار .

وأنشدنى أبو حاتم لأبى ميمون العِجْلىّ وهو النضر بن سلمة فى شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبى عبيدة وعلى الأصمعىّ

الخيــلُ منّى أهلُ ما أن يُدنَيْنْ * وأن يُقــرَّبْنَ وأن لا يُقْصَيْنْ
وأن يُبَأْبَأْنَ(١) وأن يُفــدَّيْنْ * وأن يكون المحضُ ممـا يُسْقَين
وأهـل أن يُعْلَيْنَ أو يُغَالَيْنْ * بالطِّرْف والتِّـلْد وأن لا يُجْفَيْنْ
وأهـلُ ما صَحِبْنَنَـا أن يُقْفَيْنْ(٢) * وأهـل ما أَعْقَبْنَنَا أن يُجْـزَيْنْ
أليس عزُّ النـاسِ فيما أَبْلَيْنْ * والحسب الزاكى اذا ما يُقْنَيْنْ
والأجر والزَّيْن اذا رِيمَ الزّين * كم من كريم جدّه قـد أَعْلَين
وكم طريدٍ خائفٍ قـد أَنْجَـيْنْ * ومن فقــير عائـل قد أَغْنَيْنْ
وكم برأس فى لبـانٍ أجْرَيْنْ * وجســدٍ للعـافياتِ أَعْرَيْنْ
وأهلِ حصنٍ ذى امتناع أرْدَيْنْ * وكم لها فى الغُنْم من ذى سهمين
يكون فيما اقتســموا كالرَّجُلين * وكم وكم أَنْكَحْنَ من ذى طِمْرَيْنْ
بغير مهـر عاجل ولا ديـن * والخيل والخـيرات فى قرينين
لا تشتكِينَ عمـلا ما أَنْقَيْنْ * ما دام مُخٌّ فى سُـلامَى أو عين

* ما بلّل الصوفةَ(٣) ماءُ البحرين *

(١) يقال لها بأبى أنت، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤْثَرْن . (٣) فى اللسان : وصوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيوانى واحدته صوفة وفى الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر صوفة .

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيدة لا أعرف قائل هذا الشعر وعروضه لا يخرَّج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخُزَاعى

ذاك وقد أذعر الوحوشا * بصَلْتِ الخدّ رَحْبٍ لَبَانُهُ مُجْفَرْ (١)
طويلُ خمسٍ (٢) قصير أربعة (٣) * عريض ست (٤) مقلَّصٍ حشْور (٥)
حَدَّتْ له تسعةٌ (٦) وقد عريت * تسع (٧) ففيه لمن رأى منظر
ثم له تسعة كُسِينَ (٨) وقد * أَرْحَبَ منه اللَّبَانَ والمَنْخَرْ
بعيد عشر وقد قُرِبْنَ له * عشر (٩) وخمس طالت ولم تقصر

---

(١) اللَّبَان الصدر ومجفر بفتح الفاء واسع الجُفْرة وهى من الفرس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدى فى قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها ابن الاعرابى بالعنق ووظيفى الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو على القالى : وتفسيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من الشاعر ثم ذكر أن الذى يستحب طوله فى القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثُّنَن وهى الشعر الذى فى مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العنق جاز وصح قوله .

(٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت فى القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى الفخذان والوركان والأوظفة . (٥) حَشْوَر : منتفخ الجنبين .

(٦) ذكرت فى تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابى : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه . كذا فى أمالى أبي على القالى ولم يذكر الثامن .

(٧) عدت فى تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابى السبعة العارية : خدّاه وجبهته والوجه كله وقوائمه فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .

(٨) عدت فى تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابى السبع المكسوة : الفخذان وحامياه . ووركاه وحصيرا جنبيه ونَهْدتاه وهما فى الصدر. وغير ابن الاعرابى يقول فَهْدتاه بالفاء. قال أبو على القالى والصحيح فهدتاه وهما اللحمتان اللتان فى الزَّوْر كالفَهْدين .

(٩) عد فى تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابى السبع التى قربت يريد بها سبع خصال صالحة قربن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل . (راجع قصيدة أبي صفوان الأسدى وشرحها فى الأمالى من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣) .

نُقْفِيه بالمَحْض دون وِلْدَتنا * وعُضَّـه[١] فى آرِيِّه[٢] يُنْثَر
نَصْـبَحُه تارة ونَغْبقُـه * ألبانَ كُومٍ رَوائِمٍ أَظْؤُر
حتى شَـتَا بادِنًا يقال ألا * يطوون من بُدْنه وقد أُضْمِر[٣]
مُوَثَّقُ الخَلْق جُرْشُعٌ[٤] عَتَـد * مُنْضَرِجُ الحُضْر حين يُسْتَحضَر
حَاظِى[٥] الحَمَاتَيْن لَحْمُه زِيَمٌ * نَهْدٌ شـديد الصِّفَاقِ والأَبْهَر
رقيق خمس غليظ أربعـة * نائى المَعَدَّين[٦] لَيِّن الأَشْعَر

وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبِّيين فى وصف فرس

متقاذف عبلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا * سَبَّاق أندية الجياد عَمَيْثَل[٧]
واذا تُعَلَّلُ[٨] بالسِّياط جيادُها * أعطاك نائلَه ولم يتعلَّل

قيل لما وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص

شبَّت الحربُ فأعددتُ لها * مُفْرَعَ الحَارِك مروىّ الثَّبَج[٩]

(١) العُضّ : العجين تُعلفه الابل ، والقت ، والشعير والحنطة لا يشركهما شىء . (٢) الآرىّ : الآخِيَّة وهى محبس الدابة . (٣) يقال ضمر الخيل تضميرا : علفها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس .

(٤) الجرشع كقنفذ : العظيم الصدر المنتفخ الجنبين . ومنضرج الحضر : شديد العدو . (٥) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية وذكر فى أسفل النسخة الألمانية أن فى بعض النسخ خاطى . وكلاهما غير مناسب للعنى ولعله خاظى بالخاء والظاء المعجمتين فان الحماتين من الفرس اللحمتان المجتمعتان فى ظاهر الساقين من أعاليهما والخاظى كما فى لسان العرب المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز . والصفاق فسره الأصمعى فى كتاب الفرس كما فى لسان العرب الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر والأبهر : عرق فى الظهر . (٦) المعدان : موضع دفتى السرج . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد .

(٧) متقاذف ، سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو مدح للفرس لأنه اذا شَنِج نَسَاه لم تسترخ رجلاه . والعميثل النشيط . (٨) فى الفتوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح اذا كانت القافية مرفوعة . على انه فى العقد الفريد أورد هذا الشعر على نحو ما فى الصلب . (٩) الحارك أعلى الكاهل والثبج ما بين الكاهل الى الظهر .

جُرْشُعًا أعظمه جُفْرَتُه * فاذا ابتلّ من الماء حَرِجْ

يصل الشّد بشدٍّ فاذا * ونت الخيلُ من الشدّ مَعَجْ (١)

ووجدت فى كتاب من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة المهر الحولى صغر رأسه وشدّة سواد عينيه وأن يكون مُحدَّد الأذنين أَجْرد باطنها كثيف العُرْف، فى عرفه ميل من قِبَل يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكتنزَ الجنبين طويل الذنبْ عريض الكَفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر ألا يكون نَفُورا [ولا يقفُ عند دابة إلا مع أمّه] واذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف لتجاوزَه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيلَ من العين وأشباه ذلك أن يُجْعل فى أعناقها خرزة من قرون الأيايل (٢) .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سفيان عن حُصَين بن عبدالرحمن عن هلال بن إِسَاف وعن سُحَيم بن نَوْفل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية الى سيّدها فقالت : ما يُجلسك؟ قم فابتغ لنا راقيا فإن فلانا لَقَع (٣) مهرك بعينه فتركتْه يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبتغ راقيا ولكن اذهب فأنفُث فى مَنْخره الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس لا باس أذهِب الباس رب النّاس وآشف أنت الشافى لا يكشف الضراءَ إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتنى به فبال وراث وأكل .

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صَلُودا لا يعرق سقيتَه ماء قد دُفْتَ فيه خَمِيرة أو علفته ضِغْثا من هِنْدبَاء فان ذلك يُكثر عرقه، فان حَمِر (٤) أدخلته

---

(١) فى الفتوغرافية «فاذا ونت الخيل من الثّج» . والشدّ : العدو . ومعج كمنع : أسرع . (٢) الأيايل جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سنق (تخم) من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اه قاموس .

الحمَّــام وأَشمّه عَذِرَةً . فقلت لأبى عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرنى به جلّ الهندىّ وكان بصيرا . قال : فان أصابته مَغْلَةٌ وهى وجع البطن من أكل التراب أُخذ له شىء من بُورَقٍ فدقّ ونُخِـل بجُعِـل فى ربع دَوْرَق من خمر فخُقِن به وبُلّ تراب طيّب ببول أتانٍ(١) حتى يصير طينا ثم لُطخ به بطن الدابة . قال : وممـا يذهب العَرَن دماغ الأرنب .

وقف الهَيْثم بن مطهَّر على باب الخَيْزُران على ظهر دابته، فبعث اليــه الكاتب فى دارها : آنزل عن ظهر دابتك فقد جاء فى الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابّكم مجالس . فبعث اليه : إنى رجل أعرَج وإن خرج صاحبي خِفْتُ ألّا أدركه . فبعث اليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حَبيس إن أنزلتنى عنه إن أَقْضَمْتُه شهرا فانظر أيّمـا خير له، راحةُ ساعة أو جوعُ شهر؟ فقال : هذا شيطان، آتركوه .

باب البغال والحمير

قال مَسْلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذَار طويلة العِنَان . وكتب رجل الى وكيله : آبغنى بغلة حَصَّاءَ الذنَب طويلةَ العنق سوطها عِنانُها وهواها أمامُها .

عاتب الفضلَ بن الربيع بعض بنى هاشم فى ركوبه بغلة، فقال له : هذا مركب تَطَأطأ عن خُيَلاء الخيل وآرتفع عن ذِلّة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سَيَّارَةَ بأهل المُزْدَلِفة أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب : «أصح من عَيْر أبى سيارة»

قال رجل للفضل الرَّقَاشِى وهو جدّ مُعْتَمِر لأمّه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مَرْفَقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

(١) فى الفتوغرافية "انسان" .

قدر اختلاف الزمان ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صَريعا وأسهل تصريفا وأخفض مَهْوًى وأقل جِمَاحا وأشهر فَارِهًا وأقل نظيرا ويُزْهَى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه. وقال خالد بن صفوان فى وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكُدَّاد[1] أَصْحر السِّرْبال مُحْمْلَجَ القوائم يحمل الرِّجْلة ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبّارا عنيدا.

وقال رجل لنخّاس: اطلب لى حمارا ليس بالكبير المشتَهر ولا القصير المحتقر ولا يُقدِم تقحّما ولا يحجم تبلّدا يتجنب[2] بى الزحام والرِّجَام والإكام خفيفَ اللجام اذا ركبْتُه هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفتُه شكر، وإن أجعته صبر. فقال له النخاس: إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله. وقال رجل لآخر يوصيه: خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانه للسِّفَاد.

جرير بن عبد[3] الله عن أبيه قال: لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجليك.

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش[4]: لا تشتر خمسة من خمسة: لا تشتر فرسا من أَسَدىّ ولا جملا من نَهْدىّ ولا عَيْرًا من تميمى ولا عبدا من بَجَلى. ونسى الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود فى هذه الأشياء. قيل لبنى عبس: أىّ الإبل

(١) فحل تنسب اليه الحمر. قاموس. (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما فى الفتوغرافية «يخبب». (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبدالحميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم.

(٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم نقف فى ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه، ولعل هيثما هذا هو الهيثم بن خارجة الخراسانى فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.

أصبر عليكم فى محاربتكم ؟ قال الرُّمْك الجعَاد . قيل : فأىَّ الخيــل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكُمْتَ الحُوَّ . قيل : فأىَّ النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بناتِ العم .

المدائنى قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتنى الحج، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُزْته قام بى بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فمرّ بى اليمــانى فقال : مررتَ بنا ولم تسلِّم ولم تعرِّض . فقلت : أجل[1] يرحمك الله . قال : أتطيب نفسا عما أرى؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أنْساع رَحْله ثم قدّمه فكاد يضعه على عنقها ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضــبط رأسها لقدّمتك . ثم قال لى : خذ حُرّ متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت، ثم ارتدفتُ فجعلتْ تعوم عوما ثم انسلّت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالمــاء فما شعرت حتى أرانى الأعلام وقال : أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجمْع[2]، فقضيت حِجَّتى، وكان قال لى : حاجتى اليك ألّا تذكر هذا فان هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة، أدرك عليها الثأر وهى ثِمَــال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غِبّ الحمار فسألته : من أين هى؟ قال : بُجَاوِيّة من هَوَامِى نَتَاج[3][بدو] بَجِيلة الأولى وهى من المَهَارى التى يذكر الناسُ .

[وكتب[3] سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصبْ لى نَجَائب كِرَاما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِىٍّ عظيم الهامة له خَلْق لم يروْا مثله قطّ فساموا، فقال : لا أبيعه . قالوا : لا نَدَعُك ولا نغصِبُك ولكنا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو؟ قال : معكم نجائب كِرَام وخيل سابقة، فدعونى أركب

(١) فى الفتوغرافية ''قد كان ذاك رحمك الله''. (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .
(٣) زيادة فى النسخة الألمــانية .

جملى وأبعثه وآتبعونى فان لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم آنبعث وآتبعوه فلم يدروا كيف أَخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن عَلَما على وَثْبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا فى ألفين الى مِرْدَاس بن أُدَيَّة وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعنّفه آبن زياد وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أَحَبُّ الىّ من أن يدعوَ لى وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذلكُمُ كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة يُنصرونا

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ما آلتقتْ فئتان قطّ إلا وكفّ الله بينهما فاذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليها» . [(١) ورفع معاوية ثُنْدُوَتَه بيده وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلى، فكيف قال النجاشى

ونجّى آبنَ حرب سابقٌ ذو عُلَالة * أجشُّ هَزِيمٌ والرماح دَوَانى]

ابن دَأْب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتنىَ فرصة * وإلّا تكن لى فرصــة فجبان

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

شهد أبو دُلَامة حربا مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدّم فقاتلْ . فقال

إنى أعوذ برَوْح أنْ يقدّمنى * الى القتال فتَخْزَى بى بنو أسد
إن المهلب حبَّ الموت ورّثكم * ولم أورَّث حبَّ الموت عن أحد (١)

أبو المنذر قال، حدّثنا زيد بن وهب قال، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبًا لابن النابغة ! يزعم أنى تلْعَابة أُعَافس وأُمَارِس ! أما وشرُّ القول أكذبُه، إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل ، فاذا كان عند البأس فانه آمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذَها من هام القوم ، فاذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبَرْقِطَ ويمنح الناس آستَه . قبحه الله وترَحه . وقال الفرّار السُّلَمى

وكتيبة لبَّستُها بكتيبة * حتى اذا التبستْ نفضتُ بها يدى
وتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم * من بين منجدِل وآخر مسنَد
ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقُتلت دون رجالهم : لا تَبْعَدِ

وقال آخر

أضحت تشجعنى هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العَطَب
لا والذى حجت الأنصار كعبته (٢) * مايشتهى الموتَ عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهمُ * اذا دعتْهم الى حَوْبائها (٣) وثبوا
ولست منهم ولا أبغى فعالهمُ * لا القتل يعجبنى منها ولا السَّلَب

وقال أَيْمن بن خُرَيم

إن للفتنة مَيْطا بيِّنا (٤) * فرُوَيد الميطَ منها يعتدل

(١) كذا بالنسختين، وفى الأغانى : «وما ورثت اختيار الموت عن أحد» .

(٢) رواه فى العقد الفريد «لا والذى منع الأبصار رؤيته» . (٣) فى النسخة الألمانية «نيرانها» .

(٤) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، وفى العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كان عطاء فأتِهِمْ * واذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسْــعِرها جُهّالهـا * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلُقِي الأعنة من كفّه * وقاد الجيادَ بأذنابها

وقال جِرَان العَوْدفى الدَّهَش

يوم ارتحلت برحلى قبــل تَوْدعتى * والقلب مستوْهِلٌ بالبين مشغول
ثم اعتضضتُ(١) على نِضْوِى لأدفعه * إثر الحُمول الغَوَادِى وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة [من الرافضة] وهو من بَجِيلة(٢) فقال من الدهش : أطعمونى ماء . فذكّره بعضهم فقال

عاد الظلوم ظَلِيما حين جُدَّ به * واستطعم المـاءَ لمـا جدّ فى الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إما لُلكنة فيــه أو لجبن أو دهشة : افتحوا سيوفكم . وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيرى

و يومَ فتحتَ سيفك من بعيد * أضعتَ وكُلُّ أمرك للضياع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أ كان الجبان يرى أنه * سيُقتَل قبل انقضاء الأجلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان * و يسلم منها الشجاع البطلْ

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زَحْفا وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رَمْية ثم ها أنا أموت على فراشى حَتْفَ أَنفى(٣)، فلا نامت أعين الجبناء.

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفى الفتوغرافية «اغترزت» بالراء المهملة وهو محرف عن «اغترزت» بالزاى المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل فى الغرز وهو الركاب . (٢) فى النسخة الألمانية «وهو مولى لبجيلة» . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية « أموت على فراشى كما يموت العير » وفى العقد الفريد «ثم ها أنذا أموت حتف نفسى كما يموت العير» .

[قيل لأعرابى : ألا تغزو[(١)] فإن الله قد أنذرك . قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى فكيف أمضى اليه ركْضا !] وقال قِرْوَاش بن حَوْط وذكر رجلين

ضَبُعا مُجَاهَرة وليثا هُدْنة * وثُعَيلِبا خَمَر اذا ما أَظْلما

وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد

إذا صوّت العُصفور طار فؤاده * وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

ونحوه قول الآخر[(٢)]

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسوَّمة تدعو عُبَيدا وأَزْنَما

وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّار فى الجبان

رأى فى النوم إنسانا[(٣)] * فوارَى نفسَه أشهرْ

قال ابن المقفع : الجبن مَقْتلة والحرص مَحْرمة فانظر (فيما[(١)] رأيت وسمعت) : من قُتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قُتل مدبرا؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب اليك بالشره والحرص ؟ وقال حَنَش[(٤)] ابن عمرو

وأنتم سماء يعجب الناس رِزُّها * لها زَجَلٌ باق شديدٌ وَئِيدُها
تقطّع أطنابَ البيوت بحَاصِبٍ * وأكذبُ شىء برقُها ورعودها
فويلمِّها خيلًا تَهَاوى شِرَارُها * اذا لاقت الأعداءَ لولا صدودُها

(١) زيادة فى النسخة الألمانية. (٢) هو العوام بن شوذب الشيبانى. (٣) هكذا فى النسختين الفتوغرافية والالمانية وفى العقد الفريد "عصفورا".

(٤) نسب هذه الأبيات فى الحماسة لقراد بن حنش الصاردى وروى البيت الأوّل

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تنحى شديد وئيدها

والثالث فويلمّها خيلا بهاءً وشارة * إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

وقال الفرزدق أو البَعيث

سائل سَليطًا إذا ما الحرب أفزعها * ما بالُ خيلكمُ قُعْسًا هَوَادِيهـا
لا يرفعون الى داعٍ أعنّتهـا * وفى جَواشِـنِها داء يُجَافيهـا

كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل يقال له عروة بن مَرْثد ويكنى أبا الأغرّ ينزل ببنى أخت له فى سكة بنى مَازِن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضِيَاعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلّينَ فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلا الإماء فدخل كلب يَعْتَسُّ فرأى بيتا فدخله وٱنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا دخل الدار فذهبت إحداهنّ الى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه وجاء. فوقف على باب البيت وقال: إيه يا مَلْأمان، أما والله إنك بى لعارف فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربتَ حامضا خبيثا حتى اذا دارت القـدوح فى رأسك منّتْك نفسك الأمانى وقلت: أطرقُ ديارَ بنى عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلينَ فى مسجدهم فأسرِقهم. سَوءةً لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وٱيم الله لتخرجَن أو لأهتِفنّ هَتْفة مشؤومة يلتقى فيها الحيّان عمرو وحَنْظلة وتجىء سَعْدٌ بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلتُ لتكوننّ أشأمَ مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: اخرج بأبى وأمى، أنت مستور، إنى والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت الىّ. أنا — فديتُـك — أبو الأغر النَّهْشلى، وأنا خال القوم وجِلْدة بين أعينهم لا يعصوننى، ولن تضارَّ الليـلة فٱخرج فأنت فى ذمتى وعندى قَوْصَرّتان أهداهمـا الىّ ابن أختى البارّ الوَصُول فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وَثَب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك وقال: يا ألأم النـاس وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليـلة فى واد وأنت لى فى واد، أقلّب السوداء

والبيضاء فَتِصيخ وتُطرِق ، وإذا سكتَّ عنـك وثبتَ تُريغ المخرج ، والله لتخرجنّ أو لألجنّ عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابى مجنون، والله ما أرى فى البيت شيئا، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وحاد عنـه أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : ياالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ، أما والله لو علمت بحاله لو لجت عليه .

وشبيه بهذا حديث لأبى حية النُّميرى ، وكان له سيف ليس بينه و بين الخشبة فرق ، وكان يسميه لُعَاب المنية . قال جار له : أشرفت عليـه ليلة وقد آنتضاه وشمّر وهو يقول : أيها المغترّ بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهور ضربته لاتخاف نبوته . آخرج بالعفو عنك و إلا دخلتُ بالعقو بة عليك ، إنى والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا ورَجْلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح البـاب فاذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا .

وقرأت فى كتاب كليلة ودمنة : يخاف غيرَ المخوف طائر يرفع رجليه خشية السماء أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجليه حِذار الخَسْف إن قام عليهما ، ودودة تأكل التراب فلا تشـبع خوفا أن يفنى إن شبِعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار أن تُصطاد لحسنها .

بينا عبد الله بن خازم السُّلَمى عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِل عليه بجُرَذ أبيض فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا؟ و إذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ وآصفرّ حتى كأنه جرادةُ ذَكر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن و يتهاون بالشيطان (١) و يقبض على الثعبان و يمشى الى الأسد الوَرْد و يلقَى الرماح بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شىء قدير !

(١) كذا بالنسختين ، وفى العقد الفريد : «و يتهاون بالسلطان» .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان

إن كنتِ كاذبة الذى حدّثتنى * فنجوتِ مَنْجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجام

فاعتذر الحارث منْ فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزْبِد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا * أُقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهمُ * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وخرج فى زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله، فاتّبعه أهل مكة يبكون، فرقّ وبكى ثم قال: أما إنا لو كنا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا، ولكنها النُّقْلة الى الله، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات.

المدائنى قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءَتك يوم ابن أبى طالب، أما والله لقد وافقتَه منّانا كريما، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنى لعَنْ يمينك حين دعاك الى البِراز فاحولّت عيناك وربا سَحْرُك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحكْ أو دَعْ.

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غِلَالة؟ فبعث اليها أنه الحجاج، فأعادت

(١) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، والذى فى المعارف للصنف "يوم سرمد".

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: ياأمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة رَيْحانة وليست قَهْرَمَانَةً فلا تُطلعها على سرك ومكايدة عدوّك . فلمـا دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتى أن تأمره غدا بأن يأتينى مستلما، ففـعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما، ثم قالت: إيه ياحجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين أول مولود ولد فى الاسلام، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره فان كنّ ينفرجْنَ عن مثـله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفَض نساء أمير المؤمنين الطِّيبَ من غدائرهن فبِعْنَه فى أعطية أهل الشأم حين كنت فى أضيق من القَرْن[1] قدأظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غَزَالة بين كتفيك

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فَتْخَاءُ تنفِر من صفير الصافر

هلا كررْتَ على غَزَالة فى الوَغَى * بل كان قلبك فى جوانح طائر

وغزالة امرأة شَبِيب الخارجى . ثم قالت : آخرج ، فخرج .

وكان فى بنى ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين و بلغ ذلك نلسا من بنى سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفرّا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نَثَل كِنَانَته وأخذ قوسه وقال[2]

(١) فى النسخة الفتوغرافية "القوت". (٢) هو عاصم بن ثابت كما فى اللسان مادة (عنبل) ورواه

ما علتى وأنا طب خاتل * والقوس فيها وتر عنابل

* تزل عن صفحته المعابل *

ما علّتى وأنا جَلْد نابِل * والقوس من نَبْع لها بَلَابِلْ
يَرِزُّ فيها وتَرٌ عُنَابِلْ * ان لم أقاتلكم فأمّى هابِلْ
أكلَّ يوم أنا عنكم نَاكِلْ * لا أُطعِم القومَ ولا أقاتلْ
* الموت حق والحياة باطل *

ثم جعل يرميهم حتى ردّهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحىُّ، فصار بعدذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعَبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْح بن زِنباع الجُذَامِى كالوزير، وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله ما رأوا تخوّفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إخراجه عنهم فكتبوا ليلا على بابه

إنّ ابن مروان قد حانت منيّته * فاحتلْ لنفسك يارَوحُ بنَ زِنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشكّ أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين تركْتُ أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فَحَصَ برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

كان أُمَيّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد وُجّه الى أبى فُدَيك فانهزم وأُتى الحجاج بدوابّ من دوابّ أمية قد وُسم على أفخاذها "عُدَّة" فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر(١) رضى الله عنه : إنّ الشجاعة والجبن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل يقاتل عمن لايبالى ألا يؤوب الى أهله ، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال الشاعر

يفرّ الجبان عن أبيه وأمّه * ويحمِى شجاعُ القوم من لايناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمعى قال سمعت الحَرَسِىَّ يقول : رأيت من الجبن والشجاعة عجبا . استَثَرْنَا من مَزْرعة فى بلاد الشأم رجلين يُذْرِيان حنطة ، أحدهما أصيفر أحيمس[1] ، والآخر مثل الجمل عِظَما ، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرى لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل ، ولم نصل الى الآخر حتى مات فَرَقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة ، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا أبو عمرو[2] الصَّفّار قال : حاصر مسْلَمة حصنا فندب الناس الى نَقْب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إنى قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتى ، فعزمتُ عليه إلّا جاء . فجاء رجل فقال : استأذنْ لى على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألّا تسوّدوا اسمه فى صحيفة [الى الخليفة][3] ولا تأمروا له بشىء ، ولا تسألوه ممن هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لايصلى بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

---

(١) كذا بالألمانية ، وفى الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيمش" مصغر أحمش وهو دقيق الساقين .

(٢) فى الألمانية "عثمان" ولم نعثر عليه فى كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصفار كما فى كتب التراجم .

(٣) زيادة فى الألمانية .

حدّثني محمد بن عمرو الجُرْجاني قال كتب أَنُوشِرْوَانُ الى مَرازِبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشي مشي الوُعول ، فلما تصافحوا بالسيوف فَغَرت المنايا أفواهَها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : ٱحْتَثُّوا كلَّ جُمَالِيَّة عَيْرَانَةٍ فما زالوا يَخْصِفون أخفافَ المَطِيّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المُرَّانَ أَرْشِيَةَ الموت وٱستَقَوْا بها أرواحَهم .

حدّثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قَطَرِيّ وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسًّا منكرا خلفي ، فالتفتُّ فاذا أنا بقَطَرِي فيئست من الحياة فلما عرفني قال : ٱشدُدْ عنانَها وأوجِعْ خاصرتَها قطع الله يديك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدّثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب [قالت ٱمرأة(١) : الغرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أُخرج فشُقّ بطنُه وأُخرج فؤاده فاذا مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فَيَنْزو .

حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء قال : لما كان يومُ الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سَعْدِيٌّ ، فقال : لو طلبتُ رجلا له فداءٌ! قال : فخرجت أطلبُه ، فاذا رجل عليه مُقَطَّعة يمانيَّة على فرس ذَنُوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أَقْصَدُ لي . قلت : أَيْهَاتَ منك اليمن . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتا لله لا تَرى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلَكَ لا أراهم . قال : فتركتُه ولما كان بعد أيام ونعتُّ نعتَه بعد ذلك ، فقيل لي : هو وَعْلَةُ الجَرْمي .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنا محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحـاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيّتهم العدوّ ليلا وفرّقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إنــ على كل رئيس حقّا * أن يَخْضِب الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابُ الطبل الصوتَ انهزموا . ثم حمـل على الكُرْدُوس(١) الآخر ففعل مثـل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدوّ فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرْوُ الرُّوذ .

سأل ابن هُبَيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وَكيع ابن الدَّوْرَقِيّة كيف قتلتَه؟ قال : غلبته بفضل فَتَاء كان لى عليه فصرعتُه وجلست على صدره وقلت له : يا لثَاراتِ دُوَيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لايساوى كفَّ نوى! ثم تنخَّم فملأ وجهى نُخَامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلَّ عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك ذُعْر قطُّ لحرب [أو عدوّ](٢) قال : ما سلِمت فى ذلك من ذعر ينبّه على حيـلة ولم يَغْشَنِى فيها ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رُهْم(٣) بن حَزْم الهلالىّ ومعـه أهله وماله يريد النُّقلة من بلد الى بلد فلقيـه ثلاثون رجلا مِنـ بنى تَغلِب فعرفهم ، فقال : يابنى تغلب ، شأنَكم بالمـال وخلُّوا

(١) الكردوس : الكتيبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .
(٣) فى النسخة الألمـانية «زهير» ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحي لمعي . وحمل عليهم فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُدّا على آخرِها الأتاليَا * إن لهـا بالمشرَفيّ حاديَا

* ذكّرني الطعنَ وكنتُ ناسيَا *

قال الزُّبيري : ما آستحيا شجـاع أن يفرّ من عبد الله بن خازم السُّلَمي وقَطرِيّ ابن الفُجَاءة .

أبو اليَقْظان قال : كان حبيب بن عَوْف العَبْدي فاتِكا، فلقي رجلا من أهل الشأم قد بعثه زياد ومعه ستون ألفا يتَّجر بها فسايره، فلما وجد غَفْلة قتله وأخذ المـال فقال يوما وهو يشرب [على(١) لذته] .

يا صاحبيّ أقِلّا اللوم والعذَلا * ولا تقولا لشيء فات ما فُعلا
رُدّا عليّ كُميت اللون صافيـة * إني لقيت بأرض خاليا رجلا
ضخم الفرائص لو أبصرتَ قِمّته * وسْط الرجال إذنْ شبهتَه جَمَلا
ضاحكتُه ساعة طورا وقلت له * أنفقتَ بيعك إن رَيْثا(٢) وإن عَجَلا
سايرته ساعة ما بي مخافتـه * الا التلفُّتَ حولي هل أرى دَغَلا
غادرتُه بين آجامٍ ومَسْـبَعة * لم يدرِ غيرِيَ بعدي بعدُ ما فُعلا
يدعو زيادا وقد حانت منيّته * ولا زيادَ لمن قد وافق الأجلا

المفضَّل الضَّبّي : كان سُلَيك بن سُلَكة التميمي من أشدّ فرسان العرب وأذكرهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عَدْوا على رجليه لا تَعْلَق به الخيل وكانت أمّه سوداء وكان يقول : اللهم إنك تهيئ ما شئت لمـا شئت اذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضـعيفا كنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمـانية . (٢) في الفتوغرافية : «إن زيثا وإن عسلا» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملَق حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ عليــه فيذهب بإبله ، حتى اذا أمسى فى ليلة باردة مقمرة واشتمل الصَّمَّاء ونام اذا هو برجل قد جَثَم على صدره وقال : آستأسِرْ. فرفع سليك رأسه وقال : «إن الليل طويل وأنت مُقْمِر» فجرى مثلا، وجعل الرجل يَلْهَزُه ويقول : استأسرْ يا خبيث، فلما آذاه ضمّه اليه ضمّةً ضرَط منها وهو فوقه، فقال له سليك : «أضَرِطًا وأنت الأعلى» فجرى مثلا، ثم قال له : ما أنت؟ قال : أنا رجل افتقرت، فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلقْ معى، فمضيا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما، فأتوْا جَوف مُرَاد وهو واد باليمن فاذا فيه نَعَم كثيرة، فقال لهما سليك : كونا قريبا حتى آتىَ الرِّعَاء وأعلم لكما عِلْم الحى أقريب هو أم بعيــد، فإنْ كانوا قريبــا رجعت اليكما، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أُحِى[1] به لكما فأَغِيرا . فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنّيكم؟ قالوا : بلى . فتغنّى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادى * إلا عبيــدٌ وآمٍ بين أذواد
أتنظُران قليــلا رَيْثَ غفلتهم * أم تَعْدُوَان فان الربح للعادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطْردوا الإبل وذهبوا بها .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان سليك يُحْضِر فتقع السهام من كنانته فترتزّ فى الأرض من شدّة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرأيت أن ترينَا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم، اجمعوا لى أربعين شابا وآبغونى درعا ثقيلة. فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاثَ العَدْو لَوْثًا واهْتَبَصوا[2] فى جَنبَتيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضر مُنبتِرا من حيث لا يرونه وجاءت الدِّرع تخفِقُ فى عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحى يحى اذا أوما . (٢) عدوا .

قال سهل وحدّثني العُتْبي قال حدّثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه (١) من قومه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابي قد كان معروفا بالسَّرَق فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك، قال : إنها لكثيرة، ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يُسبَق وكانت لى خيل لا تُلحَق (٢)، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترشتُ ضبًّا فعلّقته على قتَبي ثم مررت بخباء سرىّ ليس فيه إلّا عجوز، فقلت: أخلقْ بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدَّن اللحم ومعه عبد أسود وغد، فلما رآني رحّب بي ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العُلْبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أَيْنُق فشرب ألبانهن ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحَثا كُومَةً من بَطْحاء وتوسَّدها وغطّ غطيطَ البَكْر، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت الى فحل إبله فخطمتُه ثم قرنته الى بعيرى وصِحْتُ به فاتّبعني الفحل واتّبعته الإبل إرْبَابًا به، فصارت خلفى كأنها حبل ممدود، فمضيت أبادر ثنيّةً بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع، فلم أزل أضرب بعيرى بيدى مرّة وأقرعه برجلى أخرى حتى طلع الفجر، فأبصرت الثنيّة فاذا عليها سواد فلمادنوت اذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصِرْ بين أذني الضب، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الأوّل . قال : انظر هذا السهم الثاني فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بأصبعه، ثم قال : أرأيتَ؟ قلت : إنى أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عُكْوة ذنبه والرابعَ واللهِ فى بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُكْوة، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية «عن بعض أهله» وفى العقد الفريد «وحدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ». (٢) فى الأصل «تخلف» والتصويب عن العقد الفريد.

أنزل آمنا؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت اليه خِطَام لحله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي، فلما تنحّيت قال لى : أقبل . فأقبلت والله خوفا من شرّه لا طمعا فى خيره، فقال : أى هذا، ما أحسبك جَشِمتَ الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرُن من هذه الإبل بعيرين وآمِض لطِيّتك، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله ما رأيت أعرابيا قط أشدّ ضِرْسا ولا أعدى رِجْلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك .

وقرأت فى كتاب سير العجم أن بَهْرَام جُور خرج ذات يوم الى الصيد ومعه جارية له فعرضتْ له ظباء، فقال للجارية : فى أىّ موضع تريدين أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبّه ذُكْرانها بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى تيسا من الظباء بنُشَّابة ذات شُعْبتين فاقتلع قرنيه ورمى عنزا منها بنُشّابتين فأثبتهما فى موضع القرنين . ثم سألته أن يجمع أذن الظبي وظِلْفه بنشّابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببُندُقة فلما أهوى بيده الى أذنه ليحتكّ رماه بنشّابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى الى القَيْنة فضرب بها الأرض وقال : شَدّ(١) ما اشتططتِ علىّ وأردتِ إظهار عجزى !

وقرأت فى كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرْوَزَان، فأقام بها حينا ثم خالفه أهل المَصَانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارِب ما بينهما — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لا سبيل اليهم صعد الجبل الذى هو وراء المصانع من حيث يُحاذِى حصنَهم فنظر

(١) فى الأصلين «أشد» وهو تحريف .

الى أضيق مكان فيه وتحتــه هواء لا يُقدر قدرُه، فلم ير شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحــابه أن يقوموا به صفّين ثم يصيحوا به صَيْحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضْرا رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثَب الفرس الوادىَ فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حِمْير قالوا : هذا أَيْم. والأيم بالحميرية شيطان، فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقَتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجّب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يسامى به أساوِرتَه، فاستخلف المروزان ابنَـه ثم توجّه نحوه فلمـا صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه فى تابوت ثم حمـلوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوُضع فى خزانته فكان يُخرَج فى كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا.

وروى أبو سُوقَةَ التيمى عن أبيه عن جدّه عن أبى الأغرّ التميمى قال : بيْنا أنا واقف بِصفِّين مر بى العباس بن ربيعة مكفِّرا بالسلاح وعيناه تَبِصَّان من تحت المِغْفر كأنهما عينا أَرقم وبيده صفيحة له (١) وهو على فرس له صَعْب يمنعه ويليّن من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عَرار بن أدهم : يا عباس هلمّ الى البِراز. قال العباس : فالنزول اذًا فانه إِيَاسٌ من القُفُول. فنزل الشامى وهو يقول

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نُزُلُ

وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول

وتصــدّ عنك مَخِيلةَ الرجل الـــ * ـعرِّيض مُوضِحةٌ عن العَظْم

بُحسام سيفك أو لسانك والـــ * ـكَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْم

(١) عبارة الفتوغرافية «وبيده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس له صعب فبيناهو يقلبها (وليفته ؟) ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ».

ثم غضَّن فَضَلات درعه فى حُجْزته ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : أسلم كأنى أنظر الى فلائل شعره ثم دَلَف كلُّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول أبى ذؤيب

فتنازلا وتواقفتْ خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُخَدَّع

وكف الناس أعنَّة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكالحا بينهما مَليّا من نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لَأْمته الى أن لحظ العباس وَهْيًا فى درع الشامىّ فأهوى اليه بيده فهتكه الى ثُنْدُوَته ثم عاد لمجاولته وقد أَصْحر له مفتَّق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانحَ صدره وخرّ الشامى لوجهه وكبَّر الناس تكبيرة ارتجَّت لها الأرض من تحتهـم وٱنشامَ العباس فى الناس [وٱنساع أمره] و إذا قائل يقول من ورائى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفتُّ واذا أمير المؤمنين رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المُنازِل لعدوّنا؟ فقلت : هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس ألم أنهك وابنَ عباس أن تخلّا بمركزكما أو تباشرا حربا ؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم. قال: فما عدَا مما بدَا؟ قال: فأُدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك . ثم تغيَّظ وٱستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال : اللهـم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهـم إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسّف معاوية على عرار وقال متى يَنْطِف فحلٌ بمثله ! أيُطَلّ دمه! لاها اللهِ ذا. ألا لله رجل يَشْرى نفسه يطلب بدم عرار؟ فٱنتدب له رجلان من لخم . فقال : اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى البراز فقال : إن لى سيدا أريد أن أؤامره . فأتى عليّا فأخبره الخبر، فقال علىّ : والله

لودّ معاوية أنه ما بقى من هاشم نافخُ ضَرْمَةٍ الا طُعِن فى نَيْطه[(١)] إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يُتِمّ نورَه ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنّهم منا رجال، ورجال يَسُومونهم الخسفَ حتى يَحْفِروا الآبار ويتكفَّفوا النـاس . ثم قال : يا عباس ناقلْنى سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصـد اللخميين . فلم يَشُكّا أنه العباس فقالا له : أذن لك صاحبك؟ فحَرِجَ أن يقول نعم، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنمـا أخطاه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأوّل، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الحَـرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونُمِى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله اللَّجاج إنه لَقَعُود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله اللخميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيهـا الرجل فليس هذه من ساعتك. قال: وإن لم تكن، رحم الله اللخميين وما أراه يفعل. قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لجُحْرك . قال: قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاةمنها. قال: هى أعمتك ولولا هى لأُلفِيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * بهمنك دنيا، فانظُرنْ كيف تصنع
فإن تعطنى مصرا فأربحْ بصفقة * أخذتَ بهـا شيخا يضر وينفـع[(٢)]

خرج الأُخَينس الجُهَنىّ فلقى الحُصَين العمرىّ[(٣)]، وكانا جميعا فاتكين، فسارا حتى لقيا رجلا من كِندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هـذه الجملة فى مادة ""نيط"" معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النيط نِيَاط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به ا هـ .

(٢) فى النسخة الألمـانية : ""شيئا"" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كما فى لسان العرب وفى الألمانية «العميرى» بالياء . وفى اللسان ومجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل، فلما انتهيا اليه سلّما . قال الكندىّ : ألا تضحِّيان؟ (١) فنزلا . فبينما هم يأكلون مرّ ظليم فنظر اليه الكندىّ وأيّده (٢) بصره فبدَت له لَبّته، فاغترّه الحصين فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله وركبا، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعْلَةٌ وصَعْل؟ قال : يوم شُرب وأكل . قال : فانْعَتْ لى هذه العُقَاب . فرفع رأسه لينظر اليها فوَجأ بطنَه بالسيف فقتله مثل قتله الأوّل . ثم إن أختا للحصين يقال لها صَخْرَة لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه فى جيران لها من مراح وجَرْم . فلما بلغ ذلك الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدريه * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد الهَصْر مسكنه العَرِين
علوت بياض مَفْرِقه بعَضْب * يَنُوء (٣) لوَقْعه الهَامُ السُّكُون
فأمست عِرْسه ولَهَا عليه * هدوء بعد ليلته أنين (٤)
كصَخْرَةَ اذ تُسائل فى مراح * وفى جَرْم، وعلمهما ظُنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلا

[خرج المهدىّ (٥) وعلىّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دُلامة الشاعر. فسنحت لهم ظباء فرمى المهدىّ ظبيا فأصابه، ورمى علىّ بن سليمان كلبا فعقره، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا، فقال

ورمى المهدىّ ظبيا * شَكَّ بالسهم فؤادَهْ

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "تصطبحان" . (٢) كذا فى الأصل والصواب أبَّده بالباء الموحدة يقال أبده النظر أى أعطاه بُدَّته من النظر أى حظّه . (٣) فى الفتوغرافية «تنِقّ» وهو من نق ينق بمعنى صوّت . (٤) كذا بالأصل وفى أمثال الميدانى :

وأضحت عرسه ولها عليه * بعُيد هدوءِ ليلتها رنين

(٥) زيادة فى النسخة الألمانية .

وعليّ بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كلّ امرئ يأكل زاده]

قال أبو دُلامة: كنت فى عسكر مروان أيام زَحف الى شبيب الخارجىّ، فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم فارس ينادى : من يبارز؟ فجعل لا يخرج اليه إنسان إلا أعجله ولم يُنَهْنِهْه، فغاظ ذلك مروان، فجعل ينُدب الناس على خمسمائة، فقُتل أصحاب خمس المائة، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفا، فما زالْ ذلك فعله حتى بلغ بالندبة خمسة آلاف درهم[1]، وتحتى فرس لا أخاف خَوْنه، فلما سمعت بخمسة الآلاف نَزَّقْتُه واقتحمت الصفّ. فلما نظر الىّ [الخارجىّ] علم أنى خرجت للطمع، فأقبل يتهيأ لى وإذا عليه فَرْوله قد أصابه المطر فارمعلّ[2] ثم أصابته الشمس فاقفعلّ[3] وعيناه تَدَّران[4] كأنهما فى وَقْبين[5]، فدنا منّى وقال :

وخارجٍ أخرجه حب الطمَعْ * فرّ من الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وَقَرتْ فى أذنى انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح؟ آئتونى به . ودخلت فى غِمَار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديما للنعمان ، فبينا هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر وزُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدنُ ياحارث فكُلْ، فدنا . فقال خالد : من ذا أبيتَ اللعن ؟ قال : هذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم . قال خالد: أما إن لى عنده يدا . قال الحارث: وما تلك اليد ؟ قال : قتلتُ سيدَ قومك فتركتُك سيدَهم بعده . يعنى زُهَير بن جَذيمة، قال الحارث

(١) فى الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما فى شرح المرادى على التسهيل . (٢) ابتلّ . (٣) تقبّض . (٤) كتب فى الفتوغرافيـة تحتها كالتفسير لها «تلوحان» . (٥) الوقب نقر فى الصخرة يجتمع فيه الماء .

أما إنى سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزَّمَع وأُرْعدت يده، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أيَّتَهنّ تريد فأُنا وِلُكَها؟ قال الحارث : أيَّتُهن تَهُمّك فأَدَعُها؟ ثم نهض مغضبا، فقال النعمان لخالد : ما أردتَ بهذا وقد عرفتَ فَتْكه وسَفَهَه ؟ فقال : أبيت اللعن، وما تخوّف علىّ منه؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظنى . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أَدَمٍ بعد هَدْأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخَّرها فشقّها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطْنابة

علِّلَانِى وعلِّلا صاحبيَّا * وآسقيانى من المُرَوّق ريَّا
إنّ فينا القِيَان يعزفْنَ بالضر * ب لفتياننا وعيشا رخيّا
يتناهين فى النعيم ويَضْرِبْـ * ـن خلَال القُرون مسكا ذكيا
أَبْلغا الحارثَ بن ظالِمٍ الرِّعْـ * ـديدَ(١) والناذر النُّـذورِ علَيّا
إنما تقتـل النِّيامَ ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاحٍ كَمِيّا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليل إلا أجابه ولم يسأله عن آسمه . فأتاه الحارث ليلا فهتف به ، فخرج اليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أَعِنِّى على أبل لبنى فلان وهى منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : البَسْ عليك سلاحَك فانى لا آمن امتناع القوم، فاستلأم وخرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى فخذ حِذْرَك ياعمرو، فقال له : آمنُنْ علىّ . فجزّ ناصيتَه . وقال الحارث

علِّلَانى بلذّتى قَيْـنَتَيّا * قبل أن تبكىَ العيون عليّا
قبل أن تذكر العواذل أنى * كنتُ قِدْما لأمرهنّ عَصيّا
ما أُبالى إذا أصطبحت ثلاثا * أرَشيدًا(٢) دعوتنى أم غَوِيّا

(١) فى الفتوغرافيـة «الموعود» ولعله محرّف عن « المُوعِد » كما نقل فى هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى . (٢) فى الألمانية : أصبت .

غيرَ ألّا أُسِرَّ لله إثمًا * فى حياتى ولا أخونَ صفيًّا
بلغتنى مقالة المرء عمرو * بلغتنى وكان ذاك بَدِيًّا
فخرجنا لموعد فالتقينا * فوجدناه ذا سلاح كَمِيًّا
غيرَ ما نائم يُرَوَّع بالليـ * ـل مُعِدًّا[1] بكفّه مَشْرَفِيًّا
فرجعنا بالمَنِّ مِنَّا عليه * بعدَ ما كان منه منّا[2] بديا

ووفد تَميم بن مُرّ وبَكْر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه فجرى بينهما تفاخر فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُنحتا ومُوِّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَلِيًّا من نهارهما، فقال بكر

* لو كان سيفانا حديدا قَطَعا *

وقال تميم

* أو نُحتا من جَنْدَل تصدّعا *

ففرّق الملك بينهما، فقال بكر لتميم

* أُسَاجِلكَ العداوةَ ما بقينا *

وقال تميم

* وإن متنا نورّثها بَنِينا *

فأورثاها بنيهما الى اليوم .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن خَلَف الأحمر قال: كان أبو عُرْوَة السباع يَصيح بالسبع وقد احتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقّ بطنُه فيوجد فؤاده قد انخلع. وهو مثل فى شدّة الصوت . قال الشاعر[3] فى ذلك

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية: «بعد منّ قد كان منّا بديا» ولعل كلمة «منّا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدىّ كما فى اللسان مادة (عرا) .

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ إذا * أَشْـفق أن يلتبسْنَ بالغـنم

قال : وأبو عطيــة عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين ثَقِيف وبين بنى نَصْر لمـا رأى الخيل بعَقْوَته (١) : يا سوء صباحاه، أتيتم يابنى يربوع ! فألقت الحبالَى أولادها، فقيل فى ذلك

وأسقط أحبالَ النسـاء بصوته * عفيفٌ لَدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

فى أخبار وهب بن مُنبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفنّ أو لأصيحنّ صيحة لاتبقَ حامل بمصر الا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيــه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع فينادى غلمــانه وهم بالغابة فيُسْمِعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شَبيب بن رِبْعِىّ يتنحنح فى داره فيسمع تنحنحه بالكُناسة، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هــذا مؤذن سَجاح التى تنبّأت [ذكر هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهدىّ فقـال : ما سمع له بصوت أبعـد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاح] (٢) .

ذم رجل الأشتر فقال له قائد (٣) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه رجل يستحمله ، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصــدقة . فتناول ذنب بعير صعب يجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشدّ منك ؟ قال : نعم، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الفوتوغرافية : «الحسين بن على عليهما السلام» وفيها بدل «قائد» «يزيد» .

زوجها فنزلنا منزلا أهله خُلُوف فقَرُبتُ من الحوض فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذَوْد والمرأة ناحيةً فسرَّب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتنى، فما انتهيت اليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلق . فقالت المرأة : أىّ فحل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلة ! وأمهلتُه حتى امتلأ نوما فقمت اليه بالسيف فضربت ساقه فأَبَنْتُها، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرمانى برجله وأخطأنى وأصاب عنق بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة؟ قال : هذا حديث الرجل. فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أَشْهل بن حاتم قال حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَير ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون . وأبو مِحْجَن فى الوَثَاق عند أم وَلَد لسعد فأنشأ يقول

كفى حَزَنا أن تلتقى الخيلُ بالقنا(١) * وأُترَكَ مشدودا علىّ وَثَاقيا
إذا شئتُ غنَّانى الحديدُ وغُلّقت * مغاليق من دونى تُصِمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الىّ حتى أعيدك فى الوثاق؟ قال نعم، فأطلقته فركب فرسا بَلْقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا محجن فى الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فانكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته فى الوثاق وأتت سعدا فأخبرته، فأرسل الى أبى محجن فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعنى الخمر، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر(٢)

سأغسل عنى العارَ بالسيف جالبا * علىّ قضاءُ الله ما كان جالبا

(١) فى النسخة الألمانية «تطعن» . (٢) هو سعد بن ناشد المازنى كما فى اللسان والحماسة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدمَها * لعِرْضِىَ من باقى المذمّة حاجبا
ويصغُر فى عينى تِلَادِى اذا انثنتْ * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فيا لِرِزَامٍ رشّحوا بى مُقَــدِّما * الى الموت خوّاضا اليـه الكرائبا(١)
إذا همّ لم يَرْدع(٢) كريمةَ همه * ولم يأت مايأتى من الأمر هائبا
أخا غمَـراتٍ لا يريد على الذى(٣) * يهُمّ به من مُفْظِع الأمر صاحبا
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَــه * ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشِرْ فى رأيه غير نفســه * ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بدارى فاهــدموها فانها * تراث كريم لايخــاف العواقبا

وقال رجلٌ(٤) من بنى العنبر

لو كنت من مازن لم تَسْتبِحْ إبلى * بنو اللَّقِيطة من ذُهْل بن شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعْشَر خُشُنٌ * عنـد الكريهة إن ذو لُوثَةٍ لانا
قوم اذا الشرّ أبدى ناجذَيْه لهم * طاروا اليــه زَرَافاتٍ ووُحْدانا
لكنّ قومى وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرّ فى شيء وإن هانا
يَجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً(٥) * ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأنّ ربّك لم يخلُقْ لخَشْيته * سواهُمُ من جميـع الناس إنسانا
فليت لى بهـمُ قوما إذا ركبوا * شَنُّوا الإغارةَ فُرْسانا ورُكْبانا
لا يسألون أخاهم حين ينْدُبُهم * فى النائبات على ما قال برهـانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فَزِعوا * وينفِرون الى الغارات وُحدانا

(١) فى الحماسة "الكتائبا". (٢) فى الحماسة "لم تُردع عزيمة همه".
(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التى يهم بها من مفظع الأمر».
(٤) هو قُرَيط بن أُنيف كما فى الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آخر

ولئن عَمَرْتُ لأشفينّ النفسَ من تلك المَسَاعى * ولأُعلمنّ البَطْن أنّ الزاد ليس بمُستطاع

أمّا النهار فرأى أصحابى بمَرْقَبةٍ يَفَاع * أثرُ الشجاع بها كَسْر * دِ الخَرْز فى سَيْر الصَّنَاع

تردُ السباعُ معى فأُلْفَى كالمُدِلّ من السباع

وقال آخر

إنا محيوكِ ياسَلْمى فحيّينا * وإن سَقَيتِ كرامَ الناس فاسقينا

إنّا لَنُرْخِصُ يوم الرَّوْع أنفسنا * ولو نُسامُ بها فى الأمْن أُغْلِينا

بِيضٌ مفارقُنا تَغْلِى مراجلُنا * نَأْسُو بأموالنا آثار أيدينا

وقال المَعْلُوط

ألم تَرَنِى خُلِقت أخا حروب * إذا لم أَجْنِ كنت مِجَنّ جانِى

وقال آخر (١)

لعَمْرى لقد نادى بأرفع صوته * نَعِىّ سُوَيد (٢) أن فارسَكم هَوَى

أجلْ صادقًا والقائلَ الفاعلَ الذى * اذا قال قولا أَنْبطَ الماءَ فى الثرى

فَتًى قَبلَ لم تَعْنُسِ (٣) السنُّ وجهَه * سوى خُلْسةٍ (٤) فى الرأس كالبرق فى الدُّجَى

(١) هو سُوَيد المراثد الحارثى كما فى الحماسة واللسان فى مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفى الفتوغرافية «نعىُّ جوّى» ، وفى الكامل «نعىُّ حُيَىٍّ» . (٣) لم تعنس : لم تغير . (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفى الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان فى مادة «خلس» وقال أبو زيد : أخلس رأسه فهو مخلس وخليس اذا ابيضّ بعضه فاذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشـارت له الحرب العَوانُ بجاءها * يُقَعْقِـع بالأَقراب[(١)] أوّلَ مَن أتى
ولم يَجْنِهـا لكن جناها وليّــه * فآسَى فآداه فكان كمن جنى

وقال بَشَامَةُ

إنا بنى نَهْشَـلٍ لا نَدّعِى لأب * عنـه ولا هو بالأبنـاء يَشْرِينا
إن تُبْتَـدَر غايَةٌ يوما لمَكْرُمَــة * تَلْقَ السوابق منـا والمُصَـلّينا
إنا لَمِنْ معشر أفنى أوائلَهـــم * قِيلُ الكُمَاة ألا أين المحـامونا
لوكان فى الألف منا واحد فدعَوْا * مَنْ فارسٌ[(٢)]؟ خالهم إيّاه يَعْنُونا

وقال زهير

يَطْعَنُهُم ما ٱرتَمَـوْا حتّى إذا ٱطّعنوا * ضَارَبَ حتى إذا ما ضاربوا ٱعْتَنَـقا

وقالت امرأة من كِندة

أَبَوْا أن يَفِرّوا وٱلقَنا فى نحورهم * ولم يَرْتَقُوا من خَشْـية الموت سُـلّما
ولو أنهـــم فـرّوا لكانوا أَعِزّة * ولكِنْ رَأَوْا صَبْرا على الموت أكرما

وقال آخر

بنى عَمِّنا رُدُّوا فُضُـولَ دمائنـا * ينَمْ لَيْلُكـم، أَوْ لا تَلُمْنا اللّوائمُ
فإنا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذِى الدَّينِ يَنْأَى ما نأى وهو غارم

وقال أبو سعيد المَخْزُومىّ وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بالجمر مُكْتَحِلٍ بالنَّبْل مُشْـتَمِلِ
لا يشرب المـاء إلا من قَلِيبِ دم * ولا يبيت له جارٌ على وَجَـلِ

(١) فى الأصل «فى الأقراب» والذى فى الصلب عن الحماسة .
(٢) كذا بالحماسة وفى الأصل «عاطف» .

وقال عبد القُدُّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بَشِير

نَدًى تَحْكُمُ الآمالُ فيــه، ونجدةٌ * تَحَكَّمُ فى الأعداء بالأَسْرِ والقتل

وقال آخر

ضربنــاكُمُ حتى إذا قام مَيْلُكُم * ضربنا العِدَا عنكم بأبيض صارم

تمثَّل زيد بن على يوم قُتِل بقول القائل

أذُلّ الحيــاة وعِزّ الممات * وكُلًّا أراه طعــاما وَبِيــلا

فان كان لا بُدّ من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

وقال قَيْس بن الخَطِيم

أبْلَـــجُ لا يَهُـــمُّ بالفِرار * قد طاب نفسًا بدخول النار

وقال آخر (١)

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبْته * فأىَّ رجالِ باديةٍ تَــرَانا

ومَن رَبَط الجِحَاش فإن فينا * قَنًا سُــلُبا وأفراسا حِسَــانا

وكنّ إذا أغَرْن على قبيــل * فأَعْوزهن كونٌ حيث كانا (٢)

أغرن من الضِّباب على حِلَالٍ (٣) * وضَبَّةَ إنه من حان حانا

وأحيــانا نكِــرّ على أخينا * إذا مالم نجــد إلا أخانا

وقالت الخَنْساء

تَعَرَّقنِى الدهرُ نَهْسًــا وحَزّا * وأوجعنى الدهر قَرْعا وغَمْزا

---

(١) هو القطامى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة :

وكن اذا أغرن على جَناب * وأعوزهن نَهْبٌ حيث كانا

(٣) جمع حِلَّة بكسر أوله وهى كما فى القاموس القوم النُّزول، وفى ديوان الحماسة : «حلول» جمع حالّ والحى الحلول الذين يكونون فى مكان واحد .

وأفنى رجالى فبـادُوا معـا * فأصبح قلبى بهم مســتَفزّا

ومن ظن ممن يلاقِى (١) الحروب * بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وفيها تقول

ونلبَس للحرب أثوابهـا * ونلبس فى الأمن خزّا وقـزّا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لَبُوسها .

وقال عبد الله بن سَبْرة الحَرَشى (٢) حين قُطعت يده

وَيْلُمِّ جارٍ غداةَ الجَسْر فارقـنى * أعزِزْ علىّ به إذ بان فانصـدعا

يُمـنَى يدىّ غدتْ منّى مفارقة * لم أستطع يوم خِلْطاس (٣) لهـا تبعا

وما ضَنِنتُ عليهـا أن أصاحبها * لقـد حَرَصت على أن نستريح معا

وقائـلٍ غاب عن شأنى وقائلة * ألَّا اجتنبتَ عـدوَّ الله إذ صُرعا

وكيف أتركه (٤) يمشى بمنصُـله * نحوى وأجبنُ عنـه بعدما وقعـا

ما كان ذلك يوم الرَّوْع من خُلُقى * وإن تقارب منى الموت واكْتنعا

ويْلُمِّـه فارسا ولَّتْ كتيبتهُ * حامىَ وقدضيَّعُوا الأحسابَ فارتجعا

يمشى الى مُستميتٍ مثـلِه بطَلٍ * حتى اذا مكّنا سـيفيهما امتَصَعا

كلٌّ ينوء بماضى الحدِّ ذى شُطَبٍ * جَلَّى الصَّيَاقلُ عن دُرِّيِّه (٥) الطَّبَعا

حاشيته (٦) الموت حتى اشتفّ آخرَه * فما استكان لِما لاقَى وما جَزِعا

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبرد ، وفى النسخة الألمانية «يقاسى» .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى «الجرشى» ويوافقه مافى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه «الحَرَشى» قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحريش بن كعب فنهم مطرف بن عبدالله بن الشِّخِّير وزُرارة بن أوفى وعبدالله ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى اه . (٣) فى الأمالى «فلطاس» . (٤) فى النسخة الفتوغرافية «أنكبُه» . (٥) كذا بالأصل يعنى تلألؤه وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى «ذَرِّيِّه» والذَّرِّىُّ فِرِنْد السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن «حاسيته» بالسين المهملة .

كأنّ لِمّتَه هُــدّابُ مُخْمَــلةٍ * أحمر أزرقُ لم يَشْمَطْ وقد صَلِعا (١)
فان يكن أَطْرَبُونُ الروم قطّعها * فقــد تركتُ بها أوصاله قِطَعا
وإن يكن أَطْرَبُونُ الروم قطّعها * فإنّ فيها بحمــد الله مُنتَفعا
بَنانتان وجُذْمُورٌ (٢) أقيمُ بها * صدر القناة إذا ما آنسوا فَزَعا

وقال بعض الشعراء

إن لنـا من قومنا ناصرةً * بيضَ الظُّبا سُمْرَ القَنا شُهْبَ اللِّمَمْ
يستنفرون الموتَ من مَجْثِمــه * ويبعثون (٣) الحرب من عَقْد السَّلَمْ
أُولاكَ قيسٌ قومُنا أكْرِمْ بهــم * قيسُ النّدى قيس العُلا قيس الكرمْ

وقال جعفر بن عُلْبة الحارثى

ليَهْنِ عُقَيلا أنّنى قــد تركتُها * ينوء بقَتْلاها الذئاب الهَوامل (٤)
لهم صدرُ سيفى يوم بُرْقة سَحْبَلٍ * ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل
إذا القوم سدّوا مأزقا فرجتْ لنا * بأيْمانِنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقل

وقال عمرو بن مَعْدِيكرِب

أعاذلَ شِــكّتِى بَزّى ورمحى * وكل مقلّص سَلِس القياد
أعاذل إنمـا أَفْنَى شــبابى * ركوبٌ فى الصَّريخ الى المنادى

قال أبو دُلَف

لقــد علمتْ وائل أننـا * نخوض الحُتُوف غَداة الحتوف
ولا نتّقيهـا بزَحْف الفِــرار * اذا ما الصفوف انبرت للصفوف

(١) كذا بالأصل وهى محرّفة عن «أحمّ» والحُمّة كما قال ابن سيدة لون بين الدُّهمة والكُمْتة .
(٢) الجذمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) فى النسخة الألمانية «يبتغون» .
(٤) فى الأصلين : * تبوء بقتلاها دماء هوامل * وقد أخذنا ما فى الأصــل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءتْ لنا خيلُنا * لدى جبل الدَّيْلَمِىّ المُنِيف
طِوَالَ الفتى بطوال القنا * وبيضَ الوجوه ببيض السيوف
وكلَّ حَصَان بكل حِصَان * أمينٍ شَظَاه سليم الوَظِيف
ألا نعَّمانى فما نعمتى * برادعتى عن ركوب المخوف
لىَ الصبر عند حلول البَلا * إذا نزلت بِىَ إحدى الصُّروف
وإن تسألى تخبَرى أننى * أَقِى حسبى بألوف الألوف
وأحلُم حتى يقولوا ضعيفٌ * وما أنا — قدعلموا — بالضعيف
خفيف على فرسى ما ركبت * ولست على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ : خُبّرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدَق فهى اليوم بمكان كذا، للموضع الذى به قريش . وخُبّرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدَق فهو اليوم بمكان كذا، للموضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء »، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال حدّثنى شيخ من بنى العنبر قال : أسرتْ بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليفتدونى . قالوا : ولا تكلّمَ

الرسولَ إلا بين أيدينا . بجاءوه برسول فقال له : آئت قومى فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأَصْهب وآركبوا ناقتى الحمراء وسَلُوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا الى حارث فقصّ عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قداتخذت الشِّكَاء للغَزْو، وهى أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شَكْوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثلَ الليل أو فى الليل . وقوله : «عرُّوا جملى الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّمَّان . وقوله : «اركبوا ناقتى الحمراء» يريد اركبوا الدَّهْناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .

أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لمـا قدم البصرة فقال : ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير أَلْين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصًا قَرْنه ، يركب الصعوبة ويقول هى أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عَدَا مّما بَدَا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأُمٌّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحلّ ما أحللت ونحرّم ما حرمت .

الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجى على غلام فى الفرات يستنقع فى المـاء ، فقال له شبيب : اخرجْ الىّ أسائلك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعمْ . قال : فوالله لا ألبسه .

قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهُرْمُزان . فآستسقى فأُتى بماء فأمسكه بيده وآضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إنى غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنّى ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العُتبي : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِضَاه الأشعرى الى ابن الزبير فقال له : إن أوّل أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست فى عنق بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش، قد سمعتم ماقال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائنى قال : أقبل واصل بن عطاء فى رُفْقة فلقيهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم : من أنتم؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فاعرِضوا علينا. فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبِلنا. قالوا : فآمْضُوا راشدين. قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبْلغونا مأمننا. قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمننا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنَهم .

وقال معاوية : لا ينبغى أن يكون الهاشمى غير جواد ولا الأموى غير حليم ولا الزُّبيرى غير شجاع ولا المَخْزومى غير تَيَّاه . فبلغ ذلك الحسن (١) بن على فقال : قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينفَد ما بأيديهم، ويحلُم بنو أمية فيتحبّبوا الى الناس، ويتشجّع آل الزبير فيفنَوْا، ويَتِيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِرْبَاض اليهودى وهم بحَرُورَى فقال : هل خرج اليكم فى اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فآمضوا راشدين .

المدائنى قال : لما بلغ قتيبةَ بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلّب كتب اليه ثلاث صحائف، وقال للرسول : ادفع اليه هذه، فان دفعها

(١) فى النسخة الألمانية : الحسين .

الى يزيد فادفع اليه هـذه ، فان شتمنى عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك، وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمنُ ابن دَحْمَة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشتم قتيبةَ ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأُوَثِّقَنَّ لك آخِيَّة لاينزعها المهر الأَرِنُ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . ياغلام ، جدِّد له عهده على خراسان .

لما صرف أهلُ مِزّة المـاءَ عن أهـل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهِنْدام(١) : الى بنى آستها أهلِ مزة ، ليمسِّينى الماءُ أو لتصبِّحنكم الخيل . فوافاهم المـاء قبل أن يُعْتِموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنْبِى عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هُزِم أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد لم يَدْرِ الناسُ كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأَهْتم فقال : [مرحبا بالصابر المخذول](٢) الحمد لله الذى نَظَر لنا عليك ولم ينظُر لك علينا ، فقـد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عاملَ يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُقْبة المُرّى ، فأتاه الكتاب وهو بآخر رمق ، وفى الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : أبو الهيذام . (٢) زيادة فى النسخة الالمـانية .

الأمير، إنّ ابن الزبير أتانى بما لا قِبَل لى به فانحزتُ . فقال : ياغلام اكتب اليه : أمّا بعد فقد أتانى كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت . وَآيْمُ الله ما أبالى على أىّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبّهما الىّ ، وبالله لئن بقيتُ لك لأُنزلنّك حيث أنزلت نفسك والسلام .

أبو حاتم قال، حدّثنا العتبى قال حدّثنا إبراهيم قال : لما أسنّ معاوية اعتراه أرق فكان اذا هَوَّم أيقظتْه نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال : يامعشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث دِيَات أعجّلها له وديتين اذا رجع؟ فقام فتى من غَسّان فقال : أنا ياأمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبى(١) الى ملك الروم، فاذا صرتَ على بساطه أذّنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال لقد كلّفتَ صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذّن، فتناجزتِ البطارقة واخترطوا سيوفهم فسبق اليه ملكُ الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفّوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه(٢)، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسنّ وقد أَرِق وقد آذته النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قِبَلَه منّا ببلاده على النواقيس، والله ليرجعنّ اليه بخلاف ماظنّ . فكساه وحمله فلما رجع الى معاوية قال : أو قد جئتنى سالما ؟ قال : نعم، أمّا من قِبَلِك فلا .

وكان يقال : ما ولى المسلمين أحد إلا ملَكَ الرومَ مثلُه إن حازما وإن عاجزا . وكان الذى ملكهم على عهد عمر هو الذى دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العدوّ، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية فى حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتى من قِبَلهم الدنانير، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابى الخ . (٢) فى النسخة الألمانية : يديه .

عبدالملك أوّل من كتب (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الطَّوامير، فكتب اليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم فى طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فانْهَ عنه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكره ما تكرهون. فكَبُر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدَع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه فى الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بناتِ طَبَق(١)، وأخبره الخبر. فقال: ليُفْرِخْ رُوعُك، حَرِّمْ دنانيرهم وٱضرب للناس سِكَكا ولا تُعْفِهم مما يكرهون. فقال عبد الملك : فرّجتَها عنّى فرّج الله عنك.

حدّثنا الرياشىّ قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم : إنك قد هدمتَ الكنيسة التى رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته. فكتب اليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ) الى آخر القصة.

حدّثنا الزيادىّ محمد بن زياد قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدّثنا علىّ ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر الى معاوية : سلام عليك، أمّا بعد فأنبئنى بأحبّ كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَن أكرمُ عباده اليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم يَرْتكِضْنَ فى رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان فى الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرّة ما موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بدء أمره؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم ٱلعنه! ما أدرى ما هذا! . فأرسل الىّ يسألنى فقلت : أمّا أحب كلمة الى الله فلاإله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهى المنجية، والثانية سبحان الله وهى صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة

(١) بنات طبق . الدواهي .

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأمّا أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيـده وعلّمه الأسماء كلّها ، وأكرم إمائه عليـه مريم التى أحصنت فرجها . والأربعة التى فيهنّ روح ولم يرتكضن فى رحم فآدم وحوّاء وعصا موسى والكبش . والموضع الذى لم تصـبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى و بنى إسرائيل . والقبر الذى سار بصاحبه فبطن الحوت الذى كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتبىّ عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعـدهما بين يديه وجعـل يسألها عن أعمالها الى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية ، فقـال له معاوية : أعلىّ تعيب و إلىّ تقصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملى . قال عمرو : فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأنّ عمر لا يدَع أوّل هذا الحديث حتى يأتى على آخره، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدى فلطمتُ معاوية، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفَه منك، يامعاوية آلطمْه . فقال معاوية إنّ لى أميرا لا أقضى الأمور دونه . فأرسل عمر الى أبى سفيان فلما رآه ألقى له وِسَاده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت الىّ ؟ أخوه وآبن عمه وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال ذكر بِشْر بن أَرْطاة عليا فنال منه فضرب زيد بن عمر — وأمّه ابنة علىّ بن أبى طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث الى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت ؟ وَثَبْت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى بشر فقـال أتدرى ما صـنعت ؟ وثبت على آبن الفاروق وآبن على بن أبى طالب تسـبّه وسط الناس وتزدريه، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى هذا بشىء و إلى هذا بشىء .

المدائنى قال : كان ابن المقفع محبوسا فى خَراج كان عليه وكان يعذَّب، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعيَّن(١) من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال المختار : ادعو الى المهدىّ محمد بن الحَنَفية : فلما خشى أن يجىء قال : أما إنّ فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعى عرَّضه لأن تجرّب به .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عوَانة بن الحكَم الكلبى قال : ولّى علىّ رضى الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطُرًا مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر، هل لك فى شربة من سويق أَجْدَحُها لك؟ قال : نعم . فجَدَح له بعسل وجعل فيها سمًّا قاضيا فلما شربها يبس، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردَها على الكبد! «إنّ لله جنودا منها العسل» . وقال علىّ «لليدين وللفم» .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد(٢) قال نظر علىّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحِشُون فسألهم فقالوا نُرمى بالليل، فقال: من أين يأتيكم الرمى؟ قالوا: من ههنا. فصعد علىّ ولَفّ رأسه ثم جعل يرمى وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمى .

قال محمد بن كعب القُرَظىّ : جاء رجل الى سليمان النبى عليه السلام فقال يا نبىّ الله : إنّ لى جيرانا سرقوا إوزّتى فنادى : الصلاةَ جامعةً . ثم خطبهم فقال فى خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل على رأسه، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

---

(١) العَيْن والعِينة الربا ، وعيَّن التاجرُ وتعيَّن أخذ بها .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "أبى الزياد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثَّقَفى عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية فى ظِنّة الخوارج، فقال له الحكم : إنك خارجى منافق وشتمه، ثم قال آئتنى بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بى منك . قال : وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلّى سبيله .

دخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا، فقال له عبد الملك : أليس قد ردّك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رُدّ عليك فقد رُدّ على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف الى الضَّحَّاك بن مُزَاحِم فقال له يوما : لو أسلمت! قال : يمنعنى من ذلك حبّى للخمر . قال فأسلِمْ وآشربها . فأسلم، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أَفْعى العَبْدية على عائشة رضى الله عنها فقالت : ياأم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوّة الله .

العتبىّ قال كتب يزيد بن معاوية الى أهل المدينة : أمّا بعد فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . إنى والله قد لبستُكم فأخلقتُكم ورَقَعت بكم فآخترقتكم ثم وضعتكم على رأسى ثم على عينى ثم على فمى ثم على بطنى . وآيْم الله لئن وضعتكم تحت قدمى لأطأنّكم وَطأة أُقِلّ بها عددكم وأذِلّ غابركم وأتركم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثّل

لعل الحلم دل علىّ قومى * وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى * فمعوجٌّ علىّ ومستقيم

أبو حاتم قال حدّثنا أبو عبيدة قال : أُخذ سُرَاقة بن مِرْداس البارقىّ أسيرا يوم جَبَّانة السَّبيع ، فقدم فى الأسرى فقال

امنُنْ علىّ اليوم يا خيرَ معدّ * وخيرَ من حلّ بصحراء الجَنَدْ (١)

* وخير من لبّى وصلّى وسجدْ *

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق (٢) بن الأشعث عليه فجىء بسراقة أسيرا فقال له المختار : ألم أعفُ عنك؟ أما والله لأقتلنّك . قال : إنّ أبى أخبرنى أن الشام ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلنى . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بَطَرا وحَيْنا

نراهم فى مَصَفِّهم قليلا * وهم مثل الدَّبَا لما ٱلتقينا

فأسجح إن (٣) قدرت فلو قدرنا * لجُرْنا فى الحكومة وٱعتدينا

تقبّل توبةً منى فانى * سأشكر إن جعلتَ النَّقْد دَيْنا

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقة فأُخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدو الله ، فقال سراقة : ما هؤلاء الذين أخذونى ! فأين هم؟ لا أراهم ! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض . فقال المختار : خلُّوا سبيله ليخبر الناس . [ثم (٤) عاد لقتاله وقال

ألا مَنْ (٥) مخبر المختار عنى * بأن البُلْق بيض مصمتات

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية ''بشجر والجند'' وهو محرّف وصوابه كما فى الطبرى ''بشحر والجند'' .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية ''عبد الرحمن'' وقد صوبه فى هامشها بأنه إسحاق و يرجحه ما فى الطبرى والعقد الفريد .

(٣) فى النسختين «إن» وفى ابن جرير «فاسجح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الطبرى .

ألا أبلغ أبا اسحاق انى * رأيت البلق دهما مصمتات

أُرِى عيـــنىّ ما لم تَرْأَياه * كلانا عالم بالـــتُّرَّهات
كفرتُ بدينكم وجعلت نذرا * علىّ قتالَـــكم حتى المات]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وكانت له عَنَزة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعةَ الطريق فيمرّ بها المـارّ فيأخذها، فاذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علىّ رضى الله عنه فقال: لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتَه لا تُرَدّ بعدها ضالةٌ أبدا. فأمسك علىّ.

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن زائدة عن سِمَاك عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه كان اذا سمعهم يقولون: يكون فى هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحمقكم! إنّ بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدى يسلمها الى الدجّال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدىّ يكونون بعده الى خروج الدجال.

وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علىّ بن أبى طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحَرُورية مارقة وأعراب كأَعْلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى. وأما أهل الشأم فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النِّحَل ولم تَشْغلها ديانة ولم يتقـدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحَازُب

الأتبـاع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر ، ولم يزالوا يُذَالُون ويُمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولِحًى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعدُ فكأنى أتفأّل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

وقال سعيد بن عمرو بن جَعْدة المخزومى : كنت مع مروان بن محمد بالزَّاب فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه؟ قلت : نعم، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفرًّا رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية؟ فقال : بلى قد عرفته والله، يابن جعدة ليت علىّ بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ عليا وأولاده لا حظّ لهم فى هذا الأمر، وهذا رجل من بنى العباس ومعـه ريح خراسان ونصر الشأم، يا بن جعدة أتدرى لم عقدتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبـد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى يلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

وكتب مروان الى عبد الله بن علىّ : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فاذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب اليه عبدُ الله إنّ الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسِيرهم وأنهم لم يزالوا على آستقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترَفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمنًا لمكره، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله[1] بن مروان لمـا دخل أرض النُّوبة هاربا فيمن معه سأل ملكُ النوبة عنهم فأُخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هـذه الليلة ويسأله عن ذلك. فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال: يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلِم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا، فأتانى ملك النوبة وقد خُبِّر أمرَنا، فدخل علىّ رجل طُوَال أَقْنَى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت: ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال: لأنى ملك، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه. ثم قال لى: لم تشربون الخمر وهى محرّمة عليكم؟ قلت: آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا. قال: فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت: يفعل ذلك جهّالنا. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرّم عليكم؟ قلت: ذهب الملك منـا وقلّ أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. قال: فأطرق مليًّا وجعل يقلّب يديه وينكُت فى الأرض [ويقول[2]: عبيدنا وأتباعنا دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا! يردّده مرارا] ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنـه نهيتم، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوّدوا ما آحتجتم إليه وآرتحلوا عن بلدى، ففعلت ذلك.

ولمـا آفتتح المنصور الشأم وقتـل مروان قال لأبى[3] عون ومن معـه من أهل خراسان: إن لى فى بقيـة آل مروان تدبيرا فتأهبوا يوم كذا وكذا فى أكمل عُدَّة، ثم

(١) فى الفتوغرافية «عبيد الله». (٢) فى الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكت فى الأرض ويردّد كلامى ثم قال الخ». (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما فى الكامل للمبرد أنها وقعت مع عبد الله بن على وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور.

بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم فجُمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم فى العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا الى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولّدهم[١] ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي : ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولّدْتُهم . قال : فانصرفْ ودع القوم . فأبى أن يفعل وقال : إنى خالهم ومنهم . فلما آستقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصــور وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ ليدخل ، فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج الثانية فنادى : أين الحسن بن علىّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علىّ بن الحسين ؟ ثم خرج الرابعة فقال : أين يحيي بن زيد[٢] ؟ ثم قيل : ائذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد[٣] وكان له صديقا فأومأ اليــه : أن ارتفعْ . فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العَبْدىّ الشاعر؟ فقام وأخذ فى قصيدته التى يقول فيها

أما الدُّعاة الى الجِنَان فهاشم * وبنو أميّــة من دعاة النــار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر : يابن الزانية . فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال : امض فى نشــيدك . فلما فرغ رمى اليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل

ولقد ساءنى وساء ســواىَ * قربهــم من منــابر[٤] وكراسى
أنزلوهــا بحيث أنزلهــا اللـــ * ـــه بدار الهوان والإتعــاس
[لا تُقيلنّ عبدَ شمس عِثَارا[٥] * وآقطعوا كل نخلة وغِرَاس[٦]]
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيــلا بجــانب المِهْراس

(١) ربّاهم . (٢) فى الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيي بن زيد بن على بن الحسين .
(٣) فى الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .
(٤) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «نمارق» ولعله فى الكامل للبرد .
(٥) زيادة فى النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل ، وفى الكامل للبرد «كل رَقْلة وأواسى» وقال : الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسيّة وهى أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيدْ[1] . فشُدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبيّ فقال : أيها الامير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال

ومُدخِلٍ رأسَه لم يُدْنِه أحد * بين القرينين حتى لزّه القَرَنُ

ثم قال : دهيد . فشُدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك فى الحياة بعدهم . قال : أجلْ ، فقُتل ثم دعا ببَرَاذِعَ فألقاها عليهم وبسط عليها الأَنْطاع ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقَلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهلَ خراسان أموالَهم ثم صُلبوا فى بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرُّواق الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحبّ الىّ وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبتْ أميةُ أن ستَرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلّا وربِّ محمد وإلٰهه * حتى تُباح سُهولها وحُزونها
وتَذِلُّ ذُلّ حليلةٍ لحليلها * بالمَشْرفىّ وتُستردّ ديونها

وأُتِى المهدىّ[2] برجل من بنى أمية كان يطلبه فتمثل بقول سُدَيف شاعرهم

جَرِّد السيف وٱرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيّا
لا يغرّنْك ما ترى اليوم منهم * إنّ تحت الضلوع داء دَوِيّا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شُمْس العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدَروا

فقال المهدىّ[2] : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المنصور» .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد فى المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعْنا نجلس فى هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا فى عافية.

وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة فى قُرْطين يقول: إن يُرِدِ الله بأمة محمد خيرا يُولِّ أمرَها هذا الشابَّ من بنى هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: ياأبا عثمان سَلْ حاجتَك. قال: حاجتى ألّا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطينى حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور

كلُّكم ماشِى رُوَيْدْ * كلُّكم خاتلُ صيدْ
* غيرَ عمرو بن عُبَيْدْ *

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صلّى الاله عليك من متوسِّد * قبرا مررتُ به على مَرَّانِ
قبرا تضمَّن مؤمنا متحنِّفا * صدَق الالهَ ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا فى سنّة * فصَل الحديثَ بحكمة و بيان
فلوآن هذا الدهر أبقى صالحا * أبقى لنا حيّا أبا عثمان

قال الوَضَّاح بن حبيب: كنا اذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهدىّ وهو يومئذ ولىعهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز الى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببت عليها فقبّلتها وضرب بيدى الى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشىء فى يده، فوضع فى يدى كتابا صغيرا تستره الكفّ، فلما خرجت فتحته فاذا فيه: ياوضّاح، اذا قرأتَ كتابى فاستأذنْ الى ضِياعِكَ بالرَّىّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لى. فدخل فاستأذن، فأُذن لى، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعى بالرى

قد اختلّت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا، ولا كرامة، فخرجت. ثم عدت اليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستأذنتُه، فردّ الىّ مثل الجواب الأوّل. فقلت : ياأمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسُرِّى عنه، ثم قال : اذا شئتَ فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خَلْوة . فنهض القوم وبقى الربيـع قلت : أَخلِنى . قال : ومن الربيع و بينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحَّى الربيع، فقال : قد خلوتَ فقل إن جدتَ لى بمالك ودمك. فقلت : يا أمير المؤمنين، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك، حقنت دمى ودم أبى ورددت علىّ مالى وآثرتنى بصحبتك . قال : إنه يهجس فى نفسى أن جَهْورا[1] على خَلْع وليس له غيرك لمـا أعرفه بينكما، فاظهرْ إذا صرتَ اليه الوَقيعةَ فىّ والتنقُّص لى حتى تعرف ما عنده، وإن رأيته يهمُّ بخلع فا كتب الى، ولا تكتبنّ على يد بريد ولا مع رسـول ولا يفوتنى خـبرك فى كل يوم فقد نصبتُ لك فلانا القطّان فى دار القُطن فهو يُوصل كتبك فى كل يوم الىّ. قال : فمضيتُ حتى أتيت الرىّ فدخلت على جهور فقال : أَفْلتَّ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فيه حتى أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبىّ على المنصور وعنـده إسحاق بن مسـلم العُقَيلى وعبد الملك بن حُميد الشامى الكاتب، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغمّ ذلك المنصور، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام ردّه . فلمـا رجع قال : يا أبا محمد إنّ إسحاق بن مسلم حدّثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك نَاضًّا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك. قال : نعم يا أمير المؤمنين، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق، أعجبك كلامه فأحببتُ أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمـانية : «جوهر» وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلى أحد قوّاد المنصور.

أبو الحسين المدائني قال : لمـا بنى أبو العباس المدينـة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشَبا أمسى يُبَنّى * قصورا نفعها لبنى بُقَيْـلَهْ
يؤمّل أن يعمَّر عمرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلهْ

ثم آنتبه فقال : أقلنى [أقالك الله](١) . قال : لا أقالنى الله إن بتَّ فى عسكرى ، فأخرجه الى المدينة . [حَنَشُ(١) بن المغيرة قال : جئتُ وأبو ذَرٍّ آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغِفَارى ، من لم يعرفنى فأنا جُنْدَب صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أهلِ بيتى مثلُ سفينة نوح مَنْ ركبها نجا»] .

حدّثنا خالد بن محمد الأزدى قال حدّثنا شَبَابة بن سَوّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبىّ قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجّه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا فى مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج اليه كتبا وطَوَامِيرَ قال : هذه كتبهم و بيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إنى سأحدّثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم نخيّره بين الدنيا والآخرة فآختار الآخرة ، و إنكم بَضعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لمـا هو خير لكم فآرجع . فأبى فآعتنقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن على بن محمد عن مَسْلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن على رضى الله عنهما الى الأحنف يدعوه الى نفسه فلم يردّ الجواب وقال : قد جربنا آل أبى الحسن فلم نجد عندهم إِيَالَةً للملك ولا جمعا للمـال ولا مكيدة

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

فى الحرب . وقال الشعبى : ما لقينا من آل أبى طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولمـا قتل مُصعَب بن الزبير خرجت سُكَينة بنت الحسـين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدّى وأبى وعمّى وزوجى مُصعبا، أيتمتمونى صغيرة وأرملتُمونى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

اِبْكِ حسينًا ليوم مَصْرعه * بالطَّفّ بين الكتائِبِ الخُرُسْ
أضحت بنات النبىّ اذ قُتلوا * فى مَأْتَم والسباع فى عُرُسْ

روى سِـنَان[1] بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس وَرْسا فى عسـكر الحسين ابن على يوم قُتل فما تطيبت منه آمرأة إلا بَرِصتْ . ولمـا قتل حسين قالت بنت لعَقيل بن أبى طالب

ماذا تقـولون إن قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنـتم أفضـل الأمم
بعـترَتى وبأهـلى بعـد منطلَقى * منهم أُسَارى وقتلَى ضُرِّجوا بدم
[[2]ما كان هذا جزائى أن نصحتُ لكم * أن تَخْلُفونى بقتلٍ فى ذوى رحمى]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[[2]دخل زيد بن علىّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتما .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمَّر بعدى حتى يولد لى مولود آسمه كآسمى يَبْقَر العلم بَقْرا فاذا لقيتَه فأقرئه منى السلام» فكان جابر يتردّد فى سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمـانية وفى الفتوغرافية «سيّار بن الحكم» . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

الناس : قد جُنّ جابر . فبينا هو ذات يوم بالبَلَاط اذ بَصُر بجارية يتورّكها صبيّ فقال لها : ياجارية، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب . فقال : أَدْنيه منى فأدنته منه فقبّل بين عينيه وقال : يا حبيبى، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعيت الىّ نفسى وربّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغنى(١) أنك تَرَبَّصُ نفسُك للخلافة وتطمع فيها وأنت آبن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم فى أولاد السَّرارِى تقصيرا عن بلوغ غاية ماأعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرمَكم * وأن نكُفّ الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبّكم * ولا نلومكم ألّا تحبّونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا فى كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والمُحْتَطَب.

قال آبن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عُوفى من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فَحَا(٢) أرضنا فقلّما أكل قوم من فَحَا أرض فضرّهم ماؤها .

(١) هكذا فى الأصل، وفى الجملة حذف. ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن على، كما يدل عليه باقى القصة ورواية العقد الفريد، وقد وردت القصة كاملة هكذا فى النسخة الألمانية، واقتصر فى الفتوغرافية على قوله «كتب زيد بن على بن الحسين الى هشام بن عبد الملك» ثم ساق الأبيات .

(٢) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدّثنى الرياشىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال، قال معاوية: أغبطُ الناسِ عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يتربَّع جُدّة ويتقيّظ الطائف ويتشتّى مكة .

حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنـا الأصمعىّ قال: أربعة أشـياء قد ملأت الدنيـا لا تكون إلا باليمن: الخِطْر والكُنْدُر والعَصَب والوَرْس .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال: اليهود لا تأ كل من بقل سُورَى وتقول: هى مَغيض الطوفان . قال وقال الأصمعى عن مَعْمَر[1] قال: سبعٌ محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظـات نَجْرَان ومن الملعـونات أَثَافِتُ [وبَرْذَعَة][2] . وأثافِتُ باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هـــذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر

أحب أثَافِتَ عند القِطَاف * وعنـد عُصَـارة أعنابها

[قال الأصمعى[2]: سواد البصرة الأَهْواز ودَسْتُمِيسَان وفارس، وسواد الكوفة كَسْكَر الى التراب[3] الى عمل حُلْوان الى القادسية، وعمل العراق هِيتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرىّ وخُراسان الى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرّة العزاق افتتحها أبو موسى الأشعرى، والجزيرة ما بين دِجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق] .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: أوّل قرية بنيت بعـد الطوفان قرية بقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمـانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمـانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى اللغوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعى . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .
(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحَرّان سميت بِهَارَانَ بن آزَرَ أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

[1][قال النبي صلى الله عليه وسلم لبُرَيدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعُوث فاذا بُعِثْت فكن فى أهل بَعْث المشرق ثم فى بعث خراسان ثم فى بعث أرض يقال لها : مَرْو ، فاذا أتيتها فانزل مدينتها فانه بناها ذوالقرنين وصلّى فيها ، غزيرةٌ أنهارُها تجرى بالبركة ، فى كل نقب منها ملَك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بُرَيدة[2] فمات بها] .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى الأصمعى قال أخبرنى النَّمِر بن هِلال الحَبَطى عن قَتَادة عن أبى جلدة[3] قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانيــة آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

[1][وقال أبو صالح كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس ، فقال له : ممن أنت؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أىّ خراسان؟ قال : من هَرَاة . قال : من أىّ هراة؟ قال : من بُوشَنْج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامر يُصلَّى فيــه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوشَــنْج . ثم قال : ما فعلت الشــجرة التى عند المسجد ؟ قال : بحالهـا . قال : أخبرنى العباس أنه قال فى ظلها] .

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٢) فى الأصل «يزيد» وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمـانية ، وفى النسخة الفتوغرافية «أبى الجلد» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تكنّى بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة «أبا بردة بن أبى موسى» فلعله محرف عنه .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون(١) الحرّانى عن عوف بن أبى جميلة عن الحسن البصرى قال : لمّا قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة(٢) ويا أتباع البهيمة ، رغا فاتّبعتم وعُقر فانهزمتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفتحُ أرضٌ يقال لها البصرةُ أَقْومُ الأرضين قبلةً ، قارئها أقرأ الناس ، وعابدها أعبد الناس ، وعالمها أعلم الناس ، ومُتصدِّقها أعظم الناس صدقةً ، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها الى قرية يقال لها الأُبُلَّة أربعة فراسخ . يُسْتشهَدُ عند مسجد جامعها أربعون ألفا ، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معى يوم بدر » .

حدّثنا القاسم بن الحسن قال حدّثنا أبو سَلَمة قال أخبرنى أبو المُهَزّم عن أبى هريرة قال : مُثِّلت الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربتا وقع الأمر .

وحدّثنى أيضا عن هارون بن معروف عن ضَمْرة عن ابن شَوْذَب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدّ الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرِّشْد(٣) : قست البصرة فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى فوجدت طولها فرسخين غير دانِق .

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّتِ البصرةُ لجعلتُ الكوفةَ لمن دلَّنى عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرئى » ولم نعثر فى كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدّثنا يزيد بن خالد بن عبدالله عن ميمون المرئى » إذ الاسمان موجودان معا فى كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذى ركبته ، وبه سمّى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفى الفتوغرافية « الرشت » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبى يزيد الضُّبَعى .

وآستعمله على الكوفة . [وقال علىّ[1] حين دخل البصرة : يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة رَغَا فأجبتم وعُقر فانهزمتم، دينكم نِفَاق وأخلاقكم رِقَاق وماؤكم زُعاق، يا أهل البصرة والبُصيرة [و] السُّبَيْخَة والخُرَيبة، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من المـاء وأسرعها خرابا وغرقا .

مر عُتْبة بن غَزْوان بموضع المِرْبد فوجد فيها الكَذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطّ الناس البصرة سنة سبع عشرة] .

فخر ناس من بنى الحارث بن كعب عند أبى العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صَفْوان : ألا تكلّم يا خالد؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعَصَبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قرد، دلّ عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

[سئل[1] خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رُطب، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرِيّة وأعظم منكم بَحْرِية[2] وأغذى[3] منكم بَرِّية . وقال أبو بكر الهذلىّ : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجّاجا] .

وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة

زُرْ وادىَ القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زَوْرة عن غير ميعـاد
تُرفا به السُّفْن والظُّلْمان واقفة * والضَّبُّ والنّون والملّاح والحـادى

وقال آبن أبى عيينة فى مثل ذلك

يا جنةً فاتت[4] الجنانَ فما * تبلغها قيمةٌ ولا ثمنُ
ألفتُها فاتخذتُها وطنـا * إن فؤادى لحبّها وطنُ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى البيان والتبيين «وأعظم منكم تجربة» .
(٣) هكذا فى الأصل، وفى كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب الى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا فى الأصول، وفى الأغانى : فاقت .

زوّج حيتانها الضِّباب بها * فهذه كَنَّة وذا خَتَن
فانظر وفكِّر فيما تُطِيف به (١) * إن الأريب المفكِّر الفطِنُ
من سُفُنٍ كالنَّعام مقبلة * ومن نَعَام كأنها سفنُ

أنشد محمد بن عمر عن ابن كُنَاسةَ فى ظهر الكوفة

وإن بها لو تعلمين أصائلا * وليلا رقيقا مثل حاشية البُرد

بلغنى عن إبراهيم بن مهدى عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التَّيْمى قال: لما أُمِرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلُعنت، فجميع الأرض تُكرَب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شأمية فقد كمل.

[لما (٢) اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر الى سعد فى بعثة روّاد يرتادون منزلا برّيّا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء. فسأل مَن قِبله عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان. وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين الى عين بنى الحذّاء، وكانت العرب تقول: أَدْلَع البَرُّ لسانه فى الرِّيف، فما كان يلى الفرات منه فهو المِلْطاط وما كان يلى الظهر (٣) منه فهو النِّجَاف، فكتب الى سعد يأمره به].

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم

جاعلين الشأم حَمًّا (٤) لهمُ * ولئن همّوا لنعم المتقَلْ
موته أجر ومَحْياه غنى * وإليه عن أذاه معتزَل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما فى الأغانى. (٢) زيادة فى النسخة الألمانية.
(٣) فى معجم ياقوت فى الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف».
(٤) يقال حمّ حمّه أى قصد قصده.

وقال أيضا

ولكن قومى أصبحوا مثل خَيبر * بهـا داؤُهـا ولا تضرّ الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغَدير خُمٍّ مولود فعاش الى أن يحتلم إلّا أن يتحوّل عنها . قال : وحَرّة لَيْلَى ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون أن من دخل أرض تُبَّت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَب حتى يخرج منها ، ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حُمَّى خيبر وطِحَال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصيصة فى الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحُمّاها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمّى عن جميع البلدان ، وكل محموم فان حُمّاه إذا أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود إلى التخليط و إلى أن يجتمع فى جوفه الفساد الا محمومَ الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علّة حدثت ، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطلّ عليها والجرارات (١) فى بيوتها ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقّها مسايل كُنُفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال مُقامها وآستمرّت مقابلتها لذلك الجبل (٢) قبل الصخرية (٣) التى فيها الجرارات ، فإذا امتلات يبسا وحرّا وعادت جمرة واحدة قذفت ما قابلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجرارة بخبانة : عقرب قتالة تجر ذنبها اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) فى الأصل «طالت معاناتها بذلك الجبل» والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات الخ » ولعل صواب العبارة «قبلت بسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات فاذا امتلأت الخ» .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب : حدّثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهنّ ربما قَبِلْن الطفلَ فيجدْنه فى تلك الساعة محموما [يعرفن ذلك ويتحدّثن به] . قال : ومن قدم من شِقِّ العراق إلى بلد الزِّنْج لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النّارَجيل طمس الخُمَارُ على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شىء يسير . قال : وفى عهد سِجِسْتان على العرب حين افتتحوها : ألّا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيّاش لأبى بكر الهُذَلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللَّهَاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيّره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عُطَارِد : إن الكوفة قد سَفُلت عن الشأم ووبائها وآرتفعت عن البصرة وعمقها فهى مَرِيئة مَرِيعة عَذْبة تَرِيّة(١) ، إذا أتتنا الشَّمال ذهبت مسيرةَ شهر على مثل رَضْراض الكافور ، وإذا هبت الجَنُوب جاءتنا بريح السّواد ووردِه وياسَمينه وأُتْرُجّه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بَخْراء أوتيت من كل حَلْى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلةً فى سَمَر يزيد بن عمر بن هُبَيرة ، فقال يزيد : أىّ البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَاذُ والمَعْقِلىّ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشير العِجْلى : لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به اليه . قال : أجلْ ، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأىَّ الرُّطب تحملون اليه؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أيّة؟ قال : السَّابِرى . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

(١) كذا بالأصول ، وفى معجم البلدان : «وحرّها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأىّ التمر تحملون اليه ؟ قال : النِّرْسِيَان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُون أَزَاذ . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأىّ القَسْب تحملون اليــه ؟ قال : قَسْب العنبر . قال : ولا بالبصرة منــه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادّعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلّمتَ له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعَزَب والمفلس: أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصَّحْناء(١) لا ينفق فى الشهر درهمين، وأما العزب فيتروج بشق درهم، وأما المحتاج فلا عَيْلة عليه ما بقيت عليه آستُه يخرأ ويبيع .

أبو الحسن المدائنى قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليــد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على الســواء لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشقّ عنه سيله، وكنتَ ابنَ خالد منزلك أَجْيَادٌ أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رَثّة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء . قال له التغلّبى : البَطْحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار وأنا أحق بها منك، وهذه البطحاء، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُنزلنى ماء ســوء فأكون آمرأ سوء . قال خالد ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثــل الأُبُلّة أقرب مسافة ولا أعذب نُطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغار .

أوطأ مطيّة ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعـابد . وقال ابن أبى عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرا ونزهة * بأَفْيح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
بغرس كأبكار الجـوارى وتُرْبة * كأن ثرَاها ماء وَرد على مِسـك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله * الى ملك مُوفٍ على منـبر الملك
يُدِلُّ عليهـا مستطيلا بحسـنه * ويضحك منها وهى مُطرقة تبكى

قال جعفر بن سليمان (١) : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمِرْبَد عين البصرة ، ودَارِينُ عين المِربَد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخِصْب من شقّ العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشأم كان الخِصب بالشأم ، وإذا عمّ جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع (٢) الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعا] .

المدائنى قال قال الحجاج : لمـا تبوّأتِ الأمورُ منازلَها قالت الطاعة : أنزل الشأم ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشِّقوة : [و] أنا معك .

(١) فى الفتوغرافية «مسلم» وفى الألمـانية «سليمان» ويوافقه ما فى لطائف المعارف للثعالبى .
(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه فى الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السؤدد

مخايل السُّؤْدُد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعى قال: أخبرنا جميع بن أبى غاضرة وكان شيخا مُسِنًّا من أهل البادية وكان من ولد الزِّبْرِقان بن بدر من قِبل النساء، قال : كان الزبرقان يقول : أبغضُ صبيانِنا إلىّ الأُقَيْعِسُ الذكر الذى كأنما يَطَّلع فى جحره، وإن سأله القوم أين أبوك، هرّ فى وجوههم وقال: ما تريدون من أبى. وأحبُّ صبياننا إلىّ الطويلُ الغُرْلة السَّبْط الغُرّة العريض الورك الأبله العَقول الذى يطيع عمّه ويعصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال : معكم .

قال وقال الأصمَعى قال معاوية : ثلاث من السُودد : الصَّلَع، واندحاق البطن، وترك الإفراط فى الغَيرة .

قال وقيل لأعرابى : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغرّة طويل الغُرلة مُلْتاثَ الإزْرة وكانت فيه لَوْثة فلسنا نشكّ فى سودده . وقيل لآخر : أىّ الغلمان أسود ؟ قال : اذا رأيتَه أَعْنق أَشْدق أَحْمق فأَقْرِب به من السودد . وكان يقال : اذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حَديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرْجُه، إلا أن يريد الله أمرا فيبلغه .

حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعى قال : قريش تمدح بالصّلَع . وأنشد

إن سعيدًا وسعيدٌ فرِعُ * أصلع تميــه رجال صُلْعْ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إنى أظن هــذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه .

قال شبيب بن شيبة لبعض فُرسان بنى مِنْقَر : ما مُطِلتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقتَ فَتْقَ السادة . وقال آخر لِسـنَان بن سَـلَمة الهُذَلىّ : ما أنت بأَرْسَحَ(١) فتكون فارسا ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا . وقال بعض الشعراء

فقبّلت رأسا لم يكن رأس سَـيِّد * وكَفًّا ككَفّ الضَّبِّ أوهى أحقر

وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيع للبِيَاع بجِئتُـه * الى بَيْعَــة قلبى لهـا غيرُ آلف

فنا ولنى خشــناءَ لمّـا لمستُهـا * بكَفِّىَ ليست من أكُفّ الخَلائف

وقرأت فى كتاب للهند أنه قد قيل فى الفِراسة والتَّوَسُّم : إنه من صغُرت عينه [و] دام اختلاجها وتتابع طَرْفها ومال أنفُه إلى أيمن شقّيه وبُعْـد ما بين حاجبيه وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفّت تارة بعـد أُخرى ، غَلَبَت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسَوِّدْنَ العبد : الأدب، والصّدق، والعفّة، والأمانة . وقال بعض الشعراء فى النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيــه آياتٌ مُبَيّنة * كانت بَدَاهته تُنْبِيك بالخبر

وقال معاوية : إنى لأكره البكارة(٢) فى السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ولعلها محرّفة عن «الغباوة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر فى هذا المعنى

ليس الغبىّ بسيّد فى قومه * لكنّ سيّد قومه المتغابى

ويقال فى مثَلٍ : «ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِع» . وقال الفرزدق

لاخير فى خِبٍّ من تُرجَى فواضلُه * فاستمطِروا من قريش كل مُنخَدِع

كأنّ فيه إذا حاولتَه بَلَهًا * عن ماله وهو وافى العقل والوَرَع

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعنى . وقال مالك بن أَنَس عن ابن شهاب : الكريم لمّا تُحكِمْه التجارب .

قال بعض الشعراء

غيرَ أنى أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يَسُودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُستجهَل، البارّ بمن يعاشر . قال عَدِىّ بن حاتم : السيد الذليل فى نفسه، الأحمق فى ماله، المُطَّرِح لحقده، المعنِىّ بأمر عامّته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد، فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقَيْس بن عاصم : بم سدتَ قومك؟ فقال : ببذل القِرَى وترك المِرَا ونُصْرة المَوْلى . وقال على بن عبد الله بن عباس : سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وفى الآخرة الأتقياء . وقال سَلْم بن قُتَيبة لولده : إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سِرَار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هى العافية، والصحة هى الشباب، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هَدّاب : كنا نعرف سُودد سلم ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد عيبَه : بم سدتَ قومك؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العَنَزِىّ (١) : أخبرنى عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وهو فى النسخة الفتوغرافية غير واضح، وذكر فى العقد الفريد فى باب السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فى أىّ شىء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد، ولم يَلِ شيئا قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعَرابة الأوْسِىّ : بم سُدْتَ قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى، وأَذِلّ لهم فى عِرضى، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسُد رفيعَهم.

وقال المُقَنّع الكِندىّ وهو محمد بن عميرة

ولا أحمِـلُ الحِقْـدَ القديم عليهمُ * وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نَصْرى سِراعًا وإن هُمُ * دعونى الى نصر أتيتُهم شَـدّا
إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومَهـم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدا
يُعَيّرنى بالدَّيْن قومى وإنمـا * ديونِىَ فى أشياء تَكْسِبهم حَمْدا

وقال آخر

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو يَسَرٍ * سُوّاس مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يُمَـارُون إن مارَوْا بإكثار
مَنْ تَلْقَ منهم تقل لاقيتُ سَيّدَهم * مثل النجوم التى يسرِى بها السارى

وقال آخر

وانّ سيادةَ الأقوام فاعلم * لها صُعَداء مَطْلَعُها طويلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسوّد الا من يُوَطّئنا رَحْله ويُفَرّشنا عِرْضه ويُمَلّكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : «مَنْ بذل معروفه وكفّ أذاه فذلك السيد» . ويقال : لاسُودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمّم » يريدون أنّ كل جِنَاية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَعْتَمّ بعِمامة صفراء لا يعتم بها غيره . وانما سُمّى الزِّبرِقان بصفرة عمامته . يقال: زَبْرَقْت الشىء إذا صفّرته، وكان اسمه حُصَينا . قيل لابن هُبَيْرة : مَن سيدُ الناس اليوم ؟ قال : الفَرَزْدَق، هجانى مَلِكا ومدحنى سُوقَةً . وقال عامر بن الطُّفَيْل

إنى وإن كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ * وفارسها المشهورِ فى كل مَوْكب
فما سَوَّدتنى عامرٌ عن وِراثة * أبَى اللهُ أن أسمُوَ بأُمّ ولا أب
ولكنَّنى أَحْمِى حِمَاها وأتّقِى * أذاها وأرمى من رماها بمَنكِبِ

هذا نحو قول الآخر

نفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاما * وعلّمته الكَرّ والإقداما
* وصيّرته مِلِكا هُمَاما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المُنْذِر . وله يقول النابغة

فإنّى لا ألوم على دُخول * ولكن ما وراءكَ يا عِصامُ؟

الكمال والتناهى فى السُّودَد

حدّثنى أبو حَمْزة الأنصارىّ عن العُتْبىّ قال، قال الأحنف : الكامل من عُدّت هَفَواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فولّه ، فكتب اليه : إن قِبَلى رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قَيْس، وسِنَان بن سَلَمة الهُذَلى . فكتب اليه معاوية : بأىّ يومَيِ الأحنف نكافيه : أبخِذْلانه أمَّ المؤمنين، أم بسَعْيه علينا يوم صِفِّين؟ فوجّه سنانا، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسودد مالا تنفعه الولاية ولا يضرّه العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا

أوحده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمُسْتَنْكَر * أن يجمعَ العالَمَ فى واحد

وقال أيضا فى نحو هذا

ياناق لا تسأمى أو تَبْلُغى رجلا * تَقْبيلُ راحته والرُّكنِ سِيّانِ
متى تُحُطّى اليه الرَّحْلَ سالمةً * تَسْتَجْمِعى الخلْقَ فى تِمثال إنسان

محمد خير من يمشى على قَـدَم * ممن برا اللهُ من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشِّبْهَ فاشتبها * خَلْقا وخُلْقا كما قُـدَّ الشِّراكان
سِيّانِ لافرق فى المعقول بينهما * معناهما واحد والعِـدّة اثنان

وقال الطائى

لو أنّ إجماعَنا فى فضـل سُودَدِه * فى الدين، لم يختلف فى المِلة اثنان

وقال أيضا

فلو صوَّرتَ نفسك لم تَزِدها * على مافيك من كرم الطِّباع

وقال خالد بن صَفْوان : كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمَعىّ قال : وفد الأحنف والمنـذر بن الجَارُود الى معاوية، فتهيّأ المنـذر وخرج الأحنف على قَعود وعليـه بَتٌّ، فكلما مرّ المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أرانى تزيّنْتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف: ماأعظم مِنّتنا عليك! فضّلناك وسوّدناك، فقال : هذا شِبْل بن مَعْبَد، من سوّده وليس بالحَضْرة بجلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبـد الأعلى الشاعر الشَّيْبانىّ : مَن أكرمُ العرب أو مَن خيرُ الناس ؟ قال : مَن يحِبُّ الناسُ أن يكونوا منـه، ولا يُحب أن يكون من أحد ، يعنى بنى هاشم . قال : مَن ألأم النـاس ؟ قال : مَن يحِب أن يكون من غيره، ولا يُحب غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب: إن الشَّرَف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرمُ الصَّفَايا أشدّها وَلَهًا إلى أولادها ، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها ، وأكرم الأفْلاء[1] أشدُّها ملازمةً لأمهاتها، وخير الناس آلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فِلْو بالكسر أو كعدوّ وسُمُوّ، وهو الجحش أو المهر اذا فطما أو بلغا السنة .

السّيادة والكمال فى الحَدَاثة

قال الأحنف : السّودد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أتته السيادة فى حداثته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعامتهم يُراد أن السُّودد يكون بتسويد العامّة . وقال أبو اليقْظان ولّى الحجّاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحَكَم الثَّقَفِىّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم، ثم ولّاه السِّنْدَ فافتتح السندَ والهندَ وقاد الجيوشَ وهو ابن سبع عشرة سنة، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمُرُوءة والنّدى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوشَ لِسبْعَ عَشْرَةَ حِجّةً * ياقربَ ذلك سُوددا من مولد!

ويروى* ياقرب ذلك سُورة من مولد * السُّورة المنزلة الرفيعة. قال أبو اليقظان: وهو جعل شِيرَاز معسكرا ومنزلا لوُلاة فارس. وقال حمزة بن بيض(١) لمخلَّد بن يزيد بن المُهَلّب

بلغت لعشر مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيّدُ الأشيب
فهمُّك فيها جِسام الأمور * وهمُّ لِدَاتِك أن يلعبوا

نظر الحُطَيئة الى ابن عباس يتكلم فى مجلس عمر، فقال : مَن هذا الذى نزل عن الناس فى سنه وعَلَاهم فى قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره(٢) منّا رجل . ونظر رجل إلى أبى دُلَف فى مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عُبَيد الله بن زِياد خُراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلِف عبيد الله ، فقال : إن يَكُ فيه خير فسيولّيه عمُّه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يولّيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين، لا يقولنّها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير، وضبطه الحافظ بالفتح .
(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال فى بيانها : لو كان فى السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشر عله .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعملاه، فرغب فيه فاستعمله على خراسان . وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناسُ عن ابراهيم النَّخَعىّ وهو ابن ثمـانى عشرة سنة . وولّى رسول الله صلى الله عليه وسـلم عَتّاب بن أَسِـيد مكة وهو ابن خمس وعشرين سنة . وسوّدت قُريش أبا جهل ولم يطِّرْ شاربه فأدخلتْه مع الكهول دارَ النَّدوة . قال الكميت

رُفعتْ إليـك وما ثُغِر(١) * تَ عيونُ مستمِع وناظر
ورأوا عليك ومنك فى الـ * ـمهد النُّهَى ذات البصائر

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحَوّز يريد الكلام ، فقال عمر : كبِّروا كبِّروا، فقال الفتى : ياأمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان فى المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقتَ فتكلّم . قال الشاعر فى خلاف هذا المعنى

إنما المُلْكُ أن يُساسوا بغِرٍّ * لم تُعِرْه الأيامُ رأيا وَثيقَا

وقال آخر

ألا قالت الحسـناء يومَ لقيتهـا * كبِرتَ، ولم تجزع من الشيب مَجْزعا
رأت ذا عصًا يمشى عليها وشيبة * تَقَنَّع منها رأسـه ما تقنّعا
فقلتُ لهـا: لا تهزَئى بى فقلّما * يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
ولَلْقارحُ اليَعْبوبُ خـيرٌ عُلاَلَةً * من الجذَع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزَعًا

رأى بُكَير بن الأخنس المُهَلّبَ وهو غلام فقال

خذونى به إن لم يَسُد سَرَواتِهم * ويبرع حتى لا يكون له مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام اذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمّة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جُوَيرية عن محمد بن ذُؤيب الفُقَيميّ(١) وهو العُمانيّ الراجز عن دُكَيْن الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلِف أستنجزُ منه وعدا كان وعدنيه وهو والى المدينة، فقال لى : يا دُكَين إن لى نفسا توّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت الى الخلافة، فلما نلتها تاقت الى الجنــة . وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا، وما عندى إلا ألفا درهم، فاختر أيّهما شئت، وهو يضحك. فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك، ويقال قليلك خير من كبير غيرك، فاختر لى أنت، فدفع إلىّ ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فٱبتعتُ بها إبلا وسُقتها الى البادية، فرمى الله فى أذنابها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .

قال معاوية لعمرو بن العاص حين نظر معسكر علىّ عليه السـلام : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقةٍ مَهْلَكةٍ. أى عليكم بجسام الأمور . وقال كَعب بن زُهَير

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغْيةٌ * وليس لرَحْلٍ حطّه الله حامـلُ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخنَا * أصبْتَ حليما أو أصابك جاهل

وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همّــة وعظيم خَطَر : عمــل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ. وفيه أيضا: لا ينبغى أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّما أو مع النُّسّاك مُتبتّلا، كالفيل لا يَحْسُن أن يُرَى إلا فى موضعين : فى البرّيّة وحشيّا أو للملوك مركبا. وفيه أيضا: ذو الهمة إن حُطّ فنفسُه تأبى إلا عُلُوّا كالشُّعلة من النار يُصَوِّبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العَتّابىّ

تلوم على ترك الغنى باهليّــةٌ * طوى الدّهرُ عنها كلّ طِرْفٍ وتالد

(١) نسبة الى فقيم دارم، قال فى القاموس : والنسبة الى فقيم كنانة فُقَمى كعُرَنىّ وهم نَسَأة الشهور فى الجاهلية، والى فقيم دارم فقيمى اهـ .

يسرّكِ أنى نلتُ ما نال جعفـر * من الملك أو ما نال يحيي بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصَّنى * مغصّهما بالمُشْرِقات البـوارد؟
ذَرِيني تَجِئْـنى مِيتتى مُطمئنّـةً * ولم أتقحَّم هـولَ تلك الموارد
فإن كريمات المعـالى مَشُوبة * بمستودَعات فى بطون الأساود

وقال الطائىّ

وأحرى لحَيْنِي يومَ لم أمنع النّوَى * قِيـادى ولم يَنقُض زَمَاعِىَ ناقضُ
أرادت بأن يَحوِى الغِنى وهو وادعٌ * وهل يَفرِسُ الليثُ الطَّلَا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلْقُل(1) وآستثرْ * بالعِيس من تحت السُّهاد هُجُودا
ما إن ترى الأحسابَ بِيضًا وُضَّحًا * إلا بحيث ترى المنـايا سُـودا

وقال آخر

* ما العِزّ إلا تحت ثوب الكَدّ *

وقال آخر

الذُّلّ فى دَعة النفوس ولا أرى * عِزّ المعيشـة دون أن يُشْقَى لها

وقال بعض المُحْدَثين وأظنه البُحْتُرِىّ

فاطلبا ثالثـا سـواىَ فإنّى * رابعُ العِيس والدُّجَى والبِيدِ
لستُ بالواهن المقيم ولا القا * ئل يوما إن الغنى بالجُدود
وإذا استُصْعِبت مَقادةُ أمرٍ * سَهّلتها أيدى المَهارِى القُود

وقال عبد الله بن أبى الشِّيص

أظنّ الدهر قد آلى فبرّا * بأن لا يَكسِبَ الأموالَ حُرّا
لقـد قعـد الزمانُ بكل حُرّ * ونقَّض مِن قُـواه المُسْتَمِرّا
كأن صفائح الأحرار أَرْدَتْ * أباه فحارب الأحرار طُرّا

(1) فى النسخة الألمانية : التقلد، وفى الفتوغرافية : التقلل، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كلُّ ذى شرف رَكوبا * لأعناق الدجى برًّا وبحـرا
فهتّك جَيْبَ دِرع الليل عنه * إذا ماجيبُ درع الليل زُرّا
يراقبُ للغنى وجها ضَحُـوكا * ووجهـا للنيّـة مُكْفَهِرّا
ومن جعل الظلامَ له قَعُودا * أصاب به الدجى خيرا وشرّا

وكان يقال : مَن سرّه أن يعيش مسرورا فليقنَع ، ومن أراد الذكر فليجهَد . قيل للعتّابى : فلان بعيدُ الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء : مَن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتّسعت معرفته وضاقت مقدرته و بَعُدت همّتُه .

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع

والمـرء يُورِثُ جودَه أبنـاءَه * و يموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

أبو اليقظان قال : كان أوّلَ عمل وليَــه الحجّاج تَبَالَةَ ، فسار اليها فلما قرُب منها قال للدليل : أين هى وعلى أىّ سَمْت هى ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمةُ . قال لا أرانى أميرا إلّا على موضع تستر منه أكَمَة ! أهْوِنْ بها وِلاية ! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : «أهوَنُ من تَبالَةَ على الحجّاج» . وقال الطائىّ

وطولُ مُقام المرء فى الحى مُخْلِقٌ * لديباجتيه فاغتربْ تتجــدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبّةً * إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهــل قدرَه وتعــدّى طَوْره فشقّ العصا وفرّق الجماعة ، لا جَرم لقد هُزِم ثم أُسر ثم قُتــل ثم صُلب . قال الآخر : دَعْنى من ذكر هزيمة أبى ومن صَلْبه ، أبوك ما حدّث نفسَه بشىء من هذا قطّ . قال حاتم طيْ

لحى اللهُ صُعلوكًا مُناه وهَمُّـه * من العيش أن يلقى لَبوسا ومَطْعما
يرى الخِمْص تعذيبا وإن يلْقَ شَبْعة * يَبِتْ قلبُه من قلّة الهمّ مُبهَما
ولله صُــعلوكٌ يُساوِر همّــه * ويمضى على الأهوال والدهرِ مُقْدِما

يرى قوسَـه أو رُمحه ومِجنّـه * وذا شُطَبٍ لَدْنَ الْمَهَزَّة مِخْذَما
وأحنـاءَ سرج قاترٍ(١) و لجامَـه * مُعَدّا لدى الهَيْجا وطِرْفا مُسَوَّما
فذلك إنْ يَهْلِك فحُسْنٌ ثناؤه * و إن يَحْيَ لا يقعُدْ لئيما مُذَمَّما

وقال آخر

لا يمنعنّك خَفْضَ العيش تطلبه * نِزاعُ شوق الى أهل وأوطانِ
تَلْقَ بكلّ بلاد إن حللتَ بها * أهلا بأهـل وجيرانا بجيرانِ

ويقال: ليس بينك و بين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملكَ. وقال عُرْوة بن الوَرْد

لحى اللهُ صُعلوكا إذا جَنّ ليلُه * مُصافِي المُشاش(٢) آلفا كلَّ مَجْزِرِ
يَعُدّ الغنى من دهره كلَّ ليلة * أصاب قِراها من صديق مُيَسَّر
ينـام عِشاء ثم يُصبِحُ قاعدا * يَحُتّ الحصا من جنبه المُتعفِّرِ
يُعينُ نساءَ الحيّ لا يستَعِنَّه * ويُمسِي طَليحا كالبعير المُحسَّر
ولله صُعلوكٌ(٣) صَفِيحةُ وجهه * كضوء شهاب القابس المُتنوِّر
مُطِـلٌّ على أعدائه يزجُرونه * بساحتهم زجر المَنيح المشهَّر

وقال آخر

تقول سُلَيمى: لو أقمتَ بأرضنا! * ولم تَدْرِ أنى للمُقـام أطـوِّفُ

وقال الطائىّ فى نحوه

أآلِفَـةَ النَّحيب كم افتراقٍ * ألمَّ(٤) فكان داعيـةَ اجتماع
وما إن فرحةُ الاوباتِ إلا * لموقوفٍ على تَرَح الوَداع

---

(١) القاتر والمُقْتَر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا فى الأصول والأغانى، وفى الحماسة : «ولكن صعلوكا الخ» . (٤) فى الأصول اظل، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى رَوح بن حاتم واقفا فى الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقُوفك فى الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقامى فى الظل . وقال خِداش بن زُهير

ولن أكون كمن ألقى رِحالَته * على الحمار وخَلّى صَهْوة الفرس

وقال آخر

لا أنتَ قصّرتَ عن مجدٍ ولا أنا، إذ * أسْمُو إليك بنفسى، قصّرتْ هِمَمى

قال عمر بن الخطاب: أشيعُوا بالكُنَى فإنها منبِّهة . دخل عُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيمىّ على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألَا أُوصى بك الأميرَ؟ فقال عبيد الله : إذا لم يكن للحىّ إلّا وصِيّةُ الميت فالحىّ هو الميت . وقال الشاعر فى نحوه

إذا ما الحىّ عاش بعَظْمِ مَيْتٍ * فذاك العظمُ حىٌّ وهو مَيْتُ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبىّ : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلىّ ولم يُوصِ بى . نظر أبو الحارث حمير إلى بِرْذَوْنٍ يُستَقى عليه، فقال: المرء حيث يجعل نفسَه، لو هَمْلَجَ هذا لم يُبْلَ بما تَرَوْن . قال الطائىّ

وقلقلَ نابٍ من خراسان جاشُها * فقلت اطمئنى أنضرُ الرَّوضِ عازِبُهْ

وركبٍ كأطراف الأسِنَّة عرَّسوا * على مثلها، والليل تَسْطو غياهبُه

لأمرٍ عليهم أن تتِمّ صدورُه، * وليس عليهم أن تَتِمّ عواقبُه

وقال آخر

وعِش مَلِكا أومُت كريما، وإن تمت * وسيفُك مشهور بكفك تُعذَرِ

والمشهور فى هذا قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعَى لأدنَى معيشةٍ * كفانى ولم أطلُب قليلٌ من المال

ولكنّما أسْعَى لمَجْدٍ مؤثَّلٍ * وقد يدرِكُ المجدَ المؤثَّل أمثالى

وقوله

بكى صاحبي لمـا رأى الدربَ دونه * وأيْقن أنّا لاحقان بقَيْصرا
فقلت له : لا تبكِ عينُـك ، إنمـا * نُحاول مُلْكا أو نموتَ فنُعذَرا

وقال أبو نُوَاس

سأبغِي الغِنَى إمّا جليسَ خَليفةٍ * نقوم سَواءً ، أو مُخِيفَ سبيل

وقيل ليزيد بن المُهَلّب : ألّا تبنى دارا ! فقال : منزلى دارُ الإمارة أو الحبس . والمشهور فى سقوط الهمة قولُ الحُطَيْئة

دَعِ المكارمَ لا ترحَـل لبُغْيَتها * واْقعُد فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِى

وقال مالك بن الرَّيْب

فإن تُنصِفونا آلَ مروانَ نَقْترِبْ * إليـكم وإلّا فأْذَنوا بتَعَادِى[1]
فإنّ لنـا عنكم مَرَاحًا ومرحلا * بِعِيسٍ الى ريح الفَـلَاة صَوادِى
وفى الأرض عن دار المَذَلّة مَذْهبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبلادِى
فمـاذا عسى الحجاج يَبلُغُ جهدُه * إذا نحن جاوزنا حَفيرَ زياد
فَبِاسْتِ أبى الحجاج واْستِ عَجوزه * عُتَيّـدُ[2] بَهْـمٍ يَرْتعى بوِهَـادِ
فلولا بنو مروان كان ابنُ يُوسفٍ * كما كان عبـدًا من عبيـدِ إياد
زمانَ هو المُقْرِى[3] المُقِـرُّ بذلّةٍ * يُرَاوِح غِلمانَ القُرى ويُغَـادِى

بعث يحاب[4] خليفتها إلى ابن عائشـة المحدّث وهو عُبَيد الله بن محمد بن حَفْص التَّيْمىّ ، فأتاه فى حلقته فى المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلّا عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) فى الكامل للبرد طبع ليبزج : «ببعاد» بدل «تعادى» وهو الأنسب للسياق .

(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما فى لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقرى طالب الضيافة ، وفى الحماسة والكامل : «العبد» . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخْلِيَنى . قال : فى حاجة لك أم فى حاجة لى؟ قال : فى حاجة لى . قال : فَأْلقَنِى فى المنزل. قال: فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخوانى سرّ .

وقال بعض لصوص هَمْدان وهو مالك بن حَرِيم

كذبتم وبيتِ اللهِ لا تأخذونها * مُرَاغَمَــةً ما دام للسّيف قائمُ
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارما * وأنفًا حَمِيًّــا تجتنبْــك المظــالمُ
ومَن يَطلبِ المــال المُمنَّعَ بالقَنَا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخترِمْه المَخَــارمُ
وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنى غزوتُهم * فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدان ظالمُ

وقال أبو النَّشْنَاش، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَح سَوامًا ولم يُرِح * سَوامًا ولم تعطف عليــه أقاربُهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى مِن حياته * فقــيرا ومِنْ مَوْلًى تدِبّ عقاربه
وسائلةٍ بالغيب عنّى وسـائلٍ * ومَن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذاهبُه؟
وطامسةِ الأعلام مائلةِ الصُّوَى * سَرَتْ بأبى النَّشناش فيها ركائبه
فـلم أر مثلَ الفقْر ضاجَعَه الفتى * ولا كسواد الليل أخفَقَ صاحبه (١)

وقال آخر من اللصوص

وإنّى لأستَحْيِى من الله أن أُرَى * أُطوفُ بأرض ليس فيــه بعيرُ
وأن أسألَ المــرء اللئيم بعــيرَه * وبُعْرَانُ ربّى فى البــلاد كثيرُ
فللّيــل إن وارانِىَ الليــلُ حكمةٌ * وللشــمس إن غابت علىّ تدورُ
عَوى الذّئبُ فاستأنَسْتُ للذئبِ إذعوى * وصوّت إنسانٌ فكِدْتُ أطـيرُ
رأى اللهُ إنّى للأنيس لَشَانِئٌ * وتُبْغِضُهــم لى مقْــلةٌ وضَمِــيرُ

(١) فى الحماسة : «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب

خاطِرْ بنفسك كَىْ تُصيبَ غنيمةً * إنّ الجلوسَ مع العيال قبيـحُ
فالمـالُ فيــه تَجِــلَّةٌ ومهابةٌ * والفقــرُ فيــه مَـذَلَّة وقُبُوحُ

وقال آخر

تقول ابنتى : إنّ انطلاقكَ واحدا * إلى الرَّوْع يومًا تارِكِى لا أبَالِيَا
ذَرِينى من الإشفاق أو قدّمى لنـا * مِن الحَدَثانِ والمنيَّة واقيـا
سَتَتْلَفُ نفسى أو سأجْمعُ هَجْمـةً * تَرى ساقِيَيْها يَأْلَمَانِ التَّراقِيـا

وقال أوس بن حَجَر

ومَنْ يكُ مثلى ذا عيـالٍ ومُقْـتِرًا * من المـال يطرَحْ نفسَه كلَّ مطرحِ
لِيُبْلِيَ عُــذْرًا أو لِيَبْلُغَ حاجةً، * ومُبلِغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

رمى الفقرُ بالأقوام حتى كأنَّهم * بأطْرار آفاق البــلاد نجومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع . وقال الشاعر

خُلُقانِ لا أرضى اختلافَهما : * تِيــهُ الغِنى ، ومَذَلّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيتَ فلا تكن بَطِـرًا * وإذا افتقرت فَتِهْ على الدَّهرِ
واْصبر، فلستَ بواجِدٍ خُلُقًا * أدنى إلى فرجٍ من الصَّبْرِ

كان أعرابىّ يمنع ابنَه من التصرف إشفاقا عليه، فقال شعرا فيه

إذا ما الفتى لم يَبْـغِ إلَّا لِباسَــه * ومطعَمَه، فالخــيرُ منــه بعيــدُ
يُذَكِّرنى خوفَ المنايا، ولم أكن * لأهرُبَ ممّـا ليس منــه مَحِيــدُ
فلو كنتُ ذا مال لَقُرِّب مَجْلِسى * وقيل إذا أخطأتُ : أنتَ رشيدُ
رأيتُ الغِنى قدصارفى الناس سُودَدًا، * وكان الفتى بالمَكْرُمات يسودُ

وإن قلتُ لم يُسمَع مَقالى وإنّنى * لَمُبدِئُ حقٍّ بينهم ومُعيدُ
فذَرْنى أُجَوِّلْ فى البلاد لعلّه * يُسَرُّ صديقٌ أو يُساءُ حسودُ
ألا رُبّما كان الشّفيقُ مَضَرّةً * عليك من الإشفاق وهو وَدُودُ

وقال أعرابىّ من باهلة

سأُعمِلُ نَصَّ العِيس حتى يَكُفَّنى * غِنَى المال يوما أو غِنَى الحَدَثانِ
فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها * على الحرّ بالإقلال وَسْمُ هَوانِ
متى يتكلّمْ يُلْغَ حُسنُ كلامه * وإن لم يَقُلْ قالوا: عَديمُ بَيانِ
كأنّ الغِنَى عن أهله — بُورِكَ الغِنَى — * بغير لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

الشرف والسُّودَد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابىّ

ومَن يفتقرْ فى قومه يَحمَدِ الغِنَى * وإن كان فيهم ماجِدَ العمّ مُخْوِلَا
يَمُنُّون إن أعطَوْا ويَبخلُ بعضُهم * ويُحسَبُ عجزًا سَكْتُه إن تجمَّلا
ويُزْرِى بعقل المرء قِلّةُ ماله * وإن كان أقوى من رجالٍ وأحْوَلَا

وقرأت فى كتاب للهند: ليس من خَلّة يُمدَح بها الغَنِىُّ إلا ذُمّ بها الفقيرُ، فان كان شجاعا قيل أهْوَجُ، وإن كان وَقُورًا قيل بليدٌ، وإن كان لَسِنا قيل مِهذارٌ، وإن كان زِمّيتا[1] قيل عَيّ. وقال آخر

الفقرُ يُزْرِى بأقوام ذَوِى حسبٍ * وقد يُسَوِّدُ غيرَ السيّد المالُ

وأنشد ابن الأعرابىّ

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَق مُرُوءتَه * وما المروءة إلّا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً يُقعِّدُنى * عما يُنَوِّه باسمى رِقّةُ الحالِ

(١) الزميت: كثير الوقار.

وقال آخر

يُغَطِّى عيوبَ المرء كثرةُ ماله * يُصدَّق فيما قال وهو كَذوبُ
ويُزْرِى بعقل المـرء قِلَّةُ ماله * يُحَمِّقــه الأقــوامُ وهو لبيبُ

وقال آخر

كم من لئـيم الجُدود سوّده الـ * ـمال، أبوه وأمُّــه الوَرِقُ
وكم كريم الجـدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنّ ثوبه خَلَقُ
أدّبه سادةٌ كرام فما * ثوباه إلا العـفاف والخُـلُق

وأنشد الرياشيّ

غضبان[1] يعـلم أنّ المـال ساق له * ما لم يَسُـقْه له دِينٌ ولا خُلُق
لولا ثلاثون ألفـا سُقْتها بطَـرًا * إلى ثلاثين ألفـا ضاقت الطُّرُق
فمَن يكن عن كِرام الناسِ يسألنى * فأكرمُ[2] الناسِ من كانت له وَرِق

وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح

استغنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ[3] ذو نَشَب * من آبن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون ما عنـدهم من حق أقربهم * وعن صديقهـم والمـالُ بالوالى
ولا أزال على الزَّوْراء[4] أعمُرها، * إنّ الكريم على الإخوان ذو المـال
كلّ النـداء إذا ناديتُ يَخـذُلنى * إلّا ندائى إذا ناديتُ يا مالى

وقال حسّان

رُبّ حِلمٍ أضاعه عَـدَمُ المـا * ل وجهـلٍ غطّى عليه النعيمُ

وقال الهُذَلىّ

رأيتُ مَعاشِرا يُثْنَى عليهـم * إذا شَبِعوا وأوجُهُهم قِباحُ

(١) فى العقد الفريد «حيران» . (٢) فى الأصل «قلت له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .
(٣) فى الأصول يعزرك بالعين والزاى ، والتصويب عن الأغانى . (٤) فى القاموس : الزوراء مال لأحيحة .

يَظَلُّ المُصْرِمون(١) لهم سُجُودا * ولو لم يُسْقَ عندهُمُ ضَياحُ(٢)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أنّ لى مثل أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمنى عليه. قال الصَّلَتان

إذا قلتَ يوما لمن قد ترى: * أرُونى السَّرِىَّ، أَرَوْكَ الغَنِى
وسِرُّك ما كان عند آمرئٍ * وسِرّ الثـلاثة غيرُ الخَفِى

وقال آخر

لا تسألى النّاسَ: ماَمجدى وماشَرَفى، * الشأنُ فى فِضّتى والشأنُ فى ذهبى
لو لم يكن لِىَ مال لم يَطُرْ أحد * بابى ولم يعرفوا مجدى ومجد أبى

وقال آخر

أجلّك قوم حين صِرْتَ إلى الغِنَى، * وكلُّ غَنِىّ فى العيون جليلُ
ولو كنتَ ذا عقل ولم تُؤتَ ثروةً * ذَلَلت لديهم والفقير ذليلُ
إذا مالت الدنيا على المرء رغَّبَت * إليه ومال الناسُ حيث يميلُ
وليس الغِنَى إلّا غِنًى زَيّن الفتى * عشيّةَ يَقْرِى أو غداةَ يُنِيلُ

وقال آخر

وكلُّ مُقِلٍّ حين يغدو لحاجةٍ * إلى كلّ من يغدو(٣) من الناس مذنبُ
وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رَأَوْنى مُعْدِمًا مات مرحبُ

وقال آخر

أبا مصلح أَصلِح ولا تك مفسدا * فانّ صلاحَ المال خيرٌ من الفقرِ
ألم تر أنّ المرء يزداد عِزّةً * على قومه إن يعلموا أنه مُثرى

وقال عُرْوة بن الوَرْد

ذَرِينى للغِنَى أَسعى فإنى * رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق المزوج بالماء.
(٣) كذا بالأصول، وفى العقد الفريد «يلق».

وأبعدُهم وأهونُهم عليهـم * وإن أمسى له حَسَبٌ وخِيرُ
ويُقصِيه النّدِىُّ وتزدريه * حليلتُه وينهَـرُه الصـغيرُ
وتُلفِى ذا الغِنَى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبـه يطيرُ
قليـلٌ ذنبـه والذنبُ جَمٌّ * ولكن للغَنِي ربٌّ غفـورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل

وَيْكَأنْ مَن يكن له نَشَبٌ يُحْـبَبْ * ومن يَفتقرْ يعِشْ عيشَ ضرّ
ويُجَنَّب سرَّ النـجِىّ ولكنْ * أخا المـال مُحضَرٌ كلَّ سرّ

وقال آخر

ألم تر بيتَ الفقر يُهجَرُ أهـلُهُ * وبيتَ الغِنَى يُهْدَى له ويُزارُ .

وقال آخر

إذا ما قلّ مالك كنت فردا * وأىُّ الناس زُوّار المُقِلّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَارة

وما لبُّ اللبيب بغـير حظّ * بأغنى فى المعيشة من فَتيـلِ
رأيتُ الحظّ يستُر عيبَ قوم * وهيهات الحظوظُ من العقول

وقال الطائىّ

الصبر كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ * والعقلُ عارٍ اذا لم يُكسَ بالنَّشَب
ما أضيَعَ العقلَ ان لم يَرْعَ ضيعتَه * وَفْرٌ، وأىّ رحًا دارت بلا قُطُب؟

وقال آخر

عِش بجَدٍّ ولا يضُرْك(١) نَوْكٌ * انما عيشُ من تَرَى بالجدود
عِش بجـدّ وكن هَبَنَّقَةَ القيـسىّ نوكا أو خالدَ بن يزيد(٢)

(١) فى الأصول «فلم» ، والتصويب عن البيان للجاحظ .
(٢) فى البيان للجاحظ «شيبة بن الوليد» ، وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة هبنق .

وقال الطائىّ

يَنــالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكْدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَـا * هلكْنَ اذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال المَرَّار

اذا لم تُرافِـد فى الرِّفاد ولم تَسُقْ * عدوّا ولم تستغن فالموت أروحُ

وقال ابن الدُّمَيْنة الثقفىّ

أطعتُ العِرْسَ فى الشهوات حتى * أعادتنى عَسِـيفًا عبـدَ عبـدِ
اذا ما جئتُهـا قـد بعتُ عَـذْقا * تُعـانِقُ أو تقبّـلُ أو تُفـدِّى

وقال الأسْعَر الجُعْفىّ

وخَصاصــةُ الجُعْفىّ ما دايَنْتَــه * لا ينقضى أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صدقٍ ما رأوك بغِبْطة * فان افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر

اذا المرء لم يَكسِب معاشا لنفســه * شكا الفقر أو لاقَى الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنيْنَ كَلًّا وأوشكت * صِلاتُ ذوى القربى له أن تَنَكَّرا
فَسِر فى بلاد الله والتمس الغِـنى * تَعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعْـذَرا
وما طالبُ الحاجات مِن حيث تُبتغى * من النـاس إلا من أجدّ وشمَّــرا
فـلا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ * وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا

وقال آخر

مَنْ يجمعِ المـالَ ولا يُثِبْ بِه * ويتركِ العـامَ لعـام جَدْبِه
* يَهُنْ على الناس هوانَ كلبه *

قال أبو اليَقْظان : ماساد مُمْلِقٌ قط الا عُتْبَةُ بن ربيعة .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمَة عن عُبَيد الله بن العَيْزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احرُث لدنياك كأنّك تعيش أبدا واَحْرُث لآخرتك كأنّك تموت غدًا .

قال حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنى أصحـاب أيّوب عن أيّوب قال : كان أبو قِلَابة يَحُثّى على الاحتراف ويقول : إنّ الغِنَى من العافية .

قال وقال الأصمعىّ : سأل اعرابىّ عن رجل فقالوا : أحمقُ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَيْن: الدِّينَ والعِرضَ . ويقال فى بعض كتب الله : أطعنى فيما آمرك ولا تُعلِّمْنى بمـا ينفَعُك واَمدد يدَك لباب من العمل أفتحْ لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غَلَى دماغه فى الصيف غَلَتْ قِدْرُه فى الشـتاء . ويقال : حفظُ المـال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : اذا أردتم أن تعلموا مِنْ [أين][1] أصاب المـال فانظروا فيم ينفِقه فانّ الخبيث يُنفَقُ سَرَفا . ونحوه قولهم: من أصاب مالا من نَهاوِشَ[2] أذهبه الله فى نَهابِر. ويُقال فى مثل « الكدّ قبل المدّ » يراد الطلبُ قبـل العجاجة[3] والعجز . وقال لَقِيط «الغزو أدرّ[4] للِّقاح وأحدّ للسلاح» . وقال أبو المعافَى

وإن التوانى أنكح العجْزَ بنتَـه * وساق اليها حين زوّجها مَهْـرا
فِراشًا وطِيئًا ثم قال لهـا آتّكى * قُصاراهما لا بدّ أن يَلِدا الفقرا

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل «مهاوش» بالميم، والتصحيح عن لسان العرب فى مادة نهبر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) فى النسخة الألمـانية هكذا : « وقال لقيط الفزارى درّ للّقاح وأحد للسلاح » وفى الفتوغرافية «الغز» بغير واو، والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى .

وقال زيد بن جَبَلة : لا فقير أفقرُ من غنيّ أمِنَ الفقرَ . وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلافِ درهم نفقةٌ، وما فوقها كنزٌ . ويقال : القبرُ ولا الفقرُ . ويقال : ما سبق عيالٌ مالًا قطّ إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالَكَ لا يَنمِى مالُكَ؟ قال : لأنى اتخذتُ العيالَ قبل المال واتخذ الناسُ المالَ قبل العيال . ويقال : العيالُ سوسُ المال . وقيل لمدينيّ : كيف حالُك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب مالُه وبقيت عادتُه . ويقال : الغِنَى فى الغربة وطنٌ والفقرُ فى الوطن غربةٌ .

حدّثنى محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكا نبيّ من الأنبياء الى الله شدّةَ الفقر فأوحى اللهُ اليه : هكذا جرى أمرُك عندى أفتريد من أجلك أن أُعيدَ الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدّثنا العُتبيّ قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجدب أهلُ البادية قطّ حتى تسوّيهم السَّنةُ ثم جاءهم الخِصْب إلا عاد الغِنى الى أهل الغنى .

قال الأصمعيّ رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمِنًى فقلت : يا أمة الله تَسألين ولكِ هذا الجمالُ! قالت : قدّر اللهُ فما أصنعُ؟ قلت : فمن أين معاشُكم؟ قالت : هذا الحاجُّ نتقمّمُهم ونغسلُ ثيابَهم . فقلت : فاذا ذهب الحاجُّ فمن أين؟ فنظرتْ الىّ وقالت : يا صُلْبَ الجبين! لو كنا إنما نعيشُ من حيث نَعلمُ لما عِشْنا . وقال الشاعر

أتُرَانى أَرَى من الدهر يوما * لِىَ فيه مطيةٌ غيرُ رِجْلى
واذا كنتُ فى جميع فقالوا * قَرِّبوا للرحيل قدّمتُ نَعْلى
حيثما كنت لا أُخَلِّف رحلا * مَنْ رآنى فقد رآنى ورَحْلى

قيل لمدينيّ : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلبيةُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماءُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القَرِيس؟ قال : الشتاءُ .

ذم الغــنى ومــدح الفقر

قال شُرَيح : الجِدَةُ كنيةُ البَهْل . وقال أكثم بن صَيْفِيّ : ما يسرُّنى(١) أنى مَكْفىٌّ كلَّ أمرِ الدنيا . قيل : وإن أسمنتَ وألبنتَ ؟ قال : نعم ، أكره عادةَ العَجْز . وكان يقال : عَيبُ الغِنَى أنه يُورِثُ البَلَهَ ، وفضيلةُ الفقر أنه يورث الفِكرَة . وقال محمد بن حازم الباهلىّ

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَف * ولا سخاء فى طاعةٍ سَرَف
مالكَ إلّا شيءٌ تُقــدِّمه * وكلُّ شيء أخّرتَه تَلَف
تركُكَ مالًا لــوارثٍ يتهنّــاه وتَصْلَى بحَرِّه أسـفُ

وقال ابن مُناذر

رَضِينا قِسْـمَةَ الرحمٰن فينا * لنا عِــلْمٌ وللثّقفِىّ مالُ
وما الثّقفىُّ إن جادت كُساه * وراعَكَ شخصُه إلا خيــالُ

وقال أنس بن مالك : لمّا خرج مروانُ من المدينة مرّ بماله بذى خُشُبٍ(٢) فلما نظر اليه قال : ليس المـالُ إلا ما أُشرِجتْ عليه المناطقُ . ورُوِى عن المسيح أنّه قال : فى المـال ثلاثُ خصالٍ ، قالوا : وما هى يارُوحَ الله : قال : لا يَكسِبُه مِنْ حِلّه قالوا : فإن فعل قال : يمنعُه من حقّه ، قالوا : فان لم يفعل ، قال : يَشْغَله إصلاحُه عن عبادة ربه . قيل لابن عمر : توفّى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنها لا تتركه . وقال المَعْلوط

ولا ســوّد المـالُ الّدنىَّ ولا دنا * لذاك ولكنّ الكريم يَسُـــودُ
متى ما يَرَ النـاسُ الغنىَّ وجارَه * فقـيرًا(٣) يقولوا عاجــزٌ وجليــدُ

---

(١) فى النسخة الألمانية : «يسوءنى» . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب بجنب واد باليمامة وواد بالمدينة ، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى و يقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى الحماسة : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغِنَى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُـدودُ
فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذَمَّم * وصُعلوكِ قومٍ مات وهو حميـدُ
اذا المرء أعيْته المُـروءة ناشـئا * فمطلبُها كهلًا عليـه شـديدُ

وقال آخر

ولا تُهِينَ الفـقيرَ علّك أن * تركَع يومًا والدهرُ قد رَفَعَـهْ

الأخفَش قال : قال المبرّد : أُريد النونُ الخفيفةُ فى ولا تهينَ فأسقط التنوين لسكونه[1] وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظّارٍ الى جانب الغِنَى * اذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر
وإنّى لصبّارٌ على ما ينُـوبُنى * لأنّى رأيتُ الله أثْنَى على الصبر

وقال أعرابىّ يمدح قومًا

اذا افتقروا عَضّوا على الصبر حِسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِراعًا الى الفقر

يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيّرت اليهودُ عيسى بن مريم بالفقر فقـال : من الغنى أُتيتُم ، وقال : حسبُك من شرف الفقر أنك لا تَرَى أحدا يعصى الله ليفتقرَ . أنشد ابن الأعرابىّ[2]

المـال يغشى رجالا لا طَبَاخَ[3] بهـم * كالسَّيل يغشى أصولَ الدِّنْدِنِ[4] البالى

وقال الطائىّ

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنَى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكان العـالى

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال أعرابىّ : الغَنِىُّ من كثُرت حسناته والفقير من قلّ نصيبه منها . وقال ذو الأصبع

(١) عبارة المبرد فى الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين فلعل ما هنا محرف عن «فأسقط النون لسكونها وسكون اللام» . (٢) عزاه فى اللسان الى حسان ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت فى شعر لحية بن خلف الطائى . (٣) الطباخ : القوة ، قال فى اللسان ومعناه فى البيت : لا عقل لهم . (٤) ما بلى وعفن من أصول الشجر .

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ * مخـالِفٌ لِيَ أقليـه ويَقْلِيني
أَزْرَى بنا أننـا شَالَتْ نَعامَتُنا * فخالَنِي دونه بل خِلتُــه دوني

وقال آخر

إنّ الحـرام غزيرةٌ حَلَبـاته * ووجدتُ حالبةَ الحلال مَصُورا

قيل لأعرابي: ان فلانا أفاد مالا عظيما قال: فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟. وفي كتاب للهند: ذو المروءة يكرَم مُعْدِمًا كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضًا، ومن لا مروءة له يُهَانُ وإن كان موسرا كالكلب وإن طُوِّق وحُلِّي. وقال خِداشُ بن زُهير

أعاذِلَ إنّ المـالَ أعـلمُ أنّه * وجامعَــه للغائلات الغوائل
متى تجعليني فوق نعشك تعلَمِي * أَيُغْنِي مكانِي أَبْكُرِي وأَفَائِلِي

وقال آخر

اذا المرء أثرى ثمّ قال لقومــه * أنا السيّدُ المَقْضِي اليــه المعظَّمُ
ولم يُعطهم خيرًا أبَوْا أن يسودَهم * وهان عليهم رغمُــه وهو أظلم

وقال زَبّانُ بن سَيّار

ولسنا كقوم مُحْدَثِينَ ســيادةً * يُرَى مالُهـا ولا يُحَسُّ فَعالُهـا
مساعيهم مقصــورةٌ في بيوتهم * ومسعاتُنا ذُبيانُ طُرًّا عِيالُهـا

وقال أبو عبيد الله الكاتب: الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصــبر على ألم الحاجة، وذِلّةُ الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أنّ عزّ الغِنى مانعٌ من كرم الإنصاف. وقال بعض المتكلمين في ذمّ الغِنى: ألم تر ذا الغِنَى ما أَدْوَمَ نَصَبَه، وأقلّ راحتَه، وأخسّ من ماله حظّه، وأشدّ من الأيام حَذَرَه، وأغرى الدّهر بثَلْمه ونقضه، ثمّ هو بين سلطان يرعاه، وحقوق تسترثيه، وأكفاء يتنافسونه، ووَلَدٍ يودّون فراقه، قد بعث عليه الغِنى من سلطانه العَناءَ، ومن أكفائه الحسدَ، ومن أعدائه البَغْيَ، ومن ذوي

الحقوق الذمَّ، ومن الولَد الملامةَ، لاَكَدْيِ البُلْغة قَنِعَ فدام له السرورُ، ورفض الدنيا فسلِم له الجسدُ، ورضى بالكَفاف فتنكّبته الحقوقُ . ضَجِرَ أعرابيٌّ بكثرة العيال والوَلَد مع الفقر وبلغه أنّ الوباء بخَيْبَرَ شديد فخرج اليها بعياله يُعرِّضهم للوت، وأنشأ يقول

قلتُ لحُمَّى خيبرَ آستعِدِّى * هاكِ عيالى وآجهَدِى وجِدِّى

وباكِرِى بصالبٍ ووِرْدِ * أعانك اللهُ على ذا الجندِ

فأخذته الحمّى فمات هو وبقى عيالُه . وكتب عمر بن الخطاب الى آبنه عبد الله : يابنىّ، آتق الله، فإنه من آتّقى الله وقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عِمادَ عينيك وجِلاءَ قلبك، وآعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حِسْبَةَ له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له . وقال محمود الورّاق

يا عائبَ الفقر ألا تَزْدَجِرْ * عَيْبُ الغِنَى أكثرُ لو تَعتبِرْ

مِن شَرَفِ الفقر ومن فضله * على الغِنَى إن صحّ منك النظرْ

أنك تَعصِى اللهَ تبغى الغِنَى * ولستَ تَعصِى اللهَ كى تفتقرْ

وقال آخر

ليس لى مالٌ سوى كرمى * فيه لى أمنٌ من العُدُمِ

لا أقول : اللهُ أعدَمنى * كيف أشكو غيرَ متَّهَمِ

قنِعتْ نفسى بما رُزِقتْ * وتمطّت بالعُلى هِمَمِى

وجعلتُ الصبرَ سابغةً * فهى من قَرْنِى الى قَدَمِى

فاذا ما الدّهرُ عاتَبَنِى * لم يجِدْنى كافرًا نِعَمِى

التجارة والبيع والشراء

قال : حدّثنى محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عمّن حدّثه يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بُعِثْتُ مَرْغَمَةً ومرحمةً ولم أُبْعَثْ تاجرًا ولا زَرّاعًا وإنّ شرّ هذه الأمّة التّجارُ والزرّاعون إلّا مَنْ شَحّ عن دِينِه» . وفى حديث

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جُبَير: سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم أيُّ الكسب أطيبُ قال : «عَمَلُ الرجل بيده وكلُّ بيع مبرورٍ» .

حدّثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا عَوْن بن عُمارة عن هشام بن حسّان عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ فى شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحوّل منه الى غيره . وقال : فرّقوا بين المنايا[1]، وٱجعلوا الرأسَ رأسين ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَةٍ . وقال : اذا ٱشتريتَ بعيراً فاشتَرِه عظيمَ الخَلْق فإن أخطأَك خيرٌ لم يُخْطِئك سوقٌ . وقال : بع الحيوانَ أحسَنَ ما يكون فى عينك . وقال الحسن : الأسواقُ موائدُ الله فى الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن مَعْمَر عن الزُّبيرى قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئا ، فقال : «عليك بالسَّوْم أوّلَ السوق فإن الرَّبَاح مع السماح» . وكان يقال : اِسْمَحْ يُسْمَحْ لك . وفى بعض الحديث المرفوع : «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياءَ باتّخاذ الغنم والفقراءَ باتّخاذ الدَّجاج» . وقيل للزُّبَير : بِمَ بلغتَ ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أَرُدَّ ربحًا ولم أَسْتُرْ عيباً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيعُ الرقيق . قال : بئس التِّجارةُ ضمانُ نفسٍ ومَئُونةُ ضِرْسٍ .

باع رجلٌ ضَيْعةً فقال للشترى : أما والله لقد أخذتَها ثقيلةَ المئُونة قليلةَ المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع سريعةَ التفرّق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير فى النهاية وابن منظور فى اللسان «فرّقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ» وقالا فى تفسيره : اذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا فى الثمن واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكأنكم فرقتم مالكم عن المنية اهـ ولا تلثوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحوّلوا عنها الى غيرها .

رجل دارًا فقال له المشترى: لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعتُك الذراع بدرهم .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ أنّ أبا سُفيان بن العَلَاء باع غلامًا له بثلاثين ألفا فقال عمر بن أبى زائدة: هذا أحمق، قالوا: كيف؟ قال: لأنّه لم يبلغ ثلاثين ألفا حتى أُعطى قبل ذلك عشرون ألفا فكيف آنتظر ولم يغتنمها . ورُئى عبد الله ابن جعفر يُمَاكِس فى درهم فقيل له: أتُمَاكس فى درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالى جدتُ به وهذا عقلى بَخِلْتُهُ[1] . ابتاع آبن عمر شيئا فحَنَا له البائعُ على المكيال فقال له آبن عمر أرسل يدكَ ولاتُمسكْ على رأسه فإنّما لى ما يحمله المكيالُ . كان جريرُبن عبد الله اذا آشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذى أخذنا منك خيرٌ ممّا أعطيناك اذ أظنّ أنّه كذلك فأنتَ بالخيار . اشترى عمرو بن عُبَيد إزارا للحسن بستّة دراهم ونصف فأعطاه سَبْعَةَ دراهم فقال الرجل: انما بعتُه بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إنى اشتريتُه لرجل لا يقاسِم أخاه درهما .

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبى الزِّناد قال: اذا عَزَب المالُ قَلَّتْ فواضلُه، لا بَلَحةَ ولا بُسْرةَ ولا رُطَبةَ ولا كُِرْنافةَ. ونحوه قول بعض الحجازيّين

سَأَبغيكَ مالًا بالمدينة إنّنى * أرَى عازبَ الأموال قَلَّتْ فواضلُهْ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَم سهلُ بن حُنَيف بيننا أموالنا وقال لى: يابنَ أختى إنى أُوثِرُكَ بالقرابة، اعلمْ أنّه لامال لأخرقَ ولاعَيْلةَ على مُصلح، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمتَه، و إن الرقيقَ جَمَالٌ وليس بمال . قال زياد: ليس لذى ضَعْف

(١) كذا بالأصل ولعله بخلت به .

مثل أرض عُشْرٍ وليس لذى جاه مثـلُ خَرَاجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامتٍ. قال رجل لآخر: بكم تبيع الشاةَ؟ قال: أخذتُها بستةٍ وهى خير من سبعةٍ وقد أُعطيتُ بها ثمـانيةً فان كانت من حاجتك بتسعةٍ فَزِنْ عشرةً . كان يقـال : خيرُ المـال عينٌ خَرَّارة، فى أرض خوّارة، تُفَجِّرُها الفارة، تسهرُ اذا نِمْت، وتشهدُ اذا غِبْت ، وتكون عقباً اذا مِتّ . عبـد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهرىّ عن سعيد بن المسيّب قال: إن الله اذا أبغض عبدا جعل رزقه فى الصِّباح . وقال الفُضَيل مثلَ ذلك وقال: أما سمعتَ الى أهل دارِ البطّيخ والمَلّاحينَ ودَوِيِّهم .

قال حدّثنا أحمـد بن الخليل قال حدّثنا أحمـد بن الحارث الهُجَيْمىّ قال حدّثنا المُبارك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن ابن عمر أنّه كان لا يرى بالمُكَايسة والمُمَاكسة فى الشراء والبَيْع بأسًا .

قال حدّثنى محمد قال حدّثنى الأصبهانىّ عن يحيى بن أبى زائدة عن مُجَالد عن أبى بُردة . قال : أتى عمرُ غلامًا له يبيع الحُلَل، فقال له : اذا كان الثوب عاجزا فانْشره وأنت جالسٌ وإذا كان واسعا فانشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له : اللهَ اللهَ ياعمرُ. قال : إنمـا هى السُّوق . قال عبد الله بن الحسين : غَلّةُ الدور مُسْكةٌ وغلّةُ النخلِ كَفَافٌ وغَلّةُ الحَبّ الغِنَى . قال أعرابىّ

زيادةُ شيءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاء فى التجارة أربحُ

ولمـّا بلغ عُتبةَ بنَ غَزْوانَ أنّ أهـل البصرة قد اتخذوا الضِّياعَ وعَمَرُوا الأرضين كتب اليهم : لا تُنْهِكُوا وجهَ الأرض فإن شَحْمَتها فى وجهها . قال أعرابىّ

وفى السُّوق حاجاتٌ وفى النَّقْدِ قِلّةٌ * وليس بِمُقْضِى(١) الحاجِ غيرُ الدّراهِمِ .

قال ميمون بن ميمون : من آشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غُبِنَ .

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى القاموس أو اللسان أقضى بمعنى قضى . ولعله : وليس مُقضِّى الخ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى . قال : حدّثنى شُكْر الحَرَشى[(١)] قال : جاء الحسن بشاةٍ فقال لى بِعْها وآبرأ من أنّها تقلِبُ المَعْلَف وتنزِعُ الوَتِدَ مِنْ قِبَلِ البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

اذا ما تاجرٌ لم يُوفِ كيلاً * فصُبَّ على أنامله الجُذام

ابن الزيات فى الطائىّ

رأيتُكَ سهلَ البيعِ سَمْحًا وإنما * يُغَالِى اذا ماظنّ[(٢)] بالشىء بائعُــهْ

هو المـاء إن أحميتَه طاب شُرْبُهُ * ويَكدُرُ يوما أن تُبَاحَ مشارِعُه

حُدّثت عن شَيْبان بن فَرّوخ عن أبى الأشهب عن الحسن قال: كان رجل يتّجر فى البحر ويحمل الخَمرَ يأتى بها قوما، فعمَد اليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرْف وآشترى قردًا فحمله معه فى السفينة، فلمّا لجّج فى البحر لم يَشعُرْ إلّا وقد أخذ القردُ الكيسَ وعلا على الصّارِى وجعل يُلقى ديناراً فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمه قِسمين . قال رجلٌ من الحاجّ: أتانا رجل من الأعراب بالرمل فى طريق مكّة بغرارة فيهـا كَمْأة، فقلنا له : بِكَمِ الغِرارةُ؟ فقال: بدرهمين، فقلنا : لك ذلك، فأخذناها ودفعنا اليه الثمن، فلما نهض قال له رجل منا : فى آست المغبون عُودٌ، فقال: بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكمأة قيامٌ . قيل لأعرابىّ: ألا تشترى لابنك بِطّيخةً . فقال : لا ، أوْ يبلغَ من كساده أن يكون إذا تنـاول من بين يَدَى البقّال وأخذه وعَدَا رماه بأخرى ولم يَعْدُ خلفه . اشترى أعرابىّ غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيبٍ، فقال : لا، غيرَ أنّه يبول فى الفراش . فقال : ليس هذا بعيبٍ، إن وجد فِراشًا فليبُلْ فيه .

(١) فى الألمانية «الحارثى» .
(٢) هكذا بالأصل ظنّ بالظاء، ولعله ضنّ بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدَّيْن

قال ثابت قُطْنة : الدَّين عُقْلة الشريف . وقال دُلَيم

اللهُ لَقّى من عَرابة بَيْعـةً * على حينَ كاد النَّقدُ يعسُر عاجِلُهْ
ولوى بَنانَ الكفِّ يحسُب ربحَه * ولم يحسُب المَطْلَ الذى أنا ماطِلُهْ
سيرضى من الرِّبح الذى كان يرتَجِى * أس الذى أَعْطَى وهل هو قابِلُهْ

عبد الرازق عن آبن جُرَيج قال : رآنى عمرو وأنا متقنّع ، فقال : يا أباخالد ، إن لقمان كان يقول : القِناعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلّةٌ ، فقلتُ : إنّ لقمان لم يكن عليه دَينٌ. كتب يعقوب بن داود الى بعض العُبَّاد يسأله القدومَ عليه ، فأتى محمدَ بن النضر الحارثىَّ فاستشاره وقال : لعلّ اللهَ يقضِى دَينِى ، فقال محمد بن النضر : لَأَن تلقى اللهَ وعليكَ دَينٌ ولك دِينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دَيْنَكَ وذهب دِينُكَ ، . قال عِيَاض بن عبد الله : الدَّينُ رايةُ الله فى أرضـه فاذا أراد أن يُذِلّ عبدًا جعلها طَوقًا فى عنقه . دخل عُتْبة بن عمرو(١) على خالد القَسْرىّ . فقال خالد يُعرّض به : إنّ ههنا رجالا يَدّانون فى أموالهم فاذا فنيت آدَّانوا فى أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالا لا تكون مُروءاتُهُم أكثرَ من أموالهم فيَدَّانون على سَعَة ما عند الله ، فخجل خالد وقال : إنّك منهم ما علمتُ . وقال أعرابىّ يذكر غُرَماء له

جاءوا إلىّ غِضـابًا يَلْغَطون معا * يَشفِى أذاتَهُمُ أن غاب أنصارى
لمـا أبَوْا جَهْـرةً إلا ملازمتى * أجمعتُ مكرًا بهم فى غـير إنكار
وقلت إنى سـيأتينى غدًا جَلَبِى * وإنّ موعِدَكم دارُ آبنِ هَبّار
وما أُواعِـدهم إلا لِأَرْبُثَهُـم(٢) * عنى فيُخرِجُنى نَقْضِى وإمرارى

(١) فى الألمانية عمير بالتصغير . (٢) فى العقد الفريد : لأدرأهم .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تَخْدِى برحلى وسيفٍ جَفْنُه عارى
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفةَ وٱحفظها من الفار (١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علّقتمونى كلَّ يوم * برجلى أو يدى فى المنجنيق
لما أعطيتُكم إلا تُرابا * يُطيِّرُ فى الخَيَاشم والحلوق

وقال آخر

إنَ آخيتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليك ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأما بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبِّحَ من غريمِ
له ألفٌ علىّ ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديمِ
دراهم ما ٱنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بنى تميم

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى . قال : جاء رجل من بنى مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نَوْفل وهو يقضى عن أخيه دينًا فقال : إنّ لى على أخيك حقًّا، قال : ثبِّتْ حقَّك تُعْطَه . قال : أفَمِنْ مَلَاءة أخيك ووفائه ندّعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أمِنْ صدقِكَ و بِرّك نقبل قولَكَ بغير بينةٍ ؟ . لزم سهلَ بن هارون دَينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابىّ يوصيه بالتَّوَارى عن غُرمائه

انزل أبا عمرو على حدّ قريةٍ * تَربّعْ الى سهل كثير السَّلَائقِ
وخذ نَفَقَ اليَرْبوع فٱسلك طريقَه * ودع عنك إنّى ناطقٌ وٱبنُ ناطقِ
وكن كأبى قُطْب على كلّ رائع * له بابُ دارٍ ضيّق العَرْض سامق

وأبو قُطْبَة خنّاق كان بالكوفة مولى لِكنْدَة .

حدّثنى محمد بن عبيد . قال : حدّثنى سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير أنّ رجلًا كان يُبايع الناسَ ويداينهم، وكان له كاتب ومَتْجَرٌ، فيأتيه

(١) فى العقد الفريد : النار .

المُعْسِرُ والمستنظِرُ فيقول لكاتبه : أَكْلِئْ وآستنظِرْ وتجاوَزْ ليومٍ يتجاوز اللهُ عنا فيه ، فمات لا يعمل عملا غيره فغفر الله له . قال شُقْرانُ القُضاعِىّ

لو كنتُ مولى قيسَ عَيْلانَ لم تجد * علىّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنّنى مولى قُضاعَةَ كلهـا * فلستُ أُبالى أن أَدِينَ وتَغْرَما

بلغنى عن يحيى بن أيّوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفُه أربعمائةِ درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلِفُنى وعندك بيت المـال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إنى أتخوّف أن يصيبنى قَدَرى ، فتقول أنت وأصحابُك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلّفها منك لمـا أعلم من شُحّك فاذا مِتُّ جئتَ فآستوفيتَها من ميراثى .

كتب أبو عَبّاد المهلّبى (١) الى صديق له مُكثِرٍ يَستسلِفُه مالا ، فآعتلّ عليه بالتعذُّر وضيق الحال ، فكتب اليه آبن عبّاد (١) : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقًا و إن كنتَ ملومًا فجعلك الله معذورًا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لَهَب الشاعر يُعَيِّنُ الناسَ فاذا حَلّت دراهمُه ركب حمارًا له يقال له شاربُ الريح فيقف على غرمائه ويقول

بَنِى عمّنـا رُدّوا الدراهمَ إنمـا * يُفَرِّق بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بنى الدِّيل عَسِر القضاء فاذا تعلّق به غرماؤه فرّ منهم وقال

فلو كنتُ الحديدَ لكسّرونى * ولكنى أشَـدُّ من الحـديد

فعيّنه الفضـلُ فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى مَعْلَفًا على باب داره ، وكان يقال للرجل عَقْرب فلقى كل واحد من صاحبه شِدّةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) فى الألمـانية الهُبَلى ولم نقف على من اشتهر بأبى عباد وهو ابن عباد سوى أبى عباد يحيى بن عباد الضبعى البصرى ولكن المنسوب الى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلبى .

قد نَجَرتْ فى دارنا عقربٌ * لا مرحبًا بالعقرب التاجره
إن عادتِ العقربُ عُدنا لها * وكانت النّعـلُ لها حاضره
كُلّ عـــدوّ يُتّقى مُقبِـلًا * وعقربٌ تُخشَى من الدّائره
إنّ عدوّا كيدُه فى آسته * لَغيرُ ذى كيـدٍ ولا نائره

قال بعضهم : ثلاثة من عازّهم عادت عزّته ذلّة : السلطان، والوالد، والغريم . وفى الحديث المرفوع : «لصاحب الحقّ اليدُ واللسانُ» . المدائنى قال : ساير بعضُ خلفاء بنى أميــة رجلًا وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وآصفرّ لونه، فقال له الرجل : ما هــذا الذى رأيتُ منك؟ قال : رأيت غريمًا لى، قال الشاعر

اذا ما أخذتَ الدَّين بالدَّين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرمًا على غُرم

وقال آخر

أخذتُ الدَّينَ أدفع عن تِلادى * وأَخْذُ الدَّين أهلكُ للتِّــلاد

كان لرجل من يَحصُبَ على رجل من باهلة دينٌ، فلما حل دينُه هرب الباهلىّ وأنشأ يقول

اذا حلّ دينُ اليحصُبىّ فقل له : * تزوّد بزاد وآستعِن بدليـلِ
سَيُصبحُ فوقى أقتمُ الرأس واقعًا(١) * بقَالِى قَلَا أو من وراء دَبيــل

قال المحدّث بهذا : فحدّثنى من رآه بقالِى قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت عليه عُقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابىّ على باب قوم يسألهم، فحلفوا له : ما عندهم شىء يُعطُونه، فقال : استقرضوا لنا شــيئا، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شــيئا، فقال أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تُعطُون، أوقال ولا تَقضُون . أتى قومٌ عِبَادِيًّا فقالوا : نحبّ أن تُسلِفَ فلانا ألفَ درهم وتؤخّره بها سنةً، قال : هــذه حاجتا ،

(١) الذى فى اللسان : سيصبح فوقى أقتم الريش واقعا .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ، أنا أؤخرّه ماشاء. كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ: قد آن للحقّ الذى عندك أن يرجعَ إلى أهله، ونَستغفرُ اللهَ تعالى من حبسه.

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعُروة بن الزُّبَير ومُصعَبُ بن الزبير وعبد الملك بن مروان بِفناء الكعبة، فقال لهم مصعبٌ: تمنَّوْا فقالوا: ابدأ أنت. فقال: ولايةُ العراق وتزوّجُ سُكَينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله، فنال ذلك وأصدقَ كلَّ واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها. وتمنى عُروةُ بن الزُّبَير الفِقهَ وأن يُحمَلَ عنه الحديثُ فنال ذلك. وتمنّى عبدُ الملك الخلافة فنالها. وتمنى عبد الله بن عمر الجنةَ.

قال قُتَيبة بن مُسلم لحُصين بن المُنْذر: ما السّرورُ؟ قال: امرأةٌ حسناء، ودارٌ قَوْرَاء، وفرسٌ مُرتبِطٌ بالفِناء. وقيل لِضرَار بن الحُسين: ما السّرورُ؟ قال: لِواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والســلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبــد الملك بن صالح: ما السّرورُ؟ فقال

كلّ الكرامة نِلتَها * إلّا التحيةَ بالسلام

يريد أنه لم يُسَلَّم عليه بالخلافة. وأخذه من قول الآخر

مِن كلّ ما نال الفتى * قد نِلتُــه إلا التحيه

يريد المُلْكَ. قيل لعبد الملك بن الأهتم: ما السّرورُ؟ فقال: رفعُ الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطولُ البقاء، مع القدرة والنمــاء (١). وقال آخر

أطيبُ الطّيبات قتلُ الأعادى * واختيالٌ على مُتونِ الجِياد

وأيادٍ حَبَوْتهنّ كريما * إن عند الكريم تزكو الأيادى

(١) فى النسخة الألمانية «والنُّهى».

قيل للفضل بن سهل : ما السّرورُ؟ فقال : توقيعٌ جائزٌ وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيء أسرُّ الى القلوب ؟ فقالوا : رجل هَوِىَ زمانا ثم قَدَر، فقال : إن هذا السّرورُ. وقال آخر : رجل طلب الولدَ زمانا فلم يولَد له ثم بُشّر بغلام ، فقال يزيد : أسرّ من هذا كلّه قَفْلَةٌ على غَفْلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكَفَاف من عيش يَسُدّ خَلّتى و يستر عورتى ، والانتقال من ظِلّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من مَلاذّك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديث على التِّلاع العُفْر فى الليالى القُمْر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيشِ الدنيا؟ فقال : بيضاءُ رُعْبُوبة ، بالطِّيب مَشوبة(١) ، بالشحم مكروبة . وقيل لطَرَفة مثلُ ذلك فقال : مطعمٌ شهِىّ وملبسٌ دَفِىّ ، ومركبٌ وطِىّ . وقيل للأعشى مثلُ ذلك ، فقال : صهباءُ صافية ، تمزُجُها ساقية ، من صَوْبِ غادية . وقال طَرَفة

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى * وجَدِّك لم أحفِلْ متى قام عُوّدى
فمنهن سبقى العاذلاتِ بشَربة * كُميتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدجنُ مُعْجِبٌ * ببهكَنةٍ تحت الطِّراف المُعَمَّد
وكَرِّى اذا نادى المُضَاف مُحَنَّبا * كسِيدِ الغَضا نبّهتَه المتورِّد

وقال أبو نواس

قلت بالقُفْص ليحيي * ونداماى نيامُ
يا رَضِيعِى ثَدْىَ أُمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ
إنّما العيشُ سَماعٌ * ومُدامٌ ونِدامُ
فإذا فاتك هذا * فعلى العَيْش السلامُ

وقال سُحَيم

تقول حَذْراءُ : ليس فيك سوى الـ * ـخمر مَعَابٌ يَعيبه أحَدُ

(١) كذا بالأصل ولعله «مشبوبة» .

فقلتُ: أخطأتِ، بل مُعَاقرتى الـ * ـخمرَ وبَذْلِى فيها الذى أجِدُ
هو السَّناء[1] الذى سمعتِ به * لا سَـبَدٌ مَحْتِـدى[2] ولا لَبَـدُ
ويحكِ لولا الخمورُ لم أحْفِلِ الـ * ـعيش ولا أن يَضُمَّنى لَحَدُ
هى الحيـا والحياة واللّهو لا * أنت ولا ثَرْوَةٌ ولا ولَدُ

وقال أبو الهندىّ

تركتُ الخمورَ لأربابهـا * وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا
وقد كنتُ حينا بها مُعجَبًا * كحبِّ الغلامِ الفتاةَ الرَّدَاحا
وما كان تركى لها أنّنى * يَخـافُ نديمى علىّ افتضاحَا
ولكنّ قَوْلِى له مرحَبًـا * وأهلًا مع السّهل وٱنعَمْ صَباحا

وقال آخر

اِسْـقِنِى بالكبير إنّى كبيرُ * إنّمـا يشربُ الصغيرَ الصـغيرُ
لا يَغُـرَّنْكَ يا عُبَيدُ خُشوعِى * تحت هذا الخشوعِ فِسقٌ كثيرُ

كان ابن عائشة يُنشِد

لمّـا رأيتُ الحظّ حظَّ الجاهلِ * ولم أر المَغْبونَ غـيرَ العاقـل
رَحَّلْتُ عَنْسًا من كروم بابل * فبِتُّ من عقـلى على مراحل

وقال آخر

شَرِبنا من الدّاذىّ حتى كأننا * ملوكٌ لهم بَرُّ العِراقَين والبحرُ
فلمّا ٱنجلت شمسُ النهار رأيتُنا * تولَّى ٱلغِنَى عنا وعاودَنا الفقرُ

قال بعضهم : العيشُ كله فى كثرة المـال وصحةِ البـدن وخمولِ الذكر . وكان يقال : ليس السّرورُ للنفس بالجِدَةِ، إنما سرورُ النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

---

(١) فى النسخة الألمـانية : الثناء . (٢) فى النسخة الألمـانية : مخلدى .

ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضّعف : سرعةُ الجواب، وطول التمنّى، والاستغراب فى الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلْمُ أخَوان . وسئل ابن أبى بَكْرة : أىُّ شىءٍ أدْوَمُ إمتاعًا ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر

إذا تمنَّيتُ بتُّ الليـلَ مُغتبِطًا * إن المُنَى رأسُ أموالِ المَفالِيس

وقال آخر

ما فاتنى منك فإنّ المُنَى * تدنيـــه(1) مِنّى فكأنّا معا

وقال آخر

وإن لوًّا ليس شيئًا سوى * تسلية اللَّوْماءِ بالباطل

وقال بعض الأعراب

مُنًى إن تكن حقّا تكن أحسنَ المنَى * وإلّا فقـد عِشنا بهـا زمنا رَغْدَا
أمانِىَّ من سُـعدَى عِذابًا كأنما * سَقَتْك بها سُـعدى على ظمأ بَرْدا

وقال بشار

كرنا أحاديثَ الزمانِ الذى مضى * فـلذّ لنـا محمـودُها وذميمُها

وقال المجنون

أيا حرجَاتِ الحىّ حيث تحمّلوا * بذى سَلَم لا جادكُنّ ربيعُ
وخَيماتُكِ اللاتى بمُنعَرَج اللِّوَى * بلَين بِلًى لم تَبْلَهنّ رُبوعُ
فَقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ فطالما * نهيتُكِ عن هـذا وأنتِ جميعُ(2)
فقرّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ * إليكِ(3) ثنـايا مالهنّ طُلوعُ

(1) فى الأصل «يدنيه» . (2) كذا فى الأغانى واللسان . وفى الأصول «قلب» .
(3) فى الأصول «منال ثنايا الخ» . والتصويب عن الأغانى .

وقال ابن أبى الدُّمَينة (١)

ياليتنـا فَرْدَا وحشٍ ندورُ معًا * نرعَى المِتَانَ (٢) ونخفَى فى نواحيها
أو ليتَ كُدْرَ القطا حلّقن بى وبها * دون السماء فَعِشْنا فى خَوَافيها
أكثرتُ مِن ليتنا لو كان ينفعنى * ومِن مُنَى النفس لو تُعطَى أمانيها

وقال كُثير

فياليتنا يا عزّ من غـير ريبة * بعيران نَرعَى فى الفلاة ونَعزُب
نكونُ لذِى مالٍ كثيرٍ يُضيعُنا * فلاهو يرعانا ولا نحن نُطلَب

وقال جِرَانُ العَوْد

ألا ليتنا طارت عُقابٌ لنا معًا * لها سببٌ عنـد المَجَرَّةِ أو وَكْرُ

وقال مالك بن أسماء

ولمـا نزلنا منزلًا طَلّه النَّـدَى * أنيقًا وبُستانا مِن النَّوْر حَاليًا
أَجَدّ لناطِيبُ المكان وحسنُه * مُنًى فتمنّينا فكنتِ الأمانيَـا

وأنشدنا الرِّياشىّ

نهارى نهارُ الناس حتّى إذا دجا * لِىَ الليلُ مَلّتنى هناكَ (٣) المضاجعُ
أُقضّى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعُنى والهمّ بالليـل جامعُ

وأنشد أبو زيد

كأنّى إذ أسعى لأظفَرَ طائرٌ * مع النجم فى جوّ السماء يَطيرُ
فَتًى مُتَلَهًّى بالمُنَى فى خلائه * وهنّ وإن حسّنتَهنّ غُرورُ

---

(١) كذا بالأصول بزيادة أبى، والصواب ابن الدمينة .

(٢) المتان جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) فى ديوان ابن الدمينة : « هزتنى اليك » بدل « ملتنى هناك» .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بنى القُحَيف قال : تمنّيتُ دارا فمكثتُ أربعة أشهر مُغْتَمّاً للدرجة أين أضعها. قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيح المُغنّى : خذ بنا فى التمنّى فوالله لأغلبنّك . قال : والله لا تَغلبنى أبدا . قال : بلى . قال بُدَيحٌ: فإنى أتمنّى كِفْلَين من العذاب، وأن يلعَنني الله لعنا كثيرا فخذ ضِعفَىْ ذلك . قال : غلبتنى لعنك الله . قيل لِمُزْبِد : أيسرّكَ أنّ هذه الجنة لك؟ قال : وأُضْرَبُ عشرين سوطا . قالوا : ولِمَ تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شىء إلا بشىء .

الأصمعيّ عن مُبَشّر بن بَشير أن رجلا كان يطلبه الحجّاج فمرّ بساباط فيه كلب بين جُبَّين يَقْطُر عليه ماؤهما . فقال : ياليتنى مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعةً أن مُرّ بالكلب فى عنقه حبلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدينىّ لكوفىّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : وَددتُ أنّى وَقَيتُه ولم يكن وصل اليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شىءٌ من المكروه إلّا كان بى دونه . قال المدينىّ : وَددتُ أن أبا طالب كان أسلَمَ فسُرّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنّى كافرٌ .

تمَنّى ابن أبى عَتيق أن يُهدَى له مسلوخٌ يَتخِذُ منه طعاما ، فسمعته جارةٌ له فظنّت أنه قد أمر أن يُشتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ البابَ ، وقالت : شَمِمتُ ريحَ قُدوركم فجئتُ لِتطعِمونى ، فقال ابن أبى عتيق : جيرانى يَشمّون ريحَ الأمانِى .

وفى كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن فى جَرّة ، ففكّر يوما فقال : أبيعُ الجرّةَ بعشرة دراهم ، وأشترى خمسةَ أعنُزٍ فأُولِدُهُنّ فى كلّ سنةٍ مرتين ، ويبلغ النِّتاجُ فى سنين مائتين ، وأبتـاعُ بكل أربعٍ بقرةً ، وأُصيب بَذْرا فأزرع ، ويَنمى المالُ فى يدى ، فأتّخِذُ المساكنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولَدُ لى ابنٌ فأسميه كذا وآخذه

بالأدب ، فإن هو عصانى ضربتُ بعصاى رأســه وكانت فى يده عصا فرفعها حا كيا للضرب، فأصابت الجرّةَ فانكسرت، وانصبّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبىّ قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال

ليت أيّامَنا ببُرْقة خَاخ * ولياليكَ ياطو يلُ تعودُ

و إذا كان مغتمّا قال

تَرَى الشيءَ مما تَتّقِى فتخافُه * وما لا تَرَى مما يَقِى اللهُ أكثرُ

الأصمعىّ عن أبيــه قال قال زِياد : أىّ الناس أنعمُ؟ قالوا : معاوية . قال : فأين ما يَلْقَى من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخــراج ! قالوا : فمن ؟ قال : شابٌّ له سِدَادٌ من عيش، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرَفَنا وعرَفْناه أفسدنا عليه دينَه ودنياه .

التواضـــــع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خدَاش قال حدّثنا مسـلم بن قُتيبة عن شـيخ من أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حَيْوَة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلحَ من السِّراج فقلت : يا أمير المؤمنين لِمَ لا أمرتَنِى بذلك ، أو دعوتَ له من يُصلِحُه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنا عمرُ .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القُرَظىّ ، فقيل له : أو الأنصارىّ . فقال : أكره أن أمُنّ على الله بما لم أفعل .

قال حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة عن يعقوب بن حمّاد المدنىّ عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيــه قال : كان عمر بن الخطاب اذا سافر لا يقوم فى الظلّ، وكان يراحلنا رِحالَنا و يُرحِّلُ رحلَه وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهمّ * والبس له القميص واعتمّ[(١)]

وكن شريكَ نافع وأسلم * ثم اخدُمِ الأقوامَ حتى تُخدَم

وروى وَكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل الى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فأصابته رِعدةٌ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَديدَ » .

قال حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جلس الأحنف على باب دار، فمرّت به ساقيةٌ فوضعتْ قِربتَها وقالت : ياشيخ، احفظ قربتى حتى أعودَ ومضت، فأتاه الآذن وقال : انهض . فقال : إن معى وديعةً، وأقام حتى جاءت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ عن جَرير بن حازم عن الزُّبير بن الحارث عن أبي لَبيد، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البَصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة قد طوّق الحبلَ فى عنقها تحت اللجام .

الأصمعيّ قال، قال يحيى بن خالد : الشريفُ اذا نُقِّر[(٢)] تواضع والوضيع اذا نُقِّر تكبّر. الأصمعيّ قال : لا أُراه أخذه إلا من كِيس غيره .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبَير قال : إلى الله أشكو حمدى مالا آتِى، وذمّى مالا أتركُ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن أبى نُعَيم عن مَنْدَلٍ عن حُمَيد عن أَنَس قال : مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأنا فى غلمانٍ فسلم علينا .

وحدّثنى أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبة عن جابر عن طارق التَّيْمىّ عن جَرير بن عبدالله البَجَلىّ قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنِسْوة فسلّم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول وهو مختل الوزن. (٢) يقال نقر إذا نودى بأسمه من بين الأسماء.

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنى مَعْمر قال : قلت لجار لعَطَاء السُّلَمِىّ : من كان يخدُم عطاء؟ قال : مُخَنَّثون كانوا فى الدار يستقون له وَضُوءَه . فقلت : أيُوضّئه مخنّثون! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعىّ عن رجل عن البَتّى قال : آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريتُ أمّك بمائة درهم .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ : يامعشر عَدْوان ، إن الخيرَ ألوف عَرُوفٌ عَزَوفٌ ، وإنه لن يُفارِقَ صاحبَه حتى يفارقَه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحِبتُ الحكماءَ ، ولم أكن سيدَكم حتى تعبّدتُ لكم . قال عُروة بن الزبير : التواضعُ أحدُ مصايد الشرف . كان يقــالُ : اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضعُ والشرفُ . وقال بُزُرْجِمِهْر : ثمرةُ القناعة الراحةُ ، وثمرةُ التواضع المحبةُ . وقال الوليد : خِدمةُ الرجلِ أخاه شرفٌ . وقال عبد الله بن طاهر

أمِيلُ مع الذِّمام على ابن عمّى * وأحتملُ الصديقَ على الشقيق
وإن ألفيتَنِى مَلِكا مُطاعاً * فإنك واجدى عبدَ الصديقِ
أُفرِّقُ بين معــروفى ومَنِّى * وأجمَــعُ بين مالى والحقوقِ

وقال آخر

وإنى لعبدُ الضَّيْف من غير ذِلّة * وما فىّ إلّا تلك من شِيمة العبد (١)

ويقال : كلُّ نِعمةٍ محسودٌ عليها إلّا التواضعَ . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتّخــذكم الناسُ رءوسا فكونوا أذنابا . اعتمّ هشام بن عبــد الملك فقام الأبرش ليُسوِّىَ عمامتَه ، فقال هشام : مَهْ إنا لا نتخذُ الاخوان خَوَلًا . كان عمر بن الخطاب يلقُط النَّوَى ويأخذ النُّكْثَ من الطريق ، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت فى الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للمقنع الكندى هكذا :
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شيمة لى غيرها تشبه العبــدا

قال يوسف بن أَسْبَاط : يَجْزِى قليلُ الورع من كثير العلم ، ويجزِى قليلُ التواضع من كثير الاجتهاد . وقال بكر بن عبد الله : إذا رأيتَ أكبرَ منكَ فقل : سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ فقل : سبقتُه بالذنوب والمعاصى فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ اخوانَك يُكرِمونك فقل : نعمةٌ أحدثوها ، وإذا رأيتَ منهم تقصيرا فقل : بذنب أحدثته . قال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوّةٍ . قال ابن السَّمّاك لعيسى بن موسى : تواضعُكَ فى شرفك خيرٌ لك من شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : ثلاثةٌ من أحسنِ شىء : جُود لغير ثواب ، ونَصَبٌ لغير دنيا ، وتواضعٌ لغير ذلّ .

قال إبراهيم النَّخَعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجيب دعوةَ العبدِ ويركبُ الحمارَ رِدْفا . الأعمش عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدعَى إلى خُبزِ الشعير والإهالة السَّنِخة[1] فيُجيبُ . قال غيره : وكان لا يأكلُ مُتّكِئًا ويأكلُ بالحَضِيض ، وهو الأرض ، ويقول : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبدُ . قال أوْس ابن الحَدَثانِ : رأيتُ أبَا هُرَيرةَ وهو أمير المدينة راكبا على حمار عُرْيٍ يقول : الطريقَ الطريقَ ، قد جاء الأميرُ . قال حَفْص بن غِيَاث : رأيتُ الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنَب قد سَدَلَ رجليه من جانب . المدائنىّ قال : بينا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه ، فقال : أيها النـاسُ إنى قد مَيَّلْتُ بين أن أخافكم فى الله وبين أن أخاف اللهَ فيكم ، فكان أن أخاف اللهَ فيكم أحبَّ إلىّ ، ألا وإنى قد فسوْتُ ، وهأنذا أَنزِلُ لأُعِيدَ الوضوءَ . كان يقال : من لم يستحْىِ من الحلال قلّت كِبْرِياؤه وخفّت موازينُه . قال معاوية : مامنا أحد إلا فُتِّشَ[2] عن جائفةٍ أو مُنَقِّلةٍ خلا عمر بن الخطاب . المُنَقِّلة الشجة التى يخرج منها

(١) الإهالة : ما يؤتدم به من الأدهان ، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٢) يريد : ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم ، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك .

العظام، والجائفة التى تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبى حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ماتكلمت، و إن زمانا تكلمتُ فيه لزمانُ سوء . كان رجل من خَثْعَمَ رَدِىَ فقال فى نفسه

لو كنتُ أَصْعَدُ فى التكرُّم والعُلا * كتحدُّرِى أصبحتُ سيّد خثعمِ

فباد أهلُ بيته حتى ساد فقال

خَلَتِ الدّيَارُ فسُدْتُ غيرَ مُسـوَّدِ * ومن الشَّقاء تفـرُّدِى بالسُّودد

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ فى مثله

إنّ بقوم سوّدوك لحاجةً * إلى سيّدٍ لو يَظفَرون بسيّد

قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحدا تكبّر فى إمارته إلّا وهو يعلم أن الذى نال فوق قَدْرِه، ولستَ ترى أحدا يضعُ نفسَه فى إمارة إلّا وهو فى نفسه أكثرُ مما نال فى سلطانه . ومثله، قيل لعُبيد الله بن بَسّام : فلان غيرّته الإمارةُ، فقال : إذا وَلِى الرجلُ وِلايةً فرآها أكثر منه تغـيّر، و إذا وَلِى ولايةً يَرى أنه أكثرُ منها لم يتغيّر . ويقال : التواضُع مع السخافة والبخلِ أحمدُ من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظِمْ بنعمةٍ عفّت من صاحبها بسيئّتين، وأقْبِحْ بسيئةٍ حرَمتْ صاحبَها حسنتين . وفى بعض كتب العجم : علامةُ الأحرار، أن يُلقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا أحبُّ إليهم من أن يُلقَوْا بما يكرهون و يُعطَوْا، فآنظر الى خَلّة أفسدت مثلَ الجود فاجتنبها، وآنظر إلى خَلّة عفّت مثلَ البخل فالزمْها . كان يقال : الشرفُ فى التواضع، والعزُّ فى التَّقوَى، والغِنَى فى القَنَاعة . أبو الحسن قال : خَطَب سلمانُ إلى عمر فأجمعَ على تزويجه، فشقّ ذلك على عبدالله بن عمرَ وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردّه عنك، فقال : إن ردَدْتَه بما يكره أغضبتَ أمير المؤمنين، قال : علىَّ أن أردّه عنك راضيا، فأتى سلمانَ فضرب بين كتفيه بيده، ثم قال : هنيئا لك أبا عبد الله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك،

فالتفتَ اليه مُغضَبًا وقال، أبى يتواضع ! والله لا أتزوّجها أبدا . وقال المرّار بن مُنْقِذ العَدَوىّ (١)

ياحبّذا حين تُمسِى الريحُ باردةً (٢) * وادِى أُشَىٍّ، وفتيانٌ به هُضُمُ
يُخدَّمون، كرامٌ فى مجالسهم، * وفى الرحال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحبُ قوما ثم أذكُرهم * إلّا يزيدهُمُ حُبّا إلىّ هُمُ

ابن المبارك عن ذَرّ عن الشعبىّ قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه، فقال : لا تفعل يابن عمّ رسول الله ، فقال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرنى يدك، فأخرج يده فقبّلها زيد، ثم قال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس . ابن أبى الزِّناد عن أبيه أن العبّاس بن عبد المطّلب لم يمرّقط بعمرولا بعثمان وهما را كبان إلّا ترجّلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمرّ وهما را كبان وهو يمشى . كان سَلْمان يتعوّذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلْج إذا استعرب . المدائنىّ قال : سلّم رجل على حسّان ابن أبى سِنَان فدعا له ،فقيل : أتدعو لمثل هذا ! فقال : إن مما يفضُلُنى به أن يَرَى أنّى خيرٌ منه . قال عبد الله بن شدّاد : أربعٌ مَنْ كنّ فيه فقد برئ من الكبر : من اعتقلَ العنز، وركب الحمار، ولبس الصوفَ، وأجاب دعوةَ الرجل الدُّونِ .

باب الكِبر والعجب

حدّثنى إبراهيم بن مسلم قال حدّثنا أبو السُّكَيْن قال حدّثنى عمٌّ أبى زَحْرُ بن حِصْن قال، قال رجل للحجّاج : أصلحَ الله الأميرَ، كيف وجدتَ منزلَك بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات فى الحماسة ضمن قصيدة معزوّة الى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث، قال التبريزى : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا فى الأصل، وفى الحماسة «بادرة» .

قال : خيرُ منزلٍ لو كان الله بلّغنى أربعةً فتقربتُ بدمائهــم إليه . قال : ومَنْ هم؟ قال : مُقاتِل بن مِسْــمَع ، وَلِى سِجِسْتانَ فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموالَ، فلمّا عُزِل دخل مسجد البَصرة فبسط الناسُ له أردِيتَهم فمشى عليها، وقال لرجل يُماشيه : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيمىّ، حزبَ أهـلَ البصرة أمرٌ فخطب خطبةً أوجزفيها ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثر اللهُ فينا أمثالك . فقال : لقــد كلّفتم الله شَطَطًا . ومَعْبَد بن زُرَارة، كان ذات يوم جالسا فى طريق، فمرّت به آمرأة فقالت : يا عبــد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا، فقال: لهدّ عبد الله! أنا لهدّ(1)، أراد كفى بكِ أنا، يريد الفخر. وأبو سماكٍ(2) الأسدىّ، أَضلّ راحلتَــه فآلتمسها الناس فلم يجــدوها ، فقال : والله لئن لم يَردُد علىّ راحلتى لا صلّيتُ له أبدا، فآلتمسها الناسُ حتى وجدوها، فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتَك فصلِّ، فقال : إن يمينى كانت صريا(3) .

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ عن كُرْدِين المِسْمَعىّ . قيل لرجل متكبّر: هل مرّت بك أَحْمِرةٌ؟ فقــال للسائل : تلك دوابّ لا يراها عمُّك . قال وقال كُرْدِين : رآنى ابنُ مَيّادةَ الشاعر فأعجبْته لِمَــا رأى مِنْ جَلَدِى وبيانى . فقال : ممن أنت؟ قلت : من بكر بن وائل، فقال : وفى أىّ الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جُبَــير بن مُطْعِم فى حَلْقة العَلَاء بن عبد الرحمن الحُرَقىّ وهو يُقْرِئُ الناسَ . فلما فرغ قال : أتدرونــ لِمَ جلستُ إليكم ؟ قالوا : لتسمع، قال : لا، ولكن أردتُ التّواضعَ لله بالجلوس إليكم . قال : ومرّ محمــد

(1) هكذا بالنسخ التى بأيدينا، وفى العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال ياعبدالله! ويلك ! (2) كذا بالأصول، وفى العقد الفريد : «وأبو سماك الحنفى» وفى اللسان فى مادة صرى : «أبو سَمّال الأسدى» . (3) كذا بالفتوغرافية، وفى الألمانية «ضريا» والذى فى اللسان والصحاح «علم ربى أنها منى صِرّى» . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة، أى عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزّبير بن العوّام فى حاجة له، فانقطع قِبالُ(١) نعله، فنزع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما . قال بعض الشعراء

وأُعرِضُ عن ذى المال حتى يُقالَ لى * قد آحدث هذا نَخْوةً وتعظّما
وما بىَ كِبرٌ عن صديقٍ ولا أخٍ * ولكنّه فِعْلى اذا كنتُ مُعْدِما

قيل لبعضهم : ما الكِبر. قال : حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه . قال معاوية بن أبى سُفيان : قدِم عَلْقَمةُ بن وائل الحَضْرمىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأمرنى رسولُ الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أُنزِلُه عليه، وكان منزلُه فى أقصى المدينة، فآنطلقتُ معه وهو على ناقة له وأنا أمشى فى ساعة حارّة وليس علىّ حِذاءٌ، فقلتُ : احملنى يا عمّ من هذا الحَرّ فانه ليس علىّ حذاءٌ، فقال : لستَ من أرادف الملوك، قلت : إنّى آبن أبى سُفيان، قال : قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك، قال قلت : فألْقِ الىّ نعلك، قال : لا تَقْبلُها قدماك ولكن آمش فى ظلّ ناقتى فكفاك بذلك شرفًا، وإن الظلّ لك لكثير. قال معاوية : فما مرّ بى مثل ذلك اليوم قطّ، ثم أدرك سلطانى فلم أؤاخذه بل أجلستُه معى على سريرى هذا . قال ابن يَسَار

ولو لحَظَ الأرضَ لى والدٌ * تطأطأتِ الارضُ من لَحْظتِهْ

وقال آخر

أتيهُ على جِنّ البلاد وإنْسِها * ولو لم أجد خَلْقًا لتِهْتُ على نفسى
أتيهُ فما أدرى مِن التّيه مَنْ أنا * سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى
فان زعموا أنّى من الإنس مثلُهم * فما لِىَ عيبٌ غيرَ أنى من الإنس

وكان عند الرُّسْتَمىّ قوم من التُّجار فحضرت الصلاةُ فنهض ليصلّى فنهضوا فقال : ما لكم ولهذا وما أنتم منه! الصّلاةُ ركوعٌ وسجود وخضوع، وإنما فرض اللهُ هذا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها .

يريد به المتكبّرين والمتجبّرين والملوك والأعاظم مثلى ومثل فرعون ذى الأوتاد ونُمروذ وأنوشِرْوان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه . قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألّا يكون فيه خير إلّا أن يرى أن فيه خيرًا . رأى رجلٌ رجلًا يختال فى مِشْيته ويتلفّت فى أَعْطافه ، فقال : جعلنى اللهُ مثلكَ فى نفسك ولا جعلنِي مثلكَ فى نفسى . قيل لعبد الله بن المُبارك : رجلٌ قتل رجلًا فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى فى مجرى البَوْل مرتين كيف يتكبّر . ابن عُلَيَّةَ عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن مُطَرِّف ، قال : لأن أَبِيتَ نائمًا وأُصبِحَ نادمًا أحبُّ الىّ من أن أبيتَ قائمًا وأُصبِحَ مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم : إن الرجل ليعمل السيئةَ ما عمِل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنّه ليعمل الحسنةَ ما عمل سيّئةً قط أضرّ عليه منها . قال الشاعر

أما آبنُ فروة يونُسٌ فكأنّه * من كِبْره أيْرُ الحمار القائمُ
ما الناسُ عندك غيرنفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاكَ بهائمُ

قال المسعوديّ

مُسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما * وفيها المعادُ والمصيرُ الى الحشر
ولا تعجَبا أن ترجِعا فتُسلِّما * فما خَشِى الأقوامُ شرًّا من الكِبْر
ولو شئتُ أدلَى فيكما غيرُ واحد * علانيةً أو قال عندىَ فى سترِ
فإن أنا لم آمُر ولم أنْهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَسْتَشرى

الأصمعى قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرقط إلا تحوّل داؤه فىّ ، يريد أنى أتكبّر عليه . وقال آخر : ما تاه أحد قط علىّ مرتين ، يريد اذا تاه مرة لم أُعاوِده . قال الشاعر

يا مُظهِرَ الكِبْرِ إعجابًا بصورته * أُنظر خَلاءَك إن النَّتْن تثريب

لو فكّر النـاسُ فيما فى بطونهـم * ما آستشعر الكِبْرَ شُبّانٌ ولا شِيبُ
هل فى آبن آدم غيرُ الرأس مكرُمة * وَهُو بِخَمْسٍ من الأقذار مضروب
أنفٌ يَسيلُ وأُذْنٌ رِيحُها سَهِكٌ * والعينُ مُرْمَصَـةٌ والثغرُ مَلْعوبُ
يا بنَ التراب ومأكولَ التراب غدًا * أَقصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

دفع أَرْدَشِيرُ الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيتنى قد آشتدّ غضبي فادفعه الىّ، وفى الكتاب : أمسك فلستَ بإلٰه انما أنتَ جَسَد يُوشِك أن يأكلَ بعضُه بعضا ويصيرَ عن قريب للدُّود والتراب . كان للسِّنْدىّ والى الجسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم اليـه إذا ضرب الناسَ بالسِّـيَاط فيقول له : ويلك ياسِندىّ، اذْكر القصاصَ . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

أبا جعفرٍ عَرِّج على خُلَطائكا * وأقصر قليـلًا عن مدى غُلَوائكا
فإن كنتَ قدأُعطيتَ فى اليوم رِفعةً * فانّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

قال لى بعضُ أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعتُ رجلًا يُنشد

ألا رُبَّ ذى أَجَلٍ قد حضرْ * طويلِ التمنّى قليـلِ الفِكَرْ
اذا هزّ فى المشى أعطافَه * تبيّنتَ فى مَنْكِبَيْه البَطَرْ

قال : فغدوتُ عليه لأكتبَ تمـامَ القصيدة فوجدتُه قد مات . المدائنىّ قال : رأيتُ فلانًا مولى باهلةَ يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيتُـه بعد ذلك راجلًا فى سَفَر، فقلتُ له : أراجلٌ فى هذا الموضع ؟ قال : نعم، إنى ركبتُ حيثُ يمشى الناسُ فكان حقًّا على الله أن يُرجِلَنى حيث يركبُ الناس . وقال أبو نواس فى جعفر ابن يحيي البرمكى

وأعظمُ زَهْوًا من ذبابٍ على خُرْءٍ * وأبخلُ من كلب عَقُورٍ على عَرْق
ولو جاء غيرُ البُخلِ من عند جعفرٍ * لمـا وضعوه النّـاسُ (١) إلا على حُمْق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهى لغة أزدشنوءة .

وقال آخر

أَلَجُّ لَجَاجًا(١) من الخُنفساء * وأزْهَى إذا ما مشى مِن غراب

قيل لرجل من بنى عبد الدار : ألا تأتِى الخليفةَ ، قال : أخشى ألّا يَحْمِلَ الجسرُ شَرفِى . وقيل له : البَس شيئًا فان البرد شديد، فقال : حَسَبى يُدْفِئُنى . قال أبو اليَقْظان : كان الحجّاج ٱستعمل بِلالًا الضَّبىّ على جيشٍ وأغزاه قِلاعَ فارس، وكان يقال لذلك الجيش : بِيبى(٢)، سُمّى بذلك لأنه فرض فرضا من أهل البصرة فكان أهلوهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بيبى . وفى جيشه قال الشاعر

الى الله أشكو أننى بتُّ حارسًا * فقام بلالىٌّ فبـال على رجلى

فقلت لأصحابى ٱقطعوها فإننى * كريمٌ وإنّى لن أُبلِّغها رَحْلى

مدّ أعرابىّ يده فى الموقف وقال : اللّهمّ إن كنتَ ترى يدًا أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمِعتُ الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : قتلنى حُبّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضُر الجماعة؟ قال : أكره أن يَزْحَمنى البقّالون . كان جَذِيمةُ الأبرشُ — وهو الوَضّاح سُمّى بذلك لبرَص كان به — لا يُنادِمُ أحدًا ذَهَابًا بنفسه، وقال : أنا أعظمُ من أن أُنادِمَ إلا الفرقدين، فكان يشرب كأسا و يصبّ لكلّ واحدمنهما فى الأرض كأسًا، فلما أتاه مالك وعَقيل بابن أخته الذى ٱستهوته الشياطين قال لهما : احتكِما، فقالا له : مُنادمتُك، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حَديثًا . وفيهما يقول مُتَمِّم بن نُوَيْرة

وكنّا كنَدْمَانَىْ جَذِيمـةَ حِقْبَـةً * من الدّهر حتى قِيلَ لن نتصدّعا

---

(١) كذا بالأصل وفى لسان العرب فى مادة زها . وأورد الميدانى المثل هكذا «ألح من الخنفساء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعلله فى كتاب فرائد اللآل بأن الخنفساء اذا وقعت عن موضع عادت اليه .

(٢) أصله بأبى، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان فى مادة أبى . وفى الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجىء الى ابنها وقد جُرّد فتضمّه اليها وتقول له بأبى جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بأبى .

وقال الهُذلىّ

أَلم تَعلَمِى أنْ قد تفرّق قبلنا * خليلَا صفاءٍ مالكٌ وعقيـلُ

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيبٌ إلا أنك مُعجَبٌ، قال : أفأُعجِبكم؟ قالوا : نعم قال : فأنا أحقّ أن أُعجَب بما يكون منّى . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شىء، وما آستُنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصّنتِ النعمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسبت البِغْضة بمثل الكِبْر .

باب مَدْح الرجل نفسَه وغيره

قال الله عزّ وجلّ حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ". وقال للأنصار : "والله ما علمتُكم إلّا تَقِلُّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع". وذكر أعرابىّ قومًا فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطِئناه بأَخامص أقدامنا، وإن أقصى مُنَاهم لأدنى فعالنـا . ابن إدريس عن إسمعيل بن أبى خالد، قال : كنتُ أمشى مع الشَّعْبىّ وأبى سَلَمَة ، فسأل الشّعبىُّ أبا سَلَمة : مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال : الذى يمشى بينكما، يعنى نفسَه . وقال الشّعبى : ما رأيتُ مثلى، وما أشاءُ أن ألقى رجلًا أعلَمَ منّى بشىء إلا لقيتُه . قال معاوية لرجل : مَنْ سيّدُ قومك؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ . الوليد بن مُسْلم عن خليد عن الحسن قال : ذَمُّ الرجلِ نفسَه فى العلانية مَدحٌ لها فى السرّ . كان يقال : مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها . الأعمش عن إبراهيمَ عن عبـد الله قال : إذا أثنيتَ على الرجل بمـا فيه فى وجهه لم تُزكِّه . قال عمر بن الخطاب : المدح ذَبْح . ويقال : المدح وافِدُ الكِبْر . وقال علىّ بن الحسين : لا يقول رجل فى رجل من الخير ما لا يعلمُ إلا أوشك أن يقولَ فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا يصطحب آثنان على غير طاعةِ الله إلا أوشكا أن يفترِقا على غير طاعة الله . قال وهب بن منبِّه : اذا سمعتَ الرجلَ يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلاَ تأمنْ

أن يقولَ فيك من الشرّ ما ليس فيك . و يقال فى بعض كتب الله عزّ وجلّ : عجبًا لمن قِيلَ فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرحُ ! ولمن قِيل فيه الشرُّ وليس فيه كيف يَغضَبُ ! وأعجبُ من ذلك من أحبّ نفسَه على اليقين وأبغضَ الناسَ على الظُّنون ! . وكان يقال : لا يَغلِبنَّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك . وقال أعرابىّ : كفى جهلًا أن يَمدَح المادحُ بخلاف ما يَعرِف الممدوحُ من نفسه ، وإنّى[1] والله ما رأيتُ أعشقَ للعروف منه . قال آبن المقفع : إيّاك إذا كنتَ واليًا أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكية وأن يَعرِفَ الناسُ ذلك منك فتكونَ ثُلْمةً من الثُّلَم يَقتَحِمون عليك منها ، وبابًا يفتتحونك منه ، وغِيبَةً يغتابونك بها و يضحكون منك لها . وآعلم أن قابِلَ المدح كمادح نفسه ، والمرءُ جديرٌ أن يكون حُبُّه المدحَ هو الذى يحملهُ على ردّه ، فإن الرادَّ له ممدوحٌ والقابلَ له معيبٌ . وقال البَعِيث

ولستُ بمِفْراحٍ اذا الدّهرُ سَرّنِى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفه المتقلّبِ
ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تاركِى * ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ
ويعتــدّه قومٌ كثيرٌ تجارةً * ويَمنعُنى مِن ذاكَ دِينى ومَنْصِبى
فان مسيرى فى البــلاد ومنزلى * لبــالمنزِل الأقصى اذا لم أُقرَّبِ

قول الممدوح عند المِدْحَة

حدّثنى سَهْلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان أبو بكر يقول عند المِدحة : اللهم أنتَ أعلَمُ بى منّى بنفسى وأنا أعلَمُ بنفسى منهـــم ، اللهم آجعلنى خيراً ممـا يَحسَبُون وآغفر لى ما لا يعلمون ولا تُؤاخذنى بما يقولون . قال حدّثنا الرِّياشىّ عن الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمة قال : أثنى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وجهِه ، وكان تُهَمَةً ، فقال علىّ : أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما فى نفسكَ .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينتظم به السياق ، ففى العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابى رجلا فقال : ما رأيت أعشق للعروف منـه . وفى الصحيفة نفسها :.ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المـادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك .

قيل لأعرابى : ماأَحسَنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندى أحسنُ من وصف المادحين و إن أحسنوا ، وذنوبى الى الله أكثر من عيب الذامّين وإن أكثروا ، فيا أسفًا على مافرّطتُ و يا سوءتا مما قدّمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الثناءَ إلا من مُكافِئٍ (١) . ومِن احسنِ ما قِيلَ فى مدحِ الرجلِ نفسَه قولُ أعشى بنى ربيعة

ما أنا فى أهلى ولا فى عشـيرتى * بمهتضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِـنّى
ولا مُسـلِمٍ مولاىَ عنـد جنايةٍ * ولاخائفٍ مولاى من سوء ما أجنى
وإن فؤادًا بين جَنْبَىَّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمعتْ أُذْنى
وفضّلنى فى الشّـعر واللُّب أنّنى * أقول على علم وأعـلَمُ ما أعْنِى
فأصبحتُ إن فضّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرأَبٍ وآبْنِ

وقال آخر

اذا المـرءُ لم يمدَحْه حسنُ فَعـاله * فمادِحُه يهْـذِى وإن كان مُفْصِحَا

وقال آخر

لعمرُ أبيكَ الخـيرِ إنّى لخادمٌ * لِصَحْبى وإنّى إن ركِبتُ لَفارِسُ

وقال آخر

ونحن ضِياءُ الأرض مالم نَسِرْ بهـا * غِضابًا ، وإنْ نَغْضَبْ فنحن ظَلَامها

وأنشدَ الحسنُ البصرىّ (٢) قولَ الشاعر

لو لا جَرِيرٌ هلكتْ بَجيلهْ * نعم الفتى و بئستِ القَبِيـلهْ

---

(١) فى اللسان مادة كفأ بعد أن أورد الحديث : قال القتيبى معناه اذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه واذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنبارى هذا غلط اذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبى صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به وانما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . قال وقال الأزهرى وفيه قول ثالث : الامن مكافئ أى مقارب غير مجاوز حدّ مثله ولا مقصر عما رفعه الله اليه اهـ ومثله بالحرف فى ابن الأثير .

(٢) فى الأصل «الحسن بن البصرى» وظاهر أن لفظة «ابن» من زيادات النساخ .

قال الحسنُ : ما مُدِح رجلٌ هُجِىَ قومُه . وقال أبو الهِنْدام

يقولون: الحديدُ أشدُّ شىءٍ * وقد ثُنِىَ الحديدُ وما ثُنِيتُ
تَخِرُّ الأرضُ إن نُودِيتُ باسمى * وتَنهـدُّ الجبـالُ اذا كُنِيتُ

ومَدْحُ النفسِ فى الشِّعر كثيرٌ، وهو فيه أسهل منه فى الكلام المنثور .

باب الحيـاء

حدّثنى أبو مسعود الدّارِمىّ، قال : حدّثنى جَدّى خِرَاش عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبةٌ من الإيمان» . وروى آبنُ نُمَير عن الأحوص ابن حَكيم، قال : حدّثنى أبو عَوْن المدنىّ قال : سمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلّةُ الحياءِ كفرٌ» . ورَوَى جرير بن حازم عن يَعْلى ابن حَكيم عن رجل عن آبن عمر، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرونانِ جميعا فاذا رُفِع أحدُهما آرتفع الآخرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحيا منـه . ذكر أعرابىٌّ رجلًا فقال: لا تراه الدّهرَ إلا وكأنه لا غِنَى به عنك وإن كنتَ اليه أحوجَ، فإن أذنبتَ غفَر وكأنه المذنبُ، وإن أسأتَ اليـه أحسن وكأنه المسىء . وقالت ليلى الأَخْيليّةُ

ومُقدَّرٍ عنـه القميصُ تَخالُه * وَسْطَ البيوتِ من الحيـاء سقيماَ
حتى اذا رُفِع اللواءُ رأيتَـه * تحت اللواءِ على الخميس زعيماَ

ونحوه قول الآخر إلّا أنه فى التواضع

يبدو فيبدو ضعيفًا مِن تَواضُعه * ويكفَهِرّ فيُلفَى الأسـودَ اللَّحِا

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحىّ (١)

إن البيوتَ معادِنٌ فنِجارُه (٢) * ذَهَبٌ وكلُّ جُدودِه (٣) ضَخْمُ

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسـلم . (٢) فى الأصول . «فنجارة» وهو تحريف والتصويب عن الحماسة . (٣) فى الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتنفته من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ للاء مُجانبٌ * سِيّانِ منه الوَفْر والعُدْمُ
نَزْرُ الكلام من الحياءِ تَخالُه * ضَمِناً وليس بجسمه سُقْمُ
عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَهُ * إنّ النساءَ بمثله عقْمُ

حدّثنا أبو الخطاب قال : حدّثنا المعتمر، قال : سمعتُ لَيْثَ بن أبى سليم يُحدّث عن واصل بن حَيّان عن أبى وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظ من كلام النبوّة « اذا لم تَسْتَحْيِ فاصنع ما شئت » . قال الشاعر

تَخالُهم للحلم صُمّا عن الخَنا * وخُرْسًا عن الفحشاء عند التهاجُرِ
ومَرْضَى اذا لُوقوا حياءً وعِفةً * وعند الحِفاظ كاللّيوث الخَوادر

وقال آخر

عليه من التقوى رداءُ سكينةٍ * وللحقِّ نورٌ بين عينيه ساطعُ

وقال الشّعْبي : تعايَش الناسُ زماناً بالدّين والتّقوى، ثم رُفِع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمّم ، ثم رُفِع ذلك فما يتعايش الناسُ الا بالرغبةِ والرهبةِ ، وأظُنه سيجىء ما هو أشدّ من هذا .

باب العَقْل

حدّثنى اسحاق بن ابراهيم الشّهيدى ، قال : حدّثنا الحارثُ بن النّعمان ، قال : حدّثنا خَليد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُرّة يرفعه ، قال : « إن الناس يعملون الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامةِ على قَدْر عقولهم » . مَهْدىٌّ بن غَيْلان بن جرير قال : سمعت مُطَرّفا يقول : عُقولُ الناس على قَدْر زمانهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنبّه قال : وجدتُ فى حكمة داودَ : ينبغى للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسَه عن أربع ساعاتٍ ، ساعةٍ يُناجى فيها ربَّه ، وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه ، وساعةٍ يخلو فيها هو وإخوانُه والذين يَنصحُون له

فى دينه ويَصْدُقُونه عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّى بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلّ ويُحْمَدُ فان هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات وفَضْلُ بُلْغَةٍ واستجمامٌ للقلوب . وينبغى للعاقل أن لا يُرَى الا فى إحدى ثلاثِ خِصَالٍ : تزوّدٍ لمَعادٍ، أو مَرَمّةٍ لمعاشٍ، أو لذّةٍ، فى غير محرّم . وينبغى للعاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقْبِلًا على شانه .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا هِلالُ بنُ حِقٍّ قال، قال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذى يَعرِفُ الخيرَ من الشرّ ولكنه الذى يعرِفُ خيرَ الشّرَّينِ، وليس الواصلُ الذى يصِلُ مَنْ يصِلُه ولكنه الذى يصِلُ مَنْ قطعه . وقال زياد : ليس العاقلُ الذى يحتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذى يحتال للأمر ألّا يقعَ فيه . قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دَهَائك ياعمرو؟ قال عمرو : لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه . قال معاويةُ : لكنّى لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه . وقرأتُ فى كتابٍ للهند : الناسُ حازمانِ وعاجزٌ، فأحدُ الحازمينِ الذى إذا نزل به البلاءُ لم يَبْطَرْ به وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر اذا أقبلَ فيدفعُه قبل وقوعه، والعاجزُ فى تردُّدٍ وتَمَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمرُ رَشَدًا ولا يُطيعُ مُرشِدًا . وقال أعرابىٌّ : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمتْ معه الشّمسُ، ولو صُوِّرَ الحمقُ لأضاءَ معه اللّيلُ . قال بعض الحكماء : ما عُبِدَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ اليه من العقل وما عُصِىَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ اليه من السّتر . أبو رَوْقٍ عن الضّحّاك فى قول الله عزّ وجل (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كان عاقلا . ذكر المغيرةُ بن شُعْبةَ عمرَ بن الخطاب فقال : كان أفضلَ مِنْ أن يَخْدَعَ وأعقلَ مِنْ أن يُخْدَعَ .

حدّثنى إسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال، قال إياس : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يَخْدَعُنى ولا يخدعُ ٱبنَ سِيرينَ ويخدعُ أبى ويخدعُ الحسن . قال غيرُه : وكان كثيرا ما يُنْشِدُ

أَبَالِى البلاءَ وإنّى ٱمرؤٌ * اذا ما تَبَيَّنْتُ لم أرْتَبِ

وفى كتاب كليلة ودمنة : الأدبُ يُذهِبُ عن العاقلِ السّكرَ ويَزِيدُ الأحمقَ سُكرًا، كما أن النهارَ يَزيدُ كُلَّ ذى بصرٍ بصرًا ويَزِيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصرٍ . وفيه : ذو العقل لاتُبطِرُه المنزلةُ والعِزُّ كالجبل لايَتزعزعُ وإن آشتدّتْ عليه الريحُ، والسّخيفُ يُبطِره أدنَى منزلةٍ كالحشيش يُحرّكه أضعفُ ريحٍ . وقال تأبّط شرًّا فى هذا المعنى[(١)]

ولستُ بِمفْراحٍ إذا الدّهرُ سَرَّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِه المتقلّبِ

ولا أتمنّى الشرّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحْمَلْ على الشرّ أَرْكَبِ

وفى كتاب كليلة : رأسُ العقلِ التميـيزُ بين الكائن والممتنع، وحسنُ العَزاءِ عما لايُستطاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبالِـغُ فى العمل ويَعترفُ بزلّة عقله ويَستقيلُها كالرجل يَعثُرُ بالأرض وبها ينتعشُ . ويقال : كُلُّ شيءٍ محتاجٌ الى العقل، والعقلُ محتاجٌ الى التّجارِب . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول الرجال : الكتّابُ، والرسولُ، والهديةُ . وكان يقال : دَلَّ على عقل الرجل آختيارُه، وما تمَّ دِينُ أحدٍ حتى يتمَّ عقلُه، وأفضلُ الجِهادِ جهادُ الهوى . سُئِلَ أنوشِرْوانُ : ما الذى لا تَعَلُّمَ له، وما الذى لا تَغيُّرَ له، وما الذى لا مَدْفَعَ له، وما الذى لا حِيلةَ له . فقال : تَعلُّمُ العقلِ، وتَغيُّرُ العُنصُرِ، ودَفعُ القَدَرِ، وحِيلَةُ الموت . وكان يقال : كِتابُك عقلُك تضعُ عليه خاتَمكَ . وقالوا : كِتابُ الرجلِ موضعُ عقــله، ورسولُه موضعُ رأيه . كان الحسنُ اذا أُخبرَ عن رجلٍ بصلاح قال : كيفَ عقلُه . وفى الحديث "أن جبريلَ عليــه السلام أَتَى آدمَ عليه السلامُ فقال له : إنى أتيتُك بثلاثٍ فاخترْ واحدةً، قال : وما هى يا جبريلُ؟ قال : العقل والحياء والدينُ . قال : قد آخترتُ العقلَ فخرج جبريل الى الحياء والدينِ فقال : ارجعا فقد اختار العقل عليكما، فقالا : أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان"

(١) تقــدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران فى باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملة وشِيَمُ الرجالِ تظهر بالوِلاية . ويقال : العاقل يَقِي ما لَه بسلطانه، ونفسَه بمـاله، ودِينَه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعًا عقولٌ لخرِبتِ الدنيا . خُيِّرَ رجلٌ فأَبَى أن يختارَ وقال : أنا بِحَظِّى أوثَقُ مِنِّى بعقلى فأَقْرِعُوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدّثنى الزِّيَادِىُّ قال : حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَيَعْجِزُ أحدُكم أن يكونَ كأبى ضَمْضَمٍ كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنّى قد تصدّقتُ بِعِرْضِى على عبادِكَ" .

حدّثنا زياد بن يحيى قال : حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ فى جوف ٱبن آدم، ألم تَرَوْا الى حُمرةِ عينيه وٱنتفاخ أوداجه" . قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى عبـد الله بن رَجَاء عن إسرائيل عن أبى حُصَين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال، قال رجل : يا رسول الله أوصِنِى، فقال : لا تَغْضَبْ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدّثنى أحمـد بن الخليل قال، حدّثنى عبد الله بن نافع عن مالك عن ٱبن شِهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الذى يَملِكُ نفسَه عند الغضب" . قال : حدّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِىّ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك قال : حدّثنا حبيب بن حجر القَيْسِىّ قال، كان يقال : ما أحسنَ الإيمانَ يَزِينُه العِلْمُ وما أحسنَ العِلْمَ يَزِينُـه العملُ وما أحسنَ العَمَلَ يَزِينُه الرفقُ، وما أُضِيفَ شىءٌ الى شىءٍ أَزْيَنَ مِن حلم الى عِلم ومِنْ عفوٍ الى مَقْدُرَةٍ . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ ساد ومن تَفَهَّمَ ازداد . والعرب تقول : ٱحْلُمْ تَسُدْ . وقال : سَمَّى اللهُ يحيى

سيدًا بالحِلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيا بحياة السُّودَدِ . أغلظ رجلٌ لمعاوية فحَلُمَ عنه ، فقيل له : تحلُم عن هذا ! فقال : إنّى لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين سلطاننا . شتَم رجلٌ الأحنفَ وألَحَّ عليه ، فلما فرغ قال له : يابن أخى ، هل لك فى الغداء؟ فانك منذ اليوم تَحْدُو بجملٍ ثَفالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المُزَنىّ قال : جاء رجل فشتم الأحنفَ فسكتَ عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والَهْفَاه ! ما يَمنعُه مِنْ أن يَرُدَّ علىّ إلّا هَوَانِى عليه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لَأْمٍ ، قال : نزلتُ برجلٍ من بنى تغلِبَ فأتانى بِقِرًى فانفلتَ مِنّى فقال[(1)]

والتَّغلِبىُّ اذا تَنحنحَ لِلقِرَى * حَكَّ ٱسْتَهُ وتَمثَّلَ الأمثالاَ

فانقبضتُ فقال : كُلْ أيها الرجلُ فإنما قلتَ كلمةً مقولة .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ ، قال : أسمع رجلٌ الشعبىَّ كلاما فقال له الشعبىّ : إن كنت صادقا فغفر اللهُ لى وإن كنتَ كاذبا فغفر اللهُ لكَ . ومرّ بقوم ينتقصونه فقال

هَنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ * لِعزّةَ مِن أعراضنا ما ٱستحلَّتِ

وٱستطال رجلٌ على أبى معاوية الأسود فقال : أستغفرُ اللهَ من الذنب الذى سُلِّطتَ به علىّ . قال معاوية : إنى لأرفعُ نفسِى أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلْمى . وقال معاوية لأبى جهم العَدَوىّ : أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا جهم؟[(2)] قال : لقد أكلتُ فى عرس أُمِّكَ هندٍ ، قال : عند أىّ أزواجها؟ قال : عند حَفْص بن المُغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياكَ والسلطانَ فانه يغضبُ غضبَ الصبىّ ويُعاقِب عقوبةَ الأسدِ ، وإن قليله يغلبُ كثيرَ الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل فى معاوية

(1) هكذا بالنسخ التى بين أيدينا ، ولعل الصواب "فقلت" . (2) فى النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

نَمِيلُ على جوانبه كأنّا * اذا مِلنا نَمِيلُ على أبينا
نُقَلِّبه لِنَخْبُرَ حالتيه * فنَخْبُرَ منهما كرمًا ولِينا

سمع الأحنفُ رجلا ينازع رجلا فى أمرٍ فقال له الأحنف: حسبك[1] إلا ضعيفا فيما تُحاوِلُ، فقال الرجل: ما على ظنّك خرجتُ من عند أهلى، فقال الأحنفُ لأمرٍ مّا قيل: احذروا الجوابَ. جعل رجلٌ جُعلًا لرجلٍ على أن يقومَ الى عمرو بن العاص يسألُه عن أمّه، فقام اليه وهو يخطبُ على منبر تِنّيس، فقال له: أيها الرجل أَخْبِرنَا مَنْ أُمُّكَ، فقال: كانت امرأةً من عَنَزَة أُصيبت بأطرافِ الرماح فوقعت فى سهم الفاكه بن المغيرة فاشتراها أبى فوقع عليها، انطلق وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا. قال الشاعر

قل ما بدا لكَ مِنْ زُورٍ ومن كذبٍ * حِلْمِى أَصَمُّ وأُذْنِى غيرُ صَمَّاء

نظر معاويةُ الى ابنه يزيدَ وهو يضرب غلاما له، فقال له: أتُفْسِدُ أدبكَ بأدبه فلم يُرَ ضارِباً غلامًا له بعد ذلك. قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تُؤدِّبُ غِلمانَكَ ولا تَضرِبُهم، قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فاذا نحن أخفناهم فكيف نأمَنُهم. وكان يقال: «الحليم مَطِيَّةُ الجَهُول[2]». وذكر أعرابىّ رجلا فقال: كان أحلَمَ من فَرْخ طائر. وفى الإنجيل: كونوا حُلَماء كالحيات وبُلْهاء كالحمام. قال بعض الشعراء

إنى لأُعْرِضُ عن أشياء أسمعُها * حتى يقولَ رجالٌ إنّ بِى حُمُقَا
أَخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ له * فَسْلٍ[3]، وظنَّ أناسٍ أنه صدَقَا

قال الأحنف: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعته مَخافَةَ[4] ماهو أشدُّ منه. قال أكثم بن صيفىّ: العزُّ والغلبةُ للحلم. وقال علىّ بن أبى طالب

(١) هكذا بالأصول. ولعله «لا أحسبك». (٢) فى النسخة الألمانية «الجود»، وفى الفتوغرافية «الجول» وكلاهما تحريف والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى.
(٣) بهامش النسخة الفتوغرافية: الفسل من لا خير فيه. وفى القاموس: الرذل الذى لا مروءة له.
(٤) فى الأصل الألمانى «أخاف» وفى الفتوغرافية «يخافه» والتصويب عن العقد الفريد.

عليه السلام : أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمه أنّ الناسَ أنصارُه على الجَهُول . وقال المنصور : عقوبةُ الحلماءِ التّعريضُ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدّثنى سُهيل قال حدّثنا الأصمعىّ قال : بلغنى أن رجلا قال لآخر : والله لَئِنْ قلتَ واحدةً لتَسْمَعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكنّك إن قلتَ عشرًا لم تَسمَعْ واحدةً . قال : وبلغنى أن رجلا شتم عمر بن ذَرّ فقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ فى شتمنا ودَعْ للصلح موضعاً ، فانّى أَمَتُّ مُشاتمةَ الرجال صغيرا ولن أُحييها كبيرا ، وإنى لا أُكافئ مَنْ عَصَى اللهَ فِىّ بأ كثرَ مِنْ أن أُطيعَ اللهَ فيه . وقال بعض المحدَثين

وإنّ اللهَ ذو حلم ولكن * بِقَدْرِ الحِلم يَنْتقِدُ الحليمُ
لقد وَلّتْ بِدولتك الليالى * وأنتَ مُعَلَّقٌ فيها ذَميمُ
وزالَتْ لم يَعِشْ فيها كريمٌ * ولا آستَغْنَى بِثَروتها عَديمُ
فَبُعْدًا لا انقضاءَ له وسُحْقًا * فغيرُ مُصابِكَ الحدَثُ العظيمُ

المدائنى قال : كان شَبيب بن شَيبةَ يقول : مَنْ سَمِع كلمةً يكرهُها فسكتَ عنها آنقطع عنه مايكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره، وكان يتمثّل بهذا البيت

وتَجزَعُ نفسُ المرءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمةٍ * ويُشْتَمُ أَلفًا بعدها ثم يَصْبِرُ

قاتلَ الأحنفُ فى بعض المواطن قتالاً شديدا، فقال له رجل : يا أبا بحر، أين الحِلْمُ قال : عند الحُبَى . وقال مسلم بن الوليد

حُبًى لا يَطيرُ الجهلُ فى جَنَباتها * اذا هى حُلَّتْ لم يَفُتْ حَلَّها ذَحْلُ

أَغْضَبَ زيدُ بنُ جَبَلةَ الأحنفَ ، فوثب اليه فأخذ بِعِمامته وتناصبا ، فقيل للأحنف : أينَ الحلمُ اليومَ! فقال: لو كان مِثلِى أو دونى لم أفعَلْ هذا به . كان يقال : آفةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجَعْدىّ

ولا خيرَ فى حِلْمٍ اذا لم تكن له * بوادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أن يُكَدَّرَا

وقال إياسُ بن قَتَادةَ

تُعاقِبُ أَيدينا ويَحْلُمُ رَأيُنَا * ونَشْتِمُ بالأفعال لا بالتكلم

وأنشد الرِّياشيّ

إنى آمرُؤ يَذُبُّ عن حَرِيمِى * حِلْمِى وتَرْكِى اللَّوْمَ لِلَّئيمِ *
* والعِلْمُ(١) أَحْمَى من يدِ الظَّلُومِ *

وقال الأحنف : أصبْتُ الحلْمَ أنْصَرَ لى من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتَمَشْمِشُ بنُ معاوِيةَ عمُّ الأحنف يَفْضُلُ فى حِلمه على الأحنف قَبْلُ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خيلًا فى بنى تميم فقسمَها، فقال رجل من بنى سعد : مامنعكَ أن تُعطِيَنى فرسًا ووثبَ عليه فَمَرَش وجْهَه، فقام اليه قوم ليأخذوه، فقال : دَعُونِى وإياه، إنى لا أُعَانُ على واحد، ثم انطلَقَ به الى أبى موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دَعْ هذا ولكن آبنُ عمِّى ساخطٌ فآحمِله على فرسٍ، ففعل .

قيل للأحنف : ما أحلَمَكَ قال : تَعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَرى، بينا هو قاعد بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه ، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا آبنك قتله ابن أخيك، فوالله ماحَلَّ حُبْوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفتَ إلى آبن له فى المجلس ، فقال له : قم فأطلق عن آبن عمك ووارِ أخاك وآحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَرِيبـةٌ(٢)، ثم أنشأ يقول

إنى آمرؤٌ لا شائنٌ(٣) حَسَبِى * دَنَسٌ يُغَـيِّرُه ولا أَفَنُ
مِنْ مِنْقَرٍ فى بيتِ مَكْرُمةٍ * والغُصْنُ يَنْبُتُ حولَه الغُصُنُ

(١) كذا فى الأصول ولعله «والحلم» . (٢) فى الأصلين «عربية» وهو تحريف والتصويب عن العقد الفريد . (٣) رواه فى العقد الفريد :

إنى امرؤ لا يطَّبِى حسبى * دَنَس يهجِّنه ولا أفن

خُطَباءُ حين يَقُولُ قائلُهم * بِيضُ الوجوهِ، أَعِفَّةٌ لُسُنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيبِ جارِهِمُ * وهُمُ لِحفظِ جِوارِه فُطُنُ

ثم أقبلَ على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرابَتَك، وقَطَعْتَ رَحِمَك، وأَقْلَلْتَ عَدَدَكَ، لايُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ . وفى قيس بن عاصم يقول عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيب، إسلامىّ

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ماشاء أن يترحَّمَا
تَحِيَّةَ مَنْ أَلبستَه منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّمَا
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ * ولَكِنَّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

وقال الأحنفُ : لقد ٱختلفنا إلى قيسِ بن عاصم فى الحِلْمِ كما نَخْتَلِفُ إلى الفقهاء فى الفقه . شتم رجلٌ الأحنفَ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف : يا هذا إن كان بَقِىَ فى نفسك شىء فهاتِه وٱنصرِفْ لا يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتلْقَى ما تكْرَهُ.

شتم رجلٌ ٱلحسنَ وأَرْبَى عليه، فقال له : أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئاً، وما يعلمُ اللهُ أكثر.

قال بعضُ الشعراء

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا * حتّى يذِلُّوا — وإن عَزُّوا — لأَقوامِ
ويُشْتَمُوا فتَرَى الألوانَ مُشْرِقَةً * لا صَفحَ ذُلٍّ ولَكِن صَفحَ أَحْلَامِ

قال [حدّثنى] أبو حاتم عن الأصمعى قال : لا يَكادُ يجتمِعُ عشرةٌ إلا وفيهم مُقاتِلٌ وأ كثرُ، ويجتمعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ . ابن عُيينة قال : كان عُرْوة بن الزُّبير إذا أسرع إليه رجلٌ بِشَتْمٍ أو قولٍ سَيِّئٍ لم يُجِبْهُ وقال : انّى أتْرُكُكَ رفعًا لنفسى عنكَ، فجرى بينه وبين علىّ بن عبد الله كلامٌ فأسرع اليه، فقال له علىّ : خَفِّضْ عليكَ أيها الرجلُ فإنّى أتركَكَ اليومَ لِما كنتَ تترِكُ له الناسَ .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال رجل : لمِثْلِ هذا اليومِ كنتُ أدعُ الفُحْشَ على الرجال، فقال له خَصْمُه : فإنّى أدعُ الفحشَ عليكَ اليومَ لِما تركته

أنتَ له قبل اليومِ . وأغلظَ عبدٌ لسيده، فقال : إنى أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرونَ لأَرُوضَ نَفسِى بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانَتْ لغيرِ المملوك أصْبرَ .

— كلّم عمر بن عبد العزيز رجلا من بنى أميّة وقد ولدتْه نساء بنى مُرّة فعاب عليه جَفَاءً رآه منه، فقال: قبَّح الله شَبَهًا [غلب][1] عليك من بنى مرّة، وبلغ ذلك عَقِيل بن عُلَّفَة المُرّىّ وهو بجَنَفَاءَ من المدينـة على أميال فى بلد بنى مرة ، فركب حتى قَدِم على عمر وهو بدَيْرِ سِمْعَان، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغنى أنك غضبت على فتى من بنى أبيك، فقلت : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة، وإنى أقول : قبّح الله أَلْأَمَ طرفيه، فقال عمر : دَعْ ويحَك هذا وهات حاجتَك . فقال : والله مالى حاجة غير حاجته[2]، وولّى راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلّا يشتِمُنا ثم آنصرف! فقال له رجل من بنى مرة : إنه والله ياأمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه .

المدائنى قال : لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بنى تميم فعابه بخراسان وشنَّع عليـه ، فلما قفل لقيه التميمىّ فقال : أصلح الله الأمير لاتَلُمْنى فإنى كنت مأمورا، فقال : يا أخا بنى تميم أوَحدّثتْك نفسُك أنّى وَجِدْتُ عليك؟ قال : قد ظننتُ ذاك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرا! . كان يقال: طيّروا دماءَ الشباب فى وجوههم . ويقال : الغضب غُول الحلم . ويقال : القدرة تُذْهِب الحَفِيظَةَ . وكتب كِسْرى أَبْرَوِيز إلى ابنـه شِيرَوَيْه من الحبس : إن كلمة منك تَسْـفِك دما، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِن دما ، وإن سخطَك سيوفُك[3] مسلولةٌ على من سَخِطتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رضِيت عنه، وإن نَفَاذ

(١) زيادة فى العقد الفريد .
(٢) رسم فى النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيها السياق .
(٣) لعله «وإن سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتنكير ليتناسب فى السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس فى غضبك من قولك أن يُخطِئ ومن لونك أن يتغيّر ومن جسدك أن يَخِفّ، وإن الملوك تُعاقِب قدرةً وحزما، وتعفو تفضُّلا وحلما، ولا ينبغى للقادر أن يُسْتخفَّ ولا للحليم أن يَزْهو، وإذا رضِيتَ فأبلغ بمن رضيت عنه يَحرِصْ من سواه على رضاك، واذا سخِطتَ فضَعْ من سخِطتَ عليه يهرُبْ مَنْ سواه من سخطك، وإذا عاقبتَ فأَنْهِكْ(١) لئلا يُتعرّض لعقوبتك، وٱعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغُر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وُهَيب

لئن كنتُ محتاجا إلى الحِلم إننى * إلى الجهل فى بعض الأحايين أَحْوجُ
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَمٌ * ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن رام تقويمى فإنى مُقوَّمٌ * ومن رام تعويجى فإنى مُعوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنا وصاحبا * ولكننى أرضى به حين أُحْرَجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنّة مَخْرَجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذلُّ بالحرِّ أَسْمجُ

وقال ابن المقفع : لا ينبغى للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدِر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يبخَل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يَحْقِد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة. قال سُوَيد بن الصامت(٢)

إنى إذا ما ٱلأمرُ بُيِّنَ شكُّه * وبدتْ بصائرُه لمن يتأملُ
أَدَعُ التى هى أرفق الحالات بى * عند الحَفيظة للتى هى أجمل

أتى عمرَ بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتُك، وكان اذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه،

(١) نهك السلطان : بالغ فى العقوبة. (٢) فى الأغانى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كراهةَ أن يَعْجَل عليه فى أوّل غضـبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردتَ أن يستفزّنى الشيطانُ بعزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّى غدًا ، انصرفْ رحمك الله .

قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضِى لم يُخرجه رضاه إلى الباطل ، و إذا غضِب لم يُخرجه غضبه من الحق ، و إذا قـدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ، فان أنصفك فى غضبه و إلاّ فدَعْه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبتَ ، فنزل مُغضَبا فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطرُ لحيتُه ماءً ، فصَعِد المنبرَ فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، و إن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليُطفِئه بالمـاء ، ثم أخذ فى الموضع الذى بلغه من خطبته . وفى الحـديث المرفوع : "إذا غَضِب أحدُكم فإن كان قائما فلْيَقعُدْ و إن كان قاعدا فَلْيضطَجع" . وقال الشاعر

اِحذر مَغَايِظَ أقوامٍ ذوى أَنَفٍ * إن المَغِيظَ جهولُ السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْفِى غيظى ؟ أحينَ أَقْدِرُ فيقال لى : لوعفوتَ ، أو حينَ أَعْجِز فيقال لى : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرَّثيئة[1] مما يَفْثَأُ[2] الغضبَ» والرَّثيئة[1] اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولّى سَلْمَ بن قتيبة البصرةَ وولى مولًى له كُوَرَ البصرة والأُبُلَّة ، فورد كتاب مولاه أنّ سَلما ضربه بالسِّياط ، فآستَشاط المنصور وقال : علىّ تجرّأ سَلْم ! لأجعلنَّه نَكَالا ، فقال آبن عيَّاش — وكان جريئا عليه — : يا أمير المؤمنين ، إن سَلْمًا لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه ، ولكنك قلّدتَه سيفَك وأصعدتَه مِنبرَك ، فأراد مولاك أن يُطأطئ منه مارفعتَ ويُفسِدَ ما صنعتَ ، فلم يحتمل ذلك ، ياأمير المؤمنين

(١) فى الأصل «الريثة» وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل ، وهو مثل . ونصه كما فى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى «ان الرثيئة تفثأ الغضب» وفثأ الغضب سكنه وكسر حدّته .

إن غَضَبَ العربيّ فى رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يُخرجَه بلسان أو يد، وإن غَضَبَ النَّبَطيّ فى آسته فإذا غَضِب [و] خَرِئَ ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال: فعل الله بك يامنتوف وفعل، فكفّ عن سَلْم.

كان يقال: إياكَ وعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. قال بعض الشعراء

النَّاسُ بعدكَ قد خفّت حُلُومُهمُ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع فى إبراهيم، فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت: والله لهَمَمْتُ به، فقال: لعل الذى غضبتَ له لو سمعه لم يقل شيئا.

باب العزّ والذلّ والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلَّب: فيمن العِزُّ بالبصرة؟ فقال: فينا وفى حلفائنا من ربيعة، فقال عمر بن عبد العزيز: ينبغى أن يكون العزّ فيمن تُحُولِفَ عليه يا أمير المؤمنين. قالت قريبةُ: إذا كنت فى غير قومك فلا تَنْسَ نصيبَك من الذِّلَّة. قال رجل من قريش لشيخ منهم: عَلِّمْنِي الحِلْمَ، قال: هو يابن أخى الذلّ، أفتصبر عليه؟. وقال الأحنف: ما يسرّنى بنصيبى من الذلّ حُمْرُ النَّعَم، فقال له رجل: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يَرَوْن الحلمَ ذلّا، فقلت ما قلت على ما يعلمون.

وقرأت فى كتاب للهند أن الريح العاصف تَحطِم دَوْحَ الشجر ومُشيَّدَ البنيان ويَسلَمُ عليها ضعيفُ النبت لِلينه وتثنِّيه. ويقال فى المثل: «تَطاطأْ لها تُخطِئْكَ». وقال زيد بن علىّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغضَبا: ما أَحبّ أحد قطّ الحياةَ إلا ذلّ، وتمثّل

شرَّده الخوفُ وأَزْرى به * كذاكَ مَنْ يكره حَرّ الجِلَاد

منخرقُ الخُفَّين يشكو الوَجَى * تنـكُبه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجَسْرة الأُجُدُ(١)

ولا يُقيم بدار الذّل يَعرفهـا * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوَتدُ

وقال الزُّبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أَشُـــدُّ بهـا * صوتى اذا ما اعترتْنى سَورَةُ الغضب

وقال آخر

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًا لستَ منهم * فكُلْ ماعُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّبِ

وقال العباس بن مِرْداس

أبلغْ أبا سَـلْمٍ رسـولا نصيحة * فإن معشرًا جادوا بعِرْضك فابخلِ

وإن بوءوك منزلا غيرَ طائل * غليظا فلا تنزلْ به وتحـوَّلِ

ولا تَطْعَمنْ ما يعْلِفونك إنهـم * أَتَوْكَ على قُرْبانهـم بالمُثَمَّـلِ

أراك إذن قد صرت للقوم ناضحا * يقال له بالغَرْب أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

وقال آخر

فأبلِـغْ لديْكَ بنى مالكٍ * على نأيهـا وسَراة الرِّبَاب

بأنّ امرأً أنتم حـوله * تحُفُّون قُبّته بالقِبـاب

يُهِينُ سَراتَكُمُ عامدا * ويقتلكُمْ مثلَ قتل الكلاب

فلو كنتمُ إبلا أَمْلَحَتْ(٢) * لقد نَزَعَتْ للمياه العذاب

ولكنكم غَنَمٌ تُصطفى * ويُترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد: قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث. قاموس.

(٢) يقال: أملحت الابل أى وردت ماء ملحا وفى الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب.

وقال آخر

تالله لولا آنكسارُ الرُّمح قد علموا * ماوجدونى ذليلا كالذى أجد
قد يُحْطَم الفحلُ قَسْرًا بعد عزّته * وقد يُردّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العَبْديين

ألا أَبلغا خُلَّتِى راشـدًا * وصِنْوِى قديما إذا ما آتصلْ
بأن الدَّقيق يَهيجُ آلجليل * وأن العزيز اذا شاء ذَلّْ
وأن الحَزامة أن تصرفوا * لحىٍّ سِوانا صُدورَ الأَسَلْ
فان كنتَ سيِّدَنا سُدْتَنا * وإن كنت للخَال فاذهبْ فَخَلْ

وقال البَعيث

ولو تُرمى بلُؤم بنى كليب * نجومُ الليل ماوَضَحتْ لِسارِى
ولو لَبِس النهارَ بنو كليب * لدنَّس لُؤمُهم وَضَحَ النهار
وما يغدو عزيزُ بنى كليب * لِيطلب حاجة إلا بجار

جاور آبنُ سَيابَةَ مولى بنى أسد قوما فأزعجوه، فقال لهم : لمَ تُزعجونى من جواركم؟ فقالوا : أنت مُرِيب، فقال : فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جوارا . أبو عبيدة عن عَوَانَةَ قال : إذا كنتَ من مُضَر ففاخرْ بكنانة وكاثِرْ بتميم وآلْقَ بقَيْس، وإذا كنت من قحطان فكاثرْ بقُضاعة وفاخرْ بمَذْحِج وآلْقَ بكلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان وآلقَ بشيبان وكاثر بشيبان . كان يقال : مَنْ أراد عزًّا بلا عَشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : مَنِ السَّيدُ عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبْناه وإذا أدبر آغتبْناه . ونحوه قول مسلم

وكم مِنْ مُعِدٍّ فى الضمير لِىَ الأذى * رآنى فألقى الرعبُ ما كان أضمرا

وقال أيضا

ياأيها آلشاتِمى عِرْضى مُسارَقَةً * أَعْلِنْ به، أنت إن أعلنتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل فى الهيبة

فى كفّه خَيزُرانٌ رِيحُها عبِقٌ * من كفّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكلَّم إلا حين يَبتسِمُ

وقال ابن هَرْمة فى المنصور

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ سريرِه * إذا كَرّها فيها عِقَابٌ ونائلُ
فأمّ الذى آمنتَ آمنــةُ الرَّدَى * وأمّ الذى أوعدتَ بالثُّكل ثاكلُ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، ووجه فى الكريهة باسلُ
وليس بمُعْطِى العفوِ عن غير قدرة * ويعفو إذا ما أمكنتْه المَقَاتِلُ

وقال آخر فى العفو بعد القدرة

أســدٌ على أعــدائه * ما إن يَلِينُ ولا يهون
فإذا تمكّن منهــمُ * فهنـاك أحلم ما يكون

وقال آخر فى مالك بن أَنَس

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيبةً * والسائلون نَوَاكسُ الأذقانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ وعزُّ[1] سلطانِ التُّقَى * فهـو المُطَاع وليس ذا سلطانِ

وقال آخر

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهم * خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصار

وقال أبو نواس

أُضمِرُ فى القلب عتَابًا له * فإن بدا أُنْسِيتُ من هيبتهْ

المدائنى قال : قال ابن شُبرُمة القاضى لابنه : يابُنَىّ لا تُمكّن الناسَ من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرُهم لها مُعاينةً . قيل لأعرابىّ : كيف تقول : استخذأتُ أو استخذيتُ؟ قال: لا أقوله، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن العرب لا تَستخذى. وكان يقال : اصفَحْ أو اذبَحْ .

(١) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدْىُ الوَقَارِ .

باب المروءة

فى الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَاشِع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ،ألستُ أفضلَ قومى؟ فقال :"إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك تُقًى فلك دين" وفيه أيضا « إن الله يُحِبّ مَعَالِيَ الأمور ويكره سَفْسافَها» .روى كَثِيربن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقفىّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمير يقول : إن من مروءة الرجل جلوسَه ببابه . قال الحسن: لا دينَ إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال : إصلاح المـال، والرَّزانةُ فى المجلس، والغداء والعشاء بالفِناء . قال ابراهيم : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات فى الطريق ولا سرعةُ المشى . ويقال : سرعةُ المشى تُذهِب بَهاءَ المؤمن .

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال لعمرو : ما ألذُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرْ أَحْداثَ قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد عن أبيه ،قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"وَرُّوا(1) لذوى المروءات عن عَثَراتهم، فوالذى نفسى بيده إن أحدهم ليعثُِر وإنّ يدَه لفى يد الله". كان عروة بن الزبير يقول لولده : يابَنِىّ آلعبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العِفّةُ(2) والحِرفة. قال محمد بن عِمْران التَّيْمى : ما شيءٌ أشدَّ حَمْلا علىّ من المروءة، قيل: وأىّ شيءٍ المروءةُ ؟ قال : لا تعملُ شيئا فى السرّ تستحى منه فى العلانية .

وقال زهير فى نحو هذا

السِّتْرُ دون الفاحشات،ولا ۞ يلقاكَ دون الخير من سِتْرِ

(١) كذا فى الأصول، وفى العقد الفريد «تجاوزوا» .

(٢) فى الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فسَرّى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمةُ ليـلى مثلُ ضـوء نهاريا

قال عمـر بن الخطاب : تعلَّموا العربيةَ فإنهـا تزيد فى المروءة ، وتعلَّموا النسبَ فرُبَّ رَحِمٍ مجهولة قد وُصِلت بنسبها . قال الأصمعىّ : ثلاثة تحكُمُ لهم بالمروءة حتى يُعرفوا : رجل رأيتَـه راكبًا ، أو سمعته يُعرِب ، أو شَمِمتَ منه رائحةً طيبة . وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا : رجل شَمَمتَ منه رائحةَ نبيذ فى مَحْفِل ، أو سمعتَه يتكلم فى مصرٍ عربىّ بالفارسية ، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع فى القَدَر . قال ميمون ابن ميمون : أوّل المروءة طلاقة الوجه ، والثانى التودّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مَسْلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرِّياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرة . قالوا : كان الرجل اذا أراد أن يَشِينَ جارَه طلب الحاجةَ إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نومُ الغداةِ وشُربٌ بالعشِيّاتِ * موكَّلان بتهـديم المروءات

باب اللباس

حدّثنى محمـد بن عبيد قال ، حدّثنا ٱبن عيينة عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس عن ٱبن عباس ، قال : كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ اذا ما أخطأكَ شيئان : سَرَفٌ أو مَخِيلةٌ .

قال حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنـا ٱلمِنْهال بن حمّاد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبى بكر بن حزْم عن أبيه ، قال : كانت مِلْحَفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يَلبسُ فى أهله مُورَّسةً[1] حتى إنها لتَرْدَعُ[2] على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر باليمن . وفى الأصول : "مورّشة" بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) تنفض صبغها .

حدّثني أبو الخطّاب ، قال حدّثنا أبو عَتّاب قال حدّثنا المختار بن نافع عن[١] إبراهيم التيميّ عن أبيه عن عليّ ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رُقْعة من أَدَم ورقعةٌ من ثيابنا .

حدّثنا الزِّياديّ قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريريّ عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزارُه مرقوع بأدَم . نظر معاوية الى النَّخَّار العُـذْريّ الناسب في عباءة فازدراه في عباءة[١] ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك وإنما يكلّمك مَنْ فيها . قال سُحَيم بن وَثِيل

أَلَا ليس زينُ الرحل قِطْعًا يُمَزَّق * ولكنّ زينَ الرحل يا مَيّ راكبُهْ

وقال آخر

إيّاك أن تَزْدَرِي الرجالَ فما * يُدرِيكَ ماذا يُكِنُّه الصَّدَفُ
نفسُ الجواد العتيقِ باقيةٌ * يومًا وإن مسّ جسمَه العَجَفُ
والحرُّ حرّ وإن ألمّ به الضُّرُّ وفيه العَفَافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدَثين

تَعجّبتْ دُرُّ مِنْ شَيبي فقلتُ لها * لا تَعجَبي قد يلوحُ الفجرُ في السَّدَف
وزادها عَجَبًا أَنْ رُحتُ في سَمَلٍ * وما دَرتْ دُرُّ أنّ الدُّرّ في الصَّدَف

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ أن ابن عَوْن اشترى بُرْنُسا من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على مُعَاذَةَ العَدَويّة ، فقالت : أمثلُكَ يلبَس هذا ! قال : فذكرتُ ذلك لابن سيرين فقال : ألا أَخبرتَها[٢] أن تميما الداريّ اشترى حُلّة بألفٍ يُصلّي فيها .

---

(١) كذا في النسختين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا مُصعَبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرنى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيــه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رِداءٌ وعِمامةٌ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا على بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيْبانىّ قال: رأيتُ محمد ٱبن الحنفية واقفا بعرفات على بِرْذونٍ عليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفرُ .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ عن حَفْص بن الفُرَافِصة(١) قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثَوْر فمن دونه وآنيتُهم فى بيوتهم الجِفانُ والعِسَسَةُ فإذا قعدوا بأفنيتهم لَبِسوا الأكسيةَ وإذا أتَوا السلطانَ ركبوا ولبِســوا المَطَارِفَ .

قدِم حَمَّادُ بن أبى سليمان البصرة فجاءه فَرقَدٌ السَّبَخِىُّ وعليــه ثِيابُ صوف فقال حماد : ضَعْ نصرانيتَك هــذه عنك، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليــه مُعصفَرةٌ ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّوْرىّ عن ٱبن جُرَيْج عن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يرتدى رداءً بألف . قال مَعْمَر : رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يمَسّ الأرض، فكلمتُه فى ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت فى تذييل القميص وإنها اليومَ فى تشميره .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال: جاء سَيَّار أبو الحَكَم الى مالك بن دينار فى ثيابٍ ٱشتهرها(٢) مالكٌ، فقال له مالك: ماهذه الشّهرةُ؟ فقال له سيار : أتضعنى عندك أم ترفعنى ؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهانى عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه .

(١) فى لسان العرب : كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء الا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمــه الله فانه بفتح الفاء لا غير. (٢) اشتهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الخُرَيمىّ : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعىّ فدفع الى خادم كيسا فيه ألفُ دينارٍ وقال : إنى سأنزل فى رجعتى الى الأصمعىّ وسيحدّثنى ويُضحِكنى فاذا ضحِكتُ فضَعِ الكيسَ بين يديه، فلما رجع ودخل عليه رأى حُبًّا(١) مكسور الرأس وجرّة مكسورة العنقِ وقصعة مُشَعَّبة وجَفْنةً أَعْشارا ورآه على مصلًّى بالٍ وعليه بَرْكانٌ(٢) أجرَدُ فغمز غلامَه ألّا يضعَ الكيسَ بين يديه ولم يَدَعِ الأصمعىُّ شيئا مما يُضحِكُ الثَّكْلانَ إلا أورده عليه فما تبسّم وخرج، فقال لرجل كان يُسَايِره : "مَنْ آسترعى الذئبَ ظلَم" ومن زرع سَبَخَةً حصد الفقرَ، فإنى والله لو علمتُ أن هذا يكتُم المعروفَ بالفعل لما حَفَلْتُ نشرَه له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغِنى، لأن اللسان قد يكذِب والحال لا تكذِب . ولله درّ نُصَيبٍ حيث يقول

فعاجُوا فأثْنَوا بالذى أنت أهلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال له : أعلمتَ أن ناووسَ أبرويزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنَان .

قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن : رأيت مشيخةً بالمدينة فى زِىّ الفتيان لهم الغدائرُ وعليهم المُوَرَّد والمُعصفَر وفى أيديهم المَخاصِرُ وبها أثر الحِنّاء، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثريّا إذا أُرِيدَ دِينُه . ذمّ آبن التوءم رجلا فقال : رأيتُه مُشحَّم النعل دَرِنَ الجَوْرب مُغضَّن الخُفّ دقيقَ الحِزَامة . أنشد آبن الأعرابىّ

فإن كنتَ قد أُعطيتَ خَزًّا تجرّه * تبدّلتَــه من فروةٍ وإهابِ
فلا تأيسَنْ أن تَملِكَ الناسَ إنّنى * أرى أُمــةً قد أدبرت لِذَهــاب

قال أيوب يقول الثوبُ : آطوِنى أُجمِّلْك . هِشَامُ بن عُرْوة عن أبيه قال، يقول المـال : أرِنى صاحبى أعمّر، ويقول الثوب : أَكْرِمنى داخلا أُكرِمْك خارجا .

(١) فى اللّسان وغيره : الحُبّ الخابية فارسىّ معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحةٌ، فراحةُ البيت كنسُه، وراحةُ الثوب طيّه. قيل لأعرابىّ: إنك تُكثِر لُبسَ العِمامة، فقال: إن عظمًا فيه السّمعُ والبصرُ لجديرٌ أن يُكَنّ من الحرّ والقُرّ. ويقال: حُبَى العرب حيطانُها، وعمائمها تيجانُها. وذكروا العِمامةَ عند أبى الأسود الدؤلى فقال: جُنّةٌ فى الحرب، ومَكِنّة فى الحرّ والقرّ، وزيادةٌ فى القامة، وهى بعدُ عادةٌ من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدّهنُ يُذهِبُ البؤس، والكُسوةُ تُظهِرُ الغِنى، والإحسانُ إلى الخادم مما يَكبِتُ الله به العدوّ.

أبو حاتم قال حدّثنا العتبىّ قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيتُ بالبصرة بُرُودا كأنما نُصِحَت(1) بأنوار الربيع وهى تَروعُ، واللابسوها أَرْوعُ. قال يحيى بن خالد للعتّابىّ فى لباسه — وكان لا يُبالى ما لبس —: يا أبا علىّ أخزى الله امرأً رضِىَ أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: هِمّتُه ونفسُه، وأصغراه: قلبُه ولسانُه. وفى الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبّ أن يَرى أثرَها عليه". قال حبيب بن أبى ثابت: أن تَعِزّ فى خَصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تَذِلّ فى مُطْرَفٍ، وما اقترضتُ من أحد خيرٌ من أن أقترضَ من نفسى. قال عمرو بن معديكرب

ليس الجمالُ بمِئْزَرٍ * فاعلمْ وإن رُدِّيتَ بُرْدَا
إنّ الجمالَ معادنٌ * وموارثٌ أورثْنَ مَجْدَا

وقال ابن هَرْمة

لو كان حولى بَنُو أميـة لم * يَنطِق رجال إذا هُمُ نطقوا
إن جلسوا لم تَضِقْ مجالسُهم * أو ركِبوا ضاق عنهمُ الأفقُ

(1) نصح الثوب: خاطه.

كم فيهِمُ مِن أخ وذى ثِقةٍ * عن منكبيه ٱلقميصُ مُنخَرِقُ
تجهَمَ عُوذَ النساء إذا * ما ٱحمرّ تحت القَوانسِ الحَدَقُ
فريحُهُم عند ذاك أندى من ٱلـ * ـمسك وفيهمْ لخابطٍ وَرَقُ

قال حدّثنى أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبى سعد(١) ٱلمخزومىّ الشاعر كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد، هذا خزّ؟ فقال : لا ، ولكنه دَعِىٌّ على دَعِىٍّ ، وكان أبو سعد دعيا فى بنى مخزوم، وفيه يقول أبو البرق

لما تاه على الناس * شريفٌ يا أبا سعد
فتِهْ ما شئتَ إذ كنت * بلا أصلٍ ولا جَدِّ
وإذ حَظُّك فى ٱلنسبة * بين الحرّ وٱلعبد
وإذ قاذفُك المُفْحِشُ * فى أمنٍ مِنَ الحَدّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدّبنى ؟ قال : أحسن طاعةٍ، قال : فأَطِعْنى ٱلآن كما كنتُ أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدوَ شفَتاك، ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقِباك . وكيع قال : راح ٱلأعمش إلى الجمعة وقد قلّب فروةً جِلدُها على جلده وصوفُها إلى خارج ، وعلى كتفيه مِنديلُ الخِوان مكانَ الرِّداء . قال حدّثنى أبو الخطاب عن أبى داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت ٱلشعبىّ يَقْضى على جِلْدٍ . قال الأحنف : ٱستجيدوا النِّعال فانها خلاخيلُ الرجال . أبو الحسن المدائنىّ قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلم فى مِدْرَعةِ صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك الى لُبس هذه؟ فسكتَ، فقال له قتيبة : أُكلّمك فلا تجيبنى ! قال : أكره أن أقولَ زهدا فأُزكّىَ نفسى، أو أقول فقرا فأشكوَ ربّى.

(١) فى الأصول : "سعيد" والتصويب عن الأغانى وهو الموافق لما فى البيت الأوّل .

قال ٱبن السَّمَّاك لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسُكم هـذا موافقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمارٍ عليه

فما أنا إلا السَّيفُ يأكلُ جفنَه * له حليةٌ من نفسـه وهو عاطِلُ

التَّخـــتُّم

قال حدّثنى أبو الخطاب زِياد بن يحيى الحَسَّانى قال حدّثنا عبـد الله بن ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تختّم فى يمينه .

قال حدّثنى أبو الخَطَّاب قال حدّثنا سهل بن حمّاد قال حدّثنا أبو خَلْدة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقشُ خاتَم النبىّ صلى الله عليه وسلم؟ قال : "صَدَقَ اللهُ" قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول [الله]"(1) .

قال أبو الخطاب حدّثنا عَتَّاب(2) قال حدّثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ٱبن عمر : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر الشىء أَوْثق فى خاتمه خيطا .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا عبد الله بن ميمون قال : حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علىّ كان من وَرِقٍ نقشُه "نِعمَ القادرُ اللهُ" . كان على خاتم علىّ بن الحسين بن علىّ "عَلِمتَ فَٱعمَلْ" . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علىّ "تبـارك مَنْ

(1) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من الناسخ . ويؤيده ما فى "شرح المواهب اللّدنية" للزرقانى فى رواية ابن سعد عن أبى العاليـة : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظرج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(2) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد فى شيوخ أبى الخطاب الا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه فى أوّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبى عتاب .

نَخْرِى بأنى له عبد" ونقشُ خاتم شريح "الخاتمُ خيرٌ من الظن". ونقش خاتم طاهر "وَضعُ الخدّ للحق عزٌّ". وكان لأبى نواس خاتمان: أحدهما عقيق مربع وعليه

تعاظَمَنى ذنبى فلما عَدَلْتُه * بعفوك ربّى كان عفوُك أعظَما

والآخر حديد صينىّ مكتوب عليه: "الحَسَنُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مخلصًا" فأوصى عند موته أن يُقلَعَ الفصُّ ويُغسلَ ويُجعلَ فى فمه.

باب الطِّيب

قال حدّثنا محمد بن عُبَيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن أبى عثمانَ النَّهْدىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ طِيب الرجال ما ظهر ريحُه وخَفِى لونُه، وخيرُ طيبِ النساء ما ظهر لونُه وخَفِى ريحُه».

حدّثنا القُطَعِىُّ قال حدّثنا بِشْر عن ٱبن لَهِيعَةَ قال حدّثنى بُكَير عن نافع: أن ٱبن عمر كان يستجمر بعُودٍ غيرِ مُطَرًّى ويجعل معه الكافور ويقول: هكذا كان رسول الله يستجمر.

قال حدّثنا زياد بن يحيى قال حدّثنا زياد بن الربيع عن يونس، قال قال أبو قِلَابة: كان ٱبن مسعود إذا خرج الى المسجد عرف جيرانُه ذاك بطيب ريحه.

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا أبو نعيم عن شَقيق عن الأعمش قال قال أبو الضّحى: رأيتُ على رأس ٱبن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأسَ مال.

قال حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمىّ عن أبيه قال: رأيت ٱبن عباس حين أَحْرم والغالِيةُ على صلعته كأنها الرُّبّ.

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال: كان عبد الله بن زيد يتخلّق بالخَلُوق ثم يجلسُ فى المجلس.

وحدّثنى أيضا عن سُوَيد بن سعيد عن ضِمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيّة قال : لمـا أولم[1] عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبـد الملك أسرج فى مسارجه تلكَ الليلةَ الغاليـةَ .

قال وحدّثنى عن أبى عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبى أيوب عن عبيد الله ٱبن أبى جعفر عن الأعرج، قال : قال أبو هريرة، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «لا تَرُدُّوا الطِّيبَ فإنه طَيِّبُ الريح خفيفُ المَحْمِل» .

قال حدّثنى زيد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا أنس بن مالك قال حدّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وبِيص الطِّيب فى مَفَارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيـه قال [قال] عِكرمة : كان ٱبن عباس يَطْلِي جسدَه بالمسك فاذا مرّ بالطريق قال ٱبن عباس[2] : أمَرّ ابنُ عباس أم مَرّ المسكُ؟ . قال المُسيَّب بن عَلَس يمدح بنى شيبان

تَبيتُ الملوكُ علـى عَتْبِهـا * وشيبانُ إن غَضِبتْ تَعْتُبِ
وكالشَّهْد بالراح أحلامُهُـم * وأحلامُهـم منهما أعذبُ
وكالمسـكِ تُربُ مَقاماتِهـم * وتربُ قبورِهِـمُ أطيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وأنت إذا ما وطِئتَ الترا * بَ صار ترابُكَ للناس طِيبا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

المطعِمون إذا ما أَزمةٌ أَزَمَتْ * والطيِّبونَ ثيـابًا كُلَّما عَرِقُوا

---

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالفعل فيها محذوف سهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابى

خَوْد يكون بها القليل[1] تَمَسُّه * من طيبها عَبِقًا يطيبُ ويكثُر
شَكَر الكرامةَ جِلدُها فصَفَا لها * إن القبيحة جلدُها لا يَشْكُر

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ذُكِر لأيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال : ما علمتُ أن القذرَ من الدّين .

باب المجالس والجُلَساء والمحادثة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن حبّان بن موسى قال حدّثنا ابن المبارك عن مَعْمر عن سُهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرجلُ أحَقُّ بمجلسه اذا قام لحاجةٍ ثم رجَعَ» .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسيَّب بن رافع عن عبد الله بن يزيد الخَطْمىّ عن عبد الله بن الغَسِيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المرءُ أحقُّ بصَدْر بيته وصدرِ دابته وصدرِ فِراشه ، وأحَقُّ أن يَؤُمَّ فى بيته» .

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر محمد بن على قال : أُلقِى لعلىّ وِسادةٌ فجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ .
وفى الحديث المرفوع عن أبى موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الدَّارِىّ إن لم يُحْذِك[2] من طيبه عَلِقَكَ من ريحه ، ومَثَلُ الجليس السوء مَثَلُ الكِير إن لم يَحْرِقْكَ بشَرَار ناره عَلِقَك من نَتْنه» . قال أبو إدريس الخَوْلانى :

(١) فى النسخة الألمانية : الغليل وفى الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محرّف عن «القليل» اذ هو الذى يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطْيَبُ المجالِسِ ما سافرَ فيــه البصرُ وٱتَّدَع[(١)] فيه البدنُ ، فأخذه علىّ بن الجهم فقال

صُحُونٌ تُسافرُ فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بُعد أقطارها

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْف وكثرت فيه فائدةُ الجليس .

قيل للأَوْسِيَّة : أىُّ مَنظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قصورٌ بِيضٌ فى حدائقَ خُضْرٍ . ونحوه قول عِدىّ بن زيد

كدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـ * ـبَيْض فى الرّوض زهرُه مُستنـيرُ

حدّثنا سهل بن محمد قل حدّثنــا الأصمعىّ قال : كان الأحنفُ إذا أتاه إنسان أوسع له ، فان لم يجــد موضعا تحرّكَ لِيُرِيَه أنه يُوسِعُ له . وكان آخر لا يُوسِــعُ لأحد ويقول "ثَهْلانُ ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ"[(٢)] .

قال ٱبن عباس : لجليسى علىّ ثلاثٌ : أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبــل ، وأن أُوسِعَ له إذا جلس ، وأُصْغِيَ إليه إذا تحدّث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلسًا نخفت أن أُقامَ عنــه لغيرى . وكان يقول : لَأَنْ أُدعَى من بعيد فأُجيبَ أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قريب .

كان القَعْقاع بن شَوْر إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا فى ماله ، وأعانه على عدوّه ، وشفع له فى حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا . وقسم معاوية يوما آنيةَ فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فآثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال

---

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطر بيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء فى الأصل وفى معجم البلدان هكذا «ثهلان ذو الهضبات» بالرفع . وقال ابن برى فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه « ثهلان ذا الهضبات » بالنصب لان صدره :

* فارفع بكفك إن أردت بناءنا *

وكنتُ جليسَ قَعقاع بن شَوْر * ولا يَشْـقَى بقعقاع جليسُ
ضَحوكُ السنّ إن نطقوا بخـير * وعنـد الشرّ مِطراقٌ عَبـوسُ

كان يقال : إياكَ وصدرَ المجلس فإنه مجلس قُلْعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا تجلسُ متكئا ! فقال : تلك جِلْسَةُ الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمَلُّهم : جَليسى ما فَهِمَ عنّى ، وثو بى ما ستَرنى ، ودابتى ما حملت رجلى[1] . وزاد آخر : وآمرأتى ما أحسَنتْ عِشرتى .

ذكر رجل عبدَ الملك بن مروان فقال : إنه لآخِذٌ بأربع ، تارِكٌ لأربع : آخذٌ بأحسن ٱلحديث إذا حَدّث ، وبأحسن ٱلاستماع إذا حُدّث ، وبأحسن البِشر إذا لقِيَ ، وبأيسر المئونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة[2] اللئيم ، ومنازعة اللَّجوج ، وممـاراة السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند ٱنقضاء مجلســه قال : إنك جلستَ إلينـا على حينِ قيامٍ منّا أفتأذن ؟ . قال الفُضَيل بن عِيَاض للثورىّ : دُلَّنى على مَنْ أجلسُ إليــه ، قال : تلك حالةٌ لا تُوجد . قال مُطرِّف : لا تُطعِم طعامَكَ مَنْ لا يشتهيه ، يُريد : لا تُقبِل بحديثك على من لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن سَـلْم : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المحدَّث فانهضْ . ونحوه قول ٱبن مسعود : حَدِّثِ القومَ ما حدَجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عَيَّاش بن أبى ربيعة : دخلت على عمر بن عبـد العزيز ، فلمـا رآنى رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضـلا فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس . وقال ٱبن عباس : ما أحدٌ أكرم علىّ من جليسى ، إن

(١) فى النسخة الألمانية : رحلى . (٢) فى العقد الفريد : لمجاوبة .

الذباب يقع عليه فيشقّ علىّ . ذكر الشّعبىّ قوما فقال : ما رأيتُ مثلهم أشدّ تناوبا[1] فى مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدِّث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفارِهَ ووطئنا الحسناءَ ولبسنا اللّيِّنَ وأكلنا الطَّيِّبَ حتى أجِمْناه[2]، ما أنا اليومَ الى شىءٍ أحوجُ منّى إلى جليس أضعُ عنّى مئونةَ التحفظ فيما بينى وبينه .

روى ابن أبى ليلى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جَعْدة قال، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسيرَ فى سبيل الله أو أضعَ جبهتى فى التراب لله أو أجالسَ قومًا يلتقطون طَيِّبَ القول كما يُلتقَط طيِّبُ الثمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شىء من العراق إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لى منهم الأسودُ بن كُلثوم . وقال آخر ما آسَى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر[3]، وليل الخرير[4]، وحديث ابن أبى بكرة . وقال المغيرةُ : كان يجالس إبراهيمَ صيرفىٌّ ورجل متّهمٌ برأى الخوارج، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن فى شهر رمضان من أجل اللّهَبِيِّين .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابَها . كان بعض الملوك فى مسير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يَقطعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فلينفُض كل رجل منكم بنا

(١) فى الأصول : تنابذا، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملّه .

(٣) فى الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبى .

(٤) فى الأصول : الخزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب، قال الجاحظ : فى أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الخرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيما أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا[1] منه . قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقى من لذة الدنيا تلذّه ؟ قال : محادثةُ أهل العلم، وخبرٌ صالح يأتينى من ضَيْعتى . قال أبو مُسْهِر : ما حدّثت رجلا قط إلا حدّثنى إصغاؤه : أفَهِم أم ضَيَّع .

باب الثُّقَلاء

قال ابراهيم : إذا علم الثقيلُ أنه ثقيلٌ فليس بثقيل . كان يقال : مَنْ خاف أن يُثقِّل لم يثقُل . قيل لأيوب : ما لكَ لا تكتبُ عن طاوُس؟ فقال : أتيته فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبى سليم، وعبد الكريم بن أبى أميّة .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقلَ فى كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منـه . وكتب رجل على خاتمه : أبْرمتَ فقُمْ، فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوله إياه . قال بَخْتَيْشُوعُ للمأمون : لا تُجالس الثقلاءَ فإنا نجدُ فى الطب : مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح . قال بعض الشعراء

إنى أُجالسُ معشـرًا * نَوْكَى أخَفُّهمُ ثقيـلُ
قـومٌ إذا جالستَهُم * صَدِئَتْ بقربهم العقولُ
لا يُفهِمـونى قولَهـم * ويَدِقّ عنهـم ما أقولُ
فهـُمُ كثيرٌ بى وأعـلم أنّنى بهـمُ قليـلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِىّ عن عمر بن سعيـد القرشىّ قال حدّثنى صَدَقة بن خالد قال : أتيت الكوفةَ فجلستُ إلى أبى حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال

فما الفيلُ تحمِـلُه ميّتًا * بأثقلَ من بعض جُلّاسنا

فما حملت عنه شيئا .

---

(١) فى القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره ا هـ . والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال

وقائلٍ كيف أنت قلتُ له * هذا جليسى فما ترى حالى

وقال بشّار

ربّما يثقُل الجليسُ وإن كا * ن خفيفا فى كفّة الميزانِ

ولقد قلتُ حين وتّدَ فى الأر * ض ثقيلٌ أربَى على ثَهْلانِ

كيف لم تحمِلِ الأمانةَ أرضٌ * حملتْ فوقها أبا سفيانِ (١) !

وقال آخر

هل غُربةُ الدار منك مُنجيَتِي * إذا اغتدتْ بى قلائصٌ ذُمُلُ

وما أظنّ الفَلاة تجبينى (٢) * منكَ ولا الفُلْكُ أيها الرجلُ

ولو ركبتُ البُراق أدركنى * منكَ على نأى دارك الثِّقَلُ

هل لك فيما ملكتُ نافلةٌ * تأخذُه جملةً وترتحلُ

وقال أعرابىّ

كأنى عند حمزة فى مُقامى * ألا حُيِّيتِ عنا يا مَدِينَا

بُلينا عنده حتى كأنا * ألا هُبّى بصحنِك فاصبَحينا

وقال آخر

ثقيلٌ يُطالعنا من أَمَمْ * إذا سرّه رغمُ أنفى ألَمّ

لطلعته وخزةٌ فى الحشا * كوخز المَشَارط فى المحتجَم

أقول له إذ بدا طالعا (٣) * ولا حملته إلينا قدَمْ

فقدتُ خيالكَ لا مِن عمًى * وأُذْنِى (٤) كلامَك، لا من صَمَمْ

(١) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعمران . (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية "تجبينى" ولعلها "منجيتى" . (٣) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفى ديوان ناظمه أبى نواس لا أتى . (٤) فى العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سُهيل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُـلَ عليك بنفسه وغمّك فى سؤاله فألزمه أذناً صماء وعيناً عمياء .

وكتب بعضُ الكتّاب فى فصل من كتابه : ما آمنُ نزغَ مُستميحٍ حرمته، وطالبِ حاجةٍ رددتُه، ومُثابرٍ ثقيلٍ حجبتُه، أو منبسطِ نابٍ قبضتُه، ومُقبلٍ بعِنانه علىّ لَوَيتُ عنه؛ فقد فعلت هـذا بمستحقين و بتعذر الحال، فتثبت رحمك الله، ولا تُطِعْ كلَّ حَلّاف مَهِين .

وقال بعض المُحْدَثين للخليل

خرجنا نُريد غُزاةً لنـا * وفِينا زِيادٌ أبو صَعْصَعهْ
فستّةُ رهطٍ به خمســةٌ * وخمسةُ رهطٍ به أربعهْ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عدِىّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعبىّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم : أخبرنى عن مكان من القرية لا يَخْرَبُ حتى أستقطعَ ذلك الموضعَ، فقال له : ما بين المـاء إلى دار الإمارة، فاختطّ لثقيفٍ ذلك الموضعَ ، قال الهيثم بن عدىّ : فبتُّ عندهم فإذا ليلُهُم بمنزلة النهار .

وقال قائل فى الدار : ليكن أوّلَ ما تَبتاعُ وآخرَ ما تبيعُ .

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داره ليبنيها : هى قميصُك فان شئتَ فوسِّعه، وإنْ شئت فضيِّقه. وأتاه وهو يبنى دارَه التى ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يُبَيِّضون حيطانَها فقال : اعلم أنك تُغَطِّى الذهبَ بالفضة، فقال جعفر: ليس فى كلّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة، ولكن هل ترى عيبا؟ قال : نعم، مخالطتُها دورَ السُّوقة .

دخل آبن التوءم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرةَ الذرع ، واسعةَ الصحن ، رفيعةَ السَّمك ، عظيمةَ الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطاقُ ، وعيالا لا يُحتَملُ مثلُهم ، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما آبتُلِيتْ به نفسُك ، وإن لم تفعل هُجِّنتَ رأيك .

وقرأت فى كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبَلُ بفراش الملك ومجلسه المشرِقُ ، أو يُستقبلُ به مَهبُّ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرِق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والآرتفاع ، وناحيةَ الدَّبور وناحيةَ المغرِب يُوصَفان بالفضيلة (١) والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملِك المشرِقُ أو مَهبُّ الدبور ، ويُستقبلُ بصدور آلخلاء وما فيه من المقاعد مَهبُّ الصَّبا ، لأنه يقال : إن آستقبالَ الصَّبا فى موضع آلخلاء آمنٌ من سِحر السَّحَرَة ومن ريح آلجِنَّة .

وكان عمر يقول : على كلِّ خائنٍ أمينان : آلمـاءُ والطينُ . ومر ببناء يُبنَى بآجُرٍّ وجِصٍّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عاملٍ له ، فقال : تأبى آلدراهمُ إلا أن تُخرِجَ أعناقَها ، وشاطَره مالَه .

أبو آلحسن قال : لمـا بلغ عمرَ أن سعدا وأصحابه قد بَنَوْا بالمدَر قال : قد كنتُ أكره لكم البنيانَ بالمدر ، فأمّا إذ قد فعلتم فعرِّضوا آلحِيطانَ ، وأطيلوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين آلخشب . وقيل ليزيد بن آلمهلب : لم لا تَبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأنى لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فان كنتُ أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميرا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذَ آلدورُ بين المـاء والسّـوق ، وأن تكونَ آلدورُ شرقية والبساتينُ غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُمَيرٍ مجدُهم دارُهم * وكلُّ قـومٍ لهم مَجْـدُ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبى محمد اليزيدى

قَوْمى خِيارٌ غيرَ ما أنهم * صَولَتُهُمْ منهم على جارِهم
ليس لهم مجدٌ سوى مسجِدٍ * به تَعَدَّوْا فوقَ أطوارهم
لو هُدِمَ ٱلمسجدُ لم يُعرَفُوا * يوما ولم يُسمَعْ بأخبارهم

وقال رجل من خُزاعة

فخر ٱلمسيَّبُ بالمناره * ومنارهُ برحا[1] عُماره
فإذا تفاخرتِ القبا * ئلُ من تميم أو فزاره
حفلَتْ عليك شُيُوخُ ضبّـ * ـةَ بالمسيَّب والمناره

مرّ رجل من ٱلخوارج بدار تُبنَى فقال : مَنْ هذا ٱلذى يُقيم كفيلاً ؟ . وقالوا : كلُّ مال لا يَخرجُ بخروجكَ ولا يرجعُ برجوعكَ ولا ينتقلُ فى الوجوه بانتقالكَ فهو كفيلٌ .

وقالت ٱلحكماء من ٱلروم : أصْلحُ مواضع البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كِبْسٍ وثيقٍ ليكونَ مُطِلًّا ، وأحقُّ ما جُعِلتْ إليه أبوابُ المنازل وأفنيتُها وكَواؤها ٱلمشرِقُ وٱستقبالُ الصَّبا ، فان ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه فى البناء قولُ علىّ بن ٱلجهم

صُحُونٌ تُسافر فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بعد أقطارِها
وقُبّةُ مُلْكٍ كأن النجو * مَ تُصْغِى إليها بأسرارها
وفَوّارةٌ ثأرُها فى السماء * فليست تُقصِّرُ عن ثارها
إذا أُوقدتْ نارُها بالعراق * أضاء ٱلحجازَ سَنَا نارها
تَرُدُّ على ٱلمزن ما أنزلَتْ * على الأرض من صَوْب أقطارها

(١) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبى معيط . معجم البلدان .

لهـا شُرُفاتٌ كأنَّ ٱلربيـع * كساها ٱلرياضَ بأنوارهـا
فهنّ كمُصطحباتٍ خرجن * لفصـح النصارى وإفطارها
فمِنْ بينِ عاقصـةٍ شعرَهـا * ومُصـلِحةٍ عَقْـدَ زُنّارِهـا

وقال الوليد بن كعب

بكتْ دارُ بِشرٍ شجوَهَا أن تبدّلت * هـلالَ بن عباد بِبشر بن غالب
وما هى إلا مثلُ عِرسٍ تنقّلتْ * على رَغْمِها من هاشم فى مُحارِبِ

وقال آخر

ألم تر حَوْشـبًا أمسى يُبَنّى * قصورا نَفعُها لبنى بُقيـلهْ
يُؤمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْـرَ نوح * وأمرُ الله يَحـدُثُ كلَّ ليله

كان مالك بن أسماء يَهْوَى جاريةً من بنى أسـد وكانت تنزل خُصًّا وكانت دارُ مالك مبنيةً بآجُرٍّ فقال

ياليتَ لى خُصًّا يُجاوِرُها * بدلًا بدارى فى بنى أسد
الخُصُّ فيه تَقَرُّ أعيُنُنَـا * خيرٌ من الآجُرِّ والكَمَـد

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه قال حدّثنـا إسحاق بن ٱلفُرات قاضى مصر عن ٱلأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يابُنَىّ إن من ضيق ٱلعيش شِراءَ ٱلخبز من السوق، والنقلةَ من منزلٍ إلى منزلٍ .

بلغنى أن رجلا من الزّهاد مرّ فى زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعُمَرَاه! فسمعه ٱلمأمونُ فدعا به فقال : ما قلتَ؟ قال : رأيتُ بناء ٱلأكاسرة فقلتُ ما سمعتَ، قال المأمون : أرأيتَ لو تحوّلتُ من هذه المدينـة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تَعيبَ نزولى هناك؟ قال: لا، قال: فأراك إنما عِبتَ إسرافى

فى النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبتُ قيمةَ هذا ٱلبِناء لرجل أكنتَ تعيب ذلك؟ قال : لا، قال : فلو بَنَى هذا ٱلرجلُ بما كنتُ أهبُ له بناءً أكنتَ تَصيحُ به كما صِحتَ بى ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قَصَدتَنى لخاصّتى فى نفسى لا لعلة هى فى غيرى، ثم قال له : هذا ٱلبناءُ ضربٌ من مكايدنا نبنيه ونتخذ الجيوشَ ونُعِدُّ السلاحَ والكُراعَ وما بنا إلى أكثره حاجةٌ، فلا تَعُودنّ إلىّ فتمسَّكَ عقوبتى، فإن الحفيظة ربما صرفَتْ ذا الرأى إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص[1] فيه

قال حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن هشام بن عروة عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشةُ أنها سابقتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فسبقتْه، وسابقتْه فى سفر آخر فسبقها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفةً لمروانَ، فربما ركب حمارا قد شدّ عليه بردعةً وفى رأسه حِليةٌ فيلقَى الرجلَ فيقول : الطريقَ، قد جاء الأميرُ، وربما دعانى إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُرَاق[2] للأمير، فأنظر فإذا هو ثريدٌ بزيت .

قال حدّثنى محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصَّلْت الطاحى[3] عن سعيد ابن عثمان قال، قال الشعبىّ لخياط مرّ به : عندنا حُبٌّ مكسور تَخيطُه ؟ فقال الخياط : إن كان عندك خيوطٌ من ريح .

---

(١) كذا فى الأصل، ولم نجد فى القاموس ولا فى اللسان الرّخص بمعنى الترخيص والتسهيل، والوارد فى هذا المعنى انما هو الرخصة بتاء التأنيث فلعل التاء سقطت من قلم الناسخ .

(٣) العُرَاق : العظم أُكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) فى الأصل : الطاجى بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبىّ ومعه فى البيت امرأة فقال . أيكم الشعبىُّ ؟ قال الشعبىّ : هذه . وسئل الشعبىّ عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفَاف، قال : فما تقول فى الذُّبَّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذى لمّا رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذى قالت فيه الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال : تُوفّى البارحة، أَمَا شَعَرتَ؟ فجزع واسترجع، فلما رأى ابنُ سيرين جزعه قرأ (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) .

مَرَّ بالشعبىّ حَمَّالٌ على ظهره دَنُّ خَلٍّ ، فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال : ما كان اسمُ امرأةِ ابليسَ؟ فقال الشعبىّ : ذاك نكاحٌ ما شَهِدناه .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز عن الأصبهانىّ عن يحيى بن أبى زائدة عن الأعمش قال : عادنى إبراهيم فنظر إلى منزلى فقال : أمّا أنتَ فتُعرَفُ فى منزلك أنكَ لستَ مِن أهل القَريتينِ عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهرىّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال، قالت أم سلمة : خرج أبو بكر فى تجارة ومعه نُعيمان وسُوَيبِطُ بن حرملة، وكانا شهدا بدرا، وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان مزّاحا : أطعمْنى، فقال : حتى يجىء أبو بكر، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون منى عبدا لى ؟ قالوا : نعم، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إنى حرّ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا علىّ عبدى، فقالوا : بل نشتريه منك

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا فى عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيمان : إن هـذا يستهزئ بكم وإنى حرّ، قالوا : قد أُخبرنا بخبرك، وآنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهـم القلائص وأخذه ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا (١) .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عبدالله بن عبد الوهاب الحَجَبىّ عن أبي عَوَانة عن قتادة أن عدىّ بن أرطاة تزوّج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها نخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينـك وبين الحائط ، قال : إنى رجل من أهل الشأم ، قال : بعيد سحيق ، قال : إنى تزوّجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدتْ غلاما ، قال : لِيَهْنِئك الفارسُ ، قال : وشرطتُ لهـا دارها ، قال : الشرطُ أملكُ ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال : بِمَـهْ ؟ قال شريح : « حَدّث امرأة حديثين فإن أبت فَأَرْبَعْ (٢) » قال لى المحـدّث : فأربعة ، وإنمـا هو فاربع أى كُفّ وأمسِكْ .

وتقدّم رجلان إلى شريح فى خصومة فأقر أحدُهما بمـا يدّعى الآخر عليـه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندى ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشِد

نُبّئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبُها مثلُ شهرآلصوم فى آلطول

(١) فى القاموس فى مادة نعم أن نعيمان هو المزّاح وأنه هو الذى باع سويبطا وبعـد نحو صفحتين من هذا الكتاب ستجد ذكر نعيمان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميـدانى « حدّث آمرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما فان لم تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه فى اللسان كما فى الأصل وقال فى معناه أى قف واقتصر وهو من ربع يربع اذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عِرسُ ٱلفرزدق ناشزا * ولو رضيتْ رمحَ آسته لآستقرّتِ

وكان آبن سيرين يضحك حتى يسيل لُعابه .

ٱلمدائنى قال، قال عمرو بن ٱلعاص لمعاوية : إنى رأيت ٱلبارحةَ فى المنام كأن القيامة قد قامت ووُضِعت ٱلموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ٱلجبال ، فقال معاوية : فهل رأيتَ شيئا من دنانير مصر !

كان مَعْن بن زائدة ظَنينا فى دينه ، فبعث إلى آبن عيّاش المَنْتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار آشتريتُ بها دينَك ، فاقبض المال وآكتب إلىّ بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ ٱلدنانير وبِعتك بها دِينى خلا التوحيد لِمَا عرفتُ من زهدك فيه .

قال ٱلرشيد ليزيدَ بن مِزْيد : ما أكثرَ الخلفاءَ من ربيعة ! فقال يزيد : أجل، ولكن منابرهم ٱلجُذوع .

قال بلال بن أبى بُرْدة لآبن أبى علقمة : إنما دعوتك لأسخَر منك ، فقال له آبن أبى علقمة : لئن قلتَ ذاك لقد حكَّمَ المسلمون رجلين سَخِرَ أحدُهما من الآخر .

كان يقال : ٱلسِّبابُ مِزاح ٱلنَّوْكَى(١) . وقال الشاعر

أخو ٱلجِدّ إن جاددتَ أرضاكَ جِدُّه * وذو باطل إن شئتَ ألهاك باطلُهْ

وقال مِسْعرُ بن كِدَام لابنه

ولقد حبوتك يا كِدامُ نُصيحتى * فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ
أمّا المُزاحةُ والمِراءُ فدعهما * خُلُقان لا أرضاهما لصديق
ولقـد بلوتُهما فلم أحمَدهما * لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيــق

(١) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال للميدانى «المزاح سِباب النّوكى» .

وقال الكميت

وفى الناس أقذاعٌ مَلَاهِيجُ بالخَنَا * متى يَبلُغِ الحِـدُّ الحفِيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدَثين

أرانى سَأُبدِى عنـــد أوّل سَكرة * هواى لفضـل فى خفاءٍ وفى سـترِ

فإن رضِيَتْ كانالرضا سببَ الهوى * وإن غضِبَتْ حمّلتُ ذنبى على السكر

وقال الراعى — فى نحو هذا يصف نساء —

يُناجِيْنَنَا بالطَّرْف دون حديثنا * ويَقْضِين حاجاتٍ وهنّ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عملين ليختار أحدَهما فيوليه ، فقال : «كلاهما وتمرا» ، فقال : أعندى تمزح! لا وَليتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكه قلّت هيبتُه . وقال علىّ : إذا ضَحِك العالِم ضَحْكةً مجّ من العلم مَجّةً . وقال أكثم : «المُزاحَةُ تُذْهِبُ المهابةَ» .

الهيثمُ عن عوانة الكلبىّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسُده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدى بأبى هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بنى جُشَم ، وشيخنا الذى نصدرُ عن رأيه ، فاهتزّ لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه أمرنا ذات يوم وقـد نورت الرياضُ أن نَخرُجَ إلى روضـة فى ظهر بيوت الحىّ فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنا[1] لعبا ، وخرج الرجل منا بالبَكْرة الكَوْماء وبالخروف والجدى ، وقام الفتيانُ فاجتزروا واشـتَوَوْا ودارت السُّـقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا فى الحىّ روثة حمار إلا نَشَقْناه إياها فلم يَرْقأ دمُه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجدْ فى كتب اللغة التى بين أيدينا «ابتسط» ، ولعلّه محرّف عن «انبسطنا» .

شُدّوا خُصْيَى الشيخ عَصْباً، ففعلنا ذلك فرقاً الدمُ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمّه أنها قد رَعِفتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درينا ما نَعصِبُ منها حتى خرجتْ نفسُها، وعبد الملك يَفحَصُ برجليه ضحكا، والفتى يقول: كذب والله، فقال عبد الملك: ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم!

حدّثني أحمد بن عمرو قال: كان رجل من الفقهاء في طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوعاً فرماه بعصا كانت في يده فقتله، فقال الجمّالُ: ألستَ مُحرِما؟ قال: بلى وما كانت بي إلى رميه حاجة إلا أن تعلمَ أن إحرامي لا يمنعني من ضربك.

قال وكان الأعمش يقول: مِنْ تمام الحج ضربُ الجمّال.

المدائنيّ قال: كان نُعيمانُ رجلا من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبيّ عليه السلام في الخمر أربعَ مرات، فمرّ نعيمانُ بمَخْرَمة بن نَوْفل وقد كُفَّ بصرُه فقال: ألا رجل يقودني حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما [بلغ] (١) مؤخرَ المسجد قال: هاهنا فبُلْ، فبال فَصِيحَ به، فقال: مَنْ قادني؟ قيل: نعيمان، قال: لله عليّ أن أضربه بعصاي هذه، فبلغ نُعيمانَ فأتاه فقال له: هل لك في نعيمانَ؟ فقال: نعم، فقال: قم، فقام معه فأتى به عثمانَ بن عفانَ وهو يصلي، فقال: دونك الرجلَ، فجمع يديه في العصا ثم ضربه، فقال الناس: أميرُ المؤمنين، فقال: مَنْ قادني؟ قالوا: نعيمان، قال: لا أعود إلى نعيمان أبدا.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: قلت لخارجة بن زيد: هل كان الغناء يكون في العُرُسات؟ قال: قد كان ذاك، ولا يُحضَر بما يُحضَر اليوم

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة.

من السفه، دعانا أخوالنا بنو نُبيط فى مدعاةٍ لهم فشهد المدعاةَ حسانُ بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنّيانِ

أنظر خليلى بباب جِلّقَ هل * تُؤنِسُ دون البَلْقاء من أحد

فبكى حسان وقد كُفّ بصرُه، وجعل عبد الرحمن يُومئُ إليهما أن زِيدا، فلا أدرى ما ذا يُعجبه مِن أن تُبكيا أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان : أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد، يريدون الثريدَ فأكل، ثم أُتِى بطعام آخر فقال : أطعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا : طعامُ يدين، يعنون الشّواء فكفّ .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان طُوَيْسٌ يتغنّى فى عُرس، فدخل النعمان ابن بَشير العرسَ وطويسٌ يقول

أَجَدّ بعمرةَ غُنيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شأنُها(١)

وعمرة أم النعمان، فقيل له : اسكت اسكت، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعَمْرةُ مِنْ سَرَوَاتِ النّسا * ءِ تَنفَحُ بالمسك أردانُها

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا الحجاج بن نُصير قال حدّثنا شُعبة عن قتادة عن أبى العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس

وهُنّ يَمشِينَ بنا هَمِيسَا * إن تَصدُقِ الطيرُ نَنِلْ لَمِيسَا(٢)

فقالوا : تقول الرفثَ وأنت محرم يابن عباس ! فقال : إنما الرفثُ عند النساء .

قال جابر الجُعْفىّ : رأيت الشعبىّ خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال : أنظرُ إلى الفيل .

(١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شانها وهو أوجه .

(٢) كذا فى الأصل ننل باللام . وروى فى شرح القاموس للرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة قال حدّثنا شَريك عن جابر الجعفىّ عن عِكْرِمة قال : ختن آبن عباس بنيــه فأرسلنى فدعوتُ اللعَّابين فلعبوا فأعطاهم أربعمائة (١) درهم .

حدّثنى شيخ لنا من أهل المدينة قال : وَلِىَ الأوقَص المخزومىُّ قضاءَ مكة فما رُئِىَ مثلُه فى العَفاف والنُّبل ، فبينا هو نائم ذات ليلة فى جَناحٍ له مرّ به سكران يتغنّى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شرِبتَ حراما ، وأيقظتَ نُوّاما ، وغنّيتَ خطأ ، خذ عنى فأصلحه له . وقال الأوقَص قالت لى أمى : يا بُنىّ إنك خُلقتَ خِلقةً لا تصلُح معها لمجامعة الفِتْيانِ فى بيوت القِيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطَّتْكَ إليه العيونُ ، فعليك بالدِّين فإنه يرفع الخسيسةَ ويُتِمّ النقيصةَ ، فنفعنى الله بكلامها فبلغتُ القضاءَ .

قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنّتْكَ فلانةُ جاريتى صوتَ كذا ما أدركتَ دُكّانَكَ .

حدّثنى شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرّ بى عمرُ، وأنا وعاصمُ بن عمرَ نتغنّى غناء النَّصْبِ (٢) ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مَثَلُكُما مَثَلُ حِمارَى العِبَادِىّ ، قيل له : أىّ حمارَيك أشرّ (٣) ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدّثنى أيضا عن ابن عاصم عن ابن جُرَيج قال : سألتُ عطاء عن القراءة على ألحان الغِناء والحُداء فقال : وما بأس ، لقد حدّثنى عبيد بن عمير الليثىّ قال : كانت لداود نبىّ الله مِعْزَفةٌ يَضرِبُ بهــا إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجنّ والطير فبكى وأبكى مَنْ حوله . وقال لى غيره : ولهذا قيل : مزاميرُ داود ، كأنه أغانى داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمـانية وفى النسخة الفتوغرافيــة "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من الناسخ كلمة مائة أم ألف الجمع فى دراهم . (٢) ضرب من أغانى العرب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى مجمع الأمثال «شرّ» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال

وإذا المِعْدةُ جاشت * فارمِها بالْمَنجنِيق

بثلاثٍ من نبيذٍ * ليس بالحُلو الرقيق

النُّوشَجانيّ قال حدّثني محمد بن سابق قال حدّثنا مالك بن مِغْوَل عن أبي حَصين قال : شرِبَ الأسودُ فقال : لو سقيتموني آخرَ لغنّيتُ .

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أسامة عن المجالد[1] عن الشعبيّ عن عمه قال : صحبتُ ٱبنَ مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يَصم يوما واحدا، [ف][2]أهمني ذلك وسألتُ عنه، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن مهديّ بن ميمون قال : كان أبو صادق لا يتطوّع من السُّنة بصوم يوم، ولا يصلي ركعةً سوى الفريضة قبلها ولا بعدها، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدّثني الزِّياديّ قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من الفقهاء وهو يلعب بالشِّطْرَنْج .

وحدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن سيرين عن اللِّعب بالشِّطْرَنْج فقال : لا بأس به هو رِفقٌ .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : تَرَون أن الشِّطْرَنْج وُضِعت[3] على أمر عظيم؟ .

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم «مجالد» بدون أل، ودخول أل في مثل المنقول عن اسم الفاعل للمح الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم نقف في كتب اللغة على أنّ الشطرنج مما يصح تأنيثه ولعل تأنيثه هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدّثنا الأصمعىّ عن ابن أبى زائدة عن إسماعيل بن أبى خالد قال: كان قيس ابن أبى حازم فى مَدْعاةٍ فقال لصاحب المنزل : طَيِّرْ .

حدّثنى شَبابة قال حدّثنى القاسم بن الحَكَم العُرَنىّ قال: حدّثنى سُلَيمٌ مولى الشعبىّ أن الشعبىّ كان اذا اختضب فغَرِضَ (١) لاعب ابنته بالنَّرْد حتى يَعْلَق الخضابُ .

حدّثنا إسحاق بن رَاهْوَيْهِ (٢) قال أخبرنا النَّضْرُ بن شُمَيلٍ قال حدّثنا شُعْبة عن عبد ربه قال: سمعتُ سعيدَ بن المسيب وسُئل عن اللعِب بالنّرد فقال: إذا لم يكن قِماراً فلا بأس.

حدّثنا إسحاق بن راهويه (٢) قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْـدِين بن كُرَيب قال : رأيت عِكرِمةَ أُقيم قائمًـا على اللعب بالنّرد . قال إسحاق : إن كان لَعِبُه على غير معنى القِمَار يريد به التعليمَ والمكايدةَ فهو مكروه، ولا يبلغُ ذلك إسقاطَ شهادته .

وروى عبـد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرنى أبى قال : رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبى بأربعةَ عشرَ على ظهر المسجد .

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنى علىّ بن عاصم عن أبى إسحاق الشَّـيْبانى عن خَوّات التيمىّ عن الحارث بن سُوَيد قال : أتى عبدَ الله بنَ مسعود رجلٌ فقال : يا أبا عبـد الرحمن إن لى جارا يُرْبِى وما يتورّع من شىء أصابه ، وإنى أُعسِرُ فأستسلفُه ، ويدعونى فأجيبه، فقال : كُلْ فلك مَهنَؤُه وعليه وزرُه .

كان أبو فَضَالة أسَنَّ وشَقّت عليه الصلاةُ، فكان يقول: مُشْقِيةٌ مُنصِبةَ، مُقيمةٌ مُقْعِدة، لا تزال بصاحبها حتى يضعَ أكرَمَه ويرفعَ أخسَّه .

(١) غرض : أصابه الملال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه فى ابن خلكان ثم قال : وقيل له أيضا راهُوَيَه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقاع الأسدىّ

أتانا بهـا صـفراءَ يزعم أنهـا * زَبيبٌ، فصدّقناه وهو كذوبُ
فهل هى إلا ليلةٌ غابَ نحسُها * أُصلّى لربّى بعـدها وأتوبُ

وقال آخر

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المزن خالطه * فى جوف آنيـةٍ ماءُ العناقيدِ
إنى لأكره تشديدَ الرُّواة لنا * فيها ويُعجِبُنى قولُ ٱبن مسعود

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخيَّرُ الشعر فى الشراب يقع فى كتابى المؤلف فى الأشربة، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديق له فى فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْـدَةَ الإسلام فى قلوبنا صحيحةٌ، وأَواخِيَه ثابتةٌ ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلوا قلوبَنا من مرض قلوبهـم، وأن يَلْبِسُوا يقينَنا بشكّهم، فمنعتْنا عصمةُ الله منهم، وحالَ توفيقُه دونهم ، ولنا بعدُ مذهبٌ فى الدُّعابة جميلٌ ، لا يَشُوبه أذًى ولا قذًى ، يُخرِج إلى الأنس من العُبُوس ، وإلى الاسترسال من القُطُوب، ويُلحِقُنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لِبْسَةِ الرياء والتصنّع .

التوسّط فى الأشياء، وما يُكره من التقصير فيها والغلوّ

باب التوسط فى الدّين

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبـد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ قال حدّثنى محمد بن طَحْلاء عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ، قال النبىّ صلى الله عليـه وسلم : "اِكْلَفُوا من العمل ما تُطِيقونَ فإنّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإنّ أفضلَ العمل أدومُه وإن قلَّ" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعِىّ قال حدّثنا محمد بن على بن مُقَدّم عن مَعْنٍ الغِفَارىّ عن المَقْبُرىّ عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا الدِّينَ يُسْرٌ ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقَارِبوا وأَبْشِرُوا".

حدّثنى القُومَسِىُّ عن أحمد بن يونس عن زُهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الحسنُ والسَّمْتُ الصالحُ والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوّة".

حدّثنى محمد بن عُبيدٍ عن معاويةَ بن عمرو عن أبى إسحاق عن خالد الحَـذّاء عن أبى قِلَابة عن مسلم بن يَسَار أنّ رُفقةً من الأشعريين كانوا فى سفر، فلما قدموا قالوا: يا رسولَ الله ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصومُ النهارَ، فإذا نزلنا قام يُصلّى حتى نرتحلَ، قال: "مَنْ كان يَمْهَنُ له أو يَكْفيه أو يعمَلُ له"؟ قالوا: نحن، قال: "كُلُّكم أفضلُ منه".

وروى أبو معاويةَ عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ عليه السلام قال: خِيارُكم كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوّابٍ. وقال علىّ أيضا: خيرُ هـذه الأمة النَّمَطُ الأوسطُ، يَرجِعُ إليهم الغالِى ويَلحَقُ بهم التالى (١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرّة قال، قال حذيفةُ: خيارُكم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم. وكان يقال: دِينُ الله

(١) كذا فى اللسان والعقد الفريد وفى الأصـل «البالى» وهو تحريف، ورواه فى نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى واليها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد اليهم فى أمور الدين كما يستند الى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع اليهم من غلا وتجاوز اهـ.

بين المقصِّر والغالى . وقال المطرف[١] لابنه : يابُنَىَّ، الحسنةُ بين السيئتين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السَّيرِ الحَقْحقةُ[٢] .

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرةِ ولا الآخرة للدنيا ولكن خيرُكم مَنْ أخذَ مِنْ هذه وهذه" . وقال : "إنّ الله بعثنى بالحَنيفيَّة السهلة، ولم يبعثنى بالرَّهْبانية المبتَدعة، سُنَّتِى[٣] الصلاةُ والنَّومُ، والإفطارُ والصوم، فمن رَغِبَ عن سنتى فليس منّى" . وفى الحديث : "إنّ هـذا الدّينَ مَتينٌ فأوغِلْ فيـه برِفقٍ، فإن المنبَتَّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البِرّ كآكل الطعام إن أخذ منه قوتا عَصَمه، و إن أسرف فى الأخذ منه بشَمه[٤]، ور بما كانت فيه مَنِيَّتُه، وكآخذ الأدوية التى قَصْدُها شفاءٌ، ومجاوزةُ القدر فيها السمُّ المميتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حَفْصة أنّ ابن أبى نُعْمٍ كان يُهِلُّ من السنة إلى السنة و يقول فى تلبيته: لبيك، لو كان رياء لاضمحلّ .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدركَ أصحابُنا محمدَ بن أبى نُعْمٍ لرجَموه، كان يُواصِل كذا وكذا يومًا ويُهِلُّ بالحج إذا رجع الناسُ من الحج .

وقال سلمانُ : القصـدَ والدوامَ وأنت السّابقُ الجـواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مَريم لَقِيَ رجلا فقال : ما تَصـنع ؟ قال : أتعبَّدُ . قال : مَنْ يعود عليك؟ قال : أخى، قال : أخوك أَعبدُ منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرّف» بدون أل . (٢) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنّى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان، يقال : بَشِمَ الرجلُ وأبشمه الطعامُ .

رَوْحُ بن عُبادةَ عن ٱلحجاج بن ٱلأسود قال : مَنْ يَدُلّنى على رجل بَكّاءٍ بالليل بَسّامٍ بالنهار ؟

وروى أبو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحـاق بن سُويد قال ، قال مُطرِّفٌ : انظروا قوما إذا ذُكِروا ذُكِرُوا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وٱنظروا قوما إذا ذُكِروا ذُكِروا بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب ٱلتوسّط فى ٱلمداراة وٱلحلم

قرأت فى كتاب للهنـد : بعضُ ٱلمقاربة حزمٌ ، وكلُّ ٱلمقـاربة عجزٌ ، كالخشبة ٱلمنصوبة فى ٱلشمس تُمـالُ فيزيدُ ظلُّها ، ويُفرَطُ فى ٱلإمالة فينقُص ٱلظلُّ . ومن أمثال العرب فى هذا : «لا تكن حُلْوًا فتُسْـتَرَطَ(١) ولا مُرًّا فتُلْفَظَ» وأبو زيد يقول : ولا مُرا فتُعقِيَ ، يقال : أعقَ ٱلشيءُ إذا ٱشتدّتْ مرارتُه(٢) . وقال الشاعر

* وإنّى لصعبُ ٱلرأس غيرُ جَمُوحِ *

وقال آخر فى صفة قوس

* فى كَفّه مُعطِيةٌ مَنُوعُ *

وقال آخر

* شِرْيَانَةٌ تَمنعُ بعد اللّينِ *

وقال أبرويز لٱبنه : اِجعل لٱقتصادك السلطانَ على إفراطك ، فإنك إذا قدّرتَ ٱلأمورَ على ذلك وَزَنْتَها بميزان ٱلحكمة وقوّمتها تقويمَ ٱلثّقاف ، ولم تجعل للنـدامة سلطانا على الحلم .

---

(١) سرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف فى قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشىءَ إذا لفظه من فيه لمرارته ، وبهذا يصح أن يكون الفعل مبنيا للمجهول ، وقد روى المثل بالوجهين كما فى اللسان .

وقال ٱلنابغة الجعدىّ

ولا خيرَ فى حِلمٍ اذا لم تكن له * بوادرُ تحمِى صَفْوَه أن يُكدَّرَا

وقال آخر

ولاخيرَ فى عِرْضِ ٱمرِئٍ لا يصونه * ولا خيرَ فى حِلمِ ٱمرِئٍ ذَلَّ جانبُـه

وقال أكثم بن صيفىّ : الانقباضُ من ٱلناس مَكْسَبَةٌ للعداوة، و إفراطُ ٱلأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَنَاءِ ٱلسُّوءِ .

باب ٱلتوسّط فى ٱلعقل وٱلرأى

رُوِى فى ٱلحديث أن زياد بن أبى سفيان كان كاتبا لأبى موسى ٱلأشعرىّ فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد : أعن عجزٍ عزلتَنى يا أميرَ المؤمنين أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكنّى كرِهتُ أن أحمِلَ على ٱلعامّة فضلَ عقلِكَ .
ويقال : إفراطُ ٱلعقل مُضِرٌّ بالجَدّ . ومن ٱلأمثال ٱلمبتذَلة : استأذنَ ٱلعقلُ على الجَدِّ فقال : اذهب لا حاجة بى اليك . وقال ٱلشاعر

فَعِشْ فى جَدِّ أَنْوَكَ حالفتْه * مقاديرٌ يُسـاعِدُها ٱلصوابُ

وقال آخر

إنّ ٱلمقاديرَ إذا ساعدَتْ * أَلْحقَتِ ٱلعاجزَ بالحازمِ

وقال آخر

أرى زمنا نَوْكاهُ أسعدُ أهلِه * ولكنّه يَشْقَى به كلُّ عاقلِ

وقال الحسن : تشبّه زيادٌ بعمرَ وأفرط ، وتشبّه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ .
وقالت الحكماء : فضـلُ ٱلأدب فى غيرِ دِينٍ مَهْلَكَةٌ ، وفضلُ ٱلرأى إذا لم يُستعمَلْ فى رِضوان الله ومنفعةِ ٱلنـاس قائدٌ إلى الذنوب، وٱلحفظُ ٱلزاكى الواعى لغيرِ العلم النافعِ مُضِرٌّ بالعمل ٱلصالح، والعقلُ غيرُ ٱلمورِّع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع ٱثنان : أحدهما سلطانىّ والآخر سُوقِىّ ، فضربه السلطانىّ فصاح : واعُمَرَاه ! ورُفِعَ خبرُه إلى المأمون فأمر بادخاله عليه، قال: مِنْ أين أنت ؟ قال: من أهل فَامِيَةَ، قال : إن عمرَ بن ٱلخطاب كان يقول : مَن كان جاره نَبَطِياًّ وٱحتاج الى ثمنه فَلْيبعْه، فان كنتَ تطلبُ سِيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم، وأمر له بألف درهم .

باب ذمّ فضل الأدب وٱلقول

قيل لبعض ٱلحكماء : متى يكون ٱلأدبُ شرًّا من عدمه ؟ قال : إذا كَثُرَ الأدبُ ونقصَ ٱلعقلُ . وكانوا يكرهون أن يَزِيدَ مَنطقُ الرجل على عقــله . ويقال : من لم يكن عقــلُه أغلبَ خصال ٱلخير عليــه كان حَتْفُه فى أغلب خصال ٱلخير عليه . وقال الشاعر

رأيتُ ٱللســانَ على أهــله * إذا ساسه ٱلجهلُ لَيْثاً مُغِيرَا

وقال سليمان بن عبد ٱلملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على مَنطِقٍ هُجْنةٌ، وأحسنُ مِن ذالكَ ما زَيَّنَ بعضُه بعضا .

قال ضِرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أمسِكى عليك ٱلفَضْلَيْنِ : فضلَ الغُلْمَة وفضلَ الكلام .

وقال عمر بن ٱلخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ ٱمرَأً أمسكَ فضلَ ٱلقول وقدّمَ فضلَ العــمل .

نزل ٱلمنذرُ بن ٱلمنذر فى كَتِيبةٍ موضعًا، فقال له رجل: أبيتَ ٱللّعنَ إن ذُبِحَ رجلٌ هاهنا، إلى أىّ موضع يبلغُ دمُه مِن هذه الرابيةِ؟ فقال ٱلمنذر : ٱلمذبوحُ واللهِ أنتَ، ولأنظرنّ أينَ يبلغُ دمُكَ، فقال رجل ممن حضر(١): «رُبَّ كلمةٍ تقولُ [لصاحبها](٢) دَعْنِى» .

(١) الذى فى مجمع الأمثال للميدانى : أن القائل هو المنذر نفسه .
(٢) الزيادة عن مجمع الأمثال للميدانى .

قال زياد على المنبر : إن الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمة لا يَقطعُ بها ذَنَبَ عنْزٍ مَصُورٍ ولو بلغتْ إمامَه سَفكتْ دمَه . وقال أكثم بن صيفيّ : مَقْتَلُ ٱلرجلِ بين فَكّيه . وقال ٱلأحنف : حَتْفُ ٱلرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه .

باب ٱلتوسّط فى ٱلجِدَة

كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهمّ إنى أعوذ بك من غِنًى مُبْطِرٍ ومن فَقرٍ مُلِبٍّ أو مُرِبٍّ[1]"، وكذلك "اللهمّ لا غِنًى يُطْغِى ولا فقراً يُنْسِى" .

وقال أبو ٱلمعتمر ٱلسُّلمىّ : ٱلناسُ ثلاثةُ أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ ٱلقناعة ، والأغنياءُ سُكَارَى إلا مَنْ عصمه اللهُ بتوقُّعِ ٱلغِيَر ، وأكثرُ ٱلخير مع أكثر الأوساط وأكثرُ الشرّ مع ٱلفقراء وٱلأغنياء لِسَخْفِ ٱلفقر وبَطَر ٱلغِنى . ومن أمثال ٱلعرب فى هذا : «بينَ المُمِخَّةِ والعَجْفَاء» .

باب ٱلاقتصاد فى ٱلإنفاق وٱلإعطاء

قال ٱلله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بن عبد العزيز عن إبراهيم ابن مسلم عن أبى الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدّثنى أيضا عن مسلم قال حدّثنا أبو قُدَامَةَ ٱلحارثُ بن عبيد قال حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن ٱلزُهرى قال ، قال أبو ٱلدَّرداء : حُسْنُ ٱلتقدير فى ٱلمعيشة أفضلُ من نصف ٱلكسب ، ولَقَط حَبًّا منثورا وقال : إن فقهَ ٱلرجل رفقُهُ فى معيشته .

---

(١) من ألبّ بالمكان وأربّ به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجاوِدوا ٱللهَ فإنه أجودُ وأمجدُ، وإنه لو شاء أن يُوَسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفعَلَ، فلا تُجهِدُوا أنفسكم فى ٱلتوسعة فتهلِكوا هُزْلًا.

قيل لمحمد بن عمران قاضى ٱلمدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله —: إنك تُنْسَبُ إلى البخل، فقال: والله إنى لا أَجمُدُ فى ٱلحق ولا أذوبُ فى ٱلباطل. وكان يقال: لا تَصُنْ كثيرًا عن حقٍّ ولا تُنفِقْ قليلا فى باطل. ومن أمثال العرب فى ذلك «لا وَكْسَ ولا شَطَطَ» و «إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ ٱلمنعُ». وقال ٱلشاعر

إلَّا أكُنْ كلَّ ٱلجـوَاد فإنّنى * على ٱلزاد فى ٱلظَّلماء غيرُ لئيمِ
وإلَّا أكن كلَّ ٱلشجاع فإننى * أَرُدُّ سِنان ٱلرمح غيرَ سَـليمِ
وقد علِمتْ عُلْيَـا هوازنَ أننى * فتاها وسُـفلَى عامرٍ وتَمـيمِ

قال معاوية: ما رأيتُ شرفا قطّ إلا وإلى جانبه حقٌ مُضَيَّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدّثنى ٱلرِّياشىّ قال حدثنا ٱلأصمعىّ قال حدثنا ابن عمران قاضى ٱلمدينة أن طلحة كان يقال له: [طلحة](١) ٱلخير، وطلحة ٱلفيّاض، وطلحة ٱلطَّلَحات وأنه فدى عشرة من أُسَارى بدر وجاء يمشى بينهم، وأنه سُئل برَحِمٍ فقال: ما سُئلتُ بهذه ٱلرحم قبل ٱليوم، وقد بعتُ حائطا لى بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخِيار، فإن شئتَ ٱرتجعتُه وأعطيتُكه، وإن شئتَ أعطيتُكَ ثمنَه.

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال أخبرنى شيخ من مَشْيَخَتِنا، — وربما قال: هارون ٱلأعور — أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلنى أبى إلى ضِرَار بن ٱلقعْقاع بن مَعْبد ٱبن زُرَارة فقال: قل له قد كان فى قومك دماء وجِراح، وقد أحبّوا أن تحضُرَ ٱلمسجدَ فيمن يَحضُر، قال: فأتيته فأبلغتُه فقال ياجارية: غَدِّينى، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية.

خُشْنٍ فثردتهنّ فى مَرِيس(١) ثم بَرَقَهن(٢) فأكل، قال قتيبة : فجعل شأنُه يصغُر فى عينى ونفسى، ثم مسح يده وقال : الحمدُ لله، حِنطةُ ٱلأهواز وتمرُ الفرات وزيتُ الشأم، ثم أخذ نعليه وٱرتدى، ثم ٱنطلق معى وأتى ٱلمسجدَ ٱلجامع فصلى ركعتين ثم ٱحتبى، فما رأته حَلْقَــة إلا تقوضت إليه، فاجتمع ٱلطالبون وٱلمطلوبون فأكثروا ٱلكلام، فقال : إلى ماذا صار أمرُهم؟ قالوا : إلى كذا وكذا من إبل، قال : هى علىّ، ثم قام.

الهيثم عن ٱبن عباس قال : كان معدِيكرِب بن أَبْرَهة جالسا مع عبد ٱلعزيز بن مروان على سريره فَأُتِى بفتيانٍ قد شربوا ٱلخمرَ، فقال : يا أعداء الله، أتشربون الخمرَ! فقال معديكرب : أنشُدُكَ ٱلله أن تَفضَح(٣) هؤلاء، فقال : إنّ ٱلحق فى هؤلاء وفى غيرهم واحد، فقال معديكرب : يا غلام صُبَّ من شرابهــم فى ٱلقدح، فصبّ له فشربه وقال : والله ما شرابُنا فى منازلنا إلا هذا، فقال عبد ٱلعزيز : خَلّوا عنهم، فقيل له حين ٱنصرفوا : شَرِبتَ الخمرَ! فقال : أما والله إن الله ليعلم أنّى لم أشربْها قطّ فى سِرٍّ ولا علانية، ولكنّى كرِهتُ أن يُفضَحَ مثل هؤلاء بمحضرى(٤).

وحدّثنى شيخ لنا قال : مدح شاعرٌ ٱلحسنَ بن سهل، فقال له : احتَكِمْ، وظنّ أن همّتــه قصيرةٌ، فقال : ألف ناقة، فوَجَمَ ٱلحسنُ ولم يمكنه، وكره أن يَفتضِحَ وقال : يا هذا إنّ بلادنا ليست بلادَ إبل، ولكن ما قال ٱمرؤ القيس

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعزَى * كأنّ قرونَ جِلّتها العِصىُّ(٥)

قد أمرتُ لك بألف شاة، فأَلْقَ يحيى بن خاقان، فأعطاه بكلّ شاة دينارا.

---

(١) فى هامش النسخة الفتوغرافية : «المريس تمروزيت»، وفى القاموس أنه التمر المروس أو اللبن.

(٢) برق الطعام بزيت أو سمن : جعل فيه منه قليلا. قاموس.

(٣) هكذا بالنسخ التى بأيدينا، وظاهر الكلام يتوقف على "لا" النافية.

(٤) فى الأصل بمصرى وهو تحريف. (٥) فى الأصل : عِصِىّ. والتصحيح عن الديوان والأغانى.

قال : وقدم زائرعلى أبى دُلَف فأمر له بألف دينار وكُسوةٍ ثم قال – و يقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر –

أَعْجَلْتَنا فأتاك عاجـلُ بِرّنا * قـلًّا ولو أمهلْتنا لم يَقْلِـلِ
فَخُذِ القليلَ وكن كأنك لم تَقُلْ * شيئا ، ونحن كأننـا لم نفعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفِتيان من فضل مالٍ * إنمـا الجـودُ للمُقِـلِّ المُوَاسِى

وقال دِعْبِل فى نحوه

لئن كنتَ لا تُولِى يدًا دون إمْرة * فلستَ بمُـولٍ نائـلًا آخرَ الدّهرِ
فأىُّ إناءٍ لم يَفِضْ عنـد مَلئِه! * وأىُّ بخيـلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوَفْرِ!
وليس الفتى المعطِى على اليسر وحدَه * ولكنه المعطِى على العسر واليسر

ابن الكلبىّ قال : أخبرنى غيرُ واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدُعِىَ القاسم ليَقْسِم ، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله : أقِمِ المِطْمَرَ ، يعنى الحبل الذى يمد . فقال له عبيد الله : يا أخى ، الدارُ دارك لا يُمَدُّ واللهِ فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أراد العلمَ والسخاءَ والجمـالَ فليأتِ دار العباس ، كان عبدُ اللهِ أعلمَ الناسِ ، وعبيدُ اللهِ أسخَى الناسِ ، والفضـلُ أجملَ الناسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضا بثمـانين ألفا ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المـال ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هـذا المـالَ ذخرا لى عند الله ، وأجعلُ اللهَ ذخرا لولدى ، وقَسَمَ المـالَ .

ويقال : إنّ أوّلَ ما عُرِفَ به سُؤدُدُ خالد بن عبد الله القَسرى أنه مرّ فى بعض طرق دِمشقَ وهو غلام فأوطأ فرسَه صبيًّا فوقف عليه ، فلما رآه لا يتحرّك أمرَ غلامَه

فحمله، ثم آنتهى به إلى أول مجلس مرّ به فقال : إنْ حَدَثَ بهذا الغلامِ حَدَثُ الموتِ فأنا صاحبُه، أوطأْتُه فَرسى ولم أعلم .

قال عدِىُّ بن حاتم لآبنٍ له حَدَثٍ : قُمْ بالباب فامنع مَنْ لا تعـرِفُ وأْذَنْ لمن تَعرف، فقال : لا والله، لا يكونُ أوّلُ شيءٍ وَلِيتُه من أمرِ الدنيا مَنْعَ قومٍ من الطعام .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ضاف بَنِى زِيادٍ العبسيّين ضيفٌ، فلم يَشعُرُوا إلا وقد آحتضن أُمَّهُم من خلفها، فَرُفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقـال : لا يُضَارّ الليلةَ عائذُ أمّى، إنه عاذَ بحَقْوَيْها .

المدائنىّ قال : أحدثَ رجلٌ فى الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب، فلما سَلَّمَ عمرُ قال : أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يَقُم أحدٌ، فقـال جرير ابن عبـد الله : يا أميرَ المؤمنين آعزم على نفسك وعلينا أن نتوضأَ ثم نُعيدَ الصلاةَ، فأمّا نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبُنا فيَقْضِى صلاتَه، فقال عمرُ : رحمك الله، إنْ كنتَ لشريفا فى الجاهلية فقيها فى الإسلام .

كان عبدُ الله بنُ جُدْعانَ التيمىّ حين كَبِر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعْطِىَ شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادنُ مِنّى، فإذا دنا منه لطَمه ثم قال : اذهب فاطلبْ بلَطْمتك أو تُرضَى، فتُرضِيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابنُ قيس الرُّقَيّات — حين فخرَ بسادة قريش —

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تَبِـعَ اللَّطْمَ نائـلٌ وعطاءُ

وآبن جُدْعان هو القائل

إنّى وإن لم يَنَلْ مالى مَدَى خُلُقِى * وهّابُ ما ملكتْ كفّى من المـال

لا أحبِسُ المـالَ إلّا رَيْثَ أُتلفُه * ولا تُغيِّرُنى حالٌ عن الحـال

الهيثم عن حمّاد ٱلراوية عن مشايخ طيئ قالوا : كانت عنبةُ[1] بنتُ عفيفٍ أمُّ حاتم لا تُليق[2] شيئا سخاءً وجودا ، فمنعها إخوتُهـا من ذلك فأبتْ ، وكانت مُوسرةً فحبسوها فى بيتٍ سنةً يُطعِمُونها قُوتَها رَجاءَ أن تَكُفَّ ، ثم أخرجوها بعد سنةٍ وظنّوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمةً[3] ، فأتتها آمرأة من هَوَازنَ فسألتْها فأعطتها الصِّرمةَ وقالت : وٱلله لقد مسّنى من الجوع ما آليتُ معه ألّا أمنعَ سائلا شيئا ، وقالت

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضّنى ٱلجوعُ عَضّةً * فآليتُ أَلّا أمنـعَ الدّهرَ جائعـا
فقولا لِهـذا ٱللّائمِى ٱلآن أَعْفِنى * فإن أنْتَ لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا
[فـماذا[4] عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عذلكم أو عذلِ مَنْ كان مانعا]
ولا ما[5] تَرَوْنَ الدّهرَ إلا طبيعةً * فكيف بتركى يا بن أُمِّ الطبائعَا

آبن الكلبيّ عن أبيه عن رجالات طيئ قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا ، وكان حيثما نَزَل عُرِفَ منزلُه ، وكان ظَفِراً إذا قاتل غَلَبَ ، وإذا غَنِمَ أَنْهبَ ، وإذا سُئِلَ وَهبَ ، وإذا ضَرَبَ بالقِدَاحِ سَبَقَ ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ ، وكان أقسمَ بالله : لا يقتُل واحدَ أُمّه .

(١) كذا بالنسختين بعين مهملة ونون وباء موحدة بعدها . و يوافقه مافى الشعر والشعراء للؤلف وعلق عليه ناشره بأنه يُروى «عتبة» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أورباص ١٢٣ و١٢٤ ، وفى الأغانى طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عتبة» . وكذا فى شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه فى رواية الميدانى «غنية» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُليق : لا تُمسك .

(٣) القطعة من الابل واختلف فى عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغانى وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفى الأغانى وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ ، وفى هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو اليقظان قال : أخذَ عبيدُ الله بن زياد عروةَ بنَ أُذينةَ[1] [أخا][2] أبى بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله : انظروا هؤلاء الموكَّلين بى فأحْسِنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنده ما سأل قال : اكتب علىّ بمسألتك سِجِلًّا إلى أيام يُسْرِى .

باع أعرابىّ ناقةً له مِنْ مالك بن أسماء، فلما صار الثمن فى يده نظر إليها فَذَرَفَتْ عيناه، ثم قال

وقد تَنزِعُ الحاجاتُ يا أمّ معْمرٍ * كرائمَ مِنْ ربٍّ بهنّ ضَنِينِ

فقال له مالك : خُذ ناقتكَ وقد سوّغتُكَ الثمنَ . اشترى عبيدُ الله بن أبى بكْرة جاريةً نفيسةً فطُلِبَتْ دابةٌ تُحمَلُ عليها فلم تُوجَدْ ، فجاء رجل بدابّةٍ فحملها ، فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية الى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبى بكْرة دارَ الصّفاق من مُقاتِل بن مِسْمَع نَسِيئةً ثم اقتضاه فلزمه فى دار أبيه، فرآه عبيدُ الله فقال : مالَكَ؟ قال : حبسنى ابنُكَ . قال : بِمَ؟ قال : بثمن دار الصّفاق، قال : يا ثابتُ أما وجدتَ لغُرَمائكَ محْبِسًا إلّا دارى، إدفع اليه صَكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالَكَ تنزل فى الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف فى الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة و يتناولهم مَنْ يريدهم بالحاجة . لمّا كَبِرَ عَدِىُّ بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وهو محرّف عن "أُدَيّة" ، وعروة بن أدية هذا هو الذى قتله عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا المجلد الثانى من القسم الثانى ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوربا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكنى بأبى بلال انما هو أخوه مرداس بن أُدَيّة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا فى ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لحيًا فنهشت الأرضُ فخذيه بجمع قومه فقال : يابَنِى ثُعَل ، إنى لستُ بخيركم إلا أن تَرَوْا ذلك فقد كان أبى بمكانٍ لم يكن به أحدٌ من قومه ، بَنَى لكم الشرفَ ونَفَى عنكم العارَ فأصبح الطائىّ اذا فعل خيرا قال العرب : مِنْ حَىٍّ لا يُحْمَدُون على الجود ولا يُعذَرُونَ على البخل ، وقد بلغتُ من السنّ ما تَرَوْنَ وآذانى بردُ الأرض فأْذَنُوا لى فى وِطَاءٍ فواللهِ ما اريده فخرًا عليكم ولا احتقارًا لكم ، وسأخبركم : ما على مَنْ وضَعَ طِنْفِسَةً وقُعِدَ حوله الا أنّ الحقّ عليه أن يَبذُل فى عِرضه ويَنخدِعَ فى ماله ولا يَحسُدَ شريفا ولا يحقرَ وضيعًا ، فقال القوم : دعنا اليوم ، ثم غَدَوْا عليه فقالوا : يا أبا طَرِيف ضَعِ الطِّنفَسَةَ وآلبَسِ التاجَ ، فبلغ ابنَ دَارَةَ الشاعرَ فأتاه وقال : قد مدحتُك ، فقال : أَمسِكْ عليك حتى أُنبئَكَ بمالى فتمدَحَنى على حَسَبه ، لى ألفُ ضائنةٍ وألفا درهم وثلاثةُ أعبُدٍ(١) ، وفرسى هذا حبيسٌ فى سبيل الله ، هاتِ الآنَ فقال

تَحِنُّ قَلُوصِى فى مَعَــدٍّ وإنمـا * تُلَاقِى الربيعَ فى ديارِ بَنِى ثُعَــلْ
وأبقَى اللّيالِى مِنْ عدىّ بن حاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنِ المِلح(٢) سُلَّ مِنَ الخِلَلْ
أبوكَ جــوادٌ ما يُشَــقُّ غُبارُهُ * وأنتَ جوادٌ لستَ تُعذَرُ بالعِلَلْ
فان تفعلوا شرًّا فمثلُكُمُ آتَّقِى * وإن تفعلوا خيرًا فمثلُكُمُ فَعَــلْ

فقال : أَمسِكْ عليك ، لا يبلغُ مالى أكثرَ من هذا ، وشاطره مالَه .

جاء رجل الى مَعْنٍ فاستحمله عَيرًا فقال معنٌ : ياغلامُ أعطه عَيرًا و بغلا و بِرْذَونًا وفرسا و بعيرًا وجاريةً ، ولو عرفتُ مركوبا غيرَ هــذا لأعطيتُكه . وكان يقال : حَدِّثْ عن البحر ولا حرجَ وعن بنى إسرائيل ولا حرجَ وعن معنٍ ولا حرجَ . قال رجل من كَلْب للحكم بن عَوانة وهو على السِّند : إنما أنت عبدٌ ، فقال الحكم : والله لَأُعطِينّك عطيّةً

(١) فى العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة «وثلاث إماء» .

(٢) رواية العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائةَ رأس من السَّبْي . وقرأت فى بعض كتب العجم أن جاماتِ كسرى التى كان يأكل فيها كانت من ذهب ، فسرَق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى يَنظُر إليه ، فلما رُفعت الموائدُ ٱفتقدَ الطبَّاخُ الجـامَ فرجع يَطلبها ، فقال له كسرى : لا تَتَعَنَّ فقد أخذَها مَنْ لا يردّها ورآه مَنْ لا يُفْشِى عليه ، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلّى سيفَه ومِنْطَقَته ذهبا ، فقال له كسرى بالفارسية : يافلان هذا ، يعنى السيفَ ، مِنْ ذاك قال : نعم وهذا ، وأشار الى مِنطَقَته . قالوا : لم يكن لخالد بن بَرْمَك أخٌ إلا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشُهُمْ أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له .

بلغ ٱبنَ المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدينٍ ركبه وكان يجلس فى ظلّ داره ، فقال : ما قمتُ إذًا بحرمة ظلّ داره إن باعها مُعْدِمًا و بتُّ واجدًا ، فحمل اليه ثمنَ الدار وقال : لا تَبِعْ . قال أبو اليقظان : باع نَهِيكُ بن مالك بن معاوية إبلَهُ وٱنطلق بثمنها الى مِنًى فجعل يُنْهِبُهُ ، والناسُ يقولون : مجنونٌ ، فقال : لستُ بمجنونٍ ولكنّى سَمْحٌ أُنهبكُم مالى اذا عزَّ الفتحُ . قال : وأتى عبدَ الله بنَ جعفر قَهْرَمانُه بحسابه فكان فى أوله حبلٌ بخمسين درهما ، فقال عبد الله : لقد غلَتِ الحبالُ ، فقال القَهرَمانُ : إنه أبرقُ ، فقال عبد الله : إن كان أبرقَ فأنا أُجيزُه ، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة . كان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له : يا هذا ، إنك قد اخترتَنى جارا فجنايةُ يدِكَ علىّ دونك ، و إن جَنَتْ عليك يدٌ فاحتكِمْ علىّ حُكْمَ الصبىّ على أهله . وقال بعض الشعراء — يُثنى على قوم بحسن الجِوَار —

هُمُ خلطونى بالنفـوس ودافعوا * ورائى بركنٍ ذى مَناكِبَ مِدْفَعِ
وقالوا تَعلَّم أن مالكَ إن يُصَبْ * يَعُدْكَ و إن تُحبَسْ يرِدْكَ ويَشْفَعِ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمى عن حاتم بن أبى صَغيرةَ عن حبيب بن أبى ثابت أن الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبى جَهْل وعَيَّاشَ بن أبى ربيعة خرجوا يوم اليَرْمُوك

حتى أنبتُوا ، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشربه ، فنظر إليه عكرمةُ فقال : ادفعه الى عكرمةَ فنظر اليه عيّاشٌ فقال عكرمةُ : ادفعه الى عيّاشٍ ، فما وصل إلى عيّاشٍ حتى مات ولا عاد اليهم حتى ماتوا ، فسُمِّى هذا حديثَ الكرام . وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل السِّيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِل يومَ أَجْنَادِينَ وعَيّاشٌ مات بمكة ، والحارثُ مات بالشأم فى طاعون عَمْوَاس [1] .

أعطى رجلٌ [2] آمرأةً سألته مالا عظيما ، فلاموه وقالوا : إنها لا تعرِفُكَ وإنما كان يرضيها اليسيرُ ، فقال : إن كانت ترضى باليسير فانّى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرِفُنِى فأنا أعرِفُ نفسى .

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يَقِى الذمَّ ربَّهُ ﴿ ونفسِ آمرئٍ فى حَقِّها لا يُهِينُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِى تَتُوقُ الى أمورٍ ﴿ ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالى [3]
فنفسِى لا تُطاوِعُنِى ببخلٍ ﴿ ومالى لا يُبَلِّغُنِى [4] فَعَالى

وقال أيضا

ولا أقولُ نَعَمْ يوماً فَأُتْبِعُهَا ﴿ مَنْعاً ولو ذَهبَتْ بالمالِ والولدِ
ولا آؤْتُمِنْتُ على سِرٍّ فَبُحْتُ به ﴿ ولا مَدَدتُ الى غيرِ الجميل يَدِى

وقال كعب بن سعد الغَنَوِىّ

وذى نَدَبٍ دَامِى الأظَلِّ [5] قَسمتُه ﴿ محافظةً بانى وبين زَمِيلِى

(١) هكذا بفتح أوّله وسكون ثانيه كما فى التاج وكما نقل دو عن الروض الانُف للسهيلى ، ثم نقل أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البَكْرىّ فى معجمه ضبطها كذلك . (٢) هو عبد الله بن جعفر كما فى العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذى فى ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزى «مالى» .

(٤) فى الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح التبريزى ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظَلّ بطن الأصبع من الانسان ، ومن الإبل باطن المنسم .

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تجمُّلا * لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أَكيلِي
وما أنا للشئ الذى ليس نافِعِى * ويَغضَبُ منه صاحبى بِقَؤُول

وقال زهير

وأبيضَ فيّاضٍ يَداه غمامةٌ * على مُعْتَفِيه ما تُغِبُّ نوافِلُهْ
غَدوتُ عليه غَدوةً فوجدتُه * قُعودًا لديه بالصَّرِيم عَوَاذِلُهْ
فأعرضْنَ منه عن كريمٍ مُرَزَّإٍ * جَمُوعٍ على الأمر الذى هو فاعِلُهْ
أخِى ثِقَةٍ لا تُذْهِبُ الخمْرُ(١) مالَه * ولكنه قد يُذهِبُ المالَ نائِلُهْ
تراه اذا ما جِئْتَه متهلِّلا * كأنكَ تُعطِيه الذى أنتَ سائِلُهْ

المدائنىّ قال : أضلّ فَيروزُ بنُ حصين سوطَه يوما ، فأعطاه رجلٌ سوطا فأمر له بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَن أنتَ؟ قال : صاحبُ السوط فأمر له بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَن أنتَ؟ قال : صاحبُ السوط ، قال : أعطوه ألفَ درهم ومائةَ سوطٍ فٱنقطع عنه . قال الشاعر

إنّى حَمِدْتُ بَنِى شَيْبانَ اذ خَمَدَتْ * نيرانُ قومِى فشَبَّتْ فيهم النارُ
ومِن تكرُّمِهمْ فى المَحْلِ أنّهمُ * لا يَحْسَبُ الجارُ فيهم أنه جارُ

وقال آخر

نزلتُ على آل المهلّب شاتيًا * بعيدًا قَصِىَّ الدار فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بِى إلطافُهُمْ وٱفتقادُهمْ * وإكرامُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أهلى

وقال آخر

إذا كان لى شيئانِ يا أمَّ مالكٍ * فإنّ لِجارى منهما ما تَخَيَّرا

(١) فى الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأَهْتَم

ذَرِينِي فانّ الشُّحّ [1] يا أمَّ هيثَمٍ * لِصالحِ أخلاق الرجال سَرُوقُ
ذَرِينِي وحُطِّى [2] فى هَواىَ فإنّنى * على الحَسَب العالى الرّفيع [3] شَفِيقُ
ومُستَمْنِحٍ بعد الهُدُوءِ دعوتُه * وقد كان مِنْ سارِى الشتاءِ طُرُوقُ
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبًا * فهذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَديقُ
أضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليه ولم أقُلْ * لِأحْرِمَهُ إنّ الفِناءَ مَضِيقُ
لَعَمْرُكَ ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارى بنى هاشم ، وجَفْنةٌ لجاره ومِقْطَرَةٌ [4] لجاهلهم . قال بكر بن النَّطّاح

ولو خَذَلَتْ أموالُه جودَ كفّه * لَقَاسَمَ مَنْ يرجوه بعضَ حياته
ولو لم يَجِد فى العُمْر قِسماً لزائرٍ * لجادَ له بالشَّطْرِ مِنْ حسناته

وقال الفرزدق

إنّ المهالبةَ الكرامَ تَحمّلوا * دفعَ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمَهُمُ بحسن حديثهم * وكريمَ أخلاقٍ بحسن وجوه

كان يقال : الشّرفُ فى السَّرف . قال عامر بن الطُّفيل

اذا نزلَتْ بالناس يومًا مُلِمّةٌ * تَسوقُ من الأيام داهيةً إدًّا

---

(١) فى الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، ج ٤ ص ٩٤

(٢) فى الأصل : حظّى بالظاء المعجمة ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، ج ٤ ص ٩٤ وتاج العروس فى مادة «حطّ» و يقال كما فى أساس البلاغة : «حطّ فى هواه وانحط فيه» أى اندفع فيه والمراد منه فى البيت مساعدته على الجود . (٣) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤ «الزاكى» . (٤) هى خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخل فيها أرجلُ المحبوسين .

دَلَفْنا لهـا حتى نُقَـوِّمَ مَيْـلَهَا * ولم نَهْـدَ عنها بالأسنّة أو تَهْـدَا
وكم مُظْهِـرٍ بَغْضاءنا وَدَّ أننـا * اذا ماالتقينا كان أَخْفَى الذى أبدَى
مَطَاعيمُ فى اللّأوا مَطَاعِينُ فى الوغى * شمائلُنا تَنْكِى وأيمانُنا تَنْـدَى

وقال حاتِم طيٍّ

أَكُفُّ يدِى منْ أن تَنالَ أَكُفَّهُم * اذا ما مَدَدناها وحاجتُنَا مَعَـا (١)
وإنى لأستَحْيِي رَفيقِيَ أن يَرَى * مكانَ يدِى مِنْ جانبِ الزادِ أقرَعَا

وقال جابر بن حبّان (٢)

فإن يَقْتسِمْ مالى بَنِىَّ ونِسْـوَتِى (٣) * فلن يَقْسِمُوا خُلْقِى الكريمَ ولا فعْلِى
وماوجدَ الأضـيافُ فيما يَنُوبُهُمْ * لهم عندَ عِلَّاتِ النفوسِ (٤) أباً مِثلِي
أُهِـينُ لهم مالى وأعْـلَمُ أنّنى * سَأُورِثُه الأحياءَ سِـيرةَ مَنْ قَبلى

كان سعيد بنُ عمرو مُؤاخِيا ليزيدَ بن المهلب، فلما حبَسَ عمرُ بن عبدالعزيز يزيدَ ومُنِـعَ من الدخول عليه، أتاه سعيدٌ فقال: يا أميرَالمؤمنين، لِى على يزيدَ خمسون ألف درهم وقد حُلْتَ بينى و بينه، فان رَأيت أن تأذَن لى فَأَقْتَضِيَه ؟ فأذِن له فدخل عليه فَسُرَّ به يَزِيدُ، وقال: كيف وصلتَ الىّ، فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهى معك فآمتنع سـعيدٌ فحلف يزيدُ ليَقبضَنّها، فقال عَدِىّ بن الرِّقَاع

(١) كذا فى الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزى ج ٤ ص ١١٨
أكفّ يدى عن أن ينال التماسها * أكفّ صِحَابى حين حاجتُنا معا

(٢) هكذا فى الأصول «حبّان» بالباء الموحدة . والذى فى ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزى ج ٤ ص ١١٦ «حيّان» بالياء المثناة . (٣) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٦ «و إخوتى» . (٤) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٧ «عِلّات الزمان» .

لم أر محبوسا من الناس واحدًا * حبَا زائرا فى السجن غير يزيدِ
سـعيدُ بنَ عمرو إذ أتاه أجازه * بخمسين ألفا عُجِّلَتْ لِسَعيدِ

وقال بعضُ الشعراء

وإنّى لحَـلَّالٌ بِىَ ٱلحقُّ، أَتَّقِى * إذا نزلَ الأضيافُ أن أَتجهَّمَا
إذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحُـومها * حَلبنَا لهم منهـا بأسـيافنا دَمَا

دخل شاعر على المهدى فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرّقه على مَنْ حضر وقال

لمستُ بكفّى كفّه أبتَـغِى الغِنى * وما خِلْتُ أنّ الجودَ مِنْ كفّه يُعْدِى
فلا أنا منـه ما أفادَ ذَوُو الغِنَى * أَفَدْتُ وأَعْدَانِى فبدّدتُ ما عندى

أخبرنى أبو الحسن على بن هارون الهاشمىّ قال، أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو العَيْناء قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهودىّ وكان ذا مالٍ وقد تأدَّبَ وقال الشعرَ وعرفَ شيئا من العلوم وكان له وَلَدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاةُ جمعَ مالَه وفرّقه على أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتبَ على ذلك فقال

رأيتُ مالى أبرَّ من وَلَدِى * فاليومَ لا نِحْـلةٌ ولا صَدَقَهْ
مَنْ كان منهـم لها فأبعـده اللهُ ومَنْ كان صالحا رَزَقَهْ

وحدثنى الأخفشُ بهذا الخبرِ عن المبرّد عن الرِّياشىّ والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهى المجلد الأوّل ويتلوه فى أوّل المجلد الثانى
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

كتابُ
الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابهُ الناس فى الطبائع وذمّهم

حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا يحيى بن هاشم الغَسّانىّ عن إسماعيل بن أبى خالد عن مُصْعَب بن سعد قال، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : النّاسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم . قال وحدّثنى حسين بن الحسن المروزىّ قال، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدَّرْداء : «وجدتُ الناسَ اُخبُرْ تَقْلِهْ(١)» .

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا شُرَيحُ بن النعمان عن المُعَافَى بن عمر أن عمرَ آبن الخطاب رضى الله عنه مرّ بقوم يَتبَعُون رجلا قد أُخِذَ فى رِيبةٍ فقال : لا مرحبا بهذهِ الوجوهِ التى لا تُرَى إلا فى الشرّ .

قال وحدّثنى محمد بن داود قال، حدّثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال حدّثنا عَثّامُ ابن علىّ عن الأعمش عن أبى إسحاق عن عَبِيدَةَ أن الوليد السُّوائىّ قال : لَغَطَ قومٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل : يارسولَ الله لو نَهيتَهُمْ! فقال : "لو نَهيتُهم أن يأتُوا الحَجُونَ لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجةٌ" .

(١) القلى البغض وهو من باب نصر و رمى و رضى والهاء فيه للسكت اذ أصله اخبر الناس تقلهم فحذف الضمير وحل محله الهاء وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعت الناسُ ينتجعون غيثا * البيت . ومعناه وجدت : الناسُ مقول فيهم ذلك . و روى أيضا بنصبه، وتقديره وجدت : النّاسَ اخبر تَقْلَه أى وجدت الأمر كذلك، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك اذا خبرتهم قليتهم، وهو مثل يضرب فى ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحُدّثنا عن عفّانَ عن مهدىّ بن ميمون عن غَيلانَ بن جرير قال قال مطرّف: هم الناس وهم النِّسْنَاس وناسٌ غُمِسُوا فى ماءِ الناس .

قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنَا بالجزَع لَصَبَرْنَا .

وكان يقال : لو نُهِىَ الناسُ عن فَتّ البَعْر لَفَتُّوه، وقالوا : ما نُهِينَا عنه إلا وفيه شىءٌ . وقال الشاعر

ولمـا أن أَتيتُ بنى جُوَيْنٍ * جلوسًا ليس بينهُــمُ جَلِيسُ
يَئِستُ مِنَ التى أقبلتُ أَبغِى * لديهم ، إنّنى رجلٌ يَئُوسُ
إذا ما قلتُ أَيُّهُــمُ لِأَىٍّ * تشابَهَتِ المناكبُ والرءوسُ

ويقال : "لا يزالُ الناسُ بخيرٍ مَا تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا"(١) .

وقال آخر

النّاسُ أَسْوَاءٌ(٢) وشَتّى فى الشِّيَمْ * وكُلُّهُــمْ يجمعُهُمْ بيتُ الأَدَمْ

وقال آخر — يذكر قوما —

سَوَاءٌ(٣) كأسنانِ الحمارِ ولا تَرَى(٤) * لِذِى شَيبةٍ منهم على نَاشِئٍ فضلا

وقال آخر «سَوَاسِيَةٌ كأسنانِ الحمار»(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوّاقٌ الى مالم يَنَلْ»(٥)

والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرةِ فهو ذليل .

(١) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير فى النهاية والمرتضى فى تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ "لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا" الخ .

(٢) رواه فى اللسان : الناس أخياف الخ، والأخياف الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفى اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفى اللسان « فما » . وفى مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنّ الفاء هنا أحسن موقعا من الواو وأنسب للسياق .

(٥) كلاهما مثل كما فى مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مَملولٌ مَحقورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كَلَفًا بالحُبِّ أن مَنَعتْ * أَحَبُّ[(١)] شَىءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقال آخر

تَرَى الناسَ أسواءً إذا جلسوا معًا * وفى الناسِ زَيفٌ مثلُ زَيفِ الدّراهم

ويقالُ : الناسُ سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضًا .

وقال طَرَفَةُ

كُلُّ خليلٍ كنتُ خالَلتُهُ * لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَهْ
كلُّهُمُ أرْوَغُ منْ ثعلبٍ * ما أشْبَهَ اللّيلةَ بالبارِحَهْ

وقال آخر

فإنكَ لا يَضُرُّكَ بعد حَوْلٍ * أظبىٌ كان أمَّكَ أم حمارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالِى * وماجَ اللُّؤم واختلطَ النُّجارُ
وعاد العبدُ[(٢)] مثلَ أبى قُبَيس * وسِيقَ معَ المُعَلْهَجَةِ[(٣)] العِشارُ

يقول : سِيقتِ الإبلُ الحوامِلُ فى مهرِ اللئيمة .

---

(١) كذا بالأصول . وفى لسان العرب فى مادة «حبّ»

* وحَبَّ شيئًا الى الانسان ما مُنِعَا *

وأصله حَبُبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت فى الثانية ، وما فى قوله ما مُنِعَ فى موضع الرفع بحَبّ .

(٢) وفى رواية حكاها صاحب خزانة الأدب فى ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولا ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضيع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه فى كتابه عن خداش بن زهير ج ١ ص ٢٣ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغنى عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حَسِيسا ولا أرَى أنِيسا، صبيانٌ حيارَى مَا لَهُمْ تفاقَدُوا [عُقُولُهُمْ](١) وفَرَاشُ نار وذِبّانُ طَمَعٍ.

وقال أبو حاتم عن الأصمعىّ: لو قسمتُ فى النـاس مائةَ ألف درهم كان أكثرَ للائمَتى مِن لو أخذتُها(٢) منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع.

وقال ابن بشير

سَــوْءَةً للناس كُلِّهِــمُ * أنَا فى هــذا منَ آوّلِهِمْ
لستَ تَدْرِى حِين تَنْسُبُهُمْ * أينَ أدناهم مِنَ آفْضَـلِهِمْ

وقال نهارُ بن تَوْسِعَةَ

عَتَبتُ على سَــلْمٍ فلمّـا فَقَدْتُه * وَجَرَّبْتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمٍ

وهذا مِثل قولهم: ما بكيتُ من زمان إلا بكيتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مَرَّ يومٌ أرتَجِى فيــه راحةً * فَأَخْبُرُهُ إلّا بَكَيتُ على أمسِ

وقال آخر

ونَعْتِبُ أحيانا عليــه ولو مضى * لكُنّا على الباقى مِنَ الناس أعْتَبا

وقال آخر

سَــبَكْنَاهُ ونَحْسَــبُهُ لُجَيْنًــا * فَأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال، وحدّثنى أبو حاتم، قال حدّثنى الأصمعىّ عن آبن أبى الزِّناد عن أبيه قال: لَا يزالُ فى الناس بَقِيَّةٌ ما تُعُجِّبَ مِنَ العَجَب.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) فى النسخة الفتوغرافية «أن» بدل من.

رجوعُ المتخلّق الى طبعه

بلغني أن أعرابيا ربّى جَرْوَ ذئب حتى شَبَّ وظنّ أنه يكون أغْنَى عنه مِنَ الكلب وأقوى على الذبِّ عن الماشية فلما قَوِىَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكل منها فقال الأعرابىّ

أَكَلْتَ شُوَيْهَتِى ورَبيتَ فينا * فَمَا أدراكَ أَنّ أباكَ ذيبُ

ويُروَى

* وُلِدتَ بِقَفْرَةٍ ونَشَأْتَ عندى *

إذا كان الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ * فليسَ بنافعٍ أدبُ الأديبِ (١)

وقال الخُرَيمىّ

يُلَامُ أبو الفضل فى جُودِه * وهل يملك البحرُ ألّا يَفيضَا

وقال أبو الأَسَدِ

ولَائِمةٍ لَامتكَ يا فَيضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللَّومُ فى البحر
أرادَتْ لِتَثْنِى الفَيضَ عن عادةِ الندى * ومَنْ ذَا الّذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْر
مَواقِعُ جُودِ الفَيضِ فى كُلِّ بلدةٍ * مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ

وقال كُثَيِّر

ومَنْ يَبتَدِعْ ماليس مِنْ سُوسِ (٢) نفسه * يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النّفس خِيمُها

وقال زهير

ومَهما تكُنْ عند آمرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وإن خَالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

(١) كذا فى الأصول، وعليه يكون فى البيت إقواء، وروى فى حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢
* فليس بنافع فيها الأديب * وبهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذى فى اللسان : «مِن خِيمِ» والخيم الطبيعة والأصل كالسوس .

وأنشدنى آبن الأعرابىّ لذى الإصبع العَدْوَانىّ

كلّ آمرئٍ راجعٌ يوماً لشِيمَتِه * وإن تَخَلَّق أخلاقاً الى حينِ

وقال آخر

إرْجِع الى خُلْقِك المعروفِ دَيدَنُه * إنّ التخلُّقَ يأبى دونَه الخُـلُقُ

وقال كُثَير فى خِلاف هذا

وفى الحلم والإسلامِ للمرءِ وازعٌ * وفى تركِ أهواءِ الفؤادِ المتيّم

بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُستبينةٌ * وأخلاقُ صِدقٍ علمُها بالتعلّم

ونحوه للتلمس

تَجاوَزْ(١) عن الأَدْنَيْنَ وآستبقِ وُدّهمْ * ولَنْ تَستطِيعَ الحِـلْمَ حَتّى تَحَلَّمَا

وقال الطائىّ

لَيسَ الشَّجَاعَةَ إنهـا كانت له * قِدْماً نَشُوءاً فى الصِّبا ولُدُودَا

بَأْساً قَبِيلِيّاً وبَأسَ تَـكَرُّمٍ * فينا(٢) وبأسَ قريحـةٍ مَولُودَا

وقال أبو جعفر الشِّطْرَنجىّ مولى المهدىّ فى سَودَاءَ

أَشْبَهكِ المسكُ وأَشْبَهْتِهِ * قائمةٌ فى لَونِهِ قَاعِـدَهْ

لا شَكَّ إذْ لَونُكُما واحدٌ * أَنَّكُما من طينـةٍ واحِدَهْ

وقال أبو نُوَاس

تَلْقَى النَّدَى فى غيره عَرَضًا * وتَراه فيـــه طَبيعةً أَصْـلَا

واذا قَرَنْتَ بِعَـاقِلٍ أَمَلًا * كانت نَتِيجَـةُ قَولِه فِعْـلَا

وأنشدنا الرِّيَاشىّ

لا تَصحَبَنّ آمرءًا على حَسَبٍ * إنّى رأيتُ الأحسابَ قد دُخِلَتْ

(١) الذى فى اللسان فى مادّة «حلم» وكتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلّم» .

(٢) الذى فى الديوان «جَمًّ» بدل «فينا» .

مالَكَ مِنْ أن يُقَالَ إنّ له * أباً كريماً فى أُمّةٍ سَلَفَتْ
بل ٱصْحَبْنَهُ على طبائعه * فكلُّ نَفْسٍ تَجْرِى كما طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إنكَ لم تكُ كٱبن الشَّريد * ولكنْ أبوكَ أبو سالِم
حَمَلْتَ المِئِينَ وأثقالَها * على أُذُنَىْ قُنفُذٍ رَازِمِ
وأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجُدُو * دِ والعِرقُ يَسْرِى إلى النائم

وقال بعض العبْديين

وما يَستوِى المرْءَانِ هذا ٱبنُ حُرَّةٍ * وهذا ٱبنُ أخرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ
وأدرَكَهُ خالاتُه فَخَذَلْنَهُ * ألا إن عِرق السُّوءِ لا بدّ يُدْرِكُ

باب الشيء يُفْرِطُ فَيَنتَقِلُ الى غير طبعه

قرأت فى كتاب للهند : لا ينبغى اللَّجاجُ فى إسقاط ذى الهمّة والرأى وإذالته فانه إمّا شَرِسُ الطبع كالحية إن وُطِئتْ فلم تلسَعْ لم يُغترَّ بها فيعادَ لوطئها ، وإما سُجُحُ الطبع كالصندل البارد إن أُفرِطَ فى حكّه عاد حارّا مؤذيا . وقال أبو نواس

قُلْ لزهيرٍ إذا حَدا وشَدا * أَقْلِلْ وأكثِر فأنتَ مِهْذَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شدّةِ البرودة حتّى صِرتَ عندى كأنك النارُ
لا يَعْجَبِ السامعونَ مِنْ صفتى * كذلك الثَّلجُ باردٌ حَارُ

ويقال : إنما مَلُحَ القِردُ عند الناس لإفراط قبحه . قال الطائىّ

أخرجتموه بِكُرْهٍ مِنْ سَجِيّتِه * والنار قد تُنتَضَى(١) من ناضر السَّلَمِ

(١) فى الأصل « تقتضى » والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمًى نزل الناسُ الرُّبَى فنجَوْا * وأنتمُ نُصْبُ سيلِ الفتنةِ العَرِمِ
أم ذاكَ مِن هِمَمٍ جاشَتْ فكمْ ضِعَةٍ * حدا اليها غُلُوُّ القومِ فى الهِمَمِ

وكان يقال : مِن التوقِّى تركُ الإفراط فى التوقِّى

باب الحســـد

قال حدثنا اسحاق بن راهَوَيْهِ قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ لا يسلمُ منهن أحدٌ الطِّيَرَةُ والظَّنُّ والحسد" قيل: فما المخرجُ منهنّ يارسول الله؟ قال: "اذا تَطَيَّرتَ فلا تَرجِعْ واذا ظَننتَ فلا تُحَقِّقْ وإذا حَسدتَ فلا تَبْغِ". وقال بكر بن عبدالله: حِصَّتُكَ من الباغى حسنُ المُكَاشَرَة، وذنبُكَ الى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك. وقال رَوْحُ بن زِنْباعٍ الجُذَامىُّ: كنتُ أرَى قوما دُونِى فى المنزلة عند السلطان يدخلونَ مداخلَ لا آدخلها فلما أذهبتُ عنّى الحسدَ دخلتُ حيثُ دخلوا . وقال آبن حُمَام

تمنَّى لِىَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ * ولاخيرَ فِيمَنْ ليس يَعرِفُ حاسِدَهْ

وقال الطائىّ

واذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ * طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ
لولا آشتِعالُ النارِ فيما جاورتْ * ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوّفُ للعواقبِ لم تَزل * للحاسدِ النُّعْمَى على المحسودِ

وقال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرِفُ عيبَ نفسه فَعِبْ نفسَكَ قال: أَعْفِنِى ياأميرالمؤمنين. قال: لتفعلنّ . قال: أنا لجوجٌ حقودٌ حسود، قال عبد الملك: مافى الشيطان شرٌّ مما ذكرتَ. قال بعض الحكماء: الحسدُ مِن تَعادِى الطبائع واختلافِ التركيب وفساد مِزاجِ البِنْيةِ وضَعْفِ عَقْدِ العقل والحاسدُ طويلُ الحَسَرات .

قال ابن المقفع : أقلُّ ما لتارك الحسد فى تركه أن يَصْرِف عن نفسه عذابا ليس بمُدْرِكٍ به حظًّا ولا غائظ به عدوًّا، فإنا لم نَرَ ظالمًا أشبهَ بمظلوم من الحاسد، طولُ أَسَفٍ ومحالفةُ كآبةٍ وشِدَّةُ تحرُّقٍ، ولا يبرحُ زاريًا على نعمة الله ولا يجدُ لها مَزَالًا ويُكدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْمًا ولا يزالُ ساخطا على مَنْ لا يترضّاه ومُتَسَخِّطًا لِمَا لَنْ ينالَ فوقه، فهو مُنَغَّصُ المعيشة دائمُ السَّخْطَةِ محرومُ الطَّلِبَةِ، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ، والمحسود يتقلَّبُ فى فضل الله مُباشِرًا للسّرور مُنتفِعًا به مُمَهَّلًا فيه الى مدّة ولا يَقدرُ الناس لها على قَطْعٍ وانتقاصٍ .

قيل للحسن البصرى : أيَحْسُدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال : لا أبَا لَكَ، أنسيتَ إخوةَ يوسُفَ . وكان يقال : إذا أردتَ أن تَسْلَمَ مِن الحاسد فَعَمِّ عليه أُمُورَكَ . ويقال : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًا لا يرحَمُه سلَّطَ عليه حاسدا . وقال العُتْبِيُّ —وذكر ولده الذين ماتوا—

وحتّى بكَى لِى حُسَّادُهُمْ * وقد أقرحوا[(1)] بالدّموعِ العُيونَا
وحسبُكَ من حادثٍ بامرئٍ * يَرَى حاسِدِيهِ له راحِمِينَا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرعَ حَسَدَ الناسِ الى قومك! فقال

إنّ العَرَانِينَ تلقاها مُحَسَّدَةً * ولا تَرَى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادَا

وقال آخر

وترى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يَجْتَرِمْ * شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتُومُ
حسَدُوا الفتى إذ لم ينالُوا سعيَهُ * فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهها * حَسَدًا وظُلْمًا إنه لَدَميمُ[(2)]

---

(١) فى النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا فى النسختين بالذال المعجمة وهى رواية ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد رُدَّ ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لدميم» بالدّال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدوٌ مَهِينٌ لا يُدرك وَتْره إلا بالتمنّى . قيل لبعضهم : أىُّ الأعداء لاتُحبّ أن يعودَ لك صديقا ؟ قال : مَنْ سَببُ عَداوته النعمةُ . وقال الأحنف : لا صَـديقَ لِمَلُولٍ ولا وَفاءَ لِكَذُوبٍ ولا راحةَ لحَسُود ولا مُرُوءةَ لبخيلٍ ولا سُؤدُدَ لسيِّئِ الخلق . وقال معاوية : كلّ الناس استطيعُ أن أُرضيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فانه لا يُرضيه إلا زَوالُها . وقال الشاعر

كُلُّ العَـداوةِ قـد تُرْجَى إماتَتُهَا * إلا عداوةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌّ لنِعمَتى مُتَسخِّطٌ لقضائى غيرُ راضٍ بِقَسْمِى بين عبادى . وكان يقال : قد طلبكَ مَنْ لا يُقَصِّرُ دون الظَّفَرِ وحسَدَكَ مَنْ لاينامُ دون الشِّفاءِ . وخطب الحجاج يوما بُرُسْتُقُبَاذَ بقول سُويد بن أبى كاهل

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِى بعدما * جَلَّلَ الرأسَ بيـاضٌ وصَـلَعْ
رُبَّ مَنْ أنضَجتُ غيظًا صَدْرَهُ * قـد تمنَّى لِىَ مَوْتًا لم يُطَـعْ
ويَرانِى كالشَّـجا فى حَلْقِـه * عَسِرًا مَخْرَجُـهُ ما يُنْـتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِـرُ ما لَمْ يَرَنِى * فاذا أسْمعتُه صَوْتِى انْقمَـعْ
لم يَضِرْنِى غيرَ أنْ يَحْسُـدَنِى * فهو يَزْقُو مثلَ مايَزقُو الضُّوَعْ (١)
ويُحَيِّيـنِى إذا لاقيتُـهُ * وإذا يَخْـلُو له لَحْمِى رَتَـعْ
قد كَفَانِى اللهُ ما فى نفسه * واذا مَا يَكْفِ شيئًا لا يُضَعْ (٢)

وقال آخر

إن تَحْسُـدُونى فإنّى لا أَلُومُـكُمُ * قبلِى مِنَ الناسِ أَهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

---

(١) الضوع : طائر ليلىّ .

(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يَكْفِ شيئا لم يُضَعْ *

فدامَ لِى ولَكُم ما بِى وما بِكُمُ * وماتَ أكثرُنا غيظًا بما يجِدُ
أنا الذى تجِدونِى فى حُلوقِكُم * لا أرتقِى صُعُدًا فيها ولا أَرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِىَ اللهُ به فى السماءِ، يعنى حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِى اللهُ به فى الأرض، يعنى حسد ابن آدم أخاه حتى قتلَه . وأنشدنى شيخٌ لنا عن أبى زيد الأعرابىّ

لا تقبلُ الرشدَ ولا ترْعَوى * ثانِىَ رأسٍ كابنِ عَوّاءِ
حَسَدْتَنِى حين أَفَدْتُ الغِنى * ما كنتَ إلا كابن حَوّاءِ
عادَى أخاه مُحْرِمًا مُسْلِمًا * بطعنةٍ فى الصُّلْبِ نَجْلاءِ
وأنتَ تَقْلِينِى ولا ذنبَ لِى * لكنّنى حَمّالُ أَعْباءِ
مَنْ يأخذِ النارَ بأطرافِه * يَنْضَحْ على النارِ مِنَ الماءِ

مرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفَانَ فرأى ثَرْوَةً وجماعاتٍ وعددًا فَكَرِه ذلكَ ، فقال له الربيع بن زياد : إنه يَسوءُكَ ما يَسُرُّ الناسَ! فقال له : يا أخى إنكَ لا تَدْرِى، إنّ مع الثروةِ والنعمة التحاسدَ والتخاذلَ، وإنّ مع القِلّةِ التحاشُدَ والتناصُرَ.

قال الأصمعىّ : رأيت أعرابيا قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سنةً ، فقلت له : ما أطْوَلَ[1] عمرَكَ! فقال : تركت الحسدَ فبقِيتُ . وقال زيد بن الحكم الثقفىّ

تملّأْتَ مِنْ غيظٍ علىّ فلم يَزَلْ * بك الغيظُ حتّى كدتَ بالغيظ تَنْشَوِى
وما بَرِحَتْ نفسُ حَسُودٍ حَشِيتَها * تُذيبُكَ حتى قيل هل أنتَ مُكْتَوِى
وقال النِّطاسِيُّون إنكَ مُشْعَرٌ * سُلالًا ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى[2]

(١) فى النسخة الألمانية : ما طوّل .

(٢) فى الأصل «ذَوِى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ٤٩٧ و « جَوِى » من الجَوَى وهو السلّ وداء فى الصدر .

بدا منك غِشٌّ طَالَمَا قد كتمتَه * كما كتمتْ داءَ ٱبنها أمُّ مُدَّوِى
جَمعتَ وفُحْشًا غِيبةً ونميمةً * خِلالًا ثلاثًا لستَ عنها بمُرعوِى

وكان يقال : ستةٌ لا يخلُون من الكآبة : رجلٌ ٱفتقر بعد غِنًى، وغنىٌّ يخاف على ماله التَّوى، وحقودٌ، وحسودٌ، وطالبُ مرتبةٍ لا يبلغها قدرُه، ومُخالِطُ[1] الأدباءِ بغير أدبٍ .

باب الغِيبة والعُيوب

قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء[2] عن ابن خُثَيم عن شَهرِ بن حَوْشَب عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا أُخبِركُم بشِرارِكم» قالوا : بلى، قال: "مِنْ شِرارِكم المشّاءُونَ بالنّميمةِ المفسِدُون بين الأحبّةِ الباغُونَ البُرآءَ العَنَتَ" .

قال وحدّثنى حُسينُ بن الحسن المروزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا الأجلحُ عن الشّعبىّ قال : سمعتُ النعمانَ بن بَشير يقول على المنبر : يأيُّها الناسُ خُذُوا على أيدى سُفَهائكم، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ قومًا رَكبُوا البحرَ فى سَفِينة، وٱقتَسمُوها فأصابَ كُلُّ واحدٍ منهم مَكانًا، فأخذَ رجلٌ منهمُ الفأسَ فنقرَ مكانَه، فقالوا : ما تَصنعُ ؟ فقال : مَكانِى أصنعُ به ما شِئتُ، فإن أخذُوا على يديه نَجا ونَجَوْا، وإن تركوه غَرِقوا وغَرِق" .

بلغنى عن حمّاد بن زيد عن ابن عَوْن قال، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أُصبِحُ فيه لا يَرمِينِى الناسُ بداهية إلا كان نعمةً من الله علىّ . وقال حسان : قلتُ شعرًا لم أقلْ مثلَه

وإن ٱمرءًا أمسَى وأصبحَ سالمًا * من الناس إلا ما جنَى لَسَعيدُ

(١) فى النسخة الفتوغرافية «ومُخالَطَةُ» .

(٢) فى الأصل : «العطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغنى عن ابن عيينة قال، قال مِسْعَرٌ : ما نصحتُ أحدًا قطُّ إلّا وجدتُه يُفَتِّشُ عن عيوبى. وقال بعضهم : مَنْ عابَ سَفِلَةً[1] فقد رفعه، ومَنْ عاب شريفا فقد وضَعَ نفسَه. وقال عمر بن الخطاب : أحبُّ الناسِ إلىَّ مَنْ أَهْـدَى إلىَّ عُيوبِى

أحمد بن يونُسَ عن الفُضَيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشةَ لَتَشِيعُ فى الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُزَّانًا . قال وسمعته يقول أيضا : حسناتُكَ مِنْ عَدوِّكَ أكثرُ منها مِنْ صَدِيقكَ ، لأن عدوّكَ إذا ذُكِرتَ عنده يَغتابُكَ وإنما يَدفَع إليكَ المِسكينُ حسناتِه

محمد بن عبد الله الأنصارىّ قال حدّثنا ابن عون قال : مرّ ابنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال : ياأبا بكرٍ إنا قد نِلنَا منك فحَلِّلْنَا ، فقال : إنى لا أُحِلُّ لك ما حرّم اللهُ عليك ، فأما ما كان إلىّ فهو لكَ .

محمد بن مسلم الطائفىّ[2] قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغنى أنك نِلتَ مِنّى ، فقال : نفسِى أعزُّ علىّ من ذلك .

الوليدُ بن مسلم عن الأوزاعىّ عن بلال بن سعد قال : أخٌ لك كلّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ خيرٌ لك مِنْ أخ لك كلّما لقيك وَضَع فى كفّك دينارا .

شَرِيكٌ عن عَقِيلٍ قال، قال الحسن : لا غِيبةَ إلا لثلاثة ، فاسقٍ مجاهرٍ بالفسق ، وذِى بدعةٍ ، وإمامٍ جائرٍ . وكان يُقالُ : [مَنْ اغتابَ][3] خَرَقَ ومَن استغفرَ اللهَ رَفَأَ .

(١) كذا فى الأصل ، وفى اللسان نقلا عن الجوهرى : يقال : هو من السَّفِلة ولا يقال : هو سَفَلَةٌ لأنه جمع والعامة تقول : رجل سَفِلَةٌ من قوم سَفِلٍ . قال ابن الأثير : وليس بعربىّ . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَةٌ .

(٢) فى الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويؤيده أن الموجود فى كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفى» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» منسوبا الى الطائف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب فى مادة «رفأ» .

وفى بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أَحَدُكم أخاه فَلْيَستغفِرِ اللهَ" . كان يقال : إياكَ وما يُصِمُّ الأذنَ . العتبىّ قال : قال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان : كنت أُسَايِرُ أبى ورجلٌ يقع فى رجل، فالتفت الىّ أبى فقال : يا بُنَىَّ نَزِّهْ سمعَكَ عن استماع الخنا كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به، فإن المستمِعَ شريكُ القائل، ولقد نظر إلى أخبثِ ما فى وِعَائه فأفرغه فى وِعَائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل فى فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِىَ قائلُها .

فُضَيلُ بن عِياض قال حدّثنا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيدَةَ عن محمد بن كعب قال : إذا أراد اللهُ بعبد خيرا زهّده فى الدنيا وفقّهه فى الدّين وبصّره عيوبَهُ. قال فضيل : وربما قال الرجلُ : لا إله إلا الله، أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ، قيل : وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغتَابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول : لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما موضعُ هذا أن ينْصَحَ له فى نفسه ويقول له : اتقِ اللهَ .

فى الحديث المرفوع أن آمرأتين صامتا على عهد النبىّ عليه السلام وجعلَتا تَغتَابانِ الناسَ، فأُخبِرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : "صَامَتَا عمّا أُحِلَّ لهما وأَفطرَتا على ما حرّمَ اللهُ عليهما" . وقال حمّادُ بنُ سلمةَ : ما كنتَ تقوله للرجل وهو حاضرٌ فقلتَه مِنْ خَلْفِه فليسَ بغيبةٍ .

عاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له : قد آستدلَلْتُ على كثرة عُيوبكَ بمـا تُكثِرُ من عيب[(١)] الناس، لأنّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلبُها بقدر ما فيه منها . قال بعض الشعراء

وأَجْرأُ مَنْ رأيتُ بِظَهْـرِ غَيْبٍ ※ على عَيبِ الرجال ذَوو العُيُوب

(١) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «عيوب» .

وأنشد ٱبن الأعرابى

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ خَيَّابْ(١) * كُلُّكَ ذُو عيب وأَنتَ عَيَّابْ

وأنشدنى أيضا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ ٱلجَيْبِ * وٱبْنِ أَبٍ مُتَّهَمِ ٱلغَيْبِ
وكُلُّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوبِ على العَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصبِرُ، ثم تَرَكَ ذلك، فقيل له: أتركتَها؟ قال: نعم، على أنّى والله أُحِبُّ أن أسمَعَهَا.

أَتَى رجلٌ عمرَو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أنْ يُكلِّمَ له أميرَ المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما قام قال بعضُ مَنْ حضر: إنه ليس مُستحِقًّا لِمَا وعدتَه، فقال عمرو: إن كنتَ صَدقتَ فى وصْفِك إياه فقد كذبتَ فى ٱدّعائك مودَّتَنَا، لأنه إن كان مُستحِقًّا كانت اليدُ موضعَها، وإن لم يكن مُستحِقًّا فما زِدتَ على أنْ أعلمتَنَا أنّ لنا بمغيبنا عنك مثلَ الذى حضرتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا.

وفى الحديث: "إنَّ الغيبةَ أشدُّ من الزنا". قيل: كيف ذلك؟ قال: "لأنّ الرجلَ يزنِى فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الغِيبةِ لا يُغْفَرُ له حَتَّى يَغْفِرَ له صَاحِبُها(٢)".

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنّى اغتبتُ رجلا وأُريدُ أن أَستَحِلَّه، فقال له: لم يَكْفِكَ أَنِ ٱغتبْتَه حتى أردتَ أن تَبْهتَه. اغتابَ رجلٌ رجلًا عند قتيبةَ بن مسلم فقال له قتيبةُ: أَمْسِكْ أيها الرجلُ، فوالله لقد تَلمَّظْتَ بِمُضغَةٍ طَالَمَا لَفَظَهَا الكِرامُ.

(١) فى النسخ التى بأيدينا «حباب» بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان فانه ذكر هذا البيت فى مادتى «خاب» و «عاب» وقال فى تفسير «خَيَّاب» — بعد أن ذكر أن الخياب القِدْحُ الذى لا يُورِى —: يجوز أن يكون فعّالا من الخيبة ويجوز أن يُعنَى به أنه مثل هذا القدْح الذى لا يورى.

(٢) فى الإحياء ج ٣ ص ٩٩ «صاحبه».

مرّ رجلٌ بجارَيْنِ له ومعه رِيبةٌ، فقال أحدُهما لصاحبه: أَفَهِمتَ مامعه منَ الرِّيبةِ؟ فقال الآخرُ: غُلامى حُرٌّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعَرِّفْنِى مِنَ الشرِّ ما عرَّفكَ.

شعبةُ عن يحيى بن الحصين[1] عن طارق قال: دارَ بين سعدِ بن أبى وقّاصٍ و بينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ لِيَقَعَ فى خالدٍ عند سعدٍ، فقال سعدٌ: مَهْ إنّ مَا بيننا لم يَبْلُغْ دينَنَا. أى عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر

ولسْتُ بِذِى نَيْرَبٍ[2] فى الكِرام * ومَنَّاعَ خَـيرٍ وسَـبَّابَهَا
ولا مَنْ إذا كان فى جانب * أَضَاعَ العَشِـيرَةَ وٱغْتَابَهَا
ولٰكن أُطاوِعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَـلَّمُ أَلقَابَهَـا

وقال آخرُ

لا يَأْمُلُ الجارُ خيرًا مِنْ جوارِهِمُ * ولا مَحَالَةَ مِنْ هُزْءٍ وأَلْقَابِ

وقال الفرزدقُ

تَصَرَّمَ مِنّى وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ * وما خِلتُ عَنّى وُدَّهُـمْ يَتَصَرَّمُ
قَـوَارِصُ تأتِينى ويَحتقِرُونَهـا * وقد يَملأُ القطرُ الإناءَ فَيَفعَـمُ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبِّيين

ألا رُبَّ مَنْ يَغْتَابُنِى وَدَّ أَنّنِى * أبوه الذى يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِنْ أُمه أو لِغَيّةٍ * فَيغلبُها فَحْلٌ على النسل مُنْجِبُ
فَبِالخيرِ لا بِالشرِّ فاطلُبْ مودّتِى * وأىّ ٱمرِئٍ يَغْتَالُ منه التَّرَهُّبُ

(١) فى الأصول «حصين» بدون أل. والتصويب عن كتب التراجم.

(٢) كذا فى الأصول. وفى اللسان «فى الصديق». ثم قال قال ابن برى: وصواب انشاده

ولست بذى نيرب فى الكلام * ومنّاع قومى وسبّابها

وانظر اللسان فى مادة «نيرب».

وقال آخرُ فى نحوه :

ولـما عَصَيتُ العاذِلين ولم أُبَلْ * مَلَامَتَهم أَلْقَوْا على غاربى حبلى (١)

وهازِئةٍ مِــنِّى تَوَدُّ لِو ٱبنُهـا * على شِيمَتِى أو أن قَيِّمَها مِثْــلِى

قيل لبُزُرْجِمهْر : هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال : لا، إن الذى لا عيب فيه لاينبغِى أن يموتَ . وقال فى مثل هذا مُوسَى شَهَوات :

ليس فيما بَدا لنـا منكَ عيبٌ * عابه النـاسُ غـيرَ أنكَ فَانِى

أنتَ خيرُ المتاع لو كنتَ تَبقَى * غيرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسانِ

وقال أبو الاسود الدؤلىّ :

وتَرَى الشّقِىَّ إذا تكاملَ عيبُه * يُرْمَى ويُقْرَفُ (٢) بالذى لم يَفْعَلِ

لَقِىَ بكرُ بنُ عبد الله أخًا له فقال : إذا أردتَ أن تلْقَى مَن النِّعمَةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ للنّعمةِ لَقِيتَه، وإذا شِئتَ أن تَلْقَى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْمًا وهو أَخْوَفُ لله منكَ لَقِيتَه. أرأيتَ لو صحِبكَ رجلانِ: أحدُهمـا مَهتوكٌ لك سِتْرُه ولا يُذْنِبُ ذنبًا إلا رأيتَه ولا يقول هُجْرًا إلا سمِعتَه فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه وتكرهُ أن تُفارِقَه، والآخر مَستورٌ عنك أمرُه غيرَ أنك تَظُنُّ به السوءَ فأنتَ تُبْغِضُه، أَعَدَلتَ بينهما؟ قال: لا، قال: فهل مَثَلِى ومَثَلُكَ ومَثَلُ مَنْ أنتَ راءٍ مِنَ الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرِفُ ٱلحقَّ فى الغيب مِنْ أنفسنا فنحبّها على ذلك، ونَتَظَنَّنُ الظُّنونَ على غيرِنا فنُبْغِضُهمْ على ذلك. ثم قال : أَنزِلِ الناسَ منك ثلاثَ منازِلَ، فاجعل مَنْ هو أكبرُ منكَ سِنًّا بمنزلة أبيكَ، ومَنْ هو تِرْبُكَ بمنزلة أخيكَ، ومَنْ هو دونكَ بمنزلة ولدكَ، ثم ٱنظر أىَّ هؤلاء تُحِبُّ أن تَهتِكَ له سِترًا أو تُبدِى له عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمـانية وفى النسخة الفتوغرافية «رحلى» . (٢) يقرف، أى يُعابُ و يُتهم .

سعيدُ بن واقد ٱلْمُزَنى ّ قال حدّثنا صالح بن الصَّــقْر عن عبد الله بن زُهَير قال : وفَدَ العلاءُ بنُ الحَضْرمِىّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال: ”أتقرأُ من القرآن شيئا“؟ فقرأ ”عَبَسَ“ وزاد فيها من عنده: وهو الذى أخرجَ من ٱلْحُبْلَى، نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بين شَرَاسِيفَ وحَشَّى ؛ فصاح به النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال له : ”كُفَّ فإنّ السورة كَافِيَةٌ“ . ثم قال : ”هل تَرْوِى مِنَ الشّعر شيئا“؟ فأنشده :

حَىِّ ذَوِى ٱلْأَضْغان تَسْبِ قلوبَهُمْ * تَحِيَّتَكَ القُرْبَى فقــد تُرقَعُ النَّعَــلْ
وإن دَحَسُوا(١) بالكُرْهِ(٢) فٱعْفُ تَكَرُّمًا * وإن خَنَسُوا(٣) عنكَ ٱلحديثَ فلا تَسَلْ
فإنّ ٱلذى يُؤْذِيكَ منــه سَمَــاعُه * وإنّ ٱلذى قالوا وراءكَ لم يُقَــلْ

فقال النبي عليه السلام : ” إنّ مِن الشِّعرِ حِكَمًا و إنّ مِنَ البيان سِحْرا “ .

وحدّثنى أبو حاتم عن ٱلأصمعىّ قال: قال رجل لبكر بن محمد بن عَلْقَمة: بلغنى أنك تَقَعُ فىّ ؛ [قال](٤) : أنتَ إذًا أكرمُ علىّ مِنْ نفسى! . وقال بعض الشعراء :

لا تلتمسْ مِن مَسَاوِى الناس ماستَروا * فَيَكْشِفَ(٥) اللهُ سِــترًا عن مَسَاوِيكَا
وٱذكر مَحَاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا * ولا تَعِبْ أحدًا منهــم بمــا فيكَا

وقال أبو ٱلدرداء : لا يُحْرِزُ ٱلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه .

قال عمر بن عبــد العزيز لمُزَاحِم مولاه : إن الوُلاةَ جعلوا العيونَ على العوامّ وأنا أجعلُكَ عينِى على نفسى ، فإن سمعتَ مِنّى كلمةً تَرْبَأُ بِى عنها أو فَعَالًا لا تُحِبّه فعِظْنِى عنده وٱنْهَنِى عنه .

العُتْبىّ قال: تَنقَّصَ ٱبنٌ لعامر بن عبد الله بن ٱلزبير علىَّ بنَ أبى طالب عليه السلام؛ فقال له أبوه : لا تَتَنَقَّصه يا بُنىَّ ، فإن بَنِى مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم

(١) دحس بين القوم: أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفى اللسان فى مادّة دحس « بالشرّ » .
(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ « لا تهتكن » ، وفيه أيضا : « فيهتك » بدل « فيكشف » .

يَزِده الله إلا رفعةً، وإن الدِّينَ لم يبْنِ شيئا فهدَمَتْه ٱلدنيا ، وإن الدنيا لم تبْنِ شيئا إلا عادت على ما بَنَتْ فهدمتْه . وقال بعض الشعراء :

ابدأْ بنفسك فأنهها عن غَيِّها * فإذا ٱنتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ
فهناكَ تُعذرُ إن وعَظْتَ ويُقتدَى * بالقول منك ويُقْبَلُ التعليمُ
لا تنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مثلَه * عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر :

ويأخُذُ عيبَ الناس مِنْ عَيْبِ نفسه * مُرَادٌ لَعَمْرِى ما أراد قريبُ

وقال آخر :

لَكَ ٱلخيرُ، لُمْ نفسًا عليك ذُنوبُها * ودَعْ لَوْمَ نَفْسٍ ما عليك تُلِيمُ(١)
وكيف تَرَى فى عين صاحبك القَذَى * ويَخْفَى قَذى عينيك وهو عظيمُ

كان رجلٌ مِنَ المتَزَمِّتِين(٢) لا يزالُ يَعيبُ النبيذَ وشَرَابَه فاذا وَجدَه سِرًّا شَرِبَه؛ فقال فيه بعضُ جيرانه :

وعَيَّابَةٍ للشُّرْبِ لو أَنَّ أُمَّه * تبولُ نبيذًا لم يزل يَسْتَبِيلُهَا

قال رجل لعمرو بن عُبَيد : إنى لَأَرْحَمُك ممـا تقولُ الناسُ فيك؛ قال: أفتسمَعُنِى أقول فيهم شيئا؟ قال : لا ؛ قال : إيّاهُم فارحَمْ .

قال أعرابىٌ لٱمرأته :

وإمّا هَلَكْتُ فلا تَنْكِحِى * ظَلُومَ العَشيرةِ حَسَّادَهَا
يَرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعراضها * لديه ويُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجلُ اذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) مِنْ تَزَمَّتَ اذا توقّر فى مجلسه ، ومنه الزِّميت كأمير، أى الوقور الساكن القليل الكلام، والزِّمِّيت كسِكِّين أوقر منه .

باب السِّـــعَاية

روى وكيع عن أبيه عن عَطَاء بن السائب قال : قَدِمت مِنْ مكة فلقيني الشعبيُّ فقال : يا أبا زيدٍ أَطْرِفْنَا مما سمعتَ ؛ قلتُ : سمعتُ عبدَ ٱلرحمن بنَ عبدالله بن سَابِط يقول : لا يَسْكنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ ، ولا آ كلُ رِبًا ، ولا مَشّاءٌ بنميم ؛ فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمةَ بسَفْكِ ٱلدماء وأَكْلِ ٱلرِّبا ؛ فقال الشعبيّ : وما يُعجِبُك مِنْ هذا ! وهل تُسفَكُ ٱلدِّماءُ وتُركَبُ العظائمُ إلا بالنميمة !

عاتب مُصْعَب بن ٱلزبيرٱلأحنفَ بن قيس على شيءٍ بلغه عنه ، فاعتذَر إليه الأحنفُ من ذلك ودَفَعه ؛ فقال مُصعَبٌ : أَخبرني بذلك الثِّقةُ ؛ فقال الأحنفُ : كلّا أيها الأميرُ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ . قال الأعشى :

ومَنْ يُطِعِ الواشِــينَ لا يتركُوا له ۞ صَديقًا وإن كانَ ٱلحبيبَ المقرّبَا

وذُكِرَ السُّعَاةُ عند المأمون فقال رجلٌ ممن حضر : يا أميرٱلمؤمنين، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبِهم إلّا أَنَّهم (١) أصدقَ ما يكونونَ أبغضَ ما يكونون إلى الله لَكَفَاهُمْ (٢) .

سَعَى رجلٌ إلى بلالِ بن أبي بُرْدَةَ برجل ؛ فقال له : انصرِفْ حتى أسأَلَ عمّـا ذَكَرْتَ ، وبعَث فى ٱلمسألة عن السّاعى فإذا هو لغير أبيه ٱلذى يُدْعَى له ، فقال بلالٌ : أخبرنا أبو عمرو قال حدّثنى أبى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "السَّاعى بالناس لغير رِشْدَة (٣)" . وقال الشاعر :

إذا الوَاشِى نَعَى يومًا صــديقًا ۞ فلا تَدَعِ الصَّديقَ لِقَولِ وَاشِى

---

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليستا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفى الأصل «الى الناس» .

(٣) يقال : هــذا ولد رِشْــدة اذا كان لزواج صحيح ، وجاء هــذا الحديث فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ولسان العرب فى مادة «رشد» بلفظ «الساعى لغير رشدة» .

أَتَى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لابيـه ، فقال : للأمير عندى نصيحةٌ ، فقال : إن كانت لنا فأَظْهِرْها ، و إن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قال : جارٌ لِي عَصَى [وفَرّ] مِنْ بَعْثِه [(١)] ؛ قال : أمّا أنتَ فتخبر أنكَ جارُ سوء ، فإن شئتَ أرسَلنا معك ، فإن كنتَ صادقا أقْصيناكَ ، و إن كنتَ كاذبا عاقبناك ، و إن شئتَ تارَكْناكَ ؛ قال : بل تارِكْنِي .

وقال عَبْدَةُ بنُ الطّبيب :

وٱعصُوا ٱلذى يُسْدِى ٱلنميمةَ بينكم * مُتَنَصِّحًا [(٢)] وهـو السِّمامُ ٱلمُنْقَـعُ [(٣)]
يُزْجِى عقَـارِبَهُ لِيبعثَ بينـكم * حَرْباً كما بَعَثَ العُـرُوقَ ٱلأخدعُ [(٤)]
حَرَّانَ لا يَشْـفِى غَليـلَ فُؤَادِهِ * عَسَـلٌ بمـاءٍ فى ٱلإناء مُشَعْشَعُ [(٥)]
لا تأمَنُوا قـوما يَشِبُّ صَبِيُّهـم * بين القبائل بالعَـدَاوة يَنْسَـعُ [(٦)]
إن ٱلذين تُرَوْنَهُـمْ خُلَّانَكُمْ * يَشْفِى صُدَاعَ رُءوسِهم أن تُصْرَعُوا [(٧)]
فَضَلَتْ عَدَاوتُهُـم على أحلامهم * وأَبَتْ ضِبَابُ [(٨)] صدورهم لا تُنْزَعُ
قومٌ إذا دَمَسَ [(٩)] الظَّـلامُ عليهمُ * حَـدَجُوا قَنافِذَ [(١٠)] بالنميمة تَمْـزَعُ [(١١)]

---

(١) فى النسخة الفتوغرافيـة «من يعنه» وفى الألمـانيـة «من يعيّنه» . وماوضعناه والزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضّليّات : يزجى النمائم ، أى يسوقها . (٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السِّمام . (٤) الأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هـذا البيت فى المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينشع * ويُنْشَع من نُشِع فلانٌ بكذا : أُولِع به . (٧) كذا فى الأصل . وروى فى المفضليّات وشواهد "المسند اليه" من تلخيص المفتاح :

إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

(٨) الضباب جمع ضَبٍّ ، والمراد به : الغل الممعن فى الصدر إمعان الضب فى جحره . (٩) دمس : اشـتدّت ظلمته . (١٠) حدجوا قنافذ : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال فى الشرّ كما يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينـام ليله أجمع . كذا فى شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو دَهْبَلٍ ٱلجُمَحِيُّ :

وقــد قَطَعَ الواشونَ ماكان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ ٱلحبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاســتقبلوها بِأَلْبِهِــمْ (١) * فَراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُــوا
وكانوا أُناسا كنتُ آمنُ غَيبَهم * فــلم ينهَهُمْ حِلمٌ ولم يَتَحَــرَّجُوا

وقال بشّارٌ :

تَشْتَهِى قُربَكَ ٱلرَّبَابُ وتَخْشَى * عينَ واشٍ ونَتَّقِى أَسمَـاعَهْ
أنتَ مِنْ قلبها مَحَــلُّ شَرَابٍ * تَشْتَهِى شُربَهُ وتَخشَى صُدَاعَهْ

وقال أبو نُوَاس :

كنتُ من ٱلحبّ فى ذُرَى نِيقٍ (٢) * أَرُودُ منـــه (٣) مَرَادَ مَوْمُــوقِ
حتى ثَنَـانِى عنـــه تَخَلُّقُ وا * شٍ كِـذْبَةً لَفَّهَـا بِتَزْوِيقِ
جُبْتُ قَفَا ما تَمَتّــه مُعْتَــذِرًا * منه وقد فُزتُ بعــد تخريق (٤)
كقول كسرى فيما تَمَثَّــله * مِنْ فُرَصِ ٱللِّصِّ ضَجَّةُ السُّوقِ

وقرأت فى كتاب للهند: قَلَّمَا يَمْنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه، فإن ٱلمـاءَ أَلينُ من القول والحجرَ أصلب من القلب، وإذا ٱنحدَر عليه وطال ذلك أثّر فيه، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتَنْبُتُ ويُقطعُ ٱللحمُ بالسيوف فيندَمِلُ وٱللسانُ لا يندملُ جُرحُه، والنُّصُولُ تَغيبُ فى ٱلجوف فتُنْزَعُ والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنْزَعْ، ولكلّ حريقٍ مُطفِئٌ: للنار المـاءُ، وللسمّ ٱلدواءُ، وللحزن الصبرُ، وللعشق الفُرقةُ، ونارُ ٱلحقدِ لا تَخْبُو.

(١) بألبهم : بجمعهم . (٢) نيق : مرتفع .

(٣) فى النسخة الفتوغرافية «فيه» .

(٤) فى الأصلين ونسختى الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه رواية فى هامش النسخة الألمانية . وبها يستقم الوزن .

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

وتَصُدُّ[1] عنك مَخِيلَةَ الرجُلِ الـ * ـعِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ
بِحُسَامِ سيفكَ أو لسانِكَ والـ * ـكَلِمُ الأصِيلُ كأوسَعِ الكَلْمِ

ونحوه قوله :

* والقولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ *

وقال آمرؤ القيس :

* وجَرْحُ اللّسانِ كجَرْحِ اليدِ *

سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان الخَلْوَةَ، فقال لأصحابه : إذا شئتم [تَنَحَّوْا][2]، فلما تهيَّأ الرجلُ للكلام قال له : إياكَ وأن تمدَحَنى فإنى أعرَفُ بنفسى منكَ، أو تكْذِبَنى فإنه لا رأْىَ لكَذُوبٍ، أو تَسعَى بأحدٍ إلىّ، وإن شئتَ أن أُقِيلَكَ أقَلتُكَ، قال : أَقِلْنِى.

وقال ذو الرياستين : قبولُ السِّعايةِ شرٌّ من السِّعايةِ، لأن السعايةَ دَلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شىءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ، فامْقُتِ الساعىَ على سِعَايَتِه وإن كان صادقا لِلُؤْمِه فى هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحرمةِ، وعاقِبْهُ إن كان كاذباً لجمعِه بين هَتْكِ العورة وإضاعةِ الحرمةِ مُبَارزةً لله بقول البهتان والزور.

وقال بعضُ المُحْدَثين لعبد الصمد بن المعذَّل :

لَعَمْــرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عَدُوُّه * ولكنّما سَبَّ الأميرَ المبــلِّغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إنّ فلاناً شَتَمَكَ، فأكبّ ثم قال : أُرَاهُ شتَمَكَ.

وأتى رجلٌ آبنَ عمرَ فقال له : إن فلانا شتمكَ، فقال له : إنّى وأخى عاصماً لانُسَابُّ أحدًا.

عَوانةُ قال : كان بين حاتم طيئ وبين أَوْس بن حارثة ألطفُ ما يكون بين آثنين، فقال النعمانُ بنُ آلمنذِر لجلسائه : واللهِ لأُفسِدَنّ ما بينهما، قالوا : لا تَقدرُ على ذلك،

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : «وتردّ»، والعِرِّيض : الرجل الذى يتعرّض الناس بالشرّ.

(٢) زيادة فى النسخة الألمانيّة.

قال : بلى فقلّما جَرتِ الرجالُ فى شىء إلا بَلَغْتَه ؛ فدخل عليه أوسٌ ؛ فقال : يا أوسُ ما الذى يقولُ حاتمٌ ؟ قال : وما يقولُ ؟ قال : يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ، صَدَقَ ! واللهِ لو كنتُ أنا وأهلى وولدى لحاتم لَأَنْهَبَنَا فى مجلسٍ واحدٍ ، ثم خرج وهو يقولُ :

يقولُ لِىَ النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ * أرى حاتمـا فى قوله مُتَـطَاوِلَا
له فَوقَنَا باعٌ كما قال حاتمٌ * وما النُّصْحَ فيما بيننا كان حَاوَلَا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأوسٍ ؛ قال : صَدَقَ ، أين عسى أن أَقَعَ مِن أوس ! له عشرةُ ذكورٍ أَخَسُّهم أفضلُ مِنّى ، ثم خرج وهو يقول :

يُسائِلُنِى النعمانُ كى يَسْتزِلّنِى * وهَيهاتَ لى أن أَستضَامَ فَأُصْرَعَا
كَفَانِىَ نقصًا أن أَضيمَ عَشيرتِى * بقولٍ أَرَى فى غيره مُتَوَسَّــعا

فقال النعمانُ : ما سمِعتُ بأكرمَ من هذَينِ الرجلين .

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع ٱلمهدىّ أنه وافاه فى يوم واحدٍ ثمـانون رُقعةً كُلّها سعايةٌ ، منها ستون لأهل البَصْرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وَشَى وَاشٍ برجلٍ إلى ٱلإسكندر ، فقـال له : أَتُحِبُّ أنـ أقبلَ منك ما قُلتَ فيـه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك؟ قال : لا ؛ قال : فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشرُّ .

كتب بعضُ إخواننا من الكُتَّاب إلى عاملٍ وكان سُعِىَ به إليه : لستُ أنفكُّ فيما بينى وبينك من إحدى أربع : إما كنتَ مُحسِنا وإنك لكذلك فاربُبْ ، أو مُسيئًا ولستَ به فأَبْقِ ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمّدْ فتغمّدْ ، أو مقروفا وقد تَلحَقُ به حِيلُ الأشرار فتثبَّتْ (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاء بِنَمِيم)

باب الكذب والقِحَة

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا سليمان بن داود عن مَسْلَمَةَ بنِ علقمة عن داود بن أبى هندٍ عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن الزِّبْرِقَان عن النَّوَاسِ بنِ سَمْعَانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَصلحُ الكذبُ إلا فى ثلاثةِ مواضعَ(١) الحربِ فإنها خُدْعةٌ والرجلِ يُصلِحُ بين آثنين والرجلِ يُرْضِى آمرأته" .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا بَرْبُرُ(٢) بْنُ هارونَ قال أخبرنا سفيانُ بْنُ حسين عن الزهرىّ عن حُميدِ بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيرًا وأصلَحَ بين آثنين" .

قال : حدّثنى عَبْدَةُ بن عبد الله قال حدّثنا أبو داود عن عِمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلىّ : إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحِبَك فَلَقِّنْه .

حدّثنى محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أيَكُونُ المؤمن جبانًا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون بخيلا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون كذّابا؟ قال : "لا" . قال حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : عاتب إنسانٌ كذّابا على الكذب، فقال : يابن أخى لو تَغرغَرتَ(٣) به ما صَبَرْتَ عنه . قال: وقيل لكذوب: أصَدقتَ قطُّ؟ قال: أكره أن أقول لا فأُصْدُقَ . وقال آبن عبّاس : الحدثُ حَدَثانِ : حدثٌ مِن فيكَ وحدثٌ مِن فرجكَ . وقال مدينىّ : مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه ، ومَنْ أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثلُه قول الشاعر :

---

(١) وفى رواية : «مواطن» . (٢) كذا فى الأصول ولم نقف فى كتب التراجم على من يسمى بربر ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما فى تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغرت به : ردّدته فى حلقك .

ومَنْ دَعا النــاسَ الى ذَمِّهِ * ذَمُّوه بالحـــقّ وبالباطلِ
مَقَـالَةُ السّوءِ إلى أهلهـا * أسرعُ مِن مُنحَدِرٍ سـائلِ

بلغنى عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كلّ] (١) ما أصابَ الصائمُ شَوًى (٢) ما خلا الغِيبةَ والكذِبَ. وقال سليمان بن سعد: لو صحبنى رجلٌ فقال: ٱشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تكْذِبنى. كان ٱبن عبّاس يقول: الكذبُ فُجُور، والنميمة سحرٌ، فمن كذب فقد فجَر، ومن نمّ فقد سحَر. وكان يقال: أسْرِعْ الاستماعَ وأبطئ التحقيقَ. قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذَب عاقلٌ ولا ٱغتاب مُؤمِنٌ. وكانوا يحلِفون فيحنَثون ويقولون فلا يكذِبون. ذمّ رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعةُ العَقْعَق (٣) يعنى السَّرقَ، وروَغانُ الثعاب يعنى الخِبّ، ولمَعَانُ البرق يعني الكذبَ. ويقال الأذِلّاء أربعة: النمّـامُ والكذّاب والمدين والفقير. قال ٱبن المقفّع: لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكِذبة فى الهَزْل فإنها تُسرِعُ فى إبطال الحقّ. وقال الأحنف: ٱثنان لا يجتمعان أبدا: الكذبُ والمروءةُ. وقالوا: مِن شرفِ الصّدق أن صاحبَه يُصَدَّق على عدوّه. وقال الأحنف لأبنه: يا بُنىّ ٱتخذ الكذِبَ كَنْزًا، أى لا تُخرجه. وقيـل لأعرابىّ كان يُسهِبُ فى حديثـه: أمَا لحديثك هـذا آخِرٌ؟ فقال: إذا ٱنقطع وصلتُه. وقال ٱبن عمر: "زعموا" (٤) زاملةُ الكذب. كان يقال: عِلّة الكَذوب أقبحُ عِلّة، وزَلّة المتوقِّى أشـدُّ زَلّة. كان المهلّب كذّابا وكان يقال له: راحَ يَكذِب. وفيـه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان فى مادة «شوى». (٢) أى: شىء يسير هيّن. وأصل الشوى الأطراف ومعنى الحـديث أن كل شىء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التى هى ليست مقاتل، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما فى تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العقعق: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له: القعقع، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثـل فى السرقة والخيانة والخبث. (٤) الزاملة: الدابّة التى يحمـل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطيّة الكذب ومركبه.

تبدّلتِ المنابرُ (١) من قُريش * مَزُونيًّا بفَقْحته الصليبُ
فأصبح قافلًا كرمٌ وجودٌ * وأصبح قادمًا كذبٌ وحُوبُ

قال رجل لأبى حنيفة : ما كذبتُ كِذْبةً قطّ ، قال : أمّا هذه فواحدةٌ يُشهَد بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِف بالصدق جاز كذبهُ ، ومَنْ عُرِف بالكذب لم يَجز صدقُه . قال أبو حيّة النُّمَيْرِىّ — وكان كذّابا — : عنّ لى ظَبىٌ فرميتُه فراغ عن سهمى فعارضه والله السهمُ ، فراغ فراوغَه السهمُ حتى صرعه ببعض الخَبَارات (٢) . وقال أيضا : رميتُ ظبيةً فلما نفَذ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى فشددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه (٣) . وصَفَ أعرابىّ آمرأة فقيل : ما بلغَ من شِدّة حُبّك لها ؟ قال : إنى لأذكُرها وبينى وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ من ذكرها ريحَ المسك .

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثلاثٌ وآثنتانِ فهنَّ خمسٌ * وسادسةٌ تميلُ الى شِمَامِ
فبِتْنَ بجانبَىَّ مُصَرَّعاتٍ * وبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الختامِ
كأنّ مَفالِقَ الرمّان فيه * وجَمْرَ غَضًا قعَدْنَ عليه حَامِى

فقال له سليمان : ويحك يافرزدقُ ، أحللتَ بنفسك العقوبةَ ، أقررتَ عندى بالزنا وأنا إمامٌ ولا بدّ لى من أن أَحُدَّكَ ، فقال الفرزدقُ : بأىِّ شىء أوجبتَ علىّ ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتابَ الله هو الذى يَدْرأُ عنّى الحدّ ، قال : وأين ؟ قال : فى قوله : (وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فأنا قلتُ ياأمير المؤمنين مالم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبْ * أكثرُ ما يأتى على فيه الكذبْ

(١) كذا فى لسان العرب فى مادة «مزن» والذى فى الأصل «المنازل» .

(٢) فى الأصل «الحيارات» وفى الأغانى «الجبانات» وفى البيان والتبيين «الجنارات» والتصويب عن الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خَبارة وهى ما لان وآسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم وفى المثل «من تجنّب الخبارأمِنَ العثار» .

(٣) القذذ جمع قُذّة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليّـة بعضُ ما يُحْكى عليــه

مهما سمِعْتَ بِكِذْبةٍ * مِنْ غيره نُسِبَتْ إليــه

وقال بشّار :

ورَضِيتُ من طُولِ العَناءِ بيأسِــه * واليأسُ أيسرُ مِنْ عِدَاتِ الكاذب

والعرب تقول : «أَكذَبُ مِنْ سَالِئة»(١) وهي تكذب مخافةَ العين على سَمْنها . و«أكذَبُ مِن مُجَرِّب» لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه(٢) . و«أكذبُ مِنْ يَلْمَعٍ» وهو السراب . منصور آبن سَلَمة الخُزَاعىّ قال حدّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب قال : سمعت آبن سِيرِين يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ . وقال فى قول الله عزّ وجلّ : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القينىُّ : أَصْدُقُ فى صِغار ما يضرُّنى لِأُصَــدَّقَ فى كِبار ما ينفعُنى . وكان يقول : أنا رجل لا أبالى ما آستقبلتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جَرْم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ، فقال للجَرْمىّ : أبِالجاهلية تُفاخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفاخِره وهم آوَوْا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلامَ ؟ قال الجرمىّ : فكيف تكون قلّةُ الحياء . وقال آخر : إنما قَوِيتُ على خصومى بأنّى لم أستتر قطّ بشىء من القبيح . وذكر أعرابىّ رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضّها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسَرَقَها . قيل لرجل من بنى أسد : بأىّ شىء غابتَ الناسَ ؟ قال : أَبْهَتُ الأحياءَ وأَستشهِدُ الموتَى .

وقال طُرَيْحٌ الثقفىُّ يذمّ قوما :

إن يَعلَمُوا الخيرَ يُخْفُوه وإن عَلِمُوا * شَرًّا أُذِيعَ وإن لم يَعْلَمُوا كَذَبُوا

(١) فى مجمع الامثال "السالئة" بالتعريف ، وهى التى تسلا السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميـداني فى مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجن ، قد احترق . والارتجان ألّا يخلص سمنها .

(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثنانِ لا يتّفقانِ أبدًا : القناعةُ والحسدُ، وآثنان لا يفترقان أبدا : الحِرص والقِحة، وقال الشاعر :

إن يَبْخَلُوا أو يَغْدِرُوا * أو يَفْخَرُوا لا يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عليك مُرَجَّلِيـ * ـنَ كأنّهم لم يَفْعَلُوا (١)
كأبي بَراقِشَ كُلَّ لو * نٍ لَوْنُه يَتَخَيَّلُ (٢)

هَجَا أبو الهولِ الحِميرىُّ الفضلَ بنَ يحيى ثم أتاه راغبا إليه ؛ فقال له الفضل : ويلكَ بأىّ وجه تلقانى ! قال : بالوجه الذى ألقى به ربّى وذنوبى اليه أكثرُ؛ فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب فى الوَقَاح «رَمَتْنِي بدائها وآنسلَّتْ» . وقال الشاعر :

أَكُولٌ لِأرزاقِ العباد إذا شَتَا * صَبُورٌ على سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحُ (٣)

قال رجلٌ لقوم يغتابونَ و يكذِبونَ : تَوَضَّئُوا فإنّ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث . و بلغنى عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لعَبِيدَةَ : ما يوجبُ الوضوءَ؟ قال : الحدَثُ وأَذَى المسلم . روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبةَ عن أَنَس بن مالك قال : بعثنى أبوموسى الأشعرىّ من البصرة الى عمرَ؛ فسألنى عن أحوال الناس ثم قال : كيف يَصلُحُ أهلُ بلدٍ جُلُّ أهلِهِ هَذَانِ الحَيّانِ : بكرُ بن وائل و بنو تميم ، كَذَبَ بكرٌ و بَخِلَ تميمٌ . ذكر بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتَزَيُّدَ البحريّينَ فقال : البحرُ كثيرُ العجائب ، وأهلُه أصحابُ تَزَيُّد ، فأفسَدُوا بقليل الكذب كثيرَ الصِّدق ، وأَدخَلوا ما يكونُ فيما يكادُ لا يكونُ ، وجعلوا تصديقَ الناس لهم فى غريب الأحاديث سُلَّمًا الى آدّعاءِ المُحَالِ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الصّدقُ أحيانا مُحَرَّمٌ .

(١) جُزِم « يغدوا » لأنه بدل من «لا يحفلوا» فان غدوّهم مرجّلين هو فى معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر و إرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلوّن ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغيّر لونه ألوانا شتّى . كذا فى اللسان .

(٣) كما يستعمل الثناء فى ذكر المرء بالخير يستعمل فى ذكره بالشر .

حدّثنى شيخٌ لنا عن أبى معاوية قال حدّثنا أبو حنيفةَ عن معنِ بنِ عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا كَذْبةً واحدةً، كُنتُ أُرَحِّلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجلٌ من الطائف فقلت : هذا يَغْلِبُنى على الرِّحَال ؛ فقال : أىُّ الرِّحال أحبُّ الى رسول الله؟ فقلت : الطائفيّة المكيّةُ، فرحَّل بها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ رَحَّلَ لَنا هَذا" فقالوا : الطائفىّ ؛ فقال : "مُرُوا عبدَ الله فلْيُرَحِّلْ لَنَا" فعُدتُ الى الرِّحال .

باب سوء الخُلُق وسوء الجوار والسِّبَابِ والشّرّ

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب عن أبى سعيد الخُدْرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَصْلَتَان لاتجتَمِعانِ فى مُؤْمِنٍ سُوءُ الخُلُقِ والبُخلُ" .

قال وحدّثنى أحمد بن الخليل عن أَزْهرَ بن جميل عن إسماعيل بن حَكيم عن الفضل ابن عيسى عن محمد بن المنكدِر عن جابر [قال][1] : قيل : يارسولَ الله ما الشّؤمُ ؟ قال : "سُوءُ الخُلُقِ" .

قال وحدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا بِشْر بن المفضَّل قال حدّثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المُسْتَبَّانِ ماقالَا فَعَلَى البادئِ منهما مالَمْ يَعْتَدِ[2] المظلومُ» .

قال وحدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخ بِمِنًى قال : صَحِبَ أيوبَ رجلٌ فى طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلقه ؛ فقال أيوبُ : إنّى لأرحَمُه لسوء خلقه .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الإحياء «حتى يعتدى ... » .

قال وحدّثنى عبدالرحمن عن الأصمعىّ قال : قال أبو الأسود : لو أطعمنا المساكينَ فى أموالنا كُنّا أسوأَ حالًا منهم . وأوصى بنيه فقال : لاتُجاوِدُوا اللهَ فإنه أَمجدُ وأجودُ، ولو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كُلِّهم حتى لايكونَ محتاجٌ لَفعلَ، فلا تَجهَدُوا أَنْفُسَكم فى التوسُّع فتَهلِكُوا هُزْلًا . قال: وسمع رجلا يقول: مَن يُعَشِّى الجائعَ؟ فقال: علىّ به، فعشّاه ثم ذهب لِيخرجَ، فقال : أين تريد؟، قال : أُريدُ أهلى، قال : هيهاتَ، علىَّ ألّا تُؤذِىَ المسلمينَ اللّيلةَ، ووضعَ فى رجلهِ الأدهمَ حتى أصبحَ. قال: وأ كل أعرابىّ معــه تمرا فسقطتْ مِن يدِ الأعرابىّ تمرةٌ فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان، فقال أبو الأسود : لا واللهِ ولا لجبريلَ . نظر ٱبنُ الزبير يوما الى رجل وقد دَقَّ فى صدور أهل الشأم ثلاثةَ أرماحٍ فقال : ٱعتزِلْ حَرْبنا فإنّ بيتَ المــال لا يقومُ لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه(١) كان يأكل فى كلّ سـبعة أيام أَ كْلةً ويقول فى خطبته : إنمـا بطنِى شبرٌ فى شِبرٍ وما عسى أن يكفيَنِى . وقال أبو وَجْزة مولى آل الزبير :

لو كان بطنُكَ شِبرًا قد شَبِعْتَ وقد * أَفْضَلتَ فضــلا كثيرًا لِلمســاكينِ
فإن تُصِبْكَ مِنَ ٱلأيّام جائحةٌ * لَانَبْكِ منــكَ على دُنيــا ولا دِينِ

وفيها يقول :

مازِلْتَ فى سُورة الأعرافِ تَدْرُسُها * حتّى فُؤادُكَ(٢) مِثْــلُ الخزِّ فى اللّينِ

وفيها يقول :

إنّ ٱمرأً كنتُ مولاهُ فضيَّعنِى * يَرجُو الفلاحَ لَعِندى حَقُّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّك غالبٌ * على أمرهِ — يبغِى ٱلخلافةَ بالتَّمرِ

(١) أى ٱبن الزبير كما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا فى النسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ : «فؤادى» .

هذا حين قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دون سَيبِكَ(١) لونُ ليلٍ مُظلِمٍ * وحَفيفُ نابجةٍ(٢) وكلبٌ مُوسَدُ(٣)
وأخوكَ مُحتمِلٌ عليك ضَغينةً * ومُسيفُ(٤) قومِك لائمٌ لا يَحمَدُ
والضَّيفُ عندك مثلُ أَسْودَ سالخٍ(٥) * لا بل أحبُّهما اليكَ الأَسودُ

ومَدَح أعرابىٌّ سعيدَ بن سَلم فقال :

أيَا سَارِياً بالليل لا تَخْشَ ضِلَّةً * سَعيدُ بنُ سَلمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلادِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ * جَوادٌ حثَا(٦) فى وجه كلّ جواد

فلم يُعْطِه شيئا، فقال يهجُوه :

لِكلِّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه * وليس لمدحِ الباهلىِّ ثَوابُ
مَدَحتُ ٱبنَ سَلمٍ والمديحُ مَهَزَّةٌ * فكان كَصَفْوانٍ عليه ترابُ

وقال فيهم المُمَزَّق الحَضْرمىّ :

اذا وَلَدتْ حليلةُ باهلىٍّ * غلاماً زِيدَ فى عَدَدِ اللِّئامِ
وعِرْضُ الباهِلىِّ وإن تَوَقَّى * عليه مِثلُ مِنديلِ الطّعامِ
ولو كان الخليفةُ باهِليًّا * لقَصَّرَ عن مُساماةِ الكِرَامِ

ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيبةَ بنِ مسلم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ، بالباب أَلْأَمُ العرب، قال : ومن ذاك؟ قال : سَلُولىٌّ رسولُ مُحاربىٍّ الى باهلىٍّ، فضَحِك قتيبةُ . وقال آخر

(١) السيب : العطاء، وفى النسختين الفتوغرافية والألمانية : «شيبك» بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) النابجة بالجيم (كما فى الألمانية) وبالحاء (كما فى الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلتاهما صحيحة .
(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .
(٥) الأسود السالخ : الأفعى، ووصف بالسالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) فى النسخة الألمانية «جنى» والفتوغرافية «حنى» وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَومٌ اذا أَكَلُوا أَخْفَوْا كلامَهُمُ * وآستوثَقُوا مِنْ رِتَاجِ الباب والدّارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِمُ * ولا تُكَفُّ يدٌ عن حُرمةِ الجارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائىّ من أهل حِمْص :

سُمْتُ المديحَ رِجالًا دون قَدرِهِمُ * صَدٌّ قبيحٌ ولفظٌ ليسَ بالحسَنِ
فلم أَفُزْ مِنهـمُ إلا بمـا حَمَلَتْ * رِجْلُ البعوضةِ مِن نَخَّارةِ اللَّبِنِ

وقال آخر :

أُلَامُ وأُعطِى والبخيلُ مُجاوِرى * الى جَنْبِ بيتِى لا يُلَامُ ولا يُعطِى

ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الجميع أَرْضَى للجميع . وقال بشّار :

أَعْطَى البخيلُ فما آنتفعتُ به * وكذاك مَنْ يُعطِيكَ مِنْ كَدِرهْ

قيل لخالد بن صَفْوان : ما لك لا تُنفق فإنّ مالكَ عَرِيضٌ؟ قال : الدهرُ أعرضُ منه ؛ قيل له : كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلَّه ؛ قال : ولا أخافُ أن أموتَ فى أوّله .

قال الجاحظ : قلتُ مرّةً للحِزامىّ : قد رضيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ؛ قال : لا أعدَمَنِي اللهُ هذا الاسمَ ؛ قلت : كيف؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال ، فَسَلِّمْ لِى المـالَ وآدعُنِى بأىّ آسم شئتَ ؛ قلت : ولا يقال سخىّ إلا وهو ذو مال ، فقد جمعَ هذا الاسمُ المـالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المـالَ والذمّ ؛ قال : بينهما فرقٌ ؛ قلتُ : هاته ؛ قال : فى قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المـال فى مِلْكِه ، وفى قولهم سخىّ إخبارٌ عن خروج المـال عن ملكه ، وآسم البخل آسم فيه حزم وذمّ ، وآسم السخاء آسم فيه تضييعٌ وحمد ، والمـال راهنٌ(١) نافع ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ ، والحمدُ رِيحٌ وسُخْرِيةٌ وآستماعه

(١) أى دائم باق .

ضَعفٌ وفُسولةٌ(١)، وما أقلَّ واللهِ غَنَاءَ الحمــد عنه اذا جاعَ بطنُه وعَرِىَ جِلدُه وضاعَ عيالُه وشَمِتَ عَدُوُّه(٢)! .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : مِنْ شأنِ مَن آستغنَى عنــكَ ألّا يُقيمَ عليكَ ، ومَن آحتاج اليك ألّا يَذهَبَ عنك ، فمن ضنّ بصديقه(٣) وأحبّ الآستكثار منــه وأحبّ التمتعَ به آحتال فى دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يقوته ويمنَعَه ما يُغنِيه عنه ، فإنّ من الزهد فيه أن تُغنيَه عنك ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه اليك ، وإبقاؤك مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيه ، وقيل فى مثلٍ : «أَجِع كلبَكَ يتبعْكَ» . فمَنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر، والمعينُ على الغدر شريكُ الغادرِ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر . قال : وأوصى عند موته وقال فى وصيّته : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الثلث ، والثلث كثير"، وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ، والمساكينُ حقوقُهم فى بيت المــال ، إن طلبوا طلبَ الرجالِ أخذوه ، وإن جلسوا جلوسَ النساء مُنِعُوه ، فلا يُرغِمُ اللهُ إلا أنفَهم ولا يَرحَمُ اللهُ مَنْ يرحَمُهم .

تقدّم رجلان من قريش الى سَوَّارٍ أحدهما يُنازِعُ مولًى له فى حدّ أرض أقطعها أبوه مولاه ، فقال سوّار : أتُنازع مولاكَ فى حدّ أرض أقطعها أبوك إياه! ، فقال : الشَّحيحُ أعذرُ من الظالم ، فرفع سوّار يده ثم قال : اللّهم آردُدْ على قريش أخْطَارَها(٤) .

(١) كذا فى النسخة الألمـانية ، والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفى الفتوغرافية "فشولة" وهو تحريف .
(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافى بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصــه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهض جانبا للبخل والبخلاء وأبين كلاما وأصدق حجة وأبعــد من المقدّمات الواهية والقضايا المزدودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سجية من السجايا الراسخة فى أنفس الأسخياء كاد والله يهــدم ركنه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبر » اهـ .
(٣) فى النسختين « تصديقه » والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خَطَر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافى هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم » .

وقال الخَزْرَجِىّ :.

إنّ جُودَ المكِّىّ جُودٌ حِجَازِىٌّ * وَجُود الحِجاز فيه اقتصادُ

كيف ترجو النوالَ مِن كفِّ مُعطٍ * قد غذّته الأقراص والأمدادُ

نظر سليمان بنُ مُزَاحِم الى دِرهم فقال : فى شِقٍّ «لا إله الا الله محمدٌ رسول الله» وفى وجه آخر «اللهُ لا إله إلا هُو الحىُّ القيّومُ»(١) ، ما ينبغى أن يكون هذا إلا مَعاذَةً وقذَفَه فى الصُّندوقِ . أنشدَنا عبدُ الرحمن بن هانئ صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل :

كفّاه لم تُخلَقَا(٢) للنَّدَى * ولم يَكُ بخلُهما بِدْعَهْ

فكفٌّ عن الخير مقبُوضةٌ * كما نَقَصت مِائةٌ تِسْعَهْ(٣)

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِهَا * وتِسْعِمِئيهَا لها شِرْعَهْ(٤)

---

(١) فى الأصلين بعد قوله القيّوم كلمة «فقال» والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية فى نهاية الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة .

(٢) كذا فى اللسان مادة شرع . وفى الأصلين «يخلقا» والكف مؤنث لا مذكر . وفى المصباح مادة كفف : «قال ابن الانبارى» : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) فى تاج العروس واللسان مادة شرع : * كما حطّ عن مائة سبعه *

وقد قيل : إن للعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفا ، فيشار عن الواحد مثلا بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذى أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم فى هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبّابة حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعين ، ولهذا نرجح رواية اللسان على رواية الاصل . وكذلك تقضى قواعدهم فى عدّ الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر «بلوغ الارب فى أحوال العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أى مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو عليّ الضرير :

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلَّى * إلى كرم وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا ٱقشعرّتْ * وَصَوَّحَ نبتُها رُعِىَ ٱلهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوف فقرٍ تعجّلتَه * وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمعُ
فصرْتَ الفقيرَ وأنتَ ٱلغنيُّ * وهل كنتَ تعدُو الذى تَصنعُ

خوّف رجلٌ رجلا جوادا الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه : إنى أكره أن أترك أمرًا قد وقع، لأمرٍ لعله لا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمق :

رأيتُ الخبزَ عَزَّ(١) لديكَ حتى * حَسِبتُ الخبزَ فى جوّ السحابِ
وما رَوّحتَنا لِتَذُبَّ عنّا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

وقال دِعْبِلٌ :

صَدّقْ أَلِيّتَه إذ قال مُجتهدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجِبُنِى لو أنّ غَيرتَه * على جَرَاذِقِهِ(٢) كانت على حَرَمِهْ
فإن هَمَمْتَ به فَٱفْتِكْ بِخُبزتِه * فإن مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِه ودَمِهْ

وقال الشاعر :

أُرفُقْ بحَفْصٍ حين تأ * كُلُ يامُعاوِىَ مِن طَعامِهْ
الموتُ أيسرُ عنده * مِن مَضْغِ ضيفٍ وٱلتقامِهْ
وتراهُ مِن خوف النّزيـ * ـلِ به يُرَوَّعُ فى منامِهْ
سِيَّان كَسْرُ رغيفه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ

(١) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية " الخير " بدل " الخبز ".

(٢) جمع جَرْذَق أو جرذقة، وهو الرغيف، وفى النسخة الألمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه .

لا تكسِرَنَّ رغيفَه * إن كنتَ ترغبُ فى كلامِهْ
وإذا مَرَرتَ ببابِه * فاحفَظْ رَغيفَكَ من غُلامِهْ

وقال أبو نُوَاس :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشْـ * ـيِ إذا ما ٱنشَقَّ يُرْفَا
عجبًا من أثرِ الصَّنْـ * ـعَة فيه كيف يخفَى
إنّ رَفَّاءَكَ هذا * أحذقُ(١) الأمّة كَفَّا
فإذا قابَلَ بالنِّصْـ * ـفِ من ٱلجُرْذَقِ نصفَا
أحكَمَ الصّنعةَ حتّى * لا تَرَى(٢) مَوضعَ إشفَى(٣)
مثلَ ما جاء من التنّـ * ـورِ ما غادر حَرفَا
وله فى الماءِ أيضا * عملٌ أبدعُ ظَرفَا
مَزجُه العذبَ بماءِ ٱلـ * ـبئرِ كَىْ يزدادَ ضِعفَا
فهو لا يشرَبُ(٤) منه * مثلَ ما يشرَبُ صِرفَا

باب ٱلحُمْق

قال الشعبىُّ لرجل ٱستجهله : ما أحوجَكَ إلى مُحَدْرَجٍ(٥) شديدِ الفَتْلِ جَيِّدِ الجَلَازِ عظيمِ الثمرةِ(٦) لَدْنِ المَهزَّة يأخذُ منك فيما بين عَجْبِ(٧) الذَّنَب ومَغرِزِ العُنُقِ فتكثُرُ له رَقَصاتُك من غيرِ جَذَلٍ ، فقال : وما هذا ؟ فقال : بعضُ الأمرِ .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «أرفق» . (٢) فى ديوان أبى نواس " مغرز " .

(٣) الإشفى : المِثقَب (٤) فى ديوان أبى نواس : " لايسقيك " ، وفى هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التى هنا ، وهو أن يقدّر مفعول للفعل الثانى هو ماء البئر ويصير المعنى : لا يشرب من الممزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن فى الممزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتقتير .

(٥) فى هامش النسخة الفتوغرافية "المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة الفتل ، ولدن ، أى لين" .

(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظم الذى فى أسفل الصلب عند العجز .

قال حدّثني القُومَسِيّ عن محمد بن الصَّلْت الأَسَديّ عن أحمدَ بن بَشِير عن الأعمش عن سَلَمةَ بن كُهَيل عن عَطاء عن جابر قال: كان في بني إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال: يا ربِّ لو كان لك حمارٌ لعلفتُه مع حماري هذا؛ فهمّ به نبيٌّ، فأوحى الله إليه: إنما أُثِيبُ كلَّ إنسان على قَدرِ عقله .

حدّثني محمد بن خالد بن خِدَاش عن أبيه عن حَمّاد بن زيد عن هِشَام بن حَسّان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في ٱلمنام أن له غنمًا وكأنه يُعطَى بها ثمانيةً ثمانيةً، ففتَح عينَه فلم يرَ شيئا، فغمَّضَ عينَه ومدَّ يدَه وقال : هاتوا أربعةً أربعةً .

مرّ رجل من العُبّاد وعلى عنقه عصا في طرفيها زَبِيلانِ(٤) قد كادا يَحْطِمَانه، في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر ترابٌ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلتُ البرّ بهذا الترابِ، لأنه كان قد أمالَني في أحد جانبيّ فأخذ رجلٌ زبيلَ التراب فقَلَبه وجعل البرَّ نصفين في الزبيلين وقال له : ٱحمِلِ الآن؛ فحمله، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلكَ مِن شيخ ! حَفَرَ أعرابيّ لقوم قبرًا في أيام الطاعون بدرهمين، فلما أَعطَوْه الدرهمين قال : بِأبي دَعُوهُما عندكم حتى يجتمعَ لي ثمنُ ثوب . كانت أمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن جُمْعة السَّدُوسيّ عند عثمانَ بن عفّان، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُسَاءَ في فيها ثم تقول : حَاجَيْتُكَ مافِي فَمِي؟ وهي أمّ عمرو وأبان ٱبنَيْ عثمانَ

إبراهيم بن ٱلمنذر قال حدّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: رأيتُ طارقًا وهو والٍ لبعض ٱلخلفاء من بني أميّةَ على المدينة يدعو بالغداءِ فيتغدّى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون فيه العظمُ المُخُّ فينكُته على رُمّانة ٱلمنبر فيأكله .

(٤) الزبيل كأمير وسكّين وقنديل : القُفّة .

قالت أمّ غَزْوانَ الرَّقاشيّ لابنها — ورأته يقرأ فى المصحف — : ياغزوانُ، أما تجدُ فيه بعيراً لنا ضلّ فى الجاهليّة ؟ فما كَهرها(١) وقال : يا أمّهْ، أجدُ والله فيه وعدًا حسنا ووعيدا شديدًا .

سفيان بن عُيينة عن أيوبَ بن موسى قال: قال ٱبن أبى عَتيق لرجل : ما ٱسْمُكَ ؟ قال : وثَّابٌ، قال : فما كان ٱسم كلبك ؟ قال : عمرو، قال : واخِلَافاه !

قال أبو الدَّرْداء : علامـةُ الجاهل ثلاثٌ : العُجْبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنِيه، وأن يَنْهَى عن شىء ويأتيه . أُغْمِىَ على رجل من الأَزْد فصاحَ النساءُ وٱجتمعَ ٱلجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاسـل الموتى فجاء فوجده حيًّا بعدُ، فقال أخوه : ٱغسِله فإنك لا تَفْرُغُ مِن غَسلِه حتى يَقْضِىَ . وقال أَرْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دلالةً على عيب ٱلجهل أن كلّ إنسان يَنتفِى منـه ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه . وكان يقال : لا يَغُرَّنَّكَ من ٱلجاهل قرابةٌ ولا أخوة ولا إلْفٌ فإن أحقَّ الناسِ بِتحريقِ النار أقربهُم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خَصْلَتَان لَا تَعْدَمَانكَ(٢) من الجاهل : كثرةُ الٱلتفاتِ وسرعةُ الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إيّاكَ ومؤاخاةَ الأحمق فإنه يريدُ أن يَنفعَك فيضرُّكَ . وقال بعضُهم : لَأَنْ أُزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إلىّ من أَن أُزاوِلَ نصفَ أحمقَ، يعنى الأحمقَ المتعاقلَ . وقال هشام بن عبد الملك : يُعرفُ حمقُ الرجلِ بأربعةٍ : بطول لِحيته، وبِشناعةِ كُنيته، ونقشِ خاتمه، وإفراطِ شهوتِهِ، فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أينَ هو من الثلاث، فقيل له : ما كنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوت، وقالوا : ما نقشُ خاتَمِكَ ؟ قال : (وجَاءُوا عَلَى

---

(١) كهر كمنع : انتهر . (٢) فى النسخة الألمـانية : "لاتعد مابك"، وفى الفتوغرافية "لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب الى الصواب .

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) . وفى حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) ؛ فقيل له : أىّ الطعام تَشتهِى ؟ فقال : جَلَنْجَبِين[1] ، وفى حكاية أخرى مصاصة[2] .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَرين ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما . وقال أبو العاج يوما لجلسائه — وكان يلى واسطَ — : إنّ الطويلَ لا يخلو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث : أن يَفْرِق الكلابَ ، أو يكونَ فى رِجله قُرحةٌ ، أو يكونَ أحمقَ ، وما زِلتُ وأنا صغيرٌ فى رجلى قُرحةٌ ، وما فَرِقَ الكلابَ أحدٌ فَرَقِى ، وأما الحمقُ فأنتم أعلمُ بوالِيكم . ويقال : الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره[3] . وقال بشّار :

خليلىَّ إن العسرَ سوف يُفيقُ ❊ وإنّ يسارًا فى غد لخَلِيقُ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا ❊ صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ
ذَرِينِي أُشِبْ همّى براحٍ فإنّنى ❊ أَرَى الدهرَ فيه كُربةٌ ومَضِيقُ

وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُداوِى عقلَه أحوجُ منه الى مَنْ يُداوِى بدنَه . قيل لبعض الحكماء : مَتى يكون الأدبُ شرًّا من عدمه ؟ قال : إذا كَثُر الأدبُ ونقص العقلُ .

وقرأت فى كتاب للهند : مِنَ الحمقِ التماسُ الرجلِ الإخوانَ بغير وفاءٍ ، والأجرَ بالرياءِ ، ومودّةَ النساءِ بالغِلْظَة ، ونفعَ نفسه بضرّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالدّعة والخَفْض . وفيه : ثلاثةٌ يُهزَأُ بهم : مدّعِى الحرب ولقاءِ الزُّحوف وشِدّة النِّكاية فى الأعداء وَبَدنُه سليمٌ لا أثرَ به ، ومُنتَحِلُ عِلمِ الدّين والاجتهادِ فى العبادة وهو غليظُ

(١) فى مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربًّى بالعسل أو بالسكر . وفى أقرب الموارد أنه معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسى معرّب عن «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرّفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما فى القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخلّ أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام فى ذم الحمق .

الرقبة أسمنُ من الأَئمة، والمرأةُ الخَليَّةُ تَعيبُ ذاتَ الزوج . وفيه : مَنْ يَعمَلُ بجهلٍ خمسةٌ : مُستَعمِلُ الرَّمادِ فى جَنّتِهِ بدلًا من الزِّبل، ومُظهِرُ مستُورِ عورته، والرجلُ يَتَزَيّا بِزِيّ المرأة والمرأةُ تتزيّا بزيّ الرجل، والمتملّكُ فى بيت مُضيفه، والمتكلّمُ بما لا يَعنيه ولا يُسألُ عنه . وفيه : الأدبُ يُذهِبُ عن العاقل السّكرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكرا، كما أن النهارَ يزيدُ كلَّ ذى بَصَر بصرًا ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر . وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله .

قال الشاعر فى جاهل :

مالِى أرَى الناسَ يأخذونَ ويُعْـ * ـطُونَ ويَستَمتِعونَ بالنَّشَبِ
وأنتَ مِثــلُ الحمارِ أبهَــمُ لا * تَشكُو جِراحاتِ ألسُنِ العَــرَبِ

سمع الأحنف رجلا يقــول : ما أُبالى أَمُدِحتُ أم هُجِيت ، فقــال الأحنف : آسترحتَ مِنْ حيثُ تعِبَ الكرامُ .

كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش، نظر إلى آبنه عبد الله وهو يخطُبُ فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرجَ مِنْ هذا وأشار إلى ذكره .

ومن حَمْقَى قريش العاصُ بن هشــام أخو أبى جهْــل وكانــ أبو لَهَب قامَره فقَمَره مالَه ثم دارَه ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه فآتّخذه عبدًا وأسلمه قَيْنًا(١)، فلما كان يومُ بدر بعثَ به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافرا، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمرَ .

ومن حمق قريش الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، قال له يوما مُجالِسُوه : ما بالُ وجهك أصفرَ! أتشتكى شيئا؟ وأعادوا عليه ذلك، فرجع إلى أهله يلومهــم ويقول لهم : أنا شاكٍ ولا تُعْلِمُونى! أَلقُوا علىّ الثيابَ وآبعثوا إلى الطبيب . وتمارَضَ مرةً فعاده أصحابهُ وجعل لا يتكلمُ، فدخل شُرَاعةُ بن عبيد الله بن الزَّنْدَبُوذ وكان أملحَ

(١) عبارة الأغانى «فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة» ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرَف أنه متمارِضٌ فقال : يا فلانُ كنا أمسِ بالحِيرَة فأخذنا الخمرَ ثلاثينَ قِنِّينة بدرهم، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَنَانِيّ بدرهم، فرفع الأحوص رأسَه وقال : كذا منّى فى كذا من أمّ الكاذب، وآستوى جالسا، فنثر أهلُه على شُراعة السكَّرَ؛ فقال له شراعة : آجلس لا جلستَ وهاتِ شرابَكَ، فشربا يومَهما .

ومن حمق قريش بَكَّارُ بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاويةَ لِمَا يعرفُ مِن حُمقِ آبنه، فجلس يوما إلى خالد، فقال بكّار: أنا والله كما قال الأوّل :

* مُرَدَّدٌ فى بنى الحَمْقاء تَرْديدَا *

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرجَ البازِى .

ومن حمق قريش معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحَّان نظر إلى حمار الطّحان يُدَوِّرُ الرحا وفى عنقه جُلْجلٌ، فقال للطحان : لِمَ جعلتَ فى عنق الحمار جُلجلاً؟ فقال : ربما أدركتنى سآمةٌ أو نَعْسةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجلجلِ علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به؛ فقال معاويةُ : أرأيتَ إن قام وحرّك رأسَه ما عِلْمُكَ أنّه قائم؟ قال الطحان : ومَنْ لحمارى بمثل عقل الأمير! .

وقال معاوية هذا لأبى آمرأته : مَلَأَتنا آبنتُك البارحةَ بالدم؛ فقال : إنها مِن نسوة يَخبأْنَ ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحتُ آبنتَكَ بِعَصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ؛ قال : لو كنتَ عِنّينًا ما زوّجناكَ .

ومن حمق قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن اللهُ الوليدَ أخى فإنه كان فاجرا، والله لقد أرادنى على أن يفعلَ بى؛ فقال له قائل : آسكُتْ فوالله لئن كان همّ لقد فعلَ .

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحمق لا أتزوّجه أبدا ، له بِرْذَوْنَان أشهبانِ فهو يحتمل مَئونةَ ٱثنين وهما عند الناس واحدٌ .

وأخبرنى رجل أنه كان له صديق له برذونان فى شِيَةٍ واحدة فكنّا لا نظنّ إلا أنّ له برذونا واحدا ، وغلامان يُسَمَّيان جميعًا بفَتْح ، وكان إذا دعا واحدا قال : يافتحُ الكبيرُ ، وإذا دعا الآخرَ قال : يا فتحُ الصغيرُ .

قال أبوعُبَيدة : أرسل ٱبنٌ لِعِجْل بن لُجَيم فرسًا له فى حَلْبَة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أَبتِ ، بأىّ شىء أُسَمِّيه؟ فقال : ٱفقأْ إحدى عينيه وسَمِّه الأعورَ . وقال الشاعر :

رَمَتنِي بنو عِجْلٍ بداء أبيهِمُ * وأىُّ عِباد الله أَنْوكُ مِنْ عِجْلِ!

أليسَ أبوهُمْ عارَ عينَ جَواده * فأضحتْ به الأمثالُ تُضربُ فى الجهلِ

ومن عِجْل "دُغَةُ" التى يُضربُ بها المثَلُ فى الجهل[1]، فيقال : هى دُغَةُ بنتُ مَغْنَج ، ويقال : دُغَةُ لقبٌ ، وٱسمها ماريَةُ بنتُ زَمْعَةَ . قال أبو اليقظان : ومن عِجْلٍ حيّانُ ٱبن غَضْبان ورِثَ نصفَ دار أبيه فقال : أُريدُ أن أبيعَ حِصَّتى من الدار وأَشْتَرِىَ النصفَ الباقِىَ فتصيرَ كُلُّها لى .

ومن القبائل المشهور فيها الحمقُ "الأَزْدُ" . قال رجلٌ منهم فى المهلَّب بن أبى صُفْرَة :

نِعمَ أميرُ الرُّفقةِ المهلَّبْ * أبيضُ وضَّاحُ كتَيْسِ الحُلَّبْ[2]

* يَنْقَضُّ بالقومِ ٱنقضَاضَ الكوكَبْ *

---

(١) يقال : "أحمق من دغة" أورده الميدانى فى مجمع الأمثال وقال فى شرحه : إنها مارية بنت معنج بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان فى مواد «غنج ودغا وجعر» بالغين المعجمة ، وفى شرح القاموس مادة جعر نقلا عن البكرى فى شرح أمالى القالى أن المفضّل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميدانى فى مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

(٢) يقال تيسٌ حُلَّبٌ وتيس ذو حُلَّب . والحلَّب بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن اذا قطع منها شىء ؛ وهى تنبت فى القيظ بالقِيعان وشُطآن الأودية .

فلما أنشده المهلّبَ، قال : حسبُك رحمك الله! .

ومن أشعارهم :

يارُبَّ جاريةٍ فى الحىّ حاليــة * كأنهــا عُومَةٌ(١) فى جوف رَاقودِ

وقال آخر منهم :

زيادُ بنُ عمرٍو عينُه تحت حاجبهْ * وأســنانُه بيضٌ وقد طَرَّ شَــاربُهْ

وقال عمر بن لَجَأ(٢) يصف إبلا :

تَصْطَكُّ أَلْحِيَها(٣) على دِلَائِهَــا * تَلَاطُمَ الأزدِ على عَطائِهَــا

وقال أبو حَيَّة النُّمَيرىّ :

وكأنّ غَلْىَ دِنانِهِــمْ فى دُورهم * لَغَطُ العَتِيكِ(٤) على خِوَانِ زيادِ

كتب مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك الى يزيدَ بن المهلَّب : والله ما أنتَ بصاحب هــذا الأمر، صاحبُ هذا الأمر مَغْمورٌ موتورٌ وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتُورٍ، فقام إليه رجل من الأَزْد فقال : قَدِّم ٱبنكَ مخلدًا حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتُورًا .

قام رجل من الأزد إلى عُبيد الله بن زياد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، إن ٱمرأتى هَلَكتْ وأردتُ أن أتزوّجَ أمّها وأُزوِّجَ ٱبنى ٱبنتَها وهذا عَرِيفِى(٥)، فأَعِنِّى فى الصَّداق؛ فقال : فى كم أنتَ من العطاء؟ قال : فى سَبعِمائةٍ؛ قال : حُطًّا عنه أربعمائةٍ، يَكْفيكَ ثلثمائةٍ .

---

(١) دُوَيْبَّــة تسبح فى المــاء . (٢) ورد بالأصلين «عمرو» والتصويب عن الكامل للبرّد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليبسج وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «لجأ» . (٣) ألحيها جمع لَحْى على أفعُل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، واللحى : منبت اللحية .

(٤) العَتيك بالألف واللام : فخذ من الأزد والنسبة اليها عَتَكِىّ .

(٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَبِيصَةُ بن المهلّب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يَهُولَنَّكم ما تَرَوْنَ فإنّ عامّتها موتى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت . وقال لغلامه : آذهب إلى بَيَّاض المُلاء .

ومن حمقَ العرب كِلابُ بن صَعصَعةَ ، خرج إخوتُه يَشترُون خيلًا وخرج معهم كِلابٌ فجاء بِعجْل يَقُودُه ، فقال له إخوتُه : ماهذا؟ قال : فرسٌ آشتريتُه ، قالوا : يا مائقُ ، هذه بقرةٌ أمَا ترى قَرنَيْها! فرجع إلى بيته فقطع قَرْنَيها ، فأولادُه يُدْعَوْنَ « بَنِي فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولولا أميرُ المؤمنين وذَبُّهُ * بَخَيْل عن العِجلِ المبرقَّع[(١)] ماصَهَلْ

وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبْرِقَانُ من الحُمْق ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذ بِعِضَادَتَي[(٢)] الباب ثم قال : السلامُ عليكم ، أَيَلِجُ شَذْرَةُ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستَأذنُ فيه ، قال : أفَيَلِجُ مثلي على جماعة مثلِ هؤلاءِ ولا يُعْرَفُ مكانُهُ!

عَوانَةُ قال : آستعمَلَ معاويةُ رجلا من كَلْب ، فذكر المجوسَ يوما فقال : لعَنَ اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتِهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أُمّي ، فبلغ ذلك مُعاويةَ ، فقال : قَبَّحَهُ اللهُ! أَتُرَوْنَهُ لو زَادُوه فعلَ! وعزَله .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرَان أن يُعِينَهم في تأسيس مسجد ، فقال : قَيِّرُوهُ وعليّ الوَدَعُ .

خطب والي اليمامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ على المعاصي عبادَه ، وقد أهلكَ أُمّةً عظيمةً في ناقة ما كانت تُساوِي مائتي درهم ، فسُمِّيَ مُقَوِّمَ الناقة .

شَرَد بعيرٌ لِهَبَنَّقَةَ ، وآسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ ، فقال : مَنْ وجدَ بعيري فهو له ، فقيل له : وما يَنفعُكَ من هذا؟ قال : إنكم لا تَدرُونَ ما حَلاوةُ الوِجْدانِ .

---

(١) المبرقع : الذي أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للرَّبيع : كيف تَعرِفُ الريحَ؟ قال : أَنظرُ إلى خاتَمى فإن كان سَلِسًا فهىَ شَمالٌ وإلّا فهى جَنُوبٌ؛ فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحىّ عن ذلك؛ فقال : أَضرِبُ بيدى إلى خُصْيَتَىَّ فإن كانتا قد قَلَصَتا فهى شَمالٌ وإن كانتا مُتَدَلِّيتين فهى جَنُوبٌ .

قال أبو كعب القاصُّ فى قَصَصِه : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال فى كَبِدِ حمزةَ ما قد علمتُم فادعوا الله أن يُطعِمَنا مِن كَبِد حمزةَ . وكان يقولِ فى قَصَصِه : ليس فىّ خيرٌ ولا فيكم، فتَبَلَّغُوا بى حتى تجدوا خيرًا مِنّى . وقال هو أو غيره فى قصصه : كان آسم الذئب الذى أكَلَ يوسفَ كذا وكذا؛ قالوا : فإن يوسفَ لم يأكله الذئبُ؛ قال : فهذا آسم الذئب الذى لم يأكل يوسفَ .

حدّثنى عبـد الرحمن بن عبد الله عن عمّـه قال : كان قاصٌّ يَقُصّ فى المسجد فيقول : مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصرِ الإِسكاف خارجُه حَسَنٌ وداخلُه مَخْرَأةٌ، ومَثَلُ المؤمن مَثَلُ قَصرِ زَرْبِىٍّ (١) جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهْرَةٌ . ويقول : وما الدنيـا! أخزَى اللهُ الدنيا! إنما مَثَلُها مَثَلُ أَيرِ حمارٍ، بينا هو قد أَنعظ إذ طَفِىَ . وقال : المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ وسَمَكَتُه شِلْقَةٌ ودواؤه عُلْقَةٌ ومَرَقَتُه سَلْقَةٌ (٢) .

أصابت داودَ المصابَ مُصيبةٌ فاغتمّ؛ فقال له صاحبٌ له : لا تتّهِم اللهَ فى قضائه؛ فقال داود : أَقُـولُ لك شيئا وتكتُمهُ ؟ قال : نعم؛ قال : والله ما صاحِبى غيرُه . وآستشاره رجل فى حمل أمّه إلى البصرة ، وقال : إنـ حملتُها فى البرّ خفتُ عليها اللُّصُوصَ، وإن حملتُها فى المـاء خِفتُ عليهـا الغرَق؛ فقال : خُذْ بِها سُفْتَجةً (٣) .

(١) قصر بالبصرة فى سكة المِرْبد لمسـلم بن عمرو بن الحُصَين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له : زربىّ . (٢) الفلقة : الكِسرة، والشِّلق : شىء على خِلقة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يَدَيْن له يكون فى أنهار البصرة وليست بعربية . كذا فى اللسان . والعلقة : شجر يبقى فى الشتاء تتبلَّغ به الإبل حتى تُدْرك الربيع . والسلقة : الجرادة، لعله يريد أنه يجتزئ من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافر اليه فتأخذ منه خطًّا لمن عنده المـال فى ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته اليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشىء المحكم، سمّى به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحَك منهما ، فأسمعاه فغَضبَ فدعا بالسّيف ؛ فقال أحدُهما للآخر : كنّا آثنين وقد صرنا ثلاثةً . قال رجل لآبن سَيّابةَ مولى بنى أسد : ما أُراكَ تعرفُ اللهَ ؛ قال : أَتُرانِى لا أَعْرِفُ مَنْ أجاعَنِى وأعرانِى وأخزانِى .

قيل لأعرابىّ : كيف بِرُّكَ بأمّك ؟ قال : ما قرعتُها سوطًا قطّ . وقيل لآخر وهو يضربُ أمَّه : ويْحَكَ ! تضربُ أُمّك ! فقال : أُحِبُّ أن تَنْشَأَ على أدبى . وقال بعض الشعراء :

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجدٍ * طبيبًا يُداوِى من جُنُونٍ جُنُونِ

وقال آخر :

وكيف يُفِيقُ الدّهرَ كعبُ بنُ نَاشِبٍ * وشَيطانُهُ بينَ الأهِلَّةِ يصْرَعُ

وقال أعرابىّ وذكر الله عزّ وجلّ :

خلقَ السماءَ وأهلَها فى جمعةٍ * وأبوكَ يَمْدُرُ(١) حوضَه فى عامِ

كان أبو العَاجِ والِىَ واسطَ ، وأتاه صاحبُ شرطته بِقَوّادَةٍ فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، هذه قوّادةٌ ؛ قال : وأىَّ شىء تَصْنعُ ؟ قال : تجمعُ بين الرجال والنساء ؛ قال : لماذا ؟ قال : للزنا ؛ قال : وإنما أتيتَنى بها لتُعرِّفَهَا منزلى ! خَلِّ عنها لعنكَ الله . وأتاه يوما بمُخَنَّثٍ ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : مُخنّثٌ ؛ قال : وما يصنَعُ ؟ قال : يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ ؛ قال : يَبْذُلُ هذا آسته وأَحْظُرُ أنا عليه ! آذهبْ يابنَ أخى فَآرتَدْ(٢) لها .

خطَب وَكِيعُ بنُ أبى سُودٍ بخُرَاسانَ فقال : إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ فى ستة أشهرٍ ؛ فقيل له : إنها ستّةُ أيام ؛ فقال : والله لقد قلتُها وأنا أستقِلّها .

(١) مدرت الحوض أمدره ، أى أصلحته بالمَدَر وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى النسخة الألمانية : «فارتد بها» .

تغدّى رجلٌ عند سليمانَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ ولىُّ عهدٍ وقُدّامَه جدْى، فقال له سليمان: كُلْ من كُلْيته فإنها تزيد فى الدّماغ؛ فقال: لو كان هـذا هكذا كان رأسُ الأمير مثلَ رأسِ البغلِ.

أبو عبيدة: أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعـل رجل من النَّظّارَة يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه: يا فتَى، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال: لا ولكنّ اللِّجامَ لى. دخل أبو عتّاب على عمـرو بن هدّاب[1] وقد كُفَّ بصرُه والناسُ يُعزُّونه، فقال: يا أبا زيدٍ، لا يَسُوءَنَّكَ ذَهَابُهُما، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانكَ تمنّيتَ أنّ الله قطعَ يديكَ ورِجليكَ ودَقَّ ظهركَ. كان رجلٌ يقودُ أعمى بِكِرَاءٍ، فكان الأعمى ربما عثَر فيقول: اللهم أَبدِلنِى به قائدًا خيرًا منه؛ ويقول القائد: اللّهم أبدلنى أعمى خيرًا منه.

ٱدَّعَى أبو بكر الشَّيبانىّ إلى العرب ذاتَ ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فثارتْ به مِـرَّةٌ، فجعل يَحُكُّ جسدَه بأظفاره نَحْشًا ويقول: إنما نحن إبل؛ فقال له قائل: والله إنك تُشبِهُ العربَ؛ فغضِبَ وقال: أيقال لى هـذا! أنا والله حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ[2]، يَشهدُ لى سوادُ لونِى وغُـُؤورُ عَينَىّ وحُبِّى للشمس.

قيل لأبى السَّفّاح عند موته: أوصِهْ؛ فقال: إنّا لَكِرَامُ قومِ طِخْفَةَ[3]؛ قالوا: قل خيرًا يا أبا السفّاح؛ فقال: إن أحبَّت ٱمرأتى فأَعْطُوها بعيرا؛ قالوا: قل خيرًا؛

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفى الأصلين «عمر بن هلزاب» وهو تحريف.

(٢) فى الأصلين «مُنْضِيَةٍ» والتصحيح عن لسان العرب فى مادّة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتَّنْضُبَةُ واحدة التَّنضُب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابى.

(٣) طخفة بالكسر والفتح: جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل. ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

قال : إذا مات غلامى فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مرارا، فقال : أخبرونى عن أبى طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما أنتَ وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه. ولما احتُضِرَ العُجَيرُ السَّلُولىّ قال لقوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأُكلمنّه فيكم. وقيل لأَوْس بن حارثة عند موته : قل لا إله إلا الله، فقال : لم يَأْنِ لها بعدُ. وقيل لآخر عند موته : ألا تُوصِى ؟ قال : أنا مغفورٌ لى، قالوا : قل إن شاء اللهُ، قال : قد شاء الله ذلكَ، قالوا : لا تَدَعِ الوصيّةَ، فقال لبنى أخيه :

بَنِي حُرَيثٍ ارفعا وِسَادِى * واحْتفِظَا بالجِلّةِ الجِلادِ
* فإنما حولكُما الأعادِى *

قال سَهْل بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاءَ : الغضبانُ والغَيْرانُ والسكرانُ، قالوا : فما تقول فى المُنعِظ ؟ فضَحِكَ وقال :

وما شرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمرٍو * بصاحبِكِ الذى لا تَصْبَحِينَا

قال الوليد : أَلَا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجّاج جِلدةُ ما بين عينيَّ، ألا وإن الحجاجَ جلدةُ وجهى كُلِّه.

خطب عَتّابُ بنُ وَرْقاءَ فحَثَّ على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ

وقال آخرُ فى الرَّبيع والى اليمامة :

شهدتُ بأنّ اللهَ حَقٌّ لِقاؤهُ * وأنّ الربيعَ العامِرِىّ رَقيعُ(١)
أقادَ لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ * دِماءَ كِلابِ المسلمين تَضيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ، وفى الأصل الفتوغرافى : «رفيع» بالفاء، وهو تحريف.

دخل شابٌّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مات رحمه اللهُ يوم كذا وكذا، وكان مرضُــه رضى الله عنه كذا وكذا، وترك عفا اللهُ عنه من المــال كذا وكذا؛ فانتهره الربيع وقال: أبينَ يَدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالِى الدعاءَ لأبيك! فقال الشابّ: لا ألومُكَ، إنك لم تَعْرِف حلاوةَ الآباء؛ فما عُلِم أنّ المنصورَ ضَحِكَ مِثلَ ضَحِكِه يومَئذٍ. وكان الربيعُ لقيطًا.

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستَجلسَه ودعا بغَدَائه فقال للفتى: ٱدْنُهْ؛ فقال: قد تَغَدّيتُ؛ فلما خرج ٱستخفّ به الربيعُ ودفع فى قَفَاه، وقال: هذا كان يُسلِّمُ من بعيدٍ ويَنصَرِفُ، فلمّا ٱستدناه أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تَبَذَّلَ[1] بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صَيَّره فيها أن قال: قد تَغَدّيتُ، وإذًا ليس عنــده لِمَنْ تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوع.

يونسُ الهَجَرِىُّ قال: مات رجلٌ من جُنْــدِ أهل الشأم فحضر الحجّاجُ جَنازَتَه، وكان عظيمَ القَدْرِ، فصلّى وجلس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانه؛ فنزلَ نفرٌ منهم، فقال أحدُهم وهو يُسَوِّى عليه: رحمكَ اللهُ أبا فلانٍ! إن كنتَ ما علمتُك لَتُجِيــدُ الغِناءَ وتُسرِعُ رَدَّ الكأسِ، ولقد وقعتَ فى موقعِ سُــوءٍ لا تخرج منه الى الدَّكّة؛ فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ فى جِدٍّ ولا هَزْلٍ، ثم قال له: لا أمَّ لكَ! هذا موضعُ هذا! قال: أصلح الله الأميرَ، فرسى حَبِيسٌ لو سَمِعَه يتغَنَّى: * يالُبَيْنَى أَوْقِدى النارَا * لٱنتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ، وكان الميّت يلقّبُ سَعْنَةَ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأدمِّهم؛ فقال الحجاج: إنا لله! أخرِجُوه عن القبر، ثم قال: ما أبينَ حُجَّةَ أهل العراق فى جَهلِكم يا أهلَ الشأم. ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا ٱستفرغ ضَحِكًا.

(١) فى الأصلين: «وتبذل» والسياق يقتضى حذف الواو.

تبع داودُ بنُ المُعْتمِر آمرأةً ظنّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك مِنْ سِيما الخير لم أَتْبَعْكِ؛ فضحكت المرأةُ وأسندتْ ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يَعتصمُ مِثلى من مثلِكَ بِسيما الخير، فإذا صار سيما الخير هو الدالَّ لمثلك على مِثلى فالله المستعانُ . كان بهلولُ المجنونُ يتغنّى بِقيراطٍ(١) ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ . وكان رجل يَهْوَى جاريةً تَختلفُ فى حوائج أهلها، وكانت إذا خرجتْ الى السوق ولم يَعْلَم بخروجها ثم رجعتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُهَا : (لو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)، وإن وعدتْه شيئا فأخلفتْ قال : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)، فإن تَغَضَّبتْ لشىءٍ بلغها عنه قال : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) .

مرّ بعضُ الحمْقَى بآمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهى تبكى، فرقّ لها وقال: مَنْ هذا الميِّتُ؟ قالت : زوجى؛ قال : فما كان عَمَلُهُ ؟ قالت : يَحفِرُ القبورَ؛ قال : أبعدَه اللهُ أَمَا علم أن مَنْ حَفَر حُفرةً وقع فيها ! أحدثَ رجلٌ من الحمْقَى ليلةً على بابِ رجلٍ، فلما خرج الرجلُ زَلِقَ ووقع على ذراعه فآنكسرتْ، وآجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يَختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم، فلما أكثروا قال :

رأيتُ الحربَ يَجْنِيهَا رجالٌ * ويَصْلَى حَرَّها قومٌ بُرَاءُ

فأخذوه وقالوا : أنتَ صاحبُنَا . قال داود المصاب : رأيتُ رؤيا نِصْفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ، رأيتُ كأنّ على عنقِ بَدْرَةً(٢) فمن ثِقلها أحْدَثْتُ فاستيقظْتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أر البَدْرَةَ . رُئِى أعرابىّ يبكى بكاءً شديدا، فسُئل عن سبب بُكائه فقال : بلغنى أنّ جالوتَ قُتِلَ مظلومًا . رأى رجلٌ أحمقُ شيخا فى الحمّام أَعْكَنَ(٣)

(١) القيراط : نصف الدانق، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطن، أى فى بطنه عكن وهى ثنايا ها .

البطن، فقال له : يا عمّ إنى أشتهى أن أضعَ هـذا — يعنِى ذَكَرَه — فى سُرَّتِكَ؛ فقال له الشيخ : يابن أخى فأين يكونُ ٱستُكَ حينئذ. نزل يهودىّ على أعرابىّ فمات عنده، فقام الأعرابىُّ يُصـلّى عليه فقال : اللّهـم إنه ضيفٌ وحَقُّ الضيفِ ما قد علمتَ، فَأَمْهِلْنَا إلى أن نَقضِىَ ذِمَامَه ثم شأْنَكَ والكلبَ .

وحدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعىّ قال : كان بين ٱثنينِ عبدٌ فقام أحدُهما فجعلَ يَضرِبُه، فقال له الآخرُ شريكُهُ : ما تَصْنَعُ! قال: إنما أضرِبُ حِصَّتِى. قال أعرابىّ لرجل: ما ٱسمُكَ؟ قال: عبدالله، قال : ٱبنُ مَنْ؟ قال : ٱبن عُبيدِ الله، قال: أَبُو مَنْ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أَشهدُ إنك لتَلُوذُ باللهِ لِوَاذَ يَتيمٍ جَبانٍ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس(١) يتنازعانِ فى العِنب النيروزىّ والرازقىّ : أيّهمَا أطيبُ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا، فقطع الكوفىُّ إصبعَ البصرىِّ وفقأَ البصرىُّ عينَ الكوفىِّ، ثم لم ألبَثْ إلا يسيرًا حتى رأيتُهما مُتصافِيَين مُتَنادِمَين .

قال: وقال ثُمَامةُ : مررتُ فى غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسّماء مُتَغَيّمةٌ والريح شَمالٌ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جرادةٌ، وقد قعد على قارعةِ الطريق وحَجّامٌ يَحْجُمُهُ على كاهله وأَخْدَعيهِ بمحاجمَ كأنها قِعابٌ وقد مَصَّ دمَه حتى كادَ يَستفرِغُه، فوقفتُ وقلتُ : ياشيخُ لِمَ تَحتجِمُ؟ قال: لمكان الصُّفَار الذى بى . أتى الطَّمَحانُ قوماً يعودُ عليلًا لهم فعزَّاهُم به، قالوا : إنه لم يَمُتْ، فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء اللهُ، يموت إن شاء الله.

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع قال : كان الغَاضِرىُّ مِنْ أحمقِ الناس، فقيل له : ما حُمْقُه ؟ فجعل يتربّثُ(٢)، فلما أَكْثَرَ عليه قال : قال لى مرّةً : البحرُ مَنْ حَفَره ؟ وها حُفِرَ فأينَ نبيثتُه(٣)؟ أتُرَى أميرَ المؤمنينَ يَقدرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه فى ثلاثةِ أيام ؟

(١) فى النسخة الألمانيّة «مونس» . (٢) يتربّث : يتلبث .
(٣) النبيثة : تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحَمْقَى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ فى نسبه، فقال: إنى قد ٱمتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه؛ قال: ما أحْوجَنى إلى المنفعة فهاتِهِ؛ فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبنـاءَ سبعينَ وقد نَيَّفُوا
فَكُلُّهم يُخْـبِرُنى أنَّهُ * مُهَـذَّبٌ جَوهَرُهُ يعرفُ

فقـال له: قُمْ فى لعنة الله وفى سُخْطِه! لعنك اللهُ ولعنَ مَنْ سألتَ ومَنْ أجابكَ.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمِّه فقال: ياعمّ، إن وَلَدَ جاريةِ آلِ فلانٍ مِنّى فافتَدِه، ففعل؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك، فقال له عمُّه: او عَزَلْتَ! قال: بلغنى أن العَزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدّثنا الأصمعىّ قال: بَلَغَنِى عن شيخ جَزِعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا، فقيلَ له فى ذلك، فقال: نحن قومٌ لم نَتَعَوّد الموتَ.

أبوالحسن الجعفرىّ قال: قيل لكَرْدَمِ السَّدُوسِىّ: كُلْ، قال: ما أُرِيدُ، قيل: ولِمَ؟ قال: أكَلْتُ قليلَ أُرْزٍ فأكثرتُ منه. ضلّ بعيرٌ لأعرابىّ فجعل يَنْشُدُه الى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيرا، فقيـل له: إنّ بعيركَ كان أعرابيًّا، قال: إنه لمـا أكَلَ مِن مالِ الإمارة تَبَخَّتَ[1].

الهيثم عن ٱبن عبّاس قال: لمـا وَلِىَ مَروانُ وجّهَ جيشَ ٱبنِ دُلْجَةَ القَينِىّ إلى المدينة وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتْلَةُ من التمر فيأكلُها ثم يُلْقِى النّوى على وجوه أهل المدينة يمينًا وشِمالا، ثم يقول: يا أهلَ المدينة، إنى لأعلمُ أنّ هذا المكان فى حرمته وموضعه

(١) تبخّت صار بُختيًا جمعه بخاتى وهى الإبل الخُراسانية.

ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ، ولكنى أُحِبُّ أن أُرِيَكُم هوانَكُم على الله . قيل لمعلِّم بن معلِّم : مالكَ أحمقَ ؟ قال : لو لم أكن أحمقَ كنتُ وَلَدَ زِنًا . قال بعضُ الشعراء:

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعًا * فصرتُ إذًا بعـد المشيبِ مُعَلِّمـا

وقال آخر :

وكيف تُرَجَّى العقلَ والرأىَ عند مَنْ * يَروحُ على أُنثَى ويَغدُو على طِفلِ

ابن المدائنىّ قال : تحوّل أبو عبد الله الكَرْخىّ إلى الخُرَيبة(١) فادّعى الفقهَ وظنّ أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسَمْته، فألقَى على باب داره البوارِى(٢) وجلس فجاس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله، رجلٌ فى الصلاة أدخل إصبعَه فى أنفه فخرج عليها دمٌ، أىّ شىءٍ يَصنعُ ؟ قال : يَحتجِمُ رحمك الله، فقال له السائلُ : ظننتُ أنّك فقيهٌ ولم أدرِ أنكَ طبيبٌ . قال رجلٌ للشَّعْبىّ : إنى أجدُ فى قَفَاىَ حِكَّةً فترَى لِى أَنْ أَحتجِمَ ؟ فقال الشعبىُّ : الحمد لله الذى نَقَلَنا من الفقهِ إلى الحِجامةِ . وقال له آخر : رجلٌ آستمنَى فى يومٍ من شهر رمضان هل يُؤْجَرُ؟ قال : أَوَمَا يرضَى أن يُفْلِتَ رأسًا برأسٍ . نازع التيمىَّ رجلٌ من بنى عمّــه فى حائطٍ بينهما فبعَث إلى قومٍ يُشْهِدُهُم، فأتاه جماعةٌ من القبائل، فوقَف بهــم على ذلك الحائطِ وقال : أُشْهِدُكم جميعا أنّ نصفَ هذا الحائطِ لى . وقدّمَ آخرُ رجلًا إلى القاضى فى شىء يدّعيه عليه، فأنكر الرجلُ، فقال : أيها القاضى آكتُب إنكارَه، فقال القاضى: الإنكارُ فى يدكَ متَى شئتَ .

قال مَسعدةُ بن طارق الذّرّاع(٣) : إنّا لوقوفٌ على حدود دار لنقسمَها ونحن فى خصومة، إذ أقبلَ سيّدُ بنى تميم ومُوسِرُهم والمصلّى على جنائزهم، فأمسكنا عن الكلام، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البوارى جمع بارية : الحصير المنسوج .

(٣) فى الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذرع وهو القياس بالذراع .

حَدِّثونى عن هذه الدارِ هل ضَمَّ منها بعضُنا إلى بعضٍ أحدا[(١)] ؟ قال مسعدةُ : فأنا منذ ستين سنةً أُفكِّرُ فى كلامه فما أدْرِى ما عَنَى . أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقالت : إنّ هذا قَبَّلَنى ، فقال : يافَتَى ، أَذْعِنْ لها بحقِّها ، قَبِّلْهِ عافاكَ اللهُ كما قَبَّلَكَ ، فإن الله يقول : (وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أُلقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فاشتدّتْ عليه فجعل يَحْسُبُ غيرَها ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : عسى أن يكونَ تَرَكَ غيرَ ما ذَكَرُوا .

حدّثنى محمد بن عمر عن ٱبن كُنَاسَةَ قال : قال بعضُ الطالبيّين لأشْعَبَ : لو رَوَيتَ الحديثَ وتركتَ النوادرَ كان أنبلَ لكَ ، قال : والله قد سمعْتُ الحديثَ ورويتُه ، قال : فَحَدِّثْنَا ، قال : حدّثنى نافعٌ عن ٱبن عمرَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : خَلَّتَانِ مَنْ كانتَا فيه كان مِنْ خَالصةِ اللهِ ، قال : هذا حديثٌ حسن فما هُما ؟ قال : نَسِيَ نافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخرى . وكان بالبَصْرة ثلاثةُ إخوة من ولدِ عتّابِ بن أَسِيدٍ كان أحدُهم يَحُجُّ عن حَمْزَةَ ويقول : ٱستُشْهِد قبل أن يحجّ ، وكان الآخر يُضَحّى عن أبى بكر وعمر ويقول : أَخْطَآ السنّةَ فى تركِ الأُضحيةِ ، وكان الآخر يُفْطِرُ عن عائشةَ أيامَ التّشريقِ ويقول : غَلِطَتْ فى صومِها أيامَ العيد ، فمَنْ صامَ عن أبيهِ وأمِّه فأنا أُفْطِرُ عن أمّى عائشةَ .

قال ثُمَامةُ : كنّا فى منزل رجل من الدّهاقينِ[(٢)] وفينا شيخٌ منهم ، فأتَى ربُّ البيتِ بدُهْنٍ طيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنا لِحيتَه ومَسحَ بعضُنا شاربَه وبعضُنا يديه ، فقال أحدُهم : ٱدْهُنُوا أَستاهَكم تأْمنُوا الحَزَازَ[(٣)] ، وأَمِرُّوها على وجوهكم ؛ فأخذ شيخٌ

(١) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣ : هل ضمّ منها بعضها الى بعض أحدا .

(٢) الدهاقين جمع دِهْقان : رئيس الإقليم .

(٣) الحزاز : هِبرِيَة فى الرأس كأنه نُخالة ، واحدته حزازة .

منهم بطَرَف إصبعه فأدخله فى أنفه ومسحَ حاجبيه، فعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدّهن فصبّه فى أذنه؛ فقلنا له : ويحك! هل رأيتَ أحدا أُتِىَ بدهنٍ طِيب فصبّه فى أذنه؟ قال : إنه مع هذا يضُرّنى .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكْنَى أبا خارجةَ، فقلتُ له : لِمَ كَنَوْك أبا خارجةَ؟ قال : لأنى وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن علىّ البَصرةَ . قال عمرو بن بَحْر : ذكَر لى ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضِيّة أنه جَرى ذكرُ الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتدّ غضبُه؛ فقلتُ له : ما أنكرتَ؟ قال : أُنكِرُ مكانَ الشّين فى أوّل الكلمة(١) لأنى لم أجدها قطّ إلا فى مَسخوطٍ عليه مثل شُؤم وشَرّ وشيطانٍ وشُحّ وشَغْب وشَيب وشَكّ وشِرْك وشَتْم وشِيعَــة وشِطْرَنْج وشَاكِى وشانئ وشحج(٢) وشَوْصَة وشابشتى وشَكوى؛ فقلت : ما تقوم بهؤلاء قائمةٌ أبدا(٣). قال : وسمعتُ رجلا يقول : عجِبتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يزعم أن الاستطاعةَ مع الفعل؛ فقلت له : ما الدليلُ على ذلك؟ فقال : سبحان الله! الأشعارُ الصِّحاحُ؛ قلت : مثل ماذا؟ قال : مثلُ قول رُؤْبةَ :

* ما إنْ يَقَعْنَ الأرضَ إلا وَفْقَا *

وقــوله : * يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْن وَفْقَا *

وقــوله : * مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِــلٍ مُدْبِرٍ معًا *

وقولهم فى المثل : "وَقَعَا كَعِكْمَىْ عَيْرٍ(٤)" ثم قال : هل فى هذا تَقْنَع؟ قلتُ : بلى وفى دُونِ هذا .

---

(١) فى الأصلين : "فى أوّل كلمة" بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه؛ فلعلّ الصواب ما ذكرناه أو أن فى الكلام حذفا . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده فى مادة «شحج» فى اللسان والقاموس مصدرا أو غيره . ولعله محرّف عن «شَجَج» وهو أثر الشجّة فى الجبين .

(٣) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الأصل الفتوغرافى «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين، وفى اللسان فى مادة عكم : «هُمَا كَعِكْمَىِ العَيْر» والعِكْم : العِدل مادام فيه المتاع .

وعَد رجلٌ رجلا من الحمق أن يُهْـدِىَ له من مكة نعلًا، فطال عليه الآنتظارُ، فأخذَ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال: آنظُر فى هذا المـاءِ هل يُهدى لى بعضُ إخوانى نعلًا حَضْرَميةً؟ . وقال الزِّيادىّ: مرّ أشعبُ برجلٍ يعمَلُ طَبَقًا وقال له: زد فيه طوقًا، قال: ولِمَ؟ قال: لعلّه يُهْدَى لِى فيه شىءٌ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن القَعْقَاع قال: رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب خَمْلُهَا وهو يقول: مَنْ يَشْتَرِى مِنّى الرَّمِدَةَ(١)؟ فأتاه رجلٌ فَساومَه، قال: أَبرأُ إليكَ من عيبٍ فيها، قال: وما هو؟ قال: تحترِقُ إن أنتَ لبِسْتَها .

سقط أعرابىّ من بعيرٍ له، فانكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرَ يستوصفُه، فقال: خُذْ تمرًا جيّدا فانزِعْ أقمـاعَه ونواه وآعجِنه بسمنٍ ثم آضمِدْه عليه، قال: أى بِأَبِى أنتَ مِن داخلٍ أم(٢) من خارجٍ؟ قال: مِنْ خارج، قال: لا أبا لشَانِئِكَ هو من داخل أنفعُ لى، قال: ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ .

مات آبنٌ صغيرٌ لأعرابىّ، فقيل له: تَرجُو أنـــ يكوَن لك شفيعًا، فقال: لا وكَلَنا اللهُ إلى شفاعته، حَسْبُه المِسكينِ أن يقومَ بأمر نفسه .

جاء أعرابىّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ، فقال لبعض القوم: ما هذا؟ قال: يدعونَ النـاسَ إلى الطعام، قال: فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال: يقول ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحمِلُوا معهم، فتخطَّى الأعرابىّ الناسَ حتى دنا من الوالى فقال: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا .

أخذ الحجاجُ لِصًّا أعرابيًّـا فضربه سبعَمائةِ سوط فكلّما قرعه بسوطٍ قال: اللّهم شكرا، فأتاه آبنُ عمٍّ له فقال: والله ما دعا الحجّاجَ إلى التمـادى فى ضربك إلا كثرةُ

(١) كذا فى النسخة الألمـانية وفى الأصل الفتوغرافى: «الومدة» والرمدة: الكدرة التى صارت كلون الرماد .
(٢) فى الأصلين «أو» وسياق الكلام يقتضى «أم» .

شكرك، لأن الله يقول : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إنّ هـذا فى كتاب الله؟ فقال : اللهمّ نعم؛ فأنشأ الأعرابىُّ يقول :

يا رَبِّ لا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِى * أسْرفْتُ فى شكرك فاعفُ عَنِّى

باعِدْ ثوابَ الشاكرين مِنِّى

فبلغ الحجاجَ نخلّى سبيلَه . جاء أعرابىّ إلى صَيْرَفىّ بدرهم؛ قال: هذا سُتُّوقٌ؛ فقال الأعرابىّ : وما هو السُّتُّوقُ بأبى أنتَ؟ قال : داخلُه نُحَاسٌ وخارجُه فضّة؛ قال : ليس كذلك؛ قال : أَكسِرُه فإن كان كذلك فأنا منه برىء؟ قال : نعم؛ فكسره فلما رأى النحاسَ قال : بأبى أنتَ، متى أموتُ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ .

لما حضرت الحُطَيئةَ الوفاةُ قال : آحملونى على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ فلعلّى أن أبقَ، ثم تمثّل :

لِكلِّ جـــديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّنى * رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذيذِ

المدائنىّ قال : دعا رجلٌ بمكة لأمّه؛ فقال له قائل : فما بالُ أبيكَ؟ قال : هو رجلٌ يحتالُ لنفسه . قيل لأشعبَ : أرأيتَ أحدًا قطّ أطمعَ منك؟ قال : نعم خرجتُ إلى الشأم فنزلتُ أنا ورفيقٌ لى بدَيْرٍ فيه راهبٌ ، فتلاحينا فى أمرٍ فقلتُ : الكاذبُ منّا كذا من الراهب فى كذا من أُمّه، فأتى الراهبُ وقد أنعظَ وهو يقول : بأبى مَن الكاذبُ منكما؟ . مرّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن علىّ الهاشمىّ بِقَاصٍّ وهو يقرأُ : (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، فتنفّس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يَتجرّعُه ويُسِيغُه .

الأصمعىّ عن أبيه : قلتُ لأعرابىّ : أفيكم زِنًا؟ قال : بالحرائر؟ ذاكَ عند الله عظيمٌ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ . موسى بن طلحةَ قال: جاءنا علىّ بن أبى طالب رحمه الله ونحن فى المسجد شَــبَابٌ من شَبَابِ قريش . فنحّينا له عن الأُسطوانة

وقلنا : هاهنا ياعمّ؛ فقال : يا بنى أخى، أنتم لشيوخكم خيرٌ من مَهْرة[١] فإنه إذا كبِرَ الشيخُ فيهم شدُّوه عِقالًا ثم يُقال له : ثِبْ فيه، فإن وَثَب خَلَّوا سبيلَه وقالوا : فيه بقيّةٌ من عُلالةٍ، وإن لم يَثِبْ قدّموه فضربوا عِلاوته[٢] وقالوا : لا يُصيبُكَ عندنا بلاءٌ.

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعكَ أن تكون مثلَ أبيك؟ قال : الكسلُ . وقال يومًا لِزَبْراءَ جاريةِ أبيه : يا زانيةُ؛ فقالتْ : لو كنتُ كذلك جئتُ أباكَ بمثلكَ .

أبو الحسن قال : جاء قومٌ إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُكَ فلانٌ فمُرْ لنا بكفنٍ؛ فقال : ما عندنا اليومَ شيءٌ ولكن تَعودونَ؛ قالوا : أفنُمْلِى إلى أن يتيسَّرَ عندك شيءٌ! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحكَ اللهُ، تُعيرُنا ثوبا نُكفِّنُ فيه ميتا؟ . قال قاسمٌ التمّارُ فى كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال أيضا : رأيتُ إيوانَ كسرى فإذا هو كأنما رُفِعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمسِ .

كان عبد الملك بن هلال الهينابىّ[٣] له زَبيلٌ مملوء حصًا للتسبيح، فكان يُسبّح بواحدةٍ واحدةٍ، فإذا مَلَّ طرح ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثا ثلاثا، فإذا زاد مَلالُهُ طرحه قَبضةً قَبضةً وقال : سبحان الله عدَدَكَ، فإذا ضَجِرَ أخذ بِعُرَى الزَّبيلِ وقال : الحمد لله بِعددِ هذا كلِّه. دخل قومٌ منزلَ الرُّستُمىِّ لأمرٍ وقع، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا : كيف القِبلَةُ فى داركَ هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذُ شهر .

المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد عن حميد بن أبى البَخْتَرِىّ[٤] أن الشعبىّ قال : مَرِضتُ فلقيت ابن الحُرّ فأمرنى أن أمشى كل يوم إلى الثَّويّة، فكنت أغدو كلّ يوم إليها،

---

(١) مهرة : حى من العرب وإليهم تنسب الإبل المهريّة .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا فى أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا فى الأصل الفتوغرافى وتؤيده كتب اللغة والأنساب، وفى الألمانية «البحترى» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلمّا كنت فى جُهَينة الظاهرة(١) إذا شيخٌ منهـم قاعد على طنفسة مُتّكِئٌ على وِسادة ، فسلّمت ثم ألقيت نفسى على الرمل؛ فقال : لقد جلستَ جِلسة عاجز أو ضعيف؛ قلت : قد جمعتُهما؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلى كانوا يتخوّفون علىّ ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والقِطَاف فى المشى، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدا وأراه آثنين، ولقد تركت النساء فما لى فيهن من حاجة، و إنى لأمشى فأُهَمْلِج؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائنىّ : ركب يزيد بن نَهْشَل النهشلىّ بعيرا وقال : اللّهم إنّك قلت (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وإنّى لبعيرى هـذا لمُقْرِن ؛ فنفَربه فطرحه و بقيتْ رجله فى الغَرْز، فجعل يضرب برأسه كل حجَر ومَدر حتى مات .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : آختصمت الطُّفَاوة وبنُو راسِب(٢) فى رجـل يدّعيه الفريقان إلى آبن عِرْباض، فقال : الحكم بينكم أبينُ من ذلك، يُلْقَ فى النهر فإن طفا فهو لطُفاوة، و إن رسَب فهو لبنى راسِب .

المدائنىّ قال ؛ لـمـا حضَرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قيل له : أوصِ؛ قال : بم أوصِى! مالى للذكور دون الإناث؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا؛ فقال : لكنى آمُر به، ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية الشـعر؛ فقيـل له : أوصِ يا أبا مُلَيكة للمساكين بشىء؛ قال : أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبورَ . قيل : أعتق عبدَك يَسَارًا ؛قال : آشهدوا أنه عبد مابقِى. قيل : فلان اليتيم ماتُوصى فيه؟ قال : أُوصى أن تأكلوا ماله وتَنيكوا أمّه ؛ قالوا : ليس إلا هذا! قال : آحملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلّى أنجو؛ ومات مكانه .

(١) كذا فى النسخة الألمـانية، وفى الأصل الفتوغرافى : «الطاهرة» .

(٢) الطفاوة و بنو راسب : حيّان من العرب .

لمّا حضرت سعدَ بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بَنِىّ أوصيكم بالناس شرّا ، كلّموهم نَزْرا ، وانظروا اليهم شَزْرا ، ولا تقبلوا لهم عُذْرا ، قَصِّروا الأعِنّة ، واشحَذوا الأسنّة ، تأكلوا القريب ، ويرهَبْكم البعيد . ولمّا حضرت وكيعًا الوفاةُ دعا بنيه فقال : يا بَنِىّ إنّى لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جِباههم وعرّضوا لِحاهم يدّعون أن لهم على أبيكم دَينا فلا تَقْضُوهم ، فإنّ أباكم قد حَمل من الذّنوب ما إن غفر الله له لم تضرُرْه ، وإلّا فهى مع ما تقدّم .

تقدّم رجل من بنى العَنْبر الى سَوّار فقال : إن أبى مات وتركنى وأخًا لى ، وخطّ خطّين ناحيةً ، ثم قال : وهَجِينًا لنا ، ثم خط خطّا آخر ناحيةً ، ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثا إن لم يكن وارثٌ غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك فهمت ، إنه تركنى وأخى وهجينًا لنا ؛ فقال سوّار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابىّ أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخى ؟ قال أجَلْ ! فغضِب الأعرابىّ وقال : تعلَمُ والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء ؛ فقال سوّار : إذًا لا يضرّنى [ذلك](1) عند الله شيئا .

قال بعض العُمّال لأعرابىّ : ما أحسبُك تدرِى كم تصلّى فى كلّ يوم وليلة ؛ فقال : أرأيتَ إن أنبأتُك بذلك تجعلْ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابىّ :

إن الصَّلاة أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفَجرِ لا تُضَيَّعُ

قال : قد صدقتَ ، فسَلْ ؛ قال : كم فَقَارُ ظهرك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكُم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرنى رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْم البرمكىّ أنه دخل عليه رجل يكتب فى حوائج له ، فقرأها ووعَده قضاءها ؛ فنهَض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفِظك وأتمّ نعمتَه عليك ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابى اليك وأنا فى عافية .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

طبائع الإنسان

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعِم عن أبيه عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه وجد فى التَّوْراة: إنّى حين خلقتُ آدم ركّبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وِراثة فى ولده تَنمى فى أجسادهم ويَنْمُون عليها الى يوم القيامة: رطْب ويابس وسُخْن وبارد، وذلك لأنى خلقته من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفسا ورُوحا، فيُبوسةُ كلّ جسدٍ من قِبَل التراب، ورُطوبتُه من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قِبل الروح، ثم خلقت الجسد بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر وهى مِلَاكُ الجسدِ بإذنى وقِوامُه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء والدّم والبَلْغَم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخَلق فى بعضٍ فجعلت مَسْكَن اليبوسة فى المِرّة السوداء ومسكنَ الرطوبة فى الدم ومسكنَ البرودة فى البلغم ومسكنَ الحرارة فى المِرّة الصفراء، فأيُّما جسدٍ اعتدلت فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبُعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحّته واعتدل بُنيانه، وإن زادت واحدة منهنّ غلبتْهنّ وقهرتهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السَّقَم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصةً تقلّ(1) عنهنّ مِلن بها وعلَونها وأدخلن عليها السّقم من نواحيهنّ لقلّتها عنهن حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجِزَ عن مُقاومتهن(2)؛ قال وهب: وجعل عقله فى دماغه وشَرهه(3) فى كُلْيته، وغضبَه فى كَبِده، وصَرامتَه فى قلبه، ورُعبه فى رِئته، وضَحِكَه فى طِحَاله، وحزنَه وفرحَه فى وجهه، وجعل فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلا .

---

(١) فى الألمانية: «واذا كانت ناقصة نقلن عنها وملن ...» .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفى الأصلين: «عن مقاربتهن» والفعلان فيهما (تضعف وتعجز) بالياء والسياق يقتضى تاء التأنيث كما وضعنا .

(٣) فى الأصلين وسرّه . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

قال : حدّثني زيد بن أخزم (١) قال : حدّثنا بِشر بن عمر عن أبي الزّناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "كلّ آبنِ آدم تأ كل الأرضُ إلا عَجْبَ الذنب منه خُلِقَ وفيه يُرَكَّب" . وقالت الحكماء: الخَنَث يعترى الأعراب والأكراد والزَّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصْيان فإنه لا يكون خَصِيٌّ مُخَنَّث . وقالوا : كلّ ذى ريح مُنتنة وذفَر كالتيس وما أشبهه ، إذا خُصِى نقص نَتْنُه وذهب صُنانه غير الإنسان فإنّ نتنه يشتدّ وصُنانه يَحِدّ وعرقه يخبُث وريحه (٢) . وكلُّ شيء من الحيوان يُخصَى فإنّ عَظْمه يدِقّ ، فاذا دقّ عظمُه آسترخى لحمه وتبرّأ من عظمه خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصِى طال عظمُه وعرُض . وقالوا : الخصىّ والمرأة لا يَصْلَعان ، والخصىّ تطول قدمه وتعظُم . وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم بِرذَونٌ رقيق الحافر فخَصَاه فجاد حافرُه ، آعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِى عظُمت رِجله . قالوا : والخصىّ يشتدّ وقعُ رجله لأن معاقد عَصَبه تسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والفَدَع فى أصابعه ، وتُسرع دَمعته ، ويتخدّد جلده ، ويُسرع غضبُه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السرّ . ويزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك عِلّةُ طول عمر البغل . وقالوا : علةُ قِصَرِ عمرِ العُصْفُور كثرةُ سِفَاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفَاه ، وإن كان آمرأةً أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضُرِبت عنقُه سقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه إذا آنتفخ . قالوا : وفى الغِلمان من لايحتلم أبدا ، وفى النساء من لا تحيض أبدا ، وذلك عيب . وفى الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدِل منه ، منهم عبد الصّمَد بن علىّ ذكروا أنه دخل قبرَه برواضعه .

---

(١) فى الأصل : أحزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية أربعة أصفار بعدقوله وريحه ، وكتب فى التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

والضَّبّ لا تسقط له سنّ . وكذلك الخنزير[١] لا يُلقِي شيئا من أسنانه . ولذلك تقول العرب فى مَثَلٍ لها : "لا آتيك سِنّ الحِسْل[٢]" يريدون لا آتيك أبدا . وتقول الأطبّاء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أدِيم السماء إلا الإنسان، وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل اليه من السُّرّة بغذائه ؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حملت فلانة سهوا، إذا حاضت على الحمل . قال الهُذَلىّ[٣] يمدح رجلا :

ومُبَرَّأً من كلّ غُبَّر حَيْضَةٍ[٤] * ورَضاعِ مُغْيِلة وداءٍ مُعْضِل

فأعلَمك أنها لم ترعليه دم حيض فى حملها، ودلّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرَّحِم دفعت الطبيعة ذلك الدمَ الذى كان يغتذيه الى الثَّدْيين، وهما عُضوان ناهدان[٥] عَصَبيّان فغيّراه وجعلاه لَبَنا . يقول الله عزّ وجلّ : (وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) . قالوا : والإنسان يعيش حيث تَحْيا النار ويتلَف حيث لاتبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَق فى بطن الأرض أو مَغَارة قدّموا شَمْعة فى طَرَف قَناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب ما يريدون وإلّا أمسكوا . والعرب تتشاءم بِبِكْر ولد الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرق بِكْرًا بين بكرين .

(١) فى الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل ولد الضبّ . (٣) هو تأبّط شرّا . (٤) كذا فى الأصل، وفى اللسان فى مادة «غبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للتبريزى ج ١ ص ٤٣ :

* وفساد مرضعة وداء مغيل * وقد أورده صاحب اللسان هكذا مجرورا وقال هو معطوف على قوله :

* ولقد سريت على الظلام بمغشم * وهو صدر بيت متقدّم فى القصيدة . وفى شرح الحماسة للتبريزى : يروى مبرأ بالنصب ومبرإ بالجر، فالنصب على قوله «غير مهبل» والجر عطف على قوله جلد من الفتيان . والغبّر بقايا الحيض . المغيلة : الحبلى أو التى تُغْشَى وهى ترضع ؛ ولكن الذى ورد فى اللسان والقاموس : أغيلت المرأة فهى مغيل . (٥) كذا فى الألمانية، وفى الفتوغرافية «بادات» .

حدّثني محمد بن عائشة عن حمّاد عن قَتَادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : بِكْر البِكرين شيطان مخلّد لا يموت الى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وابن المذكَّرة من النساء والمؤنَّث من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أُمّه . والعرب تذكُر أن الغَيْرَى لا تُنجِب . قال عمرو بن مَعْدِيكَرِب

ألستَ تصيرُ (١) اذا ما نُسِبـ * ـتَ بين المُغَارة (٢) والأحمقِ

وقال بعض الحكماء : كلّ امرأة أو دابّة تُبطِئ عن الحَبَل ، إذا واقعها الفحلُ فى الأيام التى يجرى المـاء فى العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عُبيد الله بن الحسن : إذا أردت أن تُذْكِر المرأةُ فأَغْضِبْها ثم قَعْ عليها . وقال الحارث بن كَلَدة : اذا أردت أن تحبَل المرأة فمشِّها فى عَرْصَة الدار عشرةَ أشـواط فإنّ رَحِمها ينزل فلا تكاد تُخلِف . والعـرب تقول : إن المرأة اذا لقِحت فى قُبُل الطُّهر (٣) فى أوّل الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكرت جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعانى :

لَقِحت فى الهلال عن قُبُل الطُّهـ * ـر وقـد لاح للصباح بشيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجلُ المرأةَ وهى مذعورة ثم أذْكَرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلىّ :

حمَلتْ به فى ليـلة مزءودةً * كَرها وعَقْدُ نِطاقها لم يُحـلَلِ (٤)

فأتت به حُوشَ الجَنان مُبَطَّناً * سُهُداً اذا ما نام ليلُ الهَوجل (٥)

ومُبرّأً من كلّ غُبّر حيضةٍ * ورَضَاعِ مُغْـيلةٍ وداءٍ مُعضِل

(١) فى الاصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها زوجها بتزوّجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوّله . (٤) مزءودة : مذعورة ، وفى تعليقات الشيخ الشنقيطى على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب مزءودة والأصمعىّ يجرّها بجعل الزُّؤد لليلة . وساق هذا البيت صاحب مغنى اللبيب فى أواخر الكتاب وقال : يروى بالجر صفة لليلة و بالنصب حالا من الضمير فى حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن خميصه . وسهد : قليل النوم . والهوجل : البطيء الثقيل . وقد روى فى الأصل الفتوغرافى : * اذا ما قام ليل الهوجل * وهو تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب فى مادة «حوش» .

يقول : لم ترعليه فى حملها دما باقيا من حيضةٍ ولا حملته وهى تُرضع ولا أرضعته وهى حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هَممتُ أن أَنْهَى عن الغِيلة (١) ثم ذكرتُ أن فارسَ والرومَ يفعلونه فلا يَضرّهم" وفى حديث آخر : "إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره" أى يطرحه .

حدّثنى إسحاق بن راهْوَيه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جَدّةً ٱبنةَ إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّلُ أوقاتِ حمل المرأة تسعُ سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى بنت تسع . وقال عبد الله ٱبن صالح : حدّثنى اللّيث عن ٱبن عَجْلان أن ٱمرأته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال اللّيث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون فى جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتى أهلنا . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أُمّه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولَد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحُبَاب عن ٱبن سِنَان قال : حدّثنى ثابت بن جابان العِجْلىّ أن الضَّحّاك بن مُزاحم وُلد وهو ٱبن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه رَوَى عن جُوَيْبِر أن الضحّاك وُلد لسنتين . ووُلد شُعْبة لسنتين . حدّثنا الرياشىّ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤمَّل عن ٱبن أبى مُلَيكة أن عمر رحمه الله قال : يا بنى السائب ، إنكم قد أَضْوَيتم (٢) فٱنْكِحوا فى النزائع (٣) . قال : وقال

---

(١) ورد هذا الحديث فى طبقات ٱبن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل ٱمرأته وهى ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوىّ ، والضاوىّ : الضعيف . (٣) النزائع جمع نزيعة وهى المرأة التى تُزوّج فى غير عشيرتها .

الأصمعىّ قال رجل : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأبطال كابن عجميّة . والعرب تقول : اغتربوا لا تُضْوُوا (١) ، أى انكحوا فى الغرائب فإن القرائب يُضوين الأولادَ . قال الشاعر :

إنّ بلالًا لم تَشِنه أُمّه * لم يتناسب خالُه وعمّه

وقال آخر :

تنجّبتُها للنسل وهى غريبةٌ * فجاءت به كالبدر خِرْقًا (٢) مُعَمَّما

فلو شاتم الفتيانَ فى الحىّ ظالمًا * لما وجدوا غير التكذّب مَسْلَمَا

وكان يقال : أنجبُ النساءِ الفَرُوك (٣)، لأن الرجل يغلبها على الشّبه لزهدها فى الرجال .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن المُنجبة التى تنزِعُ بولدها الى أكرم الجَدّين .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا حَرْب بن قَطَن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ ولد امرأتين، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأةٌ بعد خمسين سنة . قالت الحكماء : الزِّنج شِرارُ الخلق وأردؤهم تركيبا لأن بلادهم سخُنت فأحرقتهم الأرحامُ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم تَطبُخه الأرحام، وإنما فَضَل أهلُ بابِلَ لعلّة الاعتدال، قالوا : والشمسُ شيَّطت شعورَهم فقبَّضتها، والشعَرُ اذا أدنيته الى النار تجعّد، فإن زدته تفلْفل، فإن زدته احترق. وقالوا : أطيب الأُمم أفواها الزِّنج وإن لم تستَنّ (٤)، وكل إنسان رطْبِ الفم كثيرِ الريق فهو طيّب الفم، وخُلوفُ فم الصائم يكون لخُثورة (٥) الريق، وكذلك الخُلوف فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كلّ الحيوان اذا أُلقِىَ فى الماء سبح إلا الإنسانَ والقِردَ والفرسَ الأعسرَ (٦)، فإن هذه تغرق ولا تسبح إلا أنّ

(١) كذا بالأصلين، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تستاك .
(٥) الخثورة ضدّ الرقّة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلّم الإنسان السِّباحة . قالوا : والرجل اذا ضُرِبتْ عنقُه فأُلِقيَ فى المـاء قام فى وسَط المـاء وٱنتصب ولم يلزم القعر جاريا كان المـاء أو ساكنا، حتى اذا جيِّف ٱنقلب وظَهر بدنُه كلّه مُستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبَّةً على وجهها . وقالوا : كل مَن قُطعت يداه لم يُجِد العَدْوَ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيَران . قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ(١) إلّا أَخَـذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سَوْمَ طبيعته . ولذلك قالوا : بِخاءك على وَحْشيّه(٢)، وأنحى(٣) على شُؤْمَى يديه .

وقالوا : كلّ ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنما الأشفارُ لَجَفْنه الأعلى إلا الإنسانَ فإن الأشفار — نعنى الهُدْبَ — لجفنيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس فى الأرض إنسان إلا وهو يطرَب من صوت نفسه و يعتريه الغلط فى شعره وولده . قال الطائىّ :

ويُسىء بالإحسانِ ظَنًّا لاكمَنْ(٤) * هو بابنِــه وبشِـــعره مفتونُ

وقالوا : كلّ ذى جِلْد فإن جلده ينسلخ إلا جلدَ الإنسان، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن ٱبن أبى طَرَفة الهُذَلىّ عن جُنْدُب بن شُعَيب قال : إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتذىَ من لبن أُمّه فعلى وجهه مصباحٌ من البيان(٥)، يريد أن ألبان النساء تُغيِّره، ولذلك قولهم : اللبن يُشْتَبَه عليه، يراد أنه يَنزِعُ بالمولود فى شبه الظِّئْر . قال الشاعر :

لم أرضَع الدهرَ إلّا ثَدْىَ واحدةٍ * لِواضِحِ الوجه يَحمِى ساحةَ الدارِ

(١) الحضر: ارتفاع الفرس فى عدوه . (٢) وحشىّ كل شىء شقه الأيسر وفى الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذى يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمى يديه : اعتمد عليها ، وشؤمى اليدين هى اليسرى ، وفى الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) فى الاصل « كل من » والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدّثنى الزيادىّ قال : حدّثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عُمر أُتى بآمرأة ولدت لستة أشهر فهمّ بها ؛ فقال له علىّ : قد يكون هذا ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : آختصم رجلان فى غلامٍ كلاهما يدّعيه ؛ فسأل عمرُ أُمَّه ؛ فقالت : غَشِينى أحدُهما ثم هَرَقْتُ دما ، ثم غشِينى الآخر ، فدعا عمرُ قائفَين[(١)] فسألهما ؛ فقال أحدهما : أعلِنُ أم أُسِرّ ؟ قال : أَسِرّ ؛ قال : آشتركا فيه ؛ فضربه عمر حتى آضطجع ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ؛ فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ أن الكَلْبة يسفِدها الكلابُ فتؤدّى الى كلّ فحل نجلَه . ورُكَب الناس فى أرجلهم ورُكَب ذوات الأربع فى أيديها ، وكل طائر كفُّه[(٢)] فى رجليه .

ما نقَص خَلْقُه من الحيوان

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال : الفَرَس لا طِحَال له ، والبعيرُ لا مَرارة له ، والظليمُ[(٣)] لا مُخّ لعَظْمه . قال زهير :

كأن الرَّحلَ منها فوق صَعْلٍ[(٤)] * من الظُّلْمان جُؤجؤه[(٥)] هواءُ

وكذلك طير المـاء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة . وصَفْن[(٦)] البعير لا بَيضة فيه . والسَّمَكة لا رِئة لها ولذلك لا تتنفّس ، وكل ذى رِئة يتنفّس .

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .
(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لمـا فى العقد الفريد . وفى الألمـانية : ركبه .
(٣) الظليم : الذكر من النعام .
(٤) الصعل : الطويل . وفى الفتوغرافية «صقل» .
(٥) الجؤجؤ : الصدر .
(٦) الصفن : وعاء الخصية .

المشتَرَكاتُ من الحيوان

الراعى[1] بين الوَرَشان[2] والحمامة[3] . والبَخَاتىّ[4] من الإبل بين العِرَاب[5] والفَوَالِج[6] . والحمير الأَخْدَريّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحّش فحَمى عانَاتٍ[7] من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل . والزَّرَافة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان[8]؛ وآسمها اشْتُرْكَاوْ پَلَنْكَ[9] أى بين الجمل والكركند[10]؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفَد الناقة فتجىء بولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع ، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَرًا عَرَض للمَهَاة[11] فألقحها زَرَافة . وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضُبُع؛ والزَّرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفِدها الذِّئاب فى أرضِ سَلُوقيّة[12] فيكون منها[13] الكلاب السَّلُوقيّة .

---

(١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل «اليمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتى جمع بختى وهى الابل الخراسانية . (٥) العراب : إبل خلاف البخاتى كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل من السند للفحلة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حُمُر الوحش . (٨) هو الذكر من الضباع وهو مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشتر أى البعير وكاو أى البقر و پلنك أى النمر وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ و پلنك الضبع؛ والأوّل هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف . والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدَّن ، ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركاو پانك) يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة الوحشية ، وفى الأصلين : "المهرة" والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . (١٢) نسبة الى سَلُوق وهى قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الاصل « بينها » وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعـاديات

بين البُوم والغُراب عـداوة . وبين الفأْرة والعـقرب عداوة . وبين الغراب وآبن عِرْس عداوة . وبين الحِدَأَة والغُدَاف[1] عداوة . وبين العنكبوت وبين العَظَاءة[2] عداوة . وبين الحيّــة وبين آبن عِرس عداوة . وبين آبن آوى[3] والدَّجاج عداوة . وبين السِّنَّور والحَمام عداوة . وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البُومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقْوَ عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهى بالنهار تضربها وتنتِف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصِبها للطير . وبين الحمار وبين عُصفور الشوك عداوة ، ومتى نَهَقَ الحمار سقط بَيض عصفور الشوك . وبين الحمــار وبين الغراب عداوة . وبين الحيّة والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحيّة . والجمل يكره قُرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إنّ الأسد والنِّمر مختلفان ، والأسد والبَبْر[4] متّفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال : فلان «أسمعُ من قُراد»[2] ، والقِردان تكون عند المـاء فإن قرُبت الإبل منها تحرّكت وآنتعشت ، فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمعُ من فرس» . و«أحزم من فرخ العُقاب» ، وذلك أنه يكون فى عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط . و«أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بنى تميم «العظاية» بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهرىّ : هى دويبّة ملساء تعدو وتتردّد كثيرا تشبه سامّ أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .

(٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الدّميرى أن ابن آوى اذا مر تحت الدجاج وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا .

(٤) الببر مضبوط فى اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح فى حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى .

(٥) القراد بالضم واحدته قرادة وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حيّة» . و«أهدى من قَطاةٍ وحَمامة» . و«أخَفّ رأسا من الذئب» . و«أنوم من فَهْدٍ» . و «أظلم من حيّةٍ» ، وذلك لأنها تدخل جُحرةَ الحَشَرات وتُخرجها . و « أحذرُ من غراب» . و«أصنع من تَنَوُّطٍ» ، وهو طائر يصنع عُشًّا مُدَلًّى من الشجر . و«أصنع من سُرْفةٍ» ، وهى دُوَيْبَّة تعمل بيتا من قطَع العِيدان . و «أسرق من زَبابةٍ» ، وهى فارة بَرِّيّة . و«أسرق من كُنْدُشٍ» وهو العقْعَق ؛ ويقال أيضا : «أحمق من عَقْعَقٍ» لأنه من الطير الذى يُضيّع فِراخَه . و « أخرقُ من حمامةٍ » ، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عَبيدُ بن الأبرص :

عَيُّوا بأمرِهِمُ كما * عَيَّتْ ببَيضتها الحَمامهْ
جعلَتْ لها عُودَينِ من * نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامهْ (١)

يقول : قَرَنت النَّشَمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فانكسر . وفى الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحَواريّين : كونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهًا كالحمام . و«أعقّ من ضَبّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبرّ من هِرّة» ، وهى تأكل ولدها من شدّة محبّته . و «أروغُ من ثَعلَبٍ» . و«أموَقُ من رَخَمةٍ» (٢) . و «أزهَى من ذُبابٍ» لأنه يقع على أَنف الملك وتاجه . و «أصنعُ من الدَّبْر» ، وهى النَّحل . و «أسمحُ من لافظةٍ» ، ويقال : هى العَنْز تسمحُ بالحَلَب ، ويقال : الرّحا ، لأنها تلفظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئا . و «أصْرَدُ من عين حِرْباء» (٣) . و «ألحّ من الخُنْفَساء» . و «أخْيلُ من مُذَالةٍ» ، وهى الأَمَة تُهان وهى تتبختر . و «أحلم من فرخ الطائر» . و «أكيسُ من قِشّةٍ» ، وهى القِرْدة . و«أجبن من صافِرٍ» ، وهو ماصفَر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالتحريك : شجر جبلىّ تتخذ منه القسىّ ، والثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحمق ، من المُوق وهو الحمق . (٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : الحرباء . بالتعريف ، وعلله بأن الحرباء تستقبل الشمس أبدا بعينها تستجلب اليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضا .

الصّافر بالمراة للريبة[1] . و «أنمّ من صُبح» . و « أبعد من بَيض الأَنُوق» ، والأَنوق: الرَّخمة تبيض فى أعالى الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر. و «أشجع من لَيث عِفرِّين[2]» ، قال بعضهم : هو الأسد، كأنه قال : أشجع من ليث لُيوث تعفِر من نازعها وتصرَعه ، وقال الأصمعىّ : هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه . و «أحنُّ من شارِفٍ» ،وهى الناقة المُسِنّة . و «أسرع من عَدْوَى الثُّؤَباء» . و «أروَى من النَّقّاقة» ،وهى الضَّفادع . و«أزنَى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزنا . و «أخدعُ من ضبّ» . و «أشأم من الزَّرْقاء[3]» وهى ناقة .

الأنعـــام

حدّثنى يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلىّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما خلَق الله دابّة أكرم عليه من النّعْجة" وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن إهَاب بن عُمَيْر قال : كان لنا جمل يعرِف كَشْحَ الحامل من غير أن يَشُمَّها[4] . قيل لأبنة الخُسّ[5] : ما تقولين فى مائة من المعَز؟

(١) وفى النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس « هو الذى يصفر لريبه فهو وَجِل أن يُظهَرَ عليه ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا و يتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ » .

(٢) فى الأصلين « تعقر » والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سيق الفعل لبيان الأشتقاق .

(٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهى مشئومة وذلك أنها ربما نفرت فذهبت فى الأرض . وما فى الأصل حكاه الميدانى عن أبى الندى وقال : الزرقاء ناقة نفرت براكبها فذهبت فى الأرض .

(٤) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل الفتوغرافى هكذا «يسها» وفى النسخة الألمانية «يسهى» .

(٥) ابنة الخس : امرأة من إياد جاءت عنها الأمثال واسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنّى ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى . والعرب تضرب المثـل فى الصَّرَد[١] بالمِعْزَى فتقول : « أَصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيرة ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المُغِيرة ؛ فإنّ فيهم تشادُقَ الكلام ، ومُصاهَرةَ الكِرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسِــنة البهائم : قالت المِعْزَى : الاَسْتُ جَهْوَى[٢] ، والذنَبُ أَلْوَى ؛ والجلدُ رُقَاق ، والشعَر دُقاق . قالوا : والضأن تضع مرّة فى السنة وتُفرِد ولا تُتْئِمُ ، والمـاعِز قد تلد مرتين فى السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّماء والبَرَكة والعدد فى الضّأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأُنثى منها عشرين خِنَّوْصًا ولا نَماء فيها . ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأن الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ، والجِرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلْدُل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأن الذَّر . ويقول الأطبّاء فى لحم المـاعز : إنّه يورث الهمّ ويحرّك السَّوداء ويُورِث النِّسيانَ ويُخَبِّل الأولادَ ويُفسد الدّم ، ولحمُ الضأن يضرّ بمن يُصْرَع من المِرّة إضرارا شـديدا حتى يصرَعَهم فى غير أوان الصَّرْع . وأوانُ الصرع الأهلّةُ وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مَدّ البحر وزيادة المـاء والدّم . ولزيادةِ القمرِ الى أن يصير بدرا أثرٌ فى زيادةِ الدّمِ والدماغ وجميع الرُّطوبات ؛ قال الشاعر :

كأنّ القومَ عُشّوا لحمَ ضأنٍ * فهم بَعِجُونَ[٣] قدمالت طُلَاهُمْ

وفى المـاعزة : إنها ترتضع من خِلْفِها[٤] وهى مُحَفَّلة[٥] حتى تأتىَ على كلّ ما فيه ؛ قال ابن أحمرَ

---

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لاتدفأ لقلة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج : الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفى النسخة الألمـانية : « فهم يعجون » بالياء المثناة وهو تحريف . (٤) الخلف بالكسر : حلمة الضرع . (٥) المحفّلة : التى تُرك حلبها أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها .

إنى وجدتُ بنِي أَعْيَا(١) وجاملَهم(٢) * كالعَـنز تعطِفُ رَوْقَيْها(٣) فترتَضِعُ

وإذا رعت الضائنةُ والمـاعزةَ فى قصـير نبتٍ لم ينبُت ما تأكله المـاعزة لأنّ الضائنة تَقرِضه بأسنانها والمـاعزةَ تقتلعه وتجذِبه فتنثُره من أصله . وإذا حمـل على المـاعزة فحملتْ أنزلت اللّبن فى أوّل الحمل الى الضَّرْع ، والضائنة لا تُنزل اللبنَ إلا عند الوِلَاد ، ولذلك تقول العرب «رمَّدَتِ(٤) المِعْزَى فرنِّقْ رَنِّق» و«رمَّدَت الضأنُ فربِّقْ(٥) رَبِّق»

وذكورُ كلّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التُّيوسَ فإنها أقبح من الصَّفَايا . وأصوات الذكور من كلّ شيء أجهرُ وأغلظ إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .

قيل لأعرابىّ : بأىّ شيءٍ تعرف حَمْل شاتِك؟ قال : إذا ورم حَيَاؤها ورجَّتْ شِعْرتُها وآستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعىّ : لبنى عقيل ماعِزة لا تَرِد ، تجترِئ بالرُّطب . وقرأت فى كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فانظر الى لسانها فإنّ الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أنّ الإبل تَتَحامَى أمّهاتِها وأخواتِها فلا تسفِدها .

قالوا : وكلّ ثور أفطسُ(٦) ، وكلّ بعير أعلمُ(٧) ، وكل ذُباب أقرح(٨) . وقالوا : البعير إذا صعُب وخافه الناس آستعانوا عليه حتى يُبْرَكَ ويُعْقَل ثم يركَبَه فحْلٌ آخر فيذِلّ . والعرب تعرف

(١) كذا فى الأصل والصحاح والذى فى اللسان فى مادة «رضع» : * إنى رأيت بنى سهم وعزهم * و«أعيا» أبو بطن من أسد كما فى اللسان . (٢) الجامل قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . (٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطالبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترنيق : الانتظار . والمعنى أن عِظم ضرع المـاعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أى هى لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدّة عُرى يُشد به البَهم . كل عروة ربقة بالكسر والفتح) يعنى أن عِظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لمـا لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأوّل .

(٦) الأفطس : الذى تطأمنت قصـبة أنفه وآنتشرت أو آنشرم أنفه فى وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الاعلى . (٨) الأقرح : الذى بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُغِدّ(١) بسقوط الذباب عليه. ويقولون : بعير مَذْبوب إذا عَرَض له داء يدعو الذباب الى السقوط عليه . وقال بعض القُصّاص : مما فضّل الله به الكَبْش أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر، وممـا أهان به التَّيس أن جعله مهتوكَ السِّـتر مكشوف القبل والدّبر .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أُميّة عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه قال : كان فى مناجاة عُزَيْرٍ(٢): اللّهم إنك آخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحُبْلَة(٣)، ومن البيوت بكّة وإيلياء(٤)، ومن إيلياءَ بيت المَقدِس . وفى الحديث أن آمرأة أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله، صلى الله عليك، إنى آتخذتُ غنما أَبتغى نَسلها ورِسْلها(٥) وإنها لا تنمو؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما ألوانها"؛ قالت : سُود، فقال : "عَفِّرِى(٦)"، وبعَثَ الى الرُّعيان "من كانت له غَنَمٌ سُود فليخلِطْها بعُفْر فإنّ دم عَفْراء أزكَى من دم سَوداوَيْن". وقال : "الغنم اذا أقبلت أقبلت واذا أدبرت أقبلت . والإبل اذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم(٧)" . والأَقِط قد يكون من المِعْزَى؛ قال آمرؤ القيس :

لنـا غَنَمٌ نُسَـوِّقها غِزارٌ * كأنّ قُرونَ جِلّتِهـا عِصِىُّ
فتملأ بيتنا أَقِطًا وسمنًـا * وحسبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

وقالوا : شِقْشِقة البعير : لَهَـاتُه يُخرجها . ومن أحسن ما قيل فى الغنم قول مُخَارِق آبن شِهاب فى تَيْس غنمه :

---

(١) أغدّ البعير : أصيب بالغدّة، وهى طاعون الإبل . (٢) فى النسخة الالمـانية " فى مناجاة عزيز الله إنك . . " وظاهر أنه تحريف . (٣) الحبلة تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرم وعلى شجر العضاه . (٤) بكة : مكة . وإيلياء : اسم مدينـة بيت المقدس . (٥) الرِّسل : اللبن . (٦) عفرى : من العفر وهو البياض . (٧) الأشأم : الشمال .

وراحت أُصَيلانا كأنّ ضروعَها * دِلاء وفيها واتدُ(١) القَرن لَبْلَبُ(٢)
له رعثاتٌ(٣) كالشُّنوفِ(٤) وغُرّةٌ * شَديخٌ(٥) ولونٌ كالوَذِيلة(٦) مُذهَبُ
وعينا أحمِّ المقلتين وعُصمةٌ(٧) * يواصلها دانٍ من الظِلف(٨) مُكْنِبُ(٩)
إذا دَوحةٌ من مُخْرِفِ(١٠) الضال أذبلت * عطاها(١١) كما يعطو ذُرى الضال قَرهَبُ(١٢)
أبو الحُور والغُرّ اللواتى كأنها * من الحسن فى الأعناق جَزْعٌ(١٣) مُثقَّبُ
ترى ضَيفَها فيها يبيت بغِبطةٍ * وضَيفُ ٱبن قيس جائعٌ يتحوّبُ(١٤)

فوفَدَ ٱبن قيس هذا على النُّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيِّدٌ كريمٌ(١٥) من رجل يمدح تَيسه ويهجو ٱبن عمّه. قال العجّاج فى وصف شاةٍ: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخَّر اذا أقبلت حسبتَها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أى كأنها تعطس، يريد من أىّ أقطارها رأيتَها وجدتها مُشرِقة.

(١) واتد القرن: منتصبه. (٢) قال صاحب اللسان: أراد باللبلب شفقته على المعزى التى أُرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة. (٣) رعثتا الشاة: زنمتاها تحت الأذنين. وفى الأصل الفتوغرافى: غرثات وهو تحريف. (٤) جمع شنف وهو القرط، وفى الأصل الفتوغرافى كالسيوف وهو تحريف. (٥) غرة شادخة وشديخ: غشت الوجه من الناصية الى الأنف.
(٦) المرآة أو قطعة من الفضة مجلوّة. (٧) العصمة: البياض فى ذراعى الظبى أو الوعل.
(٨) الظلف: ظفر كل ما ٱجترّ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبى وما أشبهها.
(٩) مكنب: غليظ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد.
(١٠) المخرف: الذى حان خرافه أى ٱقتطاف ثمره.
(١١) من العطو وهو التناول. (١٢) القرهب من الثيران: المسنّ الضخم.
(١٣) الجزع بالفتح و يكسر: الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض.
(١٤) يتحوّب: يتوجّع. كذلك وردت فى كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفى الفتوغرافية: «يتخوب» ولم نجد هذا الفعل و إنما ورد الخوبة: المجاعة.
(١٥) هكذا بالأصول، والذى فى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٤٠ «سيد شريف يمدح» الخ بدون من رجل.

قال الأصمعىّ : قال أعرابىّ يهزأ بصاحبه : اشترِ لى شاة فقْماء[(١)] كأنها تضحك ، مُندلِقةً[(٢)] خاصِرتاها ، لها ضِرْع أرقط كأنّه جَيْب ؛ قال : فكيف العَطَل ؟ قال : أنّى لهذه عَطَل ! العطل : العُنق . يقول : من سِمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها .

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم . قالت الضائنة : أُوَلَّد رُخَالا[(٣)] وأُجَزّ جُفَالا وأُحلَب كُثَباً ثِقالا ولم ترِمثْلى مالا حُفَالًا[(٤)] . تقول : أُجَزّ مرّة وذلك أن الضائنة اذا جُزّت لم يسقط من صوفها شىء الى الأرض حتى يُؤتى عليه ؛ والكُثَب جمع كُثْبة وهى الدُّفعةُ من اللبن ، تقول : أُحْلَبُ دُفَعًا ثقالا من اللبن ، وذلك لأن لبنها أدسَم وأخثَر من لبن المعز فهو أثقل .

السباع وما شاكلها

يقال : إنه ليس شىء من السِّباع أطيبَ أفواها من الكلاب[(٥)] ، ولا فى الوحوش أطيب أفواها من الظِّباء . ويقال : ليس شىء أشدّ بَخَرا من أسد وصَقْر ، ولا فى السباع اسبح من كلب . وليس فى الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب . والأسد لا يأكل الحارّ ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض[(٦)] وكذلك أكثر السباع . وتقول الرُّوم : إن الأسد يُذْعَر بصوت الدِّيك[(٧)] ولا يدنو من المرأة الطامِث[(٨)] . والأسدُ اذا بال شغَر[(٩)] كما يشغَر الكلب ؛ وهو قليل الشرب للماء ، ونَجْوُه

(١) الفقم : تقدّم الثنايا العليا . (٢) فى الأصل الفتوغرافى منذلفة بالذال المعجمة والفاء ، وفى الألمانية «منذلقة» بالذال المعجمة والقاف . ولعل الصواب ما أثبتناه ؛ والاندلاق : الاسترخاء . (٣) الرخال : جمع رخل بالكسر وبهاء وككتف : الأنثى من ولد الضأن . (٤) الحفال كغراب : العظيم . (٥) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهى أنسب بالسياق . وفى الأصلين : «الكلب» . (٦) كذا فى العقد الفريد وفى الأصلين : «الحموضة» . (٧) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية : من صوت «الذئب» . وعبارة الدميرى «يفزع من صوت الديك ونقر الطست» . (٨) من الطمث وهو الحيض ، وعبارة الدميرى «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد» . (٩) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل .

يشبه نَجو الكلب، ودواء عَضّته دواء عضّة الكَلْب الكَلِب . وقالوا : العيون التى تضىء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسّنانير والأَفاعىّ . والعرب تقول هو «أحمقُ من جَهِيَزَة» وهى الذِّئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُع إذا صِيدت أو قُتلت عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم؛ قال الكُمَيْت :

كما خامَرَتْ فى بيتها أُمُّ عامرٍ[1] * لدى الحَبل[2] حتى عال[3] أَوْسٌ عِيالها

أوسٌ : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قَيئها : الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر، ويقال : الضّبّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلَب وهو جنون، والذُّبحة والنِّقْرِس . والعرب تقول : دماء الملوك شِفاء من عَضّةِ الكَلْب الكَلِبِ والجنونِ والخَبَل؛ قال الفرزدق :

من الدارمِيِّين الذين دِماؤهم * شفاء من الداءِ المَجَنّةِ والخَبْل

وبلغنى عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عضّة الكَلْبِ الكَلِبِ الذَّرارِيحُ[4] والعدَس والشراب العتيق يُصنع؛ وقد ذَكر كيف صَنْعته وكم يُشرَب منه وكيف يُتعالَج به، والكَلْبُ الكَلِبُ اذا عضّ إنسانا فربما أحاله نَبّاحا مثله ثم أحبله وألقحه بأَجْرٍ[5] صغار تراها علَقا فى صُوَرِ الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل وروى «لذى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوب الضبع .

(٣) كذا فى الأصلين وفى لسان العرب فى مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا فى مادة أوس : غال أوس بالغين المعجمة وقال فى تفسيرها : يعنى أَكَل جِراءَها .

(٤) الذراريح جمع ذُرُّوح وهى دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليَقْظان : كان الأسود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيّ فعلّمه دواء الكَلَب، فهو فى ولده الى اليوم. فمن ولده المُحِلّ، وقد داوى المُحِلُّ عُتَيبةَ بن مِرداس فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقًا، قال ٱبن فَسْوة[1] حين برأ :

ولولا دواء ٱبن المُحِلّ وعلمُه * هررت اذا ما الناس هرّ كَلِيبُها
وأخرجَ بعدَ الله أولادَ زارِعٍ[2] * مُوَلَّعةً[3] أكتافُها[4] وجُنوبُها

الكَلِيب : جمع كلبٍ على غير قياسٍ مثل عبد وعبِيد .

وعضّ رجلا من بنى العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال علقًا فى صُوَر الكلاب، فقالت ٱمرأته :

أبَالَكَ أَدْرَاصًا[5] وأولادَ زارعٍ * وتلك لَعَمْرِى نُهْيةُ المتعجِّبِ

ويزعمون أنّه يطلب الماء أشدّ طلبٍ، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد لا أريد، أو شيئا فى معنى ذلك . قالوا : وتمام[6] حَمل الكلْبة ستّون يوما، فإن وضَعت فى أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وإناث الكلابِ تحيض فى كل سبعةِ أيامٍ؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر[7] الكلبة ولا تُرِيد السِّفادَ فى ذلك الوقت . وذُكُورُ السَّلُوقيّة تعيش عشرين سنة، والإناثُ تعيش ٱثنتى عشرةَ سنة . وليس يُلقِى الكلب شيئا من أسنانه سوى النابَين .

قالوا : وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطولَ ما بين يديه ورجليه ويكونَ قصيرَ الظهر. ويوصف الكلب بصغر الرأسِ وطول العُنُق وغِلظها وإفراط الغَضَفِ[8] وزَرَق العينين

(١) ٱبن فسوة كنية عتيبة بن مرداس، وظاهر ما فى الأصل أن البيتين لعتيبة نفسه ولكن المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه قيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون فى الدابة ضروب من الألوان . (٤) فى النسخة الألمانية : «أكنافها» . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) فى النسخة الفتوغرافية « وأيام » . (٧) الثفر — بالفتح ويضم — للسباع والمخالب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعِظَم المقلتين وطول الخَطْم مع اللطافة وسَعة الشِّدقين ونُتوء الحدقة ونتوء الجَبْهة وعَرضها، وأن يكون الشَّعر الذى تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكونَ غليظا، وكذلك شعر خَدّيه، ويكونَ قصيرَ اليدين طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، فى ركبته انحناء. ويكره للذكور طول الأذناب. ومن علامةِ الفَراهة التى لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مِخْلَبٌ، وينبغى أن يُقطَع من الساقين. وسودُ الكلاب أعقرُها، ولذلك أُمر بقتلها.

قالوا: وإذا هَرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِرارا فإنه يعود كالشابّ، وإذا حفى دُهِنت آسته وأُجِمّ(١) ومُسِح على يديه ورجليه القَطِرانُ. وإذا بلغ أن يَشْغَر فقد بلغ الإلقاحَ. والكلب من الحيوان الذى يحتلم. قالوا فى الكلبة(٢): إنه يسفِدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدّى الى كلّ سافدٍ شكلَه وشبَهه.

قعد جماعة من أصحابنا يعدّون ماجاء فى الكلب من الأمثال فحفظت منه: «ألأمُ من كلبٍ على عَرْق(٣)» و«أجِعْ كلبك يتبعْك» و«نَعِيم كلبٍ فى بُؤس أهله» و«أسمِنْ كلبك يأ كلْك» و«أحرصُ من كلبٍ على عِقْىِ(٤) صبىّ» و«أجوعُ من كلبةِ حَوْمَلَ» و«أبوَلُ من كلبٍ» و«جلس فلان مَزْجَر الكلب» و«الكلابَ على [البقر](٥)» و«الكلبُ أحبّ أهلِه اليه الظاعن» و«هو كالكلب فى الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف».

---

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمانية: «أرجم». وأُجِمّ: تُرِك ليستعيد قوّته.

(٢) فى الأصلين: «قالوا وفى الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة.

(٣) العرق: العظم أُكل لحمه، أو العظم بلحم.

(٤) العِقْى: أوّل حدث الصبى.

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة.

الذئب

الذئب إذا سفَد الذئبة فالْتحم الفَرْجان وهجم عليهما هاجِمٌ قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السِّفاد توخَّى موضعا لا يَطَؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نهش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحمها وخفَّ وسلِمت من القِرْدان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبَحّ الذئبُ صوتَ ذلك الإنسان. وقالوا : فى طبع الذئب محبّة الدّمِ، ويبلغ به طبعهُ أنّه يرى الذئب مثلَه قد دَمِي فيثِب عليه فيُمَزّقه؛ قال الشاعر (١) :

وكنتَ كذئب السوء لمّــا رأى دَمًا * بصاحبــه يوما أحال (٢) على الدّم

قالوا : والفرس إذا وطِئ أثَرَ الذئب ثقُلت قائمته التى وطِئ بها . وفى كتاب علىّ رضى الله عنه إلى ٱبن عبّاس : لمـّا رأيتَ العدوّ على ٱبن عمّك قد حَرِب، والزمانَ قد كلِب، قَلبت لٱبن عمّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين، وخذْلَانه مع الخاذلين ، وٱختطفْتَ ما قدَرتَ عليه من الأموال ٱختطافَ الذئب الأزَلّ (٣) دامية المِعْزَى . ويقولون : إنّ الذئب ربمـا نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

ينام بإحدى مُقلتيــه ويتَّقى * بأُخرى المنايا فهو يَقْظانُ هاجعُ (٤)

والذئب أشــدّ السِّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عُوَاءَ ٱستغاثةٍ فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ؛ وليس شىء من السِّباع يفعل ذلك .

---

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزلّ : الأرسح (الخفيف الوركين) يتولّد بين الضبع والذئب .

(٤) فى العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم *

الفيـــل

قالوا: لِسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلَّم . والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُبَ[(١)] عَصَبوا رجليه فسكَن. وليس فى جميع الحيوان شيء لذكوره ثَدى فى صدره إلا الإنسانُ والفيلُ . والفيل المغتلِم إن سمع صوت خِنَّوص من الخنازير ٱرتاع ونفَر. والفيل يفزَع من السِّنَّور . وتزعم الهند أن نابَىْ الفيل هما قَرْناه يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقَفَين . وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة . وقال حدّثنى شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبى جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذى الأكتاف ولأبى جعفر، والفِيلة تضعُ فى سبع سنين .

الفَهْـــد

قالوا: السِّباع تشتهِى رائحةَ الفَهْد، فإذا سمِن الفهد عرَف أنّه مطلوب وأنّ حركته قد ثقُلت فأخفى نفسه حتى ينقضىَ الزمان الذى تسمَن فيه الفُهود . و يعترى الفهدَ داء يقال له خانقةُ الفهود، فإذا ٱعتراه أكل العَذِرة فبرأ . والوحشىّ المُسِنّ منها فى الصيد أنفع من الجَرْوِ المُربَّب[(٢)] .

الأَرنَب

قالوا : الأرنب تَحيض ولا تسمَن إلا بزيادةِ اللحم . وقَضيب الذّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم، وكذلك قضيب الثعلَب . والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين . و إنْفَحة الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهُر من المحيض مُنِعت من الحَبَل . والكَلَف[(٣)] إن طُلِى بدم الأرنب أذهبه .

---

(١) بالأصلين : « وضعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذى يلائم السياق . (٢) المربّب : الذى يربّونه لأن الجرو يخرج خبّا و يخرج المسن على التأديب صبوراً غير خب . كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

القِرْد والدُّبّ

قال : حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال : حدّثنى سَلْم بن قُتَيبة عن هشام عن حُصَــين وأبى بَلْج عن عمرو بن ميمون قال: زنَتْ قِرْدَةٌ فى الجاهليّة فرجَمها القرود ورجمتُها معهم . قالوا : وليس شىء يجتمع فيه الزواج والغَيرة إلا الإنسانُ والقِردُ؛ قالوا : والدَّيْسَم جَرْو الدُّبّ تضعه أمّه وهو كَفِدْرَة لحم فتهرُب به فى المواضع العالية من الذَّرّ والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤُه .

مصايد السباع العادية

السباع العادِيَة: تُصطاد بالزُّبَى والمُغَوَّيات (١) وهى آبار تُحفر فى أَنْشَاز (٢) الأرض، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزُّبى» (٣)، قال صاحب الفِلاحة : ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمــك البحر الكِبار السِّمان فتقطع قِطعا ثم تُشرَّح ثم تكَّل كُتَلا ثم تؤجّج نار فى غائط (٤) من الأرض يقرب فيــه السباع ثم تقذف تلك الكُتَل فى النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَار (٥) تلك الكتل فى تلك الأرض ثم تُطرح حولَ تلك النار قطعٌ من لحم قد جعــل فيها الخَرْبَق (٦) الأسود والأَفْيُون وتكون تلك النار فى موضع لا تُرَى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القُتار وهى آمنة فتأ كل من قطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

---

(١) المغوّيات بفتح الواو مشدّدة : جمع المغواة وهى حفرة كالزبية تحتفر للأسد .

(٢) أنشاز جمع نشز وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء ، وهى كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .

(٥) القتـار : ريح الشواء .

(٦) الخربق كجعفر : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا فى الظَّليم : إن الصيف إذا أقبل وٱبتدأ البُسر فى الحمرة ٱبتـدأ لون وَظيفيه (١) بالحمرة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفى الظليم : إنّ كل ذى رجلين إذا ٱنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَع غيرَه فإنه إذا ٱنكسرت إحدى رجليـه جَثَم ، ولذلك قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

فإنّى وإيّاه كرِجْلَىْ نَعامـــةٍ * على ما بِنا من ذى غِنًى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منّا عن الآخر . وقال آخر :

إذا ٱنكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا (٢) ولا باستها حَبْوا (٣)

قالوا : وعلة ذلك أنه لا مُخّ له فى ساقيه، وكُلّ عظم فهو ينجبر إلا عظما لا مخّ فيه؛ وزَمِاخِرُ (٤) الشّاءِ لا تنجبر ؛ قال الشاعر :

أَجِدَّكَ لم تَظلَعْ بِرِجل نعـامةٍ * ولستَ بنهّاضٍ وعظمُكَ زَمْخَـرُ

أى أجوف لا مخّ فيه . والظليم يغتذِى المَرْوَ والصَّخْرَ فتُذيبه قانِصتُه (٥) بطبعها حتى يصيرَ كالمـاء؛ قال ذو الرمّة يذكره :

---

(١) الوظيف : مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما والجمع أَوْظِفة ووُظُف .

(٢) فى العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفى الأصل : «جبرا» .

(٤) الزماخر جمع زَمْخَرَة وهى كلّ عظم أجوف لا مخّ فيه .

(٥) القوانص للطير كالمصارين لغيرها .

ألهـاه آءٌ[١] وتنُّـــومٌ[٢] وعُقْبتُـــه[٣] * من لائح المَرْو والمَرْعَى له عُقَبُ

قال أبو النجم :

والمروُ يُلقيـــه الى أمعائهِ * فى سَرْطَمٍ[٤] هادٍ على ٱلتوائهِ

والظليم يبتلع الجَمرة وربما أُلقِىَ الحَجَر فى النار حتى إذا صار كأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه وربمـا ٱبتلع أوزانَ الحديد . وفى النعامة إنها أخذت من البعير المَنْسِم والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامةَ ؛ ومن الطائر الرِّيشَ والجناحين والمنقارَ فهو لا بعيرٌ ولا طائر ؛ وقال أوس بن حَجَر :

وتَنهَى ذوى الأحلام عنّى حُلومُهم * وأرفعُ صـــوتى للنَّعام المخـزَّم

جعله مخزَّما للخَرْقين اللذين فى عَرْض أنفـه فى موضع الخِزَامة من البعير . قال يحيى بن نَوْفَل :

ومثـــل نعامةٍ تُدعَى بعــيرًا * تُعَاصِينا[٥] إذا ما قيـلَ طيرى

فإن قيـــل ٱحملِى قالت فإنى * مِن الطير المُرِبَّة[٦] فى الوُكُور

وتقول العرب فى المثل : هذا «أَمْوقُ من نعامةٍ» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطُّعْم فمرّت ببَيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو ٱبن هَرْمة :

---

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ٱبن سيده : التنوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلّق عن حب يأكله أهل البادية؛ وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وواحدته تنومة . (٣) قال فى اللسان : وعُقبة الماشية فى المرعى أن ترعى الخُلَّة عُقْبة ثم تحوّل الى الحَمْض ، فالحمض عُقْبتها ، وكذلك اذا حوّلت من الحمض الى الخلة ، فالخلة عقبتها . (٤) السرطم : البلعوم . (٥) كذا فى حياة الحيوان للدّميرى . وفى الاصل «تعاظمها» . (٦) المربّة : المقيمة ؛ وفى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرفّه» .

وإنى وتَرْكى نَدَى الأكرمين * وقَدْحِى بكفّى زندا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَراء * ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

إذا ما لقِيتَ بنى عامرٍ * رأيتَ جفاء ونُوكًا[1] كبيرا
نَعامٌ تَمُدُّ بأعناقها * ويمنعُها نُوكُها أن تَطِيرا

ويُضربُ بها المثل فى الشِّراد والنِّفار؛ قال بِشر بن أبى خازم :

وأما بنو عامرٍ بالنِّسار[2] * فكانوا غَداةَ لَقُونا نَعاما

يُريد : مَرّوا منهزمين . وربما حضنت النعامةُ أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت ثلاثين رَألا؛ قال ذو الرمّة :

كأنه[3] خاضب بالسِّيّ[4] مَرتَعُه * أبو ثلاثين أمْسَى وهو مُنقلِب

والبواقى من بيضها الذى لا تَنْقُفُه[5] يقال لها : التَّرائِكُ. وأشدُّ ما يكون الظليم عَدْوا إذا آستقبل الريح لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح وإذا آستدبرها كبّته من خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بما يصيبها من الحضن ؛ قال آبن أحمر :

* وُضِعنَ وكُلُّهنّ على غِرارِ *

وقال آخر :

* على غِرارٍ كآستواء المِطْمَر *

---

(١) النوك : الحمق . (٢) النسار : موضع، وقيل : هو ماء لبنى عامر، ومنه يوم النسار لبنى أسد وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى لسان العرب فى مادة «خضب» «أذاك أم خاضب ... الخ» وهى رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقتى فى سرعتها أم ظليم هذه صفته . (٤) السيّ : الفلاة . (٥) نقفت النعامة البيضة : ثقبتها وآستخرجت ما فيها .

والمِطمَر خيط البَنّاء، إلا أن ثعلبة بن صُعَير خالف ذلك فقال يذكر الظليم والنعامة :

فتذكّرا ثَقَلًا[1] رَثِيدا بعد ما * ألقت ذُكاءُ يمينَها فى كافر[2]

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحش فى الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره لا تَنفِرُ منه إذا رأته خلا النعامَ فإنه شارد أبدا ؛ قال ذو الرمّة :

وكلّ أحَمّ[3] المقلتين كأنّه * أخو الإنس من طَول الخلاء المغفّل[4]

يريد : أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه فى خَلاء ولم يرَ أحدًا قبل ذلك . وقال الأحيمر السعدىّ : كنتُ حين خلعنى قومى وأطلَّ السلطان دَمى وهرَبتُ وترددتُ فى البوادى ظننتُ أنى قد جُزت نخل وَبَار أو قريب منها ، وذلك أنى كنت أرى النَّوى فى رَجْع الذئاب وكنت أغشَى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منّى ؛ لأنها لم ترَ أحدا قبلى وكنت أمشِى الى الظبي السّمين فآخذُه ، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش إلا النعامَ فإنه لم أره قطّ إلا نافِرًا فَزِعا .

الطـــير

قال حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو عَتّاب قال حدّثنا طلحة بن يزيد الشامىّ عن بقِيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه قال : كان النبىّ عليه السلام يُعجبه أن ينظر الى الأُتْرُجّ وإلى الحَمام الأحمر .

حدّثنى الرياشىّ قال : ليس شىء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض ؛ وليس شىء يظهر أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

---

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هى الشمس ، والكافر هو الليل ، من الكفر وهو الستر والتغطية ، يريد أنهما تذكرا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحم : أسود . (٤) المغفّل : المجهول ، وفى الأصلين «المعقل» والتصويب عن الديوان .

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبى إسحاق عن ٱبن جريج قال ٱبن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتَلن النملةُ والنحلةُ والهُدهُد والصُّرَد"(١) . بلغنى عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبىّ عليه السلام : يا رازقَ النَّعَّاب فى عُشّه . وذلك أن الغراب اذا فَقَص عن فِراخه خرجت بِيضًا فإذا رآها كذلك نَفر عنها فتفتحُ أفواهَها ويُرسِلُ الله لها ذُبابا فيدخلُ فى أجوافها فيكون غِذاءَها حتى تسوّد، وإذا ٱسودّت عاد الغراب فغَذَّاها ويرفعُ اللهُ عنها الذبابَ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تَطرُقوا الطيرَ فى أوكارها فإنّ الليلَ أمانُ الله" .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىُّ عن معاويةَ بن عمرو عن طلحةَ بن زيد عن الأحوص ٱبن حكيم عن خالد بن مَعْدانَ عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدِّيك الأبيضُ صَديقى وصديقُ صـديقى وعدوّ عدوّ الله يحرسُ دارَ صاحبه وسبعَ أَدْوُرٍ"(٢) . وكان النبىّ عليه السلام يُبيته معه فى البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبزورَ، وسباعُ الطير وهى التى تغتذى اللحمَ، والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمَ الطير فى أنه ليس بذى مِخْلَب ولا مِنْسِر وإذا سقط على عود قدّمَ أصابعه الثلاث وأخر الدّابرة . وسـباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ويشارك سـباعَ الطير بأنه يُلْقِمُ فراخه ولا يَزُق وأنه يأكل اللحمَ ويصطاد الجرادَ والنملَ .

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى بأبى كثير . (٢) هـذا الحديث موضوع وقد نبّه عليه ٱبن الجوزى وملّا على القـارى فى موضوعاتهما (راجع موضوعات ملّاعلى القارى ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤ ٠ ٥ حديث) .

قالوا: والعصفورُ شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورَشَانُ يُصرَعُ فى كلّ شهرمرةً. قالوا : وأسوأ الطير هِدايةً الأسودُ، والأبيضُ لا يجىء من الغاية(١) لضعف قوّته وأجودُها هِدايةً الغُبْر والنُّمْر .

قال صاحب الفِلاحة : الحَمام يُعجَبُ بالكمّون ويألفُ الموضعَ الذى يكون فيه الكمّونُ، وكذلك العدَسُ ولاسيما اذا أُنقِعا فى عصير حلو. ومما يَصلُحنَ عليه ويكثُرنَ أن تدخَّنَ بيوتُهنّ بالعِلْك ؛ وأسلم مواضعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ويُجعلَ فيه ثلاثُ كُوًى : كُوّة فى سَمْك البيت وكُوّة من قِبل المشرق وكوّة من قِبل المغرب، وبابان من قِبل مَهبّ الجَنوب. قال: والسَّذَاب(٢) اذا أُلقِىَ فى البرج تَحامتْه السَّنانيرُ البرِّية .

حدّثنى ٱبن أبى سَعد عن علىّ بن الصَّبَّاح عن أبى المنذر هشام بن محمد قال : حدّثنى الكلبىّ أن أسماء كَنائن(٣) نوح إذا كُتبن فى زوايا بيت حَمام نَمت الفروخُ وسلمت من الآفات . قال هشام : قد جرّبته أنا وغيرى فوجدته كما قال أبى . قال : وٱسم(٤) امرأة سام بن نوح «مَحْلَثْ مَحْو» ، واسم ٱمرأة حام «أَذْنَف نشا» ، وٱسم ٱمرأة يافث « زَذْقَت نبث » .

قالوا : وأمراض الحمام أربعة : الكُبَادُ(٥) والخُنَانُ(٦) والسّلُ والقُمّلُ ، فدواء الكُبَادِ الزعفرانُ والسكّر الطَّبَرْزَذُ(٧) وماء الهِنْدَباء(٨) يُجعلُ فى سُكُرّجةٍ(٩) ثم يُمَجّ فى حلقه قبل أن يلتقِطَ شيئا .

(١) فى الأصلين : الغابة ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ . والغاية الموضع الذى يرسل اليه الحمام المدرّب على إبلاغ الرسائل . (٢) السـذاب : اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ٱبن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥) . (٣) الكنائن : جمع كنة بالفتح ، وهو جمع نادر ، كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها مما يكسّر على فعائل . والكنة امرأة الآبن أو الأخ . (٤) عبارة العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وٱسم ٱمرأة سام بن نوح «محلت محم» وٱسم ٱمرأة حام «نف نفا» وٱسم ٱمرأة يافث « فالر» . (٥) الكباد كغراب : وجع الكبد . (٦) الخنان : داء يأخذ الطير فى حلوقها . (٧) الطبرزذ : السكر الأبيض الصلب . (٨) الهندباء : بقل معروف يؤكل ، له مضار ومنافع ذكرها ٱبن البيطار فى مفرداته ، وداود الأنطاكى فى تذكرته . (٩) السكرّجة : الصحفة .

ودواءُ الخُنَانِ أن يُلَيّن لسانُه يوما أو ٱثنين بِدُهْنِ البَنَفْسَجِ ثم بالرّماد والملح و يُدلك بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التى غَشِيَت لسانَه ثم يُطْلَى بِعَسلٍ ودهنِ ورد حتى يبرأ. ودواء السِّل أن يُطعَمَ المـاشَ(١) المقشورَ ويُمَجَّ فى حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطعَ من وظيفيه عرقان ظاهران فى أسفل ذلك مما يلى المَفصِل . ودواء القُمَّلِ أن تُطلَى أصولُ ريشه بالزَّنْبَق(٢) المخلوط بدهن البنفسَج، يُفعلُ به ذلك مرارا حتى يسقطَ قملُه، ويُكنَسُ مكانُه الذى يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطيرُ الذى يخرجُ من وكره بالليل البومةُ والصَّدَى والهامةُ والضُّوعُ(٣) والوَطواطُ والخُفَّاشُ وغرابُ الليل. قالوا : إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه فى حلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصَلَة من بعد ٱلتحامها وتَنبثِقَ، فإذا ٱتسعت زَقّاه عند ذلك اللُّعابَ ثم زقّاه سورج(٤) أصول الحيطانِ ليدبُغَا به الحوصلةَ، ثم زقّاه بعدُ الحبَّ .

قال المُثَنَّى بن زهير : لم أر شيئا قطّ فى رجل وٱمرأة إلا وقد رأيتــه فى الحمام، رأيت حـامةً لا تريد إلا ذ كرها، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور، ورأيت حمامةً لا تَزِيفُ(٥) إلا بعــد شدّة طلب، ورأيت حـامة تَزِيفُ للذكر ساعةَ يطلُبها، ورأيت حمامة وهى تُمكّن آخرَ ماتعـدُوه، ورأيت حمامة تَقمُطُ حمامةً، ورأيت حمامة تقمِط الذكرَ، ورأيت ذكرا يَقمطُ الذكرَ، ورأيت الذكر يقمطُ مالقِى ولا يُزاوجُ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه و يزُقّ [مع](٦) هذه وهذه .

---

(١) المـاش : حبّ مدوّر أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندىّ ثم اليمنىّ وأردؤه الشامىّ . (٢) الزنبق بالنون : دهن الياسمين . وفى النسخة الالمـانية «الزيبق» بالياء . (٣) الضوع : طائر من طير الليل، قيل هو الكروان، وقيل هو ذكر البوم . (٤) كذا بالأصلين، ولعله «الصاروج» وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفى «كتاب الحيوان» للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) «فيأكلان من صروح الحيطان وهى شىء بين الملح والحمض و بين التراب الخالص فيزقّان الفرخ... الخ» . (٥) فى اللسان : الحمامة تزيف بين يدى الحمـام الذكر، أى تمشى مدلة . (٦) الزيادة عن «كتاب الحيوان للجاحظ» .

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياءَ : منه ما يكونُ من السفاد، ومنه مايكون من التراب، ومنه مايكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها، ومنه شيء يعترى الحَجَل[1] وما شاكله فى الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التى تهُبُّ من شِقّ الذكر فى بعض الزمان فتَحتشِى من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحّال[2] وتحت ريحه فتلقحُ بتلك الريحةِ وتكتفى بذلك، والدّجاجةُ اذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُحّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه ؛ والفرخ والفرّوج يُخلَقان من البياض وغذاؤهما الصُّفرةُ ، وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين فى اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نُتف ريشُه آحتبس بيضُه وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديدِ .

الخُفَّاش

قالوا: عجائبُ الخُفَّاشِ[3] أنه لا يُبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتَحبَلُ وتَلِد وتَحيضُ وتُرضعُ وتَطيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قَبضتْ عليه بفيها خوفا عليه، وربما ولدت وهى تَطير. ولها أذنانِ وأسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر فى القمر منها المسنّاتُ؛ وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

---

(١) الحَجَل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البرّ . (راجع حياة الحيوان للدّميرى ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف فى البصر، وضيق فى العين، وقيل : هو فساد فى جفن العين وآحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح .

الخُطَّافُ والزُّرزُورُ

قالوا : الخُطَّاف(١) والزُّرزُورُ(٢) يتبعُ الربيعَ حيث كان . قالوا : وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ . والزُّرزورُ لا يَمشى ومتى وقع بالأرض لم يَستقلّ(٣) وأُخِذ ، وإنما يُعشِّشُ فى الأماكن المرتفعة فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسه فى الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ الماءَ ٱنقضّ عليه فشرب منه ٱختلاسًا من غير أن يَسقُطَ بالأرض .

العُقَابُ والحِدَأَةُ

قالوا : العُقابُ تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها فإذا فرخَت غذَّتِ ٱثنين وباعدت عنها واحدا فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظام(٤) ، ويغذُوه حتى يَكْبَرَ ويَقوَى . وقال صاحب الفلاحة : العُقابُ والحِدَأَةُ يَتَبدّلانِ فتصيرُ العقابُ حِدَأَةً والحِدَأَةُ عقابا ، قال : وكذلك الأرانبُ تتبدّل(٥) فيصيرُ الذكرُ منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكرا . قال صاحب المنطق : العُقاب إذا ٱشتكت كَبِدَها مِن رفعها الثعلبَ والأرنبَ فى الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجَتْ بأكل الأكباد حتى تبرأَ .

---

(١) الخطاف : العصفور الأسود ، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزور بضم الزاى : طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى تصويته .

(٣) أى لم ينهض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكلّفة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلق واحدا منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلّف به . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتبدلان » .

الغـــــراب

الغربانُ لا تقربُ النخلَ المواقيرَ(١) وإنما تسقطُ على النخل المصرومة(٢) فتلقُط ما يسقط من التمر فى القِلَبَةِ(٣) وأُصول الكَرَب(٤). وعلى إناث الغربان الحَضْنُ وعلى الذكور أن تأتى الإناثَ بالطُّعْم * والإوَزَّةُ دون الذكر(٥) * والغربانُ أكتم شيء للسِّفاد .

القَطَا

قالوا : والقطا لا تضعُ بيضَها أبدا إلا أفرادا ؛ قال أبو وَجْزَة :

وهُنَّ(٦) ينسُبنَ وَهْناً كلَّ صادقة * باتت تُباشِر عُرْماً(٧) غيرَ أزواج

الحيوانُ الذى لا يصلُحُ شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناسُ ، والغرانيقُ(٨) ، والكَراكِى والنحل ؛ فأما الإبلُ والبقر والحمير فتتخِذُ رئيسا من غير رقيب .

باب مَصَايد الطير

قال صاحب الفَلَاحة : مَنْ أراد أن يحتالَ للطير والدّجاج حتى يتحيّرنَ ويُغشَى عليهنّ حتى يَصيدَهنَّ عَمَد إلى الحِلتيت(٩) فداقَه بالماء ثم جعل فى ذلك الماءِ شيئا من عَسل ثم أنقعَ فيه بُرًّا يوما وليلة ثم ألقى ذلك البرَّ للطير فإنها إذا ٱلتقطته تحيّرت

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزّه وقطعه . (٣) القِلَبَة جمع قُلْب وهو شحمة النخل ولبه أو أجود خوصه . وفى التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقه) الذى يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة فى الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة من الناسخ . (٦) كذا فى الأصلين ، وفى اللسان فى مادة « عرم » وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور الماء سود وقيل بيض وهى فى قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحلتيت : صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع يتفرّع كثيرا وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذر كالعدس أسود حارّ وأبيض لطيف

وغُشِىَ عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقَى لبنا خالطه سمنٌ. قال : وإن عُمِد إلى طَحين برّ غير منخول فعُجِنَ بخمر ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلنَ منه تحيرنَ. وإن جُعِل خمرٌ فى إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشربنَ منه غُشِىَ عليهنّ. قال : ومما يُصادُ به الكراكى وغيرها من الطير أن يُوضعَ لهنّ فى مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِلَ فيه خَرْبَقٌ أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ شبكةٌ (١) فى صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجعَلَ فى جوفها عصفورٌ فتنقضّ عليه العصافيرُ ويَدخلن عليه وما دخل منها لم يقدِر على الخروج فيصيدُ الرجلُ فى اليوم الواحد مائتين وهو وادِعٌ. قال : ويُصادُ طيرُ الماء بالقَرْعَة وذلك أن تُؤخذَ قَرْعَةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها فى الماء فإنها تتحرّك فإذا أبصرها الطيرُ تحرّك فَزِعَ فإذا كثُر ذلك عليه أَنِسَ حتى لربما سقط عليها ، ثم تُؤخذَ قَرعةٌ فيُقطعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ويَدخُلَ الماءَ فيَمشِى إليها مشيا رُويدًا فكلّما دنا من طائر أدخَل يده فى الماء فقبضَ على رجليه ثم غَمسه فى الماء ثم دَقّ جناحَه وخَلّاه فبقى طافيا فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطيقُ الطيرانَ ، وسائرُ الطير لا يُمكنُ انغماسُه فإذا فرَغ من صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعةَ ثم يَلتقِطُها ويَحمِلُها .

الحشـــرات

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرةُ يهوديةٌ ولو سقيتَها ألبانَ الإبل ما شَرِبتْها ، والفأر أصناف : منهنّ الزَّباب (٢) وهو أصمّ ، قال الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ :

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفى الأصلين : « تؤخذ سَلّة فى صدرها المحبرة » وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٧٦) « يعملون لها مصيدة و يجعلون لها بنية فى صورة المحبرة التى يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة » . (٢) جمع زبابة وهى كما قال الدميرى فى حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج اليه وما تستغنى عنه .

وهُمُ زَبَابٌ حائـــرٌ * لاتسمعُ الآذانُ رعدَا(1)

والخُلْد وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو «أسرقُ من زَبَابَة»، وفأرةُ البِيش، والبيشُ سمٌّ قاتل؛ ويقال: هو قرونُ السُّنبل، وله فأرة تغتذيه لاتأكل غيره، ومن غير هذا فأرةُ المسك وفارةُ الإبل(2) [فاحت](3) أرواحُها إذا عَرِقت. قالوا: ومن الحيات مايقتُل ولايخطئ: الثُّعبانُ والأفعى والهِنديَّةُ؛ فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يمُدّه من الفزع، لأنه إذا فَزِع تَفتَّحت مَنافسه فوَغَل السّم الى مواضع الصَّميم وعُمقِ البدن، فإن نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذى لا يَعقِلُ لم تقتل.

وأذناب الأفاعى تُقطَع فتَنبتُ ونابها يُقطعُ بالعُكّاز(4) فينبُتُ حتى يعود فى ثلاث ليال؛ والحيّة إن نُفِث فى فيها حُمّاض الأُتْرُجّ وأُطبِق لَحْيها الأعلى على الأسفل لم تَقتُلْ بعضّتها أياما صالحة. ومن الناس من يبصُق فى فم الحيـــة فيقتلُها بريقه، والحيّات تكره ريحَ السَّذَابِ والشِّيح، وتُعجَبُ باللُّفّاح(5) والبِطِّيخ والحُرْف(6) والخَردل المُوخَف(7) واللبن والخمر، وليس فى الأرض حيوانٌ أصبرُ على جوع من حيةٍ؛ ثم الضَّبُّ بعدها، فإذا هرِمت صغُرت فى بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعامَ، ولذلك قال الراجز:

* حاريةٌ(8) قد صَغُرت من الكِبر *

(1) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد. (2) اختلف فى فارة الإبل وفارة المسك؛ هل يهمزان أو لايهمزان؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك فى «ف أ ر» وقال: أو الصواب إيرادها فى «ف و ر» لفوران رائحتها. وفارة الإبل فى «ف و ر» وعلله الصاغانى بأن فارة الإبل من الفوران قطعا؛ وأورد المرتضى فارة الإبل فى «ف أ ر» مستدركا به على صاحب القاموس. (3) زيادة فى النسخة الألمانية، وهى ساقطة فى الأصل الفتوغرافىّ، ولعلها «فَوْح»، ففى القاموس واللسان مادة «فور»: «وفارة الإبل فَوْح جلودها اذا نَدِيَتْ بعد الورد» أى فاحت منها رائحة طيبة. (4) العكاز: عصا ذات زُجّ. (5) اللفاح: نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان طيّب الرائحة. (6) الحرف بالضم: حب الرشاد. (7) الموخف: المعجون. (8) فى الأصل جارية، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى، لأن جسمها قد حَرَى أى نقص من طول العُمْر.

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقَصَبة مرة أوهَنتْها القَصبةُ فى تلك الضربة وحيرّتْها ، فإن ألححتَ عليها بالضرب آنسابت ولم تكترث . قال : ومن جيّد ما يُعالَجُ به الملسوعُ أن يُشَقَّ بطنُ الضِّفدَع ثم يُرفَد به موضعُ لسعة العقرب . والضِّفدَع لا يَصيحُ حتى يُدخِلَ حنكه الأسفلَ فى الماء ، فإذا صار فى فِيه بعضُ الماء صاح ، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقا إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدخِلُ فى الأشداق ماءً يَنصِفهُ(١) * حتى يَنِقَّ والنقيقُ يُتلِفُهْ

يريد أن النقيقَ يدلّ عليه حيةَ البحر، كما قال الآخر :

ضَفادعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحر

وقال فى السَبَخ : إنه إن آنخرق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخلَه الريحُ آستحال ذلك السبخ ضفادعَ . والضّفادع لا عِظام لها ، ويُضرب بها المثلُ فى الرَّسَح(٢) ؛ فيقال : «أرسحُ من ضِفدَع» و «أجحظُ عينًا من ضِفدِع» .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرّك فَكّه الأسفل إلا التمساحَ فإنه يُحرّكُ فكه الأعلى . وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعّادُ ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده تَرعَدُ وتَنتفِض ما دام فى شبكته أو شِصّه(٣) . والجُعَل(٤) إذا دفنتَه فى الوَرد سَكنتْ حركتُه حتى يَتوهّم مَن رآه أنه قد مات ، فإذا أعَدتَه الى الروث تحرّك ورجع فى حِسّه . والبعيرُ إذا آبتلع

(١) فى الأصلين "ينطفه" والتصويب عن حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى . (٢) الرَّسَحُ : خفّة لحم العَجُز والفخذين . (٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك [وهى المعروفة بالصنارة] . (٤) الجعل كصرد ، والناس يسمونه « أبا جعران » وهو دويبّة تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، فى بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا فى مُرَاح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ويتولد غالبا من أخثاء البقر ؛ ومن شأنه جمع النجاسة وآدّخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد الى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

فى علَفه خنفساءَ قتلته إن وصلت الى جوفه حيةً . وأطولُ[١] شىء ذَمَاءً[٢] الخنفساءُ فإنها يُسرجُ[٣] على ظهرها فتصبرُ وتَمشِى .

والضبُّ يُذْبَحُ فيمكث ليـلة ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياما تتحرّك وإن وطِئها واطئ نهَشته ، ويُقطعُ ثلثُها الأسفلُ فتعيشُ ويَنبُت ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبّ ذَكرانِ وللضبّة حِرانِ، خبّرنى بذلك سهل عن الأصمعىّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نِزْكٌ وأنشد :

سِبَحْلٌ[٤] له نِزْكانِ كانا فضيلةً * على كلّ حافٍ فى البلاد[٥] وناعِلِ

وكذلك الحِرذَونُ[٦] . والذِّبّانُ[٧] لا تَقرَبُ قِـدرا فيها كَمْأةٌ[٨] . وسَامٌّ أبرصَ لا يدخل بيتا فيه زعفرانٌ . ومَنْ عَضّه الكلبُ الكلِبُ احتاج الى أن يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه . وخُرطومُ الذباب يده، ومنه يُغَنّى، وفيه يُجرِى الصوتَ كما يُجرِى الزامرُ الصوتَ فى القصبةِ بالنفخ .

---

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لى الفضل العنبرى : يقولون للضب أطول شىء ذماء، والخنافس أطول منه ذماء؛ وذلك أنه يغرز فى ظهرها شوكة ثاقبـة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار وهى تدبّ بها وتجول» . (٢) الذماء ممدود : بقية النَّفْس . (٣) يسرج : يوقد .
(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) فى اللسان مادة نزك «فى الأنام» . وذكر هـذا البيت ضمن أبيات قالها حُمرانُ ذو الغُصّة يصف بها ضِبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسرى .
(٦) الحرذون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبّة شبيهة بالضب، وقيل هو ذكر الضب، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع الى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .
(٧) جمع الذباب . (٨) الكمأة : نبات يقال له شحم الأرض، والعرب تسميه : «جدرىّ الأرض» وقيـل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الحمرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم، وأنواعه كثيرة، يؤكل نيئه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليسَ شيء يَذْخَرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ . والذَّرَّةُ(١) تدّخرُ في الصيف للشتاء فإذا خافت العَفَنَ على الحبوب أخرجتها الى ظاهرِ الأرض فشَرَّتْها(٢) ، وأكثرُ ما تَفعلُ ذلك ليلا في القمر. فإن خافت أن ينبتَ الحبُّ نقرت وسطَ الحبة لئلا تنبتَ. والسُّلَحْفاةُ اذا أكلت أفعى أكلت سَعْترا(٣) جَبَليا . وآبنُ عِرْسٍ إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذابَ . والكلابُ إذا كان في أجوافها دود(٤) أكلت سُنبلَ القَمح . والأيِّلُ(٥) اذا نهشته الحيةُ أكل السَّراطينَ(٦) . قال آبن ماسويه : فلذلك يُظنّ أن السراطينَ صالحة لمن نُهِشَ من الناس. والوَزَغ(٧) يُزاقُّ الحيّاتِ ويُقارِبها(٨)، ويكرع في اللبن والمَرَق ثم يَمُجّ في الإناء. وأهلُ السِّجْنِ(٩) يعملون من الوزغ سمًّا أنفذَ من [سم](١٠) البِيش ومن ريق الأفاعي، وذلك أنهم يُدخلون الوزغةَ قارورةً ثم يَصُبُّون فيها من الزيت ما يغمُرها ويضعونها في الشمس أربعينَ يوماً(١١) حتى تتهرّأ(١٢) في الزيت، فإن مُسِحَتْ على اللُّقمةِ منه مَسحةٌ وأكله آكل مات من يومه .

(١) الذرة واحدة الذر وهي صغار النمل . (٢) شرّتها : نشرتها في الشمس لتجف .

(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصعتر بالصاد ، وهي اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .

(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوعال وهي التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائيّ و يعيش في البر أيضا ، وهو جيد المشي سريع العدو ذو فكين ومخاليب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سام أبرص" .

(٨) في الأصل الفتوغرافي « ويفارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ «وبعض الناس» وفي الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر» . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا و يابسا و ربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .

(١١) كذا في الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهرّأ اللحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجرادُ اذا طَلع فعُمِدَ الى التُّرْمُس والحَنظَل فطُبِخا بماء ثم نُضِحَ ذلك المـاءُ على زرع تنكّبه الجرادُ . واذا زُرِع خَرْدَلٌ فى نواحى زرع نجا من الدَّبَى(١) . واذا أُخذ المُرْداسَنْجُ(٢) فعُجِن بعجين ثم طُرِح للفأر فأكلته مُوِّتَ عنه، وكذلك بُرايةُ الحديد . وإذا أُخِذ الأَفْيون والشُّونيز(٣) والبارزد(٤) وقرنُ الأُيَّل وبَابُونَج وظِلْفٌ من أظلاف المعز فخُلِط ذلك جميعا ثم دُقّ وعُجِن بخلّ عتيق ثم قُطِعَ قطعا فدُخِّن بقطعة منـه نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحرِقَ منه شيء ودُخِّن به هرب ما وجَدَ منها تلك الريحَ . والنملُ تهربُ من دُخَان أصول الحَنْظَل . وإن عُمِدَ إلى كبريت وسَذَابٍ(٦) ونَخْرَبِقٍ فَدُقّ ذلك جميعا وطُرِحَ فى قرية النمـل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع ذهبن(٧) . والبعوضُ تهرُب من دخان القَلْقَدِيس(٨) إذا دُخِّن به ومعه حبُّ السوس(٩)، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك .

وقالت الأطباء : لحمُ ابن عِرس نافعٌ من الصَّرْع . ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذام والسّلّ والتشنُّج ووجع الكُلَى ، يُجَفَّفُ ويُشرب ويُطعَمه العليـلُ مطبوخا ومشويًّا ويُضمدُ به المتشنِّج(١٠) . والعقرب إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، والدبى : أصغر الجراد والنمل . وفى الأصل الفتوغرافى (الوبا) .

(٢) كذا بالأصـل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفى القاموس : المردارسنج معروف وقد تسقط الراء معرب مردارسنك ومعناه الحجر الخبيث .

(٣) الشونيز : الحبة السوداء .

(٤) البارزد فى القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشـبه القنا فى شكله ، وينبت فى أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدّة . وقد ذكر خواصه ومنافعه ابن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) .

(٥) فى الأصل الفتوغرافى : نقيف ، وفى النسخة الألمانية ثقيف ، والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) .

(٦) السذاب : اسم نبات .

(٧) كذا فى الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر .

(٨) القاقديس كلمة يونانيـة معرّبة معناها فى الكيمياء الحديثـة : كبريتات الحـديد ؛ وقيل معناها : الصبغة السـوداء لصانعى الأحذية .

(٩) السوس : شجر فى عروقه حلاوة وفى فروعه مرارة .

(١٠) كذا فى النسخة الألمانية . وفى الأصل الفتوغرافى «التشنج» .

تجعل فى جوف فخّار مشدود الرأس مُطيّن الجوانب ثم يوضع الفخّارُ فى تنُّور، فإذا صارت العقربُ رمادًا سُقِىَ منْ ذلك الرمادِ مَن به الحصاة مقدارَ نصف دانق وأكثر فيُفتِّت الحصاةَ من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط (١)، وقد تَلسعُ العقربُ مَنْ به حُمّى عتيقةٌ فتقلعُ؛ وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج، وتُلْقَى فى الدُّهن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها ويَجتذبَ قُواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفرِّقًا للأورام الغليظة .

ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها فى ماء غَمْرٍ بقيت فى وسط الماء لا تطفو ولا ترسُبُ؛ وهى من الحيوان الذى لا يَسبَحُ . وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تَدورانِ . وإنما تَنسِجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو الخَدَرْنَق . وولد العنكبوت يَنسِجُ ساعةَ يولَدُ . والقَمْلُ يُخلق فى الرءوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوبا بالحِنّاء . الحُلَكاءُ (٢) دُوَيْبَّة تغوص فى الرمل كما يغوص طائرُ الماء فى الماء . وبناتُ النّقا كذلك، وهى التى يُقال لها : شحمةُ الأرض . وأُمُّ حُبَيْنٍ (٣) لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ (٤)، والسُّرفةُ دويبّة يُضربُ بها المثلُ فى الصّنعة فيقال : «أصنعُ مِنْ سُرْفَةٍ» .

ومن أحسنِ ما قيل فى الأفعى قول آمرأةٍ (٥) من الأعراب :

---

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الحلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة، ملساء فيها بياض وحمرة؛ والعرب تسميها « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن؛ وقيل : هى دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثل الناووس بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) فى اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحمر البجلىّ ليس الباهلىّ :

خُلقت لهازمه عزين ورأسه * كالقرص فرطح من طحين شعير »

خُلِقتْ لَهَــازِمُه(١) عِزِينَ(٢) ورأسُهُ * كالقُرْصِ فُرْطِحَ(٣) من دقيقِ شعيرِ
وكأنّ مَلْقاهُ بكلّ تَنُــوفةٍ(٤) * مَلْقاكَ كِفّةَ مِنجلٍ(٥) مأطورِ(٦)
ويُديرُ عينًــا للوِقاعِ(٧) كأنها * سمراءُ طاحت من نَفِيضِ(٨) بَرِيرِ(٩)

قيل لمــاسرجويه : نجدُ ملسوعَ العقرب يُعالَجُ بالاسفيوش(١٠) فينفعه ، وآخر يُعالج بالبندق فينفعه ، وآخر يَشربُ الأنقاس(١١) فتنفعه ، وآخر يأكُل التّفاحَ الحامِضَ فينفعُهُ ، وآخر يَطليه بالقِلْىِ(١٢) والخلّ فيحمَدُه ، وآخر يَصُبّ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ ، وآخر يُدخِلُ يدَه فى مِرْجَلٍ حارٍّ لا ماء فيه فيحمَدُه ، وآخر يعالجه بالنُّخَالة الحارّة فيحمَدها ، وآخر يَحْجُم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ثم رأيناه يتعالج بعــدُ بذلك الشىء للسعة أخرى فلا يحمده !

(١) اللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين .

(٢) عزين : متفرّقة . (٣) وردت هــذه الكلمة فى اللسان فى مادة « فرطح » بالراء وفى مادة «فلطح» باللام ، واستشهد بالبيت فى المــادتين ، وجاء فيه : «وكل شىء عرّضته فقد فلطحته وفرطحته» ووردت فى الأصل الفتوغرافى «قطع» وفى النسخة الألمــانية «أقطع» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٦٠) «أفطح» . (٤) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر : آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفى الأصل الفتوغرافى «منخل» وما أثبتناه عن النسخة الألمــانية والحيوان للجاحظ . (٦) مأطور من الأطر وهو عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه .

(٧) كذا فى الأصــل الفتوغرافى وفى اللسان "للوداع" ، وفى النسخة الألمــانية وكتاب الحيــوان للجاحظ : "للوقاح" . (٨) النفيض فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان فى مادة «فرطح» نقيص بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفى اللسان بعد هــذا البيت :

وكأن شدقيه اذا اســتقبلته * شدقا عجوز مضمضت لطهور

(١٠) كذا فى النسخة الألمــانية ، وفى الأصل الفتوغرافى « بالاسفيون » بالنون ولعله محرّف ، لأن هذا الاسم ورد فى مفردات ابن البيطار هكذا «الاسفيوس» بالسين المهملة فى آخره ، وورد فى تذكرة داود «الاسفيوش» بالشين المعجمة فى آخره ، وهى كلمة فارسية معناها «بزر قطونا» . (١١) الأنقاس : الحوامض وفى النسخة الألمــانية «الأنفاس» بالفاء . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفر وله منافع كنافع الملح إلا أنه أحدّ منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لمـا آختلفت السّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه آختلفَ الذى يوافقه على حسب آختلافه. قالوا : وأشدّ ما تكون لسعتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام، لتفتح المنافس وسَعَةِ المجارى وسُخُونة البدن .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال أبو بكر البحـرىّ(١) : ما من شىء يضرّ إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلا قال : أنا مثلُ العقرب أَضُرّ ولا أنفعُ، فقال : ما أقلّ علمَه بها، ”إنها لتنفع(٢) إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّت على موضع“ ”اللّسعة، وقد تُجعل فى جوف فخّار مشدودِ الرأس مُطيّنِ الجوانب ثم يُوضعُ الفخّار“ ”فى تَنُّور فإذا صارت العقربُ رمادا سُقِىَ من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثرَ“ ”قليلا مَنْ به الحصاةُ ففتّتها من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط .“ ”وقد تَلسعُ العقربُ مَن به الحُمَّى العتيقةُ فتُقلِـعُ عنه . ولَسعتِ العقرب رجلا مفلوجا“ ”فذهب عنه الفالج . وقد تُلقَى العقربُ فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها“ ”ويجتذبَ قواها فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقًا للأورام الغليظة“ .

قال أبو عبيدة : ولَسعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخِيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه، فقال بعضُ الناس له : ليس شىء خيرا مِنْ أن تُغسَلَ له خُصيةُ زِنجىّ عَرِقَ ففعلوا، وكان ذاك فى ليلة ومِدَةٍ(٣)، فلما سَقَوْه قَطَب، فقيل له : طعمَ ماذا تجدُ؟ قال : أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ .

قال المأمون : قال لى بَخْتيشُوع وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لسعة الزُّنبور هَدَأ وسكن الألمُ ، فلسعنى زُنبـورٌ فحككتُ على موضعه أكثر

(١) كذا بالأصلين، وفى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين فى كتب الأنساب التى تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه ” “ مكررة لأنها تقدّمت فى ص ٩٥ من هـذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع آختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها فى الأصلين، وآكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألمُ إلا فى قدر الزمان الذى كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبقَ فى يدى منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبورُ حتفًا قاضيًا، ولولا ذلك العلاجُ قتلكَ . قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه أياما . وقد يُمَوِّهُ بهذا قوم فيجعلونه خاتَمًا فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِشَ فى إصبعه .

قال محمد بن الجَهْم: لا تتهاونوا بكثير مما تَرَوْن من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبّان يلقَى فى الإثمِد فيسحقُ معه، فيزيدُ ذلك فى نور البصر ونفاذِ النظر وتشديدِ مراكز الشعر فى حافات الجفون . قال : وفى أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرُهم فِراخَ الزنابير.

وقال ابن ماسويه : المجرَّبُ للسع العقرب أن يُسقَى من الزَّراوند(١) المدحرج ويُشربَ عليه ماء بارد، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة . قال : وللسع الأفاعى والحيّات ورقُ الآس(٢) الرطب يُعْصَرُ ويُسقَى من مائه قدرَ نصف رطل، وكذلك ماء المَرْزَنْجُوش(٣) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق. وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين(٤) والسذابُ يُطعم ذلك العليلُ . قال والثُّوم والملح وبَعْر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشىء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما فى تذكرة داود؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجرا عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء إذا أينعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس : فارسىّ، والعرب تسميه : السمسق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبطّ فى نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٤) فى النسخة الألمانية «البيش» .

الغنم نافع جدّا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلةً، فإن الأَصَلة[(١)] تُوضَعُ على لسعها الكُلْيتان جميعا بالزيت والعسل . والخطمىُّ[(٢)] إذا أُخذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضع على لسع قَمْلة النّسر[(٣)] كان دواء له . وإن طَلَى أحد به يديه أوجسدَه لم يَلدغْ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ . وإن لَدغ أحدًا زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول[(٤)] وهو الطرشَقوقُ إن دُقّ فضُمدبه لسعةُ العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِب من عصيره . قالوا : وإن أَخَذَ مَنْ حَذَر على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وَقاه .

النبات

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريشُ بن أنس عن كُلَيب أبي وائل رجل من المُطَّوِّعة قال : رأيتُ ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض "محمد رسول الله". والعرب تقول في مثل هذا هو : "أشكَرُ من البَرْوَقَة[(٥)]"، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارَجيلَ هو نخل المُقْل قَلبه طِباعُ البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكُرُنْب وبين الكَرْم عداوةٌ، فإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضرة الكَرْم ذَبَلَ أحدهما وتشنّج، ولذلك يُبطئُ السُّكْرُ عمن أكل منه ورقاتٍ على ريق النفس ثم شرب . وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظهرُ رجل اشتدّ عليه الألم . قالوا :

(١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، كذا في حياة الحيوان للدّميرى نقلا عن ابن الأنبارى . (٢) الخطميّ بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوامّ .

(٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ، وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البلخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوامّ اذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) في مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالسحاب إذا نشأ فيما يقال .

وكلّ زَهرٍ ونَوْرٍ فإنه ينحرفُ مع الشمس ويُحَـوِّل إليها وجهَه ؛ ولذلك يقال : هو يُضاحِكُ الشمسَ . قال الأعشى :

ماروضَةٌ من رياض الحَزْنِ[1] مُعشبةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ[2] هَطِلُ[3]
يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ[4] شَرِقٌ[5] * مُؤَزَّرٌ بِعَـمِيمِ النَّبتِ مُكْتَهِلُ[6]

وقال آخر :

* فَنُوَّارُه[7] مِيلٌ إلى الشمسِ زَاهِرُه[8] *

والخُبَّازَى[9] يَنضمُّ ورقُه باللّيـل ويَنفتِحُ بالنهار . والنَّيلُوفرُ[10] يَنبتُ فى المـاء فيغيب الليلَ كلّه ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ . وقالوا فى الطُّحلُب[11] : إنْ أُخذ بجُفُفَ

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسبل : مطر، من السبل بفتحتين وهو المطر .

(٣) هطل، من الهطل بالسكون وهو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال من النبات، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تام الطول .

(٧) النوار : واحدته نوارة بالضمة، وهى الزهرة المشرقة . (٨) عجز بيت للحطيئة، وصدره :

* بمستأسد القريان حوّ نباته *

وقبله عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظُلمانه وجآذره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الحطيئة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان البيت (بمستأسد ... الخ) الى قطران العبسى (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازى و يقال : الخبيزى : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ و يطلق فى العرف الشائع على نبت برّىّ مستدير الورق فى وسط أوراقه شىء مجوّف دقيق، له زهر الى الصفرة و بزر الى السواد مفرطح، كذا قال داود الأنطاكى فى تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندىّ سمى بلغتهم وأكثر ماينبت فى مستنقعات المياه ورواكدها والآجام، ولا ينبت إلا فى الماء العذب القائم فى أرض طيبة تربة سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحوّل وجهــه الى الشمس اذا طلعت وارتفعت، فإذا وقع شعاعها عليــه أولم يقع انفتحت وردته كلها، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس الى أن تقرب من أوّل العصر وتطلب الغروب فيبتدئ ينضم على ذلك الترتيب الذى كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم فى كرة و يبقى مضموما الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأوّل من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التى تعلو المياه الراكدة، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

فى الظلّ ثم سقطَ فى النار لم يَحترِق . وذكروا أن قَسًّا راهنَ على صليب فى عنقه من خشب أنه لا يَحترق، وقال : هو من العود الذى صُلِبَ عليه المسيحُ، فكاد يَفتِنُ بذلك خَلْقًا حتى فَطِن له بعضُ أهل النظر فأتاهم بقطعة عُود تكون بكِرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه . والطَّلْقُ(١) كذلك لا يصير جمرًا . وطِلَاءُ النفّاطين(٢) طَلَقٌ وخِطْمِىٌّ ومَغَرَةٌ . وقالوا : إذا أُخذَ بِزرُ السَّذاب البرىّ وزُرع وطال به ذلك تَحوّل حرملا، والنَّمّامُ(٣) إذا أَعتقَ تحوّل حَبَقًا(٤) . قالوا : والقُسْطُ(٥) إنما هو جَزَرٌ بحرىّ . قالوا : بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تَرِيَّةً، إذا أخذ فطُبِخ ثم صُفِّى ماؤه فجُعِلَ فى وِعاء لم يلبَث إلا يسيرا حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرّ بمَبْقَلةٍ عَمَد إلى شىء من خُرء البَطّ فخلط به مثلَه من ملح ثم طُرِحَا فى ماءٍ فدِيفَا فيه فيُنضَحُ ذلك المـاءُ على البقل فإنه يفسُدُ . قال : ومن أراد إفسادَ الرّمان الكثير ألقى فى أضعافه نوَى التمر والملح والجريش . ومَن أراد قتلَ السمك فى المـاء القائم عَمَد إلى نبت يسمى "ماهى زهره"(٦) فدُقّ وطُرِحَ فى المـاء فإنه يموت سمكُ ذلك المـاءِ، والمـازريون(٧) يفعل ذلك . قال : ومما يَجِفُّ له الشجر أن يُعمَد إلى مِسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ فى أصلِ الشجرة، وأن يُعمَد الى وتد من طَرْفاءَ فيُثقَبَ أصل الشجزة بمِثْقَب حديد

(١) الطلق : حجر برّاق يتخذ منه مضاوى للحمامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرماة بالنفط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان عطرىّ قوىّ الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام، ويكثر نباته على المـاء، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر، والعقار : العشبة .

(٦) لفظ فارسىّ وتعريبه سمّ السمك . (٧) المـازريون : نبت له أغصان طولها شبر، وورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه، وهو مر يلذع اللسان؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

ثم يُجعَلَ ذلك العودُ على قدر الثَّقْب(١) فى المِثقَب فتجفّ الشجرةُ إن كان غِلَظُ العُودِ على قـــدر الثَّقب .

قيـل لمـاسرجويه : ما بالُ الأَكَرَةِ(٢) وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاثَ والتمْـرَ وشُربِهم المـاءَ الحارّ على السَّمكِ المـالح أقلُّ عُمياناً وعُورَانا وعُمْشَانا؟ قال : فكَّرتُ فى ذلك فلم أجِدْ عِلَّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة

الحجـارة

قال أرسطاطاليس : حَجَرٌ(٣) سقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشَّفَ منه المـاءَ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد فى وزنه؛ وذاكرتُ بهذا رجلا من علماء الأطبّاء فعرفه، وقال : هذا الحجرمذكور في التوراة. وحجر المغناطيس يجذِبُ الحديدَ من بُعْدٍ[و]إذا وُضِعَ عليه عَلِقَه، فإن دُلِكَ بالثُّوم بطَلَ عملُه . قالوا : والزمادُ والقِلْىُ يُدبَّران فيستحيلان حجارةً سُودًا تَصلحُ للأرحاء . ومن الحجـارة حصاةٌ فى صورة النواة تَسـبَحُ فى الخلّ كأنها سمكةٌ . ومنها خَرَزَةُ العُقْرِ(٤) إن كانت فى حَقْوِ(٥) المرأة فلا تَحْبَـلُ . وحجر يُوضَع على حرف التنّور فيتساقط خبزُ التنّور كلّه . و بمصر حجر مَنْ قبضَ عليه بجميع كَفّيهِ فأ كل شيئا فى جوفه فإن هو لم يَنْبِذْه من كفّه خِيفَ عليه . ومن الحجارة النَّشَفُ(٦)، ليس شىء من الحجارة يَطْفُو على المـاء غيره وفيه حُفَرٌ صِغَارٌ .

(١) كذا بالنسخة الألمـانية؛ وفى الأصل الفتوغرافى : « على قدر فى المثقب » .
(٢) الأكرة جمـع أكار وهو الحرّاث لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر فى التقـدير . (٣) كذا بالأصلين؛ ولم نجد ذكر هـذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة فى مفردات ابن البيطار، ولا فى تذكرة داود، ولا فى عجائب المخلوقات للقزوينى . (٤) العقر : العقم، وهو استعتام رحم المرأة فلا تحمـل .
(٥) الحقو : الخصر. (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهي التى ينقى بها الوسخ فى الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبَّرُ فيستحيلُ مُرْدَاسَنْجًا . وإقليمياء(١) النّحاس يدبَّر فيصيرُ تُوتياء . وحجر البازَهْر(٢) يُفرِّقُ الأورامَ . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض ويَبِس ٱستحال وصار شبًّا ، وهو هذا الشبّ اليمانىّ .

حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أربعةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن : الوَرْسُ(٣) والكُنْدُرُ(٤) والخِطْرُ(٥) والعَصْب(٦) . وبمصر حجر تُحرّكه فتسمعُ فى جوفه شيئا يتقلقلُ كالنواة .

حدّثنى شيخ لنا عن علىّ بن عاصم عن خالد الحَذَّاء عن محمد بن سيرين قال : ٱختصمَ رجلان إلى شُرَيْح ، فقال أحدُهما : إنّى ٱستودعتُ هذا وديعةً فأبى أن يردّها علىّ ؛ فقال له شريح : رُدَّ على هذا الرجل وديعتَه ؛ قال : يا أبا أُمَيّةَ ، إنه حجرٌ إذا رأته الحُبْلَى ألقتْ ولدَها ، وإذا وَقَع فى الخلّ غَلَى ، وإذا وُضِع فى التنُّور بَرَدَ ؛ فسكتَ شُرَيْحٌ ولم يَقُلْ شيئا حتى قاما .

الجنّ

قالوا : الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ ، والجانّ ضَعَفَةُ الجنّ . وبلغنى عن يحيى بن آدم عن شَرِيك عن لَيْث عن مُجاهد قال قال — يعنى إبليس عليه لعنة الله — : أُعطِينا أنّا نَرَى ولا نُرَى ، وأنّا ندخُل تحت الثَّرَى ، وأنّ شيخنا يُرَدّ فَتًى .

(١) الإقليمياء بالكسر : ثُفْل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرّب بادزهر : حجر تنسب اليه قوى غريبة فى مقاومة السموم ، فارسىّ مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛ وله منافع وخواص ذكرها ٱبن البيطار فى مفرداته . (٣) نبات الورس — كما فى مفردات ٱبن البيطار — كنبات السمسم ، فاذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتقض منه الورس ، ينبت كل سنة ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه فى صبغته حمرة . (٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به . (٦) العصب : صبغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافى مانصه : «قلت : وعصرنا زاد خامسا وهو القهوة» .

حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : حدّثنى يَعْلَى بن عُقْبة — شيخ من أهل المدينة مولًى لآل الزُّبَير — : أن عبد الله بن الزبير باتَ بالقَفْر، فقام ليَرْحَل فوجدَ رجلا طُوله شبران عظيمَ اللحية على الوَلِيّة[(١)]، فنفضَها فوقع ثم وضَعَها على الراحلة، وجاء وهو بين الشَّرْخين[(٢)]، فنفضَ الرحلَ ثم شدّه، وأخذ السوطَ ثم أتاه، فقال : مَنْ أنتَ؟ قال : أنا أَزَبُّ قال : وما أزَبُّ؟ قال : رجلٌ من الجنّ؛ قال : ٱفتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلوقُكُم! لقد شُوِّه حُلوقُكُم! ثم قلَبَ السوطَ فوضعه فى رأس أزَبّ حتى شقّه.

حدّثنى خالد بن محمد الأزدىّ قال حدّثنا عمر بن يونس قال حدّثنا عِكرِمة ٱبن عمّار قال حدّثنا إسحاق بن أبى طلحة الأنصارىّ قال حدّثنى أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء مُضطجِعَةً فى بيتها قائلةً إذ ٱستيقظَتْ وزنجىٌّ على صدرها آخذًا بحلقها، قالت : فأمسكَنى ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ علىّ الصلاةُ، فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِج، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفةٌ صفراء تَهوِى بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على صدرى، فنشرها وأرسل حَلقى فقرأها، فإذا فيها : من رَبّ لُكَيْزٍ إلى لُكَيْزٍ، اِجتنب ٱبنةَ العبد الصالح إنه لاسبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتى وقال : لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ، أى لذبحتُك؛ فاسودّتْ ركبتى حتى صارت مثلَ رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لى[(٣)] : يا بنــة أخى، إذا حِضتِ فالزِمى عليكِ ثيابكِ فإنه لا سبيل له عليكِ إن شاء الله. فحفظها الله بأبيها وكان ٱستُشهِدَ يوم بدر.

أبو يعقوب الثقفىّ عن عبد الملك بن عُمير عن الشَّعْبىّ عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جِنيًّا فقالت : إن بنتى عَروسٌ وقد تمرّط[(٤)] شَعَرُها من حُمًّى رِبْعٍ بها، فهل

(١) فى الأصل الفتوغرافى «الوية» وفى النسخة الألمانية «الوئية» والتصويب عن لسان العرب، والولية : البرذعة. (٢) شرخا الرحل : حرفاه وجانباه، وقيل : خشبتاه من وراء ومقدّم.

(٣) فى الأصلين : «لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه. (٤) تمرّط الشعر : تساقط وتحات.

عندكِ دواء؟ فقال: ٱعْمِدى إلى ذُباب المـاء الطويل القوائم الذى يكون بأفواه الأنهار فاجعليه فى سبعة ألوان من العِهْنِ (١): أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ، ثم ٱجعليه فى وسطه وٱفتليه (٢) بأصبعك هكذا ثم ٱعقديه على عَضُدها اليسرى؛ ففعلَتْ فكأنّها أُنشِطَتْ من عِقَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنى محمد بن مسلم الطائفىّ فى حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَها ولكنها تُسَحَّرُ .

وقال الأصمعىّ : حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدّثنا النَّهَّاسُ (٣) بن قَهْم (٤) قال : دخلتُ مِرْبَدًا لنا فإذا فيه شىء كالعِجَّوْلِ (٥) له قرنان وله رِيشٌ ينظرُ إلىّ كأنه شيطانٌ .

حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن عمه قال : سَمِع رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلا من تحته يقول: مَنْ يُحرِّك شُعَيراتى؟ ذاك مَقِيلى، وظِلّ مَظَلّى (٦)، حاشا الغزيل وعبد الملك وجمعِ الأُدْم؛ وكانوا يَرَوْن أنّ الأصمعىّ سمع هذا، وذاك أنه كان فى آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَير بن ضُبَيْعة قال : بينا أنا أسيرُ فى فلاةٍ أنا وٱبنُ ظبيانَ — أو رفيقٌ له آخر ذكره — عَرَضتْ لنا عجوزٌ — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيتُ فى كتاب محمدٍ ٱبنِه — وصبىٌّ يبكى؛ فقال: إنى مُنْقَطَعٌ بى فى هذه الفلاة فلو تحمّلتمانى! فقال صاحبُ عمير: او أردفتَه ! فحمله خلفَه؛ فمكثنا ساعة فنظر فى وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فِيهِ نارٌ

(١) العهن : الصوف أو المصبوغ ألوانا . (٢) كذا بالأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمـانية « اقتليه » بالقاف . (٣) فى النسخة الألمـانية « المناسب » وهو تحريف .
(٤) فى الأصلين : فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .
(٥) العجّول : العل . (٦) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى النسخة الألمـانية : «الغرِّيد» .

مثـلُ نار الأَتُّون فأخذَ له عميرٌ السيفَ، فبكى وقال : ما تُرِيدُ منّى ؟ فكفّ عنه ولم يُعْـلِم صاحبَه بمـا رأى، فمكث هُنيهةً ثم عاد، فأخذ له السيفَ، فبكى وقال : ماتريد منى؟ وبكى، فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه، ثم عاد الثالثةَ ففغر في وجهه[1]، فحمل عليه بالسيف، فلما رأى الجدَّ وثَب وقال : قاتَلكَ اللهُ ماأشدَّ قلبَك! مافَعلتُه قطّ فى وجه رجل إلا ذهب عقلُه .

بلغنى عن محمد بن عبد الله الأسدىّ عن سفيان عن ٱبن أبى ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبى أيُّوب الأنصارىّ أنه كان فى سَفْرةٍ له وكانت الغولُ تجىء، فشكاها الى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال : «إذا رأيتَها فقُل باسم اللهِ أجيبى رسولَ اللهِ» ، فجاءت فقال لها ذلك، فأخذها فقالت : لا أعود، فأرسلها، فقال له النبىّ عليه السلام : « ما فَعل أسيرُكَ » ؟ فأخبره، فقال : « إنها عائدة »، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثا، وقالت فى آخرها : أرسِلْنى وأُعلّمك شيئا تقوله فلا يضرّك شىء : آيةَ الكرسىّ، فأتى النبىّ عليه السلام فأخبره، فقال : « صَدَقَتْ وهى كَذُوبٌ» .

حدّثنى زيدُ بن أخزَمَ قال: حدّثنا عبد الصمد عن همّام عن يحيى بن أبى كثير أن عاملَ عُمَانَ كتب الى عمرَ بن عبدالعزيز: إنّا أُتِينَا بساحرة فألقيناها فى المـاء فطَفَتْ، فكتب اليه عمرُ : لَسْنَا من المـاءِ فى شىء، إن قامتِ البينةُ وإلا نَخَلِّ عنها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنـا أبو عاصم قال حدّثنـا ٱبن جُريج عن ٱبن أبى الحسين المكىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ واللُّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ولن يَدخُلَ بيتا دُخِّنَ فيه بِلُبَانٍ ساحرٌ ولا كاهنٌ" .

حدّثنى عبد الله بن أبى سعيد قال حدّثنى عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسمـاء بن خارجةَ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعتُ أعرابيةً تقول : من

(١) فغر فى وجهه : فتح له فاه .

يشترى منّى الحَزَأ؟ فقلتُ: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكايسُ النساء للطَّشَّة والخافية والإقلاتِ؛ قال عبد الله: سألتُ ٱبنَ مُنَاذِرٍ فقال: الطَّشَّةُ: شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام. والخافيةُ: الجنّ. والإقلاتُ: قِلةُ الولد. يريد أَن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: ٱمرأة مِقْلَاتٌ.

بلغنى عن شيخ من بنى نُمير أنه قال: أَضْلَلْتُ أباعر لى بالشُّرَيف[١] فخرجتُ فى بُغَائِها فَدَأَبْتُ أياما فأمسيتُ عشيَّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتى فٱختليتُ[٢] لها من الشجر وأصبتُ لها من الماء ثم قيّدتُها وٱضطجعتُ مغموما، فلما جَرى وَسَنُ النوم فى عينى إذ هَمس قَدَمٌ قريبا منّى، فانتبهتُ فَزِعًا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا رَيْعَةَ[٣] عليك! ثم سلّم وجلس، ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللتُ أباعِرَ لى وأنا فى طلبها منذ أيام؛ فقال لى الأول منهم: كُنّ لك ما كُنّ، وقد وَدَعْنَ فبِنّ، وصِرنَ حيث صِرنَ، فلا تَتعَنّيَنّ؛ فٱجترأت على المسئلة فقلت: أمِن الخافيةِ أنتم نشدتكم بإلٰهكم؟ قالوا: نعم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد؛ فقلت: علّمونى مما علّمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردتَ حِفظَ مالكَ فٱقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسى، وإذا أمسيتَ فى خَلَاءٍ وحدَك فاقرأ المعوِّذتين، وإن أحببتَ ألّا يعبَثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديك الأبيض، وٱجعل فى حجور صبيانك بَرِيمًا، يعنى خيطا من صوف أبيض وأسود، وٱحتشوا بٱلإذخِر[٤] يُنشر فى الصوف، فحدّثونى كحديثنا تلك الليلةَ، فلما أصبحت رجعتُ.

(١) الشريف: اسم ماء لبنى نمير. (٢) اختليت من الأختلاء، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تعلف به الدواب. (٣) لا ريعة: لا فزع، من راع يريع إذا فزع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيّب الرائحة.

قال المدائنىّ : كانت وفاةُ زِياد بالعَرْفة[1] ظهرتْ فى إصبعه ، وٱشتدّ عليه الوجع فجمع الأطّباء فشاورهم فى قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجعَ فى الإصبع أم تجده فى قلبك والإصبع ؟ قال : فى قلبى وفى إصبعى ؛ قال : عِش سليما ومُتْ سليما ، وأمره أن يَغمِسها فى الخلّ ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع ، فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسَمِـع أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلا يقول : أنا النقادُ ذو الرُّقْبَة قد كفيتُكم الرجلَ . والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجنّ . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم «إنه وَخْزٌ من الجنّ» يعنى الطاعونَ . والله أعلم .

(١) العرفة : قُرْحة تخرج فى بياض الكفّ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية
التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى]

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لآبن قتيبة و يتلوه فى الكتاب الخامس كتاب العلم . والحمــد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبى وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى ؛ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية . .

الى هنا ينتهى آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩م . وسنعتمد فى مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصــل الفتوغرافى وعلى المصادر التى يعوّل عليها فى تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافىّ ما يأتى :]

كان سُدَيف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فَيْئنا دُولةً بعد القِسْمة ، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة ، وعهدُنا ميراثًا بعد الاختيار للأمة ، وٱشْتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأَرْمَلة ، وحَكَمَ فى ابشار[1] المسلمين أهلُ الذِّمة وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلّ محلّة . اللهم وقد ٱستحْصَدَ زرعُ الباطل ، وبلغ نُهْيَتَه ، وٱستجمعَ طريدُه ، اللهم فافتح له من الحق يدًا حاصدةً تُبدِّد شملَه ، وتُفرق نامّته[2] ، ليظهر الحقُّ فى أحسن صوره ، وأتمّ نُوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقّون ظُلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هـذا الدعاء : «باسم الله ، إنى أعوذ بالرحمن منـك إن كنتَ تَقيًّا . اِخْسَئُوا فيها ولا تُكلِّمون . أخذت سمعك وبَصرَك بسمع الله وبصره ، وأخذتُ قوتَك بقوّة الله ، بينى و بينك ستْرُ النبوة الذى[3] كانت الأنبياء تَستتر به من سَطَوات الفراعنة ، جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شِمالك ، ومحمدٌ أمامك ، والله مطلّ عليك يَحجزك منى و يمنعنى منك . والسلام» .

وكتب عُمر بنُ عبد العزيز الى بعض عُمَّاله : «أما بعد ، فإذا دعتك قدرتُك على الناس الى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ونَفَادَ ما تأتى اليهم ، وبقاءَ ما يأتون اليك . والسلام» .

---

(١) أبشار : جمع بَشَر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاثنين والجمع وقد يثنى على بشرين و يجمع على أبشار (اللسان) . (٢) النامة والنَّأْمة : الحِسُّ والحركة وحياة النفس .

(٣) فى الأصل «التى» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِم رجلٌ من بعض النواحى فقيل له : كيف تركتَ الناس ؟ قال : مظلوما لا يَنْتَصِر، وظالمـا لا يُنْتَهَر . والسلام .

فى الحبس :

ما يدخُلُ السجنَ إنسانٌ فتسأَلُه * ما بالُ سجنِـك إلّا قال مظلومُ

وقال بعض المُحْدَثِين :

إن الليالى التى شُغِفتُ بها * غَيَّبهـا الدهرُ فى تقلُّبـــه
لله أمرى ما ملتُ قطُّ إلى * شىء بقَلْبِى إلا فُجِعتُ به
عرفتُ حظّى من الزمان فلا * أَلُوم خَلْقًـا على تجنُّبـــه
وكل سَهْم أعددتُه وقَفتْ * به الليـالى حتى رُميتُ به

وحكى أن عبد الملك بن مروان أَتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأُدخل على عبـد الملك ٱبن له صغير وهو يبكى ؛ فقال الخارجىّ : دعه يا عبدَ الملك، فإن ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه، وأذهب لصوته، وأحرى أَلّا تأبى عليه عينه اذا حَفَزَتْه طاعةُ الله فاسـتدعى عَبْرتها ؛ فأُعجب عبدُ الملك بقوله وقال له متعجّبا : أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغى أن يَشْغَل المؤمنَ عن قول الحق شىءٌ؛ فأمر عبدُ الملك بحبسه، وصَفَح عن قتله .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

حدّثنى الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يُونس عن الأوزاعىّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنابِحِىّ[1] عن معاوية بن أبى سفيان قال : نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغْلُوطات[2]، قال الأوزاعىّ : يعنى صِعاب المسائل .

حدّثنى سُهَيل بن محمّد عن الأصمعىّ قال سمعت عِمْران بن حُدَير يُحدِّث عن رجل من أهل الشام قد سمّاه، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم فى أبى مُسلم الخَوْلانىّ[3]؟ فقالوا : ما أحْسَنَ رأْيَنَا فيه وأخْذَنا عنه ! فقال : إنّ

---

(١) فى الأصل «الصنايجى» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى (بباء موحّدة وحاء بعد الألف) ، نسبة الى صنابح من حمير، كما ذكر المؤلف فى كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) .

(٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث، لأنه لا معنى لأن ينهى النبى عن صعاب المسائل، والأوجه ما فسرها به الزمخشرىّ إذ قال فى الأساس : «وهى المسائل التى يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» .

(٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رحل الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يدركه، وعاش الى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ الناسِ فى الحاكم أَهْلُه ، وإنّ مثل ذلك مثل الجامّة[1] تكونُ فى القوم فَيَرْغَبُ فيها الغُرَباء، ويَزْهَـدُ فيها القُرَباء، فَبينَا ذلك غَارَ ماؤُها، وأصاب هؤلاءِ مَنْفَعَتَها، وبَقِيَ هؤلاءِ يتفكّنُون، أى يتندّمون .

وفى الإنجيل أن عيسى صلّى الله عليه لمّـا أراهم العجائب، وضرب لهم الأمثال والحكمة، وأظْهَرَ لهم هذه الآياتِ، قالوا : أليس هذا ٱبنَ النَّجّار ! أَوَلَيْست[2] أُمُّه مَرْيَمَ وأخُوه يعقوبَ ويوسفَ وشمعونَ ويَهُوذا وأخواته كلّهنّ عنـدنا ! فقال لهم عيسى : إنّه لا يُسَبّ النبيّ ولا يُحَقَّر إلّا فى مدينته وبيئَتِه[3] .

حدّثنـا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قيل لدَغْفَل النسّابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بلسانٍ سَؤُول وقلبٍ عَقُول، وكنتُ إذا لَقِيتُ عالِمًـا أخذتُ منه وأعطيتُه .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا العَلَاء بن أسلم عن رؤبة بن العجّاج قال : أتيت النسّـابة البكرىّ فقال لى : مَن أنت ؟ فقلت أنا ٱبن العجاج ، قال : قَصّرت وعَرّفت ،لعلك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألونى،وإن تكلّمتُ لم يَعُوا عنّى، قلت : أرجو ألا أكونَ كذلك، قال : ما أعداءُ المُرُوءَة؟ قلت :تُخبرنى، قال : بنو عَمّ السوء إن رَأَوْا حسنا ستَرُوه، وإن رَأَوْا سيّئا أذاعوه، ثم قال : إن للعلْمِ آفةً وهُجنةً ونَكدًا، فآفته نسيانُه، ونكده الكذبُ فيه، وهُجنته نشره عند غير أهله .

كان يقال : لا يَزَال المرءُ عالمـا ما طَلَب العِلْمَ فإذا ظَن أَنْ قد عَلِمَ فقد جَهِلَ .

(١) لعلها الجَمّة قال فى اللسان : والجَمُوم : البئر الكثيرة الماء، وبئر جَمّة وجَمُوم : كثيرة الماء .

(٢) فى الأصل «ليس» بغير تاء التأنيث .

(٣) فى هامش الأصل الفتوغرافى عن نسخة أخرى : بيته .

حدّثني شيخٌ لنا عن محمّد بن عُبيد عن الصّلْت بن مِهْران عن رجل عن الشعبيّ عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلّم العِلْمَ لأربعة دخل النار لِيُباهِيَ به العلماءَ أو يمارِيَ به السفهاءَ أو يُمِيلَ به وجوهَ الناس أو يأخُذَ به من الأمراء» .

وحدّثني عن أبي معاوية عن حجّاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوما إلّا ظهرت ينابيعُ الحِكْمة من قلبه على لسانه» . وقرأت في حِكَم لُقمان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغْدُ عالما أو متعلّما أو مُستمِعا أو مُحِبّا، ولا تكن الخامسَ فتهلك .

حدّثني محمد بن داود عن سُوَيد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيّاش عن مُعَاذ ابن رِفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا العِلْمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه يَنْفُون عنه تحريفَ[1] الغالين[2] وانتحالَ المُبْطِلين وتأويلَ الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال عليّ عليه السلام : كَلِماتٌ لو رحَّلْتم المَطِيَّ فيهنّ لا تُصيبوهنّ قبل أن تُدركوا مثلَهن[3] : لا يَرْجُوَنّ عبد إلا ربّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ، ولا يَسْتَحِيِي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيِي إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَم أن يقول : الله أعلمُ . واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأسُ ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان . وكان يقول : من حقّ العالِم عليك إذا أتيتَه أن تُسَلِّم على القوم عامّةً وتَخُصَّه بالتحية ، وأن

---

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفي الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خمس خذوهن عني ، فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهنّ إلا عندي : ألا لا يرجونّ أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجْلِس قُدَّامَه ولاتُشِيرَ بيــدك ، ولا تَغْمِزَ بعينك، ولاتقولَ قال فلان خلافا لقوله (١). ولا تَغتابَ عنده أحدا ، ولا تَسَارَّ فى مجلسه ، ولاتأخُذَ بثوبه ، ولا تُلِحَّ عليــه إذا كَسِلَ، ولا تَغَرَضْ (٢) من صحبته لك؛ فإنمـا هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شىء . وفيما قال علىّ عليه السلام : يا كُمَيْل (٣)، العلم خير من المـال، لأنّ العلم يَحْرُسُك وأنت تَحرُس المـال،والمـال تَنْقُصه النفقة،والعلم يزكو على الإنفاق . وقال : قيمةُ كلِّ آمرىءٍ ما يُحسن . ويقال إذا أرذل الله عبدًا (٤) حَظَر عليه العِلمَ . وقال الشاعر:

يُعَدُّ رفيعَ القومِ مَن كان عالِمًا (٥) * وإن لم يكن فى قومه بحسيبِ
وإنْ حلّ أرضا عاش فيها بعلمه * وما عالِمٌ فى بلدةٍ بغــريبِ

قال بُزُرْجِمْهر : ما ورَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئا أفضلَ من الأدب، لأنها تَكتسب المـال بالأدب وبالجهل تُتْلفه فتقعُد عُدْما منهما . قال رجل لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار، وتتدارسون الآثار، وتتناشدون الأشعار، وَقَعَ عَلَىَّ النومُ؟ قال : لأنك حِمارٌ فى مسلاخ (٦) إنسان .

خرج الوليدُ بن يزيد حاجّا ومعه عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فاستأذن عليــه رجلٌ من ثَقِيف فأَذِنَ له وسَتَرَ

(١) عبارة العقدالفريد «خلاف قولك» . (٢) لاتغرض : لا تضجر. وفى الأصل «تفرض» بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تُلحّ عليــه فى السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شىء» . (٣) فى الأصل : «تكميل العلم خير من المـال» وهو تحريف ، والصواب ماأثبتناه، فقد جاء فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعى قال : أخذ بيدى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فخرج بى الى ناحية الجبانة فلمـا أصحر تنفّس الصعداء ثم قال : يا كميل ، إن هــذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة فى الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) فى العقد الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشِّطْرَنج بمنْدِيل، فلمّا دخل سلّم فسأله حاجَتَه، فقال له الوليد : أقرأتَ القرآن ؟ قال : لا، يا أمير المؤمنين ! شغلتنى عنه أمورٌ وهَنَات، قال : أفتعرف الفِقْه ؟ قال : لا ، قال : أفرَوَيْت من الشِّعر شيئا ؟ قال : لا، قال : أفعلِمتَ من أيام العرب شيئا ؟ قال : لا، قال : فكَشَفَ المِنديل عن الشِّطْرَنج وقال : شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسْكُت فما معنا أحد .

وفى كتاب للهند : العالِمُ إذا اغترب فمعه من عِلْمه كافٍ ، كالأسد معه قوّتُه التى يَعِيش بها حيثُ تَوجّه . وكان يقال : العلم أشرفُ الأحساب ، والمودّةُ أشدُّ الأسباب، قال الشاعر :

الحِلْمُ والعِلْمُ خَلَّتا كَرَمٍ * للمرءِ زَيْنٌ إذا هما اجتمعا
صِنْوانِ لا يَسْتَتِمّ حسنُهما * إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيعٍ سما به العِلْمُ والـ * ـحِلْمُ فنال العَلاءَ وارتفعا
ومن رفيع البِنا أضاعهُما * أخمله ما أضاع فاتّضعا

قال الأحنف : كادَ العلماءُ أن يكونوا أَرْبابا ، وكُلُّ عزٍّ لم يُؤَكَّد[(١)] بعِلْم فإلى ذُلّ ما يصير . وقال ابن المُقفَّع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبنّك ذلك، فإنّ زوال الكرامة بزوالها، ولكنْ ليُعْجبك إن أكرموك لِدِين أو أدب . وفى بعض الحديث المرفوع : «مَثَلُ العلماء فى الأرض مَثَل النجوم فى السماء» . وكان يقال : استُدِلّ على فضل العلم أنه ليس أحدٌ يُحِبّ أن له بحظه منه خَطَرًا . قال يونس بن حبيب : عِلْمُك من رُوحك، ومَالُك من بَدَنك . قال أبو الأسود : الملوك حُكّامٌ على الناس، والعلماء حُكّامٌ على الملوك .

(١) فى العقد (ج ١ ص ٢٠١) «يكسب» .

قيل لبُزُرْجِمهر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال : العلماء، فقيل له : فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكْثَرُ من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغِنَى وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم . وفى الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلّا فى طلب العِلْم» . قال ٱبن عبّاس : ذَلَلْتُ طالبا، فعزَزْتُ مطلوبا، وكان يقول : وجدتُّ عامّة عِلْم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هـذا الحىّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِن لى ، ولكن أبتغى بذلك طِيب نفسه . وكان يقال : أوّلُ العلم الصمتُ والثانى الاستماعُ، والثالث الحفْظُ، والرابع العقل، والخامس نشرُه . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك على أن تقول . قال الحسن : مَن أحسنَ عِبادةَ الله فى شبيبته لقاه الله الحكمة فى سِنّه، وذلك قولُه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمةُ : مَن ٱلتمسنى فلم يجِدْنِى فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليترُك أقبح ما يَعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يَعرِفْنى . وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالمـا حتّى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يحْقِرُ مَن دونه فى العلم، ولا يَحسُد من فوقه، ولا يأخُذ على علمه ثَمنا . وقال ٱبن عُيينة : يُستَحَبّ للعالِم إذا عَلَّم ألّا يُعَنِّف، وإذا عُلِّم ألّا يأْنَف . وفى كلام لغَيْلان : لا تكن كعلماء زمن الهَرَج[1] إن عُلِّموا أَنِفوا وإن عَلَّموا عَنفُوا . وفى حكمة لُقْمان : إن العالِمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقار، وإن العالِم الأَخْرَق يَطْرُد النـاس عن علمـه بالهَذَر والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مسئلةَ الحَمْقَى وٱحفَظْ حِفظَ الأكياس . وأنشد ٱبن الأعرابىّ :

---

(١) الهرج : الفتنة .

ما أقربَ الأشياءَ حينَ يَسُوقُها * قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تُقْدَرِ
فسلِ الفَقيهَ تكُنْ فقيها مثلَهُ * مَن يَسْعَ فى عمل بفقهٍ يَمْهَرِ
وتدبّر الأمرَ الذى تُعْنَى به * لاخيرَ فى عملٍ بغير تدبُّرِ
فلقد يَجِدُّ المرءُ وهو مُقصّر * ويَخِيبُ جِدّ المرء غيرَ مُقَصِّر
ذهب الرجالُ المُقْتَدَى بفَعَالهم * والمنكِرُون لكلّ أمرٍ مُنْكَرِ
و بقيت فى خَلَفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم * بعضا ليَدْفَعَ مُعْوِرٌ(١) عن معوِرِ

وقال الشاعر(٢) :

شِفَاءُ العمى طولُ السؤال وإنّما * تمامُ العمى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

وقال بعضهم : خيرُ خصال المرء السؤالُ . ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل تفقُّهًا ولا تَسلْ تَعنُّتا . قال الحسن : مَن ٱستتَر عَن الطلَب بالحيَاء لَبِسَ للجهل سِرْباله ، فقطِّعوا سَرَابِيلَ الحياء ، فإنّه مَن رَقّ وجهُه رقّ عِلْمُه ؛ وقال : إنّى وجدتُ العِلْمَ بين الحياء والسِتْر . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة . وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : قُرِنت الهَيْبَةُ بالخَيْبة ، والحياءُ بالحِرْمان ، والحِكْمَةُ ضالّةُ المؤمن فليَطْلُبْها ولو فى يَدَىْ أهلِ الشِّرك . وقال عُرْوةُ بن الزُّبَيْر لبنيه : تعلّموا العلم فإنْ تكونوا صِغَارَ قومٍ فعسى أَنْ تكونوا كِبَارَ قومٍ آخَرِين ، فياسَوْءَتَا ماذا أُقبَحِ من جهلٍ بشيخ ! وكان يقال : عَلِّم عِلْمَك مَنْ يَجْهَل ، وتَعَلَّم ممّن يَعْلَم ، فإنّك إذا فعلتَ ذلك عَلِمتَ ما جَهِلت وحَفِظْتَ ما عَلِمت .

قيل لبُزُرْجِمْهر : بِمَ أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بِبُكُورٍ كبُكُور الغُرَاب ، وحِرْصٍ كحِرص الخِنْزِير ، وصَبْرٍ كصبر الحِمَار . وقال الحسن : طلبُ العلم

(١) معور من أعور الشىء اذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ طبعة بولاق) و بعد البيت :

فكن سائلا عما عناك فإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

فى الصِّغر كالنَّقش فى الحجَر، وطلبُ العلم فى الكِبَر كالنقش على المـاء. ويقال: التفقُّه على غير علم كحِمار الطاحونة يدور ولا يَبْرَح. وفى الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذَلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالمـا ضاع بين جُهّال» ويقال: أحقّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكْمُ جاهل.

قال المسيح عليه السلام: يابَنى إسرائيلَ لا تُلْقُوا اللؤلُؤَ إلى الخنازير، فإنّهـا لا تَصْنع به شيئا، ولا تُعْطُوا الحِكْمَةَ مَن لا يُريدها، فإنّ الحكْمَة أفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يرِيدها شَرٌّ من الخنازير. قال ذيمقراط: عالِمٌ معانِدٌ خيرٌ من مُنْصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصفا، وقد يكون العالمُ معاندا. قال سُفْيان: تَعَوّذُوا بالله من فتنة العابد[(١)] الجاهل، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن: الحِرْفَةُ فى أهل العلم، ولغيرهم الثَّرْوة، فقال: إنّك طلبت قليلا فى قليل فأعجزك، طلبت المـال وهو قليل فى الناس، فى أهل العلم وهم قليل فى الناس. وقال الخُزَيْمىّ:

لا تَنْظُرَنّ إلى عَقْـلٍ ولا أدبٍ * إنّ الجُـدودَ قريناتُ الحماقات

وقال آخر:

ما ٱزْددتُ من أدبى حَرْفا أُسَرُّ به * إلّا تَزَيَّدْتُ حَرْفا تحته شُـومُ
إن المُقـدّم فى حِذْقٍ بصَنْعته * أنّى تَوجَّه منهـا فهـو محـرومُ

وقال الطائىّ لمحمد بن عبد الملك:

أبا جَعْفرٍ إنّ الجَهَالة أُمُّها * وَلُودٌ وأمُّ العلم جَذّاءُ[(٢)] حائلُ[(٣)]

(١) فى الأصل: «العالم» وظاهر أنه تحريف.

(٢) جذاء: من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل.

(٣) الحائل: كل أنثى لا تحمل.

قال الثَّورىّ : مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعا فاته علمٌ كثير، وقال : يهتف (١) العلم بالعمل فإن أجابه وإلّا آرتحل. قال بعض أهل العلم : يُغفَر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفَر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبى بُرْدَة : لا يَمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اِعْمَلْ بعلمى ولا تَنْظُر إلى عملى (٢) * يَنفَعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقصيرى

كتب رجل إلى أخ له : إنّك قد أوتيتَ علما فلا تُطفِئَنّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى فى الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلمُ لم يُطلَب العمل، ولولا العملُ لم يُطلب العلم، ولأَن أَدَعَ الحقَّ جهلا به أحبّ إلىّ من أن أَدَعَه زُهْدا فيه . وقال مالك بنُ دينار: إن العالِمَ إذا لم يَعْمَل بعلمه زَلّت موعظتُه عن القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصَّفَا (٣) .

ونحوه قولُ زياد : إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ فى القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان .

ويقال : العلماءُ إذا عَلِمُوا عَمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبُوا فإذا طُلِبُوا هَرَبُوا . قال الحسن : ما أحسنَ الرجلَ ناطقا عالما ومُستَمعا واعيا وواعيا عاملا . وقال آبن مسعود : إنى لأَحسَب الرّجل يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعْمَلُها . وقال آبن عبّاس : إذا تَرَكَ العالمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مقاتِلُه . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدّثتُ فى مَجْلِس * تَنَاهى حديثى إلى ما علمتُ
ولم أعْدُ علمى إلى غيره * وكان إذا ما تناهى قَصَرْتُ

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفى الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمى وإن قصرت فى عملى» وفى أدب الدنيا والدين «اعمل بقولى ...» . (٣) الصَّفَا جمع صَفَاة، وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر[١] :

إذا ما آنتهى عِلْمى تناهيتُ عنده * أطـال فأَمْلَى أم تنـاهى فأَقْصَرا
ويُخْـبِرُنى عن غائب المرءِ فِعْــلُه * كفى الفعلُ عما غيَّب المرءُ مُخْبِرا

قال عمرُ بن الخطّاب : لا أدركتُ لا أنا ولا أنت زمانا يَتغايَرُ الناس فيه على العِلْمِ كما يتغايرون على الأزواج . قال سَلْمان : علمٌ لا يقَـال به ككنزٍ لا يُنْفَق منـه . وفى الحديث المرفوع : «العلم علمان علمٌ فى القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان فذلك حُجّةُ الله على آبن آدم» قال عمرُ بن عبد العزيز : ماقُرِن شىءٌ إلى شىء أحسن من حِلْم إلى علم ومن عَفْو إلى قُدْرة . قال أبو الدَّرْدَاء : مَن يَزْدَدْ علمـا يَزْدَدْ وَجَعـا .

قال أفلاطون : لولا أن فى قولِ لا أعلم سبَبًا لأَنِّى أعلم لُقلتُ إنِّى لا أَعْلَمُ . وقال آخر : ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنِّى لستُ أعلم .

قال الخليل بنُ أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يَدْرِى ويَدْرِى أنّه يَدْرِى فَسَلُوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يَدْرِى فذاك ناسٍ فذكِّروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلِّموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفُضوه .

كتب كِسْرى الى بُزُرْجِمْهر وهو فى الحبس : كانت ثمرةُ علمك أن صِرْتَ بها أهلا للحبس والقتل ، فكتب إليه بُزُرجِمْهر : أما ما كان معى الجَدّ فقد كنتُ أنتفعُ بثمرة العلم فالآن إذ لا جَدَّ فقد صِرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أنى إن كنتُ فَقَدْت كثيرَ الخير فقد آسترحت من كثير الشرّ .

---

(١) هو زيادة بن زيد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بُزُرْجِمِهْر : من صلح له العُمُرُ صلح له التعلُّمُ . وقيــل لبعض الحكماء : أيحسُن بالرجل أن يتعلّم ؟ فقال : إن كانت الجَهَالةُ تَقْبُح به فإنّ العلم يَحْسُنُ به . ويقال : التودُّد زَيْن العلم .

قال عمرُ بن الخطّاب : ما من غاشية(١) أدْوَم أَرَقًا ، وأبطأ شِبَعًا من عالم . قال مالك بن دينار : مَن طلب العلم لنفســه فالقليل منه يكفى ، ومن طلبه للناس فحوائجُ الناس كثيرةٌ .

قال إبُقْرَاطُ : العـلم كثير، والعُمر قصير، والصنعةُ طويلة ، والزمان جديد ، والتجرِبة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تَصِفُون الطريقَ للمُدْلجين ، وأنتم مقيمون مع المتحيِّرين ، إنما ينبغى من العلم القليلُ ، ومن العمل الكثير . قال سَلْمان : لو حدَّثتُ الناسَ بكلّ ما أَعْلَمُ لقالوا رَحِمَ الله قاتلَ سَلْمان . كان يقال : لاتقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تَعْلَم . وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنَّفس حَرُون(٢) ، فإذا كان قائدٌ بلا سائق بَلُدَتْ وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلتْ يمينا وشِمَالا ، فإذا اجتمعا أنابت طَوْعا وكَرْها . قال أَيُّوبُ : لا يَعرِف الرجلُ خطأَ مُعلِّمه حتّى يعرِفَ الاختلاف . ويقــال : غَرِيزة العقل أُنْثى وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ ولن يصلُحَا إلّا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أَبْغَضَ العلماء الى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغِيب ، ويُوَسَّع له فى المجالس ، ويُدْعى الى الطعام ، وتُفْرَغ له المَزَاوِد(٣) ، بحقٍّ أقولُ لكم : إن أولئك قد أخذوا أُجُورَهم فى الدنيا ، وإن الله يُضاعِف لهم العذابَ يومَ القيامة .

---

(١) الغاشـية : السُّؤّال الذين يَغشونك يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا واذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها» .

(٣) المزاود جمع مِزْود كمنبر وهو وعاء الزاد .

لمـا دُلِّىَ زيد بن ثابت فى قبره قال آبن عبّاس : من سَرَّه أن يَرَى كيف ذهب العِلْمُ فهكذا ذَهَابُ العلم .

ويقال : إذا أردتَ المحبــة من الله فكن عالمـا كجاهل . وقال بعضُ الشعراء فى تَلَاقِى العلماء :

إذا تَلَاقَى الفُيُــولُ[1] وآزْدحمتْ * فكيف حالُ البَعُوضِ فى الوَسَطِ

وقال آبن الرِّقاع :

ولقد أصبتُ مِنَ المعيشةِ لَذَّةً * ولَقِيتُ من شَظَفِ الخُطوبِ شِدَادَها

وعلمتُ حتّى لستُ أسألُ عالِمـا * عن حَرْفِ واحدةٍ لكى أزدادَها

ويقال : أربعٌ لا يأْنف منهنّ الشريفُ : قيامُه عن مجلســه لأبيه ، وخِدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه وإن كان له مائةُ عبدٍ ، وخدمته العالِمَ ليأخذَ من علمه .

قيل لعطاء بن مُصْعَب : كيف غَلَبْتَ على البرامكةِ وعندهم مَن هو آدب منك؟ قال : ليس للقُرَباء ظَرَافَةُ الغُرَباء ، كنتُ بعيدَ الدار ، غريبَ الآسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الآلتواء ، شحيحا بالإملاء ؛ فقرّبنى اليهم تَباعُدِى منهم ، ورغَّبَهم فىَّ رغبتى عنهم .

قال أبو يعقوب الخُزَيْمِىّ[2] : تلقّانى سعيد بن وَهْب مع طلوع الشمس فقلت : أين تُريد؟ قال : أَدُورُ لعلِّى أسمع حديثا حَسَنًا ، ثم تلقّانى أَنَس بن أبى شيخ فقلت : أينَ تُريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسَنٌ فأنا أطلُب له إنسانا حَسَنَ الفهم حَسَنَ الآستماع ، قلت : حدِّثْنى به قال : أنت حَسَنُ الفهم سَيِّئُ الآستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيلَ بن غَزْوَان . وقال الطائىّ فى نحو هذا :

---

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسّان و يكنى أبا يعقوب الخُرَيمىّ [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف فى كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدينة «ليدن» سنة ١٩١٢ م .

وكُنْتُ أعزَّ عِزًّا من قنوعٍ * تعوّضه صَفُوحٌ من مَلُول(١)

فصِرْتُ أذَلَّ من معنًى دَقيقٍ * به فَقْـرٌ إلى فَهْمٍ جليـلِ

كان يقال : إذا أردتَ أن تكون عالما فاقصد لفنّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسَنه . قال إبراهيم بن المهدىّ :

قد يُرْزَقُ المـرءُ لم تَتْعب رواحِلُهُ * ويُحْرَمُ الرِّزقَ مَن لم يُؤْتَ من تَعَبِ

معْ أننى واجِدٌ فى النـاس واحِدَةً * الرزقُ أرْوغُ شيءٍ عن ذوى الأَدَبِ

وخَلَّة ليس فيها مَن يُخالفنى * الرزق والنَّوْك مَقْرونانِ فى سَبَبِ(٢)

يا ثابِتَ العقل كم عاينتَ ذا حُمُقٍ * الرزقُ أغرى به من لازم الجَرَبِ

قال أنوشِرْوان للمُوبَذ(٣) : ما رأسُ الأشياء؟ قال : الطبيعة النقيّة تكتفى من الأدب برائحته، ومن العلم بالإشارة إليه، وكما يذهب البَذْر فى السِّباخ ضائعا، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعة ، وكما تَغلِب السِّباخُ(٤) طِيبَ البَـذْر إلى العَفَن ، كذلك الحكمة تَفْسُد عند غير أهلها؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قلّدناك ما قلّدناك .

قال بعضُ السلف(٥) : يكون فى آخر الزمان علماء يُزَهِّدون فى الدنيا ولا يَزْهَدُون، ويُرَغِّبون فى الآخرة ولا يَرْغبون ، يَنْهَوْن عن غِشْـيان الوُلَاة ولا ينتهون ، يُقَرِّبون

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى نسخة ديوان أبى تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفى ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا فى المحاسن والأضـداد للجاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليـدن) والسبب : الحبل . وفى الأصل الفتوغرافى : «نسب» .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) السِّباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهى الأرض ذات النَّزّ والملح .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ» .

الأغنياءِ ويُباعدون الفقراء[1]، ويَنْقَبِضون عند الحُقَرَاء، وينبسطون عنـد الكُبَرَاء[2]: أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن[3].

نافع عن ابن عُمَر قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنةٌ ماضية، ولا أدرى.

الكُتُب والحفظ

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى قريش بن أَنَس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول: اِسْلَمْ من الوَحْدة، فقيل له: قد جاء فى الوَحْدةِ ما جاء، فقال: ما أفسدَها للجاهل! . قال بعض الشعراء فى قوم يجمعون الكُتُب ولا يَعْلَمون:

زَوامِلُ[4] للأسفارِ لا عِلْمَ عندهم * بجيِّـدها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لعمرُك ما يَدْرِى المَطِىُّ إذا غدا * بأحمالهـا أوراحَ ما فى الغَرَائِرِ[5]

قال يحيى بن خالد: النـاسُ يكتُبون أحسنَ ما يَسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتُبون، ويحـدّثون بأحسنِ ما يحفظون. قال الشَّعْبىّ: لو أن رجلا حفظ ما نَسِيتُ كان عالما. ووَصف رجلٌ رجلا فقال: كان يَغْلَطُ فى علمه من وجُوهٍ أربعـةٍ: يَسمع غيرَ ما يُقال له، ويَحفَظ غيرَ ما يَسمع، ويكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغير ما يَكْتُب.

قيل لأبى نُوَاس: قد بَعَثُوا إلى أبى عُبَيدة والأصمعىّ ليُجْمَعَ بينهما، فقـال: أمّا أبو عُبَيدة فإن أمكنوه من شُقَرِه[6] قرأ عليهم أساطيرَ الأوّلين، وأما الأصمعىّ فبُلْبُلٌ فى قَفَصٍ يُطرِبهم بنغَماته.

(١) فى العقد الفريد «ويبعدون». (٢) فى العقد الفريد «ويتبسطون للكبراء ويتقبضون عن الحقراء». (٣) فى العقد الفريد «أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن». (٤) زوامل جمع زاملة وهى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها. (٥) الغرائر جمع غرارة بالكسر وهى ما يحمل فيه التبن ونحوه. (٦) الشقر كصرد: الكذب، وفى المثل: «جاء بالشُّقَر والبُقَر» أى جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق.

القــــــرآن

حدّثنى الزِّيادىّ قال : حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد عن الجُرَيْرِىّ عن عبد الله ابن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكْرَهون بَيْعَ المصاحِف ويَرَوْنه عظيما، وكانوا يكْرهون أن يَأخُذَ المعلِّمُ على تعليم الغِلْمان شيئا .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلىّ عن أبى إسحاق عن الحارث عن علىّ [redacted] قال : مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثَل الأُتْرُجَّة ريحُها طَيِّب وطعمُها طيِّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التَّمْرة طعمُها طيِّب ولا رِيحَ لهـا ؛ ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحَانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ؛ ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحَنْظَلة طعمها مُرٌّ ولا رِيحَ لها .

وحدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى[1] إسحاق عن إسماعيل بن أمية ولَيْث بن أبى سُلَيم عن نافع عن ابن عُمَر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تُسَافروا بالقرآن الى أرض العدُوّ فإنى أخاف أن يَنالَه العدُوّ" .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنا عُمَيْر بن عِمْران العَلّاف قال : حدّثنا خُزَيمة ابن أسد المُرِّى قال : كان سعيدُ بن المُسيَّب يَستفتح القراءة بِـ(بسم ٱللهِ ٱلرحمنِ ٱلرحيم) ويقول : إنهـا أوّلُ شيءٍ كُتِب فى المصحف، وأوّل الكُتُب، وأوّل ما كَتَبَ به سُليمانُ بن داود الى المرأة[2] .

(١) ورد فى الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور ممن روى عنه «أبو اسحاق الفزارى» ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارى أيضا فيتعين مما ورد فى الأصـل أن « أبا اسحاق » هو المقصود فى هـذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) .

(٢) هى بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبأ وقصتها معروفة .

وحدّثني أبو حاتم قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : حدّثنا رجل عن عِمْران بن حُدَيْر قال : قرأت على أعرابيّ آخرَ سُورة « براءة » فقال : كان هـذا من آخر ما نَزَل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقْضَى وعُهودًا تُنْبَذُ . قال : وقرأتُ عليه سُورة الأحزاب فقال : كأنّها ليست بتامّة .

حدّثني محمدُ بن عُبيد قال : حدّثنا سفيانُ بن عُيَينة عن ٱبن أبي نَجِيح عن مجاهد قال : قال ٱبن مسعود : (حم) دِيباج القرآن، قال : وزاد فيه مِسعَر(١)، قال عبد الله : اذا وقعتُ(٢) فى آل (حم) وقعتُ فى رَوْضات دَمِثات(٣) أتأنّق فيهنّ .

حدّثني شيخٌ لنا عن المُحارِبيّ قال : حدّثنا بكر بن خُنَيْس(٤) عن ضِرَار بن عَمْرو عن الحسن قال : قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ : رجلٌ ٱتّخذه بِضَاعةً ينقُلُه من مصر الى مصر، يطلُب به ماعند الناس؛ وقومٌ حَفِظوا حروفَه، وضيّعوا حُدودَه، وٱستدرُّوا به الوُلَاة، وٱستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثَّر الله هـذا الضَّرْبَ فى حَمَلة القرآن لا كثَّرهم الله — ورجلٌ قرأ القرآن فَبَدَأ بمـا يَعْلَم من دَواء القرآن فوَضَعه على دَاءِ قلبه، فسَهِر ليـلَه وهَمَلَت عيناه، تَسَرْبَلُوا(٥) الخُشُوعَ، وٱرْتَدَوْا بالحُزْنِ، ورَكَدُوا فى محاريبهم، وجَثَوْا(٦) فى بَرَانِسِهم(٧)، فبهم يَسْقِى الله الغَيْثَ، ويُنْزِل النَّصر، ويَرْفَعُ البَلَاءَ، واللهِ لَهَذَا الضَّرْبُ

(١) هو مسعر بن كِدَام بن ظهير الهلالىّ العامرىّ الرَّوَّاسى، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) فى النهاية لابن الأثير مادة «دمث» : إذا قرأت «آل حم الخ» . وفى مادة «أنق» : اذا وقعت «فى آل حم الخ» . (٣) دمثات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا فى تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة . وفى الأصل «خنيش» بالمعجمة فى آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا فى الأصل بواو الجماعة والمقام يقضى الإفراد لقوله : «ورجل قرأ القرآن...الخ» ويؤيد هذا ماورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) ونصه : «...ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل الخشوع وٱرتدى الوقار واستشعر الحزن والله ... الخ) . (٦) فى الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام، وكل ثوب رأسه ملتزق به .

فى حَمَلَة القرآن أقلُّ من الكِبْريت الأحمر . رَوَى الحارثُ الأَعْورُ عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليـه وسلم أنه قال : "كتاب الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحُكْمُ ما بينكم هو الفصلُ ليس بالهَزْل هو الذى لا تُزِيغُ به الأهواء ولا تَشْبَع منـه العلماء ولا يَخْلَق[١] عن كثرة الرّد ولا تَنْقَضِى عجائبُه هو الذى مَن تركه من جَبَّارٍ قَصَمه الله ومن ٱبتغى الهُدَى فى غيره أضلَّه الله هو حَبْلُ الله المتين والذِّكرا الحكيم والصراط المستقيم" ؛ خذها إليك يا أعور .

المُحارِبىّ قال : حدّثنا مالكُ بن مِغْول[٢] عمّن أخبره عن المُسَيَّب بن رافع عن عبدالله ٱبن مسـعود قال : ينبغى لحامل القرآن أن يُعْرَف بليلِه إذ الناسُ نائمون ، ويحُزْنه إذ الناس يَفْرَحون ، وببكائه إذ الناس يَضْحَكون ؛ وينبغى لحامِلِ القرآن أن يكون عليما حكيما لَيِّنا مُستَكِينا[٣] .

وكيع عن أبى مَعْشر المَدِينى عن طلحة بنِ عبيد الله بن كَرِيز[٤] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من تعظيم جَلالِ الله إكرامَ ذى الشَّيْبة فى الإسلام وإكرامَ الإمام العادل وإكرامَ حامل القرآن" . قال بعضُ المفسرين فى قول الله عزّ وجلّ : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أحْرِمُهم فَهْم القرآن .

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «على» . (٢) ورد فى الأصل «معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما فى الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه اذا الناس يختالون ، وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا ممار يا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ٱبن حبان فى الثقات وقال : كلما يجىء فى الأخبار «كُرَيز» يعنى بضم الكاف إلا هذا اهـ تهذيب .

سَمِع أعرابىّ آبن عباس وهو يقرأ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فقال : واللهِ ما أنقذهم منها وهو يُريد أن يُدخِلَهم فيها ؛ فقال آبن عباس : خُذْها من غير فقيــه .

الحـــديث

حدّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن حبيب بن الشَّهيد قال : حدّثنا محمد بن فُضَيْل عن الأعْمش قال : كان إسماعيلُ بن رَجَاء يَجمع صِبْيانَ الكُتَّاب فيُحدِّثهم كيلا يَنْسَى حَدِيثَه . وحدّثنى إسحاق الشَّهيدىّ[1] قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال : قال لى حبيب بن أبى ثابت : لو أنّ رجلا حدَّثنى عنك بحـديثٍ ما بالَيْتُ أن أَرْوِيه عنك .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : أَلْفٌ عن أَلْفٍ خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إن فلانا عن فلانٍ يَنْتزِع السُّنةَ من أيديكم .

حدّثنى الرياشىّ قال : رُوِى عن محمد بن إسماعيل عن مُعْتَمِر قال : حدّثنى مُنْقِذٌ عن أَيُّوب عن الحسن قال : وَيْحٌ : رَحْمة .

حدّثنا الرياشىّ قال : رَوى ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سُهَيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قَضَى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذاكرتُ سُهَيْلا بهذا الحديثِ فلم يَحفظه ، فكان بعد ذلك يَرْوِيه عنّى عن نفسه عن أبيه عن أبى هُرَيرة .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شُعْبة قال : كان قَتَادَةُ إذا حدّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجىء بالثانى غُدْوَةً .

---

(١) هو إسحاق بن ابراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بلغني عن ابن مَهْديّ قال: سئل شُعْبَة: مَن الذى يُتْرَكُ حديثُه؟ فقال: الذى يُتَّهم بالكَذِب، ومن تكثَّر بالغَلَط، ومن يُخطِئ فى حديث مُجْمَع عليه فلا يَتَّهِم نفسه ويُقيم على غَلَطه، ورجلٌ رَوَى عن المعروفين ما لا يَعْرفه المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يُؤخَذُ العلمُ من أربعة: سفيهٍ معلَن بالسفه، وصاحبِ هَوًى، ورجلٍ يَكذِب فى أحاديثِ الناس وإن كنتَ لا تَتَّهِمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفّف وصلاح لا يعرِف ما يُحدّث.

حدّثني عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ أنه رَثَى سفيان بن عُيينة[1] فقال:

فَلْيبكِ سُفْيانَ باغى سُنَّةٍ دَرَستْ * ومُسْتَبِيتُ[2] أثاراتٍ[3] وآثارِ[4]
ومُبْتَغِى قُرْبِ إسنادٍ وموعظةٍ * وأَفَقِيُّون[5] من طَارٍ ومن طارِ
أمستْ مجالسُه وَحْشًا مُعَطَّلةً * من قاطنين وحُجّاجٍ وعُمّارِ
مَن للحديث عن الزُّهرِىّ[6] حين ثَوَى * أو للأحاديث عن عَمْرو بن دينارِ[7]
لو يَسمَعُوا بعده مَن قال حدّثنا الـ * ـزّهرىّ من أهل بَدْوٍ أو بإحْضارِ
لا يَهنأُ الشامتَ المسرورَ مَصْرَعُه * من مارقين ومن جُحّاد أقدار

(١) قال ابن خلكان: كان إماما عالما ثَبَتًا زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ (٢) المستبيت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أثارة وهى البقية من العلم تؤثر. (٤) جمع أثر وهو الخبر. (٥) أَفَقيون جمع أُفُق أو أَفِق (نسبة الى الآفاق أو الى الأفق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان ين عيينة وسفيان الثورى، توفى سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع بن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكىّ، كان من أشدّ الناس إتقانا للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبى هريرة؛ توفى سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ.

ومِن زَنادقةٍ ، جَهْمٌ[١] يَقُودهم * قَوْدا إلى غَضَبِ الرحمنِ والنارِ
ومُلْحِدين ومُرتابين قد خَلَطُوا * بِسُنَّة الله أَهتارا بأَهْتارِ[٢]

وقال آخر فى مالك بن أنس الفقيه :

يأْبَى الجَوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً * والسائلون نَواكِسُ الأَذْقانِ
هَدْىُ التقىّ وعِزُّ سلطانِ التُّقَى * فهو المُطاع وليس ذا سُلْطانِ

حدّثنا أبو الخَطَّاب قال حدّثنا محمد بن سَوَّار قال حدّثنا هِشام بن حَسّان قال : كان الحسن يُحَدِّثنا اليومَ بالحديث ويُرِدُّه الغَدَ ويزِيد فيه وينقُص إلا أنّ المعنى واحـــد .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال حُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ : إنّا قومٌ عَرَب فنقـدِّم ونؤخِّر ونَزيد ونَنْقُص ، ولا نُرِيد بذلك كَذِبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامىّ : لو كان هذا الحديث من الخُبْز نقص .

أبو أُسَامة قال : قال مِسعر : من أبغضنى جعله الله محدّثا . أبو معاوية قال : سمعت الأَعمش يقول : والله لأَنْ أَتصدَّق بِكِسْرة أحبُّ إلىّ من أن أُحدِّثَ بستين حديثا .

أبو أُسامة قال : سمعت سُفيانَ يقول : لوددْتُ أنها قُطِعتْ من هامتى ، وأَوْمَأ الى المَنْكِب ، وأنى لم أَسْمع منه شيئا .

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم ابن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .

(٢) جمع هِتْر وهو السَّقَط .

قال ٱبن عُيَينة : ما أُحِبّ لِمَن أُحبّ أن يكون أَحفَظَ الناسِ للحديث . قال بعضهم : إنّي لَأَسْمع الحديثَ عُطلا فأُشَنِّفه وأُقرِّطه وأُقلِّده فيَحسُن، وما زدتُ فيه معنى، ولا نقصتُ منه معنى .

أبو أُسامة قال : سَأَل حَفْص بن غِيَاثٍ الأعمَشَ عن إسناد حديثٍ فأخذ بِحَلْقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدّث ٱبن السَّمّاك بحديثٍ فقال له رجلٌ : ما إسنادُه ؟ فقال : هو من المُرْسَلاتِ عُرْفا . وحدَّث الحسن بحديث فقال له رجلٌ : يا أبا سعيد، عمّن قال وما يصنع بعمّن ؟ أمّا أنت فقد نالتْك موعِظتُه، وقامت عليك حُجّتُه .

يَعْلَى قال : قال الأعمش : إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعَه .

ٱبن عُيينة قال : قال الأعمش : لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بقّالى الكُوفة .

ازدحم الناس يومًا على باب ٱبن عيينة أيام المَوْسِم و بالقُرب منه رجلٌ من حاجّ خُراسَان قد حطّ بَحْمِله فَدِيس وكُسِرَ ما كان معه وٱنتُهِب كَعْكُه وسَوِيقُه، فقام يسيرُ إلى سفيانَ ويدعو ويقول : إنى لا أُحِلُّ لك ما صنعتَ ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا فى السَّماع رحمك الله .

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ للعَلَاء بن المِنْهَال الغَنَوِىّ فى شَرِيك[1] :

---

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعىّ . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدىّ ثم عزله موسى الهادى، وكان عالما فقيها فهما ذكيا فطنا . توفى سنة ١٧٧ ﻫ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها فى شريك أيضا فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب (ص ٢٧ و ٦٨) .

ليت أبا شَرِيك كان حيًّا[1] * فيُقْصِرَ حين يُبصِرُه شَرِيكُ

ويَتْرُكَ من تَدَرِّيه[2] علينا * إذا قلنا له هــذا أبوكا

وقال آخر :

تحرّز سُــفيانٌ وفرّ بدينـــهِ * وأمسى شَرِيكٌ مُرْصَدًا للدراهِمِ

وقال آخر فى شَهْر بن حَوْشَب :

لقد باع شهرٌ دينَــه بخَرِيطةٍ * فمن يأمن القُرّاءَ بعدك ياشهرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المــال فسَرَق خَرِيطةً، ورافق رجلا من أهل الشام فسَرق عَيْبَتَه . وقال آبن مُناذِر[3] :

---

(١) هكذا وردت فى الأصل ، وفى اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب (ص ٦٨) : «فليت» .

(٢) فى الأصــل : « تذرّبه » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان (ج ١ ص ٦٦ وج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء فى اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال آبن سيده : إنما أراد من تدرّئه (أى من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأنّ موضوعها الياء وكسر الراء لمجاورة هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها فى موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من تدرئه لكان صحيحا ، لأن قوله : تدرئه مفاعلتن ؛ قال : ولا أدرى لمــا فعل العلاء هــذا مع تمام الوزن وخلوص تدرئه من هــذا البدل الذى لا يجوز مثله إلا فى الشعر ، اللهم إلا أن يكون العلاء هــذا لغته البدل » .

(٣) فى شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : «وآبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرىّ فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر لأنه محمد ابن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه » اهـ . وقد ورد مايؤكد أنه بالضم لاغير فقــد جاء فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينــة «ليدن») ما نصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهى كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب» وقد ورد في المشتبة فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبغِ الوَصَاةَ فإنّ عِنْدى * وَصاةً للكُهُول وللشَّبابِ
خُذُوا عن مالكٍ وعن ابنِ عَوْنٍ * ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دَاب(١)

عبد العزيز بن أَبَان عن سُفيان عن حبيب بن أبى ثابت قال : طلبنا هذا الأمر وما لنا فيه نِيّة ، ثم إنّ النِّية جاءت بعدُ ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسْلَم : رأيتم رجلا مدّ رِجله فقال : اقطعوها سوف أَجْبُرها . قيل لِرَقَبَة : ما أكثر شَكّك ! فقال : محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شُعْبَةُ أيُّوب السَّخْتِيَانىّ عن حديث فقال : أنا أشُكّ ، فيه فقال : شَكُّكَ أحبّ إلىّ من يقينِ سبعة .

حدّثنى زيد بن أخزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعمش يَضُمّ كفّيه ثم يَضرِب بهما صَدْرَه ويقول : اسكُنْ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنى بعضُ الرُّواة قال : قلت للشَّرقِى بن قُطَامى(٢) : ما كانتِ العربُ تقول فى صلاتها على موتاها؟ فقال : لا أدرى ، فأَكْذِب له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنتَ(٣) وَكْوَاكًا ولا بِزَوَنَّكٍ * رُوَيْدَكَ حتّى يَبْعَثَ الحَقّ باعِثُه

وَكْوَاك : غليظ ، وزونّك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحدّث به فى المقصورة يومَ الجمعة ؛ قال أبو نُوَاس :

---

(١) ابن داب الذى يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) فى الأصل «للشرقى بن القطامى» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبىّ وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت فى لسان العرب فى مادة «زنك» هكذا :

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق با .

حدّثنى الأزرقُ المحدّثُ عن * عَمْرو بن شِمْر عن ٱبن مسعودِ (١)
لا يُخلِفُ الوعدَ غيرُ كافرِه (٢) * وكافرٍ فى الجحيم مَصفُودِ

حدّثنى مِهْيَار قال : حدّثنى هُدْبَةُ بن عبد الوهاب عن شَقِيق البَلْخىّ أنه أطرى يوما أبا حنيفة رحمه الله بمَرْو فقال له علىّ بن إسحاق : لا تُطْرِه بمَرْو فإنهم لا يحتملون ذلك ؛ فقال شَقِيق : قد مَدَحه مُساوِرٌ الشاعر فقال :

إذا ما الناسُ يوما قَايَسُونا * بآبِدَةٍ من الفُتْيَا ظَرِيفَهْ
أتيناهُمْ بمقْياسٍ صحيحٍ * تِلادٍ من طِرَازِ أبى حنيفه
إذا سَمِع الفقيهُ بها وعاها * وأثبتها بحِبْرٍ فى صحيفه

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرَّأْيِ خَاصمَ فى قِياسٍ * وجاء بِبِدْعَةٍ هَنَةٍ سخيفه
أتيناهم بقول الله فيها * وآثارٍ مبرَّزة شريفه
فكم من فَرْج مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحلَّ حرامَه بأبى حنيفه
أقال أبو حنيفة بنت صُلْبٍ * تكون من الزنا عُرْسًا صحيحه

سَمِع رجلٌ مناديا يُنادِى : من يَدلُّنا على شيخ ضلّ ؟ فقال : ما سمعتُ كاليوم شيخٌ يُنادَى عليه ؛ ثم جاء به الى بِشْر المِرِّيسِىّ فقال : هـذا شيخ ضالٌّ نَخُذْ بيده ؛ وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن .

الأهواء والكلام فى الدِّين

قال المأمونُ يوما لعلىّ بن موسى الرِّضى عليهما السلام : بم تدّعون هذا الأمر؟ قال : بقرابة علىّ من النبى صلّى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا فى الأصل بمعنى «جاحده» ولعلها «خافره» لأن الخَفْر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمونَ : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففى خَلَف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من علىّ، ومَنْ هو فى القرابة مثلُه ؛ وإن كان بقرابة فاطمةَ من رسول الله، فإنّ الحقّ بعد فاطمةَ للحَسَن والحُسَين وليس لعلىّ فى هذا الأمر حقّ وهما حَيّان؛ وإذا كان الأمر على ذلك، فإن عليًّا قد ٱبتزَّهما جميعا وهما حَيّان صحيحان ، وٱستولى علىّ على ما لا يَجِبُ له؛ فما أحارَ(١) علىّ بن موسى نطقا .

حدّثنا الرِّياشىّ قال سمعت الأصمعىّ ينشد :

وإنّى لَأغْنَى الناسِ عن مُتَكلِّمٍ * يَرَى الناسَ ضُلَّالًا وليس بمُهتدى

وأنشدنى أيضا الرِّياشىّ :

وعاجزُ الرَّأْى مِضْيَاعٌ لفُرْصَتِه * حتى إذا فات أَمْرٌ عاتبَ القَدَرا

وقال آخر :

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العـارُ إلّا ما تَجُرُّ المَقادِرُ

وأنشدنى سَهْلٌ عن الأصمعىّ :

يأيها المُضْمِرُ هَمًّا لا تَهُمّ * إنّك إن تُقدَرْ لك الحُمَّى تُحَمّ
ولو غدَوْتَ شاهِقًا من العَلَمْ(٢) * كيف تَوَقِّيك وقد جَفَّ القَلَمْ

وأَنْشَدنى غيرُه :

هِىَ المقـاديرُ فَلُمْـنِى أو فَـذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

قال أبو يوسف : مَن طَلَب الدِّين بالكلام تَزَنْدَق ، ومَن طلب المـال بالكِيمْيَاء أَفْلَس ، ومَن طَلَب غرائبَ الحديث كَذَب . كان مُسْلِمُ بنُ أبى مَرْيم — وهو

(١) ما أحار نطقا : ما ردّ جوابا .

(٢) العلم : الجبل ، والشاهق : ما ٱرتفع منه .

مَوْلًى لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديثُ — شديدا[(١)] على القَدَرِيّة[(٢)]، عائبًا لهم ولكلامهم، فانكسرت رِجلُه فتركها ولم يَجْبُرها، فكُلِّمَ فى ذلك فقال: يَكْسِرها هو وأَجْبُرها أنا! لقد عاندته إذًا. قال رجل لهِشَام بن الحَكَم: أَتُرى اللهَ عزّ وجلّ فى فضله وكَرَمه وعَدْله كَلَّفَنَا ما لا نُطيق ثم يُعَذِّبنا؟ فقال هِشام: قد والله فعَلَ، ولكننا لانَسْتَطيع أن نتكلّم.

حدّثنى رجلٌ من أصحابنا قال: صاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيّة مجُوسِيًّا فى سَفَر فقال له القَدَرِىّ: يا مجوسىّ، مالك لَا تُسْلِم؟ قال: حتى يَشَاء الله[(٣)]! قال: قد شاء اللهُ ذلك، ولكنّ الشيطانَ لايَدَعُك، قال المجوسىّ: فأنا مع أقواهما.

اجتمع أبو عَمْرو بن العَلَاء وعَمرو بن عُبَيد فقال عمرو: إن الله وَعَدَ وَعْدا وأَوْعد إيعادا وإنه مُنْجِزٌ وعْدَه ووعيدَه. فقال له أبو عَمْرو: أنت أَعْجَم! لا أقولُ إنّك أَعْجَمُ اللسان، ولكنّك أعجم القَلْب! أما تعلم، وَيْحَكَ! أن العرب تَعُـدُّ إنجاز الوَعْد مَكْرُمة، وتَرْكَ إيقاع الوعيد مَكْرُمة؟ ثم أنشده:

وإنِّى وَإنْ أَوْعدْتُه أو وعَدْتُه * لمُخْلِفُ إيعادى ومُنْجِزُ مَوْعدى[(٤)]

---

(١) فى الأصل: «تشديدا». (٢) القدرية — محرّكة — جاحدو القدر، وهى كلمة مولّدة. قال بعض متكلميهم: لا يلزمنا هـذا اللقب لأننا ننفى القدر عن الله عزّ وجلّ ومن أثبته فهو أولى به. قال الأزهرى: وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القـدر لأنفسهم، ولذلك سموا قدرية (راجع شرح القاموس). (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «إن أذن الله على ذلك كان» وقد وردت هـذه المسألة فى حديث جرى بين عمرو بن عبيد وبين مجوسى ركب معه سفينة بصيغة تخالف بعض المخالفة ما هنا وما فى العقد الفريد (راجع ص ٥١ من المجموعة رقم ٣٥٢ توحيد بدار الكتب المصرية).

(٤) عبارة كتاب المنيـة والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل (ص ٤٧ طبـعة دائرة المعارف النظاميـة بحيـدرآباد) وروى أن أبا على [الجبّائى] ناظر بعضهم فى الإرجاء وأبو حنيفة والزبير حاضران فقال أبو حنيفة: إنّ أبا عمرو بن العلاء لق عمرو بن عبيد فقال له: يا أبا عثمان، إنك أعجمىّ، ولست بأعجمى اللسان، ولكنك أعجمىّ الفهم، إن العرب اذا وعدت أنجزت واذا أوعدت أخلفت؛ وأنشد =:

حبيب بن الشهيد قال : قال إياسُ بن معاوية (١) : ما كلّمتُ أحدًا بعقلى كلّه إلا صاحبَ القَدَر (٢) ، قلت : ما الظلمُ فى كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخُذ الرجلُ ما ليس له ، قلت : فإن الله له كلّ شىء .

وفى كتاب للهند : اليقينُ بالقَدَر لا يَمنعُ الحازمَ تَوَقِّىَ المهالك ، وليس على أحدٍ النّظرُ فى القَدَر المُغيَّب ، ولكن عليه العمل بالحَزْم ، ونحنُ نجمَع تصديقا بالقَدَر وأخْذًا بالحَزْم .

حدّثنى خالد بن محمد الأزدىّ قال حدّثنا شَبَابَةُ بنُ سَوّارٍ قال : سمعتُ رجلا من الرافضة (٣) يقول : رحِمَ الله أبا لُؤْلُؤَةَ ! فقلت : تترحّم على رَجُلٍ مجُوسىّ قتل عُمَرَ ابنَ الخطّاب رضى الله عنه ! فقال : كانت طعنَتُه لعُمَر إسلامَه .

= و إنى وإن أوعدته الخ البيت ، فقال أبوعلى : إن أباعثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب ويصدق ، ولكن حدّثنى عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَملأَنَّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين) إن ملأها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة .

(١) هو الذى يُضرب به المثل فى الذكاء ، توفى رحمه الله سنة ١٢٢ هـ .

(٢) عبارة العقد الفريد : « كلمت الفِرَق كلها ببعض عقلى ، وكلمت القَدَرِىّ بعقلى كلّه ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فان الأمر كله لله »

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علىّ ثم قالوا له : تبرّأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَىْ جدّى . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فى كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علىّ قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استمرّ القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدّك علىّ بن أبى طالب . فقال زيد : إنى لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبى يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتمونى ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدّثني أحمـدُ بن الخليـل قال حدّثنـا الأصمعيّ قال أخبرني عاصم بن محمـد العُمَرِيّ قال: كنتُ جالسًا عند أميرٍ من أُمراء المدينة فأُتِيَ برجلٍ شَتَمَ أبا بكر وعُمَرَ فأسلمه حجّاما حتى حَذِقَ .

وقال بعضُ شعراء الرافضة[١] في محمد بن الحَنَفيّة[٢] :

ألا قُلْ للوَصِيّ فَدتْك نفسي * أطلْتَ بذلك الجَبَـلِ[٣] المُقاما

أَضَرَّ بمَعْشرٍ وَالَوْكَ[٤] منّـا * وسَمَّـوْكَ الخَليفـةَ والإمَاما

وعَادَوْا فيك أهلَ الأرْض طُرًّا * مُقامك عنهـمُ ستين عاما

وما ذاق ٱبْنُ خَوْلة طَعْمَ موتٍ * ولا وَارتْ له أرضٌ عِظـاما

لقد أمسى بمُورِقِ[٥] شِعْبِ رَضْوى * تُراجعـه المـلائكةُ الـكلاما[٦]

وقال كُثَيِّرُ عَزّة فيه وكان رافِضيًّا يقول بالرَّجْعة :

أَلَا إن الأَئمّـة من قُرَيشٍ * وُلَاةُ الحَقّ أربعةٌ سَـواءُ

عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيـهِ * هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ

فسِـبْطٌ سِبْطُ إيمـانٍ وبِرٍّ * وسِـبْطٌ غَيَّبَتْه كَرْبَلاءُ

---

(١) هو السيد الحِمْيَرِيّ . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل بل كانت من سبي اليمامة وصارت الى عليّ ، وقيـل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفي رحمـه الله في أوّل المحرّم سـنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أَيْلَة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية يزعمون أنه حيّ لم يمت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من المـاء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : «واروك» .

(٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « بمجرى » .

(٦) في الأصل «الكراما» وما أثبتناه عن الأغاني .

وسِبْطٌ لايَذُوق الموتَ حتى * يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمها اللِّواءُ
تغيَّب — لايُرَى — عنهم زمانا * برَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعْبا باليمن فى أربعين من أصحابه فلم يُرَ لهم أَثَر.

قال طلحة بن مُصرِّف لرجل : لولا أنى على وُضوءٍ لأخبرتُك بما تقول الشِّيعة.

قال هارون بن سعد العِجْلىّ وكان رأْس الزّيدية :

ألم تَرَ أنَّ الرافضين تَفرَّقوا * فكُلُّهُمُ فى جَعْفرٍ قال مُنْكَرا
فطائفةٌ قالوا إلهٌ(١) ومنهمُ * طوائفُ سَمَّتْهُ النبيَّ المُطَهَّرا
فإن كان يَرضَى مايقولون جعفرٌ * فإنِّى إلى رَبِّى أُفارِق جَعْفَرا
ومن عَجَبٍ لم أَقْضِه جِلْدُ جَفْرِهم(٢) * بَرِئتُ الى الرحمن ممن تَجَفَّرا
بَرِئت الى الرحمن من كل رافِضٍ * بَصيرٍ بباب الكُفْرِ فى الدين أعورا
إذا كَفَّ أهلُ الحق عن بِدْعة مَضَى * عليها وإن يَمْضُوا على الحق قَصَّرا
ولو قال إنّ الفِيلَ ضَبٌّ لصدّقوا * ولو قال زِنْجِىٌّ تحوَّل أحْمَرَا
وأخْلَفُ من بَوْلِ(٣) البَعِير فإنّه * إذا هو للإقبال وُجِّه أَدْبَرا
فقُبِّحَ أقوامٌ رَمَوْه بِفِرْيةٍ(٤) * كما قال فى عيسى الفِرَى من تَنَصَّرا

(١) فى الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» و يستأنس له بما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٣٦) طبع ليبتسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبى زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بآلهية جعفر بن محمد وآلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

(٢) فى كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كلّ مايحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .

(٣) فى الأصل «قول» ولعله تحريف من الناسخ .

(٤) وفى الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعضَ أهل الأدب[1] يقول : ما أشبهَ تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشِّعْر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بأكذَبَ من بنى تميم ! زعموا أن قولَ القائل :

بَيْتٌ، زُرَارةُ مُحْتَبٍ[2] بِفِنَـائه * ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارِس نَهْشَلُ

إنما هو فى رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة الحجر[3]؛ قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جَشِعت بالمـاء؛ قيل له : فأبو الفوارس؟ قال : أبو قُبَيْس؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشـدّ، وفكَّر ساعةً ثم قال : نعم، نهشل ! مِصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل ! .

قال أعشى هَمْدَان يذكُر قتلَ الرافضِة الناسَ :

إذا سِرْتَ فى عِجْل فسِرْ فى صحابة * وكِنْدَة فاحذرْهاحِذَارك للخَسْفِ
وفى شـيعة الأعمى زِيادٌ[4] وغِيلَةٌ[5] * ولَسْبٌ وإعمـال لجندلة القَذْفِ

الأعمى هو المُغيرة . وزِياد يعنى الخَنْق . واللّسب : السمّ؛ وإعمال لجَنْدلة القذف: يريد رَضْخهم رءوسَ الناس بالحجارة . ثم قال :

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف فى كثير من الألفاظ نثبتها هنا لوضوحها، ونصها : «قال الشعبيّ : ما شبهت تأويل الروافض فى القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبى : ما عندك فى تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه يزعمون أنه مما قيل فى رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بيتا زرارة مختبت بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هـذا البيت، وأشار بيده الى الكعبة . وزرارة : الحجر زرّر حول البيت؛ فقلت له : فمجاشع؟ قال: زمزم جشعت بالمـاء . قلت: فأبو الفوارس؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته، هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل» . (٢) الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها . (٣) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل « الجبى » وهو تحريف . (٤) فى آب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) «خناق» . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه فذهب به الى موضع فقتله .

وكلُّهُـمُ شَرٌّ على أنَّ[1] رأسهم * حَميدةُ[2] والمَيْلاءُ[3] حاضنةُ الكِسْفِ

والكِسْفُ هذا هو أبو منصور، سُمّى بذلك لأنه قال لأصحابه : فىّ نَزَلَ : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وكان يَدين بخَنْق الناس وقَتْلِهم . ثم قال :

مَتَى كُنتَ فى حَىٍّ بَجِيلةَ فَٱسْتَمِعْ * فإنّ لهم قَصْفًا يَدُلُّ على حَتْفِ

كان المغيرة بَجَلِيًّا مولًى لهم

إذا ٱعتزَمُوا يوما على قَتْل زائرٍ * تَداعَوْا عليه بالنُّباح و بالعَزْفِ[5]

وكان ٱبن عُيينة يُنشِد :

إذا ما سَرَّك العَيْشُ[6] * فلا تأخذْ على كِنْدَهْ

يريد أن الخَنّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِنْـدَة، منهم أبو قُطْبة[7] الخَنّـاق .

---

(١) فى الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حميدة كانت من أصحاب ليلى الناعطية ولها رياسة فى الغالية (الفرقة الرابعـة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهيـة . (راجع الملل والنحل ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٠ طبع أوربا) .

(٣) الميلاء حاضنة أبى منصور العجلىّ صاحب المنصورية الذين استحلوا خنق مخالفيهم . (٤) هو أبو منصور العجلىّ أحد الذين ٱدّعوا الإمامة ، وزعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بنىّ ، انزل فبلّغ عنى ؛ ثم أهبطه الى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء . وقد وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع الملل والنحل ص ١٣٦) . (٥) قال صاحب كتاب الحيوان : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلا معا ولا يُقيمون فى الأمصار إلا كذلك ، فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العـلامة بينهم الضرب على دُفّ أو طبل على ما يكون فى دور الناس ، وعندهم كلاب مرتبطة ، فإذا تجاوبوا بالعزف ليختفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت ، وربمـا كان منهم معلّم يُؤدّب فى الدرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب » اهـ . (٦) فى كتاب الحيوان «تمرر» .

(٧) كانت دار أبى قطبة الخنّاق بالكوفة فى كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩) .

حدّثني أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ عن ٱبن أبي زائدة قال: قال هِشَام بنُ القاسم: أخذ خالد بنُ عبد الله المُغِيرَةَ[(١)] فقتله وصَلَبَه بوَاسِط[(٢)] عند مَنْظَرة[(٣)] العاشر، فقال الشاعر:

طَال التَّجاوُرُ من بَيَــانٍ[(٤)] واقفًا * ومن المُغِيرة[(٥)] عنــد جِذْعِ العَاشِرِ

ياليتــه قد شال جِذْعا نَخْــلَةٍ * بأبي حنيفة وٱبن قَيْسِ الناصر

وبيان هذا هو بيان التّبّان[(٦)] وكان يقول: إلىّ أشار اللهُ إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أوّل من قال بخَلْق القرآن.

---

(١) فى الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبرى ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لٱبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م، والكامل للمبرّد ج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف فى سنتين.

(٣) المنظرة: الموضع الذى ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان اذا دَخّن أهل قزوين دَخّنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج).

(٤) هو بيان بن سمعان التميمىّ الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يَفْنى كلّه إلا وجهه، وتأوّل على زعمه قوله تعالى: (كلّ شىء هَالكٌ إلا وَجْهَه) وقوله تعالى؛ (كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ وَيبقَى وَجْهُ رَبِّك) وكان يزعم أنه يعرف الآسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر؛ وأنه يدعو به الزُّهَرَة فتجيبه، رُفع خبره الى خالد بن عبد الله القسرىّ فى زمان ولايته فى العراق فآحتال عليه حتى ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالآسم الذى تعرفه فآهزم به أعوانى عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لآبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلىّ زعم أنه هو المهدىّ المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله القسرىّ بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل ص ١٣٤ والكامل لآبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٦) التبّان: بائع التبن.

وأما المغيرة فكان مَوْلًى لبَجِيلَة وكان سَبَائيًّا[١] وصاحبَ نِيرَنْجَات[٢] . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان علىٌّ يُحْيِي المَوْتى؟ فقال : لو شاء لَأَحْيَا عاداً وثَمُودَ وقُروناً بين ذلك [كثيرا][٣] .

بَلَغَنِي عن أبى عاصم عن إسماعيلَ بن مُسْلِمٍ المَكِّىّ قال : كنتُ بالكُوفة فإذا قوم من جِيرَانى يُكْثِرُون الدخولَ على رجل ، فقلت مَن هذا الذى تدخُلون عليه؟ فقالوا : هذا علىّ بن أبى طالب ، فقلت : أَدْخِلُونى معكم فمضيتُ معهم وخَبأْتُ معى سَوْطًا تحتَ ثيابى فدخلْتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعُ بَطِين ، فقلت له : أنت علىّ بن أبى طالب ؟ فأَوْمأَ برأسه : أي نعم ، فأخرجتُ السَّوْطَ فما زلت أُقَنِّعُه[٤] وهو يقول : لتاوى لتاوى ، فقلتُ لهم : يا فَسَقَة! علىٌّ بن أبى طالبٍ نَبَطِىٌّ[٥]! ثم قلتُ له : وَيْلَك ! ما قِصَّتُك ؟

(١) فى الأصل « سبابيا » [بباءين موحّدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣١ طبع أوربا) «السبائية» وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة «سبأ» وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى علىّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى علىّ مذهب النصارى فى المسيح ؛ وفيهم يقول السَّيِّدُ الحِمْيَرِىّ :

قـوم غلَوْا فى علىّ لا أبالهـمُ * وأجشموا أنفسا فى حبـه تعبا
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له آبن أو يكونَ أبا

رُفع خبرهم الى علىّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حُفْرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءتْ * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليـه فنفى آبن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) .

(٢) النيرنجات : أُخَذٌ كالسحر ليست بحقيقته إنما هى تشبيه وتلبيس (معرّبة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنّع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النَّبَطِىّ نسبة الى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ، أنا رجلٌ من أهل السَّـوَاد(١) أخذنى هؤلاء فقالوا : أنت علىّ ابن أبى طالب .

حدّثنى رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشامُ بن الحَكَم(٢) على بعض [الولاة](٣) العباسيين فقال رجل للعباسىّ : أنا أُقَرِّرُ هِشاما بأنّ عَلِيًّا كان ظالمـا ، فقال له : إن فعلتَ ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمّد ، أما علمتَ أن عَلِيًّا نازع العبَّاسَ الى أبى بكر؟ قال : نعم، قال : فأيُّهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقَّف هِشامٌ وقال : إن قلتُ العباسَ خِفتُ العباسىّ(٤) ، وإن قلت عَلِيًّا ناقضتُ قولى، ثم قال : لم يَكُن فيهما ظالمٌ، قال : فيختصم ٱثنان فى أمر وهمـا مُحِقَّان جميعا ؟ قال : نعم، ٱختصم المَلَكَان(٥) الى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّمـا أرادا أن يُنَبِّهَاه على ظُلْمه ، كذلك ٱختصم هذان الى أبى بكر لِيُعَرِّفاه ظُلْمَه [فأسكتَ(٦) الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشام بِصِلَة] .

قال حسّان بن ثابت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما :

ثـــلاثةٌ بَرَّزُوا بِسَـــبْقِهِمُ * نَضَّرهم(٧) ربهـــم إذا نُشِروا(٨)
عَاشُـــوا بلا فُرْقَةٍ حياتَهُـــم * وٱجتمعوا فى المَمات إذْ قُبِرُوا
فليس مِن مُسْلِم له بَصَرٌ * يُنْكِرُ من فَضْلِهم إذا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد بٱختلاف فى بعض الكلمات لا يخرجه عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) فى العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بعثهما الله تعالى الى داود عليه السلام فى صورة إنسانين ؛ وهـذه القصة وردت فى القرآن الكريم فى سورة «ص» فى قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نضّرهم ربهم : نعّمهم وحسّنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا فى ترجمته بالأغانى (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا فى كتب الأدب التى تحت أيدينا .

وقال أعرابىّ لعَبْد الله بن عُمَر :

إليكَ ابنَ خيرِ الناسِ إلّا محمّدًا * وإلّا أبا بكرٍ نَرُوحُ ونَغْتَدِى

وقال أبوطالب فى سُهَيْل بن بيضاء، وكان أُسِرَ فأَطْلَقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغير فِدَاءٍ، لأنه كان مُسْلما مُكْرَهًا على الخروج :

وهم رَجعُوا سهلَ بنَ بيْضاءَ راضياً * وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومُحمَّـدُ

وقال عُبَيد الله بن عمر :

أنا عُبيـدُ الله يَنْمِينِي عُمَـرْ * خيرُ قُرَيْشٍ مَن مَضَى ومَنْ غَبَرْ
بعدَ رسولِ الله والشَّيْخِ الأغَرّ *. مَهْلًا عُبيـدَ الله فى ذاك نَظَرْ

وقال حَسّان بن ثابت يَرْثِى أبا بكْرٍ رَضِىَ الله عنه :

إذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا من أَخِى ثِقَةٍ * فاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكرٍ بما فَعَلا
خَـيرَ البَرِيَّة أَتْقاها وأَعْـدَلَهَا * بعـدَ النَّبِيِّ وأوفَاها بما حَمَـلا
والثانِىَ الصادِقَ[(١)] المحمودَ مَشْهَدُه * وأوّلَ الناس منهم صَدَّق الرُّسُلَا
وكان حِبَّ رسولِ الله قد عَلِمُوا * مِنَ البرية لم يَعدِل به رَجُلا[(٢)]

حدّثنى مِهْيَار الرازىّ قال : قال جريرُ بنُ ثَعْلَبَة : حَضَرْتُ شيطانا مَرَّةً فقال : ارْفُقْ بِى فإنِّى من الشِّيعة ، فقلتُ : فَمَن تَعْرِف من الشـيعة ؟ قال : الأعمش ، فخلَّيتُ سَبِيلَه . قال أبو هريرة العِجْلىّ لمحمد بنِ علىّ بنِ الحُسَين عليهم السلام :

أبا جَـعْفرٍ أنت الوَلِىُّ أُحِبـه * وأَرْضى بمـا تَرْضَى به وأُتابِـعُ
أَتَتْنا رِجالٌ يَحْمِـلون عليـكُمُ * أحاديثَ قد ضاقتْ بهنَّ الأَضَالِـعُ
أحاديثَ أفشاها المُغِـيرَةُ فيهـمُ * وشَرُّ الأُمورِ المُحْدَثاتُ البَـدائِـعُ

(١) ورد فى الأصل «الثانى التالى ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حميـدا لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضى وما انتقلا

حدّثنى هارونُ بنُ موسى عن الحسن بن موسى الأشْيَبِ عن حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عُمَرُ بن عبد العزيز : مَن جَعَل دِينَــه غَرَضًا للخُصومات أكثَرَ التنقُّل . قال :

ماضَرَّ مَن أصبح المأمونُ سائِسَهُ * إن لم يَسُسْه أبو بَكْرٍ ولا عُمَــرُ

الردّ على المُلحدين

قال بعض المُلْحدِين لبعض أصحاب الكلام : هل من دَليلٍ على حُدوث(١) العَالَمَ؟ [قال : الحركة والسكون](٢) فقال : الحَرَكَةُ والسُّكون من العَالَمِ ، فكأنّك إذًا قلتَ : الدليلُ على حُدُوث العَالَمِ العَالَمُ ؛ فقال له : وسُؤالُك إيّاىَ من العَـالَمِ ، فإذا جئتَ بمسئلة من غير العالم جئتُك بدليل من غير العالم .

قال المأمونُ لثَنوِىٍّ(٣) يُناظر عنده : أسألُك عن حرفين قط(٤) ، خَبِّرْنى : هل نَدِمَ مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ؟ قال : بَلَى ؛ قال : فالنَّدَمُ على الإساءة إساءةٌ أو إحسانٌ ؟ قال : بل إحسان ؛ قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أو غيرُه ؟ قال : بل هو الذى أساء ؛ قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبَ الشرّ ، وقد بطل قولُكم ، إنّ الذى ينْظُر نَظَر الوعِيـد هو الذى ينظُر نَظَر الرحمة ؛ قال : فإنى أزعم أنّ الذى أساء غيرُ الذى نَدِم ؛ قال : فنَدِمَ على شيءٍ كان من غيره أو على شيءٍ كان منه؟ فأسْكَته .

(١) فى الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الثنوىّ واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا فى الأصـل . وفى الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبارة العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «عن حرفين لا أزيد عليهما» .

دخل المُوبَذُ (١) على هِشام بنِ الحَكَم (٢) فقال له : يا هِشام ، حولَ الدنيـا شيءٌ ؟ قال : لا ، قال : فإن أخرجتُ يدى فَثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها ؟ قال هِشام : ليس ثَمَّ شيءٌ يَرُدُّك ، ولا شيء تُخْرِج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعرِف هذا ؟ قال له : يا مُوبَذُ ؛ أنا وأنت على طَرَف الدنيـا فقلتُ لك يا مُوبَذُ : إنى لا أرى شيئا ، فقلتَ لى : ولم لا تَرَى ، فقلتُ لك : ليس هاهنَا ظلامٌ يمنعُنى ، قلتَ لى أنت : يا هشام إنى لا أرى شـيئا ، فقلتُ لك : ولِم لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضِياءٌ أنظر به ؛ فهل تكافأت المِلَّتـان فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تَكَافَأَتَا فى التناقض لم تَتَكَافَآ فى الإبطال أنْ ليس شيءٌ ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أن أَصَبتَ . ودخل عليـه يوما آخَرَ فقال : هما فى القُوّة سَواء؟ قال : نعم ؛ قال : فجَوْهَرُهما واحد ؟ قال المُوبَذُ لنفسه — ومَن حضَر يَسْمعُ — إن قلتُ : إنّ جَوْهَرُهما واحد عادا فى نَعْتٍ واحد ، وإن قلتُ : مُختلِفٌ ٱختلفا أيضـا فى الهمَم والإرادات ولم يَتفِقا فى الخَلْق ، فإن أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ؛ قال هِشام : فكيف لا تُسْلِم !قال : هَيْهاتَ ! .

---

(١) المُوبَذُ : فقيهُ الفُرْس وحاكم المَجُوس كقاضى القضاة للسلمين . (٢) فى الأصل : « هشام بن عبـد الحكم » بزيادة « عبـد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « الهشامية » كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ، ولم يُثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضا أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسّة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحتـه ، ورائحته هى مجسّته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرّك فحـدث مكانه بحركته فصار فيـه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والملل والنحل ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الردّ على ابن الروندى للخياط المعتزلى ص ٦ ، ٤٠ — ٤١ ، ٦٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٢٧) .

وجاءه رجلٌ مُلْحِد فقال له : أنا أقول بالاثنين وقد عَرَفْتُ إنصافك فلستُ أَخاف مُشَاغبَتَك ، فقال هِشامٌ وهو مشغول بثَوْب يَنْشُره ولم يُقْبِل عليه : حَفِظك الله ، هل يَقْـدِر أحدُهما أن يَخْلُق شـيئا لا يَسْتَعِين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ، قال هِشام[1] : فما تَرْجو من آثنين ! واحدٌ خَلَق كلَّ شيء أصحّ لك ! فقال : لم يُكَلِّمنى بهذا أحدٌ قبلك .

قال المأمون لمُرْتَدٍّ[2] إلى النصرانية : خَبِّرْنا عن الشيء الذى أوحَشَك من ديننا بعد أُنْسِـك به وآستيحاشِك ممّا كنتَ عليه ، فإن وجدتَ عندنا دَواءَ دائك تعالجتَ به ، وإن أَخْطأ بك الشِّفَاءُ ونَبَا عن دائك الدَّواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرْجِع على نفسك بلائمـة ، وإن قتلناك قتلناك بحُكْم الشريعة ، وتَرْجِع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثِّقَة وتَعْلم أنّك لم تُقصِّر فى آجتهاد ولم تُفرِّط فى الدخول من باب الحزم ، قال المُرْتَدّ : أوحشنى ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم ؛ قال المأمون : لنا آختلافان : أحدُهما كالاختلاف فى الأذان ، والتكبير فى الجنائز ، والتشهّد ، وصـلاة الاعياد ، وتكبير التشريق ، ووُجُوه القِراءات ، ووجوه الفُتْيا ، وهذا ليس باختلافٍ ، إنمـا هو تخيُّرٌ وسَـعَةٌ وتخفيفٌ من المِحْنة[3] ، فمن أَذَّنَ مَثْنَى وأقام مثنى لم يُخَطِّئْ من أَذَّنَ مَثْنَى وأقام فُرَادَى ، ولا يَتَعايَرُون بذلك ولا يتَعَايبُون ، والاختلافُ الآخر كنحو آختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحَديث مع آجتماعنا على أصـل التنزيل وآتفاقنا على عَيْن الخبر ، فإن كان الذى أوحشك هذا حتى أَنكَرْتَ هذا الكتابَ ، فقد يَنْبغى أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون متّفقا على تنزيله ، ولا يكون

(١) ورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم.

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتدّ الخراسانىّ الذى أسلم على يديه وحمله معـه الى العراق فارتدّ عن الإسـلام : أخبرنى... الخ » وقد ورد فيه هـذا الخبر بزيادة عن الأصل مع اختلاف فى العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد : «السنة» .

بين جميع اليهود والنصارى ٱختلافٌ فى شيء من التأويلات؛ وينبغى لك ألّا ترْجِع إلا إلى لُغَةٍ لا ٱختلافَ فى تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء اللهُ أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِه وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسيرٍ لَفَعَل، ولكنَّا لم نَرَ شيئا من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمرُ كذلك لسقطَت البَلْوَى والمحنـةُ ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هـذا بَنَى اللهُ الدنيا . قال المرتدّ : أشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأن المَسِيحَ عَبْدٌ ،وأنّ محمدا صادِقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا .

الإعراب واللحن

حدّثنى أبو حاتم عن الأَصْمَعِىّ قال : سمعتُ مَوْلًى لآلِ عُمر بنِ الخطّاب يقول : أَخَذَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ رَجلا كان يَرَى رَأى الخوارجِ رأى شَبِيب ، فقال له : ألستَ القائل :

ومِنّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ * ومِنّا أَميرُ المؤمنين شَبِيبُ [(١)]

فقال : إنمـا قلتُ : « ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ » بالنصب، أى يا أميرَ المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

---

(١) هو شبيب بن يزيد الخارجىّ صاحب الشبيبية ، كان من أصحاب صالح بن مسرّح التميمىّ ثم تولى الأمر بعـده على جنده وبايعه أتباعه الى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم . وزعموا أن غزالة أمّ شبيب كانت الإمام بعـد قتل شبيب الى أن قتلت ؛ وٱستدلوا على ذلك بأن شبيبا لمـا دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمّه على منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوّة البالغة والبأس الشـديد والمعرفة التامة بأمور الحروب؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وكبار قوّادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيـه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصـفة والموج يلتطم =

حدّثنى عبدُ الله بن حيّان قال : كتب رَفِيع(١) بن سَلَمَة المعروف بدَمَاذ إلى أبى عُثْمَانَ النَّحْوِىّ :

تَفَكَّرْتُ فى النحو حتّى مَلِلْـ * ـتُ وأتعبتُ نفسى به والبَدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا(٢) وأصحابَهُ * بطولِ المسائِل فى كلِّ فَنّ
[فمِن عِلْمِـه ظاهِرٌ بَيِّنٌ * ومن عِلْمِهِ غامضٌ قد بَطَنْ(٣)]
فكنتُ بظاهره عالمًا * وكنتُ بباطنه ذَا فِطَنْ
خلا أنَّ بابًا عليه العفَا * ءُ للفاء ياليتَه لم يَكُنْ
وللواوِ بابٌ إلى جَنْبِـه * من المَقْت أَحْسبُه قد لُعِنْ
إذا قلتُ هاتوا لماذا يُقَـ * ـال لستُ بآتيك أو تأتِيَنْ(٤)
أَجيبُوا لما قيل هذا كذا * على النصب قالوا لإضْمارِ أَنْ(٥)

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنب ، وقعنب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأى فيهم . ينزلون الى الهيجاء فى شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاض النسر ، والتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرّن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج فى الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ - ٩٢ وتاريخ الطبرىّ ج ٣ و ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤م) .

(١) فى الأصل : «غسان بن رفيع» وما أثبتناه عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤م وكنيته «أبو غسان» كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) : «يعنى ببكر أبا عثمان المازنىّ ، فبلغ ذلك المازنى فقال : والله ماأحسب أنه سألنى قط فكيف أتعبنى» . (٣) الزيادة عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالى فى أماليه : اذا قلت هاتوا لما قيل ذا * فلست بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالى فى أماليه : بما نصبوه أبينوه لى * فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لهـا مَوْضِعا * فأَعرِفَ ما قيـل إلا بِظَنّْ
فقدخِفْتُ يابَكْرُ من طُولِ ما * أُفَكِّرُ فى أَمْرِ «أَنْ» أن أُجَنّْ][1]

قال ابنُ سِيرِين : ما رأيتُ على رجل أَحْسن من فَصَاحة، ولا على امرأة أحسن من شَحْم .

وقال ابن شُبْرُمة : إذا سَرَّك أن تَعظُمَ فى عَيْن مَن كنتَ فى عينه صغيرا، ويَصْغُر فى عينكَ من كان فى عينك عظيما فتعلَّم العربيّـةَ ، فإنها تُجْرِيك على المَنْطِق وتُدْنِيك من السُّلْطان . ويقال : النحو فى العِلْم بمنزلة المِلْح فى القِـدْر والرَّامِك[2] فى الطِّيب . ويقال : الإعرابُ حِلْيَةُ الكلام ووَشْيُه . وقال بعضُ[3] الشعراء :

النحوُ يَبْسُطُ من لسانِ الأَلْكَنِ * والمرءُ تُكْرِمُه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العـلوم أَجَلَّها * فأَجَلُّها منها مُقِـيمُ الأَلْسُنِ

قال رجل لأعرابىّ : كيف أَهلِك بكسر اللام ؟ — يُريد كيفَ أَهلُك — فقال الأعرابىُّ : صَلْباً[4]، ظنّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون .

وقيل لأعرابىّ : أَتَهْمِز إسرائيلَ ؟ قال : إنى إذًا لرجلُ سُوءٍ[5]، قيل له : أَتَجُرُّ فِلَسْطِين ؟ قال : إنى إذًا لَقَوِىٌّ . وقيل لآخر : أَتَهْمِز الفارةَ ؟ فقال : الهِرَّةُ تَهْمِزُها .

وقيل : كان بِشْرٌ المَرِّيسِىّ يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائجَ على أحسنِ الوجوه وأهنؤُها، فقال قاسم التّمار : هذا كما قال الشاعر :

---

(١) الزيادة عن أمالى القالى .

(٢) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف النهرانىّ كما فى الكامل للمبرّد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قتلة معروفة وهى أن يشدّ الرجل من يديه ورجليه على جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر» . كذا فى كتاب الصاحبى لابن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إنّ سُلَيمَى واللهُ يَكْلَؤُهـا * ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها(١)

سمِـعَ أعرابىٌّ مُؤَذّنا يقول : أشهَدُ أنّ محمدا رسولَ الله بنصب رسول، فقال : وَيْحَك ! يفعل ماذا ؟ .

قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك : اللحنُ فى الكلام أقبحُ من الجُدَرِىّ فى الوجه . وقال عبدُ الملك : اللحن فى الكلام أقبحُ من التفتيق(٢) فى الثوب النفيس . قال أبو الأَسْوَد : إنى لأجِدُ للّحْنِ غَمْزًا كغَمْزِ اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أَنْشَدَنى أعرابىّ :

وإنّ كِلابًا هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ * وأنتَ برىءٌ من قبائلها العَشْرِ(٣)

فجعلتُ أعجَبُ من قوله : عَشْرُ أَبْطُنٍ حين أنَّثَ لأنه عَنَى القَبِيلة ، فلما رأى عَجَبى من ذلك، قال : أليس هكذا قول الآخر(٤) :

فكان مِجَنّى دون من كنتُ أَتَّقِى * ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ(٥)

(١) كذا فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفى المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سـنة ١٣٣٢هـ) . ورواية الأصل : ظنت . وجاء فى العقد بعد هـذا البيت : "وبشر المريسى رأس فى الرأى، وقاسم التمار متقدّم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر". وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد، والذى بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بنى كلاب يسمى «النواح» كما فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبى ربيعة من قصيدة طويلة منها :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنؤرُ

(راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) المجن : الترس . والمراد فى هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنث لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثنى كاعب وهى التى يبدو ثديها للنهود، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هنّ كاعبان ومعصر، والمعصر هى التى دخلت عصر شـبابها وبلغته . (راجع شرح العينى بهامش خزانة الأدب للبغدادىّ ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئِنْ أَعْرَبْنا فى كلامنا حتّى ما نَلْحَن لقد لحَنّا فى أعمالنا حتى ما نُعْرِب (١) .

دخل أعرابىٌّ السُّوقَ فسمِعهم يَلْحَنُون ، فقال : سبحانَ اللهِ ! يَلْحَنُون و يَرْبَحُون ونحن لا نَلْحَن ولا نَرْبَح ! .

دخل رجل على زِيادٍ فقال له : إنّ أَبِينَا هَلَك ، وإن أَخِينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا ؛ فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك (٢) .

قال الرِّياشىّ عن محمد بن سلّام عن يُونُس قال قال بلالٌ لشَبِيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِى على عَبْدِ الأعلى بن عبد الله بنِ عامرٍ قال : أَحْضِرْنيه ، قال : قد دعوتُه لكُلٌّ ذلك يأبى ، برفع كلّ ؛ قال بلال : فالذنبُ لكلٍّ . قال بعض الشعراء :

إمّا تَرَيْنِى وأثوابى مُقَارِبةٌ (٣) * ليستْ بخَزٍّ ولا من نَسْج كَتَّانِ
فإنّ فى المَجْدِ هِمَّاتِى وفى لُغَتى * عُلْوِيَّةٌ ولسانى غيرُ لَحَّانِ

وقال فِيلٌ مَوْلَى زيادٍ لزيادٍ (٤) : أَهْدَوا لنا هِمَار وَهْشٍ (٥) ، فقال : ماتقول ؟ وَيْلَك ! فقال : أَهْدَوْا لنا أَيْرا (٦) ؛ فقال زياد : الأوّلُ خَير .

---

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فمالنحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا» . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر الراء ، أى ليست بنفيسة . (٤) هو زياد بن أبى سفيان ، كما فى القاموس . (٥) فى الأصل « أهدوا لنا همار جهش » وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفى نهاية الأرب «احدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهى عجمة فى اللسان وعىّ . (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشىّ .

سَمِع أعرابىٌّ واليًا يَخْطُب فلَحن مَرَّةً أو ٱثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكتَ بقَدَر.

وسَمِـع أعرابىٌّ إمامًا يقرأ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح تاء تنكحوا] فقال: سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ فكيف بَعْـدَه! فقيل له: إنه لحَن، والقراءةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فقال: قبّحه اللهُ، لا تجعلوه بعدها إماما فإنّه يُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ. قال الشاعر فى جارية له:

أوّلُ ما أَسْمَعُ(١) منهـا فى السَّحَرْ * تذكيرُها الأُنْثَى وتأنيثُ الذَّكَرْ
* والسَّوْءَةُ السوءاءُ(٢) فى ذِكْرِ القَمَرْ(٣) *

قال الحجّاج لرجل من العَجَم نَخّاسٍ(٤): أتبيعُ الدّوابَّ المَعِيبة من [جُنْدِ](٥) السلطان؟ فقال: «شَرِيكاتنا فى هوازها وشَرِيكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون»(٦) فقال الحجّاج: ما تقول؟ ففسَّروا(٧) له ذلك، فضَحِك وكان لا يضحَك.

أَمَّ الحجّاجُ قوما فقرأ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وقرأ فى آخرها ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بنصب أنّ، ثمّ تنبّه على اللام فى لَخَبِير وأنّ «إنّ» قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذَفَ اللّامَ من لخبير، فقرأ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلتُ للخليل بن أحمـد: لِمَ قالوا فى تَصْغير واصـل أُوَيْصل ولم يقولوا وُوَيْصل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كلامُهم بنبح الكلاب.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة القبيحة.
(٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكَمَر» والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر؛ وهذا الإبدال يعرف باللثغة وهى أن تعدل الحرف الى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهير الخراسانى النخاس كما فى البيان والتبيين والنخاس: بياع الدّواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفى الأصل: «شريكاتنا فى هواز ومداينها وكما تجى يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك. يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادُق والغَـريب

حدّثنى سهلٌ عن الأصمعىّ قال : كان عيسى بنُ عُمر لا يَدَعُ الإعرابَ لشىء. وخاصم إلى بلال بن أبى بُرْدة فى جاريةٍ اشتراها مُصابةً، فقال : لأَن يذهبَ بعضُ حَقّى هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ؛ فقال له : ومَن يعلم ما تقول؟ فقال : ابن طرنوبة[1] . وضربه عمرُ بنُ هُبَيْرة ضربا كثيرا فى وَديعة أودعها إياه إنسانٌ فطلبها، فما كان يزيد على أن يقول: واللهِ إن كانت إلا أُثَيّابًا[2] فى أُسَيْفاط[3] قبضها عشّارُوك[4] .

تبِعَ أبو خالد النُّميرى صاحبُ الغَريب جاريةً مُتَنَقِّبة فكلّمها فلم تُكلّمْه، فقال : ياخريدةُ[5]، لقد كنتِ عندى عَرُوبًا[6] أنْمَقُكِ[7] وتَشْنَئِينا !

وقال سهلُ بنُ هارونَ لجارية له رُوميّة أعجميّة : إن أوّلَ ما يَنْطوى عليه ضميرى من رَسيسِ[8] حُبّك لأجلُّ من كلّ جليلٍ، وأكثرُ من كلّ كثير .

وقال مالك بنُ أسماء فى جارية له :

أمُغَطًّى منّى على بَصَرى للـ * ـحبّ أم أنتِ أكملُ الناس حُسنا[9] ؟

---

(١) كذا فى الأصل ولم نوفق الى معرفة هذا الأسم فى الكتب التى بين أيدينا . (٢) أُثَيّاب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذى يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشّاروك : جمع عشّار وهو آخذ العشر وجابيه وملتزمه . (٥) الخريدة : الحيية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحببة الى زوجها . (٧) نمقك : نحبك . وتشنئينا : تبغضينا . وفى الأصل «ولشنينا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للبرد (ص ٤١٨ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا، فما بالنا نمقك وتشنئينا! فقالت: يابن الخبيثة أتجشنى!» . أى أتغازلنى وتلاعبنى . (٨) رسيس الحب : بقيته وأثره . (٩) كذا فى خطبة هذا الكتاب فى المجلد الأول من هذه الطبعة، والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفى الأصل هنا :

أيغطى منى على بصرى بالـ * ـحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وحَـــديثٍ أَلَذُّهُ هـــو مِمّـــا * يَشْتَهِى النـاعتون يُوزَنُ وَزْنا[١]
مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيا * نًا وأَحْلَى الحديثِ ما كانَ لَحْنـا

قال ٱبن دُرَيْد : ٱستثقل منها الإعرابَ .

دخل أبو عَلْقَمةَ على أعْيَن الطبيب فقال له : أَمْتَعَ اللهُ بك ، إنّى أكلت من لحوم هـذه الجَوَازِل[٢] فطَسِئْتُ طَسْأَةً[٣] ، فأصابنى وَجَعٌ ما بين الوَابِلَة[٤] إلى دَأْيَة[٥] العُنُق فلم يزل يَربُو ويَنْمِى حتى خالط الخِلْبَ[٦] والشَّراسِيفَ[٧] ، فهل عندك دَوَاءٌ ؟ فقال أَعْيَن : نعم ، خذ خَرْبَقًا[٨] وشلفقا[٩] وشِبْرِقًا[١٠] فزَهْزِقْهُ وزَقْزِقه وٱغْسِلْه بماء رَوْثٍ وٱشربْه ؛ فقـال أبو عَلْقمة : لم أَفهمْ عنك ؛ فقال أَعْيَن : أفهمتُك كما أفهمتَنِى . وقال له يوما آخَرَ : إنى أجِد مَعْمَعةً فى بطنى وقَرْقرةً ؛ فقال له : أما المعمعةُ فلا أَعرِفها ، وأما القرقرةُ فهى ضُرَاطٌ لم يَنْضَج .

---

(١) كذا بالأصل هنا وفى المقدّمة ، وفى أمالى القالى : «تشتهيه النفوس» وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : «ينعت الناعتون» . (٢) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) . وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوى للبيهق (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة ليبسج) : «الجوازئ» . والجوازل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد فى الكتف . (٥) الدأية : فقرة العنق . (٦) الخِلْب : حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شُرسوف وهو رأس الضلع مما يلى البطن . (٨) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفى الأصل : «خرنقا» بالنون والخربق كجعفر : ضرب من الأدوية ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبـات كلسان الحمل أبيض وأســود ينفع الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت فى الأصل «شلفقا» بالشين والفاء والقاف بعد اللام ولم نقف لها على معنى . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوى للبيهق «سلفقا» وفى البيان والتبيين : « سفلقا » . (١٠) كذا فى الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج : نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) : «جرفقا» وفى المحاسن والأضداد للجاحظ « سربقا » .

أتى رجلٌ الهيثمَ بنَ العُرْيان بغَريمٍ له قد مطَله حقَّه فقال : أصلح الله الأميرَ، إنّ لى على هذا حَقًّا قد غلبنى عليه؛ فقال له الآخَرُ: أصلحك الله، إن هذا باعنى عَنْجَدًا[١] وآستنسأتُه[٢] حَوْلا وشرطتُ عليه أن أُعطيَه مُشاهرة[٣] فهو لا يلقانى فى لَقَمٍ[٤] إلّا آقتضانى؛ فقال له الهيثمُ : أمن بنى أُميّة أنت؟ قال : لا؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا؛ قال : وَيْلى عليك ! انْزِعْ ثيابَه ياجِلْوَاز[٥]، فلما أرادوا نَزْعَ ثيابِه قال : أصلحك الله، إنّ إزارى مُرَعْبَل[٦]؛ قال: دعوه، فلو تَرْك الغريبَ فى وقتٍ لتركه فى هذا الوقت .

ومرّ أبو علقمة ببعض الطُّرُق[٧] بالبصرة فهاجت به مِرَّةٌ فسقط ووثب عليه قومٌ فأقبلوا يَعْصِرون[٨] إبهامَه ويُؤذِّنون فى أُذُنه، فأفْلَتَ من أيديهم وقال: ما لكم تَتَكَأْكَئون[٩] علَّى كما تَتَكَأْكَئُون على ذِى جِنّة ! افرنقِعُوا عنّى ؛ فقال رجلٌ منهم : دَعُوه فإنّ شيطانَه هندىٌّ، أمَا تسمعونه يتكلّم بالهِندية . وقال لحجّام يَحْجُمه : أُنظُر ما آمُرك به فاصنَعْه، ولا تكن كمن أُمِر بأمرٍ فضيّعه، أَنْقِ غسلَ المَحاجِم وآشدُدْ قُضُبَ المَلازِم[١٠]

---

(١) العنجد كجعفر وقنفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنسأه : سأله أن ينسئه دينه، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكصرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز: الشرطىّ .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمساوئ للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «الطريق» .

(٨) فى المحاسن والأضداد، والمحاسن والمساوئ « يعضون » .

(٩) تتكأكئون : تجمعون . افرنقعوا : تفرّقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تجعل فى طرفها قُنّاحة (مفتاح معوجّ طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا، تكون مع الصياقلة والأبّارين ومجلّدى الكتب وغيرهم .

وأرهف[1] ظُبَات[2] المَشارِط وأسرِع[3] الوَضْعَ وعجّل النَّزْعَ، وليَكن شرطُك وَخْزًا، ومصُّك نَهْزًا، ولا تُكرِهنّ آبيا، ولا تَرُدَّنّ آتيا؛ فوضع الحجّام محاجمه فى جُونته[4] ومضى .

سَمِع أعرابىّ أبا المكنون النحوىّ فى حَلْقته وهو يقول فى دعاء الاستسقاء :
اللهم ربّنا وإلهَنا ومولانا صلّ على محمد نبيّنا ؛ اللهم ومَن أراد بنا سوءًا فأحِطْ ذلك السوءَ به كإحاطة القلائد على ترائب[5] الوَلائد، ثم أرسِخْه على هامَته كرُسُوخ السِّجّيل[6]، على هَام أصحاب الفيل؛ اللهم اسقِنا غيثًا مُغيثا مَريئًا مَريعا مُجَلْجِلا[7] مُسحَنْفِرًا[8] هَزِجًا[9] سحًّا سَفُوحا طَبَقًا[10] غَدَقًا[11] مُثْعَنجِرا[12]؛ فقال الأعرابىّ : ياخليفةَ نوح [هذا][13] الطوفان وربِّ الكعبة، دعْنى آوِى إلى جَبَلٍ يَعصِمُنى من الماء .

أبو الحسن قال : كان غلامٌ يُقعِّر[14] فى كلامه، فأتى أبا الأسود الدُّؤلىّ يلتمس ما عنده؛ فقال له أبو الأسود[15] : ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته الحُمَّى فطبَخَتْه طَبْخا وفضَخَتْه[16]

(١) أرهف : حدّد (٢) ظبات جمع ظبة لثبة، وهى حدّ السيف أو السنان ونحوه .
(٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧١) : «وخفّف» . (٤) الجونة بضم الجيم : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطّارين . (٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «بأعناق» . (٦) السجّيل : حجارة كالمدر، وقيل هو حجر من طين، دخيل معرّب من «سنك وكل» أى حجارة وطين . (٧) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد .
(٨) قال أبو حنيفة : المسحنفر : الكثير الصب الواسع . (٩) الهزج من الهزَج وهو صوت الرعد . (١٠) طبق : عامّ واسع . (١١) الغدق : المطر الكثير . (١٢) المثعنجر : السيل الكثير . وفى الأصل « مثعجرا » . (١٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
(١٤) يقعر فى كلامه : يتشدّق ويتكلّم بأقصى حلقه . (١٥) كذا فى الأصل والبيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «وقال أبو الأسود الدؤلى لأبى علقمة : ماحال ابنك ... الخ» . (١٦) فضخته : دقته .

فَضْخًا وفَنَخْتَه فَنْخا[1] فتركته فَرْخا[2]، قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التى كانت تُجارُّه[3] وتُشَارُّه وتُزارُّه وتُهارُّه؛ قال: طلقها فتزوجت غيره فرَضيت وحَظيت وبَظيت، قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيت[4]، فما بَظيت[5]؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛ قال أبو الأسود: يا بن أخى، كلّ حرف من الغريب لم يبلغ عمّك فاستره كما تستر السِّنَّوْرُ خُرْأَها.

قال زيد بن كثيرة: أتيتُ بابَ كبير دارٍ وهناك حدّادٌ[6]، فأردتُ أن أَلِجَ الدارَ فدَلَظَني[7] دَلْظةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زِلْنا[8] نَظَار نَظَارِ[9] حتّى عَقَل الظِّلُّ[10]. وقال أيضا: أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَتِيتَان[11] وإذا أَرْمِداءُ[12] كثيرةٌ وطُهَاةٌ لا أُحْصِيهم وحِمَامٌ كأنّها آكامٌ. وقال الطائى:

أيوسفُ[13] جئتَ بالعَجَب العجيبِ * تركتَ الناسَ فى شكٍّ مُرِيبِ
سمعتُ بكلّ داهيةٍ نآدٍ[14] * ولم أسمع بسرّاج أديبِ

---

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنخته: أوهنته وأضعفته. وفى الأصل: «فتخته» بالتاء المثناة، ولم نجد لهذه الكلمة فى كتب اللغة معنى يناسب المقام. (٢) الفرخ: الضعيف المنوك. (٣) تُجارُّه: تطاوله. وتُشارُّه: تخاصمه. وتُزارُّه: تعضّه. وتُهارُّه: تهرّ فى وجهه كما يهرّ الكلب (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١): «وقد علمنا رضيت وحظيت فا بظيت...». (٥) أتى باللفظ «بظيت» إتباعا لحظيت مثل حسن بسن، لأنه ليس فى كلامهم «بظى» أنظر اللسان مادة «بظا». (٦) الحدّاد: البوّاب. (٧) دلظه: دفعه فى صدره. (٨) هذه العبارة واردة فى الأصل هكذا ولم نوفق الى تحقيقها. (٩) نظار مثل قطام: اسم فعل أمر بمعنى انتظر والمعنى: فما زلنا يقال لنا نظار نظار الخ. (١٠) عقل الظل: قام قائم الظهيرة. (١١) صتيتان: فرقتان. (١٢) الأرمداء جمع رماد. (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصرى كما فى ديوان أبى تمام طبع محمد جمال بتعليق محيى الدين الخياط. (١٤) النآد: نعت للداهية أو بدل منها والمراد داهية شديدة.

أَمَا لَوْ أنّ جهلَك كان عِلْمًا * إذًا لنفذتَ[1] فى عِــلم الغُيوبِ
فمــالَكَ بالغَرِيب يدٌ ولكنْ * تَعَاطِيكَ الغــريبَ من الغَــريبِ

قال رؤبة بن العَجّاج : خرجت مع أبى، نريد[2] سليمان بنَ عبد الملك، فلمّا صِرْنا فى الطريق أُهْــدِىَ لنا جَنْبٌ من لَحْم عليــه كَرَافِئُ الشَّحْم وخريطةٌ[3] من كَمْأَةٍ[4] ووطْبٌ[5] من لَبَن فطبَخْنا هذا بهذا، فما زال ذِفْرَيَاىَ[6] تَنْتِحَانِ[7] منــه الى أن رجعتُ . (الكَرَافِئُ : الطبقات، وكذلك كرافئ السحاب) .

وصايا المعلّمين

قال عُتبة بن أبى سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده[8] : ليكن إصلاحُك بَنِىَّ إصلاحَك نفسك ، فإن عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك ، فالحسنُ عنــدهم ما ٱستحسنتَ ، والقبيحُ ما ٱستقبحت ، وعلِّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتهدَّدْهم بى وأدِّبْهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء، ولاتَتَّكِلَنَّ على عُذْرٍ منِّى ، فإنى قد ٱتَّكلتُ على كِفاية منك .

قال الحجّاج لمؤدّب بنيه : علِّمهم السِّباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجِدُون مَنْ يكتُبُ عنهم ، ولا يَجِدُون مَن يَسْبَحُ عنهم .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «لرسخت» . (٢) كذا فى الكامل للبرد (ص ١٤٠ طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصــل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من أدم وغيره . (٤) الكمأة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض ، وهو عديم الطعم يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذِفرياى تثنية ذِفْرَى ، وهو العظم الشاخص خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للــبرد (ص ١٤٠) وتنتحان : ترشحان بالعرق . وفى الأصل «ينجان» . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمرو بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدِّب ولده : علِّمْهم الصدق كما تُعلِّمهم القرآن ، وجنِّبْهم السَّفِلَة فإنّهم أسوأُ الناس رِعَةً(١) وأقلُّهم أَدَبا ، وجنِّبْهُم الحَشَمَ فإنّهم لهم مَفْسَدة ، وأَحْفِ(٢) شُعُورَهم تَغْلُظْ رِقابُهم ، وأَطْعِمْهم اللحم يَقْوَوْا ، علِّمهم الشِّعر يَمْجُدُوا ويَنْجُدُوا ، ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضًا ويَمُصُّوا الماءَ مَصًّا ولا يَعُبُّوه عَبًّا ، وإذا احتجتَ الى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك فى سِتْرٍ لا يعلَمُ به أحدٌ من الغاشية فيَهُونُوا عليه .

وقال آخر لمؤدِّب ولده : لا تُخْرِجهم من عِلْمٍ الى عِلْمٍ حتى يُحْكِمُوه ، فإن اصطِكاكَ العلم فى السمع وازدحامَه فى الوَهم مَضَلَّةٌ للفهم .

وكان لشُرَيح ابن يلعب بالكلاب ، فكتب شُرَيحٌ إلى مُعلِّمه :

تَرَكَ الصلاةَ لأَكْلُبٍ يَسعى بها(٣) * طلبَ الهِراش(٤) مع الغُواةِ الرُّجَّسِ

فإذا خَلَوْتَ(٥) فَعَضَّه بمَلامَةٍ * وعِظْنْه وَعْظَكَ للأَرِيب الكَيِّسِ

وإذا هَمَمْتَ بضَرْبه فبِدِرَّةٍ * وإذا بلغتَ بها ثلاثًا فاحْبِسِ

واعلَمْ بأنّك ما فعلتَ فنفسُه * مع ما يُجَرِّعُنى أَعَزُّ الأَنْفُسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المُبْتَلَى بحبّ الكلابِ * لا يُحِبّ الكلابَ إلا الكلاب

لو تَعَرَّيتَ وسطها كنتَ منها * إنما فُقْتَها بلُبْس الثِّياب(٦)

(١) يقال : فلان سيئ الرعة اذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ فى قصه .

(٣) فى المحاسن والمساوئ للبيهقىّ (ج ٣ ص ٦٢١) : « الرّواح » .

(٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغى » .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا فى الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ فى الإعراب . ولو ورد هكذا : لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَتَبْـكِ أبا أحمــدِ قِـرْدَةٌ * وكَلْبُ هِرَاشٍ وديكٌ صَدُوحُ
وطَـيرٌ زِجَالٌ وقُمْـرِيَّةٌ(١) * هَتُوفُ العَشِيِّ وكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغنى عن أبى الحسن العُكْلِىّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزَنِىّ قال : سمعت أبى يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ وَلَدَه كالسَّماد للزرع .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن المبارك عن أُسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر الى أهل الشام : عَلِّموا أولادَكُم السِّبَاحةَ والرَّمْى والفُرُوسيّة .

وكانت العرب تُسـمِّى الرجل ، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرَّمْى ويُحسِن العَوْم وهى السِّباحة ويقول الشِّعْر، الكاملَ .

البيان

حدّثنى عَبْدةُ بن عبـد الله قال حدّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عِمارة بن عُمَير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ من البيان سِحرًا(٢)" فأطيلوا الصـلاةَ وأقصِرُوا الخُطَبَ . وقال العبّاس : يا رسولَ الله، فيم الجَمَالُ؟ قال : "فى اللسان" .

وكان يقال : عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المُهلَّب : أَكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طَرَفِ لسانه . يريد أنه لا يكون عقلُه إلا فى الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحرا» باللام .

كَفَى بالمرءِ عَيْباً أنْ تراهُ * له وَجْـهٌ وليس له لسانُ
وما حُسْنُ الرجالِ لهم بزَيْنٍ (١) * إذا لم يُسعد الحسنَ البيانُ.

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنّه كان يَقرِى العَيْنَ جمالا، والأُذُنَ بيانا . وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

أَعِـذْنِى رَبِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ * ومن نفس أعالجُها عِلَاجا
ومن حاجاتِ نَفْسِى فاْعْصِمَنِّى * فإن لِمُضْـمَراتِ النفس حَاجا

وصف أعرابىّ رجلا يتكلّم فيُحسِن فقال :

* يَضَعُ الهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ (٢) *

ومثَـلُه قولهُم : فلانٌ يُجِيـد الحَزَّ، ويُصِيب المَفْصِل؛ وربما قالوا : يُقِلّ (٣) الحزّ .

وقال معاوية فى عبد الله بن عبّاس :

إذا قال لم يَتْرُك مقالاً ولم يَقِفْ * لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْـر
يُصَرِّف بالقول اللسانَ إذا انتحى * ويَنْظُرُ فى أعطافه نَظَرَ الصَّـقْرِ

وقال حسّان فيه :

إذا قال لم يَـتْرُك مقـالًا لقـائلٍ * بملتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بينهـا فَصْـلا

---

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفى الأصل : «لها» .

(٢) الهِنَاء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهى أوّل ما يبدو من الجرب، أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هـذا وما قبله من الأمثال التى تضرب فى البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقلّ الكلام ويصيب المعانى ، بالجزار الرفيق يقـل حز اللحم ويصيب مفاصـله (راجع العقـد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

شَفَى وَكَفَى ما فى النفوس فلم يَدَعْ * لذى إِرْبَةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلا
سَموتَ إلى العلْيَا بغـير مَشـقّةٍ * فنِلْتَ ذُرَاهَا لَا دَنيًّا ولَا وَغْلا[(١)]

ويقال : الصمتُ مَنَامٌ والكلام يَقَظَةٌ . ويقال : خير الكلام مالم يُحْتَج بعده إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبىّ رجلا فقال : ألفاظُه قوالِبُ معانيه . ومدح أعرابىّ رجلا فقال : كلامه الوَبْلُ[(٢)] على المَحْلِ[(٣)]، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمَأ .

وقال الحُطَيئة :

وأخذتُ أقطارَ الكلام فلم أَدَعْ * ذَمًّا يضُرُّ ولا مَـديحًا يَنْفَعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شِعْرى حَسَبٌ موضوع ؛ فسَمِع ذلك عمرُو بن عُبَيْد فقال : كَذَبَ، تَرَّحه[(٤)] الله، إنما ذلك التقوى .

قيل لعمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟ فقال : ما بلّغك الجنّة، وعَدَل بك عن النار؛ [قال السائل : ليس هذا أُريد؛ قال : فـ[(٥)]ـما بَصّرك مواقِـعَ رُشْدك ، وعواقِبَ غَيّك ؛ قال السائل : ليس هـذا أُريد؛ قال : من لم يُحسِن الاستماع لم يُحْسِن القول ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إنّا مَعْشَر الأنبياء بِكَاءٌ[(٦)]" ، وكانوا يكرهون[(٧)] أن يزيدَ مَنْطِق الرجل على عقله؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : كانوا يخافون من فتنة القول [ومن سَقَطات الكلام مالا يخافون من

(١) فى الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص ٧٤ طبعة ليدن سنة ١٩١٠م) وهو الأنسب للقام ؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد . (٣) المحل : الجدب . (٤) ترّحه الله : أحزنه ونغّصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٣) . وفى الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفا على ما قبله . (٦) بِكَاء جمع بَكِىء، وهو ما قلّ كلامه خلقة . (٧) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفى الأصل : «يكرهون» .

فتنة السكوت[(١)] ومن سَقَطات الصَّمْت، قال : ليس هـذا أريد، قال : فكأنك إنما تُريد تخيّر اللفظ فى حسن إفهام [قال : نعم، قال][(١)] : إنك إن أردت تقرير حُجّة الله فى عقول المكلّفين[(٢)]، وتخفيف المَئُونة على المُستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المُرِيدين، بالألفاظ المُسْتَحْسَنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً فى سُرْعة ٱستجابتهم، ونَفْى الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعِظَة الحسنة من الكتاب والسُّنة، كنت قد أُوتيتَ فصلَ الخِطَاب، وٱستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كاسِراً إحْدَى عَيْنيه واضعا إحدى رِجليه على الأخرى يُخاطب رَجُلا إلا رحمتُ المُخاطَبَ . وقال آخر : ما رأيتُ أحدا يتكلّم فيُحسن إلّا أحببْتُ أن يَصْمُتَ خوفا من أن يُسيءَ إلّا زيادًا فإنّه كلّما زاد زاد حُسْناً، وقال[(٣)] :

وقبلَك ما أعييتُ[(٤)] كاسِرَ عَينِه ✻ زِيادًا فلم تَقْدِرْ[(٥)] علىَّ حَبَائِلُهْ

قال محمد بن سلّام : كان عمرُ بن الخطّاب إذا رأى رجلا يُلَجْلِج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد ! .

وتكلّم عمرو بن سعيد الأَشْدَق، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عُثْرَته لمّا تكلّم، فأحسن حتَّى خَشِيت عَثْرَته إن سكت .

---

(١) التكملة عن البيان والتبين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) فى البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق، قاله لجرير من قصيدة تقع فى ثلاثة وتسعين بيتا مثبتة فى كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعـد البيت :

فأقسمت لا آتيه سبعين حِجّة ✻ ولو نشرت عينُ القُباع وكاهلُهْ

والقُباع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وكان أميرا على البصرة لقبـه أهلها به، وذلك أنه مرّ بقوم يكيلون بقفيز فقـال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا فى النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفى الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَار العَبْدىّ: ما هذه البلاغةُ التى فيكم؟ فقال: شىءٌ تَجِيشُ به صدُورُنا ثم تَقْذِفُه على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبُسْر(١) أبصرُ؛ فقال صُحَّار: أَجَل، والله إنّا لنعلم أنّ الرِّيح تُلقحه وأنّ البرد يُعقده(٢) وأنّ القمرَ يَصْبغه وأنّ الحرّ يُنْضِجُه؛ فقال معاوية: ما تَعُدُّون البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجيب فلا تُبطئ، وتقولَ فلا تُخطئ؛ ثم قال(٣): يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألّا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وَفَد الحسن بن علىّ على معاوية الشأمَ، فقال عمرو بن العاص: إنّ الحسنَ رَجُلٌ أَفَهُّ(٤) فلو حملتَه على المِنْبَر فتكلّم فسَمِع الناسُ من كلامه عابُوه؛ فأمره فَصعِد المِنْبَر فتكلّم فأحسن؛ وكان فى كلامه أنْ قال: أيّها الناس، لو طلبتُم آبنا لنبيّكم ما بين جَابَرْس(٥) الى جَابَلْق(٦) لم تَجِدُوه غيرى وغيرَ أخى وَإنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فساء ذلك عَمْرا وأراد أن يَقْطع كلامه، فقال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَت الرُّطَب؟ فقال: أجل، تُلْقِحُه الشَّمال وتُخْـرِجه الجَنُوب ويُنْضِجُه بَرْدُ الليل بحرّ النهار؛ قال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَتُ الخِرَاءَة(٧)؟ قال: نعم، تُبعِد المَمْشَى فى الأرض الصَّحْصَح(٨) حتّى

(١) كلمة «البسر» مطموسة فى الأصل وآستعنا على معرفتها بما فى البيان والتبين الذى وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ». والبسر: التمر قبيل إرطابه وذلك اذا لوّن ولم ينضج. (٢) يعقده: يغلظه.

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطئ ولا تخطئ. قال أبو حاتم: استطال الكلام الأوّل فاستقال وتكلم بأوجز منه».

(٤) كذا فى الأصل والعقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجىء على «أفعل» والذى فى كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العىّ فى المنطق): فهّ كضخم وفهيه وفهفه. (٥) جابرس: مدينة بأقصى المشرق. (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب. (٧) الخراءة بالكسر: التخلى والقعود للحاجة. (٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما آستوى من الأرض مع الآتساع. وفى الأصل: «الضحضح» بضادين معجمتين.

تَتوارَى من القوم، ولا تَستقبِل القِبلَة ولا تَستدبِرها، ولا تَستنجِى بالرَّوْثة ولا العَظْم، ولا تَبُول فى المـاء الراكد، وأَخَذَ فى كلامه .

وكان يقال : كلّ شىء ثَنَيْتَه يقْصُر ما خلا الكلامَ، فإنّك كلّما ثنيتَه طال . قال الحَسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

تكلَّم صَعْصَعةُ بن صُوحان عند معاوية فعرِق ؛ فقال معاوية : بهرَك القولُ ! فقال صعصعة : إنّ الجِيادَ نَضَّاحة للمـاء .

ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سابق معناه لفظَه .

وفى كتاب للهند : أوّلُ البلاغة آجتماعُ آلةِ البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابِطَ الجَأْش(١)، ساكِنَ الجوارح قليلَ اللَّحْظ مُتَخَيِّرًا للفظ، لايُكلّم سَيِّدَ الأُمّة بكلام الأَمَة، ولا الملوكَ بكلام السُّوقة، ويكون فى قُواه فَضْلٌ للتصرُّف فى كلّ طبقة، ولا يُدَقِّق المعانِىَ كلَّ التدقيق، ولايُنقِّح الألفاظَ كلّ التنقيح ولايُصفِّيها كلَّ التَّصفية [ولايُهذِّبها(٢) غايةَ التهذيب، ولا يفعل ذلك حتّى يُصادِفَ حكيما أو فيلسوفا عليما] ويكون(٣) قد تعوّد حَذْفَ فُضـول الكلام وإسقاطَ مُشْتَرَكاتِ الألفاظ، قـد نَظَر فى صِناعة المَنْطِق على جِهَة الصناعة والمُبالغة لا على جهة الآعتراض والتصفُّح .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيي البَرْمكىّ وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم يُحيط بمعناك ويَحْكِى(٤) عن مَغْزاك، ويُخرِجه من الشركة ولا تَستعين عليه بالفِكْرة، والذى لأبُدَّ(٥) له منه أن يكونَ سَلِيما من التكلُّف، بعيدا من الصَّنعة، بريئا من التعقُّد، غَنِيًّا عن التأويل .

(١) الجأش : رواع القلب إذا آضطرب عنـد الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعوّد ... الخ» . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٨) : «يجلى» . (٥) هكذا فى الأصل . وفى البيان والتبيين : «والذى لابدّمنه ... الخ» .

قال الأصمعيّ : البليغ مَن طبَّق المَفْصِل وأغناك عن المفسِّر .

قال المدائني : كتب قُتَيبةُ بن مُسلم الى الحجّاج يشكو قِلّةَ مَرْزِئَتِه[(١)] من الطعام وقلّة غِشْيانه النساء وحَصَره على المِنْبر ، فكتب إليه : استكْثر من الألوان لتُصيبَ من كلّ صَحْفة شيئا ، واستكْثِر من الطَّرُوقة[(٢)] تجِدْ بذلك قُوَّةً على ما تُريد ، وأَنْزِل الناس بمَنْزِلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصّتك ، وارْمِ ببصرك أمامَك تبلُغْ حاجتك .

قال بعض الشعراء :

إن كان فى العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ * ففى البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

تكلّم رجل عند معاوية فهَذَر[(٣)] ، فلمّا أطال قال : أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال : وهل تكلّمتَ !

ويقال : أعيا العِيّ[(٤)] بلاغةٌ بعِيّ ، وأقبحُ اللَّحْن لَحْنٌ بإعراب .

وقال أعرابيّ : الحَظُّ للمرء فى أُذُنه[(٥)] ، والحظُّ لغيره فى لسانه .

ويقال : ربّ كلمةٍ تقول دَعْنى .

ويقال : الصمتُ أبلغُ من عِيٍّ ببلاغة . ونحوه قول الشاعر :

أرى الصَّمتَ أَدْنى لبعض الصَّوَابِ * وبعض التَّكَلُّم أدنى لِعِيّ

وقال جعفر البَرْمَكيّ : إذا كان الإكثارُ أبلغَ كان الإيجازُ تقصيراً ، وإذا كان الإيجازُ كافيًا كان الإكثارُ عِيًّا .

---

(١) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل .
(٣) هذر فى كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغى . (٤) فى الأصل : « أعيا التى بلاغة بتى » .
(٥) يريد أن حظ الرجل فى أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ فى لسانه لغيره لأنه اذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيِيُّ الناطق أعيا من العَيِي الصامت .

قال أنو شِرْوَان لبزُرْ جِمْهــر : متى يكون العَيِيُّ بليغـا ؟ فقال : إذا وَصَف حَبِيبا .

قال يُونُس بن حبيب : ليس لعيِيٍّ مُرُوءَةٌ ، ولا لمنقوص البيان بَهاءٌ ، ولو بَلَغَ يَأْفُوخُه(١) أعنانَ(٢) السَّماء . قال بعضُ الشعراء :

عَجِبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفســه * وصمتِ الذى قد كان بالحقّ أعلما
وفى الصمت سَــتْرٌ لِلعَيِيِّ وإنما * صحيفــةُ لُبِّ المَرْءِ أن يتكلّما

قال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنان لا أَسْتَحْيِي من العِيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلا ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابىّ رجلا يَعْيًا فقال : رأيتُ عَوراتِ الناسِ بين أَرْجُلِهم ، وعَوْرَةَ فلان بَيْنَ فَكَّيْه .

وعابَ آخرُ رجلا فقال ؛ ذاك من يَتَامَى المَجْلِس ، أبلغُ ما يكون فى نفســه أعيا ما يكون عند جُلَسائه .

قال ربيعة الرَّأْي : الساكتُ بين النائم والأَخْرَس .

تذاكر قومٌ فضــلَ الكلام على الصمت وفضــلَ الصمت على الكلام ، فقال أبو مُسْهِر : كَلَّا ! إنَّ النَّجْمَ ليس كالقَمر ، إنّك تَصِف الصمتَ بالكلام ، ولا تَصِفُ الكلامَ بالصمت .

(١) اليأفوخ : هو الموضع الذى يلتقى فيه عظم مقدّم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذمّ قومٌ فى مجلس سليمانَ بنِ عبد الملك الكلامَ، فقال سليمان: اللهم غَفْرًا، إنّ من تكلّم فأَحْسَن قدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن؛ وليس مَن صَمَت فأَحْسن قادراً على أن يتكلّم فيُحْسِن .

قال بكرُ بن عبد الله: طولُ الصمتِ حُبْسَةٌ[1]. ونحوه قول عُمر بنِ الخطّاب: تَرْكُ الحركةِ عُقْلة .

وكان نَوْفل بن مُساحِق إذا دخل على آمرأته صَمَتَ، وإذا خرج من عندها تكلّم؛ فقالت له : أمّا عندى فتُطْرِق، وأمّا عند الناس فتَنْطِق! فقال : أَدِقُّ[2] عن جَليلك وتَجِلّينَ عن دقيق .

وفى حكمة لقمان : يا بُنَيّ، قد نَدِمتُ على الكلام ولم أَنْدَم على السكوت .

قال آبن إسحاق : النَّسناسُ[3] خَلْقٌ باليَمن لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِزُ[4] بها، وأهلُ اليمن يصطادونهم؛ فخرج قومٌ فى صيدهم فَرَأَوْا ثلاثةَ نَفر منهم فأَدْرَكُوا واحدًا فعقَرُوه وذَبحُوه وتَوارَى آثنان فى الشَّجر، فقال الذى ذَبحه: إنّه لسَمِينٌ، فقال أحدُ الآثنين: إنه أكَلَ ضِرْوًا، فأخذوه فذَبحُوه، فقال الذى ذَبحـه : ما أنفعَ الصمتَ ! قال الثالث : فهأنا الصِّمِّيتُ فأخذوه وذبحوه . (الضِّرْوُ[5] : حبّة الخضراء) .

كان يقال : إذا فاتَك الأدب فألزم الصَّمتَ .

---

(١) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) : «خرسة» . والحُبْسة بالضم : اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦): «قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقين عن جليلى» . (٣) وردت هـذه الحكاية فى كتاب الحيوان للدّميرى (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير فى بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد . (٤) كذا فى حياة الحيوان . وفى الأصل : «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يَجْتَرِئ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ[1] .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلَه * وفَتَّاقُ أَبْكَارِ الكلامِ المُخَتَّمِ[2]

قال أبو الدرداء : أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ ، فإنّما جُعِلَ لك أُذُنَانِ [اثنتان][3] وفَمٌ واحدٌ ، لتَسْمَعَ أكثرَ ممّا تقول .

حَضَر قُشَيْرِىٌّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمتَ ، فقال له بعضهم : بحقٍّ سُمّيتم خُرْسَ العرب ، فقال القُشَيْرِىّ : يا أخى ، إنّ حظّ الرجل فى أُذُنه لنفسه ، وحظَّه فى لسانه لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أَكثِرِ الصمتَ ما لم تكن مسئولا فإنّ فَوْت الصواب أيسرُ من خَطَل القول ، وإذا نازعَتْك نَفْسُك الى مراتب القائلين المُصيبين ، فاذْكُر ما دون الصواب من وَجَل الخطأ وفضائح المُقَصِّرين .

تكلّم رجلٌ فى مجلس الهَيْثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثمُ : يا هـذا ، بكلام مثلك رُزِقَ أهلُ الصمت المحبة . وقال أبو نُوَاس :

خَـلِّ جَنْبَيْك لِرَامِ * وَامْضِ عَنْـهُ بِسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصَّمتِ خيرٌ * لكَ من داءِ الكَلَامِ
إنّمـا السـالمُ[4] من أَلْـ * ـجَمَ فاه بِلِجَـامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمـائق : الهالك حمقا وغباوة .

(٢) فى الأصل «المحبّر» وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقائق يرثى مالك بن أنس المدنى كما فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٤٩) : « المسـلم » .

وقال آخر :

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا ساسه الجهلُ لَيْثاً مُغيرا

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا صاحبٌ لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحُف من عندنا لأَقللنا الكلام .

وقال الأصمعىّ : إذا تظرّف العربىّ كَثُر كلامه ، وإذا تظرّف الفارسىّ كثر سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشىءُ يَكْفيكَهُ التَّرْكُ فاتركه .

قال عبد الله بن الحسن لابنه : اِستعن على الكلام بطول الفِكْر فى المَواطن التى تدعوك فيها نفسُك إلى القول ، فإنّ للقول ساعاتٍ يضُرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قَتَادة :

تُعَاقِبُ[1] أيدينا ويَحْلُم رأينا * ونَشْتُم بالأفعال لا بالتكلُّم

تكلم ابنُ السَّمّاك يوما وجاريةٌ له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسنَه لولا أنك تُكثر تَرْدادَه ! قال : أُردِّده حتّى يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه؛ قالت : إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد مَلَّه من فَهِمه ! .

قال عيسى بنُ مَرْيم : مَن كان مَنْطِقُه فى غير ذكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظرُه فى غير اعتبار فقد سَها، ومن كان صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لها .

---

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحماسة أبى تمام شرح التبريزى (طبع مدينة بُن) : « وتجهل أيدينا ... الخ» ونسب البيت فيهما الى معبد بن علقمة . ونسب فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) الى إياس بن قتادة، كما فى الأصل هنا .

كان العباس بن زُفَر لا يُكلِّم أحدا حتى تَنْبسطَ الشمسُ ، فإذا ٱنْفَتَلَ[1] عن صلاته ضَرَب الأعناقَ وقَطَع الأيدى والأَرْجل . وكان جَرِير لا يتكلّم حتى تبزُغَ الشمس ، فإذا بَزَغت قَذَف المُحْصَنَات .

قال قَتَادة : مكتوب فى التّوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِىُّ : إعادة الحديث أشدُّ من وَقْعِ الصَّخْر .

وفى كتب العجم : أنّ أربعةً من الملوك ٱجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمةً واحدةً كأنّها رميةٌ بسهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتْنى ولم أَمْلِكها . وقال آخر : قد نَدِمتُ على ماقلتُ ولم أَنْدَم على مالم أَقُل . وقال آخر : أنا على ردّ مالم أقل أقدرُ منِّى على ردّ ماقلتُ . وقال آخر : ما حاجتى إلى أن أتكلّم بكلمة ، إن وقعتْ علىّ ضرّتنى ، وإن لم تقع علىّ لم تنفعنى .

قال زُبَيْد اليامىّ[2] : أسكتتنى كلمةُ ٱبن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه لا يوافق فعلَه فإنّما يُوَبِّخ نفسه .

وفى كتاب كليلة ودمنة : ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت : الراقى فى جبل طويل ، وآكل السمك ، والمُرَوِّى[3] فى الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء[4] :

قــد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ ✻ كلامُ واعى الكلام قوتُ

---

(١) انفتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا فى الأنساب للسمعانىّ ؛ وتهذيب التهذيب ؛ وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامىّ نسبة الى يام بطن من همدان . وفى الأصل «زبيد النامى» بالنون وهو تحريف . (٣) المروّى : من روّى فى الأمر ويقال روّأ (بالهمزة) اذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبى العتاهية كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضا فى ديوان والده أبى العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلّ نُطْقٍ لهُ جوابٌ * جوابُ ما يُكرَهُ السـكوتُ
يا عجبًا لامرئ ظَـلُومٍ * مُستيقِنٍ أنّهُ يمـوتُ

بلغنى عن أبى أُسامة عن ٱبن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلّموا وصَمَتَ الأحنفُ ، فقال معاوية : ياأبا بَحْر ، مالك لاتتكلّم ؟ قال : أَخافُكم إن صَدَقْتُكم ، وأخاف الله إن كَذَبت .

حدّثنى محمـد بنُ داود قال حدّثنـا الحُمَيدىّ قال حدّثنا أبو الحَكَم مَرْوان بن عبـد الواحد عن موسى بن أبى درهم عن وهب بن منبِّـه قال قال ٱبن عبّـاس : كفى بك ظالمـا ألّا تزالَ مُخَاصِما ، وكفى بك آثمـا ألّا تَزال مُمارِيا ، وكفى بك كاذبا ألّاتزال مُحدِّثا بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلســانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ[(١)]
فعـثرتُه من فِيـهِ تَرْمِى برأســهِ * وعثرتُه بالرِّجْل تَبرا على مَهْــلِ

سُئِل بعضُ الحكماء عن البلاغة ، فقـال : من أخذ معانىَ كثيرةً فأدّاها بألفاظ قليلة ، أو أخذ معانىَ قليلةً فولّد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغنى عن أبى إسحاق الفَزَارىّ قال : كان إبراهيمُ يُطِيل السكوتَ ، فإذا تكلّم ٱنبسط ، فقلت له ذاتَ يوم : لو تكلّمتَ ! فقال : الكلام على أربعة وُجُوه ، فمنه كلامٌ ترجو منفعتَه وتَخْشى عاقبتَه ، فالفضلُ منه السلامةُ ، ومنه كلامٌ لاترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه ، فأقلُّ مالَكَ فى تركه خِفةُ المُؤونة على بَدَنك ولسانك ، ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لجعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، كما فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) .

لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهـذا هو الدَّاءُ العُضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمَنُ عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نَشْرُه؛ قال: فإذًا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة[1]

يقال: رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان. قال أعرابىّ:

إن كاتَمُونا القِلَى نَمَّت عيونُهـمُ * والعينُ تُظْهِرُ مافى القلب أو تَصِفُ

وقال آخر:

إذا قلوبٌ أَظْهرتْ غيرَ مَا * تُضْمِره أنْبَتْكَ عنها العُيُونُ

آخر:

أَمَا تُبصر فى عيـنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدِى

وقال ذو الرُّمّة:

نَعَمْ هاجت الأطلالُ شَوْقًا كَفَى به * من الشَّـوقِ إلا أنّهُ غيرُ ظاهِرِ
فما زِلْتُ أَطْوِى النفسَ حتى كأنّها * بِذِى الرِّمْثِ[2] لَم تَخْطُرْ على بال ذَاكِرِ
حَيَاءً وإشْفاقا من الرَّكْبِ أن يَرَوْا * دليـلًا على مُسـتَوْدَعات الضمائرِ

وقال الحارثىُّ يذكُر ميتا:

أتيناه زُوَّارًا فأمجـدَنا[3] قِرى * من البَثِّ[4] والدَّاءِ الدَّخيلِ المُخَامِرِ
وأوسَـعَنا عِلْمًـا بردِّ جوابِنا * فأَعْجِبْ به من ناطقٍ لم يُحَاوِرِ

---

(١) النصبة بالضمّ: هى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضمرها على شىء من حبّ ميّة. وذو الرِّمث: اسم واد لبنى أسد.

(٣) أمجدنا: أشبعنا. (٤) البث: الغمّ والحزن، وقيل أشدّه.

ومثل هذا قولُ القائل[١] : سَلِ الأرضَ فقل لهـا : من شَقّ أنهارَكِ، وغَرَس أشجارَكِ، وجَنَى ثِمارَكِ، فإن لم تُجِبك حِوَارًا[٢]، أجابتْك آعتبارا . قال أبو العَتَاهِيَة[٣] :

وللقَلْبِ على القلبِ * دليـــلٌ حين يَلْقاهُ
وللناس من النـاس * مقايِيسٌ وأشــباهُ
يُقاسُ المـرءُ بالمـرءِ * إذا ما هو ماشـاهُ
وفى العين غِنًى للعـيْـنِ[٤] أن تَنْـطِق أفواهُ

الشــــعر

يقال : خيرُ الشِّعْر ما رَوَّاك نفسَهُ . ويقال : خيرُ الشعر الحَوْلِىّ المُنَقَّح المُحَكَّك .

سَمِـع أعرابىٌّ رجلا يُنْشِد شِعْرا لنفسه، فقال : كيف تَرَى ؟ قال : سُكَّر لا حَلاوةَ له . قيل لبعض علماء اللغة : أرأيتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد فى لفظ واحد ؟ فقال : عُقول رجالٍ تَوَافت على ألسنتها .

قال بَشّار يَصِف نفسَه :

زَوْرُ[٥] مُلوكٍ عليــه أُبَّهَـــةٌ * يُعرفُ من شِعره ومن خُطَبِهْ
لله ما راح فى جَوَانحـــهِ * من لُؤْلُؤٍ لايُنام عن طَلَبِهْ
يَخْرُجْنَ[٦] من فيه فى النَّدِىّ[٧] كما * يَخرُجُ ضوءُ السِّراج من لَهَبِهْ

---

(١) القائل هو الرقاشىّ كما فى الصناعتين لأبى هلال العسكرىّ (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوبه وراجعه فى الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات فى ديوان أبى العتاهية المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٤٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) : «للمرء» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا فى الأصل، وفى ديوان بشّار (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندىّ ... الخ» .

ترنو اليه الحُدَّاثُ غاديةً * ولا تَمَلُّ الحديثَ من عَجَبِهْ
تِلْعَابةٌ[(١)] تَمَكُّفُ الملوكُ به * تأخذ من جدّه ومن لَعِبِهْ
يَزدحِمُ الناس كلَّ شارقةٍ * ببابه مُسرِعين فى أدبِهْ

وقال الطائىُّ يذكر الشعر :

إنّ القَوافِىَ والمَسَاعِىَ لم تَزَلْ * مِثلَ النِّظَام[(٢)] إذا أصابَ فَرِيدا
هى جَوهَرٌ نَثْرٌ فإن أَلَّفتَهُ * بالشعر صار قلائدًا وعُقُودا
من أجل ذلك كانت العربُ الأُلَى * يَدْعُون هذا سُؤْدُدًا مَجْدُودا[(٣)]
وتَنِدُّ عندهمُ العُلَا إلَّا عُلًا * جُعلت لها مِرَرُ[(٤)] القَرِيض قُيُودا

وقال أيضا :

ولم أَرَ كالمعروف تُدْعَى حُقوقُه * مغارِمَ فى الأقوامِ وهى مَغانِمُ
وإنّ العُلَا[(٥)] ما لم تَرَ الشعرَ بينها * لكالأرضِ غُفْلًا[(٦)] ليس فيها مَعَالِمُ
وماهو إلا القولُ يَسْرِى فيَغتَدِى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومَواسِمُ
يُرَى[(٧)] حِكْمَةً مافيه وهو فُكاهةٌ * ويُقْضَى بما يَقْضِى به وهو ظالمُ
ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما دَرَى * بُغاةُ العُلَا من أينَ تُؤْتَى المكارمُ

---

(١) رجل تِلْعابة بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .
(٢) فى ديوان أبى تمام المطبوع (ص ٩٠) : «الجُمَان» .
(٣) فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : «محدودا» بالحاء المهملة .
(٤) المِرَر جمع مِرّة، والأصل فى المِرّة طاقة الحبل .
(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : «ولا كالعلا ما لم ير ... فكالأرض ... الخ» .
(٦) الغُفْل من الأرض : ما لا علامة فيه .
(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصل «ترى» .

وقال عُمر بن لَجَإ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ، قال : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : لأنى أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وآبنَ عمّه .

قيل لعَقِيل بن عُلَّفة : ألا تُطيل الهِجاء (١) ؟ فقال : يَكفِيك من القِلادة ما أحاط بالعُنُـــق .

وقال بعضُهم : خيرُ الشّعر المُطْمِع .

قيــل لكُثَيِّر : يا أبا صَخْر ، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشــعر ؟ قال : أطوف بالرِّباع المُخْلِيَة (٢) والرِّياض المُعشِبة ، فيسهُل علىّ أرْصَنُه ويُسرِع الىّ أحسنُه .

ويقال : إنه لم يُستدْعَ (٣) شارِدُ الشــعر بمثل المــاء الجارى ، والشَّرَف العــالى ، والمكان الخَضِر الخالى (٤) أو الحالى .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطَاةَ بن سُهَيّة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال (٥) : ما أشرَب (٦) ، ولا أَطْرَب ، ولا أَغْضَب ، وإنمـا يكون الشــعر بواحدة من هذه .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨ طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) والمُخْلِية : الخاليــة من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المحيلة » وهى التى أتت عليها أحوال فغيّرتها . وفى الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفى الأصل : «لم يُسرع» .

(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هــذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) بدون الكلمة «الحالى» ثم قال صاحب العقد : ''تأوّل بعضهم «الخالى» يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن''. وأما «الحالى» بالمهملة فهو المتحلى بالنوار ، ومنه قول أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى (ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبى تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢ هـ) :

ولمـا نزلْنا منزلا طلَّه النَّــدَى * أنِيقًا وبُستانا من النَّوْر حاليا

(٥) فى الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

وقيل لكُثَيِّر[1] : ما بَقِيَ من شعرك ؟ فقال : ماتت عَزّة فما أطرب ، وذهب الشَّبابُ فما أعْجَب ، ومات ٱبنُ لَيْلَى فما أرغب — يعنى عبدَ العزيز بن مَرْوان — وإنما الشعر بهذه الخِلَال .

وقيل لبعضهم : من أشعرُ الناس؟[2] فقال : آمرؤُ القيس إذا رَكِب ، والنابغة إذا رَهِب ، وزهير إذا رَغِب ، والأعشى إذا طَرِب .

وقيل للعجّاج : إنك لا تُحسِن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلامًا تَمنعُنا من أن نَظلِمَ ، وأحسابًا تمنعُنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيتَ بانِيًا لا يُحسِن أن يَهْدِم ! .

وقلتُ فى وصف الشِّعر : الشعر مَعْدِنُ عِلْم العرب ، وسِفْرُ حكمتها ، وديوانُ أخبارها ، ومستَوْدَعُ أيامها ، والسُّورُ المضروبُ على مآثرها ، وٱلخَنْدَقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار ، والحُجّةُ القاطعةُ عند الخِصَام ؛ ومن لم يقم عندهم على شَرَفه وما يدّعِيه لسلفه من المناقب الكريمة والفَعَال الحميد بيتٌ منه ، شَذَّت مَساعيه وإن كانت مشهورة ، ودَرَسَت على مُرور الأيّام وإن كانت جِساما ؛ ومن قَيَّدها بقوافى الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمَثَل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجَحْد ، ورفع عنها كَيْدَ العدُوّ وغَضّ عينَ الحسود .

وما جاء فى الشعر كثير . وقد أفردتُ للشعراء كتابا ، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب . وذكرت هذه النُّتْفَةَ فى هذا الكتاب كراهِيَةَ أن أُخْلِيَه من فَنٍّ من الفنون .

---

(١) رواية الأمالى (ج ١ ص ٣٠ طبع مطابعة دار الكتب المصرية) : «قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبلت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عَزّة فما أنسب ، ومات ... الخ » وفسّر أبو علىّ القالى : «أجبلت» بقوله : « أجبلت ، أى انقطعت عن قول الشعر . أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا آنتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر » .

(٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «وقالوا : أشعر الناس ، النابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب ، وجرير إذا رغب» .

حُسن التشبيه فى الشّعر

من ذلك قولُ ٱبنِ الزَّبِيرِ الأَسَدىّ فى الثُّرَيّا :

وقد[1] لاح فى الغَوْر الثُّرَيّا كأنّمـا * به رايةٌ بيضاءُ تَخْفُق للطَّعْنِ

شبّه الثُّرَيّا حين تدلّت للمَغيب براية بيضاء خَفَقت للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترةَ فى الذُّبَاب :

وخَلَا[2] الذُّبابُ بها[3] فليس بنازِحٍ * هَزِجًا[4] كفعْلِ الشارِبِ المُتَرَنّمِ
غَرِدًا[5] يَحُـكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعِهِ * فِعْلَ المُكِبِّ[6] على الزِّناد الأَجْذَمِ[7]

شبّه حكّه يَدَه بيده برَجُل مقطوع الكفّين يَقْدَح النار بعُودَيْن .

ومن ذلك قولُ أعرابى فى العنَب :

يَحْمِلْنَ أوعِيَةَ السُّلافِ كأنّمـا * يَحْمِلْنها بأَكارعِ النِّغْرَانِ[8]

أوعية السُّلاف : العنب، جعله ظرفا للخمر، وشبّه شُعَب العناقيد التى تَحمِل الحبَّ بأرجُل النِّغْران . (والنُّغَرُ : طائر مثل العصفور أحمر المِنْقار) .

---

(١) كذا فى معاهد التنصيص ص١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ ه، ونسخة خطية من الأغانى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م فى أخبار أبى قيس بن الأسلت . وفى نسخة خطية أخرى من الأغانى رقم ١٢٦١ : «تخفض» بدل «تخفق» رفى طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) «وقد لاح فى القور ...» بالقاف . وفى الأصل هنا :

وقـد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيـه أيضا «خفضت» فى تفسـير المؤلف للبيت بدل خفقت التى أثبتناها ، تبعا للرواية التى آثرناها فى البيت . (٢) يروى هـذا البيت فى شرح المعلقات للزوزنى (طبع القاهرة سـنة ١٣٠٤ ه) : «...فليس ببارح . غردا» ويروى البيت الذى بعده «هزجا يحك ... ... قدح المكب» . (٣) الضمير فى «بها» يعود على الروضة التى تصدّى عنترة لوصفها فى معلقته . (٤) هزج ككتف : مصوّت . (٥) غَرِدٌ : من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته فى غنائه وطرّب . (٦) المكبّ : من أكبّ على الشىء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجذم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل . (٨) فى اللسان مادة «نغر» : «يحملن أزقاق المـدام ... بأظافر ... الخ» .

وقال الآخر، وكان غشى عينيه بياضٌ أو نزل فيهما ماءٌ :

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه * وما ماءُ سُوءٍ خان عيْنى بطيِّبِ
ولكنّه أزمانَ أنظُرُ طيِّبٌ * بعيْنَىْ غُدافىٍّ(١) علا فوق مرْقَبِ
كأنّ ابنَ جَحْلٍ(٢) مدَّ فضلَ جناحه * على ماء إنسانيْهما المُتَغيِّبِ

شبّه ما علا الحَدَقة بجناح فَرْخ من فِراخ الزنابير قد مُدَّ على ناظره .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذكر العُقاب :

كأنّ قلوبَ الطَّير رَطْبًا و يابسًا * لَدَى وَكْرِها العُنّابُ(٣) والحَشَفُ(٤) البالى

شبّه الرَّطْب بالعُنّاب، واليابس بالحَشَف . وشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد .

ومن ذلك قولُ أوْس بن حَجَر وذكَر السيف :

كأنّ مَدَبَّ النمل يتبعُ الرُّبَى * ومَدْرَجَ ذَرٍّ(٥) خاف بَرْدًا فأسهلا

شبّه فِرِنْدَ(٦) السيف بمدرج الذَّرّ ومدبّ النمل .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى البازى :

ومَنْسِرٌ أكْلَفُ فيه شَغًا(٧) * كأنّه عَقْدُ ثمانينا(٨)

---

(١) الغدافىّ : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفى الأصل : «بعينى غدافيا» .

(٢) الجحل بتقديم الجيم على الحاء : اليعسوب العظيم، وهو فى خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه، والجمع جحول و جحلان . (٣) العناب كرمّان : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون فى شكله .

(٤) الحشف : ما يبس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صغار النمل ، واحدته ذرّة . (٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشيه وهو مايرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشّغا : زيادة فى المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّف وانعطاف ، ولذا سميت العُقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازى الذى فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للآلوسى طبعة بغداد ج ٣ ص ٣٩٩) .

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ فى آمرأة :

قامت تَصَدَّى له عَمْدًا لتقتُلَه * فلم يَرَ الناسُ وَجْدا مثلَ ما وَجَدا
بجِيـــدِ آدَمَ (١) لم تُعقَـــد قلائدُه * ونَاهِدٍ مثلِ قَلْبِ الظَّبْيِ ما نَهَدا
فظَلَّ كالحائمِ (٢) الهَيْمَانِ (٣) ليس له * صَبْرٌ ولا يَأْمَنُ الأعداءَ إن وَرَدا

شبه ثَدْيَها فى نُهوده بقلب الظبى فى صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثَّدْى بقلب الظَّبْى غيرَه .

ومن ذلك قولُ جَحْدر العُكْلِىّ فى آمرأة :

على قَدَمٍ مكنونة اللونِ رَخْصَةٍ * وكَعْبٍ كذِفْرَى (٤) جُؤْذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَمَا (٥)

شبّه كعبها بأصل أُذُن الجُؤْذُر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حُمَيد بن ثَوْر يصف فَرْخ القطاة :

كأَنَّ على أشـــداقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ (٦) * إذا هو مَدَّ الجِيـــدَ منـــه لِيَطْعَمَا

ومن ذلك قول دِعْبِل (٧) يهجو آمرأة :

كأَنَّ الثَّآلِيـــلَ (٨) فى وجهها * إذا سَفَرَتْ بِدَدُ (٩) الكِشْمِش (١٠)
لهـــا شَـــعْرُ قِرْدٍ إذا آزَّيَّنَتْ (١١) * ووجهُ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ (١٢)

---

(١) يقال : ظبى آدم إذا أُشرب لونه بياضا . (٢) الحائم : العطشان الذى يحوم حول الماء . (٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم : مستو . (٦) كذا رواه المؤلف فى كتابه « الشعر والشعراء »(ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى الأصل «خنوة» بالخاء وهو تحريف . (٧) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : «أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبى الغَطَمَّش الحنفى» . (٨) الثآليل جمع ثُؤلول وهو الحبة تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها . (٩) البِدَدُ جمع بِدّة وهى القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .
(١١) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «إذا زينت» . (١٢) الأبرش : ما به بَرَش ، والبَرَش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى وصف البطّ :

* كأنّمـا يَصْفِرْنَ من مَلاعق [1] *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجّاز فى جارية سوداء :

كأنّها والكُحْلُ فى مِرْوَدِها * تَكْحُلُ عينيها ببعض جِلْدِها

ومن ذلك قولُ الجَعْدىّ [2] فى فرس :

خِيـطَ على زَفْرةٍ [3] فَتَمّ ولم * يَرْجِعْ إلى دِقّةٍ ولا هَضَمِ [4]

يقول هو منتفخ الجَنْبَيْن، فكأنّه زَفَر فانتفخ جنباه ثم خِيطَ على ذلك .

ومن ذلك قول الطِّرِمّاح يصف الثَّوْر :

يَبْـدُو وتُضمِره البـلادُ كأنّهُ * سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ [5]

ومن ذلك قول النابغة للنُّعمان :

فإنّك كالليـل الذى هو مُدْرِكى * وإنْ خِلتُ [6] أن المُنْتأَى عنك واسِعُ

ومن ذلك قولُه فى المرأة [7] :

نَظَرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ المريض الى وُجوه العُوَّدِ

يقول : نظرتْ اليك ولم تَقْدِر أن تتكلّم، كما ينظُر المريضُ الى وُجوه عُوَّاده ولا يَقْدِر أن يُكلّمهم .

---

(١) عجزه كما فى الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصرة الأقلام فى المهارق *

(٢) كذا فى اللسان مادتى «زفر» و «هضم» وفى الأصل «الجعفرىّ» . (٣) زفرة الفرس: وسطه، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة، أى عظيم الجوف . (٤) كذا فى اللسان . وفى الأصل «ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها، وهى من عيوب الخيل التى تكون خلقة . (٥) كذا فى «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفى الأصل «ويعضد» . (٦) كذا فى ديوان النابغة طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفى الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجردة زوج النعمان .

ومن ذلك قولُ طَرَفَة :

لعمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى * لَكَالطِّوَلِ(١) المُرْخَى وثِنْياه باليَــدِ

ومن ذلك قولُ بعض الضَّبِّيين(٢) يصف أباريق الشَّرَاب :

كأَنّ أباريقَ الشَّمُول عَشِــيَّةً * إوَزٌّ بأَعْلَى الطَّفِّ(٣) عُوجُ الحناجر(٤)

ونحوه قولُ أبى الهندىّ(٥) :

سَيُغْنِي أَبَا الهِنْدىّ عن وَطْبِ سالِمٍ * أباريقُ لم يَعْــلَقْ بهــا وَضَرُ(٦) الزُّبْدِ

مُفَــدَّمَةٌ(٧) قَــزًّا كأَنَّ رِقابَهــا * رِقابُ بَناتِ(٨) المــاءِ تَفْــزَعُ للرَّعْد

ومن ذلك قولُ نُصَيب فى عبد العزيز بن مَرْوان :

وكلبُك آنس بالمُعْتفين * من الأُمِّ بآبنتِها الزائِرهْ

ومن ذلك قولُ عَدِىّ بن الرِّقاع فى الظبية :

تُزْجِى(٩) أَغَنَّ(١٠) كأَنّ إِبْرَة رَوْقِه(١١) * قلمٌ أصاب من الدَّواة مِدَادَها

ومن ذلك قولُ بشّار :

كأنّ مُثَار النَّقْع فوق رءوسِهم(١٢) * وأسيافَنَا ليــلٌ تَهَاوى كواكِبُهْ

---

(١) الطِّوَل : الحبل الطويل تشدّ به قائمة الدابة و يمسك صاحبها بطرفه و يتركها ترعى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبىّ كما فى اللسان مادة « برق » . (٣) الطفّ : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . (٤) كذا فى اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج الرقاب . وفى الأصل : « المناخر » بالخاء المعجمة . ولعلها « المناحر » بالحاء المهملة ، جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدّوس كما فى اللسان مادّة «وضر» .

(٦) الوضر : وسخ الدسم واللبن . (٧) المفدّم : الإبريق الذى على فه فدام وهو خرقة من قزّ أو غيره . (٨) يريد ببنات الماء الإوزّ وما يشابهها من طيور الماء . (٩) تزجى : تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما فى صوته غُنّة . (١١) الرّوق : القرن .

(١٢) كذا فى الأصل والشعر والشعراء . وفى التلخيص للقزوينى «فوق رءوسنا» وهى الرواية المشهورة .

ومن ذلك قولُه :

جَفَتْ عيني عن ٱلتَّغْميضِ حتّى * كأنّ جُفونَها عنها قِصارُ

ومن ذلك قولُ الآخر :

ومولًى كأنّ الشمسَ بيني وبينه * إذا ما ٱلتقينا ليس ممن أُعاتِبُهْ

يقول : لا أَقْدِرُ على النظر اليه من بُغْضه، فكأنّ الشمس بيني وبينه .

ومن ذلك قولُ الآخر :

كأن نيرانَهم في كلّ مَنْزِلةٍ * مُصَبَّغَاتٌ(١) على أَرسانِ(٢) قَصّارِ(٣)

الناس يَستحسنون هذا، وأنا أَرَى أن أقول : الأَولى أن يُشَبَّه المُصبَّغات بالنيران، لا النيران بالمصبَّغات .

الأبيات التي لا مِثْلَ لها

حدّثني أبو الخطاب قال حدّثنا مُعْتَمِر عن لَيْث عن طاوس عن ٱبن عبّاس قال : إنّها كلمة نبيّ :

سَتُبْدِي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

حدّثني الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أبرعُ بيت قالته العرب قولُ أبي ذُؤَيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها * وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وأحسن ما قيل في الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ :

أَرَى بَصرِي قد رَابَني بعد صِحّةٍ * وحسبُك داءً أن تَصِحّ وتَسْلَما

(١) المصّبغات : الثياب التي صُبغت ولُوِّنت بالصِّبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القَصّار : الذي يُحَوِّر الثياب ويَدُقّها بالقَصَرة، وهي قطعة من الخشب .

وأحسن مَن ٱبتدأ مرثية أوس بن حَجَر في قوله[(١)] :

أيّتُهــا النفسُ أجْمِلى جزَعًا * إن الذى تَكْرَهين[(٢)] قد وَقَعا

وأغرب مَن ٱبتدأ قصيدة النابغةُ فى قوله :

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُميمــة ناصِبٍ * وليلٍ أُقاسِيهِ بَطِىءِ الكواكِبِ

حدّثنى الخَثْعَمِىّ الشــاعر قال : أحسنُ بيتٍ قيل فى الجُبْن قولُ نَهْشَــل ابن حَرِّىٍّ[(٣)] :

فلو كان لى نفسان كنتُ مُقاتلًا * بإحداهما حتى تَموتَ وأســلما

قال : و بيت المُخَبَّل فى قَساوة القلب :

يُبْكَى علينا ولا نَبْــكِى على أحدٍ * لنحنُ أغلظُ أكبادًا من الإبِلِ

قال : و بيت عَبِيد فى الاستعفاف : .

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوه * وسَــائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال : و بيت مَنْجوف بن مُرّة السلمى فى الاحتفاظ بالمــال :

وأَدفعُ عن مالى الحقوقَ و إنّهُ * لجمٌّ فإنّ الدهرَ جَمٌّ مصائبُهْ

قال : و بيت الحُطَيئة فى إكرام النفس :

وأُكرِمُ نفسى اليومَ عن سُوءِ طِعْمَةٍ * ويَقْنَى الحياءَ المرءُ والرمحُ شاجِرُه[(٤)]

(١) فى الأصل : « وأحسن من ابتدا مرثيــة قول أوس بن حجر » . (٢) فى الشعر والشعراء (ص ٧) «تحذرين» . (٣) فى الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتاه عن الأغانى (ج ٨ ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمحىّ ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) فى الأصل : «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأ كرمت نفسى ... ... الخ . قنى الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان و يمدح آل شماس مطلعها :

عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظلمانه وجــآذره

قال : وقول كعب[1] فى الإقدام :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا * قُدُمًا ونُلْحِــقُها إذا لم تَلْحَــقِ

قال : و بيت عمرو بن الإطْنابة فى الصبر :

وقَوْلِى كُلَّما جَشَأَتْ وجاشت * مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْـتريحى

وأحسن من هذا عندى قول قَطَرِىّ :

وقَوْلى كلما جَشَأَتْ لنفسى[2] * من الأبطال وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

فإنكِ لو سألتِ بقــاء يومٍ * على الأَجَلِ[3] الذى لكِ لم تُطَاعِى

قال : و بيت مِسكين[4] الدارِمىّ فى الجُود :

طَعَامى طَعَامُ الضَّيفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ * ولم يُلْهِنِى عنــه الغــزالُ المُقَــنَّعُ

قال : وفى حسن الجِوَار قوله :

نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قبلى تُنْزَلُ القِــدْرُ

ما ضَرَّ جارا لى أُجاوِرُه * أَلّا يكونَ لبابه سِــتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جَمِيلٌ، قال :

أُقَلِّبُ طَرْفى فى السماء لعــلَّهُ * يُوافِقُ طَرْفى طرفَها حين تَنْظُرُ

---

(١) هو كعب بن مالك ، كما فى الكامل للمبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأغانى (ج ١٥ ص ٣٠) وورد فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع فى حماسة أبى تمام هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبى تمام . وفى الأصل : « ...حياة ... من الأجل ... الخ » وفى العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى : « قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمى » . وروى البيت فيه هكذا :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع .

وقول الآخر[١] :

أليس الليلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرو * وإيَّانا فـذاك بنـا تَدَانِى
تَرَى وَضَحَ النهـار كما أَراهُ * ويعـلوها النهـارُ كما علانى

قال : وبيت عمرو بن كُلْثُوم فى الجهل :

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينـــا * فنَجْهَلَ فوق جهلِ الجاهلينا

قال : وبيت النابغة فى ترك الإلحاح :

فَٱستبْقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن * قَتَبًا[٢] يَعَضُّ بغـارِبٍ مِلْحَاحا

قالَ : وفى إدراك الثأر قول مُهَلْهِل :

لقـد قتلتُ[٣] بنى بَكْرٍ بربِّهِـمُ * حتى بكيتُ وما يَبْكِى لهم أحدُ

قال : وبيت عُرْوة بن الوَرْد فى تبليغ العذر فى الطلب :

لِتُبْلِـغَ عُذْرًا أو تُفِيـدَ[٤] غنيمةً * ومُبلِـغُ نفس عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قال : وبيت جميل فى إنفاق المـال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا اليومَ من رزق الإلٰه وأَبْشِرُوا * فإنَّ على الرحمــن رِزْقَكُمُ غدا

قال : وفى الشجاعة قول العباس بن مِرْدَاس :

أَشُدُّ على الكَتِيبة لا أُبالِى * أَحَتْفِى كان فيها أم سِـواها

---

(١) هو المعلوط كما فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثانى هكذا :
* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رحل صغير على قدر السنام . وفى أساس البلاغة : «ومن المجاز قولهم للملحّ : هو قتب يَعَضّ بالغارب ، وقتب مِلْحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك .

(٣) فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثرت قتلى ... الخ» .

(٤) رواية ديوان عروة بن الورد طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : «...أو تصيب رغيبة ... الخ» .

قال : و بيت المتلمّس[1] فى المـال وتثميره :

قليـلُ المـالِ تُصلحه فيَبْقَى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْبِل بن علىّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطِّرِمَّاح فى تميم :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى من القَطَا * ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

قال : وكذلك قولُ الأخْطَل :

قومٌ إذا آستنْبَحَ الأضيافُ كلبَهُمُ * قالوا لأُمِّهِــمُ بُولى على النـارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئة للزِّبْرِقَان فى قِصَر الهِمَّة :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَــلْ لِبُغْيَتِها * وآقعُدْ فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسِى

قال غيره : وقولُ الطِّرِمّاح فى القِلّة والخُمول :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمٰن خافيةٌ * من خَلْقِه خَفِيَتْ عنه بنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنت مَليخ[2] كلحم الحُـوَا * رِ لا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرُّ

وكذلك قولُ جَرِيرٍ[3] فى التَّيم :

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سـنة ١٣٠٥ ﻫ) والشعر والشـعراء للؤلف (ص ٨٨) ، ونهـاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٦٤) . ويروى صـدر البيت فى الأغانى والشـعر والشـعراء : «و إصلاح القليل يزيد فيـه ... اِلخ» . ويروى فى نهاية الأرب : «... مع الفساد» . وفى الأصل نسب البيت «لعبيد» . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذى يخر حين يقع من بطن أمّه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان فى ديوان جرير المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ ش أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَازارَتْ وأهلُ مِنًى هجودُ * وليت خيالَهـا بمِنًى يعود

ويروى فى الديوان : «... لو لقيت... أيهم ... اِلخ» ويروى : «... ...ولا يستأمرون... اِلخ» . وقد عزا صاحب الأغانى «ج٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق» البيت الأوّل مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنّك لو رأيتَ عبيــدَ تَيْم * وتَيْمًا قلتَ أيُّهما العبيــدُ
ويُقْضَى الأمرُحين تَغيبُ تيمٌ * ولا يُسْــتَأْذَنُون وهم شُهُودُ

وأحسن ما قيل فى الهيبة :

يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى من مَهَابته * فمــا يُكَلَّمُ إلّا حيـن يبتسِمُ

وأغرب ما قيل فى مصلوبٍ قولُ محمد بن أبى حَمْزَة مَوْلَى الأنصار :

لَعَمْرِى لئن أصبحتَ فوقَ مُشَذَّبٍ[(١)] * طَوِيلٍ تُعفِّيكَ الرياحُ مع القَطْرِ
لقد عِشْتَ مبسوطَ اليدين مُرَزَّأً[(٢)] * وعُوفِيتَ عندالموت من ضَغْطةالقبر
وأُفْلِتَّ من ضِيق التُّراب وغَمّه * ولم تَفْقِدِ الدنيا فهل لك من شــكر

وأغرب ما قيل فى مجوسىٍّ قول أعرابىّ :

شَهِدْتُ عليك بِطِيبِ المُشَاشِ[(٣)] * وأنّك بحرٌ جَــوادٌ خِضَمْ
وأنّك ســيِّدُ أهلِ الجحيم * اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

ومن أغرب ما قيل فى دَعِىٍّ قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوى[(٤)] :

لو أنّ مَوْتَى تميم كلّهــا نُشِرُوا * وأثبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
مثل الحديدِ اذا مازِيدَ فى خَلَقٍ[(٥)] * تَبيّن الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

ونحوه قولُ الآخر :

أجارتَنا بَانَ الخَلِيطُ[(٦)] فأبْشِرى * فما العَيْشُ إلا أن يَبِين خليطُ
أُعاتبُــه فى عِرْضِــه ليصونَه * ولا عِلْمَ لى أنّ الأمــيرَ لقيطُ

---

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .
(٣) فى أساس البلاغة للزمخشرى : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان برا » . (٤) كذا بالأصــل . وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرىّ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : «النبوىّ» بتقديم النون على الباء ولم نوفق فى المظانّ التى بين أيدينا الى استثباته . (٥) فى ديوان المعانى : «إنّ الجــديد ... الخ» . (٦) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دِعْبِل فى مالك بن طَوْق :

النـاسُ كلُّهُمُ يسعَى لِحَاجتـه * ما بين ذِى فَرَحٍ منهم ومَهْمومِ
ومالكٌ ظَـلّ مشغولًا بنِسْبتِه * يَرُمّ(١) منها خَرابًا غـيرَ مَرْمومِ
يبنِي بيـوتًا خرابًا لا أنِيسَ بها * ما بين طَوْقٍ الى عَمْرو بن كُلْثومِ

التلطُّف فى الكلام والجواب وحسن التعريض

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : تركَ عَقِيلٌ علياً وذهب الى مُعاوية ، فقال معاوية : يا أهل الشأم ، ماظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه؟ فقال عَقيل : يا أهل الشأم ، إن أخى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لى ، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لى . قال : وقال مُعاوية يوما : يا أهل الشأم ، إن عمّ هذا أبو لَهَب ، فقال عَقيل : يا أهل الشأم ، إن عمة هذا حَمَّالة الحَطَب ، وكانت أمّ جميل امرأة أبى لهب وهى بنت حَرْب .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو هِلَال عن قَتَادة قال قال عُبَيد الله ابن زِيَاد لقَيْس بن عَبّاد : ما تقول فىّ وفى الحسـين؟ فقال : أَعْفِنى أعفاك الله ! فقال : لَتَقُولَن ، قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفَعُ له ، ويجىء أبوك فيشفَع لك ، قال : قد علمتُ غِشّك وخُبْثك ، لئن فارقتنى يوما لأضَعَن بالأرض أكثَرَك شَعْرا .

قيل لمَيْمُون بن مِهْران : كيف رِضَاك عن عبد الأعلى(٢) ؟ قال : نِعْمَ المرءُ عمرُو ابن ميمون .

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّوا ووقف ، فقال له عمر : ما لك لم تَفِرّ مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنـين ، لم أَجْرِم فأخافَك ، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك .

---

(١) رمّ الحائط وغيره : أصلحه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدّثنى الفضلُ بن محمد بن منصور بن زِياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ٱبن طاهر ذاتَ يوم لرجل أمره بعمل : اِحذر أن تُخطِئ فأُعاقبَـك بكذا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابهُ على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلًا له هيئةٌ رَثّة، فسأل عنه، فقالوا : مِنْ تَغْلِب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقـال له : أرى رِجْلين قَلّمـا وَطِئتا البطحاء ، فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة(١)، وهى لى دونك، و بطحاء ذى قار(٢)، وأنا أحقُّ بها منك، وهذه البطحاء(٣) وسواءٌ العاكفُ فيه والبادِى .

حدّثنى سَهْل عن الأصمعىّ عن أبى عَمْرو بن العلاء أو غيره : أنّ مُعاوية عَرَض فرسًا على عبد الرحمن بن حَسّان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجَشَّ هَزِيمًا(٤) . يريد قول النجاشىّ(٥) :

وَنَجَّى ٱبنَ حَرْبٍ(٦) سابحٌ ذُو عُلَالةٍ(٧) * أجشُّ هَـزِيمٌ والرماحُ دَوَانِى

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حَمّاد بن سلمة قال أخبرنا داود بن أبى هنـد عن محمد بن عَبّاد المخزومىّ أن قريشًا قالت : قَيِّضُوا(٨) لأبى بكر

---

(١) الجزيرة هى التى بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيـل . والهزيم من الخيل : الشـديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشىّ قال فيه هذا البيت رفع ثندوتيه (تثنية ثندوة وهى للرجل بمنزلة الثدى للمرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيـل لا تجرى بمثلى فكيف قال هـذا ! راجع الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جرى الفرس . (٨) قيضوا : هيئوا وٱنتخبوا له .

رجلا يأخذه، فقيّضوا له طَلْحة بن عُبيد الله ، فأتاه وهو فى القوم فقال : يا أبا بكر قم إلىّ ، قال : إلامَ تدعونى؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعُزّى ، قال أبو بكر: من اللّات؟ قال بناتُ الله ، قال : فمن أمّهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه : أجيبوا صاحبَكم ، فسكتوا ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر، فإنى أشْهد أن لا إلٰهَ إلا الله وأشهد أنّ محمّدا رسولُ الله ، فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن مُعاوية عن أبى إسحاق عن عُبيد الله بن عمر أنّ عمر قال : من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل[1]؟ فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وَشَل[2] ، وتَمْرُها دَقَل[3] ، ولِصّها بَطَل ، إن كان بها الكثيرُ جاعوا ، وإن كان بها القليـلُ ضاعوا ، قال عمر : لا يسألنى الله عن أحدٍ بعثتُه إليها أبدا .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال : مَرِض زِيادٌ فدخل عليه شُرَيْح ، فلما خرج بعث إليه مسروقُ [بن الأجدع يسأله][4] كيف تركتَ الأمير؟ قال : تركته يأمر وينْهَى ، فقال [مسروق][4] : إن شُرَيحًا صاحبُ تعريض[5] فسَلُوه [فسألوه][4] ، قال : تركته يأمر بالوصيّة وينَهى عن البكاء . ومات ابنٌ لشُرَيح ولم يشعرُ به أحدٌ ، فغدا عليه قوم يسألون به ، وقالوا : كيف أصبح مَن تَصل يا أبا أميّة؟ فقال : الآن سكن عَلَزُه[6] ورجاه أهلُه .

---

(١) كذا فى معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى ، هى مدينة بالسند . وفى الأصل : «فتدابيل» بالفاء .

(٢) الوشل بالتحريك : الماء القليل والكثير ضدّ . والمراد هنا الماء القليل .

(٣) الدقل بالتحريك : أردأ التمر .

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .

(٥) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : « ... صاحب عويص الخ» .

(٦) العلز بالتحريك : القلق والكرب عند الموت .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى بعض الأعراب قال : هَوِىَ رجلٌ امرأةً ثم تزوّجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقًّا من خمر ، فشرب الرسولُ فى الطريق بعضَ الخمر وذبح شاةً ، فقالت للرسول لمّا أراد الانصراف : اقرأ على مولاك السلام ، وقل له إنّ شهرنا نَقَص يوماً ، وإن سُحَيْماً راعِى شائنا أتانا مرثوما[١] . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقرّ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : خَطَب أعرابى إلى قوم ، فقالوا : ما تبذل من الصَّدَاق؟ وارتفع السَّجْف[٢] فرأى شيئاً كَرِهَه ، فقال والله ما عندى نَقْد ، وإنى لأكره أن يكون علىّ دَيْن .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال : قال سَلْم بن قُتَيبة للشَّعْبِىّ : ما تشتهى ؟ قال : أعزّ مفقود ، وأهون موجود ؛ قال : يا غلام اسقه ماء .

المدائنى قال : كان لابن عَوْنٍ ابنُ عمٍّ يُؤذيه ، ولَاحَاه[٣] يومًا فقال له ابن عون ، لمّا بلغ منه : لتسكتُنّ أو لأشتِمَنّ مُسَيلِمَة . فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله بن الحسن ، فردّ شهادتَه .

المدائنى قال : قال المغيرة بن شُعْبة : ما خَدَعنى أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب ، فإنى ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها ، إنى رأيت رجلا قد خلا بها يقبّلها ، ثم بلغنى بعدُ أنه تزوّجها ، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمنى أنك رأيت رجلا يقبلها؟ فقال : بلى ! رأيت أباها يقبّلها .

---

(١) مرثوم : مكسور ، يقال : رُثِم أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرها : الستر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائنى : أتى شُريحا القاضىَ قومٌ برجل، فقالوا : إن هذا خَطَب إلينا : فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ، فلما زوّجناه، فإذا هو يبيع السنانير، قال : أفلا قلتم أىَّ الدوابّ تبيع! وأجاز ذلك .

المدائنى قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده آبن شُبْرُمَة، فقال له : أتعرفه؟ [وكان رُمِى عنده بريبة] قال : نعم، إنّ له بيتاً وشَرَفاً وقَدَماً ، [فخلّى سبيله](١) فلما خرج قال له أصحابه : أعَرَفته ؟ قال : لا، ولكنى أعلم أن له بيتا يأوى إليه، وشرفه أُذناه ومَنْكِباه، وقَدمه هى قدمه التى يمشى عليها .

المدائنى قال : سُئل الشعبىّ عن رجل، فقال : إنه لنافذ الطَّعْنة، رَكين القعْدة(٢)، يعنى أنه خيّاط [فأتوه فقالوا : غَرّرتنا ؛ فقال : ما فعلت! وإنه لَكَما وصفت](٣) .

المدائنى قال : أُتِىَ العُرْيانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران، فقال له : من أنت؟ فقال :

أنا آبنُ الذى لا ينزِلُ الدهرَ قِدْرُهُ(٤) * وإن نزلتْ يومًا فسوف تعودُ
ترى النـاسَ أفواجًا إلى ضَوْء نارِه * فمنهـم قِيامٌ حولهَـا وقُعـودُ

فظنّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخـلّاه ، ثم ندِم على ألّا يكون سأله مَنْ هو ، فقال لبعض الشُّرَط : سَلْ عن هذا، فسأل، فقالوا : هو آبن بيّاع الباقِلَّى .

دخل حارثةُ بن بدر الغُدَانىّ على زِياد، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال حارثة(٥) : أصلح الله الأمير، ركِبت فرسا

---

(١) الزيادة عن العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٥٨) : « ركين الجلسـة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .
(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : «الأرض» .
(٥) فى الأصل : «فقال زياد» وهو سهو من الناسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صَدَم بى الحائط ، فقـال زياد : أَمَا إنك لو ركبت الأشهب لم يُصبك مكروه : عَنَى زيادُ اللبنَ ، وعنى حارثةُ النبيذَ .

قعد قوم على نبيذ(١) فسَقَط ذُباب فى قَدَح أحدهم ، فقال رجل منهم : غُطَّ التميمىّ ، فقال آخر : غُطَّه فإن كان تميميًّا رَسَب ، وإن كان أَزْديًّا طَفَا ؛ قال ربّ المـنزل : ما يسرّنى أنه كان[قال](٢) بعضكم(٣) حرفا . وإنما عنى أن أَزْدَ عُمَان مَلّاحون .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد آمرأة كانت تأتيه خاتمَ ذهبٍ ، فقال لهـا : ادفعى إلىّ خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذَهَب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

حدّثنى الزيادىّ قال حدّثنا عبـد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أَنَس قال : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردفًا أبا بكر شيخًا يُعْرَف ، ورســول الله شابٌّ لا يُعرف ، فيَلْقَى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، مَنْ هذا [الرجل الذى](٤) بين يديك ؟ فيقــول : [هــذا الرجل](٤) يهدينى السبيل ؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق ، وإنمـا يعنى سبيلَ الخير .

كان سِنَان(٥) بن مُكَمَّل النميرىّ يُساير آبنَ هُبَيْرَةَ يوما وهو على بغلة ، فقال له عمر بن هبيرة : غُضَّ(٦) من بغلتك ، قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد آبن هبيرة قول الشاعر :

(١) ورد هــذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسى) بتفصيل عما هنا . وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عَدَوْلىّ يتعصب لأصحابه من تميم . فلمـا رأى القوم يهينون تميما عرّض بأنهــم ملّاحون تعييرا لهم .
(٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ .
(٣) فى الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بعضهم» .
(٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة .
(٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . وفى نهـاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هبيرة الفزارىّ لأيوب بن ظبيان النميرىّ ... الخ» . وفى كتاب الكنايات للثعالبى (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ : «ساير شريك بن محمد النميرىّ عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» .
(٦) هو جرير .

فغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُمَـيْرٍ * فلا كَعْبًـا بلغتَ ولا كِلَابَا

وأراد سنان قولَ الآخر[١] :

لا تأمَنَنّ فَزَاريًّا خَلَوْتَ به * على قَلُوصك وٱكتُبْها بأَسْـيَارِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشىء المُلَفَّف فى البِجَاد؟ فقال: هو السَّخِينة[٢] يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم * فسَرَّكَ أن يعيش فجِئْ بزَادِ
بخُبْزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ * أو الشىء المُلَفَّفِ فى البِجَادِ[٣]

وأراد الأحنف أن قريشا تُعَيَّر بأكل السخينة .

المدائنى قال : سأل الحَرَسىّ أبا يوسف القاضى عن السواد ؛ فقال : النور فى السواد . يعنى نور العينين فى سواد الناظر .

المدائنى قال : لقى شيطانَ الطَّاقِ[٤] خارجىٌّ فقال : ما أُفارقك أو تبرأ من علىّ ، فقال : أنا من علىّ ومن عثمان برىء . يريد أنه من علىّ ، و برىء من عثمان .

سمع عمر بن الخطّاب ٱمرأةً فى الطَّوَاف تقول :

فمنهنّ من تُسْقَى بعَـذْبٍ مُبَرَّدٍ * نُقَاخٍ[٥] فتلكم عنـد ذلك قَرَّتِ
ومنهن من تُسْقَى بأخضرَ آجنٍ[٦] * أُجَاجٍ[٧] ولولا خَشْيَةُ الله فَرَّتِ

(١) هو سالم بن دارة كما فى الشعر والشعراء للؤلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٤٨١) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٥٥ ٨ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة : طعام يتخذ من دقيق وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سُمّوا سخينة . (٣) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق : حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق ؛ واليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . (٦) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج : شديد الملوحة والمرارة .

فعـلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغيرّ الفم ، فخيّره بين خمسمائة درهم أو جاريةٍ من الفَيْء على أن يطلّقها، فاختار خمسمائة، فأعطاه وطلّقها .

حدّثنى أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال: كنت واقفا بهذا المكان، وأقبلت آمرأة من هذه الناحية، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه ، ونظرت إليه المرأة، فلما آلتقيا قالت له : ما آسمك يافتى ؟ قال : محمد؛ قالت : ابن من ؟ قال : آبن زانة، وتبسّم عن ثغر أفلج(١) مختلف قبيح؛ فقالت : واحَرَباهُ على ما قال! فقلت لها : قد وقعتُ لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبى الخير النصرانىّ كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبى الخير الى زانة، صار هذا أبا الخر، وصار هذا آبن زانية .

مر آبن أبى عَلْقمة بمجلس بنى ناجية(٢) فكَبَا حمارُه لوجهه فضحكوا؛ فقال : ما يضحككم ! إنه رأى وجوه قُرَيش فسَجَد .

قال عمرو بن بحر(٣) قال أبو الهذيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده : ياأبا جعفر، إنى رجلٌ مُنخرِق الكفّ لا أُلِيق(٤) درهما، ويدى هذه صَنَاعٌ فى الكَسْب ولكنها فى الإنفاق خَرْقاء، كم من مائة ألف درهم قَسَمتها على الإخوان فى مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك! أسألك بالله ياأبا عثمان، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشـك فيما تقول؛ قال : فلم يرضَ أن حَضَرتُ حتى آستشهدنى ، ولم يرض إذ آستشهدنى حتى آستحلفنى .

---

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجـية : قبيلة، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤىّ بن غالب بن فهـر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هـذا الخبر فى كتابه « البخلاء » (ص ١٤٨ طبع مدينة « ليـدن » سنة ١٩٠٠ م) .

(٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

قال المدائنىّ : بعث يزيد بن قَيْس الأرحَبِىّ ، وكان واليا لعلىّ ، إلى الحسن والحسين رضى الله عنهم بهدايا بعد آنصرافه من الولاية وتَرَكَ آبن الحَنَفيّة ، فضرب علىّ — عليه السلام — على جنب آبن الحنفيّة وقال :

وما شَرُّ الثـلاثةِ أُمَّ عمرٍو * بصاحِبِك الّذى لا تَصْبِحِينا (١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفيّة بهديّة سنية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى موسى بن محمد قاضى المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابى يوقد فى أصل مِيلٍ ، فقال : كم على الميل؟ فقال : لستُ أقرأ ، ولكنّ كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه؟ قال : مِحجَنٌ (٢) وحَلْقَة سِمْط وثلاثة أَطْباء وحَلْقَة مُذَنَّبة (يعنى صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة (٣) هو الذى قيل فيه :

لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا ليَعْلَما

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك (٤) ، فأراد الملك أن يبعث رائدًا يرتاد له منزلًا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليه ، فآلى الملك لئن جاء ذامًّا أو حامدًا ليقتلنّه ؛ فلما جاء عمرو وسَعْدٌ عنده ، قال سعد للملك : أتأذَنُ لى فأكلّمه؟ قال : إذًا أقطع لسانك ؛ قال : فأُشير إليه ؛ قال : إذًا أقطع يدك ؛ قال : فأُومئ إليه ؛ قال : أقطع حِنْوَ (٥) عينك ؛ قال : فأقرَعُ له العصا ؛ قال : اقرَعْ . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا فى معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفى الأصل « لا تصحينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقينه الصبوح . (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ و بثلاثة أطباء : السين ، و بحلقة مذنبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حلمات الضرع التى فيها اللبن من ذوات الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٤ — ٢٠٧) مع اختلاف فى الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما فى الأغانى . (٥) حنو العين : حِجَاجها وهو العظم الذى ينبت عايه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بهـا عن شماله ثم هزَّها بين يديه، فلَقِن(١) عمــرو، فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتيتُـك من أرض زائرها واقف، وساكنُها خائف، والشَّبْعَى بهـا نائمة، والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة، ولم أرِ خصْبًا محلا، ولا جدبامزلا(٢) .

لمـا حُكِّمَ أبو موسى وقَدِمَ ليحكم، دَسَّ معـاويةُ الى عمرو رجلًا ليعلم علمَه وينظر كيف رأيه؛ فأتاه الرجل فكلّمه بمـا أمره به؛ فعَضّ عمرو على إبهامــه ولم يُجبــه؛ فنهَض الرجل فأتى مُعاويةَ فأخبره؛ فقال : قاتله الله ! أراد أن يُعلمنى أنى فَرَرْتُ قارِحًا(٣) .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمـعى قال حدّثنـا عيسى بن عمر قال : سأل الحجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلّ عليه، فقال : تركته والله جسدا يُحَرِّك رأسُه يُصَبُّ فى حلقه المـاء، والله لئن حُمِـلَ على سرير ليكونَنّ عليــه عورةً؛ قال : فتركه .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن خالد بن خِدَاش عن حمّاد عن مُجالد عن عُمَيْر ابن روذى(٤) قال : خَطَبَنا علىٌّ عليه الســلام فقال : لئن لم يدخل الجنـة إلا من قتل عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النـار إلا من قتـل عثمان لا أدخلها(٥)؛ فقيـل له :

(١) لقن كفرح : فهم . (٢) كذا فى الأصـل . وورد الخبر فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق) : « ... فأقبل عمرو حتى قام بين يدى الملك فقال له : أخبرنى، هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا؟ فقال عمرو : لم أذمم هزلا، ولم أحمد بقلا؛ الأرض مشكلة، لا خصبها يعرف، ولا جدبها يوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك : أولى لك » . وورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد فى مجمع الأمثال وفيه «لم أذمم جدبا» بدل «لم أذمم هزلا» . (٣) فرّ الدابة فرّا وفرارا : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . والقارح من ذى الحافر : الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اختبر محنكا . (٤) كذا فى الأصل . ولم نعثر على هذا الاسم . (٥) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) : «لا دخلتها أبدا» .

ما صنعتَ! فرقتَ الناس! فخطبهم فقال: إنكم قد أكثرتم فى قتل عثمان، ألَا وإن الله قتَله وأنا معه؛ قال: فحدّثنا خالد عن حمّاد عن حَبيب بن الشَّهيد عن محمد بن سِيرينَ قال: كلمةٌ عربيّة لها وجهان. أى وسيقتلنى معه.

سأل زيادٌ رجلا بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وَاسط، قال: مالكَ من الولد؟ (١) قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبك فى كل ما سألته، ما له إلا ابنٌ واحد، وإن منزلَه بالبصرة. فلما عاد إليه، قال: ذكرتَ أن لك تسعة من الولد، وأن منزلك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقتُ وصَدَقوك، دفنتُ تسعةَ (٢) بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد ولست أدرى أيكون لى أم لا؛ وأما منزلى فالى جانب الجَبّان (٣) بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأىّ منزلٍ أوسط منه! قال: صدقت.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: ياشُرْطة الله، لَيخرُجَنّ الى قريبٍ على الكعبة الحرام دابّةٌ (٤) له ستُّ قوائمٌ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم ٱلتفت الى رجل الى جانبه فقال: أعنى اليَعْسُوب.

كان إبراهيم اذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس الىّ.

بلغنى عن معاوية بن حَيّان عن المبارك بن فَضَالة عن عبد الله بن مسلم بن يَسَار، قال: كان أبى اذا غَضِب على البهيمة، قال: أكلتِ سمًّا قاضيا.

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لى تسعة من الولد قدّمت منهم ثمانية فهم لى وبقى معى واحد، فلا أدرى ألى يكون أم علىّ».

(٣) الجبان والجبانة بالتشديد: المقبرة.

(٤) تقع الدابة على المذكر والمؤنث؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

حدّثنى زيد بن أخزم [١] قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا أبو المِنهال البَكْرَاوىّ [٢] قال: كان الحسن اذا أُخِذَ من لِحْيته شىء، قال : لا يكن بك السوءُ .

وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحباً له فى منزله وكان يصلى، فقال : أدخل ؟ فقال فى صلاته : (أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علىّ اذا رأى مُبتلًى أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من داره ياسائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هــذا ؛ ويقول : سمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون : ياعبد الله بُورك فيك .

قيــل لعلىّ بن أبى طالب عليه الســلام : كم بين السماء والأرض؟ قال : دعوة [٣] مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب؟ قال : مسيرة يوم (يعنى للشمس) .

كان رِشْمُ [٤] عمر بن مِهْران الذى يرشُم به على طعامه : اللهم آحفظه ممن يَخْطَفه .

خرج رجل من بنى أَسَد بإبل له يسقيها، ومعه آبنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع إلى ماء لبنى فَزَارة، فسألهم أن يأذنوا له فى سقى إبله ؛ فقالوا : على ألا تجاجِئَ [٥] بها ، قال : فإذًا لا تشربُ شُرْبَ خير ؛ قالوا : إن رَضيتَ وإلا فانصرفْ ؛ فقالت له الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلوَ ، وجعلت الجارية ترتجز وتقول :

(١) هو بمعجمتين كما فى تهذيب التهذيب، وفى الأصل «أحزم» بالحاء المهملة وهو تحريف .

(٢) البكراوى بفتح الباء وسكون الكاف بعــدها الراء المهملة منسوب الى أبى بكر الثقفى وهو من الصحابة الذين نزلوا البصرة رضى الله عنهم كما فى كتاب الأنساب للسمعانى .

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : « مسيرة ساعة لدعوة مســتجابة » .

(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم، والروشم لوح منقوش تختم به البيادر .

(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود المـاء لتشرب بقوله : جِئْ، جِئْ .

جاريةٌ شَبَّتْ شباب العُسْلُج (١) * ذاتُ وِشاحين وذاتُ دُملُج
وذات ثَغْــرٍ أشنبٍ مُفلَّجِ (٢) * وذات خَلْقٍ مُستتِبٍّ مُـدْمَجِ

فى أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوِيتْ من غير أن جاءَ بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا (٣) ولا يتنحنح ، فلمـا شربه [و] (٤) تقطّع فى حلْقه، قال: كَبْشٌ أملح، فقال صاحبه : فَعلَهَا وربِّ الكعبة! فقال : مَن فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعى : قلت لأعرابى معه شاءٌ : لمن هذه الشّاء ؟ فقال: هى لله عندى .

حدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدّثنا أبو الصهباء قال : قال الحجّاج لسَعيد بن جُبَيْر : اِخْتَرْ أىَّ قِتْلةٍ شئتَ ؛ فقال له : بل آختر أنت لنفسك، فإن القِصاص أمامك .

وَلِىَ هَرْثمةُ الحرَس مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر : ما آنتقلت عنى نعمةٌ صارت إليك .

أمر (٥) الحجّاجُ آبنَ القِرِّيّة أن يأتى هنـدَ بنت أسمـاء فيطلقها بكلمتين، ويُمتّعها بعشرة آلاف درهم ؛ فأتاها فقال لها : إن الحجّاج يقول لك : كنتِ فبِنْتِ ، وهذه عشرة آلاف مُتْعةً لك ؛ فقالت : قل له : كنّا فما حَمِدْنا، وبِنّا فما نَدِمْنا؛ وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياى بطلاق .

(١) العسلج : الغصن الناعم . والدملج : ما يشدّ على العضد من الحلى .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدمج : مكتنز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحـازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسط عما هنا .

سئل سُفيان بن عُيَيْنة عن قول طاوُس فى ذَكَاة السمك أو الجراد، فقال ٱبنه عنه : ذَكَاتُه صيدُه .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذْرَة يقــال له يزيد بن المقنّع ، وٱخترط[1] من سيفه شبرا ، ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا ، وأشار الى مُعاوية ، فإن يَهْلِكْ فهذا ، وأشار الى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيّد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لٱبن شُبْرُمَة : مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ ؛ قال ٱبن شبرمة : ثم لم يَعُدْ إليكم .

قال المدائنىّ قال معاويةُ لٱبن عبّــاس[2] : أنتم يابنى هاشم تُصابون فى أبصاركم ؛ فقال ٱبن عباس : وأنتم يابنى أمية تصابون فى بصائركم . وقال له معاوية : ما أبينَ الشَّبَق فى رجالكم ! فقال : هو فى نسائكم أَبْيَن .

أبو اليقظان قال : قال ٱبن ظَبْيان التَّيْمىّ لزُرْعة بن ضَمْرَة : لقد طلبتــك يوم الأهواز ولو ظَفِرتُ بك لقطعت منك طابِقًا سُخْنا ؛ قال : أفلا أدلُّك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بَظْرُ بين إِسْكَتَىْ أُمّك .

أبواليقظان قال : بعث الحجّاج إلى الفُضَيْل بن بَزْوَان العَدْوانى ، وكان خيِّرا من أهل الكوفة ، فقال : إنى أريد أن أُوَلِّيَك ، قال : أَوَ يُعفينى الأمير ؟ فأبى وكتب عهدَه ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهَرَب ، فأُخِذَ وأُتِىَ به الحجّاجُ ، فقال : يا عدوّ الله ؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدوّ ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردتَ أن تُهينَنى ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدنى ؛ قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر . (٢) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) الآية؛ قال : ما استوجبتُ واحدةً منهن؛ قال: كل ذلك قد استوجبت بخلافك. وأمر رجلا من أهل الشأم أن يضرب عُنقه .

سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنى حجر بن عبد الجبّار عن عبد الملك بن عُمَير قال : كان(١) فى مجلس زياد، الذى يجلس فيه للناس بالكوفة، فى أربع زواياه كتَاب بقلم جليل : "الوالى شديد فى غير عنف، ليّن فى غير ضعف؛ الأَعْطية لإبّانها، والأرزاقُ لأوقاتها؛ البُعُوث لاتُجَمَّر(٢)؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه، والمسيء يُؤْخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدّثنا أبو سفيان الحميرىّ قال : أَبْلَى أبو جَهْم بن كِنَانة يوم الراوية، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج : قد زدناك فى آسمك ألفا ولاما فأنت أبو الجهم، وزدنا فى عطائك ألفا .

العباس بن بَكّار عن عُبَيد الله بن عمر الغَسّانىّ عن الشعبىّ قال : قال مُعاوية لشدّاد بن أوس : ياشدّاد، أنا أفضل أم علىّ؟ وأينا أحبُّ اليك ؟ فقال : علىٌّ أقدمُ هِجرةً، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً، وأشجعُ منك قلبا، وأسلمُ منك نَفْسًا؛ وأما الحبّ فقد مضى علىّ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنفُ لمعاوية فى كلام : أنت أعلمُنا بيزيد فى ليله ونهاره، وسرّه وعَلَانِيَته، فلا تُلقمه الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : «كان فى مجلس زياد مكتوب : الشدّة فى غير عنف، واللين فى غير ضعف؛ المحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يعاقب بإساءته؛ الأعطيات فى أيامها؛ لا آحتجاب عن طارق ليل، ولا صاحب ثغر» . (٢) تجمير البعوث : جمعهم فى الثغور وحبسهم عن العود الى أهليهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعىّ أنشده :

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

خطب الحجّاجُ فشكا سوءَ طاعة أهل العراق، فقال جامعٌ المحاربىّ : أَمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك(١) ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع مايباعدهم منك الى ما يقرّبهم إليك، والتمس العافيةَ فيمن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وعدِك؛ فقال الحجاج : والله ما أُرانى أردّ بنى اللَّكيعة الى طاعتى إلا بالسيف؛ فقال : أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخِيار؛ قال الحجّاج : الخَيار يومئذ لله؛ قال: أجل ! ولكنّك لا تدرى لمن يجعله الله؛ فقال : ياهَنَاهُ(٢)، إنك من مُحارب! فقال جامع :

وللحـــرب سُمِّينا وكنّا مُحـاربًا * اذا ماالقَنا أمسى من الطعن أحمرا

فقـال الحجاج : والله لقــد هَمَمتُ أن أخلع لسانك فأضربَ به وجهك؛ فقال له يا حجّاج : إن صَدَقْناك أغضبناك، وإن كَذَبناك أغضبنا الله، فغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

قال الأصمعىّ أخبرنا شيخ من قُضَاعة، قال : ضَلَلْنا مرةً الطريقَ فاسترشدنا عجوزًا، فقالت : اِستبطِن الوادىَ وكن سيلًا حتى تبلُغَ .

ابن الكلبىّ قال(٣) : كتب معاوية الى قيس بن سعد(٤): أما بعد، فإنما أنت يهودىٌّ ابن يهودىّ، إن ظَفِرَ أحبُّ الفريقين اليك عَزَلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكّل بك، وقد كان أبوك وَتَرَ قوسَه ورمى غَرَضَه، فأكثر الحَزّ وأخطأ

---

(١) فى الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» . (٢) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فاذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل : ياهناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرها لاجتماع الساكنين . (انظر اللسان مادة هنا) . (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة» .

(٤) فى الكامل : «الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب» .

المَفْصِل، فخذله قومُه، وأدركه يومُه، ثم مات طريدًا بحَوْران؛ والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ، فإنما أنت وثنٌ ابن وثن[١]، دخلت فى الإسلام كرها وخرجت منه طوعا، لم يقدُم إيمانك ولم يحدُث نِفاقك، وقد كان أبى وترقوسه ورمى غرضه ، وشَغَّب[٢] عليه من لم يبلُغ كعبه ولم يشُقّ غُباره، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه، وأعداءُ الدين الذى خرجت اليه؛ والسلام .

قال يحيى بن سَعِيد الأُمَوِىّ : سمعت الأعمش يقول لخالد بن صَفْوان : شَعَرت أن منزلك لأيعرف إلا بى حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد : صدقتَ، مثل حمام عنترة، ويقال وردان وبيطار (حيان) .

قال الربيع لشَريك بين يدى المهدىّ : بلغنى أنك خُنت أمير المؤمنين؛ فقال شَريك : لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك .

قال رجل من العرب: أُرِيتُ البارحةَ فى منامى كأنى دخلت الجنةَ فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل : للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالى : أصعِدتَ الغرف ؟ قال : لا ؛ قال : فتلك لنا .

وكتب قُتَيبة بن مسلم الى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر[٣] . فكتب اليه ابن ظَبْيان : من ذلك الشجر كان بَرْبطُ[٤] أبيك . يعنى مسلم بن عمرو، وكان مغنيًّا ليزيد بن معاوية .

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) والكامل للبرد (ص ٢٩٨) ولعلها : وثنى ابن وثنى ، نسبة الى الوثن وهو الصنم . (٢) شغب عليه (بالتشديد) : هيج عليه الشر . (٣) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى تحقيقه.أو فهم التعريض منه . (٤) البربط كجعفر : العود من آلات الموسيقى ، وقيل هو معرّب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط فى الأصل هنا ، ومعنى بربط بالفارسية : صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به .

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء : يافاعلة، فقالت : لو كنتُ كما تقول أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لابنـــه : يابن الفاعلة ، فقال : والله لئن كنتَ صدقتَ ما فعلتْ حتى وجدَتْك فحلَ سَوْء .

أتت ابنةُ الخُسّ عُكَاظ، فأتاها رجل يمتحن عقلَها ويمتحن جوابَها، فقال لها : إنى أريد أن أسألكِ، قالت : هاتِ. قال : كاد ، فقالت : المتَعِل يكون راكبا. قال : كاد، قالت : الفقر يكون كُفْرا ، قال : كاد، قالت : العَرُوس تكون مَلِكا. قال : كاد، قالت : النَّعامة تكون طائرا ، قال : كاد، قالت : السِّرار يكون سِحْرا. ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى، قالت : عجبت، قال : للسِّباخ لا ينبت كلؤُها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ، قال : للحجارة لا يكبرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها . قالت : عجبت، قال : لشُفْرِك لا يُدْرَك قعرُه ولا يُملأ حفرُه .

المدائنىّ قال : كان عُرَام[1] بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرة، فألقى إليه ابنُ هبيرة خاتَمه وفصُّه أخضر، فعقد عرام فى الخاتم سَيْرا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زَرِقَتْ عيناك يابن مُكَعْبَرٍ * كما كُلُّ[2] ضَبِّىٍّ من اللُّؤمِ أزرقُ

وأراد عُرَام :

لا تأمنَنّ فَزَارِيًّا خلوتَ به * على قَلُوصك واكْتُبْها بأَسْـــيارِ

قال جرير للأخطـــل : أرِقتُ نومَك ، واستهضمتُ قومَك، قال الأخطل : قد أرِقت نومى، ولو نمتُ كان خيرا لك .

(١) كذا فى الطبرى (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثانى) . وفى الأصل : "عذام" بالذال المعجمة . (٢) كذا فى اللسان مادة "زرق" والأغانى (ج ١٩ ص ٤٩ طبع بولاق) وفيه ينسب الشعر الى سويد بن أبى كاهل . وفى الأصل : « كما ظل ظبى ... » وهو تحريف .

أراد معاويةُ أن يخطُب بصِفِّين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلّم، فإن أتيتُ على ما تريد وإلّا كنتَ من وراء ذلك، فأذِنَ له، فتكلّم بكلمات، قال : قدّموا المُسْتَلْئِمة(١) وأخّروا الحُسَّر، كونوا مِقصَّ الشارب، أعيرونا أيديَكم ساعةً، قد بلغ الحق مَفْصِلَه، إنما هو ظالم أو مظلوم .

حدّثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التميمي عن عبد الله بن أحمد بن الوَضّاح، قال : دخل أعرابيّ على عبد الملك بن(٢) مروان، فقال له : يا أعرابيّ صف الخمر فقال :

شمولٌ إذا شُجّت وفي الكأس مُزّةٌ * لها في عِظام الشاربين دَبيبُ
تُريك القَذَى من دونها وهي دونَه * لوجهِ أخيها في الإناء قُطُوبُ

فقال : ويحك يا أعرابيّ ! لقد اتّهمك عندي حسنُ صفتك لها، قال : يا أمير المؤمنين واتّهمك عندي معرفتُك بحسن صفتي لها .

مقطّعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

لو أخطأتُ سبيلَ إرشادك، لما أخطأتُ سبيلَ حسن النية فيما بيني وبينك .

لو خطر ذلك ببالي من فعلك، ما عرّضتُ سِترَ الإخاء للهَتْك بيني وبينك .

قد أحسنت في كذا قديما . وفعلُك كذا إحدى الحُسْنَيَيْن بل ألطفهما موقعا .

أنت رجلٌ لسانُك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك(٣) . فقَدِّم على نفسك مَنْ قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرتَ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلا مَثَّلَ الذكرُ منك لي محاسنَ تزيدني صبابةً إليك وضَنًّا بك واغتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلئمة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدروع .
(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد ...» . «وورد فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «كميت اذا شجت وفي الكأس وردة» .
(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أن تُسهِّل لأخيك السبيلَ الى ما تقتضيه نفسُـك من بِرّك ومُعَاوضتك(١) ببعض ما سَلَفَ لك .

ما هــذا الغَبَا العجيب الذى الى جانبه فِطنــةٌ لطيفة. حكمُ الفَلَتات خِلافُ حكم الإصرار .

من أخطأ فى ظاهر دنيـاه وفيما يُؤخذ(٢) بالعـين، كان حَرِيّاً أن يُخطئ فى باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أوّل ما أُحبّ أن أُوثِرك به وأَقضِىَ فيه واجبَ حقّك، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك، وحثُّك على الازدياد ممـا يَزيدك .

من كان بمثـل موضعك يجُمَعَ له حمدُ إخوانه ورضا مُعامليه والاستقصاءُ مع ذلك لمن استكفاه، فقد عَظُمت النعمةُ عليه، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه الى ما يجد به طعمَ الحمد !

قد حَسَدك من لا ينام دونَ الشِّفاء(٣)، وطلبك من لا يُقصِّر دون الظفر، [فاشدُد حَيازِيمَك وكن على حَذَر(٤)] .

أنت تَجنَّى على مالك لتتلفه بأسباب العِلَل، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال . أنت طالبُ مَغنَم، وأنا دافع مَغرَم، فإن كنتَ شاكرا لما مَضَى، فاعذِرْ فيما بَقِى . مكرُك حاضر، ووفاؤك متأخّر. أنا راضٍ بعفوك، باذلٌ لمجهودى .

نوائب الأيام رمَتْ به ناحيتك، واذا رأيتَه أنبأك ظاهرُه عن باطنه ودعاك الى محبّته قبولُه، وهو فى الأدب بحيث المستغنِي عن النسب(٥) .

(١) فى الأصل "ومعارضتك". (٢) كذا فى العقد الفريد. وفى الأصل: "وفيما توجد..." .
(٣) فى الاصل: "السفا" . (٤) زيادة عن العقد الفريد. (٥) فى الأصل: "السبب".

قد آن أن تَدَع ما تسمع لما تعلم وإلّا يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثَقَ من نفسك فيما تعرِفه .

هذا فلان قد أتاك على رِقَّةٍ من حاله وبُعْـدٍ من شُقَّته، فنَشَدْتُك الله أن تقدّم شيئا على تصديق ظنّه وسَدّ خَلّته وبَلّ ما يَبَّست هذه النكبةُ من أَديمه، فإنه غَذِيُّ نعمةٍ وخدينُ مُروءة .

أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِراسة تَعِدُنيه فيك . الحرِّيَّةُ نسبٌ .

فهمتُ ما ٱعتذرتَ به فى تأخُّرك، وغضضتَ به منى طَرْفًا طامحا إليك ونفسًا تَوّاقةً الى قُرْبك .

وصل كتابك فكان موقعه مَوْقِعَ الرُّوح من البَدَن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يَدَع سبيلا من سُبُل البر وإن عَفَا ودَثَر إلا أناره وأوضح مَحَجَّته، ولا خَلَّة من خلال الخير لا أوّلَ لها إلا ٱهتبل الفرصة (١) فى إنشائها، وٱختيار مَكرمة ٱبتدائها، لتِجبَ له مساهمةُ الفارِط (٢) فى أجره، ويكونَ أُسوةَ الغابر فى ثوابه .

لولا وجوبُ تقديم العذر لصاحب السلطان، فى الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته، بما يستولى عليه من الشغل بعمله، إذًا لكَثُرَ العَتْبُ .

إنك لكل حسن أبليته، ومعروف أسديتَه، وجميل أتيتَه، وبَلاءٍ كان لك ربيتَه، أهلٌ فى الدين والحَسَب القديم .

لك — أعزّك الله — عندى أيادٍ تشفَعُ لى الى محبّتك، ومعروفٌ يُوجب عليك الرَّبّ (٣) والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة . وفى العقد الفريد «الود والإتمام» .

أفعال الأمير مختارةٌ كالأمانى، متّصلةٌ عنـدنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونُواصل الدعاء والذكر مواصلةَ بِرّه .

أبدأ بذكر يدك التى أجارتنى على صرف الزمان، ووقتنى نوائب الأيام، وثَمّرت لى بقية النعمة، وصانت وجهى عن آستعباد مِنَن الرجال، وبَسَطتْ لى الأملَ فى بلوغ ما ناله بك مَنْ رفعت خسيستَه ونوهتَ بذكره، وأعانتنى على آتبـاع مذهب المـاضين من سلفى فى الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدى غيركم، حتى خَلَصتْ لهم منكم فعزّوا، ولم يشغَلوا شكرَهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعة لسواكم لِمـا آعتدّوا، ولم تتشعّبهم الدنيا عنكم اذ آضطُرّوا .

إنّ الله أحلك[(1)] منا أهلَ البيت محلًّا نراك به عِوَضًا من الغائب، وخَلَفًا من الهالك، ونجدك مخصوصا بضَرّائنا اذ كنت ولىّ سَرّائنا، وكنا لك كالجوارح نألَمُ لكل ما أَلِمَ منها .

نحن نعوذ بالله من سَخَطك، ونستجير به من غَضَبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمِعتَ قَصَص الكاذبين، فإنا على سلامةٍ ممـا رَقَّوْه[(2)] .

كتبى — أعزك الله — تأتيك، فى الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعى، وإن كان حقّك يُلزمنى ألّا تُغبّك، لولا ما أتذكر من زيادتها فى شُغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهضُ بأعباء أهـل مودّته، الصابرُ على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أمسِ — أكرمك الله — عليـلا، وركبتُ اليوم على ظَلَع[(3)] ظاهر ورِقّة شـديدة، فلما آنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للتودّع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقَك بما يستدعى عَتْبَك عليه وعتبَه عليك ما وافق .

(١) فى الأصل : «أهلك ...» . (٢) أى رفعوه اليك من الأخبار الكاذبة .
(٣) فى الأصل : "ضلع" .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتّابَ اليك فى الحاجة، فأتوقف أحيانا توقف المبقِى عليك من المؤونة[2]، وأكتب أحيانا كتّاب الراجع منك الى الثقة والمعتمدِ منك على المقة، لا أعدَمنا الله دوام عزك، ولا سَلَب الدنيا بهْجتَها بك، ولا أخلانا من الصّنع [لله][3] على يدك وفى كَنَفك، فإنا لا نَعرِف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعما ونَدًى إلا فى ظِلّك.

إن كان هذا مما ترضاه لى، فلست أَلتمس أكثر منه، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رَضيتَه لى.

أنا والله أراك فى رتبة المنعم إجلالا، وبمحل الشقيق من القلب محبّةً وإخلاصا.

أما شكرى فمقصورٌ على سالف أياديك، وبه قصور عنه فكيف يتّسع لما جَدّدته!.

لله عندك نِعَمٌ جِسامٌ تتقاضاك الشكر. وقَاك الله شرّ نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك.

ولم أزل وجِلًا من حادثة كذا عليك، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله سوءا — متّصلا بى ومُدخِلا الضرر علىّ فى رُكْنٍ منك أعتمد عليه، وكَنَفٍ لك أَسْتَذْرِى به.

وصل الىّ كتاب منك، فما رأيت كتابا أسهلَ فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عيونا، ولا أحسن مقاطعَ ومطالع، ولا أشدّ على كل مَفْصِلٍ حزًّا منه؛ أنجزت فيه عِدَةَ الرأى وبشرى الفِراسة، وعاد الظنّ بك يقينا، والأملُ فيك مبلوغا.

لا غيّبك الله عن مواطن العز والصنع، وأشهدك إياها بعلو يدك، وهُبوب ريحك، واستقادةِ جميع أهلها بزِمام طاعتك.

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل: «لا أزال قد سئلت الكتاب ... الخ» وهو غير مستقيم. (٢) فى العقد الفريد: «المخفف عنك ...». (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد.

قد رميتَ غَرَضَ الحق بسهم الباطل وحللت عِقال الشر[١] .

كنتُ[٢] سالمـا إن سَلِمتُ من عَتْبك .

أنا أتوسل اليك بحسن ظنّى بك ،وأسألك بحق صبرى على ظُلمك لمـّا أسعفتَ بما سألتُك .

ليس ينبغى لك أن تستبطئ فهمى وقد أسأتَ إفهامى .

مَنْ أبعدُ من البُرْءِ من مريضٍ لا يُؤتَى فى دائه إلا من جهة دوائه ، ولا فى علّته إلا من قِبَل حِمْيَته ! .

لستُ فى حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضَى[٣] بها كريم ، وليس يرضَى بهذا الأمر إلا من لا ينبغى لك أن ترضَى به .

قد شِخْتُ فى ذَرَاك وهَرِمت فى ظلّك ، فإمّا رددتَ علىّ شـبابى وأعدتَ الىّ قوّتى ، وإما دفعتَ إلىّ ما ينوبُ عن الشباب ويجبُرُ الضعف ، ولا بدّ من أحدهما ، فٱخترْ لنفســك وٱخرُج إلينا من هــذا الدَّين ؛ فقــد أمسكنا عن التقاضى ماأمكن ، وصَبَرنا على المواعيد ما صَلَح ، ودَعْنا من الحَوَالة فإنّ الصنيعةَ لا تتمّ بالحَوالة ؛ وإن جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيما بالشـكر ؛ وإن جاز أن نؤمّلك ويحقّق آمالَنا غيرك ، جاز أن نشكر غيرَ المُنعم ونأمُل غيرَ المصطنع .

ما أستعظم أن تَسبِقَ الى حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسبَقَ إليه وتُغلَبَ عليه .

لئن[٤] كنتَ جاوزتَ بى قَدْرى عندك لـَمَـا بلغتُ بك أملى فيك .

لا يَقبضك عن الأُنْس بى تقصيرُك فى البِرّ .

---

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل . وظاهر أن فيها تبديلا ونقصا . ولعل صوابها : قد رميت غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشر بيد الخير .

(٢) فى الأصل : "كتبت ..." .

(٣) فى الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم .

(٤) فى الأصل «إن كنت ...» .

بلغتنى عِلّتك فنالنى من ألمها ، وغالنى مما مسّك فيها حسبُ حقّك وما يخُصّنى من كل حالٍ تصرّفتْ بك .

أعتذر إليك من تأخر كتبى عنك بترامى النُّقلة وتقاذُف الغُرْبة وعدمِ الطمأنينة، فإنى منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكنتُ قذاة الأرض والأرض عينُها * تُلَجْلج شخصى جانباً بعـد جانبِ

إنى[1] — أعزك الله — على تشوّقك متزيد، فما أُحاشِى بك أحدا، ولا أقف لك على حسنةٍ يومًا إلا أَنْسَتْنِيها لك فَضْلةُ غده .

الحمد لله الذى جعل الأمير معقودَ النبّةِ بطاعته، مطوىّ القلب على مُناصحته، مشحوذَ السيفِ على عدوه، ثم وَهَب له الظفرَ، ودوّخ له البلاد، وشرّد به العدوّ، وخصّه بشَرَف الفتوح العِظام شرقًا وغربا، وبرّا وبحرا .

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغَيْبتك ، وفَرْطَ الجَزَع من فِراقك، وظلمةَ الأيام بعدَك، وأقول كما قال حبيب بن أَوْس :

بِنّ البيْنُ فقـدَها، قلّما تعـ * ـرِفُ فقـدًا للشمس حتّى تَغِيبا

ورد كتابُك، فياله واردًا بالرِّىّ على ذى ظَمَأ ! ما أنقعه للغليل، وأعدَلَ شهادتَه لك بكرم العقد، وصِدْقِ الودّ، وحُسن المغيب، ورعاية حق التحرُّم ، وبُعدِ الشيمة من شِيَمِ أهل الزمان إلا من عَصم الله، وقليلٌ ماهم ، ولله أبواك لقد أوجداك .

قد أجلّ الله خَطَرَك عن الاعتذار، وأغناك فى القول عن الاعتلال، وأوجب علينا أن نقنَعَ بما فعلتَ، ونرضَى بما أتيت وَصَلْتَ أو قَطَعت، إذ وَثِقنا بحُسن نيّتك ونَقَاء طويّتك، وأُلزِمنا أن نأخذ أنفسَنا لك بما لا نُحمِّلك مثله، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

(١) فى الأصل : إنك .

ما أخّركتبي عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عنـد حقٍّ يقع فأقضيه، أو نعمةٍ تحدُث فأهنّئ بها، والقصـدِ للزيادة فى البِرّ بالزيارة فى الغِبّ، وآستدعاءِ دوام الوِداد بآنتهاز فُرَص الوصل .

وكتبتُ إلى محمد بن عبـد الله بن طاهر :

أمّا شـكرى للأمير على سالف معروفه فقـد غارَ وأنجد . وأمّا آبتهالى إلى الله فى جزائه عنّى بالحُسْنَى فإخلاص النيّة عنـد مَظَانّ القَبـول . وأمّا أملى فأحياه على بُعـد العهد بلاؤه عندى، إذ كان ما تقدّم منه شافعا فى المزيد، وفسحةُ وعدِه إياى عند مفارقتى له، إذ كان مؤذنا بالإنجاز . وأما زللى فى التأخّر عما أوجب الله علىّ له، فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمتُه من عزّ رِياسته، ونَباهة صُحبته، وعلوّ الدرجة به، وإن كنتُ سائرَ أيام آنقطاعى عنه مُعتلقا بسبب لا خيارَ معه . مكاتبتُك — أعزّك الله — وأنا مُجاوِرُك ببلدٍ دون السعى اليك مُخِلًّا لقدرك مما أُكْبِر . لاقيك بكتابى هذا فلان، وله علىّ حقّان : حقٌّ عمّ المسلمين فلزمنى بلزومه لهم، وحق خصّنى بالحُرْمة والعِشرة. فرأيَكَ فى كذا إن سَهُل السبيلُ الى ذلك ورَحُب، وإن يَعُقْ عائق فلستَ على جميلِ رأيٍ عندى بمتّهَم .

للتفضّل أن يخُصّ بفضـله من يشاء، ولله الحمدُ ثم له فيما أعطى، ولا حجّةَ عليه فيما منع .

مُستعفِى السلطانِ أحدُ ثلاثةٍ : رجلٌ آثرالله وما عنـده، وأسأل الله توفيقَه؛ ورجلٌ عَجَز عن عمله فخاف بعجزه[1] عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله؛ ورجلٌ سَمَتْ به نفسُه عن قليل هو فيه الى كثيرٍ أمّله . وأعوذُ بالله من أن أُدَنِّس نعمةَ الله بك علىّ

(١) فى الأصل : « تعجزه ... » .

وعلى سَلَفى قبلى بالتصدِّى لمن لا يُشبه دهرُه يومَك، ولا أكثرُ جهدِه فى المعروف أقلَّ عفوِك .

كن كيف شئتَ ، فإنّى واحدُ أمرى خالصـةٌ سَريرتى ، أرى ببقائك بقاء سُرورى ، وبتمـام النعمة عليك تمـامها عندى ، فإنه ليس من نعمة يُجدِّدها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصّةً إلا آتصلتْ برعيّته عامّة، وشَمِلتْ المسلمين كافّة، وعَظُم بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] (١) شكره عليها ؛ لأنَّ الله جعل بنعمته تمـامَ نعمتهم ، وبسلامته هدوءَهم وآستقامتَهم ، وبتدبيره صلاحَ أمورهم وأمنهم ، وبذَبّه عن دينهم حفظ (٢) حريمهم، وبحياطته حَقْن دمائهم وأَمْنَ سُبُلهم ، وبرِعْيَته آتّساقَهم وآنتظامَهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مُؤَيَّدا بالنصر، مُعَزًّا بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومدّةِ البقاء بالنعيم المقيم .

فهمتُ كتابك ولم تَعْدُ فى وعدك ووعيدك سبيلَ الراغبِ فى رَبِّ عارفته، المحامى على سالف بَلَائه، المُؤْثِر لآستتمام صَنيعته . وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نيةٍ حسنةٍ فى شكر مُصطنعه، وعناية (٣) بأداء ما يلزَمُه لولىّ نعمته، ومراقبةٍ لرئيسه فى سرّ أمره وعَلَانيته ، وإيثارٍ للقليل من جميـل رأيه على كثيرِ المنافع مع سَخَطه . وليس مذهبى فيما أشرَحه من العـذر وأُطيل بذكره الكتب، مذهبَ من يموّه بالآحتجاج ويَحتالُ فى الآعتذار، ومَنْ تُطمعه نفسه فى سلامة النعمة مع فساد النيّة، وفى محمود العاقبـة مع شَرَه النفس ، وفى زيادة الحالِ مع التفريطِ فى العمل. ولو كنتُ ممن سوّلتْ له نفسـه ذلك سائرَ دهره، (٤) لقـد وجب إلى أن يَضطرّنى إلى

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) فى الأصل : « وبذبه عن دينهم وحفظ ... » بزيادة الواو، وقد وردت هذه العبارة فى العقد الفريد بحذفها . (٣) فى الأصل : « وغنايه ... » . (٤) فى الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الواو مع اعتبار هذه الجملة جوابا للو، كما هو ظاهر السياق، على أن فى جعل «لقد» جوابا "لو" نظرا .

النزوع عنه تأديبُك وتقويمك . وإنى لمجتهدٌ أن [يكون](١) أثرُ فعلى هو المخبر عنى دون قولى، وأن يكون ما أمُتّ به اليك ظاهرَ كفايتى دون ذِمَامى .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما فى الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول الخَلَل، وعلمى بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجانى على السلطان وعليه، لكنتُ الجوابَ راجلًا معظِّما لأمره، مُكبِرا لسُخْطه؛ وإن كان الله قد جعل عنـد الأمير من إيثار الحق والعمل به، وتقديم الرويّة قبل الإيقاع، والاستئناء(٢) بمن وَضَح ذنبـه وظهر جُرمه دون من وقعتْ الشبهةُ فى أمره، ما أمّننى بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته .

لم أكن أحسَبنى أُحَلّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه، وعَدِم تمييزَه، وغَبِي عمّا عليه وعمّا له؛ إذ توهّمتَ علىّ أنّى أبيع خطيراً من رضاك، ونفيسا من رأيك، وشرفا باقيا على الأيام بطاعتك، وعُدّةً للنوائب أستظهر بهـا من نصرتك، بالثمن البخس الحقير من كذا، أو أن أستبدلَ بمـا أنا ذو فاقة إليـه من عزّ كَنَفك ومنيع ذَراك، ما قد وهب الله الغِنَى عنه بحمده .

كان ورودُك وشخوصُك فى وقتين انطويا عنى، وكان مُقامك فى حالِ شغلٍ منك ومنى، ولذلك فقدْتَنى فى القاضِين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمّنا من برّك وتطَوُّلك ما حسّن شكرى، وأثقل ظهرى، وأرْتج عن مضاهاتك بمثله قولى؛ فذكرت به — تحيّرت دون تأمّله، وضَعُفتُ عن تحمّله، وعَجَزتُ عن الشكر عليه عند تمحّله — قولَ القائل(٣) :

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) الاستئناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس . وقد ورد فى ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جللتنى" بدلا من "أوليتنى" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت آمرؤ أوليتَنِى نِعــمًا * أوهَتْ قُوَى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحَــدِثَنّ الىّ عارفةً * حتّى أقومَ بشــكر ما سَــلَفا

ألفاظ تقع فى كتب الأمان

هــذا كتاب من فلان لفلان : إنى أمّنتُك على دَمك ومالك ومَوَاليك وأتباعك ، لك ولهم ذمّةُ الله المُوفَى بها ،وعهدُه المسكونُ اليه ، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه ، ثم ذِمَمُ النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومَنْ دخل آسمهُ معك فى هــذا الكتاب ، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فآقبلوا معروضه ، وآسكنوا الى أمانه ، وتعلّقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ماوكّد من ذلك مُتَوَثَّق لداخلٍ فى أمان إلا وقد آعتلقتم بأوثق عُرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفى كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لمَّا جعل الله عليه نيّته فى إقالة العاثر وآستصلاح الفاسد ، رأى(١) أن يتلافاك بعفوه ، ويتغمد زَلّاتك برُحْمه ، ويبسُط لك الأمانَ على ما خرجتَ اليه من الخلاف والمعصــية : على دمك وشــعرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَارك ؛ فإن أنت أتيتَ وسَمِعت وأطعتَ ، فأنت آمن بأمان الله على ما أمّنك عليــه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمّةُ الله وذمّة رســوله ، إلا ما كان من حق قائم بعينه لمسـلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيــل ، وكفى بالله وكيلا .

---

(١) فى الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفى كتاب آخر :

إن فلانا آستوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك، وسأله أن يَقبـل توبتَك وإنابتك، ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَاراتك، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع، وتُوالى أولياءه، وتُعادى أعداءه؛ فأجابه أمير المؤمنين الى ذلك، لرأيه فى العفو والصفح وما يحتسب فى ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لا تُؤخذ بشىء مما سلف من أحداثك، ولا تُتبع فيه بمكروه ما أقمتَ على الوفاء ولم تُحدِث حَدَثًا تفسَخ به أمانَك وتجعـل به سبيلًا على نفسك، والله لك بذلك راعٍ كفيل، وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع فى كتب العهود

أمَرَه بتقوى الله فيما أَسْنَدَاليه وجعله بسبيله، وأن يُؤْثِرَ الله وطاعتَه آخذًا ومُعطيا، وأعلمه أنّ الله سائلُه عمّا عَمِل به وجَازِيه عليه، وأنّه خارجٌ من دُنيـاه خُروجَه من بطن أُمّه إمّا مَغْبوطا محمودا، وإمّا مذموما مسلوبا . فليعتبر بمَنْ كان قبلَه من الوُلَاة الذين وَلُوا مثـلَ ما وَلِى، أين صار بهم مَرُّ الليل والنهار، وما آنقلبوا به من أعمالهم الى قبورهم! ويتزوّد لنفسه الزادَ النافعَ الباقىَ (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفى فصـــل آخر :

وقد ولّاك أميرُ المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشركك فيه من أمانته، ثقةً بك، ورجاءً لمتابعتك وإيثارك الحقَّ وأهلَه، ورفضك الباطلَ وأهلَه؛ وعَهِـدَ إليك فى ذلك بمـا إن أخذتَ به أعانك الله وسدّدك، وإن خالفتَه خذَلك وعاقبك .

وفى الحـــج :

فإنّ أمير المؤمنين قد ٱختارك من[1] إقامة الحج لوَفْد الله وزَوْر بيته، للأمر العظيم قدرُه، الشريف منزلتُه؛ فعليك بتقوى الله، وإيثارِ مُراقبته، ولزومِ الهُدَى المحمودِ والطريقةِ المُثْلَى والسِّيرة الجميلة التى تُشْبِه حالَك .

فصل — فإن الله نزّه[2] الإســلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفعه عن كل دنيّة ، وشرّفه بكل فضيلة ، وجعل سيماء أهلِه الوقارَ والسكينةَ .

فصل — وإن أحقّ النــاس بالآزدياد فى طاعتــه ومناصحته وأداءِ الأمانة فى عمله مَنْ عَظُم حقُّ الأمير عليه فى الخاصّــة بفضل الصنيعة من الأمير عنده ، مع حق الله عليه فى العامّة بحقِّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفًا من سيوف الله ، ونِكْلًا من أنكاله لأهل الشقاق ، وشَجًى لمن ٱبتغى غيرَ سبيلِ المؤمنين ، قد أحكمتك التجارِبُ وضَرّستك الأمور ، وفُرِرْتَ عن الذكاء وحَلَبْتَ الدهرَ أشطُرَه .

فصل — أنت ٱبن الحرّية والمروّة ، ومن لا يلحَقه عارُ أُبوّة ولا بُنُوّة .

فصل — قد ٱلتمستُ مواجهتــك بشكرك ووصفِ ما أُجِنّ لك وأُخلص من ودّك وأُجِلّ من قدرك وأعتدّ[3] من إحسانك ، فَلَفتنى عن ذلك تَعذُّر الخَلْوة مع ٱنقباضٍ وحشمة .

(١) كذا فى الأصــل واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : «فى الحج» .

(٢) فى الأصل : «فان الله بحمده الإسلام ...» .

(٣) فى الأصل : «واعتيد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذَرِيعةٍ اليـك ، وما تُنازِعنى نفسى إلى آستعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظنّ بالله فيـك ، وتأميلُ نُجح الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرّب الى الله بالتواضُع لنعمته ، والإغاثة لمستغيثه ، والعائدةِ(١) على راجيه بفضله .

فصل — تبًّا لمن يأتى(٢) رأيك ! وقبحا لعُزُوب عقلك ، وأَفَن(٣) تدبيرك ! ما أبعدَ مذهبَك فى الخطأ ، وأسوأ أثرَك على السلطان ، وأقصرَ باعَك عن النهوض ! جزالةُ(٤) تعقدك ، ومَهَانةٌ تُضْرِعك ، وزَهْوٌ يعلُوك ، ونَخْوةٌ يشمَخ لها عِرْنينك . لقد آنصرف رأىُ أمير المؤمنين عنك ، ودعوتَ له عَتْبَك ، وكشفتَ له عن قِناَع سترك ، واجتررتَ اليك سَخْطته وعَطَفْتَ نحوَك مَوْجِدَته ، وكنتَ على نصيبك منه والضنّ بمنزلتك عنده أولى تقدُّما وأقربَ رُشْدا . والله الغنىّ الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعـل الدنيا نُصْبَ عينه ، ينصب فيها للخاصّة مَكَايده ، ويرفَع عن مصلحة العامّة هِمّته ، يُذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيامُ القدرة العثرةَ ، حتى تنصرِم مدّتُه وتنقضىَ دولتُه ، لم يرتهن بدنياه شُكرا ولا قدّم بها الى مَعَاده ذُخرا . ورجلٌ لا يَحْفِل(٥) مع صَلاح الخاصّة مادخل من الخلل فى أمور العامّة ، ولا مع وفور حظه(٦) ما أدخل النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاءَ من وَلِى له وعليه ، وأعانته النيّة وخَذَلته الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك ،

---

(١) العائدة : اسم من عاده بمعروفه اذا أقبـل . (٢) كذا فى الأصل وفيها ضعف لعدم اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .
(٤) كذا فى الاصل . (٥) فى الأصل «لايجعل ...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .
(٦) فى الأصل : «مع وفورخطر ...» .

والانقيادَ والمحبة ممن دونك ، وأعاد الى النـاس بك عهدَ السلف المـاضى وعمّر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تخترمهم منيّة ، وجميعٌ لم تنصدعْ بينهم فُرْقة ، فليهنئك أنّ مَنْ تقدّمك من أهل الفضل فى السِّيرة غيرُ متقدّم لك ، ومن معك مُقصّر عنك ، ومن دونك مُقتفٍ لأثرك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعمُ عنك ، ولا انتقلت عُرَى الأمور وأزِمّتها(١) عن يدك .

فصل — أَبَى طبعُ الزمان أن يسـمَحَ لنا بك ، كما أبى ذلك فى مثلك ، فلم يزل حتى اعْتَرَضَ بمكروهـه دونك ، وكم من نعمةٍ ذهلتْ عنها النفس حين أدبرت بخيرك ، فإنّ تَعَلُّق القلب بك على قَدْرك فى مواهب الله وقدرِها عندك .

فصل — ولم تأتِ(٢) فى جميع ما عدّدتُ من أياديك شيئا ، وإن كان متناهيا إلى الغاية ، مختارًا كالأُمنيّـة ، متجاوزًا للاسـتحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمولُ للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبّرنى به فلان عن هَزْلٍ فقـد أحوجنا هزلُك إلى الجدّ ، ووَقَفَنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقةٍ فقد ظهر لنا من ظُلمك وتحريفك ما دلّ على زُهْدك منا فى مثل الذى رَغِبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيـه ومَنْ قِبَلى من المسلمين إلى المُصَلَّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيـد ، ونحن بخير حالٍ اجتمع عليها فريقٌ من المسلمين فى عيدٍ من أعيادهم ومَجْمعٍ من مجامعهم ، وكان مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرجٍ ، ومُنصَرَفُنا عنه أفضل مُنصرَف ،

(١) فى الأصل : « وأزمتك ... » . (٢) فى الأصل « ولم يأت » .

بمـا وهب الله من سكون العامّة وهدوئها وأُلفتها، وآحتشاد الجند والشاكريّة(١) بأحسنِ الزّىّ والهيئة، وأظهرِ السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا، وهنّأ الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينُ وَلَهٍ حليفُ حَيْرة، أنظرُ بعينٍ كليلةٍ(٢) وأحضُر بقلبٍ غائب : إلى ورود كتابك بما تعتزمه(٣) . فأما النوم فلو مَثَل لعيني لنفرَتْ إلفًا للسُّهاد .

فصل فى كتاب بَيْعة — فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعدَه على آسم الله وبركته وصُنع الله وحُسن قضائه لدِينه وعِباده، بيعةً منبسطةً لها أكفُّكم، منشرحةً بها صدورُكم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفّق له أمير المؤمنين .

عدّد معاويةُ على الأحنف ذنوباً؛ فقـال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لِمَ تردُّ الأمورَ على اعقابها ! أما والله إنّ القلوبَ التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإن السيوفَ التى قاتلناك بها لعلَى عَوَاتقنا، ولئن مَدَدْتَ [لنـا](٤) بشبر من غدرٍ، لنمدَّنّ اليك باعًا من خَتْر(٥)، ولئن شـئت لتَستصفِينَ كَدَرَ قلوبنا بصـفو حلمك ؛ قال معاوية : فإنّى أفعل .

تقدّم رجل إلى سَوَّار، وكان سوّار له مُبغضا، فقال سوّار فى بعض ما يكلمه به : يآبن اللَّخْناء ! فقال : ذاك خَصْمى ؛ فقال له الخصم : أَعدِنى(٦) عليه، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لى بحق ؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فَرَط منه إليه، ففعل .

الأوزاعىّ قال : دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية ، فنظر إلى ساقَيْه فقال : أىّ ساقيـن، لو كانتـا على جاريةٍ عاتق(٧) ! فقال له خُرَيم : فى مثـل عَجِيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) فى الأصل «بعين جليلة ...» . (٣) فى الأصل « يعتزم ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدنى عليه : انصرنى عليه وقونى . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ؛ وقيل هى التى لم تتزوج .

الخطب

تتبّعتُ خُطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت فى بعضها: «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدت فى خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: "أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نِهايةً فانتهُوا الى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِيَ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخُذِ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعدالدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار". ووجدتُ كلّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن يَنزِل عن المِنْبَر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

حدّثنى أبو سَهْل قال حدّثنى الطِّنَافِسيّ عن محمد بن فُضَيْل قال حدّثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن عبد الله القرشيّ عن عبد الله بن عُكَيْم (١) قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال:

(١) فى الأصل «عبد الله بن عظيم» بالظاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث فى كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما فى الأصل تحريف عما أثبتنا: قال فى التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهنى أبو محمد معبد الكوفى. قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبى بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة ... الخ» وفى الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوّله وفتح الكاف ... الخ». واذا كان عبد الله بن عكيم ممن رووا عن أبى بكر رضى الله عنه ترجح لدينا أن ما فى الأصل محرّف عنه.

أما بعد ، فإنى أُوصيكم بتقوى الله وحدَه وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه ، وتَخلِطوا الرغبةَ بالرهبة ، والإلحافَ بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيته فقال : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم آعلموا أن الله قد آرتهن بحقّه أنفسَكم ، وأخذَ على ذلك مواثيقَكم ، وآشترى منكم القليلَ الفانىَ بالكثيرِ الباقى . هذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطفأ نورُه ، فصدِّقوه وآنتصِحُوه وآستضيئوا منه ليوم الظُّلمة . ثم اعلموا أنكم تغدُون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّبَ علمُــه عنكم ، فإن آستطعتم ألّا ينقضىَ إلا وأنتم فى عمــلٍ لله فآفعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله . فسابقوا فى مَهَلٍ ، فإنّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسُوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم ، والوحَا الوحَا ، والنجاءَ النجاءَ ! فإن من ورائكم طالبًــا حثيثًا مَرُّه ، سريعا [ســيره] (١) .

وفى غير هذه الرواية : أين مَنْ تعرِفون من إخوانكم ! قد آنتهت عنهم الأعمال ، ووردُوا على ما قدّموا وحلوا عليهم (٢) بالشقْوة والسّــعادة . أينَ الجبّارون الذين بنَوا المدائنَ وحصّنُوها بالحوائط ! قد صاروا تحتَ الصَّخرِ والآكام .

خطبة لأبى بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبى (٣) زيد القارئ .

حَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال :

---

(١) التكملة من العقــد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف فى بعض الكلمات عما هنا . (٢) كذا فى الأصل . وهى غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ . وصواب العبارة نقــلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أوّل ص ١٨٤٧ طبع ليــدن) : « أين من تعرفون من أبنائكم واخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدّموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت » . (٣) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم كأنساب السمعانىّ وأسد الغابة : وفى الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

إن أَشْقى الناسِ فى الدنيا والآخرة الملوكُ . فرفع الناس رءوسَهم ؛ فقال : ما لكم يا معشرَ النـاس ! إنّكم لطَعّانون عَجِلون ، إن المَلِك إذا مَلَك زهّـده الله فيما فى يده ، ورغّبه فيما فى يَدَىْ غيره ، وانتقصه شطرَ أجله ، وأشرب قلبَه الإشفاقَ ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخّط الكثير ، ويسأَم الرخاءَ ، وتنقطع عنه لذّة البهاء [(١)] ، لا يستعمِل العِبْرة ولا يسكُن الى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِىّ [(٢)] والسّراب الخادع ، جَذْل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجَبتْ [(٣)] نفسُه ونَضَب عمرُه وضَحَا ظلُّه ، حاسَبه الله فأشدّ حسابَه وأقلّ عفوَه . أَلَا إنّ الفقراء هم المرحومون ، وخيرُ الملوك من آمن بالله [(٤)] ، وحَكَم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسـلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوّة ، ومَفْرِق مَحَجّة ، وسَتَرَوْن بَعْدى مُلْكا عضوضا [(٥)] ، وأُمّةً شَعَاعًا [(٦)] ، ودما مُفَاحا [(٧)] . فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَـوْلة ؛ يعفو لهـا الأَثَر ، وتموت السُّنَن ، فالزَموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعـد التشاوُر ، والصَّفْقة بعـد طُول التناظُر ، أى بلادكم خرسة [(٨)] فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة

أراد عُمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِك . نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس إسـلاما ، وأوْسَطُهم دارًا ، وأكرمُهم أحسابا ، وأحسنُهم وُجوها ، وأكثرُ النـاس وِلادةً فى العرب ، وأمسُّهم رَحِمًـا برسول الله صلى الله عليه وسـلم ، أسلَمنا قبلكم ،

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسىّ من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله : كل منها كناية عن الموت . (٤) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفى الأصل « ... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن ...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، ولم نوفق الى تصويبها أو تفسير صحيح لها .

وقُدِّمْنا فى القرآن عليكم، فأنتم إخوانُنــا فى الدِّين، وشركاؤُنا فى الفَىْء، وأنصارُنا على العَــدُوّ، آويتمْ وواسَــيْتُم(١)، فجزاكم الله خيرا ؛ نحن الأُمَراءُ، وأنتم الوُزراءُ، لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحَىّ من قُرَيش، وأنتم محقوقون ألّا تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله اليهم .

خطبة لأبى بكر رضى الله عنه

الهَيْثم عن مُجالد عن الشَّعْبىّ قال : لمــا بُويع أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، صَعِد المِنْبر فنزل مِرْقاةً من مَقْعَد النبىّ صلى الله عليه وسلم فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال :

إنى وَلِيتُ أمرَكم ولست بخيرِكم ، ولكنه نزل القرآن وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . اعلموا أيها الناس أن أكيس الكَيْس التُّقَى، وأن أحمَق الحُمْق الفُجُور، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخُذَ له بحقّه، وأضعفَكم عندى القوىُّ حتى آخذَ منــه الحقّ ، إنمــا(٢) أنا متَّبع ولست بمبتدِع ، فإن أحسنتُ فأعِينونى ، و إن زُغْتُ فقوِّمونى . أقول قولى هذا، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولمــا وَلِى عمر صــعِد المنبر وقال :

ما كان اللهُ ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : اِقرءوا القرآن تُعْرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لم يبلُغ حقُّ ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصيةِ الله . ألا و إنى أنزلتُ نفسى من مال

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفى الأصل : «وأسلمتم» .

(٢) كذا فى إعجاز القرآن للباقلانى (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفى الأصل : «أما» .

الله بمنزلة والى اليتيم : إن آستغنيتُ عَفَفتُ وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف تقرّمَ[(١)] البَهْمَةِ الأعرابية : القَضْمَ لا الخَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفّان رضى الله عنه

قال : ولمـا وَلِى عثمان صعِد المنبر فقال :

رحمهما الله ، لو جلسا هـذا المجلس ما كان بذلك من بأْس ، فجلس على ذِرْوة المنبر فرماه الناسُ بأبصارهم ، فقال : إن أوّلَ مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أيّاماً ، وما كُنّا خُطَباء ، وإن نَعِشْ لكم تأتكم الخطبةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أدْبرتْ وآذنتْ بودَاعٍ ، وإنّ الآخرةَ قد أقبلتْ فأشرفتْ باطّلاع ، وإن المِضمارَ[(٢)] اليوم وغدا السِّباق . ألا وإنكم فى أيام أَمَل من ورائه أَجَل ، فمن قَصَّر فى أيام أمله قبل حضور أجلِه فقد خَسِرَ عمله . ألَا فاعمَلوا لله فى الرَّغْبة كما تعمَلون له فى الرَّهْبَـة . ألَا وإنّى لم أَرَ كالجنة نامَ طالبُها ، ولا كالنار نام هاربُها . ألا وإنه مَن لم ينفعه الحقُّ ضرّه الباطل ، ومن لم يَستقِم به الهُدَى جارَ به الضلال . ألا وإنكم قـد أُمِرتم بالظَّعْن ، ودُلِلتم على الزاد ، وإن أخوفَ ما أخافُ عليكم آتباعُ الهوى وطولُ الأمل .

---

(١) تقرّم الصبىّ والبهم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أوّل ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع اليه حاجة الحياة .

(٢) فى الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة علىّ عليه السـلام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه

أيها الناس، كتابَ الله وسنّةَ نبيكم . لا يدّعى مدّعٍ إلا على نفسه . شُغِلَ مَن الجنةُ والنارُ أَمَامَه . ساعٍ نجا، وطالبٌ يرجو، ومقصّرٌ فى النار : ثلاثة ؛ واثنان : مَلَكٌ طارَ بجناحَيْه، ونبىٌّ أخذ الله بيديه، لا سادسَ . هَلَكَ مَن ٱقتحم، ورَدِىَ مَن هوى . اليمينُ والشِّمالُ مَضَلَّة، والوُسْطى الجادَّةُ : مَنْهَجٌ عليه باقى الكتاب وآثارُ النبوّة . إن الله أدّب هـذه الأمةَ بأدبين : السوطِ والسيفِ؛ فلا هَوَادَةَ فيهما عند الإمام . فٱستتروا ببيوتكم، وأَصْلحوا ذاتَ بَيْنِكم؛ والتوبة من ورائكم . مَنْ أبدى صَفْحته للحق هَلَك . قد كانت أمورٌ مِلْتُم علىّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندى محمودين ولا مُصيبين . واللهِ أن لو أشاءُ أن أقول لقلتُ . عفا الله عمّا سَلَف . أُنظروا، فإن أنكرتم فأَنْكِروا، وإن عَرَفتم فآزِرُوا . حقٌّ وباطل، ولكُلٍّ أهـلٌ . واللهِ لئن أُمِّرَ الباطلُ لقَدِيمًا فعل؛ ولئن أَمِرَ[1] الحقُّ لَرُبَّ ولعلّ . ما أدبرَ[2] شىءٌ فأقبل .

خطبة أيضا لعلىّ رضى الله عنه[3]

خطب علىّ حين قُتِلَ عاملُه بالأَنْبار فقال فى خطبته :

يا عَجَبًا من جِدِّ هؤلاء فى باطلهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم! فقُبْحًا لكم وتَرَحًا حين صِرتم غَرَضًا يُرْمَى، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصَى اللهُ وتَرضون .

---

(١) أمِر (بالبنـاء للجهول والتضعيف) : سلط . والذى فى العقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... ولئن قل الحق ... » وعلى ما ورد فيهما يكون معنى « أمر الباطل » : كثر و «أمر» وزان فرح .

(٢) فى العقد الفريد : « ولقلما أدبر ... » .

(٣) وردت هذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سـنة ١٨٨٥ م) والعقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا .

إن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الحرّ قلتم : حَمارَّة القَيْظ(١)، أَمْهِلْنا [حتى](٢) يَنْسلِخ الحرّ، وإن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الشتاء قلتم : أمهِلْنا [حتى](٢) ينسلِخ الشتاء هذا أوانُ قُرٍّ(٣)، كلّ هذا فِرارا من الحرّ والقُرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباهَ الرجال ولا رجال! أحلام الاطفال وعقول ربّاتِ الحِجال، أفسدتُم علىّ رأيى بالعِصيان والخِذْلان، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شُجاعٌ [ولكن] لا عِلْمَ له بالحرب . لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراسا وأطولُ تَجْرِبةً منّى(٤)! لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فهأنا الآن قد نيّفتُ على الستين، ولكن لا رأْىَ لمن لا يُطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغنى عن شُعَيْب بن صَفْوانَ قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس، إنّا قد أصبحنا فى دَهْرٍ عَنُود، وزَمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسنُ مُسيئا، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوًّا، لا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نَسأل عمّا جَهِلْنا، ولا نتخوّف قارِعةً حتى تَحُلّ بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم مَن لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسه وكَلال حَدّه ونَضيض(٥) وَفْره؛ ومنهم المُصلِت لسيفه(٦) والمُجلِب بخيله ورَجْله والمُعلِن بشرّه، قد أَشْرَط(٧) نفسَه وأوبق(٨) دِينَه لحُطَامٍ ينتهزه

(١) حمارّة القيظ : شدّته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القرّ بضم القاف : البرد الشديد . (٤) كذا فى العقد الفريد والبيان والتبيين، بزيادة كلمة «لها» بعد كلمة «أطول» فى البيان والتبيين . وفى الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة منى» .

(٥) فى الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض وفره : قلة ماله . (٦) فى الأصل : «بسيفه» بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدّمها . (٨) أوبق دينه : أهلكه .

أو مِقْنَب[١] يقـوده أو مِنبر يَفْرَعه[٢]، ولبئس المَتْجَران[٣] تراهما لنفسك ثمناً وممـا عند الله عِوَضا . ومنهم مَن يطلب الدنيـا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيـا][٤] قد طامَن[٥] من شخصه وقارَبَ من خَطْوه، وشمَّر من ثوبه، وزَخرَف نفسَه للأمانة، وآتخذ سِـتر الله ذَريعةً إلى المعصية . ومنهم من أقعـده عن طلب الملك ضُؤُولةٌ فى نفســه وآنقطاعٌ من سببه، فقصَّر به الحال عن أمله[٦]، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس الزُّهّاد، وليس من ذاك فى مَراحٍ ولا مَغْـدًى . و بقِى رجالٌ غضّ أبصارَهم ذكرُ المَرْجِـع، وأراقَ دموعَهم خوفُ المَحْشر فهم بين شَريد نادّ[٧]، وخائف مُنقَمِع[٨]، وساكتٍ مَكْعُوم، وداعٍ مُخْلِص، ومُوجَع ثَكْلان، قد أخملتْهم التقيّـة، وشَمِلَتْهم الذِّلّة، [فهم][٩] فى بَحر أُجاج، أفواهُهم ضامرةٌ، وقلوبُهـم قَرِحَةٌ، قد وُعِظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِروا حتى ذَلُّوا، وقُتِلوا حتى قَلُّوا . فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغرَ من حُثَالة القَرَظ وقُرَاضَـة الجَلَم، وآتّعِظُوا بمَن كان قبلكم قبـل أن يَتَّعِظ بكم مَن بعدكم، وآرفضوها ذَميمةً، فإنها قد رَفضتْ مَن كان أشغفَ بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاويةَ كان حَبْلا من حِبال الله، مدّه ماشاء أن يَمُدّه، ثم قطعه حينَ شاء أن يَقطعَه، وكان دُونَ مَن قَبْله وهو خيرٌ ممن بعده، [ولا أُزَكّيه[١٠] عند

(١) المقنب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفى الأصل : «يترعه» وهو تحريف . (٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وليس المتجران تراها ... الخ» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقـد الفريد والبيان والتبيين وإعجاز القرآن . (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفى الأصل : «على حاله ...» . (٧) النادّ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخف . (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقـد الفريد وإعجاز القرآن للباقلانى . (١٠) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار اليه] فإن يعفُ عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه . وقد وَلِيتُ الأمرَ بعده، ولستُ أعتذر من جَهْل ولا أشتغل بطلب علم[1] . وعلى رِسْلكم ! إذا كَرِه اللهُ أمرًا غيّره .

خطبة لعُتْبة بن أبي سُفيان

أبو حاتم عن العُتْبيّ قال : احتبستْ كُتُبُ معاويةَ حتى أَرْجَفَ[2] أهلُ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعِد عتبةُ المنبر والكتابُ في يده فقال :

يا أهل مصرَ! قد طالت معاتبتُنا إيا كم بأطراف الرِّماح وظُبَات السيوف حتى صِرْنا شَجًى في لَهَوَاتكم ما تُسيغُنا حلوقُكم، وأَقذاءً في أعيُنكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم . فحين ٱشتدّت عُرَى الحق عليكم عَقْدًا، وٱسترختْ عُقَدُ الباطل منكم حَلًّا، أرجفتُم بالخليفة وأردتُم توهينَ السلطان، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ! فارْبَحُوا أنفسكم إذ خَسِرْتم دينَكم، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخَبَر السارّ عنه والعهدِ القريب منه . وٱعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم، فأصلِحوا لنا ما ظَهَر، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن، وأظهِرُوا خيرا وإن أسررتُم شرًّا، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون . وعلى الله نتوكّل، وبه نستعين .

خطبة لعُتْبة أيضا

وبهذا الإسناد أن عُتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ الباطل وأنتم تأتُونه ، كالحِمَار يَحْمِل أسفارا أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها . وإني والله لا أُداوِي

(١) في العقد الفريد : «ولا آسى على طلب علم» . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي تحدث اضطرابا وفتنة .

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغُ السوطَ ما كفتنى الدرَّة، ولا أُبطئ عن الأُولى إن لم تصلحوا عن الأُخرى[1] * ناجزا بناجز، ومَن حذّر كمن بشّر[2] * فدعوا قال ويقول من قبلِ أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذى ليس فيه[3] عِقاب، ولا بعده عِتاب .

خطبة لعبد الله بن الزُّبَيْر

خطب عبد الله بن الزُّبير حين قُتِلَ أخوه مُصْعَب فقال :

الحمد لله الذى يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلّ مَن يشاء . إنه لن يذلّ مَن كان الحقُّ معه وإن كان فَرْدًا ، ولن يعزَّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا خبرٌ من قِبل العراق أجزَعنا وأفرَحنا : قتلُ مُصْعَب رحمه الله . فأما الذى أحزَنَنا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعةً يَجِدها حميمُه عند المُصيبة به ثم يَرْعَوِى بعدها ذَوُو الرأى الى جميل الصبرِ وكريم العزاء . وأما الذى أفرحنا من ذلك فعلمُنا أنّ قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخِيَرَة . ألا إن أهل العراق أهلَ الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به . إنا والله ما نموت حَبَجًا[4] ولا نموت إلا قتلا، قَعْصًا بالرماح تحتَ ظِلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إنْ قُتِل رجلٌ منهم فى جاهليّةٍ ولا إسلام.

(١) كذا فى الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هـذه الجملة التى بين النجمتين وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) فى أثناء خطبة أخرى لعتبة . وفى العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز، ومن حذر كمن بشر ... » .

(٣) فى العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال فى اللسان بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : «يعرّض ببنى مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة ...» وقعصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عَارِيةٌ من الملك الأعلى [الذى لايَبِيدُ ذكُره ولايَذِلّ سلطانُه](١) فإن تُقبِل علىّ لا آخُذْها أَخْذَ البَطِر الأَشِر، وإن تُدبر عنى لا أَبْكِ عليهـا بُكاءَ الخَرِف المُهْتَر(٢).

ثم نزل.

خطبة زياد البتراء(٣)

حدّثنى عبـد الرحمن عن الأصمعىّ عن أبى بكر بن أبى عاصم ببعضها، وحدّثنى أبى عن الهيثم بن عَدِىّ، قال: لمـا قـدم زيادٌ أميرا على البَصْرة فنظر إلى أبياتها، قال: رُبَّ فَرِحٍ بإمارتى لن تنفعَه، [و] كارهٍ لها لن تَضُرَّه؛ فدخل وعليـه قَباء أبيض ورِداء صغير، فصعِد المنبر، فخطب الناسَ خطبة بتراء: لم يصـلّ فيها على النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان أوّلَ من خطبها، ثم قال:

أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علِمتم، وشهِدت الشهودُ بمـا قد سمِعتم، وإنمـا كنت آمرأً حَفظ اللهُ منه ما ضَيّع الناسُ، ووَصَل ماقطعوا(٤). أَلَا وإنا قد وَلِينا ووَلِيَنا الوالون، وسُسْنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمرَ لا يُصلحه إلا شدّةٌ فى غير عُنْف، ولِينٌ فى غير ضعف. وآيمُ الله مامن كِذْبةٍ أكبرُ شاهدًا من كِذْبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها مّنى فآغتمِزُوها فىّ، وآعلموا أن عندى أمثالَهـا، وإذا رأيتمونى آمر

(١) الزيادة من العقد الفريد: (ج ٢ ص ١٨٣). (٢) الخرف: الذى فسد عقله من الكبر. والمهتر: من ذهب عقله من كبر أومرض أوحزن. وفى العقد الفريد: «بكاء الخرق المهين».
(٣) وردت هذه الخطبة فى النوادر لأبى على القالى (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا فى كلمات يسـيرة. ووردت فى الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليـدن سنة ١٨٦٨م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا وبتقديم وتأخير فى بعض الجمل والكلمات. (٤) لم ترد هذه القطعة فى الخطبة البتراء فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا إلا فى النوادر لأبى على القالى. وقد وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) فى خطبة أخرى لزياد.

فيكم بالأمر فأنفِـذوه على أَذْلَاله[١] . وآيم الله إن لى فيكم لصَرْعَى كثيرة، فليحذَرْ كلّ آمرئ منكم أن يكون من صَرْعاى . وآيمُ الله لآخُذنّ البرىءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصى، والمقبلَ بالمدبر، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل : "[٢]أُنْجُ سعد فقد قُتِل سُعَيْد" . فقام إليه عبدُ الله[٣] بن الأهْتم التميمىّ، فقال : أيها الأمير، أشهد أنك أُوتيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطاب؛ فقال له : كَذَبتَ، ذاك نبىّ الله داود . ثم قام اليـه الأحنفُ، فقال : إنمـا المرءُ بجِـدّه، والسيف بحَدّه، والجواد بشدّه؛ وقد بلّغك جِدُّك أيها الأمير ما ترى؛ وإنمـا الحمدُ بعد البَلَاء، والثناءُ بعـد العطاء، وإنا لا نُثْنِى حتى نَبْتلِىَ . ثم قام اليـه مِرْداس بن أُدَيّة، فقال : قد سمِعنا مقالتك أيها الأمير، وإنّ خليلَ الله إبراهيمَ عليـه السلام أَدَّى عن الله غيرَ الذى أدّيتَه، قال الله تعـالى : (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[٤] *؛ وأنت تزعُم أنك تأخُذ البرىءَ

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
(٢) قال فى اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة ابن أدّ ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلالهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به، وهو يضرب مثلا فى العناية بذى الرحم، و يضرب فى الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهرىّ فى هـذا المكان : وفى المثل، أسـعد أم سعيد إذا سئل عن الشىء أهو ممـا يحب أو يكره » .
(٣) كذا فى ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبـع ليدن والبيـان والتبيين والعقـد الفريد . وفى الأصـل : «نعيم بن الأهتم» وقـد آثرنا ما فى المصادر الأولى لأن الوقوف فى مثل هـذا الموقف يقتضى شجاعة وجرأة، وفى عبد الله بن الأهتم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهتم، وعبد الله هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفى النوادر لأبى علىّ القالى : «صفوان بن الأهتم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهتم .
(٤) وردت هذه الجملة فى ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبى على القالى باختلاف عما هنا ونصها فى ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ...» .

بالسقيم، والمطيعَ بالعاصى، والمقبلَ بالمدبر، فقال له: أُسكت، فوالله ما أجد الى ما أُريد سبيلًا، إلا أن أخوضَ اليه الباطلَ خوضا. ثم نزل.

وقال فى خطبة له أخرى (١) :

حَرامٌ علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيها بالأرض هَدْمًا وإحراقا. إيّاى ودَلَجَ الليل، فإنى لا أُوتَى بمُدلج إلا سَفكتُ دمه، وإيّاىَ ودَعْوى الجاهليّة، فإنى لا أجد أحدًا دعَا بها إلا قطعتُ لسانَه. وقد أحدثتم أَحداثا، وأحدثنا لكل ذنبٍ عقوبة؛ فمن غَرّق قوما غَرّقته، ومن أحرق قوما أحرقتُه، ومن نَقَبَ بيتا نقبتُ عن قلبه، ومَنْ نَبَش قبرًا دفنتُه فيه حيًّا، فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أَكُفَّ عنكم. وقد كانت بينى وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أذنى وتحت قَدَمى، فمن كان محسنًا فليزددْ، ومن كان مسيئا فلينزِعْ. إنّى لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغْضى لم أكشف له قِناعا ولم أهتِكْ له سِترًا، حتى يُبدىَ لى صَفْحته، فإذا فعل ذلك لم أُناظره، فأَعينوا على أنفسكم وأْتنِفوا أمركم.

خطبة للحجاج حين دخل البصرة (٢)

دخل وهو متقلِّدٌ سيفًا متنكِّبٌ قوسا عربية، فعلا المنبرَ فقال:

أنا ٱبنُ جَلَا وطلّاع الثَّنَايَا * مَتَى أَضَعِ العِمامةَ تعرِفُونى

---

(١) هـذه الخطبة وردت فى المصادر المتقدّمة، ما عدا النوادر لأبى علىّ القالى، فى ثنايا خطبته البتراء.

(٢) وردت هـذه الخطبة فى كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكامل للبرد (ص ٢١٥ طبع ليبسج) والبيان والتبين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة ليدن) مع بعض الاختلاف: بزيادة أو نقص أو تغير فى بعض الكلمات.

إن أمير المؤمنين نَكَبَ[١] عيـدانَه بين يديه ، فوجدنى أمرَّها عُودًا وأصْـلَبَها مَكْسِرا ، فوجَّهنى إليكم . ألَا فوالله لأَعْصِبَنَّكم[٢] عَصْبَ السَّلَمة ، ولأَلْحُوَنَّكم لَحْوَ العُود ، ولأَضرِبَنّكم ضربَ غرائبِ[٣] الإبل ، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائل : "أَنْجُ سعدُ فقد قُتِل سُعَيْدٌ"[٤] . أَلَا وإيّاى وهذه السُّقَفَاءَ[٥] والزَّرَافاتِ ، فإنّى لا أُوتَى بأحدٍ من الجالسين فى زَرَافةٍ إلا ضربتُ عُنُقَه . هكذا حدّثنيه أحمد بن سـعيد عن أبى عُبَيـد فى كتاب غَرِيب الحديث . وقال لى غيره : هو إيّاىَ وهـذه الشُّفَعاءَ والزَّرَافات . وقد فسّرتُ الحديثَ فى كتابى المؤلَّف فى غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أَرْجَف الناسُ بموت الحجّاج ، فخطب فقال :

إنّ طائفةً من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَغَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ومات الحجاج ! فَمَهْ ! وهـل يرجو الحجّاج الخيرَ إلا بعـد الموت ! والله ما يسرُّنى ألّا أموتَ وأنّ لى الدنيا وما فيها ! وما رأيت اللهَ رضِىَ بالتخليد إلا لأهونِ خَلْقه عليه إبليس . ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

---

(١) نكب عيدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاه يتخذ منه القرظ الذى يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلا فى التهديد والإنذار . (٤) تقدم شرحه فى خطبة زياد . (٥) فى اللسان مادّة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إياى وهذه السقفاء) فلا يعرف ما هو ؛ وحكى ابن الأثير عن الزمخشرى قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفعاء جمع شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون فى أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع فى قوله : إياى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل! . كأنّى والله بكلّ حيٍّ منكم ميّتًا ، وبكل رطبٍ يابسًا ، ونُقِل فى ثيابِ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولا فى ذِراعٍ عَرْضا ، وأكلتِ الأرضُ لحمَه ومَصّتْ صديدَه، وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِم الخبيثَ من ماله ؛ إن الذين يعقِلون يعلَمون ما أقول ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إنى أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابنى هذا، وأوصيتُه بخلاف ما أوصَى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] فى الأنصار؛ إن رسول الله أوصَى أن يُقبَلَ من مُحسنهم ، وأن يُتجاوَزَ عن مُسيئهم ؛ وإنى أمرتُه ألّا يَقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم . ألَا وإنكم ستقولون بعدى مقالةً لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى، ستقولون بعدى : لا أحسَنَ اللهُ له الصَّحابة! ألَا وإنى مُعجِّلٌ لكم الجوابَ : لا أحسَنَ الله لكم الخِلافة، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال فى خطبته : سَوْطى سيفى، فنِجادُه(١) فى عُنُقِى ، وقائمُه فى يدى ، وذُبَابه قِلادةٌ لمن اغترّ بى! فقال الحسن : بُؤْسًا لهذا! ما أغرّه بالله ! .

وحلف(٢) رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار، ثم أتى امرأتَه فمنعته نفسَها؛ فأتى ابنَ سيرِين يستفتيه؛ فقال : يابن أخى، امضِ فكن مع أهلك، فإنّ الحجّاجَ إن لم يكن فى النار لم يَضُرَّك أن تَزنِىَ .

---

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذى يضرب به .

(٢) فى الاصل : فحلف رجل ... .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه[1] .

حدثنى أبو سَهْل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيب بن صَفْوان عن رجل من آل سَعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبةٍ خطب بهـا عمر بن عبد العزيز رحمـه الله أَنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثًا، ولن تُتْركوا سُدًى ، و إنّ لكم مَعادًا يَنزِل اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخَسِر من خَرَج من رحمة الله وحُرِمَ جنّــةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ . ألم تعلموا أنه لا يأمَن غدًا إلا من حَذِر اليومَ وخاف، و باع نافدًا[2] بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان! ألا ترون أنكم فى أَسْلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ[3] الى خير الوارثين ! ثم إنكم فى كل يوم تُشَيِّعون غاديًا و رائحًا الى الله قد قَضَى نَحْبَــه ، حتى تُغيّبوه فى صَــدْعٍ من الأرض فى بطن صَدْعٍ غير مُوَسَّد ولا ممهَّد، قد فارَقَ الأحباب و باشرَ الترابَ وواجه الحسابَ، فهو مرتَهَنٌ بعمله ، غَنِىٌّ عما ترك فقير الى ما قدّم . فاتَّقُوا الله قبل انقضاء مَوَاقيته ونزولِ الموت بكم! أَمَا إنى أقول هــذا وما أعلم أنّ عنـد أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندى، فأستغفرُ الله وأتوبُ اليه . ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلالَه ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا يَعـلم كيف أنت إلا أنت، ثم ارتأيتَ أن تخلُقَ الخَلْق ، فماذا جئتَ به من عجائب صُنْعك،

(١) وردت هــذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا . (٢) فى الأصل : «وباع ناقدا...» بالقاف وهو تحريف . (٣) فى الأصل : «وسيكون ... حتى يرد ...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذَرْئك : من صُنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجتَ قوائم الذَّرَّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التى امتزجتْ بالأرواح ! .

وخَطَب يوما فسقطتْ جَرادةٌ على ثوبه فقال : سبحانَ مَن الجرادةُ من خلقه ، أدمَجَ قوائمها ، وطوّقها جَناحها ، ووَشّى جلدَها ، وسَلّطها على ما هو أعظمُ منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفَظُوا فُروجكم ، وخُذوا الأنفس بضميرها ، فإنها أسوكُ[1] شىء إذا أُعْطِيَتْ ، وأعصَى شىء إذا سُئلت . وإنى رأيت الصبر عن محَارمِ الله أيسَرَ من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ ، تُضحِك باكيًا وتُبْكى ضاحكا ، وتُخيف آمنا وتُؤمن خائفا ، وتُفقر مُثريا وتُثرى مُقْتِرا ، ميَّالةٌ غرَّارة لعّابة بأهلها ! عبادَ الله ! اتَّخذوا كتاب الله إماما ، وارتضُوا به حَكَما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخٌ لِما كان قبله ولم ينسَخْه كتابٌ بعده . اعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس ، ظلامَ[2] الليل إذا عسعس .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفى الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس الصبح : تبلج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيهـا الناس، والله ما خرجت أَشَرًا ولا بَطَرا ولَا حِرْصًا على الدنيا ولا رغبــةً فى الملك ، وما بى إطراءُ نفسى ، وإنى لظَلُومٌ لهـا إن لم يرحَمْنى الله، ولكن خرجت غَضَبًا لله ودِينه، داعيًا إلى الله وإلى سنّة نبيّه، لمّـا هُدمت معالمُ الهدى، وأُطفئ نورُ أهلِ التقوى، وظَهَر الجبّار العَنِيد، المستحِلُّ لكل حُرْمة، والراكبُ لكل بِدْعة، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لَابْنُ عَمِّى فى النَّسَب وكَفِيئى فى الحَسَب ؛ فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره وسألته ألّا يَكِلَنى إلى نفسى، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابنى من أهل وِلايتى، حتى أراح الله منه العبـادَ، وطهّر منه البلاد، بحَوْله وقُوّته لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس، إنّ لكم علىّ ألّا أضعَ حَجَرًا على حجر، ولا لَبِنةً على لبنة، ولا أَكْرِى(١) نهرا، ولا أكنِزُ مالا ، ولا أُعطيه زوجًا ولا وَلَدًا ، ولا أنقُلُه من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ ثغرَ ذلك البلد وخَصَاصةَ أهله ، فإنْ فَضَلَ فضلٌ نقلتُه إلى البلد الذى يَلِيه . ولا أُجَمِّرَكم(٢) فى بُعُوثكم فأفتنَكم وأفتِنَ أهليـكم ، ولا أُغلِق بابى دونكم فيأكُلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحمِلُ على أهل جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم وأقطَعُ به نَسْلَهم . ولكم علىّ إدرارُ العَطَاء فى كل سنةٍ والرزقِ فى كل شهر، حتى يستوىَ بكم الحال فيكونَ أفضـلُكم كأدناكم . فإن أنا وَفَيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة(٣) ، وإن لم أَفِ لكم [فلكم](٤) أن تخلعونى * إلا أن تستتيبونى ، فإن أنا تبت(٥)

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجمير العساكر : حبسهم فى بلاد العدوّ أو الثغور. دون أن يرجعوا الى أهليهم . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجمركم فى ثغوركم» . (٣) المكانفة : المعاونة . (٤) التكملة منقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفى الأصل تستسيئونى ، إن تبت ... ؛

قبلتم منى ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مَقَامى ممن](١) يُعرف بالصَّلاح يُعطيكم من نفسه مثلَ الذى أعطيتُكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أوّلُ مَنْ بايعه ودَخَل فى طاعته .

أيها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيمَ لى ولكم .

فلما بُويع مَرْوانُ نَبَشَه وصَلَبه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يامبذِّر الكنوز ويا سجّادًا بالأسحار، كانت ولايتُك لهم رحمةً وعليهم حجّة، أخذوك فصَلَبوك .

خطبة أبى حمـــزة الخارجىّ(٢)

خطب أبو حمزةَ الخارجىّ بمكة فذكر رسولَ الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله، ثم قال : وولِىَ عثمانُ فسار ستَّ سنين بسيرة صاحبَيْه وكان دونَهما، ثم سار فى الستّ الأواخر بما أحبط [به](٣) الأوائل، ثم مضى لسبيله . ووَلِىَ علىٌّ فلم يَبْلُغ من الحقّ قَصْدًا ولم يرفَعْ [له](٣) مَنارا، ثم مضى لسبيله . ثم وَلِى معاوية لَعِينُ رسولِ الله وابنُ لعينه، اتّخذ عبادَ الله خَوَلًا، ومالَ الله دُوَلًا، ودِينَه دَغَلا، ثم مضى لسبيله ، فالْعَنُوه لعنه الله. ثم ولِى يزيدُ بن معاوية، يزيد الخمور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسقُ فى بَطْنه والمأبون فى فَرْجه . ثم اقتصَّهم خليفةٌ خليفةٌ . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرضَ عن ذكره . ثم ذكر يزيدَ بنَ عبد الملك فقال: يأكلُ الحرامَ، ويلبَس الحُلّة بألف دينار، قد ضُرِبَت فيها الأبشارُ، وهُتِكت الأستار، حَبَابةُ عن يمينه وسَلّامة عن يَساره تغنّيانه، حتى إذا أخَذَ الشرابُ فيــه كلَّ مَأْخَذٍ قدّ ثوبَه ثم التفتَ الى إحداهما فقال : أَلَا أَطير! نعم! طِرْ الى النار. ثم ذكر أصحابَه

---

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦١) . (٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين .

فقال : شبابٌ واللهِ مُكتهلون فى شَبَابهم ، غَضيضةٌ عن الشر أعينُهم ، ثَقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أَنْضاءُ عِبادة ، وأَطْلاح سَهر(١) ، ينظُرُ الله اليهم فى جوف الليل مُنْحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهم وأيديَهم وجِباهَهم ، واستقلُّوا ذلك فى جَنْب الله ، حتى إذا رأَوُا السِّهام قد فُوِّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيتْ ، وأَرْعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخضّبتْ محاسِنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت اليه سِباعُ الأرض وانحطَّتْ اليـه طيرُ السماء ، فكم من عينٍ فى مِنْقار طائرٍ طالمـا(٢) بَكَى صاحبُها فى جوف الليــل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زَايَلَتْ مِعْصَمَها طالمـا اعتمَد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أوّه أوّه(٣) وبكى ثم نزل .

خطبة لقَطَرِىّ الخارجىّ(٤)

ذَكَر فيهـا الذين قالوا مَنْ أشدُّ منّا قوّةً ، فقال : حُمِلُوا الى قُبُورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْبانا ، وأُنْزِلوا فلا يُدعون ضِـيفانا ، وجعلوا لهم(٥) من الضَّريح أَجْنـانا(٦) ، ومن التراب أكفانا ، ومن الرُّفَات جِيرانا ؛ فهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعيًا ولا يَمنعون ضَيما ، إن

---

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) فى الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أوّه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهى : آوّه (بالمد وسكون الهاء) وأوّه بضم الهـاء ، وآووه (بالمد وواوين) وأوه (بكسر الهاء) خفيفة وأوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبوا لم يفرحوا، أو أَقْحَطوا لم يَقْنَطوا، جميعٌ أوحادٌ، وجيرةٌ أَبْعاد، لا يَزُورون ولا يُزارون . فاحذَرُوا ما حذّركم الله، وانتفِعوا بمَواعظه واعتصِموا بحبله .

وفى خطبة ليوسف بن عمر :

اتقوا اللهَ عبادَ الله ! فكم من مُؤَمِّلٍ أملًا لايبلُغه، وجامعٍ مالًا لا يأكله، ومانعٍ ماسوف يتركُه، ولعله من باطلٍ جَمَعَه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حرامًا ووَرَّثه عدوًّا، احتمل إصْرَه[1] وبَاءَ بوِزْره، ووَرَد على ربّه آسفًا لاهفًا، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخُسْرانُ المبين .

وفى خطبة للحجاج :

قال مالك بن دِينار: سمعته على المنبر يقول: اِمرأً[2] زوّر عمله اِمرأً حاسَبَ نفسَه، اِمرأً فكّر فيما يقرؤُه فى صحيفته ويراه فى ميزانه، اِمرأً[3] كان عند هواه زاجرا، وعند همّه آمِرا، أَخَذ بعِنانَ قلبه[4] كما يأخُذ بخِطام جَمَله، فإن قاده الى طاعة الله تَبِعه، وإن قاده الى مَعْصِية الله كَفّه .

خطبـــة للمنصـــور

خطب المنصور بمكة فقال : أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله فى أرضـه، أسوسُكم بتوفيقه وتَسْـديده وتأييده وتَبْصيره، وخازنُه على فَيْئه أعمَلُ فيه بمشيئته[5]، وأقْسِمه بإرادته، وأُعطيه بإذنه، قد جَعَلنى عليه قُفْلا اذا شاء أن يفتَحَنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم فتحنى، واذا شاء أن يُقفِلنى عليها أقفلنى . فَارْغَبُوا الى الله وآسألوه

(١) الإصر : الثقل . (٢) فى العقد «امرؤ ...» بالرفع . وزوّر عمله : حسنه .
(٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفى الأصل «عند قلبه...» . (٤) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : «بعنان عمله ...» . (٥) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل : «بشيته ...» .

فى هذا اليوم الشريف الذى وَهَبَ لكم فيه من فَضْله ما أعلمكم فى كتابه، اذ يقول : (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يُوَفِّقنى للصَّواب والرشاد، ويُلْهِمَنى الرأفةَ بكم والإحسانَ إليكم، ويَفْتَحنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم .

خطبة لداود بن علىّ

خطب فقال : أحرزَ لسانٌ رأسَه، اِتّعظ آمرؤٌ بغيره، اعتبَرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَر به، فأمسكَ الفَضْلَ من قوله وقدّم الفضــلَ من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : إن بكم داءً هذا دواؤُه، وأنا زعيمٌ لكم بشِفائه، وما بعد الوعيدِ إلّا الإيقاع .

خطبة لداود بن علىّ أيضا

لمــا قام أبو العبّاس فى أوّل خِلافته على المنبر قام بوجهٍ كورقة المصحف فآستَحْيَا فلم يتكلّم، فنَهَض داودُ بن علىّ حتّى صَـعِد المنبر، فقال المنصور : فقلت فى شيخنا وكبيرِنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليــه آثنان ، فآنتضَيْتُ سيفى وغَطَّيت ثوبى وقلتُ : إن فَعَلَ ناجزتُه، فلما رَقِىَ عَتَباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبى العباس، ثم قال : أيهـــا الناس، إن أمير المؤمنين يكْرَه أن يتقدّم قولُه فعلَه، ولَأَثَرُ الفِعال عليكم أجْدَى من تَشْقيق المَقَال(١)، وحســبُكم بكتابِ الله مُمْتَثَلاً فيكم، وآبنِ عمّ رســولِ الله خليفةً عليكم . والله قَسَماً بَرًّا لا أُريد إلّا اللهَ به ما قام هــذا المقامَ أحدٌ بعد رســول الله أحقُّ به من علىّ بن أبى طــالب وأميرِ المؤمنين هــذا ، فلْيَظُنّ ظانُّكم ولْيَهْمِس هامسُكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشِمْتُ(٢) سيفى .

(١) تشقيق الكلام : إخراجه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمده، ويستعمل بمعنى سل أيضا .

خطبة لأعرابيّ (١)

أمّا بعد، فإن الدنيا دارُ بَلاء والآخرة دارُ بقاء، فخُذُوا أيها الناس لمقرّكم من ممرّكم، ولا تَهتِكوا أستاركم عند من لا يَخْفَى عليه أسراركم، ففى الدنيا أُحييتم ولغيرها خُلقتم. أقول قولى هذا، والمستَغْفَرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان.

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه، ومستوجبِه على خَلْقه، أحمَدُه وأستعينُه وأُومن به وأتوكّل عليه، وأشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدَى ودينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه ولو كَرِهَ المُشركون. أُوصيكم عِبادَ الله بتقوى الله وحدَه، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتّقاه ورَجاه، وعَمِل له وأَرْضاه. فاتّقوا اللهَ عبادَ الله وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وآبتاعُوا ما يبقَى بما يزولُ عنكم، وترحّلوا فقد جُدَّ بكم، واستعِدُّوا للموت فقد أظلّكم، وكُونوا قومًا صِيحَ بهم فآنتبهُوا، وعلِموا أنّ الدنيا ليستْ لهم بدار فآستَبْدَلوا؛ فإنّ الله لم يخلُقْكم عبثًا ولم يترُكْكم سُدًى؛ وما بين أحدِكم وبين الجنّة والنار إلا الموتُ أنْ يَنزِلَ به. وإنّ غايةً تنقصُها اللحظةُ وتَهدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرةٌ بقِصَر المُدّة (٢)، وإنّ غائبًا يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لحَرِيٌّ بسُرعة الأَوْبة، وإنّ قادمًا يحُلّ بالفوز أو بالشِّقْوة لمستحِقٌّ لأفضل العُدّة، فاتّقى عبدٌ ربَّه، ونَصَح نفسَه، وقَدّم توبته، وغَلَب شهوتَه، فإنّ أجلَه مستورٌ عنه، وأمَلَه خادعٌ له، والشيطان مُوكَّلٌ به: يُزَيِّنُ له المعصيةَ ليركبها، ويُمَنِّيه التوبةَ ليُسَوِّفها، حتى تهجُم

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية) بزيادة عما فى الأصل هنا. (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠). وفى الأصل: «جدير».

عليه منيّتُه أغفلَ ما يكون عنها . فيالها حسرةً على ذى غَفْلة : أن يكون عمرُه عليه حُجّةً ، أو تؤدِّيَه أيامُه إلى شِقْوة ! نسألُ الله أن يجعلَنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقَصِّر به عن طاعته غَفْلة ، ولا تَحُل به بعد الموت فَزْعة[1] ، إنه سميع الدعاء ، وبيده الخيرُ ، وإنه فعَّالٌ لمـا يُريد .

وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوّل :

إنَّ يومكم هــذا يومٌ أبانَ الله فضلَه ، وأوجبَ تشريفَه ، وعَظّم حُرْمته ، ووَفّق له من خَلقه صفوتَه ، وابتَلَى فيــه خليلَه ، وفَدَى فيــه من الذَّبْح نبيَّه ، وجعله خاتمَ الأيامِ المَعْلومات من العَشْر ، ومتقدِّم الأيام المعدودات من النَّفْر ، يومٌ حرامٌ من أيّام عِظام فى شهرٍ حَرَام ، يومُ الحجِّ الأكبر ، يومٌ دعا اللهُ الى مَشْهَده ، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ، فتقرّبوا الى الله فى هــذا اليوم بذبائحكم ، وعَظِّموا شعائرَ الله واجعلوها من طَيِّبِ أموالكم وبصحّة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَـالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبيّ والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنــة والنار : عَظُمَ قدرُ الدارين وارتفع جزاءُ العملين[2] وطالت مدّة الفريقين اللهَ اللهَ ! فوالله إنه الجِـدُّ لا اللّعِبُ ، وإنه الحقُّ لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبَعْث والمِيزان والحِساب والقِصَاص والصِّراط ثم العقاب والثَّواب ، فمن نَجَا يومئذٍ فقــد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقــد خاب . الخيرُ كلّه فى الجنّــة ، والشرُّ كله فى النــار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفى الأصل « سرعة » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفى الأصل : «العاملين» .

وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأوّل :

إنّ يومكم هذا يومُ عيدٍ وسُنَّة وابتهال ورغبة ، يومٌ خَتَم الله به صيامَ شهر رمضان وافتتح به حَجَّ بيته الحَرَام ، فجعله خاتمةَ الشهر وأوّلَ أيامِ شهور الحجّ ، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم ومُتنفَّلِ قيامكم ، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحَرَّم فيه الصيامَ عليكم ؛ فآطلبوا إلى الله حوائجَكم واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يُقال : لا كبيرَ مع استغفار ، ولا صغيرَ مع إصرار . ثم التكبير والتحميد وذكر النبيّ عليه السلام والوصية بالتقوى . ثم قال : فاتقوا الله عبادَ الله و بادروا الأمرَ الذى اعتدَلَ فيه يقينكم ، ولم يحتضِر الشكُّ[(١)] فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعدَه عَثْرةٌ ، ولا تُحْظَر قبله تو بة . واعلموا أنه لا شيءَ قبله إلا دونَه ولا شيءَ بعده إلا فوقَه . ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزه[(٢)] وكُرَبه ، ولا يُعين على القبر وظُلْمته وضِيقه ووَحْشته وهَوْل مَطْلَعه ومسألة ملائكته ، إلا العملُ الصالحُ الذى أمر الله به . فمن زَلَّتْ عند الموت قَدَمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه ، ودعا من الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبذَلَ من الفِدْية ما لا يُقْبَلُ منه . فآللهَ اللهَ عبادَ الله ! وكونوا قوماً سألوا الرَّجْعةَ فأُعْطُوها إذ مُنِعَهَا الذين طَلَبوها ؛ فإنه ليس يتمنَّى المتقدّمون قبلكم إلا هذا المَهَلَ[(٣)] المبسوطَ لكم . واحذَرُوا ما حَذَّركم الله ، واتَّقوا اليومَ الذى يَجمعُكم الله فيه لوَضْع مَوَازينكم ، ونَشْر صُحُفكم الحافظةِ لأعمالكم . فلينظُرْ عبدٌ مايَضَعُ فى ميزانه ممايثقل به ، وما يُمِلُّ[(٤)] فى صحيفته الحافظةِ لمـا عليه وله ؛ فقد حَكَى الله لكم ما قال المفرِّطون عندها إذ طال إعراضُهم عنها ، قال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية . وقال : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ . ولستُ أنهاكم عن الدنيا بأعظمَ مما نهتكم

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العلز بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . (٣) فى العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يُملّ : يملى .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كلُّ مالها ينهَى عنهـا ، وكل مافيها يدعو الى غيرها . وأعظمُ مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتابِ الله لها ونَهْيُ الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) وقال : (إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلَموا أنّ قوما من عباد الله أدركتْهم عِصمةُ الله فحـذِروا مَصارِعَها ، وجانَبُوا خدائعها ، وآثروا طاعةَ الله فيها ، فأدركوا الجنّةَ بمـا تركوا منها .

كلام مَنْ أُرتِجَ عليه

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا عيسى بن عمر قال : خَطَب أميرٌ مَرّةً فانقطع فخجِل ، فبعث الى قومٍ من القبائل عابوا ذلك ولَفَّهم (١) ، وفيهم يَرْبوعيٌّ جَلْد ، فقال : اخطُبُوا ، فقام واحدٌ فمرّ فى الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدرِ ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالقٌ ثلاثاً ، لم أُرِد أن أجمع اليوم فمنعتْنى . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بَقِىَ ونَظَر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتَلْمَحنى ببصرك أيضا ! . قال وقال أحدهم (٢) : رأيتُ القَرَاقِيرَ (٣) من السُّفُن تجرِى بينى وبين النـاس . قال : وصَعِد اليربوعيُّ فخطب فقال : أمّا بعدُ فواللهِ ما أدرِى ما أقولُ ولا فِيمَ أقمتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل فى الزيت ، فقال : الزيتُ مبارك ، فكُلُوا منه وآدّهِنوا . قال : فهو قولُ الشُّطّار (٤) اليوم اذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل فى شأن الزيت وفى حال الزيت .

ولمـا أتى يزيدُ بن أبى سُفْيان الشامَ واليًا لابى بكر رضى الله عنه ، خطب فأُرتِج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأُرتِج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتِج عليه ، فقال : يا أهل

(١) لفهم : جمعهم . (٢) فى الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبثا ، والمراد بالشطار هنا : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات .

الشأم عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسرا، ومن بعد عِيّ بيانا، وأنتم الى إمامٍ عادل(١) أحوجُ منكم الى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فأستحسنه .

صعِد ثابتُ قُطْنَة(٢) منبرًا بسِجِسْتان فحمِد الله ثم أُرتج عليــه، فنزل وهو يقول :

فإلّا أكُنْ فيكم خطيبًا فإنّنى * بسيفى اذا جَدّ الوَغَى لخطيبُ

فقيل له : لو قلتَها على المنبر كنتَ أخطبَ الناس .

وأُرتج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أَضْحَى ، فمكث ساعةً ثم قال : والله لا أجمعُ عليكم عِيًّا ولُؤمًا، من أخَذ شاةً من السُّوق فهى له وثمنُها علىّ .

وأُرتج على خالد بن عبد الله القَسْرِىّ فقال : إن هذا الكلامَ يجىء أحيانًا ويعزُبُ أحيانا ، وربما طُلِب فأَبَى ، وكُوبِرَ فعسا(٣)، فالتّأنّى لمجيئه ، أيسرُ من التّعاطِى لأبِيّه ؛ وقد يَختَلِط من الجرىء جَنَانُه ، وينقطعُ من الذَّرِب لسانُه ، فلا يُبْطِره ذلك ولا يَكْسِره ؛ وسأعودُ إن شاء الله .

وأُرتج على مَعن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "فَتَى حُرُوبٍ لا فَتَى مَنَابِر".

وكان عبد ربِّه اليَشْكُرِىّ عاملًا لعيسى بن موسى على المدائن ، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وأُرتج عليه فسكت ، ثم قال : والله إنى لأَكون فى بيتى فتجىءُ على لسانى ألفُ كلمة ، فاذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرى ، ولقد كنتُ وما فى الأيّامِ يومٌ أحبُّ الىّ من يوم الجمعة ، فصِرْتُ وما فى الأيام يومٌ أبغضُ الىّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلّا لخطبتكم هذه .

---

(١) فى المصادر التى بين أيدينا : «الى أمير فاعل ...» . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت اضافة ثابت الى قطنة لأن الأسماء تصح اضافتها الى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْح بن حاتم المنبرَ، فلما رأى جَمْعَ الناس حَصِر، فقال : نَكِّسوا رءوسَكم وغُضُّوا أبصارَكم، فإنّ أولَ مَرْكبٍ صَعْبٌ، واذا يَسّر الله فَتْحَ قُفْلٍ تيسّر .

ودُعِى رجلٌ ليخطب فى نكاح فَحَصِر، فقال : لَقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، فقالت آمرأةٌ حضرتْ : ألهذا دعوناك ! أماتك الله ! .

قال عُبَيد الله بن زِياد : نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لولا قعقعةُ البريد والتشرُّف للخُطَب .

قيل لعبد الملك : عَجِّلَ عليك الشَّيبُ، فقال : كيف لا يُعجِّل علىّ وأنا أعرِض عقلى على الناس فى كل جمعة مَرّةً أو مرتين .

ووَلِىَ رجلٌ من بنى هاشم يُعْرَف بالدَّنْدَان بحرَ اليمامة، فلمّا صعِد المنبر أُرتِج عليه، فقال : حَيّا الله هذه الوجوهَ وجعلنى فِداءَها، إنّى قد أَمرتُ طائفى بالليل ألّا يرى أحدًا إلا أتانى به وإن كنت أنا هو[1] . ثم نزل .

المنـابر

قال بعض المفسّرين فى قول الله جلّ وعزّ ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إنّه المنبر . وقال الشـاعر :

لنا المساجدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُها * وفى المنابر قَعْداتٌ لنا ذُلُلُ
فلا نَقِيـلُ عليها حين نركَبُها * ولا لهنّ لنا من مَعْشرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْت يذكر بنى أُمّيّة :

مُصيبٌ على الأعوادِ يومَ ركُوبِهِ * لِمَـا قال فيها، مُخطئٌ حين ينزِلُ
يُشَبِّهُها[2] الأشـباهَ وهى نَصِيبُه * له مَشْرَبٌ منهـا حرامٌ ومأكَلُ

(١) كذا فى الأصل والعقد الفريد، وقواعد اللغة تقتضى أن يكون : « ولو كنت أنا إياه » .
(٢) الضمير للدنيا .

وقال بعض المُحْدَثين

فما منبرٌ دنَّسته باستِ "أفكلٍ" * بزاكٍ ولو طهَّرته بابن "طاهر"

ومرّ الأُقَيْشر بمطَر بن نَاجية اليربوعىّ حين غَلَبَ على الكُوفة فى أيام الضَّحّاك ابن قيس الشّارِى ومَطَرٌ يخطُبُ، فقال :

أبنى تَميم ما لمنـــبرِ مُلككم * لا يستمِرّ قعودُه يتَمــرمرُ(١)

إنّ المنابرَ أنكرتْ أشـــباهكم(٢) * فادعُوا خُزَيْمةَ يســتقِرّ المنـبرُ

خلعُوا أميرَ المؤمنـــين و بايَعُوا * مَطَرًا لعمرُك بَيْعــةٌ لا تظهرُ

وآستخلفوا مطرًا فكان كقائلٍ * بَدَلٌ لعمرُك من أُمَيّــة أعورُ

خَطَب قُتَيْبة بن مُسْـلم على منبر خُرَاسان فسَقَط القضِيبُ من يده، فتفاءل له عدوّه بالشرّ وآغتمّ صديقُه، فعَرَف ذلك قُتَيبة فقال : ليس الأمرُ على ما ظَنّ العدوّ وخاف الصديقُ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقتْ عَصَاها واستقرّ بها النّوَى * كما قرّ عَيْنًـا بالإيابِ المُسـافرُ

وقال واثلةُ بن خَليفةَ السَّدُوسىّ يهجو عبد الملك بن المُهَلَّب :

لقد صَـبَرتْ للذُّلّ أعواد منبرٍ * تقوم عليها فى يديك قضيبُ

بكى المنبرُ الغربىُّ إذقُمْتَ فوقَه * وكادت مساميرُ الحديد تذوبُ

تمّ كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبـار لأبن قتيبة رحمه الله، ويتلوه فى الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبى وآله أجمعين .

---

(١) يتمرمر : يتحرك .

(٢) فى الشعر والشعراء للؤلف (ص ٣٥٣) «أنكرت أستاهكم» .

صورة ماكتبه الناسخ بخطه فى آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُنِي الإســلامُ على خمسة : التواضــع عند الدولة، والعفو عند القدرة، والسخاء مع القِلّة، والعطيّة من غير مِنّة، والنصيحة للعامّة .

وقال بعض الشعراء فى الصبر :

وإذا ابتُليتَ بِمِحْنةٍ فالبس لهــا * ثوبَ السكوتِ فإنّ ذلك أسلمُ
لا تشكوَنّ إلى العباد فإنما * تشكو الرحيمَ إلى الذى لا يَرْحَمُ

ويُرْوَى للشافعىّ رضى الله عنه :

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا * وما لزمانـنــا عيبٌ سوانا
وقد نهجُو الزمانَ بغير جُرْمٍ * ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصــنُّعُ والترائى * ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ * ويأكلُ بعضُنا بعضًا عِيانا

———

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدّثنا خَلَف بن تَميم عن أبي عِصْمة[1] الشاميّ عن آبن أخت وهب بن منبّه عن وهب قال : أوحَى الله الى نبيّ من أنبياء بنى إسرائيل يقال له "أرْمِياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظَهْرانَيْ قومك فأخبِرهم أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون، وأعينا ولا يبصرون، وآذانا ولا يسمعون، وأنّي تذكّرتُ صلاحَ آبائهم ، فعطّفني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غِبَّ طاعتي ، وهل سعِد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي، وهل شقِي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي! إنّ الدوابّ تذكُرُ أوطانَها فتنتزِعُ إليها ، وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمتُ عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامةَ من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّي ؛ وأما قرّاؤهم

(١) لم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد الأملوكى (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامىّ مجهول يروى عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد، ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازى وممن يذكر بوضع الحديث، ولكنه مروزىّ وليس بشامى (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى اسم عصمة واسم نوح بن أبى مريم) .

فعبدوا غيرى ؛ وأمّا نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلِّمُوا من حكمتى ؛ وأمّا وُلاتهم فكذَبوا علىّ وكذّبوا رسلى ، خزنوا المكر فى قلوبهــم ، وعوّدوا الكذبَ ألســنتَهم ؛ وإنى أقسم بجــلالى وعزّتى لأَهيّجنّ عليهــم جنودا لايفقهون ألسـنتهم ، ولا يعرفون وجوههــم ، ولا يرحمون بكاءهم ، ولأبتعثن فيهــم مِلكا جبّارا قاســيا ، له عساكر كقِطَع الســحاب ، ومواكبُ كأمثــال العَجاج ، كانّ خَفَقانَ راياته طَيَرانُ النسور ، وكأنّ حمــلَ فُرسانه كَرّ العِقبان ، يعيــدون العُمران خرابا ، ويتركون القُرى وحشةً . فياويلَ إيلياءَ[1] وسُكانِها ! كيف أُذلُّهم للقتل ، وأُسلِّطُ عليهم السِّباء ، وأعيدُ بعد لَجَبِ الأعراس صُراخَ الهامِ ، وبعد صهيل الخيل عُواءَ الذئاب ، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع ، وبعد ضوءِ السُّرُج رَهَجَ العَجَاج . ولأبدلنّ رِجالهم بتلاوةِ الكتابِ انتهــارَ الأرباب ، وبالعــزّ الذلَّ ، وبالنعمةِ العبوديّةَ . ولأبدلنّ نساءهم بالطِّيبِ الترابَ ، وبالمشى على الزرابىّ الخِبَبَ[2] ؛ ولأجعلنّ أجســادَهم زبلا للأرض ، وعظامَهم ضاحيــةً للشمس . وفى رواية أخرى : ولأدوســنّهم بألوان العذاب ، حتى لو كان الكائنُ خاتَمــا فى يمينى لوصَلتِ الحربُ اليــه ؛ ثم لآمرنّ السماءَ فلتكوننّ طبَقا من حديد ، والأرضَ فلتكوننّ سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ شيئا فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم ، ثم أحبِسه فى زمن الزرع وأُرســله فى زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلّطتُ عليــه الآفةَ ، فإن خلَص منــه شىء نزعتُ منه البركةَ ، فإن دعَوْنى لم أُجبهم ، وإن سألوا لم أعطِهم ، وإن بكَوْا لم أرحمهم ، وإن تضرّعوا صرفتُ وجهى عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس . (٢) الزرابىّ : البسط . والخبب (وزان عنب) : الخلق من الثياب .

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى موسى بن مَنَشّى[1] بن يوسف أن قُل لقومك : إني برىء ممن سَحَر أو سُحِر له، أو تكَهّن أو تُكُهِّن له، أو تطيّر أو تُطُيِّر له، من آمن بي صادقا فليتوكّل علىّ صادقا، فكفى بي مثيبا، ومن عدل عنّي[2] ووثِق بغيرى فإنى خير شريك[3] أردّ عليه ما توسّل به إلىّ، وأكِلُه الى من توكل عليه، ومن وكَلته الى غيرى فليستعدّ للفتنة والبلاء .

وحدثني بهذا الإسناد قال : أوحى الله الى داود عليه السلام فى الزَّبور : ياعبدى الشكور! إنى قد وهبتُ لك الزبورَ، وأتبعتُــه بنصح منّى من أعين السطور، ومن الوحى المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبُدْنى به فى الأيام والليالى والشهور؛ وأحبِبْنى من كلّ قلبك، وحبِّبْنى الى خَلْقى، وأبغِضْ من عبادى كلّ منافقٍ جهول . قال : ياربّ، كيف أُحَبِّبُكَ الى خلقِك؟ قال : تُذكّرهم آلائى .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت صُحُفه أمثالا وعِبَرا وتسبيحا وتمجيدا وتهليلا، فكان فيها : أيها الملك المسلَّط المغرور المبتَـلَى، إنى لم أبعثك لتجمعَ الدنيــا بعضَها على بعض ولتبنىَ المدائنَ والحصونَ، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عنى دعوةَ المظلوم، فإنى لا أرُدّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشَعْيا : قم فى قومك أُوحِ على لسانك؛ فلمـا قام شَعْيا أنطق اللهُ لسانَه بالوحى، فقال : ياسماءُ استمعى، يا أرضُ أنصتى، فأنصتت الأرضُ واستمعت السماءُ، فقال : إن الله يقول لكم : إنى استقبلتُ بنى إسرائيـل

(١) فى الأصل : « ميشا » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ٤١) طبع بيروت . (٢) كذا فى قصص الأنبياء لأبى اسحاق الثعلبي طبع المطبعة البهية سنة ١٣٠١ ﻫ وفى الأصول « عدل بى » . (٣) كذا فى الأصول، وفى قصص الأنبياء «فأنا أغنى الشركاء عن الشركة، أكله إلى من وثق به دونى . ومن وكلته ... الخ» .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعىَ لها، فآويتُ شاذّتها، و جمعتُ ضالّتها، وجبرتُ كسيرها، وداويتُ مريضَها، وأسمنتُ مهزولَها ، فبطرتْ فتناطحتْ ، فقتل بعضُها بعضا حتى لم يبق منها عظمٌ صحيح يُجبر اليه آخرُ كسيرٌ. إن الحمار مما يتذكر آرِيَّه(١) الذى شَبِع عليه فيراجعه ، وإنّ الثور مما يتذكر مَرْجَه الذى سمِن فيه فينتابه ، وإنّ البعير مما يتذكر وطنَه الذى نُتِج فيه فينزِع اليه، وإنّ هؤلاء القومَ لا يذكرون أنّى جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبلٍ ولا بقرٍ ولا حميرٍ . وإنى ضاربٌ لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترَوْن فى أرض كانت زمانًا من زمانها خرِبةً مواتا لا حَرْثَ فيها ، وكان لها ربٌّ قوىٌّ حليم ، فأقبل عليها بالعِمارة وكرِه أن تخرَبَ أرضُه وهو قوىٌّ وأن يقال له ضيّع وهو عليم، فأحاط عليها سِياجا وشيَّد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصنّف فيها غِراسا من الزيتون والرُّمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار، وولّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظا قويًّا أمينا، فلما جاء إبّانُ إثمارها أثمرت خَرُّوبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بئست الأرض أرضُك، ونشير عليه أن يقلَع سياجها ، ويهدِمَ قصرها، ويدفِنَ نهرها ، ويحرِق غرسَها حتى تعودَ خَرِبةً مَواتا لا عُمرانَ فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم، إن السياجَ ذمتى، وإنّ القصرَ شريعتى، وإن النهر كتابى، وإن القيِّم نبيّى ، وإن الغرسَ مثَلٌ لهم ، والخرّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ، وإنى قد قضيتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهم ، يتقرّبون الىّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحمُ ولا آكُلُه؛ ويَدَعون أن يتقربوا الىّ بالتقوى والكفِّ عن ذبح الأنفس التى حرَّمتُها ويُشيِّدون لى البيوتَ و يزوّقون لى المساجدَ ، وأىّ حاجةٍ بى الى تشييد البيوت ولستُ أسكنُها، والى تزويق المساجد ولست أدخلُها ، إنما أمرتُ برفعها لأُذكَرَ فيها وأُسبَّحَ ، ويُنجّسون أنفسهم وعقولَهم

(١) الآرى : محبس الدواب وحبل تشد به فى محبسها .

وقلوبهم ويخرّبونها، يقولون: لو كان يقدِرُ على أن يجمعَ أُلفتَنا لجمعَها، ولو كان يقدر على أن يُفقِّه قلوبنا لفقّهها [(١)]. فاعمِـدْ الى عودَين يابسَين فاكتب فيهما كتابا ثمّ ائتِ ناديَهم أجمعَ ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعـودا عُودا واحدا؛ فقال لهما ذلك ، فاختلطا فصارا عُودا واحدا ، وصار الكتاب فى طرَفَى العـودِ كتابا واحدا : يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم : إنى قدرت على أن أفقِّه العيدان اليابسـة وعلى أن أؤلِّف بينها؛ فكيف لا أقـدِرُ على أن أجمـعَ أُلفتكم إن شئت ! أم كيف لا أقدِر على أن أؤلِّف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفَع صيامُنا وصلّينافلم تُنوَّرْ صَلاتُنا [(٢)] وزكّينا فلم تَزكُ زكاتُنا ، ودعَونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عُواء الذئاب، فى كلّ ذلك لا يُسـمعُ منّا ولا يُستجابُ لنا؛ قال الله تبارك وتعالى : سلهم لم ذلك وما الذى منعنى أن أجيبهم ؟ ألستُ أسْمَعَ السامعين وأبْصَرَ الناظرين وأقْرَبَ المجيبين وأرحم الراحمين ! أَلأنّ خزائنى فَنِيَتْ ! كيف ويداى مبسوطتان بالخير أُنفِق كيف أشاء! أم لأن ذاتَ يدى قَلّتْ ! كيف ومفاتيح الخير بيـدى لا يفتحها ولا يُغلقها غيرى! أم لِأنّ رحمـتى ضاقت ! كيف ورحمتى وسِعتْ كلّ شىء، وإنمـا يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأنّ البخل يعترينى ! كيف وأنا النفّاح بالخيرات أَجوَدُ مَن أعطَى وأكرمُ مَن سُئل ! ولكن كيف أرفعُ صيامَهم وهم يَلْبِسونه بقول الزور ويتقوّون عليه بطُعْمة الحرام ! كيف أُنوِّر صلاتَهم وقلوبهم صاغيةٌ الى من يُحَادُّنى وينتهك محارمى ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنمـا هو قولٌ بألسنتهم والعملُ من ذلك بعيـد ! أم كيف تزكو صـدقاتُهم وهى من أموال غيرهم ! إنمـا أُجزِى عليها المغصوبين . وإنّ من علامة رضاى رضا المساكين .

---

(١) كذا فى قصص الأنبياء وفى الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) فى قصص الأنبياء (ص ٢٥٣) : «فلم تنوّر قلوبنا ...» .

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لاتُعجبْكما زينة ولا ما مُتِّعَ به، ولا تَمُدَّا الى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترَفين . ولو شئت أن أُزيِّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تَعجز عما أُوتيتما فعلتُ ، ولكنّى أرغب بكما عن ذلك وأُزوِيه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائى، إنى لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعى الشفيقُ غنمَه عن مراتع الهَلَكة، وإنى لأحميهم عيشَها وسَلوتَها[1] كما يُجنِّبُ الراعى الشفيقُ إبلَه مباركَ العُرِّ[2]، وما ذاك لهوانهم علىَّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفَّرا لم يَكلِمْه الطمعُ[3] ولم يُطبِعْه[4] الهوى . واعلم أنه لن يتزيَّنُ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندى من الزهد فى الدنيا، إنما هى زينة الأبرار عندى، وأَنْقَى ما تَزَيَّنَ به العبادُ فى عينى عليهم منها، لباسٌ يُعرَفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم النحولُ والسجود ، أولئك أوليائى حقا . فاذا لقيتَهم فاخفِضْ لهم جناحَك، وذلِّل لهم قلبَك ولسانَك .

واعلم أنه من أهان لى وليًّا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرَّضنى لنفسه ودعانى اليها، وأنا أسرع شىء الى نُصرة أوليائى ، أفيظنّ الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى! أم يظنّ الذى يعادينى فيهم أنه يُعجزنى ! أم يظنّ الذى يبادرنى اليهم أنه يسبقنى أو يفوتنى ! كيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة ، لا أَكِلُ نصرَهم الى غيرى !

وفى التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لُبنان، أنت عبدى وأنا إلهك الديّان ، لا تستذلّ

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع أعرّ وهو الجمل الأجرب .

(٣) فى الاصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : ينجسه .

الفقير ، ولا تَغبِط الغنيَّ بشيء يسير ؛ وكن عند ذكرى خاشعا ، وعند تلاوة وحيي طَائعا؛ أسمِعْنى لذاذةَ التوراة بصوت حزين .

وفيما أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزِلْنى من نفســك كهمّك ، واجعلْنى ذُخرَك فى مَعادك ، وتقــرَّبْ الىّ بالنوافل أُدْنِك ، وتوكَّل علىّ أَكْفِك ، ولا تَوَلَّ غيرى فأخذُلك ؛ اِصــبِرْ على البلاء ، وارضَ بالقضــاء ، وكن كمَسَرّتى فيــك ، فإنّ مَسرّتى أن أُطاعَ ، وأَحْيِ ذكرى بلسانك ، وليكن وُدّى فى قلبــك ؛ تيقَّظْ لى فى ساعات الغفلة ، وكن راهبا لى وراغبا الىّ . أَمِتْ قلبَك بالخشية ؛ راعِ الليــلَ لتحرِّى مَسَرّتى ، واظمأ لى نهارَك لليوم الذى عندى ؛ نافسْ فى الخيرات جُهْدَك . قم فى الخليقة بعدلى ، واحكم فيهــم بنصيحتى ، فقــد أنزلتُ عليك شــفاءَ وساوسِ ما فى الصدور من مرض الشيطان ، وجلاءَ الأبصارِ من غشاء الكَلال ؛ ولا تكن حِلْسا(١) كأنك مقبورٌ وأنت حىّ تتنفّس . اِكْحَلْ عينيك بمُلمولِ(٢) الحزن اذا ضحِك البطّالون . اِبكِ على نفسك أيّام الحياة بكاءَ من قد ودّع الأهلَ وقَلَى الدنيا ، وترك اللذاتِ لأهلها ، وارتفعتْ رغبتُــه فيما عنــد إلهه . طوبَى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين ! تَرَجَّ من الدنيا يوما فيوما ، وارضَ بالبُلْغــة ، وليَكفِك منهــا الخشِنُ . تَذوّق مذاقةَ ما قد خلا أين طعمُه ! وما لم يأت أين لذّتُه ! لو رأت عيناك ما أعددتُ لأوليائى لذاب(٣) قلبك وزهقَتْ نفسُك شوقا اليه .

وفيما قال للحواريّيــن : بحقٍّ أقول لكم : إنّ شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبصر وتَهتدى ؛ بحقٍّ أقول لكم : إنه من ليس عليه دَينٌ أروَحُ وأقلُّ همًّا ممن عليه دين وإن حَسُنَ قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل

---

(١) الحلس : الذى يلزم بيته فلا يبرحه . (٢) الملمول : المرود . (٣) فى الأصل «لدار» .

الخطيئة أروحُ وأقلُّ همًّا ممن عمل بها وإن حسُـنتْ توبتُه . إنّ الدابة تزداد على كثرة الرياضـة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجسـدَ اذا صلَح كفاه القليـلُ من الطعام، وإنّ القلب اذا صحّ كفاه القليـلُ من الحكمة . كم مِن سراجٍ قد أطفأته الريحُ ، وكم من عابد قد أفسده العُجْب . يابنى إسرائيل، استمعوا قولى ، فإنّ مَثَـل من يسـتمع قولى ثم يعمَلُ به مثـلُ رجلٍ حكيم أسس بنيانَه على الصّـفا[(١)] ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وضربتـه الرياحُ فثبت بنيانُه ولم يَخِرّ، ومَثَـلُ الذى يستمعُ قولى ثم لا يعمَل به مَثَـلُ رجلٍ سفيهٍ أسّس بنيانَه على الرمل ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربته فسقط بنيانُه . يا بنى إسرائيل ، ما يُغنِى عن الأعمَى سَعَةُ نورِ الشـمس وهو لا يُبصرها! وما يغنى عن العالِم كثرةُ العـلم وهو لايعمَل به ! . بحقٍّ أقول لكم : إنّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأوْلاهمـا بها من حقّقها بعمله . بحقٍّ أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقَطِران فى ليلة مظلمةٍ لاستضأتم بنورهِ ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطِرَانه، فكذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده .

بلغنى عن محمد بن فُضَيل عن عمران بن سـليم قال : بلغنى أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخوانى وأصحابى فوطِّنوا أنفسكم على العـداوة والبغضاء من الناس، إنكم لا تُدرِكون ما تطلبون إلا بترك ما تشـتهون، ولا تنالون ما تُحِبّون إلا بالصـبر على ما تكرهون . إياكم والنَّظْرَةَ، فإنها تزرع فى القلب الشهوةَ . طوبى لمن كان بصرُه فى قلبه ولم يكن قلبه فى بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة .

قال : وبلغنى أن عيسى خرج على أصحـابه وعليـه جُبَّـةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّانٌ[(١)] حافيا مجزوزَ الرأس والشار بين با كيا شَعِثا مصفَرّ اللون من الجوع يابسَ الشَّفتين من العطش، طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين؛ فقال: السلام عليكم يا بنى إسرائيل، أنا الذى أنزلتُ الدنيا منزلَها، ولاعَجَبَ ولا فخر، أتدرون أين بيتى؟ قالوا : أين بيتك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتى المسـاجد، وطيبى المـاء ، وإدامى الجوعُ، ودابتى رجلى، وسراجى بالليل القمرُ، وصِلائى[(٢)] فى الشتاء مشارقُ الشمس، وطعامى ما تيسّر، وفاكهتى ورَيْحـانى بُقُولُ الأرض، ولباسى الصوفُ ، وشِعارى الخوفُ ، وجلسائى الزَّمْنى والمساكينُ ، أُصبِـحُ وليس لى شىء ، وأُمْسى وليس لى شىء، وأنا طيّب النفس غنىّ مكثر، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى! ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صعِد إلىّ منـك بعمل قَبيح؛ أتقرّب اليك بالنّعم، وتمقّتُ إلىّ بالمعاصى؛ خيرى اليك نازلٌ، وشرّك إلىّ صاعدٌ .

وفى التوراة : لعلّك يا إسرائيـلُ اذا أنت خرجتَ من البرِّيّة فدخلتَ الأرضَ المقدّسة، أرضَ بنى آبائك إبراهيم و إسحاقَ، فإنها تَفيضُ بُرًّا وشعيرا ولبنا وعسلا ، فورِثتَ بيوتا بناها غيرُك وعصرتَ كروما غرسها غيرك، فأكلتَ وشربتَ وتنّعمتَ بشحم لُبـابِ القمح، ضربتَ بيدك الى صـدرك و رمحتَ كما ترمح الدابّةُ برجليها، وقلتَ : بشـدّتى وبقوّتى وبأسى ورِثتُ هـذه الأرضَ وغلَبتُ أهلَها ، ونسيتَ نعمتى عليـك! فأقذف الرُّعبَ فى صدرك اذا أنت لقِيتَ عدوّك، واذا هبّت الريحُ

---

(١) التبان : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

(٢) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة . وفى الأصل «صلاتى» بالتاء .

فتقعقعَ لهـا ورقُ الشجر انهزمتَ ، فأُقِلُّ رجالكَ ، وأُرمِّلُ نساءكَ ، وأُيتِّمُ أبنـاءكَ ، وأجعلُ السماءَ عليك نُحاسًـا والأرضَ حديدا ، فلا السماءُ[1] تُمطِـر ولا الأرضُ تُنبِت ، وأُقِلُّ لك البركةَ حتى تجتمع نِسوةٌ عَشرٌ يختبزن فى تنّورٍ واحدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربىّ عن جعفر بن بُرْقان قال : بلغنى عن وهب بن منبّه قال : أَجِدُ فى الكتاب أنّ قوما يتـديّنون لغير العبادة ، ويختِلون[2] الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون مُسُوكَ[3] الضأن على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وأنفسُهم أمرّ من الصبر ، أبى يغترُّون ! أم إياى يخادعون ! أقسمتُ لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْران .

وقرأت فى الإنجيـل : «لا تجعلوا كنوزكم فى الأرض حيث يفسدها السُّوسُ والدودُ وحيث ينقُبُ السراقُ ، ولكن اجعـلوا كنوزكم فى السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم . إنّ العينَ هى سِراجُ الجسـد فاذا كانت عينك صحيحةً فإنّ جسدَك كلَّه مُضِيء . وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لربَّيْن اثنين إلا أن يُحبَّ أحدَهُما ويُبغِضَ الآخر ، ويُوقِّر أحدهما ويُهِينَ الآخرَ ، فكذلك لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمـال . ولا يُهِمَّنَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفسُ أفضـلَ من الطعام ، والجسدُ أفضلَ من اللباس ! ! أُنظروا الى طَير السماءِ فإنهنّ لا يزرعن ولا يَحصدن ولا يَجمعنَ فى الأهْراءِ[4] ، وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقُهنّ ، أفلستم

---

(١) فى الأصل : «ولا السماء» والسياق يقتضى العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله .

(٢) أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء فى الحديث . «من أشراط الساعة أن تعطل السيوف من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أى تطلب الدنيـا بعمل الآخرة ، من ختله اذا خدعه (أنظر اللسان مادة ختل) .

(٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد .

(٤) الأهراء : جمع هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أفضلَ منهنّ ! ! وأيُّكم الذى اذا جهد قَدَر[1] أن يزيدَ فى طوله ذراعا واحدا ! فلِمَ تهتمون باللباس ! اعتبروا بسُوس البرّيّة فإنه لا يعمَل ولا يغزِل ، أنا أقولُ : إنّ سليمانَ بوقاره[2] لم يستطع أن يلبسَ كواحدةٍ منـه ؛ فإذا كان الله يُلبِس عُشبَ الأرض الذى ينبت[3] اليوم ويُلقَى فى النارِ غدًا ، أفلستم ياقليلى الإيمـانِ أفضلَ منه ! ولاتهتمُّوا فتقولوا : ماذا نأكل وماذا نشربُ وماذا نلبَس ، فإنه إنمـا يهتمُّ لذلك ابنُ الدنيا ؛ وإن أباكم الذى فى السماء يَعْلم أنَّ ذلك ينبغى لكم[4] ؛ فابدءوا فالتمسوا ملَكوتَ الله وصِدّيقيّته[5] ، فإنكم سوف تُكْفَون . ولا يُهِمَّنّكم ما فى غدٍ ، فإن غدًا مكتفٍ بهمه ، وحَسْبُ اليوم شرُّهُ . وكما تَدِينون تُدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبصِر القــذاةَ فى عين أخيك ولا تُبصر السارِيةَ فى عينك ! لا تُعطوا الكلاب القُدْسَ ، ولا تُلقوا لؤلؤكم للخنازير . سَلُوا تُعْطَوا ، وابتغُوا تجِدُوا ، واستفتحُوا يُفتحْ لكم ، وانظروا الذى تُحبُّون أن يأتِىَ الناسُ اليكم فأتوا اليهم مِثلَه . أُدخلوا البابَ الضيِّق ، فإن البابَ والطريقَ الى الهَلَكةِ عَرِيضان ، والذين يسلُكونَهما كثيرٌ . وما أضيقَ البابَ والطريقَ اللذين يُبلِّغان الى الحياةِ ! والذين يسلكونَهما قليلٌ » .

وقال له رجل : أَتْبَعُك حيث ذهبتَ ؛ فقال له عيسى : للثعالبِ جِحَرةٌ ، ولطير السماءِ كِنَانٌ ، وليس لابن الإنسانِ مكانٌ يُسنِدُ فيه رأسَه .

وقال له رجلٌ من الحَوارِيِّين : أتأذن لى أن أدفِنَ أبى؟ فقال له : دع الموتَى يَدفنون موتاهم واتْبَعْنى . وقال للحوارِيّين : لا تتزوَّدوا شيئا ، فإن العائلَ محقوقٌ أن

(١) فى الأصل : «اذا جهد فقدر» بالفاء فى جواب اذا ، ولا معنى لذكر الفاء فى هذا الموضع .

(٢) الوقار : العظمة . وفى الأصـل : « بوفاره » بالفاء ، ولا معنى له هنـا الا أن يكون محرفا عن (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى . (٣) فى الاصل : «تنبت» «وتلق .... مهن» .

(٤) لعل اسم الاشارة يرجع الى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا» ، ليستقيم الكلام .

(٥) الصدّيقية : درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة .

يُطْعِمَ قُوتَه ، وإنى أُرسلُكم كالخِرفان بين الذئابِ ، فكونوا حُلَمـاء كالحيّاتِ وبُلْهًا(١) كالحَمام . واذا دخلتم البيتَ فسلِّموا على البيتِ ، فإن كان ذلك البيت أهـلًا لسـلامكم فليُصِبْهم ، وان لم يكن أهـلا لسلامكم فإنه يرجِـع اليكم . ومن لم يُؤوِكم ويسمَعْ لقولكم ، فاذا خرجتم من قَريته فانفُضُوا الغبارَ عن أرجُلِكم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبـد المنعم عن أبيه عن وَهْب قال : كان فيما ناجَى به عُزَيرٌ ربَّه : اللهـمَّ فإن لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيَرَةً اخترتَها ، وإنك اخترتَ من النبات الحُبْلَةَ(٢) ، ومن المواشى الضائنةَ ، ومن الطير الحمامةَ ، ومن البيوت بيتَ(٣) إيلياء ، ومن إيلياءَ بيتَ المقدِس ، ومن جميع الخلائق آدمَ ، ومن وَلَدِ آدمَ نوحا ، ومن وَلَد نوحٍ ابراهـيمَ ، ومن وَلَد ابراهيمَ اسماعيـلَ واسحاقَ ، ومن وَلَد اسحاقَ اسرائيـلَ ؛ اللهـمَّ فأصبحتْ خِيَرَتُك قد تمَّت ونفـذَتْ فى كلِّ ما اخترتَ إلا ما كان من وَلَد خليلك ابراهيم ، فإنهـم أصبحوا أعبُدًا لأهـل معصيتك وخَوَلا لأعدائك ، فمالذى سَـلَّط علينا ذلك ؟ أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولَدونا ، أو من أجل ضعفنا ؟ فمن ضعفِ خُلِقْنا ، قال : فجاءنى المَلَكُ فكلَّمنى ، فبينما أنا كذلك سمعت صوتا هالنى فنظرتُ ، فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها ، ناشرةٌ شعرَها ، شاقَّةٌ جَيْبَها ، تَلطِمُ وجهَها ، وتصرُخُ بأعلى صـوتِها ، وتحثُو الترابَ على رأسها ، فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه ، فقلتُ لها : ما بالُكِ أيتُها المرأةُ وما الذى دهاكِ ؟ أخبرينى خبرَكِ ، فقدأصابت المصائبُ غيرَكِ ، قالتْ : اليـك عنّى أيهـا الرجلُ ، فإن ربّى هو الذى أبكانى ،

(١) كذا فى الأصل . وفى حياة الحيوان للدميرىّ (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمـد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعـالى مثـل الحمام فافعلوا » . وفى إنجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجـلد ثالث ص ١٧ س ١٢) : « فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » .

(٢) الحبلة بالضم : الكرم أو أصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر العضاه .

(٣) فى الأصل : «بتا ايلياء» .

ومصيبتى أعظمُ مما ترى ؛ فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كلّ مصيبة ، وخَلَفا من كلّ هالك ، وعوضًا من كلّ فائتٍ ، فإياه فاستعينى ، والى نظره لك فانظرى ؛ قالت : انى كنتُ آمرأةً كثيرًا مالى ، عظيمًا شرفى ، وكنت عاقرا لا وَلَدَ لى ، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معى وكلُّهن وُلِدَ له غيرى ، فملَّ به لحبِّ الولد فصرفَ وجهَه عنّى ، فحزنتُ وحزن أهلى وصديقى ، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوطَ منزلتى عنده ، رغبتُ الى ربى ودَعَوْتُه فأجابنى ، واستوهبتُه غلاما فوهبه لى ، فقرَّتْ به عينى ، وفرح أهلى ، وعطّف اللهُ به زوجى ، وقطعَ عنّى ألسنةَ ضرائرى ، فربَّيْتُ غلاما لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسناً وجمالاً ونَضرةً وتماما ، فلما بلغَ أشُدَّه وكَمل به سرورى خطبتُ عليه عظيمةَ قومى ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتى(١) ، وجمعتُ رجالَ قومى ، فخرج يَمشى بينهم حتّى دخلَ بيتَه ، فلما قعَدَ على سريره ، خرّ منه فاندقَّت عنقُه فمات ابنى وضلَّ عملى وبطَلَ نصيبى وتلِفَ مالى ، فخرجتُ الى هذه البَرِّيَّة أبكيه فيها لا أريدُ أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، ولن أبرَحَ أبكيه حتّى ألحقَ به . قال عُزَيرٌ : أذكرى ربَّك وراجعيه ، فقد أصابت المصائبُ غيرَك أما رأيتِ هلاكَ إيلياءَ وهى سيّدةُ المدائن وأمُّ القُرَى ؟ أوَ ما رأيتِ مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمك اللهُ ! إن هذا ليس لى بعزاء وليستْ لى بشىء منه أُسوةٌ ، إنما تبكى مدينةٌ خربتْ ، ولو تُعمَرُ عادتْ كما كانتْ ، وإنما تبغى قوما وعدَهم اللهُ الكَرَّةَ على عدوّهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها(٢) ؛ قال عُزَيرٌ : فإنه خُلِقَ لما صار اليه ، وكلّ شىء خُلِقَ للدنيا فلا بدّ أن سيَفْنَى ،

(١) الخلعة (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يخلع على الانسان . (٢) لا أستقيلها أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشماخ :

* ومرتبة لا يستقال بها الردى *

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لإنه لا بد من الهلاك .

أمَا رأيتِ مدينتنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها، وأوحشتْ بعـد أُنسها وأثاثها! أوَ ما رأيت مسجدَنا كيف غُيِّر حسنه، وهُدِم حِصــنُه، وأُطفئ نورُه! أوَ ما رأيتِ عزَّ أهلها كيف ذَلَّ، وشرفَهم كيف خَمُــلَ، ومجدَهم كيف سقَط، ونخرهم كيف بطَــل! أو ما رأيتِ كتاب الله كيف أُحْرِقَ، وو ىَ الله كيف رُفِعَ، وتابوتَ السكينة(١) كيف سُبِى! أو ما رأيتِ نساءَ الملوك وبناتهـم فى بُطونِ الأسواقِ حاسرات عن السُّوق والوجوه والأشعار! أو ما رأيت الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مقرَّنين فى الحبال والقِطار! أو ما رأيتِ الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين فى الإسار، أو ما رأيتِ أبنـاءَ موسى وهارونَ تُضرب عليهـم السِّهامُ ويقتسمهُم الأشرارُ، وولدانَ الملوك خَدَماً(٢) للكُفّار، أو ما رأيتِ قتلانا لم يوارِ أحدا منهم قبرٌ، ولم يَعهَــدْ أحدٌ منهـم الى ولد، فالحكماء مبهوتون، والعلماء يموجون، والحلمـاء متحيّرون، وأهــلُ الرأى مُلْقُون بأيديهم مُستسلِمون. قال: فبينا أنا أكلِّمها غشّى وجهَها نورٌ مثلُ شـعاع الشمس حال بينى وبين النظر اليها، فخمّرتُ من شـدّته وجهى ورددتُ يدى على بصرى، ثم كشفتُ وجهى فاذا أنا لا أُحِسّها ولا أرى مكانَها، واذا مدينــةٌ قد رُفعتْ لى حصينةٌ بسورها وأبوابها، فلما نظرتُ الى ذلك خَررتُ صَعِقا، فجاءنى الملَك فأخذ بضَبْعِىّ ونعشّنى(٣) وقال لى: ما أضعفك ياعُزَيْر! وقد زعمتَ أنّ بك من القوّة ماتخاطبُ به ربَّك وتُدلِى بالعــذر عن الخاطئـين من

(١) ورد فى دائرة المعارف للبستانىّ عندالكلام على التابوت ما ملخصه: وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج، وكان موضعه فى قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مقدّسا وكانوا يحملونه بالأحتفال أمامهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد ... والظاهر أنه فقد عنــد ما هدم بختنصر الهيكل فى القــدس بإتلافه إياه أو نقله الى بابل. ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هــذا التابوت فليراجع ذلك فى التوراة.

(٢) فى الأصل: «خدم الكفار».

(٣) نعشه: رفعه وأقامه.

بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْر : مثل الذى رأيتُ وعاينتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛ قال المَلَك : فإن المرأةَ التى كلّمتْك هى المدينة التى تبكى عليها، صوّرها الله لك فى صورة أنثى فكلّمتك، فافقَهْ عنها : أما قولها : إنها عُمِّرتْ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها، فكذلك كانت إيلياءُ صعيدا من الأرض خرابا لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وأمّا قولها : إن[1] الله وهبَ لها غلاما عند اليأس، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فابتعث اللهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه. وأما قولها : إنه هلك ولدُها حين كمل فيه سرورُها، فذلك حين غيَّر أهلُها نعَمَ الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا، فغيَّر الله ما بهـم وسلّط عليهم عدوّهم حتى أفناهم، وقد شفَّعك الله فى قومك وكتابك ومدينتك، وسيُعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانُها وأبوابُها، وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها.

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاقَ عليهما السلام ويجعلَه قُربانا، أسرَّ ذلك الى خليلٍ له يقال له : العازر، فقال له الصديق : إن الله لا يَبتلى بمثل هـذا مثلَك، ولكنّه يريد أن يُجرِّبك ويختبرَك، وقد علمتَ أنه لم يبتلِك بهـذا ليَفتِنك ولا ليُضلَّك ولا ليُعنتك ولا لينقُص به بصيرتَك وإيمانَك ويقينَك، ولا يروعنَّك هذا ولا تَسُوءنّ بالله ظنَّك، وإنما رفَع الله اسمك فى البلاء على جميع أهل البلاء، حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك، ليرفعَك بقدر ذلك عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك، وليس لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك. وليس هـذا من وجوه البلاء الذى يبتلى اللهُ به أولياءه، لأن الله أكرمُ فى نفسه وأعدلُ فى حكمه وأعدل[2] فى عباده

(١) فى الأصل : «وانما». (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «وأرحم بعباده ...».

من أن يجعــل ذبح الولد الطيّب بيد الوالد النبيّ المصطفَى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا منّى حتما على الله أو ردّا لأمره أو سُخْطا لحكمه على عباده ، ولكن هـذا الرجاءُ فيــه والظنّ به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبـدًا[1] أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحُسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماما ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدّثنى بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبِث فى السجن سبعَ سنين أرسل الله عز وجلّ اليه جبريلَ عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفنى أيها الصِّـدّيق ؟ قال له يوسف : أرى صورةً طاهرةً وروحا طيِّبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول ربّ العالمين ؛ قال يوســف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرّبين ؟ قال جبريل : أوَلم تعلم أيها الصدّيقُ أنّ الله يطهِّر البيوت بطُهر النبيّين ، وأن البقعة التى يحلُّون بها هى أطهر الأرَضين ، وأنه قد طهَّر بك السجنَ وما حوله يابن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبّهنى بالصالحين ، وتسمّينى بأسماء الصدّيقين ، وتُعدّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسيرٌ بين هؤلاء المجرمين! قال جبريلُ : لم يكلِمْ قلبَـك الجزعُ ، ولم يغيِّر خُلُقَك البلاءُ ، ولم يتعاظمك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة ، ولم تُنسك نفسُك أباك ولا أبوك ربَّك ؛ وهذا الزمان الذى يفُكُّ الله به عنوَك[2] ، ويُعتِق به رِقّك ، ويبيِّن للنـاس فيه حكمتك ، ويُصـدّق رؤياك وينُصفك ممن ظلمك ، ويجمع اليك أحبّتك ، ويهب لك مُلك مصرَ: يملّكك ملوكها ، ويُعبِّد لك جبابرتها ، ويُذلّ لك أعزّتها ، ويُصغِّر لك عظماءها ، ويُخدِمُك سُوقَتها ،

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٧) : «فكن عند أحسن علمه فيك ... » (٢) العنو : الأسر والذل ، يقال : عنا فى القوم عنوّا وعناء صار فيهم أسيرا . وفى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٨) : « عنقك » .

ويخوّلك خوَلَهـا ، ويرحَم بك مساكينَها ، ويُلقى لك المودّةَ والهيبةَ فى قلوبهـم ، ويجعل لك اليـدَ العليا عليهم والأثَرَ الصالحَ فيهم ، ويُرى فرعونَ حلُمًا يفزَع منـه ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهرَه ويُذهبَ نومَه ، ويُعمّى عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ويعلّمك تأويلَه .

وفى بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكنَ معى غدًا فى حظيرة القُدس فكن فى الدنيا وحيـدا فريدا مهموما حزينا ، كالطائر الوحدانىّ يظلّ بأرض الفـلاة ويرِدُ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فاذا جَنّ عليه الليل أوى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربّه جلّ وعزّ .

لمـا قُتِلَ عبـدُ الله بن الزُّبَير وجدَ الحجّاجُ فيما ترك صُـندوقا عليه أقفال حديد، فتعجّب منه وقال : إنّ فى هذا شيئا، ففتحه فاذا صـندوقٌ آخرُ عليه قُفْـل ففتحه فاذا سَفَطٌ فيـه دُرج، ففتحه فاذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حَلفا ، والميعـادُ خُلْفا ، والمِقْنبُ(١) ألفا ، وكان الولدُ غيظا ، والشتاءُ قيظا ، وغاض الكرامُ غيضا، وفاض اللئـام فيضا، فأعنزٌ عُفْرٌ(٢)، فى جبل وعْر، خير من مُلك بنى النّضر . حدّثنى بذلك كعب الحبر .

الـــدعاء

حدّثنى أبو مسـعود الدارمىّ(٣) قال حدّثنـا جريرٌ(٤) عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال ”ربُّكم عزّ وجلّ ثلاثةٌ : واحدةٌ لى، وواحدةٌ لك

(١) المقنب كمنبر : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والعفرة : غبرة فى بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبى مسعود لا فى كتب الأنساب ولا فى كتب التراجم وغيرها من الكتب التى بين أيدينا . (٤) فى الأصل : «جدير» بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة فى الكتب التى عندنا . وقـد ورد فى تهذيب التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى ثم العتكى وقيل الجهضمى» . وجرير هـذا ممن رووا عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل محرّف صوابه ما أثبتناه .

يابن آدم، وواحدةٌ بيني و بينك، فأما التى لى فتُخلِص لى لا تُشرِك بى شيئا، وأما التى لك فأحوجُ ماتكون الى عملك أُوفِّيكه، وأما التى بينى و بينك فمنك الدعاءُ وعلىّ الإجابة".

حدّثنى عَبْدةُ بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال حدّثنا معاوية قال حدّثنى أزهرُ بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألتُ عائشةَ رضى الله عنها، ما كان يفتتح به رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم به صلاتَه فى قيام الليل ؟ قالت : كان يُكبِّر عَشْرا ويحمَدُ عشرا ويسبِّح عشرا ويهلِّل عشرا ويستغفرُ الله عشرا، ثم يقول : " اللهمّ اغفرْ لى واهدنى وارزقنى وعافنى "، ويتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة.

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا الخُفَاف عن أبى الوَرْقاء عن عبد الله بن أبى أَوْفَى قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال : "أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخَلْقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكن (١) فيهما لله ربّ العالمين وحده لا شريك له. اللهم اجعل أوّلَ هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخرَه نجاحا. اللهم إنى أسألك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ياأرحمَ الراحمين".

حدّثنا إسحاق بن راهويه (٢) قال أخبرنا حسين بن علىّ الجُعْفِىّ عن اسرائيل عن الحسين أنه كان اذا استسقى قال : «اللهم اسقنا سُقْيا (٣) واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غيرَ

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : «وما سكن فيهما من شىء لله وحده لا شريك له ...الخ». وفى كتاب الأذكار للنووى : «وما سكن فيهما لله تعالى ...الخ».
(٢) قال ابن خلكان فى ترجمة اسحاق بن راهويه : «وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة ... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء».
(٣) ورد هذا الأثر فى كتاب الأذكار للسيوطى (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) فى صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا فى بعض الكلمات و بالزيادة والنقص.

ضارّة تعمّ بها حاضرَنا وبادِيَنا وتزيد بها فى رزقنا وشكرنا . اللهم آجعله رزقَ إيمان وعطاءَ إيمانٍ إنّ عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا فى أرضنا سكنها (١) ، وأنبتْ فيها زينتها ومرعاها » .

روى الكلبىّ عن أبى صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه : " اللهم إنه لم ينزلْ بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُكشَف إلا بتوبةٍ ، وقد توجّه بى القوم إليك لمكانى من نبيّك (٢) ، وهــذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث " ، فأرخت السماءُ شآبيب (٣) مثلَ الجبال بديمةٍ مُطبِقَةٍ .

وروى سفيان بن عيينة عن أبى عبــد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زِدْ فى إحسان محســنهم ، وراجعْ بمسيئهم الى التوبة ، وحُطْ من ورائهم بالرحمة " .

حدّثنا حسين بن حسين (٤) قال حدّثنا عبــد الله بن المبــارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر (٥) عن خالد بن أبى عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليــه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : " اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به

---

(١) كذا فى الأصل ولسان العرب مادّة «سكن» . وفى منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مســند الإمام أحمد ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل فى أرضنا بركتها وزينتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذى تسكن أنفسهم اليه .

(٢) فى الأصل : «من بيتك» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شآبيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد فى الأصل . وفى تهذيب التهذيب أن ممن رووا عن عبــد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . ولعل ما فى الأصــل محرّف عنه . (٥) فى الأصل : «زخر» بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما فى تهذيب التهذيب .

الى رحمتك ، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا ، ومَتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا ، واجعــل ذلك الوارثَ منا ، وانصرنا على من ظلمنا ، ولا تجعــل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا " .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعىّ عن حسّانَ بن عُطَيَّة[1] قال : كان شدّاد بن أَوْس فى سفرٍ ، فنزلنا منزلا فقــال لغلامه : ائتنا بالسفرة نَعبث بها[2] ، فأُنكرت منه ، فقال : ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطِمها وأزمّها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها عنى ، واحفظوا عنى ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اذا كنز[3] الناسُ الذهبَ والفضّةَ فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إنى أسألك الثباتَ فى الأمر والعزيمةَ فى الرشــد وأسألك شكرَ نعمتك وأسألك حسنَ عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم ، وأستغفرك لِمــا تعلم ، إنك أنت علّام الغيوب" .

بلغنى عن الوليد بن مســلم قال حدّثنا أبو سلمة الدوسىّ[4] عن سالم بن عبــد الله قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم ارزقنى عينين هطّالتين تبكيان[5] بذروف الدموع وتشفيانى من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمــرا" .

---

(١) هكذا ضبطه فى تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا فى مسند الامام أحمد (ج ٤ ص ١٢٣) . وفى الأصل : "نعبث بها" وما أثبتناه هو الموافق لقول الزمخشرى فى أساس البلاغة مادّة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها» . (٣) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «ياشداد بن أوس اذا رأيت النـاس يكنزون ... الخ» وفى بقية الحـديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية أخرى . (٤) هكذا ورد فى الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبى سلمة فى الكتب التى بين أيدينا . (٥) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) ه « ... تشـفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك ... الخ ...» .

حدّثنى أبو سـفيان الغنوىّ قال حدّثنا عمـر بن عِمران قال حدّثنى الحارث بن عِنبة عن العلاء بن كثير عن أبى الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبىّ صلى الله عليه وسلم : "ياموضعَ كلّ شكوى وياشاهدَ كلّ نجْوى بكلّ سبيل أنت مقيم تَرَى ولا تُرَى وأنت بالمنظَر الأعلى" .

حدّثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم[(١)] عن أبيه عن وهب بن منبّه قال : كان دعاء عيسى الذى يدعو به للرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من فى السماء وإله من فى الأرض لا إله فيهما غيرُك ، وأنت جبـار مَنْ فى السماء وجبّار من فى الأرضِ لاجبّارَ فيهما غيرك ، وأنت حَـكَمُ مَنْ فى السماء وحَكَمُ مَنْ فى الأرض لا حَـكَمَ فيهما غيرُك ، وأنت ملِك من فى السماء وملِك من فى الأرض لاملِك فيهما غيرك ؛ قُدرتُك فى الأرض كقُـدرتِك فى السماء ، وسلطانُك فى الأرض كسلطانك فى السماء ؛ أسألك باسمك الكريم ووجهِك المنير ومُلكِك القديم ، إنك على كلّ شىء قدير" . قال وهب : هـذا يُقرأ للفزع على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسق ، فيبرأ بإذن الله أىّ ذلك شاء فعل .

وحدّثنى أيضا بهـذا الإسناد قال : كان من دعاء المسِيح حين أخذه اليهود لِيصْلُبوه بزعمهم فرفعه الله اليه : "اللهم أنت القريب فى علوّك ، المتعالى فى دنوك ، الرفيع على كل شىء من خَلْقك ؛ أنت الذى نفذ بصرك فى خلقك ، وحَسِرَت الأبصار دون النظر اليك وعَشِيَتْ دونك ، وشمخ بك العلوّ فى النور ؛ أنت الذى جَلّيت الظُّلَمَ

(١) ورد فى الأصـل "عبد الرحمن بن عبـد المنعم" وورد فى عدّة أسانيـد أخرى فى الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذى يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبـد الله ابن أخى الأصمعى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبـــه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُـدرتك، مقدِّر الأمور بحكمتك، مبتدِعَ الخلق بعظمتك، القاضى فى كل شىء بعلمك؛ أنت الذى خلَقتَ سبعًا فى الهواء بكلماتك، مستوِياتِ الطباق مذعِناتٍ لطاعتك، سماهنّ العلو بسلطانك، فأجبنَ وهنّ دخان من خوفك، فأتين طائعاتٍ بأمرك، فيهن ملائكتك يسبّحون قُدسَك بتقديسك، وجعلتَ فيهنّ نورا يجلو الظلام، وضياء أضـوأَ من شمس النهـار، وجعلتَ فيهنّ مصابيحَ يُهتدى بها فى ظلُمات البحر والبر ورجوما للشياطين، فتباركتَ اللهم فى مفطور سمواتك، وفيما دَحَوت من أرضك، دَحوتها على المـاء، فأذللت لها المـاء المتظاهر[1] فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوّتك أمواج البحار، ففجّرتَ فيها بعد البحار الأنهارَ، وبعـد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ؛ ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمـار، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوتادا فأطاعتك أطوادُها، فتباركت اللهم فى صنعك، فمن يبلغ صفةَ قدرتك ومن يَنعَتُ نعتك . تُنزِل الغيث وتُنشئ السحابَ، وتفُكّ الرقابَ وتَقضِى الحقّ وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرتَ أن يستغفرك كلُّ خاطئ . لا إله إلا أنت إنمـا يخشاك من عبادك العلماء الأكياس . أشهد أنك لست بإله استحدثناه، ولا ربٌّ يبيد ذِكرُه، ولا كان لك شركاءُ يقضون معـك فندعوهم وندعُك، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقك فنشكّ فيك . أشهدُ أنك أحدٌ صمدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفوًا أحدٌ، ولم تتّخِذ صاحبةً ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجا"؛ قال وهب : وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك: "أشهد أنك لستَ بإلهٍ استحدثناه، الى آخره .

(١) «المتظاهر» بالظاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك المـاء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضا لقوّته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتطاهر» بالطاء المهملة .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى (١)، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه الى السماء، والابتهال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورُهما الى وجهه".

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان داود اذا دعا فى جوف الليل قال: "اللهمّ نامتِ العيونُ وغارتِ النجومُ وأنت حىّ قيّوم اغفرلى ذنبى العظيم إنك عظيمٌ وإنما يغفر العظيمَ العظيمُ، اليك رفعتُ رأسى عامرَ السماء نظرَ العبيد الى أربابها. اللهمّ تساقطت القُرَى وأُبطِل ذكرُها وأنت دائبُ الدهرَ مُعدٌّ كرسىَّ القضاء".

قال: وكان من تحميده: "الحمد لله عدد قَطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعددَ ما فى البرّ والبحر. والحمد لله عددَ أنفاس الخَلْق ولَفْظهم وطَرْفهم وظلالهم، وعددَ ما عن أيْمانهم وشمائلهم، وعددَ ما قهره ملكُه، ووسعه حِفظُه، وأحاطت به قُدرته، وأحصاه علمُه. والحمد لله عددَ ما تجرى به الرياحُ، وتحمِله السحابُ، وعددَ ما يختلِف به الليلُ والنهارُ، وتسير به الشمسُ والقمرُ والنجومُ. والحمدُ لله عددَ كلِّ شىء أدركه بصرُه، ونفذَ فيه علمُه، وبلغ فيه لطفُه. والحمد لله الذى أدعوه فيُجيبُنى وإن كنتُ بطيئا حين يدعونى. والحمد لله الذى أسأله فيعطينى، وإن كنتُ بخيلا حين يَستقرِضُنى (٢). والحمد لله الذى أستعفِيه فيُعافينى، وإن كنتُ متعرِّضا لما يُهلِكنى. والحمد لله الذى حَلُم فى الذنوب عن عقوبتى حتى كأنى لاذنبَ لى، ولو يؤاخِذُنى لم يظلِمنى سيّدى. والحمد لله الذى أرجوه أيامَ حياتى،

(١) كذا ورد فى الأصل. وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار باصبعه من يده اليمنى ... الخ». وفى نهاية الأرب للنويرىّ (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا فى أكثر الألفاظ.

(٢) فى الأصل: «حتى» وهو تحريف.

وهو ذُخرِى فى آخرتى ، ولو رَجوتُ غيره لأنقطع رجائى . والحمـد لله الذى تُمسِى أبواب الملوك مغلقةً دونى ، وبابُه مفتوحٌ لكلّ ما شئتُ من حاجاتى بغـير شفيع فيقضيها لى . والحمد لله الذى أخلو به فى كل حاجاتى، وأضعُ عنـده سرّى(١) فى أىّ ساعة شئتُ من ساعاتى . والحمـد لله الذى يتحبّب الىّ وهو عنّى غنىٌّ، فربّى أحمدُ شىء عندى وأحقُّه بحمدى" .

وكان من دعاء يوسفَ : " ياعُدّتى عنـد كربتى ، وياصاحبى فى وَحْدَتى ، وياغِياثى عند شدّتى، ومَفزَعى عنـد فاقتى، ورجائى إذا انقطعتْ حيلتى ، ياإلٰهى وإلٰه آبائى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعـل لى فرجًا ومخرجا وٱقضِ حاجتى" .

وكان بَكّاء بنى اسرائيل يقول: "اللهمّ لاتؤدّبنى بعقوبتك، ولا تمكُرْبى فى حيلتك، ولا تؤاخذنى بتقصيرى عن رضاك، عظيمَ خطيئتى فاغفرْ، ويسـير(٢) عملى فتقبّل، كما شئتَ تكون مشيئتك ، وإذا عزمتَ يمضى عزمُك؛ فلا الذى أحسنَ ٱستغنى عنـك وعن عَونك، ولا الذى أساء استبدَّ بشىء يخرُج به من قُدرتك ؛ فكيف لى بالنجاة ولا توجـدُ إلا من قِبَلك ! إلهُ الأنبيـاء ، وولىُّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبـة الكرامة ، جديدٌ لا يبـلى ، حفيظٌ لا يَنْسَى ، دائمٌ لا يبيـد ، حىٌّ لا يموت ، يقظانُ لاينام ، بك عرفتُـك ، وبك ٱهتديتُ اليك ، ولولا أنت لم أدْرِ ما أنتَ ، فتباركتَ وتعاليتَ" .

قال الأزدىّ حُدِّثتُ عن محمّـد بن النضر الحارثىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقطعوا الشهادة على أهـل القبلة فإنه من يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منـه

(١) فى الأصل : « سره » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) فى الأصل : «تسيير» .

برىءٌ إنّ الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة". وقال : «من علّم آيةً من كتاب الله أوكلمةً من سنّة فى دين الله حثا الله له من الثواب حَثْوا» (١) .

قال وقال الأوزاعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابّك من الأعمال وحسن الظنّ بك وصدق التوكل عليك" .

محمد بن بشر العَبْدى (٢) قال حدّثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر علىٌّ عليه السـلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يامن لا يشـغَلُه سمعٌ عن سمع ، ولا تُغلِطه (٣) المسائلُ ، ولا يُبرِمه (٤) إلحـاحُ الملحّين ؛ أَذِقْنى بَرْدَ عفوك وحلاوةَ مغفـرتك ؛ فقال علىّ : والذى نفسى بيـده ، لو قلتها وعليك ملءُ السـموات والأرضين ذنوبا لغُفِر لك .

دعا أعرابىّ عند المُلتزَم (٥) فقال : اللهم إنّ لك علىَّ حقوقا فتصدَّقْ بها علىّ ، وللناس قِبَـلى تَبِعـاتٍ فتحملها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلّ ضيف قِرًى ، وأنا ضيفُك فاجعلْ قِراى الليلة الجنةَ .

وقال آخر : اللهم إليك خرجتُ ، وما عندك طلبتُ ، فلا تحرمنى خيرَ ما عندك لشرّ ما عندى . اللهمّ وإن كنتَ لم ترحم نَصَبى وتَعَبى فلا تحرمنى أجرَ المصابِ على مصيبته .

---

(١) حثا له : أعطاه . (٢) كذا فى الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء فى تقريب التهذيب : «محمـد بن بشير العبدى» . (٣) لا تغلطه : لا توقعه فى الغلط ، وهو من قولهم : أغلطه إذا أوقعه فى الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح فى مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أى يضمونه الى صدورهم» .

وقرأتُ فى كتابٍ لشيخ لنا : اللهمّ إنه من تهيّأ أو تعبّأ ، وأعدّ وآستعدّ لوِفادة مخلوقٍ رَجاءَ رِفْـدِه وطَلَبَ نَيلِه ، فإن تهيّئى وتعبّئى وإعدادى واستعدادى لك رجاءَ رِفْـدك وطلبَ نائلك الذى لاخطَرَ له (١) ولا مِثلَ . اللهـمّ إنى لم آتكَ بعملٍ صـالحٍ قدّمتهُ ، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه ، أتيتك مُقرًّا بالظُّلم والإساءةِ على نفسى ، أتيتُـك بأنّى لا حجّـةَ لى ، أرجو عظيمَ عفوك الذى عُدْتَ به على الخَطّائين ، ثم لم يمنعـك عكوفُهم على عظيم الجُـرمِ أن جُدتَ لهم بالمغفرة . فيا مَنْ رحمتُه واسعةٌ ، وفضـلُه عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرَّقاشىّ : اللهمّ لاتُدخلنا النارَ بعـد إذ أسكنتَ قلوبَنا توحيدَك ، وإنى لأرجو ألّا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عيَيْنـةَ عن أبى حازم قال : لَأَنا مِنْ أن أُمنعَ الدعاءَ أخوفُ منّى من أن أُمنعَ الإجابةَ .

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء فى وصف دعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ فى الأرض تبتـغى * مَحـلًّا ولم يقطع بهـا البيـدَ قاطعُ
سَرتْ حيث لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنخْ * لوِرْدٍ ولم يَقصُرْ لهـا القيْـدَ مانعُ
تَحُـلّ (٢) وراءَ الليل والليـلُ ساقطٌ * بأرواقه فيـــه سمـــيرٌ وهاجـعُ
تَفَـتّحُ أبوابُ السماء ودونَهـا (٣) * إذا قَرَع الأبوابَ منهنّ قارعُ

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .
(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : «تظل ...»
(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ» .

إذا أَوفدتْ[١] لم يردُدِ اللهُ وفدَها * على أهلهـا واللهُ راءٍ وسامـعُ
وإنى لأرجو اللهَ حتّى كأنّنى[٢] * أرى بجميلِ الظنِّ ما الله صانعُ

وقال آخر :

وإنى لأدعو اللهَ والأمرُ ضيّقٌ * علىّ فمـا ينفكّ أن يتفرّجا
ورُبَّ فتًى سُدَّتْ عليه وجوهُهُ * أصاب له فى دعوةِ الله مَخْـرَجَا

ونحـــوه :

إذا تضـايقَ أمرٌ فانتظر فرجا * فأضيقُ الأمرِ أدناه من الفرجِ

أُخِذَ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ الى آخذِه : يا هــذا ، إنّ الرجلَ ينام على الثُّكل، ولا ينام على الحَرَبِ[٣] ؛ فإمّا رددتَه ، وإمّا عرضتُ اسمَك على الله تعالى كلّ يومٍ وليلةٍ خَمْسَ مرّاتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبى فكتب الى بكر بن عبـد الله يسأله أن يدعُوَ له ، فكتب اليه بكر : يحقّ لمن عمِل ذنبا لا عُذرَ له فيه، وتوقّع موتا لا بدّ له منــه ، أن يكون وَجِلًا مُشفِقًا ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجابَ لى بقوّةٍ فى عملٍ، ولا براءةٍ من ذنبٍ، والسلام .

خَلَفُ بنُ تميم عن عبـد الجبّار[٤] بن كُلَيب قال : قال لنـا إبراهيم بن أدهم حين عَرض لنا السَّبُعُ : قولوا : اللهمّ احرُسْنا بعينك التى لاتنامُ، واجعلنا فى كَنَفك الذى لايُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نَهلِكُ وأنت رجاؤنا؛ قال خَلَف : فما زلتُ أقولُها مذ سمعتُها، فمـا عرَضَ لى قطُّ لِصٌّ ولا غيرُهُ .

(١) فى العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤلها * (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « ... كانما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك بلا شىء . (٤) هكذا ورد فى الأصل ولم نوفق الى تحقيق هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا .

قال أعرابىّ : من أقام بأرضنا فليُكثر من الاستغفار ، فإنّ مع الاستغفار القُطَار(١) .

بلغنى عن موسى بن مسعود النَّهْدىّ(٢) عن سفيان الثورىّ عن قُدامة بن حَمَاطَة الضَّبىّ عن خالد بن مِنْجاب عن زياد بن حُدَير(٣) الأسدىّ أن العلاء بنَ الحضرمىّ عبرَ الى أهل دَارِين(٤) البحرَ بهذه الكلمات : ياحليمُ يا حكيمُ يا علىُّ ياعظيمُ .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن هشام الدَّسْتَوَائىّ(٥) عن حمّاد عن إبراهيم عن عبد الله فى الرجل إذا أراد الحاجة صلَّى ركعتين ثم قال(٦) : اللهمّ إنّى أستخيرك بعلمك ، وأستقدِرُك بقُدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرُ ولا أقدِرُ ، وتملِك ولا أملِك ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ ، إن كان هذا الأمرُ الذى أريده — وتُسمّيه — خيراً لى فى دِينى وخيرا لى فى معيشتى وخيرا لى فيما أبتغى فيه الخِيَرَة فيَسّرْه لى وبارِكْ لى فيه ، وإن كان شرًّا لى فى دِينى وشرًّا لى فى معيشتى وشرّا لى فيما أبتغى فيه الخيرَ فاصرفه عنّى ويسّرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رَضِّنِى [به](٧) .

---

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) فى الأصل : « المهدى » بالميم وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتناه كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) فى الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر البكرى البصرى الدستوائى بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة الى دستوا بالقصر وتمدّ : كورة من كور الأهواز كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء وقال فى النسبة اليها : دستوائى ودستوانى . (٦) ورد هذا الدعاء فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٣٢٦) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اَللهمّ إنّى أستغفرك من كلّ ذنبٍ قَوِىَ عليه بدنى بعافيتك، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطتُ اليه بسَعَة رزقك، واحتجبتُ فيه عن الناس بسَتْرك، واتّكلتُ فيه على أناتِك وحلمك، وعوّلتُ فيه على كريم عفوك .

الأوزاعىّ قال : من قال : «اللهمّ إنى أستغفرك لمَـا تبتُ اليك منه ثم عدتُ فيـه ، وأستغفِرُك لمَـا وعدتُك من نفسى وأخلفتُك ، وأسـتغفرك لمَـا أردتُ به وجهَك فخالَطَه ما ليس لكَ، وأستغفرك للنِّعم التى أنعمتَ بها علىّ فتقوّيْتُ بهـا على معصيتك، وأستغفرك لكلّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ ارتكبتُها » غفر اللهُ له ولو كانت ذنوبُه عَدَدَ ورق الشجر، ورملِ عالجٍ(١)، وقَطْرِ السماء .

وكان مُطَرِّف يقول: اللهمّ إنى أعوذُ بك من شرّ السلطان، ومن شرّ ما تجرِى به أقلامُهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قولا حقّا فيـه رضاك ألتمسُ به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزيَّن للنـاس بشيءٍ يَشينُنى ، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقك، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسـعدَ بمـا علّمتَنى منّى، وأعوذ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يُصيبنى .

الأزدىّ عن عبد الواحد بن زيد(٢) قال : شهدتُ مالكَ بن دينار يوما وقيل له : ياأبا يحيى ادعُ اللهَ أن يَسقِيَنا ، قال : تستبطِـئون المطرَ ! قالوا : نعم، قال : إنى والله أستبطئُ الحجارةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءً السُّلَمِىّ يقول : اللهـمّ ارحَمْ غُربتى فى الدنيا، ومَصرعى عند الموت، ووَحْدتى فى القبور، ومُقامى بين يديك .

---

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه فى بعض .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر على اسم عبد الواحد بن زيد فى المراجع الخاصـة التى تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا فى المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا زُهير عن زُبيد اليامىّ (١) عن مُرّةَ عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسمَ بينكم أخلاقكم كما قسمَ بينكم أرزاقكم، إن الله يُؤتِى المـالَ مَنْ يحبّ ومن لا يحبّ، ولا يؤتى الإيمـانَ إلا من يُحِب. فمن ضنَّ بالمـال أن يُنفقه، وهاب العدوّ أن يُجاهدَه، والليلَ أن يكابدَه فليُكثِر من سبحان الله والحمد لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر» .

ومن جامِع الدعاء: اللهمّ أغننى بالعلم، وزيّنى بالحلم، وجمّلنى بالعافية، وأكرمنى بالتقوى .

وكان من دعاء أبي المجيب : اللهمّ لا تَكِلْنا الى أنفسنا فنعجِز، ولا الى النـاس فنَضِيعَ، اللهمّ اجعلْ خيرَ عملى ماقاربَ أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد، اللهمّ أغنِنى بالافتقار اليك، ولاتُفْقِرنى بالاستغناء عنك.

ابن عائشة عن سلّام بن أبي مُطِيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا يَستحِبّون من الدعاء : اللهمّ عبـدُك وابنُ عبدك وابنُ أمَتك لعبيـدك وإمائك ، أنا الذليـلُ ولا أنتصر، وأنا الظالم ولا أعتـذر ، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى وإلّا تغفرْ لى وترحمْنى أكُنْ من الخاسرين، فما أتمّها ابن عون حتى أجهشَ (٢) بالبكاء .

ومن دعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « اجعلْنى لك شكّارا ، لك ذكّارا، لك رهّابا ، لك مطيعا ، اليك مُخبِتًا ، لك أوّاها مُنيبا، ربّ تقبّلْ توبتى واْغسِلْ حَوْبتى وأجبْ دعوتى وثبّت حجّتى واْهدِ قلبى وسدّدْ لسانى » .

(١) فى الأصل : « النامى » بالنون وهو تحريف وصوابه «اليامى» نسبة الى يام : بطن من همدان ، كما تقدّم فى صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد .

(٢) أجهش بالبكاء : همّ به وتهيأ له .

المناجاة

حدّثني عبدُ الله بن هارون عن سُلَيم بن منصور عن أبيه قال : كنتُ بالكوفة[1] فخرجتُ في بعض الليل لحاجةٍ وأنا أظنُّ أنّي قد أصبحتُ فإذا عليّ ليلٌ فمِلتُ الى بعض أبوابها أنتظر الصبحَ فسمعتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول : فوعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَك، وما عصيتُك إذ عصيتُك وأنا بنكالك جاهلٌ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مُستخِفٌّ، ولكن سوّلتْ لي نفسي، وأعانني على ذلك شِقوتي، وغرّني ستُرك المرخَى عليّ، فعصيتُك بجهلي وخالفتُك بجهلي، فالآنَ من عذابك مَنْ يستنقذُني وبحبلِ مَنْ أعتصمُ إن قطعتَ حبلَك عنّي، فواسَوأتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفِّين : جوزُوا، وللمثقلين : حُطُّوا ؛ أفمع المثقلين أحُطُّ أم مع المخفّين أَجُوز ! ويلي ! كلّما كَبِرتْ سِنّي كثُرتْ ذنوبي، ويلي ! كلّما طال عمري كثُرت معاصيَّ فمِنْ كَمْ أتوبُ ! وفي كم أعودُ ! أما آن لي أن أستحيَ من ربّي ! .

بلغني عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داودُ النبيُّ عليه السلامُ يقول في مُناجاته : سبحانَك إلهي ! اذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليّ الأرضُ برُحْبِها، واذا ذكرتُ رحمتَك ارتدّ اليَّ رُوحي، سبحانك إلهي ! أتيتُ أطباءَ عبادك ليُداووا لي خطيئتي فكلّهم عليك يَدُلُّني .

حدّثني بعضُ أشياخنا قال : كان داودُ الطائيّ يقول : همُّك عطّلَ عليَّ الهمومَ، وحالفَ بيني وبين السُّهادِ، وشدّةُ الشفَق من لقائك أوبَقَ[2] عليَّ[3] الشهواتِ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات ونقص عما هنا .

(٢) أوبق : حبس . (٣) كذا في الأصل ولعلها "عني" ليستقيم المعنى .

ومنعنى اللذّاتِ ، فأنا فى طلبــك أيها الكريمُ مطلوبٌ[1] . وقال : تعبَّــدَ ضيغمٌ قائمـا حتى أُقعِدَ ، وقاعدا حتى استلقَ ، ومُســتلقيا حتى أُفْحِمَ ؛ فلمـا جَهِدَ رفع بصرَه الى السماء وقال : سبحانك ، عجبا للخليقــة كيف أرادتْ بك بَدَلا ! وســبحانك ، عجبا للخليقة كيف استنارت قلوبُها بذكر غيرك ! وعجبا للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك .

عُتبة أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

ســبحانك ، ما أضيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه ، ســبحانك ما أوحشَ الطريقَ على من لم تكن أنيسَه .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُّبير يقول فى مناجاته بعد أن قُطِعتْ رجلُه [ومات ابنُــه][2] : كانوا أربعةً ، يعنى بنيه ، فأخذتَ واحدا وأبقيتَ ثلاثةً ، وكنّ أربعا يعنى يديْه ورِجليْه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثا ، لَيُمْنُكَ[3] لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيتَ ، ولئن كنتَ ابتليتَ لقد عافيتَ .

وفى حديث بنى إسرائيل أنّ يونُسَ عليه الســلامُ قال لجبريلَ عليه الســلام : دُلّنى على أَعبدِ أهل الأرض فدلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجليْه ، وذهب ببصرِه ، فســمِعه يقول : متّعتَنى ما شئتَ ، وسلبتَنى حين شئتَ ، وأبقيتَ لى فيك الأملَ يابارُّ يا وَصُولُ .

ومن دعاء بعض الصالحيـــن : اللهــمّ اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعــل قُرَّةَ عينى فى عبادتك ، وارزقنى غَمَّ خوفِ الوعيــد ، وشوقَ رجاءِ الموعود ، اَللهمّ إنك تعلم ما يُصلِحُنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حَفِيًّا[4] .

(١) فى الأصل : « مطلوبا » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفىّ : اللطيف البار المبالغ فى الإكرام .

باب البكاء

حدّثنى أبو مســعود الدارِمىّ[(١)] قال حدّثنى جدّى عن أَنَس بن مالك قال : جاء فتًى من الأنصار الى رسول الله صلّى الله عليه وســلّم [وقال[(٢)]] : إن أمّى تُكثر البكاءَ وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيتَها فوعَظتَها ! فذهب معه فدخل فقال لهـا فى ذلك ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرتُ الى الجنة ، أيُبدِلنى الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى النار ، أفيُعيد الله بصرى ؟ فقال النبىّ عليــه السلام للفتى : «إنّ أمّك صِدِّيقةٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيــد عن معاوية بن عمرو عن أبى[(٣)] إسحاق عن الأوزاعىّ عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعينٍ لا تمسُّها النار ، عينٌ حرَسَتْ فى سبيل الله ، وعينٌ سهِرتْ فى كتاب الله ، وعينٌ بكتْ فى سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العُتبىّ قال حدّثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاءُ إلا من فضلٍ فإذا اشتدّ الحزنُ ذهب البكاءُ ، وأنشد :

فلئن بكيناه يَحِقُّ لنــا * ولئن تركنا ذاك للكِبر[(٤)]
فلمثله جرت العيونُ دمًا * ولمثله جمَــدتْ فلم تجرِ

(١) لم نعثر على هــذه النسبة فى الكتب التى بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدّم) . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) ورد فى الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الاوزاعىّ ممن روى عنــه (أبو اسحاق الفزارىّ) ومعاوية المذكور هو ابن عمــرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارىّ أيضا فيتعين حينئــذ أن (أبا اسحاق) هو المقصود فى هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨) وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد فى الأصل كلمة «للصــبر» فوق كلمة «للكبر» ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث [(١)] بن سـعد عن أبيه عن ابن لَهِيعَة عن أبى قَبِيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال [(٢)] : دخل يحيي بن زكريّا بيتَ المقــدس وهو ابنُ ثَمــانِى حِجج ، فنظر الى عُبَّادِ بيت المقدس قد لِبسُوا مدارعَ الشَّعر ، وبَرانسَ الصـــوف ، ونظر الى متهجِّديهم أو قال مجتهديهم قــد خرقوا التراقىَ ، وسلكوا فيهــا السلاسلَ ، وشــدّوها الى حنايا [(٣)] بيت المقــدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع الى أبويه فمرّ بِصِبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيي هلمَّ فلنلعبْ قال : إنى لم أُخلَق للَّعب ، فذلك قول الله تعــالى : ﴿وآتيناه الحكمَ صبيّاً﴾ فأتى أبويه فسألها أن يُدَرِّعاه الشَّــعَرَ ففعلا ، ثم رجع الى بيت المقــدس فكان يخدُمه نهــارا ويَصيحُ فيه ليــلا ، حتى أتت له خمسَ عشرةَ ســنة ، وأتاه الخوفُ فساح ولزم أطرافَ الأرض وغِيرانَ [(٤)] الشِّــعاب ، وخرج أبواه فى طلَبه فوجداه حين نزلا من جبال التِّيهِ على بُحيرة الأردنّ وقد قعــد على شَفِير البُحَيرة وأنقعَ قدميه فى المــاء ، وقد كاد العطشُ يذبحُه وهو يقول : وعزَّتِك لا أذوقُ باردَ الشراب حتى أعلَم أين مكانى منك ! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرصا كان معهما من شَــعير ، ويشربَ من المــاء ففعلَ وكفَّر عن يمينه فمُدِحَ بالبِرّ ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ وردّه أبواه الى بيت المقدس ،

(١) فى الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سـعد ويكنى بأبى الحارث . ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن بن لهيعة ومن بعـده روى عنهم الليث بن سـعد ولذا ترجح لدينا أن ما ورد فى الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهـذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨ ص ٤٥٩) وطبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد فى الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة .

(٢) فى قصص الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيي أنه أتى بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف فى بعض الالفاظ وزيادات عما هنا .

(٣) فى قصص الأنبياء : « ... وشدّوا بها الى سوارى المسجد » .

(٤) غيران : جمع غار وهو ما ينحت فى الجبل كالمغارة يأوي اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام فى صلاته بكى ، ويبكى زكريّا لبكائه حتى يُغمَى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقتْ دموعُه لحمَ خدّيه، وبدَتْ أضراسُه، فقالت له أمه : يا يحيى، لو أذنتَ لى لاتّخذتُ لك لِبدًا لِيوارىَ أضراسَك عن الناظرين؛ قال : أنتِ وذاكِ، فعَمَدَتْ الى قِطْعَتَىْ لُبودٍ فألصقتهما على خدّيه ، فكان اذا بكى استنقعتْ دموعُه فى القطعتين فتقومُ اليــه أُمُّهُ فتعصِرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعَىْ أُمِّهِ قال : اللهمَّ هذه دموعى وهذه أُمِّى وأنا عبدُك وأنت أرحمُ الراحمين .

بلَغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحــاق الحَميسىّ(١) قال كان يزيدُ الرَّقاشىّ يقول: ويحك يا يزيدُ ! مَن يصومُ عنــك! مَن يصلِّى عنك ! ومن ذا يترضَّى لك ربَّك من بعــدك ! ثم يقول : يا معشرَ مَنِ الموتُ موعدُه ، والقبْرُ بيتُــه ألا تبكون ! قال : فكان يبكى حتى تسقطَ أشفارُ(٢) عينيه .

بلَغنى عن محمّــد بن فُضَـيل عن العَلاء بن المسيَّب عن الحَسن قال : قال النبىّ صــلّى الله عليــه وسـلّم : « مَا مِنْ قطرةٍ أحبُّ الى اللهِ مِنْ قطرةِ دمٍ فى سبيله وقطرةِ دمعٍ فى جوف الليــل من خشيته ، وما من جَرْعةٍ أحبُّ الى الله من جَرْعةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ ردّها بصبرٍ وحسُن عزاؤه ، وجَرعةِ غيظٍ كظَم عليهــا »

مُعتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان فى وجنتَىِ ابن عباس خطَّانِ من أثر الدموع .

(١) فى هامش تهــذيب التهذيب ما نصــه : « والحميسىّ بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة «أن السمعانىّ صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب اللباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، ففى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدّثنى محمّدُ بن داو[1] عن سـعيد بن نُصَيْر قال حدّثنـا سَيّار عن جعفرٍ قال : كنتُ اذا أحسستُ من قلبى بقسوةٍ أتيتُ محمدَ بن واسعٍ فنظرتُ اليه نظرةً، قال : وكنت اذا رأيت وجهَـه حسبتُه وجهَ ثَكلَى .

وكان يقال : أخوك مَنْ وعَظَك برؤيته قبلَ أن يعظَك بكلامه .

تكلّم الحسَن يوما حتى أبكَى مَن حولَه فقال : عَجِيجٌ[2] كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعةٌ كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون .

أبو عاصم قال : فقَـدَ مالكُ بن دينـار مصحفَه فى مجلسه ، فنظر اليهـم كلِّهم يبكون، فقـال : كلُّكم يبكى ! فمن سَرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقَى للحزن، وكانت له شُعَيراتٌ فى مُقـدَّم صُدْغه فإذا رقَّ نتفها أو مدَّها الى فوق فتقلَّص دمعُـه .

قيل لغالب بن عبيد الله[3] : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء، فقال : هُوَ لها شهادة ، قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى يُنْفِدَ العينُ ماءَها * ويَشْـفِىَ منّى الدمعُ ما أتوجَّعُ

وقال بعض الكتّابِ فى مثله :

إبك فمن أنفعِ مافى البكا * أنّه للأحزانـ تسهيلُ
وهو إذا أنت تأمّلتَـــه * حُزْنٌ على الخدّين محلولُ

قيل لعُفَيْرَة العـابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف يسأم ذو داءٍ من شىءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء ! .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله محرف عن «داود» . (٢) العجيج : الصياح و رفع الصوت .

(٣) كذا فى الأصـل وفى طبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبى الحوَارىّ : رأيت أبا سليمان الدارانىّ يبكى، فقلت له : ما يُبكيك؟ فقال: إنما أبكى لذلك الغمّ الذى ليس فيه فرحٌ، وذلك الأمدِ الذى ليس له انقطاعٌ.

قال بعضهم : أتيتُ الشأمَ ، فمررتُ بدير حَرْمَلَة ، وبه راهبٌ كأن عينيْه عِدْلا مَزادٍ، فقلتُ ، ما يُبكيك ؟ فقال : يا مسلمُ، أبكى على ما فرَّطتُ فيه من عمرى ، وعلى يومٍ مضى من أجلى لم يَتبيَّنْ(١) فيــه عملى . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه، فقالوا : أسلمَ وغزَا فقُتِل فى بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرَّقَاشىّ فقــال لى : يا أشعثُ ، تعــالَ حتى نبكىَ على المــاء البارد فى يوم الظمأ، ثم قال: والهفاه! ســبقنى العابدون وقُطِعَ بى؛ وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميرىّ(٢) قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لُبْس النصارى هــذا السوادَ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب؛ قال فقلتُ : وكلّكم معشرَ الرهبان قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمــك الله ! وأىّ مصيبةٍ أعظمُ من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد(٣) : فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكانى .

ابن أبى الحوَارىّ قال : دخلت على أبى سليمان وهو يبكى، فقلت : ما يُبكيك؟ قال : يا أحمد، إنه إذا جَنّ الليلُ وهــدأت العيونُ وأنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله، فرَشَ أهلُ المحبة أقدامَهم، وجرت دموعُهم على خدودهم يُســمع لها وقعٌ على أقدامهم، وقد أشرف الجليلُ عليهــم فقال : بعينى مَنْ تلذَّذَ بكلامى واســتراح الىّ ، فمــا هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أنّ حبيبا يعذّبُ أحباءَه ! أم كيف أُبيّتُ

(١) فى العقد الفريد : «لم يحسن فيه عملى» . (٢) هكذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد «أبو زيد الحبرىّ » . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يتملّقوننى! فبى حلفتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهى ينظرون الىّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكى لصخرٍ من القتل، فأنا أبكى له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرٍّ لأبيــه : يا أبتِ، مالكَ اذا تكلّمت أبكيتَ الناسَ، واذا تكلّمَ غيرُك لم يُبكهم؟ فقال : يا بنىّ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجَرة .

وفى بعض ما أوحى الله الى نبىٍّ من أنبيائه: هبْ لى من قلبك الخشوعَ ، ومن بَدَنك الخضوعَ، ومن عينك الدموعَ، وادعُنى، فإنى قريب .

وكان عمر يقول : اِستغزروا العيون بالتذكّر .

التهجــــد

حدّثنــا حسين بن حسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنى مَعْمَر والأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كَثِير(١) عن أبى سلَمة عن أبى زَمَعة بن كعب الأسلمىّ قال : كنتُ أبيتُ عنــد حُجرة النبىّ صلى الله عليــه وسلم فكنت أسمعُ، اذا قام من الليل، "سبحانَ اللهِ ربِّ العالمين" الهَوِىَّ(٢) من الليل، ثم يقول : "سبحانَ اللهِ و بحمدِه" الهَــوِىَّ .

حدثنا حسين قال حدّثنــا سفيان بن عُيَينة عن زياد بن عِلاَقة(٣) قال : سمعتُ المُغيرةَ بن شُــعْبة يقول : قام رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم حتى تورّمت قَدَماه؛

(١) فى الأصــل : «يحيى بن أبى كثنيين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهوىّ بالفتح : الحــين الطويل من الزمان، وقيل هو مختص بالليل (لسان العرب) . (٣) فى الأصل : «زياد عن علافة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة» كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يارسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبـد الله بن المبارك قال أخبرنا حمّـاد بن سلَمة عن ثابت البُنَانِىّ عن مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى ولجوفه أزيزكأزيز المِرْجَل .

بلغنى عن رَبَاح عن مُعْتمِر عن رجلٍ قد سمّـاه قال: قال يزيد الرَّقَاشىّ: اذا أنا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ فلا نامت عيناىَ ، وعلى المـاءِ الباردِ السلامُ . يعنى بالنهـار .

وروى جَرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثّقفى[(١)]: لا يشهد علىّ ليـلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بإفطارٍ، فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه لَيُفطرنّ العيدين .

وروى حمّاد بن سَلَمة عن أبى جعفر الخَطمىّ عن جدّه عُمَير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يآهلاه، الدُّلْجَةَ الدُّلْجَةَ، إنه من يسبِق الى المـاء يظمأ، يآهلاَ، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبق الى الظلّ يَضْحَى .

قال أبو سليمان الدارانىّ: أهلُ الليل فى ليلهم ألَذُّ من أهـل اللهو فى لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء .

خرج عيسى عليه السلام على الحواريّين، وعليهم العَبَاءُ[(٢)] وعلى وجوههم النور، فقال: ياأبناءَ الآخرة، ما تنعَّم المتنعِّمون إلا بفضل نعيمكم .

---

(١) هكذا فى الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نعثر عليه لا فى كتب تراجم الرواة ولا فى كتب الأنساب وغيرها من الكتب التى بين أيدينا؛ وفى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفى ...» .

(٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح من قدّام يلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بالُ المتهجّدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم[(١)] نورا من نوره .

حُصَيْن[(٢)] بن عبـد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همـام يقول : اللهمّ آشفنى من النوم باليسـير، وآرزقنى سهرا فى طاعتك . وكان يُصبح وجُمّتـه[(٣)] مُرَجَّلة؛ فيقول بعضُهم لبعض : إن جُمَّةَ همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم اذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَـه . وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر الى الفجر قال : "عند[(٤)] الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى" .

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفُضَيل بن عياض بيدى ثم قال : ياحسين، يقول الله : كَذَبَ من ادّعى محبتى واذا أَجَنَّه الليلُ نام عنى، أليس كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةَ حبيبه ! هاأنذا مُطَّلِعٌ على أحبّائى، إذا أَجَنَّهم الليلُ جعلتُ أبصارَهم فى قلوبهم، ومثَّلتُ نفسى بين أعينهم، فخاطَبونى على المشاهدة وكلّمونى على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثنى عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازى[(٥)] عطاء الخُراسانى فكان يُحيي الليلَ صلاةً، فاذا مضى من الليل ثُلُثُه أو أكثرُ نادانا ونحنُ فى فِسطاطنا : ياعبـدَ الرحمن بن يزيد ، ويايزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز[(٦)] ، قوموا فتوضّئوا

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا فى الأصـل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سـياق الكلام أن كلمة «نعازى» الواردة فى الأصـل محرفة عن كلمة «نقارئ» من قارأه مقارأة اذا دارسه أى شاركه فى الدرس؛ وبهـا يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصـل وتهذيب التهذيب وتقريب التهـذيب . وفى الخلاصة : «الغازى» بياء بعد الزاى المعجمة .

وصلُّوا، فإنّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهـار أيسرُ من شرب الصـديد ومن مُقطَّعات الحديد، فالوَحا الوحا ثم النجاءَ النجاءَ، ويُقبل على صلاتِهِ .

مالك بن مِغْوَل(١) عن رجل من جُعْفِيّ(٢) عن السدىّ عن أبى أراكة قال : صَلَّى علىٌّ الغـداةَ ثم جلس حتى ٱرتفعت الشمسُ كأنّ عليه كآبةً، ثم قال : والله ، لقـد رأيتُ أثرا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمـا أرى أحدا يُشـبهم، والله إن كانوا لَيُصبحون شُعْثًا غُبْرا صُفْرا، بين أعينهم مثل رُكَبِ المِعْزَى، قد باتوا يتلُون كتابَ الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يميدُ الشجر فى يوم ريح، وٱنهملت أعينُهم حتى تبُلَّ ثيابَهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين . يريد أنهم يستقلّون ذلك .

المحاربىّ عن الإفريقىّ قال حدّثنا أبو عَلْقَمة عن أبى هريرة قال: إن أهلَ السماء ليرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضِيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض .

يَعْلَى بن عُبَيْد عن محمد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبـد الله بن عيسى قال : كونوا ينابيعَ العلم، مفاتيحَ الهدى، أحلاسَ(٣) البيوت، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرفوا(٤) فى أهل السماء، وتَخْفَوا فى أهل الأرض .

حدّثنى محمـد بن داود قال حدّثنا أبو الربيع الزَّهْرانىّ قال حدّثنا أبو عَوَانة عن المغيرة عن إبراهيم : فى الرجل يرى الضوءَ [بالليل](٥)؛ قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأُوثِر به أهلُ بدر .

---

(١) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفى الأصل : « معول » بالعين المهملة ، وهو تحريف . (٢) جعفى : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس جمع حلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ؛ ومنـه الحديث الشريف : « كونوا أحلاس بيوتكم » أى الزموها . (٤) فى الأصل : « تعرفون ... وتخفون ... » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للأمر . (٥) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

المـــــوت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى عيسى بن ميمون عن محمـد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبـد العزيز فأدَمتُ النظرَ اليه ؛ قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما ٱبيضّ من شعرك ، ونحَلَ من جسمك ، وتغيَّر من لونك ؛ فقال : أَمَا والله لو رأيتنى فى القبر بعد ثالثـة ، وقد سالتْ حدقتاى على وجنتىّ ، وسال منخراى صديدا ودودا ، لكنتَ أشدَّ نَكَرَةً[1] .

وقال الأصمعىّ : دخلتُ بعضَ الجَبَابين[2] ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ ، وهى تقول :

عَدِمتُ الحيـاةَ ولا نلتُها * إذا كنتَ فى القبر قد ألحدوكا
وكيف أذوق لذيذ الكرى * وأنت بيمناك قد وسَّـدوكا

قال الأزدىّ : بلغنى أنّ داود الطائىّ مرَّ بامرأة تبكى عنـد قبرٍ وهى تقول : يا أخاه ! ليت شعرى :

بأىِّ خدَّيك تبدَّى البِلى * وأىُّ عينيـك إذًا سالا

فصعِق مكانه ثم تعبَّد .

حدّثنى محمـد بن مرزوق قال حدّثنا محمد بن نصر المعـلّم قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أتيت القبـورَ فناديتُهـنَّ * أين المعظَّم والمحتقَرْ
وأين المُـدِلُّ بسـلطانه * وأين المزكَّى اذا ما ٱفتخَرْ

---

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار .
(٢) الجبابين جمع جبانة ، وهى المقبرة .

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانَوْا جميعًا فما مُخْـــبِرٌ * وماتوا جميعا وماتَ الخــبَرْ
تروحُ وتغدو بنـاتُ الثرى * وتُمْحى[1] محاسنُ تلك الصُّوَرْ
فياسائلى عن أناسٍ مَضَـوْا * أَمَا لك فيما ترى مُعـــتَبَرْ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغنى أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلَلِ[2] الأجبال تحرُسُهم * غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهم القُلَلُ[3]
واستُنْزِلوا بعـــد عزٍّ من معاقلهم * فأُسكِنوا حُفْــرةً يابئس ما نزلوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعــد ما دُفنــوا * أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحُــلَلُ
أين الوجوهُ التى كانت مُحَجَّبــةً[4] * من دونها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[5]
فأفصحَ القبرُ عنهــم حين ساءلهم * تلك الوجوهُ عليهـا الدودُ تقتتـلُ[6]
قد طال ما أكلوا دهرا وما نَعِموا[7] * فأصبحوا بعدطول الأكل قدأُكِلُوا

وقال آخر :

ربَّ قوم عَبَروا من عيشهم * فى نعـــيم وسرورٍ وغَـــدَقْ
ســكتَ الدهرُ زمانا عنهمُ * ثم أبكاهم دمًا حين نَطَقْ

---

(١) فى الإحياء للغزالى : « فتمحو ... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل . (٣) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما أغنتهم » . (٤) فى تاريخ أبى الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهى الستر الرقيق المعروف فى زمننا هــذا بالناموسية . (٦) فى تاريخ أبى الفدا : « يقتتل » وفى اسم الجنس ، كالدود هنا ، يجوز الامران . (٧) فى تاريخ أبى الفدا : « شربوا » .

نزل النّعمان ومعه عدىٌّ بن زيد فى ظلّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوا؛ فقال له عدى بن زيد : أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا؛ قال تقول :

ربَّ شَرْبٍ(١) قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالِ
ثم أضحَوْا لَعِب الدهرُ بهم * وكذاك الدهرُ حالًا بعد حالِ

وقال ابراهيم بن المهدى :

بالله ربِّك كم بيتٍ مررتَ به * قد كان يُعْمَر باللذّات والطربِ
طارتْ عُقابُ(٢) المنايا فى سقائفه * فصار من بعدها للويلِ والحربِ

أنشـدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمـد العروضىّ :

كن كيف شئتَ فقَصرُك(٣) الموتُ * لا مَزْحَلٌ عنــه ولا فَوْتُ
بينــا غِنَى بيتٍ وبهجتُه * زال الغنَى وتقــوَّضَ البيتُ

حدّثنى يزداذ(٤) بن أســد عن الطَّنافسىّ قال حدّثنا أبو محمد قال : كان مالك بن دينار يخرج الى القبور كلَّ خميس على حِمار قوطرانىّ(٥) ويقول :

ألا حَىِّ القبــورَ ومن بِهِنَّهْ * وجوهٌ فى القبــورِ أُحِبُّهنَّهْ
فلو أنّ القبورَ سمعنَ صوتى * إذًا لأجبننى من وجدِهِنَّــهْ
ولكنّ القبــورَ صمَتْنَ عنّى * فأُبْتُ بحسرةٍ من عندِهِــنَّهْ

---

(١) فى الكامل للبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب... حولنا * يمزجون...» وفى البيت الثانى «عصف» بدل «لعب» . (٢) فى الأصل : « عقار المنايا » . (٣) قصرك : قصاراك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد فى مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذه النسبة .

ثم يبكى ونبكى .

قال معاوية بن أبى سـفيان لعُبَيد بن شرية الجُرْهُمى : أخبِرْنى بأعجبِ شىءٍ رأيتَه فى الجاهليَّة؛ فقال : إنى نزلتُ بحىٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذرةَ يقال له حُرَيث وخرجتُ معهم، حتى اذا واَرَوْه فى حفرته انتبذتُ جانبـا عن القوم وعيناى تَذْرِفان ثم تمثَّلتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أَروِيها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرِى : أوائلُهـا * خَيْرٌ[1] لنفســـك أم ما فيــه تأخيرُ
فاســـتقدرِ اللهَ خيرا وارضَـيَنَّ به * فبينما العسرُ إذ دارت مياســـيرُ
وبينما المرءُ فى الأحيـاءِ مغتبطًا * إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليــه ليس يعرفه * وذو قرابتـــه فى الحىّ مسرورُ

قال : والى جانبى رجلٌ يســمع ما أقول، فقال لى يا عبـدَ الله، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله، إلا أنّى أَروِيها منذُ زمانٍ ؛ فقال : والذى تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبِنا الذى دفنّاه آنفا، وهذا الذى ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وإنك لغريبٌ وتبكى عليه كما وصفتَ؛ فعجبتُ لمـا ذكره فى شعره وما صار اليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته، فقلت : «إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول» ؛ فذهبتْ مثلا .

قال أعرابىٌّ : خيرٌ من الحياة ما اذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحيـاةَ ، وشرٌّ من الموت ما اذا نزل بك أحببت لنزوله الموت .

---

(١) فى درة الغواص للحريرى (ص ٣٣ طبعة الجوائب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك" وفى الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيرا الخ ... ... وهو تحريف .

وقال أبو زُبَيد :

يَملكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضا للنون نَصْبَ العودِ
كلّ يومٍ ترميه منها برَشْــقٍ (١) * فمصيبٌ أو صاف (٢) غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظتْك أجداثٌ صُمُتْ * ونَعَتْك أزمنـةٌ خُفُتْ
وتكلَّمتْ عن أوجهٍ * تَبـلى وعن صور شُتُتْ (٣)
وأرتك قبرَكَ فى القبو * رِ وأنت حىٌّ لم تَمُتْ

وقال أعرابىٌّ : أبْعَدَ سفرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ (٤) منه الموتُ . وقيـل لأعرابىّ : مات فلانٌ أصحَّ ما كان؛ فقال : أوَ صحيحٌ مَن الموتُ فى عُنقِه ! وقال بعض المحدَثين :

اِسمعْ فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبـادر فهو الفوتُ
بل كُلْ اذاشئت وعِشْ ناعما * آخرُ هذا كلِّه الموتُ

وكان صالح المرّىّ يقول فى قَصَصه :

مؤمِّـــلُ دنيـا لتبـــقَى له * فمـاتَ المؤمِّلُ قبـــل الأَمَلْ
وباتَ يُروِّى أصولَ الفَســيل (٥) * فعاش الفســيلُ وماتَ الرجُلْ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكَى أحبَابُهم ثم بُكُوا
تركوا الدنيا لمن بعدهُمُ * وُدُّهم لو قـدّموا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمى . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٣) كذا فى ديوان أبى العتاهيــة طبع بيروت . وفى الأصـل والمسعودى : « وعن صور سبت » .
(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينـا من ملوكٍ سُوقةً * ورأينـا سُوقةً قـد مَلَكوا
قَلَبَ الدهرُ عليهـــم وَرِكا * فاستداروا حيث دار الفلَكُ

حدّثنى أبى عن أبى العتاهيــة أنه قرئ له بيتـان على جدارٍ من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

ما ٱختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ فى الفلَكِ
إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ * كان يحبُّ الدنيا الى مَلِكِ

وقال آخر:

ما أنزل الموتَ حقَّ منزلِهِ * من عَدَّ يوما لم يأتِ من أجَلِهْ
والصّدقُ والصّبرُ يبلُغان بمن * كانا قرينيْـــه منتهَى أملِهْ
عليك صدقَ اللسان مجتهدا * فإنّ جُلَّ الهـــلاك فى زللِهْ

وقال الطِّرِمّاح :

فيارَبِّ لا تجعـــلْ وفاتِىَ إن أتت * على شَرجعٍ(١) يُعْـــلَى بدُكْنِ المطارفِ
ولكن أجِزْ(٢) يومى شهيدًا وعُصْـبةً * يصابون فى فجٍّ من الأرض خائفِ
عصائبُ من شتَّى يؤلِّفُ بينهـم * هُـدى اللهِ نزّالون عنـد المواقفِ
اذا فارقوا دنيـاهمُ فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها(٣) فى المصاحفِ
فأُقتَـــلُ قَعْصًا(٤) ثم يُرمَى بأعظمى * كضِغْثِ(٥) الخَلَا بين الرياح العواصفِ
ويُصبِـــح لحمى بطنَ طير مقيـلة * دُوَينَ السماء فى نسـورٍ عوائفِ(٦)

(١) الشرجع : النعش . (٢) رسمت هذه الجملة فى الأصل هكذا : «ولكن أخريومى» . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى فى ترجمة الطرماح باختلاف كثير فى الكلمات عما هنا . (٣) فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : «الى ميعاد ما فى المصاحف» . (٤) قعصه قعصا : قتله مكانه . (٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . (٦) العوائف من الطير : التى تستدير على الشىء حائمة حوله تريد الوقوع .

وُهَيب بن الوَرْد قال : اتّخذ نوح بيتـا من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتـا ؟ فقال : هذا لمن يموت كثيرٌ.

بلغنى عن إسماعيل بن عَيّـاش عن شُرَحْبيل بن مسـلم أن أبا الدَّرداء كان اذا رأى جنازةً قال : اِغْدى فإنّا رائحون ، أو قال : روحى فإنا غادون . وهذا مثل قول لبيد :

وإنا وإخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتـدى والرائح المتهجِّرِ(١)

بلغنى عن وكِيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من مولود يولد إلا وفى سرّته من تُربة الأرض التى يموت فيهـا . قال الأصمعىّ : أوّل شعر قيل فى ذمّ الدنيا قول ابن خَذّاق(٢) :

هل للفتى من بناتِ الدهر من راقى * أم هل له من حِمَـام الموت من واقى
قـد رجّلونى وما رُجِّلتُ من شَعَثٍ * وألبسـونى ثيـابا غيرَ أخـلاقِ
وطيّبـونى وقالوا أيّمـا رجـلٍ * وأدرجـونى كأنّى طىّ مخـراقِ(٣)
هوِّن عليـك ولا تُولَع بإشـفاقِ * فإنمـا مالُنا للـوارث البـاقى

محمد بن فُضَيل عن عُبيـد الله بن عُمَير قال : جاء رجل الى النبىّ عليـه السلام فقال : يا نبىَّ الله ، مالى لا أحبُّ الموت ؟ فقال له : «هل لك مال» ؟ قال : نعم ، قال : «قدِّمه بين يديك» ، قال : لا أُطيق ذلك ، قال : فقال النبىُّ عليه السلام : "إنّ المرءَ مع ماله إن قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَ به وإن أخّره أحبَّ أن يتخلّف معه" .

المحاربىّ عن عبـد الملك بن عُمَير قال : قيل للربيع بن خَيْثم فى مرضه : ألا ندعو لك طبيبا ؟ قال : أنظِرونى ، ثم فكر فقال : (وعادًا وثَمودَ وأصحابَ الرَّسِّ وقُرُونًا

---

(١) كذا فى ديوان لبيد ، وفى الأصل «المتبجر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى والقاموس وشرحه مادة «خذق» وفى الأصل «حلاق» وهو تحريف .
(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بينَ ذلكَ كثيرًا) قد كانت فيهــم أطباءُ، فمــا أرى المداوِى بَقِى ولا المُداوَى؛ هلك الناعتُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لى طبيبا .

إسحاق بن سليمان عن أبى أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيرى[1] إلا أن يقول :

تُسَرُّ بمــا يَبلَى وتفرَحُ بالمــنى * كما اغترّ باللذّاتِ فى النوم حالمُ
نهارُك يا مغــرورُ سهوٌ وغفْلةٌ * وليــلُك نومٌ والردَى لك لازمُ
وسعيُك فيما سوف تكره غِبَّــهُ * كذلك فى الدنيــا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقبِلٍ يوما ليس بمستكمله ، ومنتظِرٍ غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم الأجل ومسيرَه، لأبغضتم الأملَ وغرورَه .

لا يلبث القُرَنَاء أن يتفرقوا * ليل يَكُرّ عليهــمُ ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وَرْد عن سالم بن بَشير ابن نَجَل عن أبى هريرة : أنه بكى فى مرضه فقــال : أمَا إنّى لا أبكى على دنيا كم ولكنّى أبكى على بعد سفرى وقلّة زادى ، وأنى أمسيتُ فى صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار، ولا أدرى على أيّهما يؤخذ بى ! .

أبو جَنَابٍ قال : لمــا احتُضِر معاذٌ قال لجاريتــه : ويحكِ ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا ؛ ثم تركها ساعةً ثم قال لها : انظُرِى ! فقالت : نعم؛ فقال : أعوذ بالله من صباح الى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء على فاقةٍ، لا أفلح مَنْ نَدِم ! اللهمّ إنك تعلم أنّى لم أكن أُحبُّ البقاءَ فى الدنيا لكَرْى الأنهارِ ولا لغرس الأشجارِ ، ولكن كنت أُحبُّ البقاءَ لمكابدة الليــل الطويل ولظمأ الهواجر فى الحرّ الشديد ولمزاحمةِ العلمــاءِ بالرُّكَبِ فى حِلَقِ الذِّكر .

---

(١) الهِجّيرى : الدأب والعادة .

أبو اليَقْظان قال : لمـا احتُضِر عمرُو بن العاص جعـل يدَه فى موضع الغُلِّ من عنقه ثم قال : اللهـمّ إنك أمرتَنا ففرَّطْنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهمّ إنه لا يَسـعُنا إلا رحمتُك، فلم يزل ذلك هِجِّيرَاه حتى قُبِض .

قيل لأزاذ مَرْد(١) بن الهِرْبِذ حين احتُضِر : ما حالُك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيــدا بلا زاد، وينزلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس، ويَقْــدَمُ على ملكٍ جبّارٍ قد قَدّم اليه العـذْرَ بلا حُجّةٍ !

حدّثنى عَبْدَةُ الصفّارُ قال حدّثنى العَلاء بن الفضل قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيــه قال : سمعتُ أميّةَ بن أبى الصَّلْت عنــد وفاته وأُغمىَ عليــه طويلا ثم أفاق، ورفع رأســه الى سقف البيت وقال : لبّيكما لبّيكما، هأنذا لديكما ، لا عشيرتى تَحميِنى، ولا مالى يَفـديِنى، ثم أُغمىَ عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهرا * صائرٌ مرّةً الى أن يزولا
ليتنى كنتُ قبــل ما قد بدا لى * فى رءوس الجبال أرعَى الوُعُولا

ثم فاضت نفسُه .

الحكَم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهمّ إن كنتَ تعـلمَ أنى قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جُرأَةً منّى عليك، فإنك تعلم أنى قد أطعتُك فى أحبّ الأشياء اليـك شهادةِ أن لا إله إلا أنت، مَنّاً مِنْك لا مَنّاً عليـك . وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائمـا، فأتاه آتٍ فى منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة فى اللغة الفارسية "آزاد" بالدال المهملة فلعل ما فى الأصل تحـــريف .

كأنّى بهذا القصر قد بادَ أهلُه * وعُرِّىَ منه أهلُه ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ * الى جَدَثٍ تُبنَى عليه جنادِلُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تُبَكِّى(١) عليه مُعْوِلاتٍ حلائلُه

فآستيقظ مرعوبا ثم نام فأتاه الآتى فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * سنُوكَ وأمرُ الله لا بدّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجِّم * أبا جعفرٍ عنك المنيةَ دافعُ

فقال : يا ربيع ائتنى بطَهورى ، فقام واغتسل وصلّى ولبّى وتجهّز للحجّ . فلما صار فى الثلث الأوّل اشتدّت علّتُه ، فجعل يقول : يا ربيع ألْقِنى فى حرم الله ، فمات ببئر ميمون(٢) .

حدّثنى محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال الربيع بن بَرَّة : كنتُ بالشام فسمعتُ رجلا وهو فى الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ، فقال : اشرب واسقنى . ورأيت رجلا بالأهواز قيل له : قل لا إلهَ إلا اللهُ ، فقال : ده يا ذده وده دوازده(٣) . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا اله الا الله ، فقال :

يارب قائلة يوما وقد لَغِبتْ * كيف الطريقُ الى حمّام مِنجابِ(٤)

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن معمر عن أبيه قال : لقِّن ميّتَك ، فإذا قالها فدعه يتكلّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

---

(١) تبكّى (بالتشديد) : مثل تَبكى بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة الى ميمون ابن خالد بن عامر بن الحضرمىّ . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهى كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام منجاب (بكسر الميم) : ينسب الى منجاب بن راشد الضبىّ .

قال مالك بن ضيغم : لمـا احتُضِر أبى قلنـا له : ألا تُوصِى ؟ قال : بلى، أُوصيكم بمـا أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿يَا بَنِيَّ إنَّ ٱللهَ ٱصْـطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما استطعتم من المعروف، وادفنونى مع المساكين .

وقال عمر بن عبـد العزيز لابنه (١) : كيف تجـدُك ؟ قال : فى الموت ؛ قال : لأن تكونَ فى ميزانى أحبّ الىّ من أن أكون فى ميزانك، قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبّ أَحَبّ الىّ من أن يكون ما أُحِبّ .

احتضر سيبويه النحوىّ فوضع رأسه فى حجر أخيه فقطَرت قَطرةٌ من دموع أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته وقال :

أُخيَّين كنّا فـرّق الدهرُ بيننا * الى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميـد بن هلال : قيـل لهَرِم بن حِبّان : أوص؛ فقال : قد صدَقَتنى نفسى فى الحياة ، مالى شىء أُوصِى فيه، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل .

قال الشاعرُ :

ما ارتدّ طرفُ امرئ بلحظته * إلا وشىءٌ يموتُ من جسـدِهْ

وقال آخر :

المرء يشـقَى بمـا يسعَى لوارثه * والقبرُ وارثُ ما يسعى له الرجُلُ

حدثنى محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن أبى حيّان التيمىّ عن أبيه قال : أَوصَى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسـه وكَفَى بالله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازيًا لعباده الصالحين ومُثيبا : إنى رضيت بالله ربًّا و بالاسـلام دينا و بمحمد رسولا ، وأُوصِى نفسى ومن أطاعنى أن يعبُدَ اللهَ فى العابدين ويحَمَـده فى الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين ؛ وأَوصَى أهله : أَلَّا تُشـعِروا بى أحدا وسُلُّونى الى ربى سَلًّا .

حدّثنى محمـد بن أحمـد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجرىّ يقول : لمـا مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به بارًّا)؛ فسمعها الشـيخُ فقال : أنّى أضيعُ واللهُ حىٌّ لا يموت ! فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال : رحمك الله ياذرّ ! ما علينا بعـدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّنى أنّى كنت المقـدّمَ قبلَك ، ولولا هولُ المطّلَع لتمنّيتُ أن أكون مكانَك ، لقـد شغلنى الحزنُ لك عن الحزن عليـك ، فياليت شـعرى ما ذا قلتَ وما قيل لك ! ثم رفع رأسَه الى السماء فقال : اللهمّ إنّى قد وهبتُ حقِّى فيما بينى وبينه له ، فهبْ حقَّـك فيما بينك و بينـه له . ثم قال عنـد انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا شُرَيح بن النّعمان عن عبد العزيز بن أبى سَـلَمة المـاجِشُون عن عبـد الواحد بن أبى عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «تُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بالجبالِ الراسياتِ ما نزل بأبى لهاضَها ، اِشرأبَّ النفاقُ بالمدينـة وارتدّت العـربُ ، فوالله ما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغَنَائها[1] فى الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسـلام ، كان والله أحوزِيًّا[2] نسـيجَ

(١) فى الأصل : «وغنا بها» . (٢) الأحوزىّ : الحسن السياق للا مور وفيه بعض النفار .

وحده، قد أعدّ للامور أقرانَها » . وقالت عنـد قبره : « رحمك الله يا أبتِ ! لقـد قمتَ بالدين حين وهى شَـعْبُه[١] وتفاقم صَـدْعُه ورجفت جوانبُه ؛ اِقبضت مما أصغَوْا اليـه[٢]، وشمَّرت[٣] فيا وَنُوا فيه واستخففتَ من دنياك ما استوطنوا وصـغَّرت[٤] منهـا ما عظَّموا ورعَيت دينـك فيا أغفلوا ، أطالوا عِنان الأمن واقتعدت مطيَّ الحـذر، ولم تهضم دينك ولم تَشِـنْ غدَك ففاز عنـد المساهمة قِدْحُك وخفَّ مما استوزروا ظهرُك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضَّر الله وجهك يا أبتِ ! فلقـد كنتَ للدنيا مُذِلّا بإدبارِك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجلَّ الرزايا بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك وأ كبرَ المصائبِ فقدُك إنّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميلِ العزاءِ عند أحسنِ العوَضِ[٥] منك ، فأنا أتنجَّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عليك ، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلامُ الله ورحمتُه ، توديعَ غيرِ قاليةٍ لحياتك ولا زاريةٍ على القضاء فيك » .

قال الحسين بن علىّ عند قبر أخيه الحسن : « رحمك اللهُ أبا محمـد ! إن كنتَ لَتُباصِرُ الحقَّ مَظَانَّه ، وتُؤثِر اللهَ عند تداحُضِ[٦] الباطلِ فى مواطن التقيّة بحسن الرويّة ، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظم الدنيا بعينٍ لهـا حاقرةٍ ، وتُفيضُ عليها يدًا طاهرةَ الأطرافِ نقيَّةَ الأسرَّةِ[٧] ، وتردَعُ بادرةَ غربِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غَروَ وأنت ابن

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا اليه : مالوا اليه . (٣) شمر : جدّ . وفى الاصل : «سموت» وهو تحريف ، اذ ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالاصل .

(٥) الذى فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : «ان كتاب الله ليعـد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، فلعلها «عند مداحض الباطل» جمع « مدحضـة » كمزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهي الخطوط التي تبدو فى ظاهر اليد والجبهة .

سلالة النبوّة و رضيعُ لِبان الحكمةِ ؛ فالى رَوْح ورَيحانٍ وجنَّةِ نعيم ؛ أعظَمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه ، ووهبَ لنا ولكم السّلوةَ وحُسْنَ الأُسى[(١)] عنه » .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين السعيدىّ عن محمد بن مُصْعَب : أنّ ابن السمّاك قال يوم مات داودُ الطائىّ فى كلامٍ له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى مابين يديه من آخرته ، فأعشَى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فأنتم منه تعجَبون وهو منكم يعجَب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولَكم وأماتت بحبّها قلوبَكم استوحش منكم ، فكنتُ اذا نظرتُ اليه نظرت [الى] حىٍّ وسطَ أمواتٍ . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهَنت نفسَك وانما تريد إكرامَها ، وأتعبتها وانما تريد راحتَها ، أخشنتَ المطعمَ وانما تريد طِيبَه وأخشنتَ الملبسَ وانما تريد لِينَه ، ثم أمتَّ نفسَك قبل أن تموتَ ، وقبرتَها قبلَ أن تُقبرَ ، وعذَّبتها ولمّا تُعذَّب[(٢)] ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَر ، رغبتْ نفسُك عن الدنيا فلم ترها لك قدْراً الى الاخرة ، فما أظنُّك إلا وقد ظَفِرت بما طالبت ؛ كان سِماك فى سِرِّك ولم يكن سِماك فى علانيتك ، تفقَّهتَ فى دينك وتركت الناس يُفَنُّون ، وسمعتَ الحديثَ وتركتهم يُحدِّثون ، وخرِسْتَ عن القول وتركتهم ينطقون ، لا تحسُد الأخيارَ ، ولا تعيبُ الأشرارَ ، ولا تقبل من السلطان عطيّة ، ولا من الإخوان هديّة ؛ آنسُ ما تكون اذا كنتَ بالله خاليا ، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون الناس ؛ فمن سمِع بمثلك وصبرَ صبرَك وعزَم عزمَك ! لا أحسَبُك الا وقد أتعبت العابدين بعدك ، سجنت نفسَك فى بيتك فلا مُحدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا ستر على بابك

(١) الأسى (بضم الاول و يكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهى مايتعزى به .
(٢) فى الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قُلّةَ يُبَرِّد فيها ماؤك ولا صحفةَ يكون فيها غداؤك وعَشاؤك ، مِطْهَرَتُك قلبُك وقَصْعتُك تَوْرُك[1] . داود ما كنتَ تشتهى من الماء بارده ولا من الطعام طيّبَه ولا من اللباس ليّنَه ، بلى ! ولكن زَهِدتَ فيه لما بين يديك ، فما أصغرَ ما بذلتَ ، وما أحقرَ ما تركتَ فى جنب ما أمّلتَ ، فلما متَّ شَهَرَك ربُّك بموتك ، وألبسَك رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَك ، فلو رأيتَ من حضرَك عرفتَ أنّ ربَّك قد أكرمك وشرَّفك ، فَلْتتكلّم اليوم عشيرتُك بكلّ ألسنتها ، فقد أوضحَ ربُّك فضلَها بك ، ووالله لو لم يَدْعُ عبدا الى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّشر من كثرة هذا التَّبَع ، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومُثيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ، فحقق رجائى وآمن خوفى .

مات ابنٌ لأنَس بن مالك فقال أنَسٌ عند قبره : اللهمّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدَّ اليك ، فارأف به وارحمْه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء لرُوحه وتقبّلْه بقبولٍ حسنٍ . ثم رجع فأكلَ وشربَ وادّهن وأصاب من أهله .

وقال جرير فى امرأته :

لا يلبَثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا * ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارُ
صلّى الملائكةُ الذين تُخيِّروا * والطيّبون عليكِ والأبرارُ

وقفتْ أعرابيّة على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالُك لعِرسك ، ولا همُّك لنفسك ، وما كنتَ إلا كما قال القائل :

رحيبُ الذراع بالتى لا تَشينُه * وإن كانت الفحشاءُ ضاقَ بها ذَرْعا

---

(1) التور : إناء صغير يتوضأ به .

حدّثنى محمد بن داود عن الصَّلْت بن مسعود قال : كان سفيان بن عُيَينة يستحسن شعرَ عدىّ بن زيد :

أين أهلُ الديار من قومِ نوحٍ * ثم عادٌ من بعـدهم وثمودُ
بينما هـم على الأسرَّة والأنْـ * ـماط أفضت الى التراب الخدودُ
ثم لم ينقَضِ الحـديثُ ولكن * بعـد ذا الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطبـاءُ بعـدَهم لحِقوهم * ضلَّ عنهم سَعُوطهم واللَّدُود(١)
وصحيحٌ أضحى يعـود مريضا * وهو أدنى للموتِ ممن يعـودُ

أخذه علىّ بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطَّاه الردى * فنجا ومات طبيبُـه والعُوَّدُ

حدّثنى عَبْدة بن عبد الله قال أخبرنا عُبَيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعِىّ بن حِراش قال : أتيتُ أهلى فقيل لى : مات أخوك ، فوجدتُ أخى مُسَجًّى عليـه بثوب ، فأنا عند رأسـه أترحَّم عليـه وأدعو له إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلنا : وعليكَ السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إنى تُلُقِّيتُ بَرَوْحٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان ، وكسانى ثيابا من سـندسٍ وإسْتَبرَق ، وإنى وجدتُ الأمرَ أيسرَ ممـا تظنّون ولا تتّكِلوا ، إنى استأذنت ربّى أن أخبركم وأبشّركم ، احملونى الى رسول الله ، فقد عُهِد إلىّ ألّا أبْرَحَ حتى ألقاه ثم طَفِئ(٢) .

حدّثنى أبو سهل عن علىّ بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مُطرِّفا كان يبـدو(٣) على دابّته بين المقام فأغفى فاذا أهلُ القبور جلوسٌ على

---

(١) السعوط : الدواء الذى يؤخذ من الانف ، واللدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط و يصب فى أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

شِفَاه[(١)] قبورهم يقولون : هـذا مُطَرِّفٌ يروح الى الجُمعة ؛ قلتُ : هل تعرفون يومَ الجمعة؟ قالوا : نعم، وما تقول الطيرُ فى جوف السماء، يقولون : سلامٌ، يومٌ صالحٌ .

حدّثنى محمد بن عبيـد قال : حدّثنا سُـفيان بن عُيَينة عن أبى الزُّبير عن جابر قال : لمـا أراد معاوية أن تَجرِىَ العينُ التى حفرها ـــ قال سفيان : تُسمَّى عينَ أبى زياد ـــ نادَوْا بالمدينة : من كان له قتيلٌ فليأتِ قتيـلَه ؛ قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابا يتثنَّون ، وأصابت المِسحَاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانفَطَرتْ[(٢)] دمًا . قال أبو سعيد الخدرىّ : لا يُنكِرُ بعدَ هذا مُنكِرٌ أبدا .

حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عُبَيد بن عُمَير قال : أهلُ القبور يتوكَّفُون[(٣)] الأخبـارَ فاذا أتاهم الميت سألوه : ما فعـل فلانٌ ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا .

حدّثنى عبـد الرحمن العَبْـدىّ عن جعفر بن أبى جعفر قال : حدّثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صَبِيح قال : شهِدتُ ثابتا البُنَانىّ يوم مات وشهِده أهلُ البَصرة، فدخلتُ قبرَه أنا وحُمَيدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن مما يلى رأسَه فلما ذهبتُ أُسَوِّى عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدى فلم أرَ فى اللحد أحدا، وأصغى إلىَّ حُميدٌ أن اختُطِفَ صاحبُنا وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وحثَونا الترابَ؛ فلم يكن لحُميـدٍ هِمَّةٌ حتى أتى سليمانَ بن علىّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره، فقال: ما يُنكَرُ لله قدرةٌ! إلا أنى أُنكِر أن يكون أحدٌ من أهل زماننا يُفْعَلُ هـذا به ، فهل علم به أحدٌ سواك؟ قال:

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انفطرت دما : سالت دما ، يقال انفطرت قدم فلان أو أصـبعه دما أى سالت وفى الأصل : « انقطرت » بالقاف ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا صيغة انفعل من قطر . (٣) يتوكفون الأخبار : ينتظرونها ويسألون عنها .

نعم، الربيع بن صَبيح وحَسَن، قال : عَدْلان مَرْضِيّان، فبعثَ أمناءَ جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه فى قبره .

وحدّثنى أيضا عن أعرابيّـة كان يُقال لهـا أمّ غَسّان مكفوفةٍ وكانت تعيشُ بِمغزَلهـا وتقول : الحمـدُ لله على ما قضى وارتضَى، رضيتُ من الله ما رضِىَ لى، وأستعينُ اللهَ على بيتٍ ضيّقِ الفِناء قليلِ الكِواء(١) وأستعين الله على مايُطالَع من نواحيه. وماتت جارةٌ لهـا فقيل لها : ما فعلتْ جارتُك ؟ فقالت :

تقسّم جاراتُهـا بيتَهـا * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبّلَ اللهُ منى صلاةً لم يعذّبْنى، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأنّ الله عزّ وجل لا يثنى فى رحمتـه وحلمِهِ، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معـاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أمّ غسانَ تقول هذا، فعرفت تأويلَه :

الكِبَر والمشيب

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن عبد الجليـل بن عطيّـة عن شَهْر ابن حَوْشَب عن عمرو بن عَنْبَسَة قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : «مَنْ شابَ شَيبةً فى الإسـلام كانت له نورا يومَ القيامة ما لم يَخضِبْها أو يَنتِفْها» .

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شـيخ من بنى فَزارة قال : مررتُ بالبـادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شـفيرِ قبرٍ، واذا فى القبور رجالٌ كأنهم الرّماحُ يدفِنُون رجُلا والشيخُ يقول :

(١) الكواء : جمع كوّة وهى الخرق فى الحائط .

أُحثُوا على الدَّيسَم من بَرْد الثرى * قِـــدْمًا أبَى ربُّك إلا ما تَرَى(١)

فقلت له : مَن الميتُ؟ فقال : ابنى، فقلت له : مَن الذين يَدفنونه؟ قال : بنـــوه .

حدّثنا أبو عبد الرحمن قال : دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى(٢) بين اثنين من الكبر فقال له رجلٌ كان يَتَّهِمه على مودّته : بلغتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن ! قال : هو ما تَرَى فلا بَلَغْتَه . ونحوه قولُ الشاعر :

* يا عائبَ الشيبِ لا بَلَغْتَه *

ويقال فى الزبور : «من بلغ السبعينَ اشتكَى من غير عِلّة» . وقال محمد بن حسّان النبطِىّ : لا تسأل نفسَك العامَ ما أعطتك فى العام المـاضى .

رأى ضرار بن عمرو الضبىّ له ثلاثةَ عشر ذكرا قد بلغوا فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسُه .

قال ابن أبى فَنَنٍ :

من عاش أخلقت الأيامُ جِدّتَه * وخانه الثِّقتانِ السمعُ والبصرُ
قالت عَهِدتُك مجنونا فقلت لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

أبو عبيـدة قال : قيـل لشيخ : ما بقِىَ منك؟ قال : يسبِقُنى مَنْ بين يَدىَّ ، ويُدرِكنى مَنْ خلفى ، وأنسى الحديثَ، وأذكُر القديمَ، وأنعُس فى الملا، وأسهَرُ فى الخلا، وإذا قمتُ قرُبتِ الأرضُ منّى، وإذا قعدتُ تباعدتْ عنّى؛ قال الشاعر:

قالت عَهِدتك مجنونا فقلتُ لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

---

(١) كذا بالأصل وجاء هذا البيت فى اللسان مادة « دسم » هكذا

أخشى على ديسم من برد الثرى * أبى قضـاء الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للمفعول أى يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعُريان بن الهَيثم : كيف تَجدُك ؟ قال : أَجدُنى قد آبيض منّى ماكنتُ أُحبُّ أن يسودّ واسودّ منّى ما كنتُ أُحبّ أن يبيَضّ واشتدّ منّى ما أُحبُّ أن يلين ولان منّى ما أُحبّ أن يشتدّ وقال :

سَــلْنِى أُنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ * نومُ العِشاء وسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النومِ اذا الليــلُ اعتكَرْ * وقِلّةُ الطعمِ اذا الزادُ حضَرْ
وسرعةُ الطرفِ وتَحميجُ النظرْ (١) * وتركُكَ الحسناءَ فى قُبْلِ الطُّهُرْ
* والناس يَبْلَون كما تَبلَى الشَّجَرْ *

وقال حميد بن ثور :

أَرى بصرى قد رابنى بعد صحّة * وحسبُك داءً أن تصِحَّ وتَسلما

وقال الكُميتُ :

لا تَغبِط المرءَ أن يُقــالَ له * أمسى فلانٌ لِسِنّه حَكَما
إن سرّه طولُ عمره فلقــد * أضحى على الوجه طولُ ماسَلما

وقال النَّمِر بن تَوْلب :

يَوَدّ الفتى طولَ السلامة والغِنَى * فكيف تُرى طولَ السلامةِ يَفعلُ

---

(١) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر ، و يقال على إدامة النظر مع فتح العينين ، وهكذا ذكره الأزهرى والجوهرى وغيرهما بالحاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفى الأصـل : «تجميح» بتقديم الجيم وتأخير الحاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير فى حديث عمر بن عبد العزيز «فطفق يجمح الى الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد فى كتاب أبى موسى وكأنه والله أعلم سهو . وقال الزمخشرى : هى لغة فى التحميج (انظر اللسان مادتى حمج وجمح) .

وقال آخر :

كانت قناتى لا تَلينُ لغامزٍ * فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا * ليُصحَّنى(١) فإذا السّلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرعَ فى نقص امرئٍ تمامُهُ *

وقال عبد الحميد الكاتب :

ترحَّل(٢) ما ليس بالقافلِ * وأعقب ما ليس بالآئلِ
فلهفى من الخلَف النازل * ولهفى على السلف الراحلِ
أبكِّى على ذا وأبكى لذا * بكاءَ المولَّهة الثاكلِ
تُبَكِّى من آبن لها قاطعٍ * وتَبْكى على آبن لها واصلِ
تقضت غَواياتُ سُكرالصبا * وردَّ التُّقَى عَندَ الباطلِ

محمد بن سلّام الجُمحىّ عن عبد القاهر بن السرىّ قال: كتب الحجاج الى قتيبة ابن مسلم : إنى نظرتُ فى سنِّك فوجدتُك لِدَّتى(٣) وقد بلغت الخمسين وإنّ آمرأً سار الى منهل خمسين عاما لقريبٌ منه . فسمع به الحجاج بن يوسف التيمىّ فقال:

إذا كانت السبعون سِنَّك لم يكن * لدائك إلا أن تموتَ طبيبُ
وإنّ آمرأً قد سار سبعين حِجَّة * الى منهل من وِرْده لقريبُ
اذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولكن قل علىّ رقيبُ
اذا ما آنقضى القَرْن الذى أنت منهمُ * وخُلِّفتَ فى قَرْنٍ فأنت غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : «لينجنى» . (٢) فى الأصل «رحل» . ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت منيّتى * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّر أخبارَ القرونِ التى مضت * أدِبّ كأنى كلّما قمتُ راكعُ

وقال آخر فى مثله :

حنتنى حانياتُ[١] الدّهر حتّى * كأنّى خَاتِلٌ[٢] يدنو لصيدِ

وقيل لرجل مِن الحكماء : مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولامريض؟ فقال : لأذكرَ أنى مسافر، قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملَها * علىّ ولا أنى تحنيتُ مِن كِبَرْ
ولكنّنى ألزمتُ نفسىَ حملَها * لأُعلِمَها أنّ المقيمَ على سَفَرْ

ومرّ شيخ من العرب بغلامٍ فقال له الغلام : أحْصَدْتَ[٣] ياعمّاه فقال : يابنىّ وتُحتَصَدون .

قال الحسنُ فى موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ اذا بلغ ما يُصنَع به؟ قالوا: يُحصد . يامعشر[٤] الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدّهر أبلانى وما أبليتُه * والدّهرُ غيّرنى وما يتغيّرُ
والدّهر قيّدنى بخيطٍ مبرَمٍ * فمشيتُ فيه وكلّ يومٍ يقصُرُ

---

(١) كذا فى اللسان مادة «ختل» وفى الأصل «نائبات» . (٢) كذا فى اللسان مادة ختل وفى الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل : وهـذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها و بين الجملة التى قبلها و بين المراد «ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا * كأهــل الدّيار قَوّضـوا فتحمَّلوا
وما نحن إلا رُفقـةٌ قد ترحَّلت * وأخرى تُقَضِّى حاجَها وتَرَحَّـلُ

ذكر أعرابىٌّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أُنكر الشعرةَ البيضاء فقد صرتُ أُنكر السوداء ، فياخير بَدَلٍ و ياشرَّ مبدول (١) . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسى وما رأيتُ مشيبَ الـ * ـرّأس إلا من فضلِ شَيب الفؤادِ
وكذاك القـلوب فى كلّ بؤسٍ * ونعـيمٍ طلائـعُ الأجسـادِ
طـال إنكارىَ البيـاضَ فإن عُمْـ * ـرتُ شيئا أنكرتُ لونَ السـوادِ

رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ فى لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبنى وأَرانى لا أفوته ، أعوذ بك ياربّ من فُجَاءاتِ الأمور ، يابنى سعد قد وهبتُ لكم شبابى فهبوا لى شيبتى ، ولزم بيتَه .

قال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحِمام .

قال آخر : الشيب تَوْءم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أوّل مراحل الموت .

قال آخر : الشَّيب تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكِبَر .

---

(١) كذا فى الأصل : وهذا يوافق قول أبى عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه كما فى اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعدّ ، وفى العقد الفريد : «مبدل» .

قال عُبيدُ بن الأبرص : * والشَّيْبُ شينٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْب الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموتُ الشعَرِ علّةُ موتِ البشر . قال الشاعر :

وكان الشباب الغضُّ لى فيه لذةٌ * فوقَّرنى عنه المشيبُ وأدّبا
فسَقْيًا ورَعْيًا للشبابِ الذى مضى * وأهلا وسهلا بالمشيب ومرحبَا

وقال أعرابىّ — ويقال هى لأبى دُلَف — :

فى كل يوم من الأيام نابتةٌ * كأنما نبتَتْ فيه على بَصَرى
لئن قَرَضتكِ بالمقراض عن بصرى * لما قرضتُكِ عن همّى ولا فِكَرى

وقال أعرابىّ :

أَرَى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائبًا * يَدبّ دبيبَ الصبح فى غَسَق الظُّلَمْ
هو السُّمّ إلا أنه غيرُ مُؤلِم * ولم أر مثلَ الشيب سُمًّا بلا أَلَمْ

وقال آخر :

قَصر الحوادثُ خطوَه فتدانَى * وحَنَيْنَ صدرَ قناته فتحانَى
صحِبَ الزمانَ على اختلاف فُنُونه * فأراه منه شِدّة وليَانا
ما بالُ شيخ قد تَخَدّد لحمُه * أنضَى(١) ثلاثَ عمائم ألوانَا
سوداءَ داجيةً وسَحْقَ(٢) مُفَوَّف * وأجدّ أخرى بعد ذاك هِجَانَا(٣)
ثم المماتُ وراء ذلك كلِّه * وكأنما يُعْنَى بذاك سِوانَا

وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ظاعِنًا عنا فودّعنا * وكان كالميْت لم يحترك له عَقِبا
عُدنا الى حالةٍ لا نستطيعُ لها * وصلَ الغوانى وعابَ الشيبَ مَنْ لَعِبا

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى ، والمفوّف من البرود ما فيه خطوط بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الورّاق :

بكيتُ لقُرب الأجلْ * وبُعْـدِ فوات الأملْ
ووافـدِ شيبٍ طـرا * بعُقْب شـبابٍ رَحَلْ
شـبَابٌ كأن لم يكن * وشـيبٌ كأن لم يَزَلْ
طَـوَاكَ[1] بشـيرُ البقا * وجاء بشـيرُ الأجَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبًا * كذاك انتقالُ الدُّوَلْ

وقال أبو الأسود يذمّ الشبابَ :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا * وكان كجارٍ بان يـومًا فـوَدّعَا
فقلت له فاذهَبْ ذميـا فليتَـني * قتلتُـك عِلمًا قبـل أن نتصدّعَا
جنيتَ علـيّ الذنبَ ثم خذلتَـني * عليـه فبئس الخَلَّتان هُمَـا معَـا
وكنتَ سَرابًا ماضِحًـا[2] إذ تركتَني * رَهينـةَ ما أجني من الشرّ أجمعَا

وقال آخر :

استنكرتْ شـيبي فقلتُ لهـا * ليس المشيبُ بناقصٍ عُمْرِى
وتنفَّسَتْ بي هِمَّـةٌ وصلَتْ * أملى بكلّ رفيعـةِ الذِّكـرِ

روى عبد الله بن حَفص الطاحى عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدىّ عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسّواد، فانه أُنسٌ للنساء وهَيبةٌ للعدو . قال عمرُ بن المبارك الخزاعىّ .

مَنْ لأُذْنِى بمَلامِ * ولِكفّى بمُـدَامِ
دَقَّ عظمُ الجهـل مِنّى * وانثنَى شَنُّ عُرَامى[3]

(١) طواك : جاوزك . (٢) ماضحا : ما بدا وظهر . (٣) كذا فى الأصل ، ومن المحتمل أن يكون : "وانثنى سن عرامى" والعرام : الشدة والقوة .

وتمشّى الفَــذُّ من شَيد * بى الى الشَّيب التُّؤامِ(١)
نَظْمَكَ الدرَّ الى الد * رّ ة فى سِــــلكِ النِّظامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعى لك ظلَّ الشبابِ المشيب * ونادتْك باسم سِواكَ الخُطوبُ
فكن مُســــتعدًا لداعى المنون * فكلّ الذى هو آتٍ قَــرِيبُ
وقبلكَ داوَى المريضَ الطبيبُ * فعاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
يَخافُ على نفسه مَنْ يتوبُ * فكيف ترى حال مَن لايتوبُ

محمدُ بن سلّام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا يأمنُ مَنْ قطع فى خمسةِ دراهم خيرَ عُضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غدًا .

الدنيــا

حدّثنى أبو مسعود الدارمىّ قال حدّثنى جدّى خِراشٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبحت الدنيا همَّه وسَــدَمه(٢) نَزَعَ اللهُ الغِنَى من قلبه ، وصير الفقرَ بينــ عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له ، ومن أصبحتِ الآخرةُ همَّه وسَدَمه نزعَ اللهُ الفقرَ من قلبــه وصَيَّرَ الغِنَى بين عينيه وأَتته الدنيا وهى راغِمةٌ » .

حدّثنى محمــد بن داود قال حدّثنــا أبو الربيع عن حمّــاد عن علىّ بن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحّاك بن سفيان : « ما طَعامكَ » قال : اللحمُ واللبنُ، قال : « ثم يصير الى ما ذا » قال : ثم يصيرُ الى ما قد علمتَ، قال :

(١) التؤام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره فى بطن ، و يستعار للزدوجات كما وقع فى هذا البيت .
(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشىء .

« فإنّ اللهَ ضربَ ما يخرجُ من ابن آدم مثلًا للدّنيا » قال : وكان بشـيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتّى أُرِيَكم الدّنيا ، فيجيءُ فيقفُ بهم على السُّوقِ ، وهى يومئذ مَزْبَلَةٌ ، فيقول : انظروا الى عَسَلهم وسَمْنِهم والى دَجَاجهم وبطّهم صار الى ما تَرَوْن .

حدّثنى هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القُزوينى عن عمرو (1) بن أبى قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرّة قال : سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) فقال : «اذا دخل النورُ القلبَ وانفسحَ شُرِح لذلك الصدرُ» ، قالوا : يانبيّ الله هل لِذلكَ آيةٌ يُعرَفُ بها؟ قال : « نعم الإنابةُ الى دار الخلود والتَّجافِى عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموتِ » .

بلغنى عن العُتبىّ عن حبيب العَـدَوىّ عن وهب بن منبِّـه قال : رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَـلْنا بعضَ الفِتيانِ فأتانا بها فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسـلَمُ منهـا إلا فيها ، ما أخذَ أهلُها منها لهـا خرجوا منـه ثم حُوسِبوا به ، وما أخَذَ منها أهلُها لغـيرها خرجوا منـه ثم أقاموا فيـه ، وكأن قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عملوا بمـا يُبصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون ، تتقلّبُ أجسادُهم بين ظهرانَىْ أهل الدنيا ، وتتقلّبُ قلوبهم بين ظهرانَىْ أهل الآخرة ، يَرَوْن النـاسَ يُعظِّمون وفاةَ أجسـامهم وهم أشـدُّ تعظيما لموت قلوب أحيائهـم . فسألت عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدّنيا قنطرةٌ فاعبُرُوها ولا تعمُرُوها .

(1) كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن سعيد . وفى الأصل « عمر » .

وفى بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى الى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِى فاخدُميه، ومَنْ خَدَمكِ فاستخْدِميه » .

قال بعضُ العابدين يَذكُر الدنيا :

لقد غَرّتْ الدنيا رجالا فأصبحوا * بمــنزلةٍ ما بعـدها مُتحَــوَّلُ
فساخِـطُ أمرٍ لا يُبَــدَّلُ غيرَه * وراضٍ بأمرٍ غـيرَه سَـيُبَدَّلُ
وبالغُ أمرٍ كانَ يأمُــلُ دونه * ومختَلَجٌ من دون ما كان يأمُــلُ

وقال آخرُ يذكر الدنيا :

حُتوفُها رَصَدٌ(١) وعيشُها رَنَقٌ(٢) * وكَرُّها نَكَدٌ ومُلْكُها دُوَلُ

وقال آخر :

نُراعُ لذكرِ الموت ساعةَ ذكره * وتَعـتَرِض الدنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقنا لغـيرها * وما كنتَ منه فهو شيء مُحبَّبُ(٣)

وقال يحيى بن خالد : دخلنا فى الدنيا دُخولا أخرجَنا منها .

ذمّ رجلٌ الدنيا عند علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال علىّ عليه السلام : الدنيا دارُ صِدقٍ لمن صَدّقها ، ودارُ نَجاة لمن فَهِم عنها ، ودارُ غِنًى لمن تزوّد منها ، مَهْبِطُ وحيِ الله ، ومُصلَّى ملائكته ، ومَسجِدُ أنبيائه ، ومَتْجَرُ أوليائه ، رَبِحُوا منها الرحمةَ واحْتَسَبُوا فيها الجنةَ ، فمن ذا يذمّها وقد آذنَتْ ببينها ونادَتْ بفراقها وشَبَّهَتْ بسرُورها السّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيبًا وترهيبًا ، فيأيها الذامُّ الدنيا المعلِّلُ نفسَه ، متى خَدَعتْكَ الدنيا أم متى استذمّت اليكَ(٤) ! أبمصارع آبائك فى البِلَى ! أم بمضاجع أمهاتك فى الثَّرى !

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا هم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم . (٤) استذمت اليك : فعلت ما تذمها على فعله .

كم مرّضتَ بيديك، وعلّلتَ بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباءَ، غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العِجلىّ يقول :

نُرَقِّعُ دنيانا بتمـزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ (١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمّا ما مضى فحُلْمٌ وأمّا ما بقى فأمانىّ .

قال سـفيانُ :

أوحى الله تعالى الى نبىّ من الأنبياء «اتَّخِذ الدنيا ظِئْرًا والآخرةَ أُمًّا» .

قال الشعبىّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مَثَلًا إلا ما قال كُثَيِّرٌ .

أَسيئى بنا أو أَحسِنى لامَلُومَةٌ * لَدَيْنـا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ (٢)

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النارَ بالتِّبْنِ .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها مِن سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَـلُ الدنيا والآخرةِ مَثَـلُ رجل له ضَرَّتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فاترُكوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إن الدنيا قد استودَقَتْ (٣) وأنعظَ الناسُ .

(١) كذا ورد فى الإحياء للغزالى (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف فى رواية هذا البيت وفى الأصل : «نمزق» فى الموضعين، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة .

(٣) يقال : ودقت الفرس تدق ودقا واستودقت اذا طلبت الفحل .

قال وُهَيبُ بن الورد : مَنْ أرادَ الدنيا فلْيَتَهيَّأ للذلّ .

قيل لمحمد بن واسع : إنك لَترضَى بالدّون؛ فقال : إنما رضِىَ بالدُّونِ مَنْ رضى بالدنيـا .

قيل لعلىّ بن الحسين : مَنْ أعظمُ الناس خَطَرًا؟ فقال : مَنْ لم يرالدنيا خَطرا لنفســـه .

كان يقال : لَأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبح ما تُطلَبُ به الدنيا أحسنُ مِنْ أن تُطلَبَ بأحسنِ ما تُطلَبُ به الآخرةُ .

قالتِ امرأةٌ لبعلها ورأته مهمـوما : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أَبالدّنيا فقـد فرغ اللهُ منها أم بالآخرة فزادك اللهُ همًّا ! .

الثورى قال : قال المسيحُ : حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ والمـالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيـل : ما داؤه ؟ قال : لا يَسلمُ [صاحبه][1] من الفخر والكبر؛ قيل: وإن سَلِم ؟ قال : يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله .

بلغنى عن محمد بن فُضَيلٍ قال : حدّثنـا عبدالله بن عبـد الرحمن عن سالم بن أبى الجعد عن أبى الدرداء قال : يأهل حِمْصَ، مالى أراكم تجمعونَ كثيرًا ، وتبنُونَ شَديدًا، وتأمُلُون بعيدا ! إنّ مَنْ قبلكم جمعوا كثيرا وبَنَوْا شديدا وأملوا بعيدا فصار جمعهم بُورا وصارتْ مساكنُهم قبـورا وأملُهم غُرورا . وفى رواية أخرى : يأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأمُلُون ما لا تُدركون! ألا إن عادا وثمودَ كانوا قـد ملئـوا ما بين بُصرَى وعَدَن أموالا وأولادا ونَعَمًا ، فمَنْ يَشترِى مِنّى ما تركوا بدرهمين !

---

(١) زيادة يتطلبها السياق .

بلغنى عن داود بن المحبّر عن عبد الواحد بن الخطّاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نُرِيدُ البصرةَ، حتى اذا كنّا بين الرَّصافة وحمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ — سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ — يقول : يا مستورُ يامحفوظُ! اِعْقِلْ فى سِتْرِ مَنْ أنتَ! فإن كنتَ لا تعقِلُ [مَنْ أنتَ][1] فى ستْره فاتّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله؛ فإن كنتَ لا تعقِلُ كيف تتَّقيها فَصَيِّرْها شوكا ثم انظر أين تضَعُ قدميكَ منها! .

قال المأمون : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسَنَتْ أن تصفَ نفسَها صِفَةَ أبى نُواسٍ فى هذا البيت :

إذا اختبَرَ الدنيا لَبِيبٌ تكشَّفَتْ * له عن عَدُوٍّ فى ثياب صَدِيقِ

قال المسيحُ عليه السلام : أنا الذى كَفَأْتُ الدنيا على وجهها، فليسَتْ لى زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخْرَبُ .

قال أبو العتاهية :

يامَنْ ترفَّعَ للدُّنيا وزينتِها * ليس الترفُّع رفعَ الطّينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ الناس كُلِّهِمِ * فانظُر الى مَلِكٍ فى زِىِّ مِسكينِ

وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَمَّ أمرٌ دنا نقصُه * توقَّعْ زوالًا اذا قيلَ تَمّ

وقال آخر :

لا تَبْكِ للدُّنيا ولا أهلِها * وابكِ ليومٍ تسكُنُ الحافره[2]
وابْكِ اذا صِيحَ بأهل الثرى * فاجتمَعوا فى ساحة السَّاهِرهْ[3]
ويْلَكِ يا دنيا لقد قصَّرَتْ * آمالَ مَنْ يسكُنُك الآخِرهْ

(١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفرفيها قبورهم ؛ فسماها الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزّهاد عند الخلفاء والملوك

مقـام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدىّ

قام[1] فقال : إنه لمـا سَهُلَ علينا ما توعَّرَ على غيرنا من الوصول اليك، قُمنا مَقَامَ الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمرِ والنهىِ عند انقطاع عُذر الكِتمانِ، ولاسيَّما حين اتَّسَمْتَ بمِيسَم التواضع ووَعَدتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثار الحقّ على ما سواه، فجمعَنا وإياكَ مَشْهدٌ من مشاهد التمحيص لِيُتمَّ مُؤَدينا على موعود الأداء وقابِلُنَا على موعود القبول، أو يَزِيدنا تَمحِيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية، ويُحَلِّينا حِليةَ الكذّابين ، فقد كان أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَنْ حجب اللهُ عنه العلم عذّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابا مَنْ أقبلَ اليه العلمُ وأدبَرَ عنه، ومن أهدى اللهُ اليه علما فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هـديّة الله وقَصَّر بها، فاقبل ما أهدَى الله اليكَ من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سُمعةٍ ورياءٍ، فإنه لا يعدَمك منّا إعلامٌ لمـا تجهَلُ أو مواطأةٌ على ما تعـلمُ أو تذكيرٌ من غفلةٍ؛ فقد وطّنَ الله عزّ وجلّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات وتحصيناً من التمـادي ودلالةً على المخرَج، فقال : ﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، فأطْلِعِ اللهَ على قلبكَ بما يُنَوِّره مِنْ إيثار الحقّ ومُنَابذةِ الأهواء . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقامُ رجل من الزّهاد بين يدى المنصور

بينما المنصورُ يطوفُ ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهمّ إنى أشكو اليـكَ ظهورَ البغى والفسادِ فى الأرض وما يحولُ بين الحقّ وأهـله من الطمع ؛ فخرج المنصورُ

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى .

فجلس ناحيةً من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجلُ ركعتين واستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ : ما الذى سمعتُــكَ تذكُرُ من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعى ما أرمَضَنِى(1) ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين إن أمَّنْتَنى على نفسى أنبأتُكَ بالأمور من أصولها، وإلا آحتجزتُ منكَ وآقتصرتُ على نفسى ففيها لى شاغلٌ، فقال: أنتَ [آمنٌ](2) على نفسك [فقل](2)؛ فقال: إنّ الذى دخله الطمعُ حتى حال بينه و بين ما ظهر من البغى والفساد لأنتَ؛ قال: و يحك وكيف يدخلُنى الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما دخلكَ! إن الله تبارك وتعــالى استرعاك المسلمينَ وأموالَهم فأغفلتَ أمورهم واهتممتَ بجمع أموالِهم، وجعلتَ بينك و بينهم حجابا من الجصّ والآجُرِّ وأبوابا من الحديد وحَجَبَةً معهم السلاحُ ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم، و بعثتَ عُمَّالَكَ فى جباية الأموال و جمعها وقوّيتَهم بالرجال والسلاح والكُرَاع، وأمرتَ بألّا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ نفرٌ سمّيتَهم، ولم تأمر بإيصــال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيفِ الفقير، ولا أحدٌ إلا وله فى هــذا المــال حقٌّ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتَهم لنفسك وآثرتَهــم على رعيّتكَ وأمرتَ(3) ألّا يُحجَبُوا عنــك ، تَجْبى الأموالَ وتجمعُها ولا تَقسِمُها قالوا : هــذا قد خان الله فــا بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه ! فأْتمروا بألّا يصلَ اليك مِنْ علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا قصبوه(4) عندك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه و يَصْغُرَ قدرُه،

(1) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (2) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(3) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (4) قصبوه : عابوه وشتموه و بالعقد الفريد « خوّنوه » .

فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم ، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم ، فكان أوّلَ مَنْ صانعَهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بهـا على ظلم رَعيّتكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلمَ من دونهم ، فامتلأت بلادُ الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شُركاءك فى سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتظلّم حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلكَ ، وأوقفت للنـاس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلَغَ بطانتَكَ [خبرُه] (١) سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه اليك ، فإن المتظلِّم منه له بهم حُرمةٌ ، فأجابهم خوفا منهم ، فلا يزال المظلومُ يختلف اليـه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه ، فاذا أُجهِدَ وأُحرِجَ وظَهَرْتَ ، صَرَخَ بين يديك ، فضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً ، ليكون نكالا لغـيره ، وأنت تَنظر فلا تُنكِر ، فما بقاءُ الإسلام على هـذا ! وقد كنتُ يا أمير المؤمنين [أسافر] (٢) الى الصِّين فقَدِمتها مرّةً وقد أُصيبَ مَلِكُها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثّـه (٣) جلساؤه على الصبر فقال : أَمَا إنى لست أبكى للبليَّة النازلة بى ، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه ثم قال : أمّا إذ ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب نادُوا فى الناس ألّا يلبَس ثوبا أحمرَ إلا متظلّمٌ ، ثم كان يركب الفيل طرفَىْ نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين شُحَّ نفسه وأنت مؤمنٌ بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتُـكَ بالمسلمين على شحّ نفسك ! فإن كنت إنمـا تجمع المـال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطّفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ الناس اليه ، ولست

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا فى العقد الفريد «فحثه» وفى الأصول «فحداه» وهو تحريف .

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المـال لتَشـديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلتَ إنما أجمع المـالَ لطلب غايةٍ هى أجسمُ من الغاية التى أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلاف ما أنتَ عليـه يا أميرَ المؤمنين ، هل تُعاقبُ من عصاك بأشـدّ من القتل قال المنصور: لا، قال : فكيف تصنع بالملِكِ الذى خوّلك مُلكَ الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العـذاب الأليم، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعَمِلته جوارحُك ونظر اليه بصرُك واجترحَتْه يداكَ ومشت اليه رجلاك، هل يغنى عنك ما شَححْتَ عليه من مُلك الدنيا اذا انتزعَه من يدك ودعاكَ الى الحساب، فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أُخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتال لنفسى قال: ياأمير المؤمنين إنّ للناس أعلاماً يفزعون اليهم فى دينهم و يرضَوْن بهم فاجعلهم بطانَتكَ يُرشدُوكَ، وشاورْهم فى أمرك يُسَدِّدوك، قال : قد بعثت اليهم فهربوا منى، قال: خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ولكن افتحْ بابكَ وسَهِّل حجابَك وانصُرِ المظلومَ واقمَعْ الظالمَ وخذ الفيءَ والصدقاتِ مما حلّ وطابَ واقسمه بالحقّ والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوكَ ويُسْعِدوك على صلاح الأمة . وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ .

مقـام آخر والمنصور يخطب

خَطبَ المنصورُ فحمِد اللهَ ومضى فى كلامه، فلما انتهى الى أشهد أن لا إله إلا اللهُ وثَبَ رجل من أقصى المسجد فقال أذكِّرك مَنْ تذكُرُ، فقال المنصور : سمعًا لمن فَهِم عن الله وذكَّرَ به وأعوذ بالله أن أكون جبّارا عصِيًّا وأن تأخذنى العزةُ بالإثم

لقد ضَلَلتُ إذًا وما أنا من المهتدين، وأنتَ واللهِ أيها القائل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال فعوقِبَ فصبَر، وأَهوِنْ بقائلها لو هَمَّمْتُ، فاهتَبِلْها(١) ويلكَ إذ عفوتُ، وإياكم معشرَ الناس وأختَها، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثّتْ فرُدُّوا الأمر الى أهله يُصْدِرُوه كما أو ردوه، ثم رجع الى خطبته فقال: وأشهد أن محمدًا عبدُه و رسولُه.

مقام عمرو بن عُبَيد بين يدى المنصور

قال للنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك ببعضها، واذكر ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده، فوجَمَ أبو جعفر من قوله، فقال له الربيع: يا عمرو غَمَمْتَ(٢) أمير المؤمنين، فقال عمرو: إن هذا صحبك عشرين سنة لم يرلك عليه أن يَنْصحَكَ يوما واحدا وما تَمِلَ وراءَ بابك بشيء من كتاب الله ولا سنّة نبيّه، قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلتُ لكَ: خاتمى فى يدك فتعالَ وأصحابك فاكفِنِى، قال عمرو: ادعُنا بعدلك تَسْخُ أنفسُنا بعونك، ببابك ألف مَظلِمةٍ اردُدْ منها شيئا نعْلَمْ أنك صادقٌ.

مقام أعرابىّ بين يدى سليمان

قام فقال: إنى مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيه بعضُ الغِلظة فاْحتَمِلْهُ إن كرهتَه، فإن وراءه ما تُحِبّه إن قبلتَه، قال: هاتِ يا أعرابىّ، قال: فإنى سأُطلِقُ لسانى بما خَرِسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتك تأديةً لحقِّ الله وحقِّ إمامتك، إنه قد

(١) فاهتبلها أى اغتنمها، والاهتبال: الاغتنام وانتهاز الفرصة. (٢) فى الأصل «أغممت» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «أغم» متعديا و إنما يقال: «غمه الأمر» من غير همز.

اكتنفكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياكَ بدينهـم ورِضَاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ فى الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِـلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانة تضييعا والأمة عَسْفًا وخسفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإنّ أعظم الناس غَبْنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أمّا أنت يا أعرابىّ فقد[1] سللتَ لسانكَ، وهو أقطعُ سيفيكَ؛ فقال: أجلْ، لكَ لا عليكَ .

مقام أعرابىّ بين يدى هشام

قال: أتتْ على الناس سِنُون، أما الأولى فلَحَتِ[2] اللحمَ، وأما الثانية فأكلتِ الشّحْمَ، وأما الثالثةُ فهاضَتِ[3] العظمَ، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عباده، وإن كانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم ! وإن كانت لكم فتصـدّقوا عليهم بها فإن الله يَجْزِى المتصدّقينَ؛ فأمر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابىّ بمـالٍ؛ فقال: أكلّ المسلمين له مثل هذا؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المسـلمين؛ قال : فلا حاجةَ لى فيما يبعثُ لائمةَ الناسِ على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعىّ بين يدى المنصور

ذكره عبدُ الله بن المبارك عن رجل من أهل الشأم قال : دخلتُ عليه فقال : ما الذى بَطّأ بك عنّى؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنين وما الذى تريد منى؟ فقال : الاقتباسُ منك؛ قلتُ : انظر ما تقول، فإنّ مكحولا حدّثنى عن عطية بن بَشيرٍ أنّ رسول الله

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفى الأصل «لقد» .

(٢) من لحوت الشجرة اذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض : كسره بعد الجبور فهو مهيض .

صلى الله عليه وسـلم قال : "مَنْ بلَغه عن الله نصيحةٌ فى دينـه فهى رحمةٌ من الله سِيقَتْ اليه، فإن قَبِلَها من الله بشكرٍ وإلّا كانتْ حُجّةً من الله عليه، ليزداد إثمًا وليَزْدادَ الله عليه غضبا، وإن بلغه شيءٌ من الحق فرضِىَ فله الرضا، وان سَخِط فله السخطُ، ومن كرِهَه فقد كره اللهَ، لأن الله هو الحق المبين"، فلا تجهلَنّ؛ قال : وكيف أجهل؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ. قال الأوزاعىّ : فسلّ علىّ الربيعُ السيفَ وقال : تقول لأمير المؤمنين هذا! فانتهَره المنصورُ وقال : أمسِكْ. ثم كلّمه الأوزاعىّ، وكان فى كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به، والله سائِلُك عن صـغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، ولقد حدّثنى عُروةُ بن رُوَيْم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشًا لِرعيّتـه إلا حَرّمَ اللهُ عليـه رائحةَ الجنة "، فحقيـق على الوالى أن يكون لرعيتـه ناظرًا، ولِمَـا استطاعَ من عوراتهـم ساترًا، وبالقِسط فيما بينهم قائمـا، لا يتخوف محسنُهم منه رهَقا ولا مسيئهم عدوانا؛ فقـد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدةٌ يستاكُ بها ويردَعُ عنـه المنافقينَ؛ فأتاه جبريلُ فقـال : " يامحمدُ ما هـذه الجريدةُ بيدكَ! اِقذِفْها لا تملأ قلوبَهم رُعبًا " . فكيف مَنْ سفكَ دماءهم وشَـقّقَ أبشارهم وأنهبَ أموالهم! ياأمير المؤمنين، إنّ المغفورَ له ماتقدّم من ذنبه وما تأخر دعا الى القِصاص من نفسـه بخدش خدشه أعرابيًا لم يتعمّده، فهبط جبريل فقال : يامحمد إن الله لم يبعثْكَ جبّارا تكسِرُ قرونَ أمتك " . واعلم أنّ كلّ ما فى يدك لا يعـدِلُ شربةً من شراب الجنة ولا ثمرةً من ثمارها؛ قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : " لَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنة أوقُذّةٌ [(١)] خيرٌله من الدنيا بأسرها " . إنّ الدنيا تنقطِعُ ويزولُ نعيمها، ولو بقِىَ الملكُ لمن قبلكَ لم يصِل اليـكَ . ياأمير المؤمنين، ولو أنّ ثوبا من

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها وسيتها . والقذة (بالضم) : ريش السهم .

ثيابَ أهل النار عُلِّق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يتقمَّصُه! ولو أن ذَنُوباً(١) من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَه(٢) فكيف بمن يتجرَّعُه، ولو أنَّ حَلقةً من سلاســل جهنم وُضِعَتْ على جبــل لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيهـا(٣) ويُرَدُّ فضلُها على عاتقــه! وقد قال عمر بن الخطاب: "لا يُقَوِّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العقدة، بعيدُ الغِرّة، لا يَطَّلِـعُ الناسُ منه على عَورةٍ، ولا يُحنِقُ فى الحقّ على جِرّةٍ(٤)، ولا تأخُذُه فى الله لومةُ لائم".

وآعلم أنّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ(٥) نفسَه وعُمّـالَه، فذلك له أجرُ المجاهد فى سبيل الله وصلاتُه سبعونَ ألفَ صـلاةٍ ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير رَتَعَ ورتع عُمّالُه، فذاك يحمِلُ أثقالَه وأثقالاً مع أثقاله؛ وأمير يَظْلِفُ نَفسَـه ويرتَعُ عُمّالُه، فذاكَ الذى باع آخرتَه بدنيـا غيرِه؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظْلِفُ عُمّـالَه، فذاكَ شرُّ الأكياس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد آبتُليتَ بأمرٍ عظيم عُرِضَ على السَّمواتِ والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنه(٦) وأَشفقنَ منــه؛ وقد جاء عن جَدِّكَ فى تفسير قول الله عز وجــل: ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلّا أحصاها﴾: أنّ الصـغيرة التبسّمُ، والكبيرةَ الضّحكُ، وقال: فمـا ظنكم بالكلام وماعملته الأيدى! فأُعيذك بالله أن يُخَيَّل اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

(١) الذنوب: الدلو التى دون الملء، تذكر وتؤنث. (٢) آجنه: جعله آجنا أى متغير الطعم واللون ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها قياسية. (٣) فى الاصل: «فيه». (٤) لا يحنق فى الحق على جرة: لا ينطوى على حقد ودغل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به. والجرة (بالكسر): ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ. (٥) يظلف نفسه: يكفها. (٦) فى الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياصفية عمّة محمد ويافاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إنى لا أُغنى عنكما من الله شيئا " . وكان جدك الأكبر سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم إمارةً، فقال : " أى عمِّ نفسٌ تُحيِيها خيرٌ لك من إمارة لا تُحصِيها " ، نظرًا لعمه وشفقة عليـه أن يلِىَ فيجورَ عن سنته جنـاحَ بعوضة ، فلا يستطيعَ له نفعا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتى إن قبلتَهـا فلنفسك عملتَ، وإن رددتها فنفسك بَخَسْتَ، والله الموفق للخير والمعينُ عليه؛ قال بلى! نقبلها ونشكرُ عليها، وبالله نستعينُ .

مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام

قال خالد : وفدتُ عليـه فوجدته قد بدأ يشربُ الدُّهنَ ، وذلك فى عام باكَرَ وَسْمِيُّه(١) وتَتابعَ وَلِيّـه وأخذت الأرضُ زُخرُفَها ، فهى كالزرابىّ المبثـوثة والقُباطىّ(٢) المنشورة، وثراها كالكافور لو وُضِعَتْ به بَضْعة(٣) لم تُترَّبْ، وقد ضُرِبتْ له سُرادقاتُ حِبَرٍ(٤) بعث بها اليه يوسفُ بن عمر من اليمن تتـلألأ كالعِقْيان ، فأرسل الىّ فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر الىّ كالمستنطِق لى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتمّ الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هـذا مَقامٌ زَيَّنَ الله به ذكرى وأطاب به نشرى ، اذ أرانى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أُنبِّه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمَدَ الله على ما أعطاه، ولا شىء أحضرُ من حديث

---

(١) الوسمى : مطر الربيـع الاول سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولىّ (وزان غنىّ) : المطر بعد الوسمىّ . (٢) الزرابىّ : البسط الملونة . والقباطىّ (بضم أوله وتشـديد آخره أو بفتح الأول مع تخفيف الأخر) : جمع قبطيـة (بضم القاف) وهى ثياب كتّان بيض رقاق تعـمل فى مصر . (٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان عنب) : جمع حبرة (كعنبة) وهى المخيط من البرود، يقال : برد حبرة على الاضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لى فيه حدّثته به؛ قال : هات؛ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِـعَ له فَتاءُ السِّنّ وصِحّةُ الطّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المـال، وذلك بالخَوَرْنَق، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحدا أُوتى مثلَ الذى أوتيتُ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلة الحجة : إن أذنت لى تكلّمتُ؛ فقال: قل، فقال : أرأيتَ ما جُمِـعَ لك، أشيءٌ هو لك لم يزل ولا يزولُ، أم هو شىء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يَزُولُ عنك؟ قال: لا ! بل شىء كان لمن قبلى فزال عنه وصار إلىّ وكذلك يزول عنّى؛ قال : فسُرِرتَ بشىءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتهُ، تكون فيه قليلا وتُرْتَهن به طويلا؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيمَ فى مُلككَ فتعملَ فيه بطاعة ربّكَ، وإما أن تُلقِىَ عليك أمساحا[1] ثم تلحق بجبل تعبـد فيه ربَّكَ حتى يأتىَ عليك أجلُكَ؛ قال : فـالى اذا أنا فعلت ذلك؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبـلى؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدىّ بن زيد :

وتَفَكَّرْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أصـ * ـبحَ يـومًا وللهُـدَى تَفْكِيرُ
سَـــرَّه حالُه وكـثرةُ ما يَمْـ * ـلكُ والبحرُ مُعْرِضًا[2] والسَّدِيرُ
فارعَوَى قلبُـــه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىّ الى الممـات يصـــيرُ

فبكى هشام وقام ودخل؛ فقـال لى حاجبه : لقـد كسبت نفسَـك شرًّا، دعاك أمير المؤمنين لِتحدِّثَه وتُلهِيَه وقد عرَفتَ علّتَه فـا زِدتَ على أن نَعيتَ اليه نَفْسَه . فأقمتُ أياما أتوقّعُ الشرّ، ثم أتانى حاجبُه فقال : قد أمر لك بجائزةٍ وأَذِن لك فى الانصراف .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضا : من أعرض الشىء اذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظىّ بين يدى عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق، فمنها خرج الناسُ بما ينفعهم وبما يضرّهم، وكم من قومٍ قد غرهم مثلُ الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فاستوعبَهم فخرجوا من الدنيا مُرمِلينَ لم يأخذوا لِما أحبّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لما كرهوا جُنَّةً، واقتسم ما جمعوا من لم يحمَدْهم وصاروا الى من لا يعذِرُهم . فانظر الذى تُحبُّ أن يكون معك اذا قدِمْتَ، فقدِّمه بين يديك حتى تخرجَ اليه؛ وانظر الذى تكره أن يكون معك اذا قدِمْتَ، فابتغِ به البدلَ حيث يجوز البدلُ؛ ولا تذهبَنَّ الى سِلْعةٍ قد بارت على غيرك ترجو جوازَها عنك . يا أمير المؤمنين، اِفتح الأبوابَ، وسهِّل الحجابَ، وانصُر المظلومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

كتبَ ابنُ هُبيرةَ الى الحسن وابن سِيرين والشعبىّ فقدِم بهم عليه، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلىّ فى الأمر، إن فعلتُه خفتُ على دينى، وإن لم أفعله خفتُ على نفسى؛ فقال له ابنُ سيرين والشعبىّ قولا رَقَّقَا فيه، وقال له الحسن : يابن هبيرة، إن اللهَ يمنعُك من يزيدَ، وإنّ يزيد لا يمنعُكَ من الله . يابن هبيرة، خَفِ اللهَ فى يزيد ولا تخفْ يزيدَ فى الله . يابن هبيرة، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ اللهُ اليك مَلَكًا فيُنزلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قصرك، ثم يخرجك عن سعةِ قصرك الى ضِيقِ قبرك، ثم لا يُنجيك إلا عملُكَ . يابن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق؛ فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبىّ بألفين؛ فقالا : دَقَّقْنا فدَقّقَ لنا .

باب من المــواعظ

كلام الحسن

قال فى كلام له : أمتكم آخرُ الأمم وأنتم آخرُ أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بخياركم فماذا تنتظرون ! المعاينة ؟ فكأن قد ، هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحال[1] بالها، وبقيت الأعمالُ أطواقا فى أعناق بنى آدم ، نيالها موعظةً لو وافقتْ من القلوب حياةً ! إنه والله لا أمةَ بعد أمتكم ، ولا نبىّ بعد نبيكم ، ولا كتابَ بعد كتابكم ؛ أنتم تسُوقون النـاسَ والساعةُ تسوقكم ، وإنما يُنتظَر بأولكم أن يلحَقَ آخرِكم . مَنْ رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لَبِنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة ، رُفع له علمٌ فشمَّر اليه ؛ فالوحَا الوحَا ، والنجاءَ النجاء . علام تعرّجون ؟ أُسرِعَ بخياركم وأنتم كلّ يومٍ تَرذلون[2] . لقد صحبتُ أقواما كانت صحبتهم قرّةَ العين وجَلاءَ الصدور ، وكانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أشفقَ منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرّم اللهُ عليكم . إنى أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسًا ، ذهب الناسُ ، وبقِيتُ فى النِّسناس ، لو تكاشفتم ما تدافنتم ؛ تهاديتُم الأطباقَ ولم تَهادَوُا النصائحَ . يابن آدم ، إن دين الله ليس بالتحلّى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر فى القلوب وصدّقته الأعمالُ .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترّن بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلنَّ نعمةَ الله فى معصيته ؛ فإن أقلّ ما يجِبُ لمهدِيها ألا تجعلَها ذريعةً الى مخالفته . واستدْعِ شاردَ النّعم

(١) كذا بالأصل . (٢) ترذلون : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون من الناس .

بالتوبة ، واستَدِم الراهنَ منها بكرم الجِوَار ، واستفتِح بابَ المزيد بحُسن التوكّل . أو ما علِمْتَ أن المستشعرَ لذُلّ الخطيئة المخرجَ نفسَه من كُلَف الطاعة نَطِفُ(١) الثناء(٢)، زَمِرُ المروءة، قَصِيُّ المجلس، لا يُشاوَرُ وهو ذو بَزْلاء(٣)، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل الرُّواء، غامضُ الشخص ضئيلُ الصوتِ نَزْرُ الكلام يتوقّع الإسكاتَ عند كلّ كلمة ، وهو يَرى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبّه وحسنَ تفضيله ، ولكن قَطعه سوءُ ما جنى على نفسه، ولو لم تَطّلِعْ عليه عيونُ الخليقة لهجَسَت العقولُ بإدهانه(٤). وكيف يمتنع من سُقوط القَدْرِ وظَنِّ المتفرّس(٥) مَنْ عُرِّيَ من حِلْية التقوى وسُلِبَ طبائعَ الهُدَى ! ولو لم يَتفَشّ ثوبَ سريرته وقبيحَ ما أجنّ من مخالفة ربه لقطعه العلمُ بقبيح ما قارف عن اقتدار ذَوِي الطهارة فى الكلام وإدلال أهل البراءة فى الندىّ .

كلام لغيلان

إن التراجعَ فى المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها ويأتى يومُ الصاخّة، كلُّ الخلق يومئذ مُصِيخٌ يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضَى عليه، وخَشَعَت الأَصْوَاتُ للرَّحمن فلا تسمَعُ إلا هَمْسًا . فاصمُت اليوم عما يُصمِتكَ يومئذ، وتَعلَّمْ ذلك حتى تعلَمَه، وابتغِه حتى تَجِدَه، وبادِرْ قبل أن تفجأَكَ دعوةُ الموت ، فإنها عَنيفةٌ إلا بِمَنْ رحم الله، فيُقْحِمك فى دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثُّبور ، ثم لا يُقالُون ولا يُستعتَبون. انى رأيتُ قلوب العِباد فى الدنيا تخشَعُ لأيسر من هـذا وتَقسُو عند هذا، فانظُر الى نفسك أعبدُ الله أنت أم عَدوُّه، فيارُبَّ مُتعبِّدٍ لله بلسانه ،مُعادٍ له بفعله ذلولٌ فى الانسياق الى عذاب السعير فى أُمنيّة أضغاثِ أحلامٍ يَعْبُرها بالأمانى والظّنون. فاعرِف نفسَك

---

(١) كذا فى الأصل، وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ «كنف العصمة» . (٢) نطف الثناء: قليله . وزمر المروءة: قليلها . (٣) البزلاء: الرأى الجيد . (٤) أى باللين له والمصانعة .

(٥) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠، وفى الأصل «المتقربين» .

وسَــلْ عنها الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يعــلم ، وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَل، فإن الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذِرُ بالجِدّ والتشمير. اِكتس نصيحتى ؛ فإنها كُسوَةُ تقوَى ودليــلٌ على مفاتح الخير، ولا تكن كعلماء زمن الهَرْج إنْ وُعِظوا أَنِفوا، وإن وَعَظوا عَنُفوا . والله المستعان .

كتاب رجل الى بعض الزهّاد

كتب اليه : إنّ لى نفسا تُحِبُّ الدَّعةَ، وقلبا يألف اللذاتِ، وهمةً تَستثقِلُ الطاعةَ، وقــد وهَّمتُ نفسى الآفاتِ، وحَذَّرتُ قلبى الموتَ، وزجرتُ هِمّتى عن التقصير، فلم أرضَ ما رجع إلىّ منهنّ ، فأَهدِ لى — رحمك الله — ما أستعينُ به على ما شكوتُ اليك، فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعدادِ .

فكتب اليــه : كثر تعجُّبى من قلبٍ يألَفُ الذنبَ، ونفسٍ تطمئنُّ الى البقاء، والساعاتُ تَنقُلُنا والأيامُ تَطوِى أعمارَنا، فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له، وكيف تنام عينٌ لا تدرِى لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدى الله! والسلام .

وكتب رجل من العبّاد الى صديق له :

إنى لمّــا رأيتُ الناسَ فى اليقين متفقين، وفى العمل متفاوتين، ورأيت الحجةَ واجبــة، فلم أرَ فى يقينٍ قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً، ولا فى عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً؛ ورأيتُ من تقصيرِ أنفسنا فى السعى لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهــربِ من مَخُوف ما حُذِّرَتْ، حتى أسلمها ذلك الى أن ضَعُفَتْ منها النيةُ وقلّ التحفّظ واستولى عليها السَّقَط(1) والإغفالُ واشــتعلَتْ منهــا الشهوةُ، ودعاها ذلك الى التمرغ فى فضــائح

(1) السقط : الخطأ من القول والفعل .

اللذّاتِ، وهى تعلم أن عاقبتَها الندمُ،وثمرتَها العقوبةُ، ومصيرَها الى النار إن لم يعفُ اللهُ — عجبتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبِهُ يقينَه ، ولعلمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا اليه والرهبـةُ منه إلا له . وزادنى عجبًـا أنّى رأيت طالب الدنيا أجدَّ من طالب الآخرة ، وخائفَها أتعبَ من خائف الآخرةِ، وهو يعـلم يقينا أنه رُبَّ مطلوبٍ فى الدنيا قد صار حين نيلَ حتفًا لطالبه، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِقَ كُرْهًا بالهارب منه فصار حظًّا له ، وأن المطلوبَ اليـه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ الى ربه مملوكٌ عليه مالُه مخزونةٌ عنه قدرتُه.واعلم أن جِمَاعَ ما يسعى له الطالبُ وَيهرُبُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجلُه ، والآخر رزقُه ، وكلاهما بعينـه شاهدٌ على أنه لا يملكُه إلا الذى خلقه . فلم أَدْرِ حين صار هذا اليقينُ فى موضع الإيمـان يقينا لا شكّ فيه، كيف صار فى موضع العـمل شبيها بالشك الذى لا يقينَ فيه! وكيف ، حين اخْتُلِفَ فى أمر الآخرة، لم يُخْتَلَفْ فى أمر الدنيا، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبرًا له على تجشُّم المكروه،وتجرّعًا منه لغُصَصِ الغيظ،واحتمالا منه لفادح النَّصَب،وعملا له بالسخرة، وتحفّظا من أن يُضمرَ له على غشّ أو يَهُمَّ له بخلاف؛ ولو فعـل ذلك ما علمه منـه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعـلٍ ؛ ولو علمـه ما قَدَر له على قطـع أجل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَدْ ؛ فإن ابتُلِيَ بالسَّخَطِ من سلطانه فكيف حزنُه ووحشتُه،وإن أَنِسَ منه رضًا عنه فكيف سُرورُه واختيالُه ! فإن قارفَ ذنبًا اليه فكيف تضعضُعُه واستخذاؤه(١)، فإن ندبه لأمر فكيف خِفَّته ونشاطه ! وان نهاه عنه فكيف حَذَرُه واتّعاظُه! وهو يعلم أن خالِقَه ورازقَه يعلَمُ سِرَّه وجهرَه، ويراه فى متقلّبه ومثواه، ويُعاينُه فى فضائحه وعورته، فلم يَزَعْه عنها حياءٌ منه ولا تقيَّةٌ له ، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يزدجر،

(١) استخذاؤه : خضوعه .

وحذّره فلم يحذَر، ووعده فلم يرغَبْ، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يزدَدْ بالستر إلا تعرّضا للفضائح، وكفاه فلم يقنع بالكفاية، وضَمِن له فى رزقه ما هو فى طَلَبه مُشيحٌ[(١)]، ويقّظه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغولٌ؛ فسبحان من وَسِعَ ذلك حلمه وتغمّده من عباده عفوُه؛ ولو شاء ما فعلوه؛ ولا يُسأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلُونَ .

فأجابه : إنى رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضع فى أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ علمِ العالم وبصرِ البصير وفهمِ السامع، ليس كسائر الأشياء التى تدخلها الشبهاتُ ويجرَحُها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ، وأغصانه العملَ، وثمرتَه الثوابَ . وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِسًا، لأنه جعل الخمسَ الجوالب لعلم الأشياء كلّها الى القلب : السمعَ والبصرَ والمَجَسَّةَ والمَذَاقَةَ والاسترواحَ . فاذا صارت الأشياء اليه ميّز بينها العقلُ، ثم صارت بأجمعها الى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجِّه كلّ واحدةٍ منهن جهتَها . ولولا معرفة القلب بالعقل الذى جعله الله لذلك، لم يفرُق سمعٌ بين صوتين مختلفين، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّةٌ بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَفُ بها حالُ الضارّ والنافع فى العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ فى التشبيه كالشجرة النابتة فى القلب، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعًا إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِفُ الثمرةُ فى الطيب والكثرة اذا كان الأصل نابتًا والأغصانُ ملتفّةً،

(١) المشيح : الجادّ فى الأمر .

فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحَسُنَ عمـله . وقد تعرِضُ للأعمال عوارضُ من العِلل : منهنّ الأملُ المثبِّطُ، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء، والهوى المزيِّنُ للباطل، والشيطانُ الجـارِى من ابن آدم مجرَى الدم، يضرِرن(١) بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررُهن اليقين ، فيكون ذلك كبعضِ ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الآفات فتُذْوِى أغصانها وتَنثُرورقَها وتَمنع ثمرتَها والأصـل ثابتٌ ؛ فاذا تجلّت الآفةُ عادت الى حال صلاحها . فماذا يُعجبك من عمل آمرئ لا يشبه يقينَه وأن يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنمـا العجب من خلاف ذلك ! ولَعَمْرى لو أشـبهَ عملُ امرئ يقينَـه فكان فى خوفه ورجائه كالمعايِن لِمَـا يُعاينـه بقلبه من الوقوف بين يدى الله والنظر الى ما وعَد وأوعَدَ، لكان ما يعتلج على قلبـه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء، حتى يأتىَ على نفسـه أوّلَ لحظةٍ ينظربها الى النار خوفا لهـا أو الى الجنة أسـفًا عليها اذا حُرِمَها ، وإذًا لكان الموقن بالبعث بقلبـه كالمعاين له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلًا عن أنـ يعملَ !

وأما قولك : «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخـائف الدنيـا لسلطانه» ، فإن الله عزّ وجلّ خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولًا، فهو لضعفه موكَّل بخوف الأقرب فالأقرب ممـا يكره، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل ممـا يشتهى؛ وزاده حِرصا على المخلَص من المكروه وطلبًا للمحبوب حاجتُه الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طُبِـعَ عليه القلبُ من حبّه وسَهُل على المخلوقين من طلبه، لمـا انتفع بالدنيا مُنتفعٌ ولا عاش فيهـا عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيـا ومحابّها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذنبٍ سـلف منّى، وأما المحبوب فيقول فيـه : عسى أن أكون رُزِقتُه بحسـنةٍ كانت منى فهو ثواب

(١) فى الأصل "يضرون" .

مُجَلِّى ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين الى الضّيق ، وأن قلوبَ أكثر مُسَلِّطيهم الى القســوة ، وأن العيبَ عنهــم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظـاهر ولا يضع إلا به[1] ، ولا يلتفتُ من آمرئٍ الى صلاح سريرته دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤمُ ، فليس يرضَى اذا خِيفَ إلا بأن يُذلّ ، ولا اذا رُجِىَ إلا بأن يُتعبَ ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له ، ولا اذا أمرَ إلا بأن يُنَفَّذَ أمرُه ، ولا ينتفع المتشفّع[2] بإحسانه عنـده اذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعتــه فى المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرَى الثوابَ لازما له ولا العقابَ محجورا عليه ، فإن عاقب لم يَستبْقِ ، وإن غَضِبَ لم يتثبَّتْ ، وإن أسـاء لم يَعتذِر ، وان أذنبَ اليه مذنبٌ لم يَغفِر ؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفرُ بها العلانيةَ ، ويمحو بالحسنة عشرا من السيئات ، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِىَ أجاب ، وإن اسْتُغفِر غَفَر ، وإن أُطيعَ شكر ، وان عُصِىَ عَفَا ، ومن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمتُــه التى وسعت كلَّ شىء ، وشهادةُ الحق التى لا يزكو إلا بها عمــل ، وشفاعة النبىّ صـلى الله عليه وسلم ؛ وهذا كله مثبِّتٌ لليقين باسطٌ للأمل مُثبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليلٌ ما هُمْ . فلا تَحمِلْ نَطَفَ عملك على صحة يقينك فتُوهِنَ إيمـانَك ، ولا تُرَخِّصْ لنفسك فى مُقارفة الذنوب ، فيكونَ يقينُك خصمًا لك وحُجّــةً عليك ؛ وكَذِّب أملَك وجاهِد شهوتَك ، فانهما داءاك المخوفان على دينك المعتونان[3] على هلَكَتك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظـــة مســـتعملة

وكيع عن مِسْعَر عن زيد العمّىّ[4] عن عون بن عبـد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَن عَمِلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه ،

(١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتنفع» . (٣) المعتونان : المتعاونان .

(٤) سمى زيد هذا العمى لأنه كان كلما سئل عن شىء قال «حتى أسأل عمى» وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب فى اسم زيد بن الحوارى) .

ومن أصلحَ ما بينــه و بين الله أصلح اللهُ ما بينــه و بين الناس. ومن أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه .

موعظة لعمرو بن عتبة

العتبىّ عن أبيه عن أبى خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، فأراد مرّةً سفرا فقال : يا بَنِيَّ تألَّفُوا النعم بحسن مُجاوَرتها، والتمِسُوا المزيدَ فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفوسَ أقبلُ شيء لما أُعطِيَتْ وأعْطى شيء لما سُئِلَتْ ، فاحمِلوها على مطيَّةٍ لا تُبطِئ اذا رُكِبَتْ، ولا تُسبَقُ و إن تُقُدِّمَتْ ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك مَنْ سابقَ الى الجنة؛ فقال الأصاغرُ : ياأبانا ماهذه المطيةُ؟ قال : التوبة .

صـــفات الزهاد

حدّثنى عبد الرحمن العبدىّ عن يحيى بن سعد السعدىّ قال :

سأل الحواريّون عيسى عليه السلام فقالوا : يارُوحَ الله مَنْ أولياءُ الله ؟ قال : هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناسُ الى ظاهرها، والى آجل الدنيا حين نظر الناسُ الى عاجلها، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم وتركوا منها ماعلموا أن سيتركُهُم، فصار استكثارُهم منها استقلالا، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحقّ وضعوه، فهم أعداء ما سالمَ النـاسُ وسِلْمُ ما عادَوْا ، خَلُقَت[1] الدنيا عنـدهم فليس[2] يعمُرونها، وماتت فى قلوبهم فليس[2] يُحبونَها، يهدِمُونها و يبنون بها آخرتهم، و يبيعونها و يشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا الى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مسند لضمير الجماعة ، ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرْعَى قد خلت منهم المَثُلاتُ فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ذكرَ الحياة ، بهـم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهـم عُلِمَ الكتاب وبه عَمِـلوا ، لا يرون نائلًا مع ما نالوا ، ولا أمنًا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون مايحذرون .

•حدّثنى أيضا عن أنس بن مصلح عن أبى سعيد المصّيصى :

ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرض ، فاذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ ، فقال له عمر : يافتَى ما الذى بلغ بك ما أَرَى؟ قال : ياأميرَ المؤمنين أمراضٌ وأسقام ، فقال عمر : لَتَصْدُقَنِّى ، قال : ياأمير المؤمنين ذقتُ حلاوة الدنيا فوجدتُها مرّة فصغُر فى عينى زهرتها وحلاوتُها ، واستوى عندى حجرُها وذهبُها ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا ، والى النـاس يُساقُون الى الجنة والى النار ، فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت له ليلى ، وقليلٌ حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وجنب عقابه .

بلغنى عن إسحاق بن سليمان عن أخيـه عن الفياض عن زبيد اليامى[1] عن معاذ ابن جبل :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين اذا غابوا لم يُفتقَدُوا واذا حَضَرُوا لم يُعرفوا ، قلوبُهم مصابيحُ الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلِمَةٍ" .

وعن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفَى بن دلهم قال :

قال علىّ عليه السلام : تعلّموا العلمَ تُعرَفُوا به وٱعمَلُوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتى من بعـدكم زمانٌ يُنكِر فيه الحقَّ تِسعةُ أعشِرائهم[2] لا ينجو فيه إلا كلّ نُوَمَةٍ ، يعنى

---

(١) نسـبة الى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب فى اسم زبيـد بن الحارث ، وفى الأصل «النامى» وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشر جزء من عشرة .

الميّتَ الذكرِ[1]،أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجْلِ المذاييع[2] البُذُرِ[3] . وقال عليّ عليه السلام أيضا : إنّ الدنيا قد ارتحلت مُدبِرةً وإنّ الآخرةَ قد ارتحلَتْ مُقْبِلةً، ولكل واحدة منهما بَنُونُ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . أَلَا إن الزاهــدين فى الدنيا اتخــذوا الأرض بساطا والترابَ فِرَاشا والمـاء طِيباً . أَلَا مَنِ اشتاق الى الجنة سَلَا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجَع عن الحُرمات، ومَنْ زهد فى الدنيا هانت عليــه المصيبات . أَلَا إن لله عبادا كمن رأى أهلَ الجنــة فى الجنة مخلَّدين وأهلَ النار فى النار مُعَــذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسُهم عفيفةٌ، وحوائجهم خَفِيفَةٌ،صبَرُوا أيامًا قليلةً لعقبى راحةٍ طويلة؛أمَّا بالليل فصافّو أقدامِهــم ، تجرى دُموعُهم على خدودهم ، يجأَرُون الى الله : ربَّنا ربَّنــا يطلبُون فَكَاكَ رِقَابهم ؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بَرَرَةٌ أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظُر اليهمُ الناظر فيقول : مَرْضَى، وما بالقوم من مرضٍ، ويقول : خُولِطُوا، ولقــد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

حدّثنا إسحاق المعروفُ بآبن رَاهَوَيْه أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول : يابُنَيّ كن ممّن نأى به عمّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة ، ودنُوُّه[4] ممن دنا منه لينٌ ورحمــةٌ، ليس نأيه تكبرا ولا عظمة، ولادنوه بخَــدْعٍ ولا خِلَابَةٍ ، يَقتَدِى بمن قبــله، وهو إمامُ من بعده ، لا يعجل فيمن رابه[5] ويعفو اذا تبين له ، ينقصُ فى الذى له ويزيد فى الذى عليــه ، لا يعزُبُ حِلمُه ولا يحضُرُ جهلُه ، الخير منــه مأمول والشرّ

---

(١) فى الأصل : « الميت الدا» وما أثبتناه يدل عليــه قول أبى عبيدة فى تفسير النومة من هــذا الأثر : الخامل الذكر الغامض فى الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذياع وهو الذى لا يكتم السرّ . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السرّ أى يفشيه بين الناس . (٤) كذا بالأصل والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به ممن» . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِىَ خاف ما يقولونَ واستغفرَ لمـا لا يَعلمون ، إن عصته نفسُـه فيما كرِهَتْ لم يُطِعها فيما أحبت ، يَصمُتُ ليسلَمَ ويخلو ليغنَم وينطِقُ ليفْهَمَ ويُخالطُ ليِعْـلم . ولا تكن يا بُنىّ ممن يُعْجَبُ باليقين من نفســه فيما ذهبَ وينسَى اليقينَ فيما رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدِّر شىء كانـــ ، ويقول فيما بقى : ابتغ أيها الانسانُ ، تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها على ما يستيقِنُ ، طال عليه الأملُ ففترَ ، وطال عليه الأمدُ فاغترّ ، وأُعذِرَ اليه (١) فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّر بمعْذِرٍ (٢) ، عُمِّر فيما يتذكر فيه من تذكّر ، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر ، إن أُعطِىَ لم يشكر ، وإن مُنِـعَ لم يَعذِرْ ، يُحبّ الصـالحينَ ولا يعمل عملَهـم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم ، يرجو الأجرَ فى البغض على ظنّــه ولا يخشَى اليقينَ من نفسه ، يخشى الخلقَ فى ربه ولا يخشَى الربَّ فى خلقه ، يَعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيذَ اللهُ منه مَنْ هو تحتــه ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله ، يُبصر العورةَ من غيره ويُغفِلُها من نفسه ، إن صلّى اعترض (٣) ، وإن ركع ربَض ، وإن سجد نقَر ، وإن جلس شعَرَ ، وإن سألَ ألحفَ ، وإن سُئِلَ سوَّفَ ، وإن حدّثَ أخلفَ (٤) ، وإن وُعِظَ كلَح (٥) ، وإن مُدِحَ فرِحَ ، يحسُدُ أن يُفْضَــلَ ، ويزهَدُ أن يَفضُــلَ ، إن أُفيضَ فى الخير برِم (٦) وضَعُفَ واستسلَمَ وقال : الصمتُ حُكْمٌ (٧) ، وهــذا ما ليس لى به عِلم ، وإن أُفيضَ فى الشرّ قال : يُحسَبُ بى عِىٌّ ، فتكلّم يجمَع بين الأَراوِى (٨) والنعام وبين الخـال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم ، يتعلّم للراءِ ، ويتفقّه للرياء ، ويبادِرُ ما يفنَى ، ويُواكلُ ما يبقى .

(١) أى أعذر الله اليه ، يقال : أعذر الله الى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة . (٢) بثابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشىء أى تكلفه . (٤) الإخلاف فى المستقبل كالكذب فى المـاضى ، وهو أن يقول شيأ ولا يفعله . (٥) كلح : كشر فى عبوس .

(٦) سئم وضجر . (٧) حكم : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدّثني محمد بن داود عن أبي شُرَيح الخُوَارَزْمِي قال : سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسنُ بن عليّ : ألا أخبركم عن صديق كان لى من أعظم الناس فى عينى، وكان رأسُ ما عَظُم به فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينـه، كان خارجاً من سلطانِ بطنه فلا يَتَشَهَّى ما لا يحلّ ولا يكثِرُ اذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يدًا إلا على ثقـةٍ لمنفعة، كان لا يَتَشَكَّى ولا يتبرّمُ، كان أكثرَ دهرِه صامتـا، فاذا قال بَذَّ القائلين، كان ضـعيفا مستضعَفًا فاذا جاء الجِـدُّ فهو الليث عاديا، كان اذا جامع العلمـاء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ ، كان اذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول، كان اذا عَرَض له أمران لا يدرى أيّهما أقربُ الى الحق نظر أقربَهما من هواه نخالفه، كان لا يلومُ أحدًا على ما قد يَقَع العذرُ فى مثله . زادنى غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضيًا عَدْلًا وشهودًا عدولا (١) .

وفى كلام على رضى الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله فى الأرض فقال : هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور، فباشروا رَوْحَ اليقين، واستلانوا ما استَوْعر المُتْرَفُون، وأَنِسوا بمـا استَوْحش منه الجاهلون، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمَحَـلّ الاعلى، هَاهْ (٢) شوقًا الى رؤيتهم .

قال رجلٌ ليونس بن عُبَيـد : تَعْلَمُ أحدًا يعمل بعمـل الحسن ؟ قال : والله ما أعرِف أحدا يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصِفْه لنـا؛ قال : كان

(١) فى الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٠ : « كان لا يدخل فى دعوى، ولا يشترك فى شراء، ولا يدلى بحجة، حتى يرى قاضيا الخ » . (٢) فى نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

اذا أقبل فكأنه اقبـل من دَفْن حَمِيمه ، واذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضَرْب عُنُقه ، واذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخْلَق إلّا له .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنـا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مَعْمَر عن الأعمش عن شقيق بن سَلَمة قال : ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمان إلا كمثل غنم ضوائنَ ذاتِ صُـوفٍ عِجافٍ أكلتْ من الحَمْض(١) وشَرِبت من المـاء حتى انتفخت خواصرها ، فمرّتْ برجل فأعجبتْه ، فقام اليها فعَبَط(٢) منها شاةً فاذا هى لا تُنْقِى(٣) ،ثم عبط أخرى فاذا هى كذلك ، فقال : أُفٍّ لكِ ، سائرَ اليوم .

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : اذا شئتَ لَقِيتَه(٤) أبيضَ بضًّا(٥) حديد النظر مَيّتَ القلبِ والعمل ، أنت أبصرُ به من نفســه ، تَرَى أبدانًا ولا قلوب ، وتسمع الصوتَ ولا أُنس ، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب .

حدّثنى أبو سهل عن على بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفْيان : الزهدُ فى الدنيا قِصرُ الأمل ، ليس بأكل الغَلِيظ ولا لُبْس الغَلِيظ . قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أنّ رجلًا فى ترك الدنيا مثلُ أبى ذرّ وأبى الدَّرْداء وسَلْمان ، ماقلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض ، والحلالُ المحض لا نعرِفه اليوم ، وإنّما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات ؛ فالحلالُ حسابٌ ، والحرام

---

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنق : ليس لها نقى لضعفها وهزالها . والنق : المخ .

(٤) كذا فى الأصل ، ولم يتقدّم ما يصلح أن يكون مرجعا للضمير فى قوله «لقيته» . وفى النهاية لابن الأثير ولسان العرب فى مادة «بض» : وفى حديث الحسن «تلق أحدهم أبيض بضا» .

(٥) من البضاضة وهى رقة اللون وصفاؤه .

عذابٌ ، والشبهات عتابٌ ، فأنزِل الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقيمك ، فان كان ذلك حلالًا كنت زاهـدا فيها ، وإن كان حراما لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطرّ من الميتة ، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيرا . ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلّ الدنيا ، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخذُ البَلَاغ منها . قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا .

قال أبو سليمان الدارانيّ : الرضا عن الله والرحمـةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين ، وما تعـرف الملائكةُ المقرّبون حدّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قـد نِلتُ من الرضا طَرَفا ، لو أنه تبـارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضيا . قال : وليس الحمـد له أن تحمَده بلسانك وقلبُك مُقتصرٌ على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلّمٌ راضٍ .

وقال ابن أبي الحَوَاريّ : قلت لأبي سـليمان : بلغني في قول الله تعـالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقَى ربّه وليس فيـه أحدٌ غيرُه ؛ فبكى وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سـنة أحسنَ من هذا . وقال : كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجدُ له محبّةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فاذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَـد القلبُ .

وقال الفُضَيْل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبجر : أن رجلا يُكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قُرّاءَ زمان قطّ أغلظَ رقابًا ولا أدقَّ ثيابًا ولا آكلَ لُمخّ العيش منكم .

أبو أُسامة عن حمّاد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرّف : أُنظروا قوما اذا ذُكِرُوا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهــم ، وقوماً اذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء و بين هؤلا ء .

أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلًا فقال : إن استطعتَ أن تعرِف ولا تُعْرَف وتَسأَل ولا تُسْأَل وتمشِي ولا يُمْشَى اليك ، فافعل .

قال أيّوب : ما أحبَّ الله عبدًا الا أحبّ أَلَّا يُشْعَر به .

إسحاق بن سـليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شُرَيح بن عبيد الى أبى عائذ الأَزدىّ فقال : يا أبا عبـد الله ، لو أحييتَ سنّةً قد تركها الناس : إرخاءَ طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر ! قال : يا بن أخى ، ما كان أحسنها ! تركـها الناس فتركناها ، ما أحِبّ أن أُعرَف فى خيرٍ ولا شرّ .

كلام من كلام الزهّاد

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا عبدالله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدّ للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجمِـعٌ[(١)] على التحوّل الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصتْ نفسى لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُسْتعتَبٌ[(٢)] ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك ؟ قال : لا ؛ قال فهـل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدّثنا عبد الله بن مبارك قال حدّثنى غير واحد عن مُعاوية ابن قُرّة قال :

---

(١) مجمع : عازم . (٢) المستعتب : الطلب الى المسىء أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدرى أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكاني فِراق الأحبّة: محمدٍ وحِزْبه، وهَوْلُ المُطَّلَع، والوقوفُ بين يدى الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدرى الى الجنة أو الى النـار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفىّ يقول : تضحَكُ ولعـل أكفانَك قد خرجتْ من القَصّار(١) . قال : وقال الفُضَيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرْمِرُها(٢) عليـه بالعُرْى مرّةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرّةً صَبِرًا(٣) ومرة حُضَضًا(٤) ، وإنمـا تريد بذلك ما هو خير له .

وقال السرىّ : ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يُبْغضه حبيبُك . أوحى الله تعـالى الى بعض الأنبياء : أمّا زهدُك فى الدنيـا فتَعَجَّلك الراحةَ لنفسـك، وأمّا انقطاعُك الىّ فتعزُّزك بى، ولكن هل عاديتَ لى عدوّا أو واليتَ لى وليًّا .

قال مالك بن دينـار : بلغنا أن حَبْرًا من أحبار بنى إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغَمَز بعضُ بنيه النساءَ، فرآهم فقال: مَهْلًا يا بنىّ مهلا! قال : فسَقَط عن سريره فانقطع نُخَاعه(٥) وأسقطت امرأتُه وقُتِل بنوه فى الجيوش . وقيل له : ما يكونُ من جنسك حبرٌ أبدا ، ما كان غضبُك لى إلا أن قلتَ يا بنىّ مَهْـلًا يا بنىّ مهلا .

---

(١) القصار : المحوّر للثياب ، سمى بذلك لأنه يدقها بالقصرة التى هى قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجيزها و يعدّيها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض (بضم أوّله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، و يقال على صمغ من نحو الصنوبر والمر له ثمرة كالفلفل . (٥) النخاع : الخيط الابيض فى جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه شعب فى الجسم .

ضَمْرة بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إِرضَ بالله صاحبا ودَعِ الناس جانبا .

كان بِشر بن الحارث يقول : أربعةٌ رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ فى الظّاهر إلا بِطِيب المَطْعم : إبراهيم بن أدهم وسالِم الخوّاص ووُهَيْب المكّى ويوسف ابن أسباط .

وحدّثنى أبو حاتم أو غيره عن العُتْبىّ قال : سمعت ابن عُيَينة يقول : أربعٌ ليس عليك فى واحدةٍ منهنّ حسابٌ : سَدُّ الجَوْعة ، و بَرْدُ العَطْشة ، وستر العورة ، والاستكنان ؛ ثم تلا : (إنّ لَكَ أَلّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

بلغنى عن يَعْلى عن سُفْيان : قال علىٌّ عليه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شىء هَرَب منه ، ما أدرى ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لما يخاف ! وما أدرى ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبِر عليه لما يرجو .

بلغنى عن عيسى بن يونس عن الأوزاعىّ عن مكحول قال : إن كان الفضلُ فى الجماعة فان السلامةَ فى العزلة . و بلغ الفُضَيلَ هذا فقال: سمعتم كلامًا أحسن منه !

قال ابن المبارك : رَكِبتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثىّ السفينة فقلتُ : بأىّ شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول فى الصوم فى السفر؟ فقال : إنما هى المبادرة ؛ فجاءنى والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعبىّ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : قيل لأبى حازم : ما مالُك؟ فقال : الثقةُ بما فى يد الله واليأسُ مما فى أيدى الناس . وقال أبو حازم : إنه ليس شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم ، فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على

ولدك، واعلم أنك إنما تُخلف مالك فى يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقى بمـا جمعتَ له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعَد بما شَقِيتَ له؛ فارجُ لمن قدّمتَ منهم رحمةَ الله، وثِق لمن خلّفت منهم برزق الله .

وقال أبو حازم: إن كنت انما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك، وان كنتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شىء يُغنيك .

ونظر أبو حازم الى الفاكهة فى السوق فقال: موعدُك الجنّة . ومرّ بالجزّارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فاشترِ منه؛ قال: ليس عندى ثمنه؛ قال أنا أنظرُك؛ ففكّر ساعة ثم قال: أنا أنظرُ نفسى .

قال سُفيان: حلَف أبو حازم لجلسائه: إنى لأرضى أن يتّقى[1] أحدُكم على دِينه كما يتّقى[1] على نعْله .

حدّثنى محمد بن زياد الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبى هند عن أبيه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "الصحّةُ والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس" .

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عَوْن عن حمّـاد بن سَلَمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: ابنَ آدم، إنما أنت عَدَدٌ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضُك .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهمىّ عن الحسن بن ذَكْوان رَفَعَ الحديثَ الى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أوصانى ربّى بتسع خِصالٍ وإنى مُوصِيكم بها:

(١) كذا بالاصل. ولم نجد فيا بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتعدّى بحرف «على» فلعله محرف عن «يبق» والإبقاء على الشىء: الإرعاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص فى السرّ والعلَانية، والعَدْل فى الرضا والغضَب، والقَصْد فى الفقر والغنَى، وأن أعفــوَ عمّن ظَلَمنى ، وأصِلَ مَنْ قطعنى وأعطى مَنْ حَرَمنى، وأن يكون صَمْتى تَفَــكُّرا، ومَنْطِق ذِكْرا، ونَظَرى عِبَرا" .

مسلم بن إبراهيم عن حمّاد بن سَلَمة عن حُمَيد قال : كان ابن عمر يقول : البِرُّ شىء هيّنٌ : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لَيّن .

جعفــر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتّقُوا السّحّارة، فإنهــا تسحَرُ قــلوبَ العلماء . قال : وسمعتــه يقول : وَددتُ أنّ رزقى فى حَصَاة أمَصّها حتى أموت، ولقد آختلفتُ الى الخَلَاء حتى استحيَيْتُ من ربّى .

بِشْر بن مُصلح عن أبى سعيد المصّيصىّ عن أَسد بن موسى قال : فى الجُوع ثلاثُ خلال : حياةُ القلب، ومَذَلّةُ النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماوىّ .

سالم بن سالم البَــلخىّ عن السرىّ بن يحيى قال : كان الحسن اذا عاد مريضًا لم ننتفع به يومًا وليلة، واذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه ووَلَدُه وإخوانُه ثلاثًا .

خَلَف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، أُحبّ أن تقبَلَ منى هذه الجُبّة كُسوةً ؛ قال إبراهيم : إن كنتَ غنيًّا قَبِلتُها منك ، وإن كنتَ فقيرا لم أقبَلْهــا ؛ قال : فإنى غنىٌّ ؛ قال : كم عندك ؟ قال : ألفان ؛ قال : فيَسُرُّك أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت فقير، لا أقبَلها » .

قال عُبَيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفُضَيل نعودُه ؛ فقال : زَوّجَك وخوّلك وصَرَف وجوهَ الناس اليك وأنت تشغلك عنه مَنْ أنت وما أنت ! ثم شَهَق شَهقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغَطّى عليه ثوبًا وهو لا يعقِل، ونزلنا .

بكّار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السّرُّ أملكُ بالعَلَانيَة من العَلَانية بالسرّ، والفعلُ أملكُ بالقول من القول بالفعل ، فاذا كنتَ فى زمانٍ يُرْضَى فيــه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فأنت فى شرِّ زمان وشرّ أناس .

ابن أبى الحوارىّ قال : ذكرت لأبى سـليمان امرأتى والشـغلَ بها، فقال: إنْ علم اللهُ من قلبك أنك تُريد الفراغَ له فرّغك، وإن كنت إنمـا[1] تريد الراحة منهـا لتستبدل بها، فهذه حماقة . قال : ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلَبِّ حتى سِرْنا مِلياً وأخذه كالغَشْى وجعــل رأسَه عند رُكبته فجعــل محْمِله يَخِفّ ومحمِلى يثقُلُ حتى سرنا هوِيّاً[2]، ثم أفاق فقال: يا أحمد، بَلَغنى أن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليــه السلام « يا موسى مُرْ ظَلَمَةَ بنى إسرائيل أن يُقلُّوا من ذكرى، فإنى أذكُرُ مَنْ ذكرنى منهــم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى، قال له تبـارك وتعالى : لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما فى يديك؛ فمـا يؤمِّننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت فى شىء من الخير فيُشير لك الى شىء من الخير دونه ليَرْبح عليك شَعيرةً؛ يعنى إبليسَ .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم، إنّ مَنْ طلب الفردوسَ فخبزُ الشعير له والنومُ فى المزابل مع الكلاب كثير .

مســلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبى هند عن مكحول قال : كنا أجنّةً فى بطون أُمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِى ، ثم كنا مَرَاضع[3] فهَلك منا

---

(١) وردت هذه الكلمة مرسـومة فى الأصل هكذا : «وانمـا كنت» . ومن المحتمل أن يكون صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمه فى « ما » الزائدة، فكتبها الناسخ « إنمـا »

(٢) هويا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبَقِي من بقى، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرْنا شبّانا، وذكر مثل ذلكَ، ثم صرنا شيوخًا لا أبا لك فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل اليها .

قال وقال مكحول : الجنين فى بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَـل سُرّته، وغذاؤه فى بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تَحيض الحامل، فاذا سقط استَهَلّ استهلالة إنكاراً لمكانه، وقُطعت سُرّته وحوّل الله رزقه الى ثدى أمه ثم حوّله الى الشىء يُصْنع له ويَتنـاوله بكفّه، حتى اذا اشـتدّ وعقل قال : أين لى بالرزق! يا ويحـك! أنت فى بطن أمك وفى حِجْـرها تُرْزَق حتى اذا عَقَلتَ وشَبَبت قلتَ : هو الموت أو القتل وأين لى بالرزق! ثم قرأ ﴿يَعْـلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النَّضْر الحارثىّ اذا لم يكن فى صلاة استقبل القِبْلةَ، فقعَدنا اليه بعد العصر فقال : بلغنى أنه مَنْ قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له له الملكُ وله الحمـدُ وهو على كلّ شىء قدير، ألفَ مرةٍ فى دُبُر صـلاة العصر، رُفع له عملُ نبىٍّ؛ ثم قال : قد أكثرت الكلام .

وقال سعيد بن عمرو الكِنْدىّ دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزًا يابسا قد بلّه(١) فى المـاء بملْح جَرِيش(٢)، فقال له : كيف تشتهى هذا! قال: أدعُه حتّى أشتهيه. ونحو هذا قول هشام بن عبدالملك لسالم : ما أُدمك(٣)؟ قال: الزيت؛ قال: أما تَأْجَمه(٤)؟ قال : اذا أَجَمْتُه تركته حتى أشتهيه . قال : وكان ماء داود فى دَنٍّ مُقيَّر(٥) فى الصّيف

(١) فى الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أى شىء كان . (٤) تأجمه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شىء أسود تطلى به السفن، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بَرّدتَ المـاء! فقال داود : اذا أصبْتَ فى مثل هذا اليوم ماءً باردا فمتى تُحِبّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رِيحٌ ما جلس إلىّ منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المَـالُ إلا من أربع : سهم فى فَىْء المسلمين، أو عطيّـة عن ظَهْر يدٍ، أو إرثٍ بكتاب الله، أو تجارة من حلال؛ ولا يُقْتـل مسلم إلا بهذه الخِصال : كفر بعـد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتـل فيُقْتل، أو حارب اللهَ ورسولَه وقطَع الطريقَ .

قال سليمان بن المُغيرة سمعت ثابتـا يقول : واللهِ لَحَمْـلُ الكَارَات أهونُ من العبادة . قال : ولا يُسَمَّى الرجلُ عابدًا و إن كانت فيـه خَصْلةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حَيّان قال : كان عيسى بن عُقْبـة يسجُد حتى إن العصافير لَيَقَعن على ظَهْره ويتزِلْن، ما يَحْسَبْنَه إلّا جِرْمَ حائط .

حدّثنى محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة الى الفُضَيل القَحْطَ ، فقال : أمدبِّرًا غيرالله تريدون! . قال : وسمعته يقول : اسـتخيروا اللهَ ولا تَخَيّروا عليه ، فكم من عبـد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أَمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًا[1] .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس، ومن أبو يونس! بَكَى حتى عَمِي، وطاف حتى أُقْعِد، وصلّى حتى حَدِب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب و بلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين ، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتنصر وقتئذ بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام، وأقام نفر يسير على الجزية (انظر معجم البلدان فى اسم طرسوس) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصارىّ عن بَهْز بن حكيم قال : صلّى بنا زُرَارةُ بن أوفى الغَداةَ ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، نخرّ مَغْشِيًّا عليه ، فحملناه ميِّتًا .

ابن أبى الحَوَارىّ قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تبلِّغك نصفَ الطريق ، والصومُ يبلِّغك بابَ الملك ، والصَّدَقةُ تُدْخِلك عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِم المدينةَ مرّةً وأنا بها ، فقلت : لأقعُدنّ له ، لعلى أتعلّق عليه بَسَقْطة ، فقام من القبر مَقامًا ما ذكرتُه قطّ إلا ٱقشعرّ جِلْدى .

روى ٱبنُ عيّاش عن سعيد بن أبى عَرُوبَةَ قال : حجّ الحجّاج فنزل بعضَ المِياه ودعا بالغَدَاء ، فقال لحاجبه : انظر من يَتَغدّى معى وأسألُه عن بعض الأمر ؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابىٍّ بين شَمْلتين من شَعَر نائم ، فضربه برجله وقال : ٱئت الأميرَ فأتاه ؛ فقال له الحجاج : اِغسلْ يدك وتَغَدَّ معى ؛ قال : إنه دعانى مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته ؛ [فقال له الحجاج : من الذى دعاك ؟] (١) . قال : اللهُ تعالى دعانى الى الصوم فصُمت ؛ قال : فى هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛ قال : فأفطِرْ وتصوم غدا ؛ قال : إن ضَمنتَ لى البقاءَ الى غد ؛ قال : ليس ذاك إلىّ ؛ قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيِّب ؛ قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز ، ولكن طيّبته العافية .

ونحو هذا حدّث الأصمعىّ عن شَبيب بن شيبة قال : كنّا فى طريق مكة فجاء أعرابىٌّ فى يومٍ صائف شديدِ الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم

(١) زيادة يقتضيها السياق .

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلتَ وأصبتَ من الطعام ! قال : إنى صائم ؛ قلنا : فى الحرّ وشدّته وجَفَاء البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أُحبّ أن أغْبَن أيّامى ، ثم نبذ الينا الصحيفة ، وقال : أُكتب ولا تزيدنّ على ما أقول حرفا : هـذا ما أعتق عبـدُ الله بن عقيل الكلابىّ ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها لؤلؤة ، ابتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة ، وإنه لا سبيلَ له عليها إلا سبيلَ الوَلاء ، المِنّةُ لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعىّ : فحدّثت بها الرشيدَ ، فأمر أن يُعتَق عنـه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة ، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب .

قال خالد بن صَفْوان : بِتُّ أتَمَنّى ليلتى كلَّها ، فكَبَستُ البحر الأخضرَ بالذهب الأحمر ، فإذا الذى يكفينى من ذاك رغيفان وكُوزان وطِمْران ! .

رأى رجلٌ رجلا من وَلَد مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له ، فقال : هـذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ .

سمعتُ بعضَ العبّاد يقول : علامةُ التّـوبة الخروجُ من الجهـل ، والنَّدمُ على الذنب ، والتّجافِى عن الشهوة ، واعتقادُ مَقْتِ نفســك المسوِّلة(١) ، وإخراجُ المَظلمة ، وإصلاحُ الكَسْرة ، وتركُ الكذب ، وقطعُ الغِيبة ، والانتهاءُ عن خِدْن السَّوْء .

لَقِىَ زاهــدٌ زاهــدًا فقال له : يا أخى ، إنى لأُحبّــك فى الله ؛ قال الآخر : لو علمتَ منّى ما أعلم من نفسى لأبغضتَنى فى الله ؛ قال له الأول : لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك ، لكان لى فيما أعلم من نفسى شُغْلٌ عن بُغْضك .

(١) فى الأصل : « المسؤولة » .

كان الثَّورىّ مستخفيًا بالبَصْرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه : "قد بَلَغ بنـا الجَهْد الى أن نأخُذَ النَّوَى فنرُضَّه ثم نخلِطَه مع التبن فنأ كلَه"، فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب الى أخ له ؛ فقرأه فدَمَعتْ عينُه، ثم قال : يا أبا عبـد الله، لو أنّك حدّثتَ النـاس اتّسعت واتّسع هؤلاء ! فاطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسـه وقال : اِسمعْ حديثًـا أُحدِّثُكَ به ثم لا أُكلِّمك بعده سـنة : رُئِىَ نُورٌ فى الجنّـة تجـدّد ، فقيل : ما هـذا النور ؟ فقيل : حَوْراءُ ضَحِكتْ فى وجه زوجها فبَدَتْ ثنـاياها ؛ فترَى لى أن أُغرِّرَ بتلك وأصيرَ الى ما تقول !

أراد قومٌ سفرًا فحادوا عن الطريق وانتهَوْا الى راهبٍ منفردٍ فى ناحية ، فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : ها هنـا، وأومأ الى السماء ، فعلِموا الذى أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سَـلوا ولا تُكثروا ، فانّ النهار لن يرجِع والعمرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا : ما الخلقُ عليه غدًا عند مليكهم ؟ فقال : على نِيّاتهم؛ فقالوا: فإلامَ الموئلُ؟ قال : الى المُقَدَّم؛ قالوا : أوصِنا؛ قال : تَزَوَّدوا على قدر سـفركم ، فانّ خيرَ الزاد ما بَلَّغَ المَحلَّ؛ ثم أرشدهم الى المَحَجَّة وانقمع[1] .

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنى عِظَةً نافعة؛ فقال : جميـعُ المواعظ منتظمةٌ فى حرف واحد؛ قلت : ما هو ؟ قال : تُجمِـعُ على طاعته، فاذا أنت قـد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار .

الأصمعىّ : قيل لأعرابىٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه المـاشية ؟ قال : لله عندى .

كان ابن السماك يقول فى كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أمَا تستحيُون من الله من طول مالا تستحيُون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اِجتهِدوا فى العَمَل ، فإنْ قَصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصى .

كان مالك بن دينار يقول فى قَصَصه : ما أشَدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَرُوضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ * ومن العَناءِ رياضةُ الهَرِمِ

كان أعرابىٌّ يسرِق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال :

أَلَا قُلْ لرُعْيان المَخَائِضِ[١] أهمِلُوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد
وإنَّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تَزَوّد من أعمالها لسعيدُ

وقال نصيح الأسدىّ :

كفى نَطَفًا[٢] بالمرء يا أم صالح * ركوبُ المعاصى عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرتَ حاصدًا * نَدِمتَ على التفريطِ فى زمن البَذْرِ

قال منصور بن عمّار : ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس، وربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

ورَوى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكة عن عائشة رضى الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت : يارسول الله، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا، قال : "بل كلّها أمسكتم إلا هذا" .

(١) فى اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ فى يوم حَلْبة ، فقال : من سَـبَق ياشيخ ؟ فقال : المقرّبون . وأُتى به عثمان وأُقْعِـد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شـيخا يطا(١) فى عباءة، فأنكر مكانه، فقال : يا أعرابىّ أين ربُّك؟ قال : بالمِرْصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : ما بالُنا نَكرَه الموت؟ قال : لأنكم عَمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمْران الى الخراب .

قال الحسن : نِعَمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشْكَرَ إلا ما أعانَ عليـه ، وذُنوبُ آبن آدم أكثرُ من أن يُسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دِينَك فى شَهْوتك سَرَفا، وتمنَعُ فى حق الله درهما ، ستعلَم بالُكَعُ .

خرج المسيح من بيت مُومسةٍ، فقيل له : يارُوحَ الله، ما تصنَع عند هذه ؟ فقال : إنمـا يأتى الطبيبُ الى المَرْضى . ومرّ بقوم شَتَموه فقال خيرًا، ومر بآخرين شتموه فقال خيرا ؛ فقال رجل من الحوارِيّين : كلما زادوك شرًا زِدت خيرًا ، كأنك تُغْريهم بنفسك! فقال: كل إنسان يُعطِى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبـد الملك بوعيد الله للذنبين ؛ فقال سليمانُ : فأين رحمةُ الله؟ قال : قريبٌ من المحسنين .

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنى؛ فقال : لا أرضَى نفسى لك، إنى لأُصلّى بين الغنىّ والفقير، فأَميل على الفقير وأُوسِّع للغنىّ .

نظرت آمرأةٌ الى أخرى وحولهـا عشرةٌ من وَلَدها كأنهم الصقور، فقالت : لقد وَلَدتْ أُمكم حزنًا طويلا .

(١) كذا بالأصل . وفى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا أشغى فى بت» .

أُحتُضِر فتًى كان فيه زهوٌ ، فرَفَع رأسَه فإذا أبواه يَبكِيان ، فقال لهما : ما يُبكيكما؟ قالا : الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك ، فقال : لا تَبْكيا ، فوالله ما يَسُرُّنى أنّ الذى بيد الله من الرحمة بأيديكما .

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهَــه : يابن آدم لا تحمِـلْ همّ يومك الذى لم يأتِ على يومك الذى أنت فيه ، فإنْ يكُ من أجلك يأتِ فيه رزقُك ، وٱعلم أنك لا تَكسِبُ من المــال شيئًا فوق قُوتِك إلا كنت فيــه خازنًا لغيرك . قال النابغـةُ فى نحوه :

ولستُ بحابِسٍ لِغَــدٍ طعامًا * حِذَارَ غدٍ لكلّ غــدٍ طعامُ

تذاكر حُذَيفــة وسَلْمان أمرَ الدّنيــا ، فقال سَلْمان : ومن أعجب ما تذاكَرْنا صعودُ غُنَيْمات الغامدىّ سريرَ كِسْرَى ، وكان أعرابىّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ له ، فاذا كان الليلُ صيّرها الى عَرْصة إيوان كسرى ، وفى العرصة سريرُ رُخامٍ كان يجلس عليه كسرى ، فتَصْعَد غُنَيمات الغامدىّ الى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس اليه الشيطانُ : إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك ، فقال : وقد بَلَغ هذا من نصحك ! .

قال الزبير : يكفينا من خضمكم القضم ، ومن نَصِّكم العَنَقُ (١) . قال رجلٌ لأم الدَّرداء : إنى لأجد فى قلبى دأء لا أجد له دواء ، أجد قَسْوةً شــديدة وأملًا بعيدا ، قالت : اِطلع فى القبور وٱشهَدِ الموتى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) : سير مسبطر فسيح واسع للإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من الســير . يريد أن يقول : يكفينا منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خَيْثَم : لو أرحتَ نفسَك ! قال : راحتَها أُريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتابًا أنه معذِّبٌ رجلا واحدا لخفتُ أن أكونَه ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدا لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبى لا محالةَ ما ازددتُ إلا اجتهادًا لئلا أرجِعَ على نفسى بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبى جميلة ، فقال لهم : دَعُونا من الثنـاء ، وأمِدُّونا بالدعاء .

قيل لبعض العُبّاد : مَنْ شَرُّ الناس؟ قال : من لا يُبالى أن يراه الناسُ مسيئا .

قال المِسو ر بن مَخْرَمة : لقد وارت الأرضُ أقواما لو رأونى معكم لٱستحييتُ منهـــم .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار .

كان فتًى يُجالس سُفْيان الثورىَّ ولا يتكلّم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمرّ به يوما فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خيل وبَقِينا على حمير دَبِرة ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إنْ كنّا على الطريق فما أسرعَ لحُوقَنا بالقوم ! .

قال الحسن : إن خَفَق النعالُ خلف الرجال قلّ ما تَلْبَث الحَمْقى . وذُكِر عنده الذين يلبَسون الصـوفَ ، فقـال : ما لهم تفاقدوا (١) ! — ثلاثا — أكَنُّوا الكِبْرَ فى قلوبهم وأظهروا التواضُعَ فى لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة ، فقال : يا أبا سعيد ، إنّ قِدْرَك لطيِّبة ؛ قال : نعم لا رغيفى (٢) مالك وصحناه فرقد .

(١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طُلب أبو قِلَابة للقضاء فلَحِق بالشأم هَرَبا، فأقام حيناً ثم قَـدِم البَصْرة؛ قال أيّوب فقلت له : لوأنك وَلِيتَ القضاءَ وعَدَلْتَ بين النـاس رَجَوتُ لك فى ذلك أجرا؛ قال لى : يا أيوب، اذا وَقَع السابح فى البحر فكم[(١)] عسى أن يَسْبَح !

قالت امرأة أبى حازم يوما له : يا أبا حازم، هذا الشتاء قد هَجَم ولا بدّ لنا ممـا يُصلحنا فيه، فذكرتِ الثيابَ والطعامَ والحَطَب؛ فقال : من هذا كله بُدٌّ، ولكن خُذى ما لابدّ منه : الموتَ ثم البعثَ ثم الوقوفَ بين يدَيِ الله تعالى ثم الجنّةَ أو النارَ .

قال أبو العَتَاهية :

أَطِـع اللهَ بجُهْـدِكْ * عامدًا أو دون جهـدِكْ
أعطِ مولاكَ كما تط * ـلب من طاعة عبـدِكْ

وقال أيضا :

أرى أُناسًا بأدنى الدِّين قـد قَنِعوا * ولا أراهم رَضُوا فى العيش بالدُّونِ
فاستغْنِ بالدِّين عن دُنيا الملوكِ كما اسـ * ـتغنى المـلوكُ بدنيـاهم عن الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنَى شرفُ * ولا سَخَـاءٌ فى طاعةٍ سَرَفُ
ما لَكَ إلّا شيءٌ تُقَـدِّمُه * وكل شيء أخّرتَه تَلَفُ
تَرْكُكَ مالًا لـوارثٍ يتهـ * ـنّاه وتَصْـلَى بحـرّه أسَفُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

ألا إنما التَّقوى هى العِزُّ والكَرَمْ * وحبُّكَ للدنيا هو الذُّلُّ والندمْ
وليس على عبـدٍ تقيٍّ نقيصـةٌ * اذا صَحَّحَ التقوى و إن حَاكَ أو حَجَمْ

(١) فى الأصل « كم » من غير فاء .

قال علىّ بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين .

قيل لابن سيرين : ما أشدَّ الورَعَ ! قال : ما أيسَرَه ! اذا شككتَ فى شىء فدَعْه.

قال رجل لحُذَيْفة : أخشى أن أكونَ منافقا ؛ فقال : لو كنتَ مُنافقا لم تخشَ.

وقال محمود الورّاق :

يا ناظـرًا يرنُو بعينَىْ راقـدِ * ومُشاهِـدًا للأمرِ غيرَ مشـاهدِ
تصلُ الذنوبَ الى الذنوبِ وترتجى * دَرَكَ الجنانِ بها وفوزَ العـابدِ
ونَسيتَ أنّ الله أخرج آدمًا * منهـا الى الدنيا بذنبٍ واحدِ

وقال وَضّاح اليمن :

مالَكَ وَضّـاحُ دائمَ الغَـزَلِ * ألستَ تخشَى تقـارُبَ الأجلِ
يا موتُ ما إن تزالُ معترِضًا * لآملٍ دونَ منتهى الأمـلِ (١)
تنـال كفّاك كلَّ مُسْهِلةٍ * وحُوتَ بحـرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ
صلِّ لذى العرشِ واتّخِذْ قَدَمًا * تُنْجيـك بعـد العِثـار والزَّلَلِ

قيل ليوسف عليه السـلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال : أخاف أن أشبَع فأنسَى الجائعَ .

وقال أُمَيّة بن أبى الصَّلْت :

همـا طريقان فائزٌ دخلَ الـ * ـجنّة حفّتْ به حـدائقُهـا
وفـرقةٌ فى الجحيم مَعْ فـرَق الشّـيطان يَشـقَى بهـا مُرافقُها
تعرِف هـذا القلوبُ حقًّا اذا * همّت بخـير فمـا عوائقُهـا
وصـدّها للشقاء عن طلب الـ * ـجنة دنيـا واللهُ ماحِقُهـا

(١) لم يوجد فى الأصـل من هـذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى فى ترجمة وضاح اليمن .

عبـــدٌ دعا نفسَـــه فعاتبهـا * يعـــلم أنّ البصـــيرَ رامقُها
اقترب الوعد والقـــلوبُ الى اللّهـــو وحبُّ الحيـــاة سـائقُها
ما رغبـــةُ النفس فى البقاء وأن * تحيا قليلًا والمـــوتُ لاحقُهـا
أمَامهـا قائدٌ اليـــه ويحـ * ـدوها حثيثًا اليـــه سـائقها
قد أيقنت أنهـا تصـــير كما * كان يراها بالأمسِ خالقُهـا
وأنّ ما جَمَّعتْ وأعجبهـا * من عيشـــةٍ مُرّةٍ مُفارِقُهـا
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً(١) يمت هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمـــرءُ ذائقُهـا

قال بعض الزهّاد : إنّ صفاء الزهد فى الدنيا وكمالَه ألّا تأخذ من الدنيا شيئًا ولا تتركه إلا لله، فاذا كنت كذلك كان أخْذُكَ تركًا ومعاملتُك لله فيها رِبحًا، و إنّ صفاء الرغبة فى الدنيا وكمالَها ألّا تأخذ منها شيئا ولا تتركه إلا لهـا، فاذا كنت كذلك كان تركُكَ أخذًا وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً .

حبَس بعضُ الملوك رجلا ثم غَفَل عنه الى أن مَضَى عليـه زمان؛ فقال للموكَّل به : قل له : إنّ كلّ يوم يمضِى من نعيمك يمضى من بؤسى، والأمرُ قريبٌ، والحَكَمُ الله عزّ وجلّ . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة اذا مات شابا صحيحا .

جاء فى آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه فى الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاما على سيدنا محمد النبى وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد فى النسخة الفتوغرافية عقب هـذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شـعرية ونثرية فى نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف ابن قتيبة .

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٠/١٩٢٥/٣٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال أخبرنا العِجْلىّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنىّ ، إذا دخلت المصرَ فآستكثِرْ من الصديق فأمّا العدوّ فلا يُهِمَّنَّكَ ، وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوَار[1] كثيرُ العِثار .

قال : وبلغنى عن الأوزاعىّ عن يحيي بن كَثير : أن داود النبىّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : "يا بُنىّ ، لا تَستَبدِلنّ بأخٍ لك قديم أخا مُستفادًا ما استقامَ لك ، ولا تَستَقِلَّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَسْتَكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ" .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضيّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفى الحديث المرفوع : "المرءُ كثيرٌ بأخيه" . وأنشد ابن الأعرابىّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ ✻ ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

(١) هكذا فى لسان العرب مادّة « شور » والمشوار : الشوط . وفى الأصل : «مشوا» .

قال أبو الجرّاح العُقَيلى : وجدتُ أعراضَ الدّنيـا وذخائرَها بِعَرْضِ المتالف إلّا ذخيرةَ الأدب وعَقِيلةَ الخُلَّةِ، فآستكثِروا من الإخوان واستعصموا بعُرَا الأدب.

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عِزٌّ ولم يكن * لهم رَجُلٌ عند الإمامِ مَكِينُ
فكانوا كأيدٍ أوهَنَ اللهُ بطشَها * تُرَى أشمُلًا ليستْ لهنّ يمينُ

قال أيوبُ السَّختِيانىّ : إذا بلغنى موتُ أخٍ لى فكأنما(١) سَقَط عضوٌ منّى .

وقال القَطَامىّ(٢) :

وإذا يُصيبُكَ ـ والحوادثُ جَمَّةٌ ـ * حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

وقال آخر(٣) :

أخاك أخاك إنّ مَنْ لا أخَا له * كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سِلاحِ
وإنّ آبنَ عَمِّ المرءِ فآعلَمْ جَنَاحُه * وهل يَنهَضُ البازِى بغير جَناحِ

وقال الثّقفىّ :

من كان ذا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنْبُـو يداهُ إذا ما قَـلَّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أَثْرَى له عَدَدُ

وقال آخر :

وبَغضـاءُ التقِىّ أقلُّ ضَـيْراً * وأسلَمُ من مودّة ذى الفُسُـوقِ
ولن تَنفَكَّ تُحْسَـدُ أو تُعَـادَى * فأكْثِرْ ما آستطعتَ من الصّديقِ

---

(١) فى الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير ابن شُيَيم التغلبىّ من بنى جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت فى ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمىّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦).

وكتب الفضلُ بن سَيّار الى الفضل بن سَهْل :

يا أبا العبـاس إنّى ناصحٌ * لكَ والنصحُ لذى الودّ كبيرُ(١)
لا تُعِــدّنّ ليـوم صـالح * إنّ إخوانَك فى الخـير كثيرُ
ولْيكُنْ للشرّ ما أعددتَهُــم * إنّ يومَ الشرّ صَعْبٌ قَمطرِيرُ
هذه السُّــوقُ التى آملُها * يا أبا العباس والعمرُ قصيرُ

قال المأمون : الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ : طبقةٌ كالغِذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحتاجُ إليه إلا أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا .

قال حدّثنى سعيدُ بن سليمان قال حدّثنا إسماعيلُ بن زكريّا عن سعيد بن طَرِيف عن عُمير بن المأمون قال : سمعتُ الحســنَ بن علىّ يقول : من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمانىَ خصال : آيةً محكمَةً، وأخا مُستفاداً، وعلما مُستطرفًا، ورحمةً مُنتظرةً، وكلمةً تَدُلُّه على هدًى أو تَردَعُهُ عن ردًى، وتَرْكَ الذنوبِ حَياءً أو خَشْيةً .

قال وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه قال : كان يقال : الصاحبُ رُقعةٌ فى قميص الرجل، فلينظرْ أحدُكُم بِمَ يَرْقَع قميصَه .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئًا أبلغَ فى خير أو شرّ من صاحب .

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال حدّثنا سليمانُ بن المُغيرة قال : قال يونس : آثنان ما فى الأرض أقلُّ منهما ولا يزدادان إلا قِلّةً : درهمٌ يوضَــعُ فى حقّ ، وأخٌ يُسكَنُ اليه فى الله .

---

(١) فى الأصل : «... لذى الودّ كثير» بالثاء المثلثة ، وفى الذى بعده : «إن إخوانك فى الخير كبير» بالباء الموحدة ، فوضعنا كلا من الكلمتين مكانَ الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدّثنى شيخ لنـا عن محمد بن مُنَاذِر عن سـفيانَ بن عُيينةَ قال : قال علقمةُ ابن لَبِيد العُطَارِدِىّ لابنـه : يابنىّ، إذا نَزَعَتكَ إلى صحبـة الرجال حاجةٌ، فاصحَبْ منهم مَنْ إن صحِبتَه زانك، وإن خدَمتَـه صانك ، وإن أصابتكَ خَصَاصَةٌ مانك ؛ وإن قلتَ صدّقَ قولك، وإن صُلتَ شَدّ صَوْلَك ؛ وإن مَددتَ يدكَ بفضلٍ مَدّها، وإن رأى منكَ حسـنةً عدّها ؛ وإن سألتَه أعطاك ، وإن سكتّ عنـه آبتداك ، وإن نَزَلَتْ بك إحدى المُلِمّات آساك ؛ مَنْ لا يأتيك منه البوائق، ولا تَختلِفُ عليكَ منه الطرائق، ولا يَخذُلُكَ عنـد الحقائق ؛ وإن حاول حوِيلًا آمَرَك [١] ، وإن تنازعتما مُنْفِسًا [٢] آثرك .

قال محمد بن كعب القُرَظِىّ [٣] لعمر بن عبـد العزيز : إنّ فيك عقلا وإنّ فيـك جهلا، فَدَاوِ بعضَ ما فيـكَ ببعضٍ، وآخِ من الإخوان من كان ذا مَعْلاةٍ [٤] فى الدّين ونيّةٍ فى الحقّ، ولا تُؤاخِ منهم مَنْ تكونُ منزلتكَ عنـده على قدر حاجتِه اليكَ، فإذا قضى حاجتَه منك ذهب ما بينكَ وبينـه . وإذا غرَسْتَ غِراسا من المعروف فلا تَبغِينّ [٥] أن تُحسُنَ تربيتُه .

وقال الأحنفُ بن قيس : خيرُ الإخوانِ مَنْ إن استغنَيْتَ عنـه لم يَزِدْكَ فى المودّةِ، وإن احتجتَ إليه لم يَنقُصْكَ منها، وإن عَثَرْتَ عَضَدَكَ، وإن احتَجْتَ إليه مؤُونَتِه رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إنّ أخاكَ الصِّدقَ مَنْ لن يَخدَعَكْ * ومَنْ يضُرُّ نفسَـه لِينفَعَكْ

ومَنْ إذا رَيبُ زمانٍ صَـدَعَكْ * شتّتَ شَملَ نفسِـه ليجمَعَكْ

* وإن رآكَ ظالمًـا سَعَى معَـكْ *

---

(١) حاول الشىء : أراده، والحويل : الاسم منه، وآمر : شاور . (٢) المنفس : النفيس . (٣) فى الأصـل «القرصى» وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف .
(٥) فى الأصل : «فلا تبقين» .

وقال حُجَيّة بن المضرّب :

أخـوكَ الذى إن تدعُه لِمُلِمّـةٍ * يُجِبْكَ وإن تغضبْ الى السّيفِ يَغْضَبِ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشى باهِلةَ :

مَنْ ليس فى خيرِه مَنٌّ يُفسِدَه * على الصّديقِ ولا فى صفوِه كدرُ
وليس فيه إذا استَنظرتَه عَجَلٌ * وليس فيـــه إذا ياسَرتَه عُسُر[1]

وقال علىّ بن أبى طالب كرّم اللهُ وجهَه :

أخوكَ الذى إن أحوَجَتْكَ مُلِمَّـةٌ * من الدّهرِ لم يبرَحْ لها الدّهرَ واجِمَا
وليس أخوكَ الحقُّ مَنْ إن تشعَّبَتْ * عليـــك أمورٌ ظلّ يلحاكَ لائمَا

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فأنتَ الحلالُ الحُلْوُ والباردُ العَذْبُ
لنـا جانبٌ منـــه دَميثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرْكَبُهُ صَعْبُ
وتأخذُه عنـــد المكارمِ هِـــزّةٌ * كما اهتزّ تحت البارحِ الغُصُنُ الرطب

وقال آخر :

أَبكى أخًا يَتلَقّـــانى بنائلـــهِ * قبلَ السؤالِ ويلقَى السّيفَ مِنْ دونِى
إنّ المنـايا أصـابتْنِى مَصائبُهـا * فاستعجلَتْ بأخٍ قـد كان يَكفِينِى

وقرأتُ فى كتاب للهند : رأسُ المودّةِ الاسترسالُ .

وقال أكثمُ بنُ صَيفىّ : مَنْ تراخى تألّف، ومن تشدّدَ نفّر، والشرفُ التغافلُ .

وقال حاتمٌ : العاقل فَطِنٌ مُتغافِلٌ .

(١) العسر (بالضم و بضمتين و بالتحريك) : ضدّ اليسر .

وقرأتُ فى كتاب للهند : مِنْ علامة الصديقِ أن يكون لصديقِ صديقِه صديقًا ولعدوّ صديقه عدوّا[1] . قال العتّابىّ فى ذلك :

تَوَدُّ عــدوّى ثم تزعُــم أنّنى * صديقُكَ، إن الرأىَ عنك لعازِبُ
وليس أخى مَنْ ودَّنى رَأْىَ عينِه * ولكنْ أخى مَنْ صَدَّقَته المغايبُ

قيل لبُزُرْجِمِهْر : أخوك أَحَبُّ اليك أم صـديقُكَ ؟ قال : إنمـا أُحِبُّ أخى إذا كان صديقا .

وقال بعضهم : إن أحبَّ[2] إخوانى الىّ، مَنْ كَثُرَتْ أياديه علىّ .

وقال رجل فى أخ له .

وكنتُ إذا الشدائدُ أرْهَقَتْنِى * يقومُ لهـا وأقعـدُ لا أقومُ

وقال آخر :

أخٌ طالمـا سَـــرَّنى ذكرُه * فأصبحتُ أشجَى لدَى ذكرِه
وقد كنت أغدُو إلى قصره * فأصبحتُ أغدو إلى قــبرِه
وكـنت أرَانى غنيًّا به * عن الناس لو مُدَّ فى عمـرِه
إذا جئتُــه طالبًـا حاجةً * فأمرِى يَجُــوزُ على أمرِه

وصف أعرابىّ رجلا قال : كان واللهِ يَتَحَسَّى[3] مرارَ الإخوانِ ويَسقيهم عَذْبَه .

وقال أعرابىّ[4] :

أخٌ لكَ ما تراه الدّهرَ إلا * على العِــلّاتِ[5] بَسّاما جوَادَا

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب، وفى الأصل : «ولعدوّ عدوّه عدوّا» .
(٢) فى الأصل « إنّ أحب اخوانى علىّ من كثرت أياديه الىّ» . (٣) كذا بالأصل، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا، ولعله محرّف عن «مرّ» المقابل للعذب، وهو ما يقتضيه السياق .
(٤) هذه الأبيات نسبت فى الأغانى لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من قولهم : على علاته، أى على كل حال .

سألناه الجزيلَ فما تلكّا * وأعطَى فوق مُنيتنا وزادَا
فأحسنَ ثم أحسَنَ ثم عُدنا * فأحسنَ ثم عُدتُ له فعادا
مِرارًا لا أعودُ إليه إلّا * تبسَّمَ ضاحكًا وثنَى الوِسادَا

المودّة بالتشاكل

بلغني عن آبن عُيينة أنه قال: قال ابن عباس : القرابة تُقْطَعُ والمعروف يُكْفَر، ولم يُرَ كتقارُبِ القلوب .

قال رجل للعَرْجِيّ : جئتكَ أخطبُ إليك مودّتكَ، فقال : لا حاجة بكَ الى الخِطْبة، قد جاءتكَ زِنًا فهو ألذُّ وأحلَى . وقال الكُميتُ بن معروف :

ما أنا بالنِّكْسِ الدَّنِيء ولا الذى * اذا صَدّ عنه ذو المودّةِ يَقْرُبُ
ولكنه إن دام دمتُ و إن يكن * له مذهبٌ عنّى فلى عنه مذهبُ
ألَا إنّ خيرَ الودّ وُدٌّ تطوّعَتْ * به النفسُ لا وُدٌّ أتى وهو مُتعِبُ

وقال الطائى :

ذو الودّ منّى وذو القُرْبى بمنزلةٍ * وإخوتى أسوةٌ عندى وإخوانِى
عِصابةٌ جاورتْ[1] آدابُهم أدبى * فهم وإنْ فُرِّقُوا فى الأرض جيرانى
أرواحُنا فى مكانٍ واحدٍ وغدتْ * أبدانُنَا بِشآمٍ[2] أو خُراسانِ

وقال عبدُ الله بنُ عبد الله بن عتبةَ لعمر بن عبد العزيز :

أبِنْ لِى فكُنْ مثلى أوِ آبتغ صاحبًا * كمثلكَ إنّى مُبتغٍ صاحبًا مِثْلِى

(١) فى الأصل : «جاوزت» بالزاى، والتصويب من ديوان أبى تمام . (٢) فى الأصل : «لشآم» والتصويب من ديوان أبى تمام .

عزيزٌ إخائى، لا يَنَالُ مـــودّتى * من القوم إلا مســلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلبَثُ الإخوانُ أن يتفــرّقوا * إذا لم يُؤلّف رُوحُ شكل الى شكلِ

وقال الطائى :

ولَن تَنظِمَ العِقدَ الكَعَابُ لزينــةٍ * كما يَنظِمُ الشملَ الشّتِيتَ الشمائلُ

كتب بعضُ الكتّاب الى صديق له : إنى صادفتُ منك جوهرَ نفسى ، فأنا غيرُ محمودٍ على الأنقياد لك بغير زمامٍ ، لأن النفسَ يَتْبَع بعضُها بعضًا .

قال حدّثنى محمد بن داود قال حدّثنا يزيد بن خَلَف عن يعقوب بن كعب عن بَقِيّــةَ عن صَفْوانَ بنِ عمرو عن شُرَيح عن أبى عُبيــدٍ قال : كتب أبو الدّرْداء الى سَلْمانَ : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيــدةً فإنّ الرُّوح من الرُّوح قريبٌ ، وطيرُ السماء على إلفِه من الأرض يَقعُ .

وقال أبو العتاهية :

يُقاسُ المــرءُ بالمرءِ * اذا ما هــو ماشَــاهُ
ولِلقلبِ على القلب * دليلٌ حيــن يلقاهُ
وللشّكلِ على الشّكلِ * مقايِيسٌ وأشــــباهُ
وفى العين غِنًى للعيــــنِ أن تَنطِقَ أفواهُ

وقال المُسَاحِقىّ :

يُزَهّــدُنى فى وُدّكَ ٱبنَ مُسَــاحِقٍ * مَودَّتُكَ الأرذالَ دونَ ذوِى الفضلِ
وأنّ شِرَارَ النّــاس سادُوا خِيارَهم * زمانَكَ، إنّ الرّذْلَ للزّمنِ الرّذْلِ

باب المحبّـة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيدَ عن حبيب بن عُبيد عن المِقْدام بن معدِ يكرِب، وكان أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أحبّ أحدُكم أخاه فَلْيُعلِمْهُ أنه يُحبّه" .

وحدّثنى محمد بن داود عن أبى الرَّبيع عن حمّاد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال : ثلاثٌ يُصفِينَ لكَ وُدَّ أخيكَ : أن تبدَأه بالسلام إذا لقيتَه، وتُوسعَ له فى المجلس، وتدعُوَهُ بأحبّ أسمائه اليه . وثلاثٌ من العِيّ[1] : أن تَعيبَ على الناس ما تأتِى، وأن تَرَى من الناس ما يخفَى عليكَ من نفسكَ، وأن تُؤذِيَ جليسك فيما لا يَعْنِيكَ .

وكان يقال : لا يكن حُبُّكَ كَلَفا ولا بُغضُكَ تَلَفا . أى لا تُسرِف فى حبكَ وبُغضكَ . ونحوه قولُ الحسن : أحِبُّوا هونًا فإنّ أقواما أفرطوا فى حبّ قوم فهلكوا .
وكان يقال : مَنْ وجد دون أخيه سِتْرًا فلا يَهتِكه .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوى * فصادفَ قلبًا فارغا فتمكّنا

قال عُمر بن الخطاب رضى الله عنه لِطُلَيحةَ الأسَدىّ: قتلتَ عُكّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ! لا يُحبّك قلبى ! قال : فمعاشرةٌ جميلةٌ يا أمير المؤمنين، فإنّ الناس يتعاشرون على البغضاء .

وكتب رجلٌ إلى صديق له : الشوقُ اليكَ والى عهد أيامكَ — التى حَسنَتْ بك كأنها أعيادٌ، وقَصُرتْ بك حتى كأنها ساعاتٌ — يفوت الصفات، ومما جدّد الشوقَ

(١) العىّ : الجهل.

وكثّر دواعِيَه تَصاقُبُ الدار، وقربُ الجوار؛ تمم اللهُ لنا النعمةَ المتجدِّدةَ فيك بالنظر الى الغُرّة المباركة التى لا وحشةَ معها ولا أُنسَ بعدها .

قال الحسن : المؤمنُ لا يَحِيفُ على مَنْ يُبغِضُ ولا يأثمُ فيمن يُحِبّ .

وقرأت فى بعض الكتب : إنه لَيَبْلُغُ من حسنِ شفاعةِ المحبة أنّ الحبيبَ يُسِيءُ فَيُظَنُّ به الغلطُ ويُذنِبُ فَيُحتجُّ له بالدّالّة ، وذنبُه لا يَحتمِلُ التأويلَ ولا مَخرَجَ له فى جواز العقول .

وفيه : كُلّ ذنبٍ إذا شئتَ أن تنساه نسيتَه وإن شئتَ أن تذكره ذكرتَه ، فليس بمخوفٍ . وليس الصغيرُ من الذنب ما صغّره الحبّ ، وإنما الصغيرُ ما صغّره العدلُ . وليس الذنبُ إلا ما [لا] (١) يَصلُح معه القلبُ ولا يزال حاضرا الدهرَ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة، فأما ما كان من غير ذلك فإنّ الغفرانَ يتغمّدُه والحرمةَ تشفعُ فيه .

وكتب رجل الى صديق له فى فصل من كتاب : لسانى رَطْبٌ بذكرِك ،ومكانُكَ من قلبى معمورٌ بمحبّتك . ونحوه قولُ مَعْقِل أخى أبى دُلَف لمخارِقٍ :

لَعَمرِى لئن قرّتْ بقُربكَ أَعينٌ * لقــد سَخِنَتْ بالبين منكَ عيونُ
فَسِرْ وأَقِمْ، وَقْفٌ عليكَ مودّتى * مكانُكَ من قلبى عليكَ مَصُونُ

وقال رجل لشَبِيب بن شَيْبــة : واللهِ أُحِبّكَ (٢) ، قال : وما يمنعُكَ من ذلك وما أنتَ لى بجارٍ ولا أخٍ ولا قَرابة (٣) ! يريد أن الحسد مُوَكَّلٌ بالأدنى فالأدنى .

---

(١) زيادة يقتضيها المقام . (٢) فى الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما » وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « انى أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة فى مثل هذا الموضع بدون اضافة . وتعقبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد فى فصيح الكلام من نثر وشعر .

قال رجل لشَهْر بن حَوْشَب : إنى لأُحِبّكَ قال : ولِمَ لا تحبنى وأنا أخوك فى كتاب الله ووزيرك على دِين الله ومئونتى على غيرِكَ ! قال بشارٌ :

هــل تَعْلَمِينَ وراء الحبّ منزلةً * تدْنِى اليك فإنّ الحبّ أقصانِى

وقال غيره :

أُحِبُّكَ حُبّيــنِ لِى واحدٌ * وحُبٌّ لأنكَ أهــلٌ لذاكا
فأمّا الذى أنتَ أهــلٌ له * فَحُسْنٌ فَضَلْتَ به مَنْ سِــواكا
وأمّا الذى فى ضمــير الحشا * فلستُ أرَى الحسنَ حتى أَراكا
وليس لِىَ المَنُّ فى واحدٍ * ولكنْ لك المَنُّ فى ذا وذاكا

وقال المسيَّب بن عَلَس :

وعينُ السّخطِ تُبصرُ كلّ عيبٍ * وعينُ أخى الرّضا عن ذاك تَعْمَى

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فلستَ براءٍ عيبَ ذى الودّ كلَّه * ولا بعضَ ما فيه اذا كنتَ راضيَا
وعينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخطِ تُبدِى المساوِيَا

وقال بعضُ الخلفاء لرجل : إنى لأُبغِضُكَ ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزَعُ مِن فقد الحبّ المرأةُ ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ . وقال شريحٌ :

خُذِى العفوَ منّى تَستدِيمِى مودّتى * ولا تنطِقِى فى سَوْرَتى حين أغضَبُ
فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصدرِ والأذى * إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهَبُ

وقال أعرابىّ : إذا ثبتتِ الأصــول فى القلوب نطقتِ الألسُنُ بالفروع ، ولا يظهرُ الودّ السليمُ إلا من القلب المستقيم .

وقال آخرُ : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقةِ رأيًا حازمًا ، فاْجمَع له مع المحبــة الخالصةِ طاعةً لازمةً .

قال اليزيدىّ : رأيتُ الخليل بن أحمــد فوجدته قاعدا على طِنفِسةٍ(١)، فأوسع لى فكرِهتُ التضييقَ عليه، فقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخِياط على متحابَّينِ ولا تَسعُ الدنيا مُتباغِضَينِ . وقال أبو زُبيدٍ للوليد بن عقبة(٢) :

مَنْ يَخُنْكَ الصفاءَ أو يتبــدَّلْ * أو يَزُلْ مثلمَــا تَزولُ الظلالُ
فٱعلَمَنْ أننى أخوك أخو العهـ * ـدِ حياتِى حتى تَزولَ الجبالُ
ليس بُخْلٌ عليــك منّى بمــالٍ * أبدا ما ٱستقلَّ سَــيفًا حِمَــالُ(٣)
فلكَ النصرُ باللسان وبالكَفِّ * اذا كان لليــدين مَصَــالُ
كلُّ شىءٍ يَحتالُ فيــه الرجالُ * غيرَ أَنْ ليس للمنــايا ٱحتيــالُ

وقال المُنَخَّل اليشكرِىّ :

وأُحِبُّهــا وتُحِبُّــنى * ويُحِبُّ ناقتَها بعيرِى

وذكر أعرابىّ رجلا فقال : واللهِ لكأنّ القلوبَ والألسنَ رِيضَتْ له ، فما تُعقدُ إلا على وُدّه ، ولا تَنطِقُ إلا بحمده .

قال عبــدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يوم : والله لودِدتُ أنّ لى بكلّ عشرةٍ من أهل العِراق رجلًا من أهل الشأم صَرْفَ الدينار بالدرهم ، فقال أبو حاضِر : مَثَلُنا ومَثَلُكَ كما قال الأعشى :

عُلِّقْتُهــا عَرَضًا وعُلِّقَتْ رَجُلًا * غَيرِى وعُلِّقَ اخرَى غيرَها الرجلُ

---

(١) الطنفســة (مثلثة الطاء والفاء) : البساط الذى له خمل رقيق . (٢) فى الأصــل : «للوليد بن عتبة» بالتاء، وهو تحريف . وأبو زبيد هو المنذر بن حرملة الطائى كان جاهليا قديما وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيــا، وكان من المعمّرين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للؤلف) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) فى حماسة البحترى (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : «ما أقل نعلا قبال» .

أحبّـك أهلُ العراقِ وأحببتَ أهـل الشّام وأحبّ أهـلُ الشام عبـدَ الملك ابن مروان .

وقال عمرُ لأبى مريم السَّلُولى : والله لا أُحِبُّكَ حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ ؛ قال : فتَمنَعُنِى لذلك حقًّا ؟ قال : لا ؛ قال : فلا ضَيرَ . وقال عمرُ أيضا لرجل همّ بطلاق آمرأته : لِمَ تُطَلِّقُها ؟ قال : لا أُحِبُّها ؛ قال : أوَ كُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ(١) ! .

قال أعرابىّ :

أُحِبُّك حُبًّا لو بُلِيتِ ببعضِهِ * أصابكِ من وَجدٍ علىَّ جُنُونُ
لطيفٌ مع الأحشاء أمّا نهارُه * فَسَبْتٌ(٢) وأما ليـلُهُ فأنينُ

وكتب رجلٌ الى صـديق له : الله يعـلم أنى أُحِبّكَ لنفسك فوقَ محبّتى إياكَ لنفسى ، ولو أنى خُيِّرتُ بين أمرين : أحدهما لى وعليك والآخر لك وعلىّ ، لآثرت المروءةَ وحسنَ الأُحدُوثَةِ بإيثار حظّكَ على حظّى ؛ و إنى أُحِبُّ وأُبغِضُ لك ، وأُوالِى وأُعادِى فيك .

وقال بعضُهم : هَوِّنْ(٣) فقد يُفْرِطُ الحبُّ فيقتُلُ و يُفْرِطُ الغمُّ فيقتُلُ و يُفرط السّرورُ فيقتُلُ ؛ و ينفتحُ القلبُ للسرور ، و يضيقُ و ينضمّ للحزن والحبّ .

وقالوا : العِشق آسم لمـا فضَـلَ عن المحبّـة . وقال بعضهم : العشق مرض قلبٍ ضَعُفَ(٤) . وقال بعضُ الشعراء :

فَتَمَّ على معشوقةٍ لا يَزِيدُها * إليـه بلاءُ السّوءِ الا تَحَبُّبَـا

(١) التذمم للصاحب : أن يحفظ ذمامه و يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هوّن : خفف وأرفق ، و فى الأصل : «أهون» .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادّة « تم » ، ومعنى « تم » أكمل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبدُ الله بن موسى عن إسرائيل عن ابن إسحاق عن الحارث عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال: قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "للسلم على المسلم خِصَالٌ سِتٌّ[1]: يُسَلِّمُ عليه إذا لقيه، ويُجيبه اذا دعاه، ويُشَمِّتُه اذا عطَس، ويعودُه اذا مرِض، ويحضُرُ جنازتَه اذا مات، ويُحِبُّ له ما يُحِبُّ لنفسه".

قال حدّثنى شَبَابةُ قال حدّثنا القاسمُ بنُ الحكم عن إسماعيلَ بن عيّاش عن هشام ابن عُرْوة عن أبيه عن عائشةَ رضى الله عنها قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "أَعِنْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا، إن كان مظلومًا فخُذْ له بحقه و إن كان ظالما فخُذْ له من نفسه".

وحدّثنى القُومِسِىُّ[2] قال حدّثنا أبو بكر الطبرىّ عن عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن أبى الزاهرية عن جُبير بن نُفير قال قال معاذُ بن جبل: إذا آخيتَ أخًا فلا تُمَارِه ولا تُشَارِه[3] ولا تَسأل عنه، فعسى أن تُوافِقَ عدوًّا فيُخبِرَكَ بما ليس فيه فيُفَرِّقَ بينكما.

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب فى هذا المعنى:

جزى اللهُ عنّا حمزةَ بنــةَ نَوْفَلٍ[4] * جزاءَ مُغِـــلٍّ[5] بالأمانةِ كاذبِ

بما سألَتْ عنّى الوُشاةَ ليكذِبوا * علىّ وقـــد واليتُها فى النوائبِ

(١) فى الجامع الصغير: «للسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه ...». (٢) نسبة الى قومس (بضم القاف وفتح الميم، وضبطه الصاغانى بكسر الميم وهو المشهور على ألسنتهم) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل. (٣) لا تماره: لا تجادله. ولا تشاره: لا تلاحه وتغاضبه. (٤) فى الأصل: "حمزة ابنى نوفل" والتصويب عن اللسان مادة «غل». (٥) المغل: من الإغلال، وهو الخيانة.

قال حدّثنى محمد بن داود [قال] حدّثنى سعد بن منصور عن جَرير عن عبد الحميد عن عَنْبَسةَ قال قال ٱبنُ سِيرِين : لا تُكْرِمْ أخاك بما يكره، ولا تحملنّ كتابا الى أمير حتى تعلَم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسَنُ الصبرُ عن كلّ أحدٍ إلا عن الصديق .

وقال بعضُ الشعراء :

اذا ضَيَّقْتَ أمرًا ضاق جِدًّا * وإن هَوَّنتَ ما قد عزَّ هانَا
فلا تَهْلِكْ بشيءٍ فاتَ يأسًا * فكم أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانَا
سأصبِرُ⁽¹⁾ عن رفيقٍ إن جفانِى * على كلّ الأذى إلا الهَوَانَا

وقال ٱبن المقفَّع : ٱبْذُلْ لصديقك دَمَكَ ومالَكَ ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومَحْضَرَكَ ، وللعامّةِ بِشرك وتحيّتَكَ ، ولعدوِّكَ عدلَكَ ، وضَنَّ بدينكَ وعِرضكَ عن كلّ أحدٍ .

قال أبو اليَقْظانِ : ولِىَ خالدُ بنُ عبدالله بن أبى بَكْرَةَ قضاءَ البصرة فجعل يُحابِى ؛ فقيل له فى ذلك؛ فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقطَعُ لأخيه قِطعةً من دينه ! .

قالوا : وقَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عجوزٍ ، فقال : " إنها كانت تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإنّ حسنَ العهد من الإيمانِ " .

قال إبراهيمُ النَّخَعىّ : إنّ المعرفةَ لتنفعُ عند الأسد المَصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب ! . وقال الخليلُ بن أحمد :

وفَيْتُ كلَّ صديقٍ وَدَّنى ثمنًا * إلا المؤمِّلَ دُولَاتِى وأيامِى

وقال عمرُ بن أبى ربيعة فى مساعدة الصديق :

وخِلٍّ كنتُ عينَ النُّصح منه * إذا نظرَتْ ومُستَمِعًا سميعَا

(١) فى الكامل للبرد طبع أوربا ص ١٩٢ ج ١ : «سأصبر من ... الخ» .

أطاف بِغَيَّةٍ فنهيتُ عنها * وقلتُ له أرَى أمرًا شنيعًا
أردتُ رشادَه جُهدِى فلمّا * أبَى وعصَى أتيناها جميعا

وقال بعضُ الكوفيين :

فإن يَشرَبْ أبو فَرُّوخَ أشرَبْ * وإن كانت مُعتَّقةً عُقارًا
وإن يأكُلْ أبو فرّوخَ آكُلْ * وإن كانت خَنانيصًا(١) صِغارا

وقال رجل من الأعراب لأخٍ له : أما واللهِ رُبَّ يومٍ كتَنُّور الطَّاهِى رَقّاصٍ بشَرَارِه، قد رميتُ بنفسى فى أجِيجِ لَهيبه فأحتمِلُ منه ما أكرَهُ لمـا تُحِبُّ(٢) .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوِى * مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

وقال كُثَيّر :

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ
ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِـدًا كلَّ عَثْرةٍ * يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صاحبُ

وقال آخر :

إذا ما صديقِى رابَنِى سُوءُ فِعلِهِ * ولم يَكُ عمّـا ساءنى بمُفيـقِ
صَبَرتُ على أشياءَ منه تَرِيبُنِى * مخافةَ أنْ أبقَى بغير صـديق

ومن المشهور فى هذا قولُ النابغة :

ولستَ بمُستَبقٍ أخًا لا تَلُمُّـهُ * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّبُ

(١) الخنانيص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) فى الأصل : «لما يحب» بالياء المثناة من تحت .

وكان يقال : مَنْ لكَ بأخيك كُلّه . وأنشدني الرِّياشي :

إقبَلْ أخاكَ ببعضه * قد يُقبَلُ المعروفُ نَزْرَا
وأَقبَلْ (١) أخاك فإنه * إن ساء عصرًا سرَّ عصرَا

ونحوه قولُ الآخر :

أخٌ لي كأيامِ الحياةِ إخاؤه * تَلَوَّنَ ألوانا علىَّ خُطوبُها
إذا عِبتُ منه خَلَّةً فهجرتُه * دعتْني اليه خَلَّةٌ لا أَعيبُها

وقال عبدُ الله بن معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

اصبِرْ اذا عضَّكَ الزمانُ ، ومَنْ * أَصبَرُ عند الزمانِ مِنْ رَجُلِهْ
ولا تُهِنْ (٢) للصَّديقِ تُكْرِمُه * نفسَكَ حتى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهْ
يَحمِلُ أثقالَه عليكَ كما * يَحمِلُ أثقالَه على جَمَلِهْ
ولستَ مُستبقيًا أخًا لكَ لا * تصفحُ (٣) عما يكونُ من زَلَلِهْ
ليس الفتى بالذي يَحولُ عن الـ (٤) * ـعهدِ ويُؤتَى الصديقُ من قِبَلِهْ

وقيل لخالد بن صفوان : أيّ إخوانِك أحبُّ اليك ؟ قال : الذي يَغفِرُ زَلَلِي ، ويَقبَلُ عِلَلِي (٥) ويَسُدُّ خَلَلِي .

وقال بشارٌ :

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مرارا على القَذَى * ظَمِئْتَ وأيّ الناسِ تصفُو مَشارِبُهْ

وقال الخُرَيْمِيّ لأبي دُلَف :

تملكْ إن كنت ذا إربةٍ * من العالمين لشيخ وصيف (٦)

(١) كذا بالأصل ، ولعله : «وأقل أخاك» من إقالته العثرة والصفح عنه . (٢) فى حماسة البحترى : «ولا تهن للئيم» . (٣) فى الأصل : «فاصفح» . (٤) فى الأصل : «الذى» .
(٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر .

الإنصاف فى المودّة

كان يقال : لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإنّى لأستحيي أخى أن أرَى له[(١)] * علىّ من الحق الذى لا يرى لِيَا

وله أيضا[(٢)] :

إذا أنت لم تُنْصِف أخاك وجدتَه * على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كان يعقلُ
ويركب حدّ السيفِ مِن أن تَضِيمَه * إذا لم يكن عن شفرة السيف مَعْدَلُ[(٣)]
ستَقْطَعُ فى الدنيـا إذا ما قطعتَنِى * يمِينَـك ، فٱنظر أىّ كفٍ تَبـدّلُ

وقال آخر[(٤)] :

ياضَمْـر أخبرنى ولستَ بمُخْـبِرِى * وأخوك نافعُـك الذى لا يَكذِبُ
هـل فى القضـيّةِ أنْ إذا ٱستغنيتُمُ * وأمِنـتُمْ فأنا البعيـدُ الأجنبُ
وإذا الشـدائدُ بالشـدائدِ مرّةً * أشْجتْكـم فأنا المُحَبُّ الأقرب
عجبًـا لِتـلك قضِـيّةً وإقامتى * فيـكم على تلك القضـيةِ أعجبُ
ولِمـالكم[(٥)] طِيبُ البـلادِ ورِعْيُهـا * ولِى الثِّمـادُ[(٦)] ورِعْيُهنّ المُجـدِبُ

---

(١) أستحيي : آنف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفى الحماسة طبع أوربا ص ٥٠٣ ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمعن بن أوس المزنى . (٣) فى الأصل : «يعدل» والتصويب عن حماسة البحترى ، وفى حماسة أبى تمام : «مزحل» . (٤) قال فى اللسان مادّة «حيس» : «هو لهنىّ بن أحمر الكنانى وقيل : هو لزرافة الباهلىّ» . (٥) ورد هذا البيت فى اللسان مادة « حيس » وشواهد العينى هكذا :

وبجندب سهل البلاد وعذبها * ولى الملاح وحزنهنّ المجدب

ثم قال العينى : «ويروى (ولمالكم أنف البـلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأنف : ما لم يرع من النبت ، والرعى : المرعى» . وفى الأصل : «ألمالك» وهو تحريف . (٦) الثماد : جمع ثمد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذى لا مادة له ، وفى الأصل : ”ولى الثمار“ بالراء وهو تحريف .

و إذا تكونُ كريهةٌ أُدْعَى لها * و إذا يُحاس الحَيْسُ(١) يُدْعَى جُنْدَبُ
هـذا لَعَمْـرُكُمُ الصَّغَـارُ بعينِـه * لا أُمَّ لى إن كان ذاكَ ولا أبُ

وقال ٱبن عُيينة : سئل علىّ كرم الله وجهه عن قول الله تعالى: (إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ)، فقال : العدلُ : الإنصاف، والإحسان : التفضُّلُ .

وقال الشاعر :

صَبغَتْ أُمَيَّـةُ فى الدماء رِماحَنَا * وطَـوَتْ أُمَيَّـةُ دوننا دُنياها

و يقال : مَنْ سَنَّ سُـنَّةً فَلْيَرْضَ أن يُحكَمَ عليه بها، و مَنْ سأل مسئلةً فلْيرضَ بأن يُعطَى بقدرِ بذله .

وقال أبو العتاهية :

اذا ما لم يكن لكَ حُسنُ فهمٍ * أَسأْتَ إجابةً وأسأتَ سَمْعَا
ولَستَ الدّهرَ مُتَّسِعًا بفضـلٍ * اذا ما ضِـقتَ بالإنصـاف ذَرْعَا

وقال حمّادُ عَجْرد :

ليتَ شعرِى أَىَّ حكم * قــد أراكُمْ تحكُونَا
أن تكونوا غيرَ مُعطِـ * ـينَ وأنتم تأخذُونَا

وقال آخر :

إذا كنتَ تأتِى المـرءَ تَعرِفُ حقَّه * ويَجهَلُ منكَ الحقَّ فالتركُ أجمَـلُ
وفى العَيشِ مَنجاةٌ وفى الهجر راحةٌ * وفى الأرضِ عمَّن لا يُؤَاتِيكَ مَرْحَلُ(٢)

---

(١) الحيس : التمر والأقط يدقان ويعجنان عجنا شديدا ثم يسوّى ذلك كالثريد . وفى الأصـل : « واذا يجاش الجيش » بالجيم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان الذى يرتحل اليـه ، ويحتمـل أن يكون "مزحل" بالزاى بدل الراء ، والمزحل : المكان الذى ينتقل اليـه .

وقال بشارٌ :

إن كنتَ حاولتَ هَوانًا فما * هُنتُ وما فى الهُونِ لى من مُقَامْ
فى النـاس أبدالٌ ولى مَرْحَلٌ[١] * عن منزِلٍ ناءٍ ومَرْعًى وَخَامْ[٢]
لا نائِلٌ منـــكَ ولا موعِـــدٌ * ولا رَســولٌ، فعليـكَ الســلامْ

وقال آخر[٣] :

له حقٌّ وليس عليـــه حقٌّ * ومهما قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يَرَى حقوقا * عليه لغـيره[٤] وهو الرسـولُ

وقال أكثمُ بنُ صَيْفِيّ : أحقُّ مَنْ يَشْرَكُكَ فى النِّعَم شُركاؤُكَ فى المكاره . أخذه دِعْبِلٌ فقال :

وإنّ أولَى البرايا أن تُوَاسِيَهُ[٥] * عند السرور لمَنْ آساكَ فى الحزَنِ
إنّ الكرامَ إذا ما أسهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كان يألَفُهم فى المنزِلِ الخَشِنِ

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

فإنْ آثرَتْ بالوُدّ أهــلَ بلادها * على نازحٍ من أهلها لا ألومُها
فلا يَستوِى مَنْ لا تَرَى غيرَ لَمّةٍ[٦] * ومَنْ هو ثاوٍ عنـدها لا يَرِيمُها

وقال رجلٌ لبعض السلطان : أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسنَ اللهُ إليــه ، وأولاهم بالإنصاف مَنْ بُسِطَتِ القدرةُ بين يديه ؛ فاستَدِمْ ما أُوتيتَ من النعم بتأدية ما عليك من الحق .

قال المستهِلّ بنُ الكُمَيت لبنى العباس :

إذا نحن خِفنا فى زمان عدوّكم * وخِفناكُمُ إنّ البــلاءَ لَرَاكِدُ

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذى لا ينجع كلؤه لسونه .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيرى ويسمى عائد الكلب . قاله فى عبد الله بن حسن بن حسن (انظر الكامل للبرد طبع أوربا ص ٣١) . (٤) كذا فى الكامل . وفى الأصل : «لأهلها» .
(٥) (انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .
(٦) اللة : المرة من الإلمام، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحُسن الخُلُق والجوار

قال حدّثنا الحسينُ بنُ الحسن [قال] حدّثنا عبـدُ الله بن المبـارك عن وُهيب[1] قال : جاء رجل الى وهب بن منبِّه فقال : إنّ الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدّثتُ نفسِي ألّا أخالطَهُم؛ فقال له وهبٌ : لا تفـعلْ ، فإنه لا بدّ للناس منـك ولا بدّ لك منهم؛ لهم إليكَ حوائجُ، ولكَ اليهم حوائجُ، ولكن كُنْ فيهم أصمَّ سميعًا، وأعمى بصيرًا، وسَكُوتًا نَطُوقًا .

قال وحدّثنا حسينُ بن الحسن قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عُلَيّ[2] ابن رَبَاح[3] قال : سمعت أبي يُحدّثُ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : أربعُ خلالٍ إن أُعطِيتَهُنّ فلا يضرُّكَ ما عُدِلَ به عنكَ من الدّنيا : حُسْنُ خليقةٍ، وعَفَافُ طُعمةٍ[4]، وصِدقُ حديثٍ، وحِفظُ أمانةٍ .

قال : وبلغني عن وَكيع عن مِسْعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن بَابَاهْ قال : قال عبد الله بن مسعود : خالِطُوا الناسَ وزَايِلوهُم[5] .

عن وَكيع عن سـفيانَ عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعةُ بنُ صُـوحان لابن أخيه : إذا لقيتَ المؤمنَ فخالِطه[6]، وإذا لقيتَ الفاجرَ فخالِفه، ودِينَكَ فلا تَكْلِمَنّه .

قال المسيحُ صلّى اللهُ عليه : "كُنْ وَسَطًا وآمشِ جانبًا" .

---

(١) فى الأصل : « فقد » . (٢) كذا ضبطه فى تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) فى الأصل : « رياح » بالياء المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه الكسب طيبا أو خبيثا . (٥) كذا فى النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوهم . وفى الأصل : « وتزايلوهم » . (٦) كذا فى العقد الفريد ، وفى الأصل : « فخالصه » بالصاد ، وخالصه فى العشرة : صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالمخالطة فى هذا المقام أنسب .

وروى أبو معـاويةَ عن الأحوص بن حكيم عن أبى الزاهرية قال قال أبو الدَّرداء : إنّا لنَكْشِرُ(١) فى وجوه أقوام و إنّ قلوبَنا لَتلعَنُهمْ .

ودخل لبيدةُ العجلىّ(٢) على عمــرَ رضى الله عنــه ، فقال له عمرُ : أَقتلت زيدا ؟ فقال : يا أمير المؤمنــين ، قد قتلتُ رجلا يسمّى زيدا ، فإن يكن أخاكَ فهو الذى أكرمه اللهُ بيدى ولم يُهِنّى به ؛ ثم لم يَرَ من عمرَ بعد ذلك مكروها .

قال محمدُ بن أبى الفضل الهاشمىّ : قلتُ لأبى : لِمَ تجالِسُ الى فلانٍ وقد عرفتَ عداوتَه ؟ فقال : أُخْبى نارا وأقدَحُ عن وُدٍّ . وقال المهاجِرُ بن عبد الله الكِلابىّ :

و إنّى لأُقصِى المرءَ من غيرِ بِغْضَةٍ * وأُدنِى أخا البغضاءِ مِنّى على عَمْدِ
لِيُحدِثَ وُدًّا بعد بَغْضَاءَ أو أرَى * له مَصْرَعًا يُرْدِى به اللهُ مَنْ يُرْدِى

وقال عِقَالُ بنُ شَبَّةَ : كنتُ رَدِيفَ أبى ، فلَقِيه جريرٌ على بغلٍ فحيّاه أبى وألطفَه ؛ فلمّا مضى قلتُ : أبَعْدَ ما قال لنا ما قال ! قال : يابُنىّ ، أَفَأُوسِعُ جُرْحِى ! .

قال ٱبنُ الحنفيّةِ : قد يُدفَعُ باحتمالِ مكروهٍ ما هو أعظمُ منه .

قال الحسنُ : حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ ، ومُداراةُ النـاسِ نصفُ العقلِ ، والقصدُ فى المعيشة نصفُ المؤونةِ .

مدح ٱبنَ شِهابٍ شـاعرٌ فأعطاه ، وقال : منِ ٱبتغى الخيرَ ٱتقَى الشرّ .

(١) الكشر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كاشره اذا ضحك فى وجهه و باسطه . وفى رواية « و إنّ قلو بنا لتقليهم » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نعثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن الخطاب فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفى تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وجعل يشتدّ بالراية و يتقدّم بها فى نحر العدوّ ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله الرحال بن عنفوة كما قيل إنه أبو مريم الحنفى .

وفى الحديث المرفوع : "أَوّلُ ما يُوضعُ فى المِيزان الخلقُ الحسن" . وقال : إنَّ حسنَ الخُلُق وحُسنَ الجوارِ يعَمران الديار، ويَزِيدانِ فى الأعمار . وقال : مَنْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ كان من أهل الجنة .

قال الشاعر :

فَـتًى إذا نبَّهتَـه لم يَغْضَبِ * أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يَعْجَبِ
مُوَكَّلُ النفسِ بحفظ الغُيَّبِ * أقصَى رفيقَيْه له كالأجنبِ (١)

وقرأتُ فى كتب العجم : حُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرينٍ، والأدبُ خيرُ ميراثٍ، والتَّوفيقُ خيرُ قائد .

وقالت عائشةُ رضى الله عنها : ما تُبالى المرأةُ اذا نزلَتْ بين بيتَينِ من الأنصار صالحين ألَّا تنزِلَ مِنْ أبوَيْها .

وقال جعفربن محمد : حسنُ الجوارِ عِمارةٌ للدار، وصَدقةُ السرِّ مَثْراةٌ للمال .

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص : ثلاثةٌ من قريش أحسنُها أخلاقا وأصبحُها وجوها وأشدُّها حياءً، إن حَدّثوك لم يَكذِبوكَ، وإن حدّثتَهُمْ بحقّ أو باطل لم يُكَذِّبوك : أبو بكر الصدّيقُ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرّاح، وعثمانُ بنُ عفّانَ رضى الله عنهم .

وقال يزيد بنُ الطَّثَرِيَّة :

وأبيضَ مثلِ السيفِ خادمِ رُفقةٍ * أشمَّ ترى سِرْبالَهُ قد تَقَدَّدَا (٢)
كريمٍ على عِلَّاتِه لو تَسُبُّه (٣) * لَفَدَّاكَ رِسْلًا لا تراه مُرَبَّدَا (٤)
يُجيبُ بِلَبَّيْهِ (٥) إذا ما دعوتَه * ويحسبُ ما يُدعَى له الدهرَ أرشَدَا

(١) لعله : « كالأقرب » ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) فى الشعر والشعراء : « عزاته » . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل، والأصل فى هذه الكلمة أن تضاف الى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشمونى على الألفية فى باب الإضافة) .

وقرأت فى كتاب للهند : مَنْ تزوّد خمسًا بلّغته وآنسته : كفُّ الأذى، وحسنُ الخُلُقِ، ومجانبةُ الرِّيَبِ، والنُّبلُ فى العمل، وحسنُ الأدب .

وقال المَرّار فى مداراة القرابة :

ألا إنّمـا المولى كعظْمِ جبَرْتَهَ * فلا يَخْرُقِ المولى ولاجابرُالعظِمِ

وقال آخر فى مداراة الناس :

وأنزلَنِي طولُ النّـوى دارَ غُرْبةٍ * إذا شئتُ لاقيتُ آمرأً لاأُشاكِلُهْ
لحـامقتهُ حتى يُقـالَ سَجِيَّـةٌ * ولو كان ذا عقلٍ لَكنتُ أعاقِلُهْ

وقال بشارٌ :

خَليـلىّ إنّ العسرَسوفَ يُفيـقُ * وإنّ يسارا فى غـدٍ لخَلِيقُ
وما أنا إلا كالزمان إذا صحَا * صَحَوْتُ وإن ماقَ الزّمانُ أَمُوقُ

التلاقى والزيارة

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا الفضلُ بن دُكينٍ عن طلحةَ بن عمرَ عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زُرْ غِبًّا تَزدَدْ حُبًّا» .

وقال الأصمعىّ : دخل حبيبُ بنُ سُويدٍ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة، فقال جعفر : حبيب بن سويد وادُّ الصّديقِ، حَسَنُ الثّناءِ، يكره الزيارةَ المُمِلَّةَ، والقَعْدَةَ المُنسِـيَةَ .

وقرأت فى كتاب للهند : ثلاثة أشياءَ تزيد فى الأنس والثّقة : الزيارةُ فى الرَّحْل[1]، والمؤاكلة، ومعرفة الأهلِ والحَشَم .

وقال الطائىّ :

وحَظُّكَ لَقْيَةٌ فى كل عامٍ * مُوافقةٌ على ظهر الطريقِ

(١) الرحل : منزل الرجل ومسكنه و بيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أى منزله .

قال أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم الصوّاف عن موسى بن يعقوب السَّـدوسيّ عن أبي السِّـنان عن عثمانَ بن أبي سَـوْدةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ عاد مريضًا أو زار أخا ناداه مُنادٍ من السماء : أن طِبتَ وطاب مَمْشاكَ تبوّأتَ من الجنة منزلًا " .

كتب رجل الى صديق له : مَثَلُنا، أعزَّك الله، فى قُرْب تجاوُرنا وبُعْدِ تزاوُرنا ما قال الأوّلُ :

ما أقربَ الدارَ والجوارَ وما * أبعَـدَ معْ قُربِنَـا تَلاقِينَا

وكلُّ غفـلةٍ منك محتمَلةٌ ، وكل جَفـوةٍ مغفورةٌ ، للشَّـغف بك ، والثِّـقةِ بحسن نيّتك، وسآخذ بقول أبي قيس[1] :

ويُكرِمُها[2] جاراتُهـا فيَزُرْنَها * وتعتلُّ عن إتيانهنّ فتعـذرُ

وقالت أعرابية :

فلا تَحمَدُونِي فى الزيارةِ إنّني * أزوركُمُ إذ لم أجِدْ متعلَّلَا

وكتب رجل الى صديق له يستزيره : طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نتناكَرُ عند التلاقِي، وقد جعلك الله للسّرور نِظاما، وللأنس تماما، وجعلَ المَشاهدَ مُوحِشةً إذ خلتْ منك .

وقال سهل بن هارون :

وما العيشُ إلّا أن تَطُولَ بنائلٍ * وإلا لقاءُ المرءِ ذِى الخُلُقِ العَالِى

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ؛ واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغانى ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغانى ج ١٥ ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفى الأصل «ويكرمنها» باثبات النون وهى لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقُط الطيرُ حيث تَلتقطُ الحَبَّ(١) وتُغشى منـازلُ الكُرَماءِ

قال رجل لصديق له : قد تَصدّيتُ للقائك غيرَ مرّة فلم يُقضَ ذلك ، فقال له الآخرُ : كلُّ بِرٍّ تأتيه فانت تأتى عليه .

قال ابن الأعرابىّ :

وأَرمِى الى الأرض التى من ورائكم * لِتَرْجِعَنى يومًا عليـــك الرواجعُ

وقال آخر :

رأيتُ أخا الدنيا وإن بات آمنا * على سفرٍ يُسْرَى به وهو لا يدْرِى

تثاقلْتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها * وزَوْرةِ ذى وُدٍّ أُشُدُّ به أَزْرِى

وقال آخر :

أزورُ محمـــدا وإذا ٱلتقينـا * تكلمتِ الضمائرُ فى الصـــدورِ

فأرجعُ لم أَلُمْـــه ولم يَلُمْـنِى * وقد رضِىَ الضميرُ عن الضميرِ

كان سفيانُ بن عُيينةَ يقول : لا تعفِّرُوا الأقدامَ إلا الى أقدارها ؛ وأنشد :

نضعُ الزيارة(٢) حيث لا يُزْرِى بنا * شَرَفُ الملوكِ ولا تَخِيبُ الزُّوَّرُ

وكان يقال : اِمْشِ مِيلًا وعُدْ مريضا ، وامشِ مِيلين وأصلِح بين اثنين ، وآمش ثلاثةَ أميال وزُرْ أخا فى الله .

وقال بعض المحدَّثين :

إذا شئتَ أن تُقْـلَى فزُرْ متتابِعًا * وإن شئت أن تزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

(١) الذى فى الأغانى فى ترجمة بشار : «يَنْتثرُ الحَبُّ» .

(٢) فى الأصل : «يضع الزيارى» وهو تحريف .

وقال آخر :

أَقْلِلْ زيارتك الصَّـديـ * ـقَ يراك كالثوب آستجدَّهْ[(١)]

إنَّ الصـديق يُمِلُّه * أَلَّا يزالَ يراك عنـدَهْ

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاءُ قليلا من سؤالٍ أو مُطَالعةٍ لكَ، فقلبي يقوم مَقام العِيانِ .

وقال آخر لصديق له : قد جمعتْنا و إياكَ أحوالٌ لا يُزْرِى بها بعدُ اللقاءِ ولا يُخِلّ بها تنازُحُ الديار .

وقال آخر : لولا ما فى بَديه اللقاءِ من الحَـيْرَةِ والتعرّض به قبل معرفة العَينِ للجفوة، لم أتوقّف على مُطَالعةٍ حتى أصيرَ اليك .

وقال الشاعر :

ومالىَ وجهٌ فى اللئام ولا يدٌ * ولكنّ وجهى فى الكِرام عريضُ

أَصِحُّ اذا لاقيتُهم وكأنّنى * اذا أنا لاقيتُ اللّئامَ مريضُ

وقال علىّ بن الجَهْم :

أَبلغْ أخًا ما تولّى اللهُ صحبتَنا * أنّى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

وأن طَرْفِىَ موصولٌ برؤيته * وإن تباعدَ عن مَثْواىَ مَثْواهُ

اللهُ يعلَمُ أنى لستُ أذكره * وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

(١) كذا فى نهاية الأرب ج٢ ص٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن الوليد وفى الأصل : «تكن كثوب تستجدّه» .

المعاتبـــة والتجنّى

قال حدّثنا محمدُ بن داود عن المَضَاءِ عن فرج بن فَضَالةَ عن لقمانَ بن عامر قال قال أبو الدَّرْداء : معاتبــةُ الأخ خيرٌ من فقده ، ومَنْ لك بأخيكَ كلِّه ! .

وكان يقال : التجنّى وافدُ الصَّرْم .

وقرأت فى الإنجيل : إن ظلمك أخوكَ فآذهبْ فعاتِبــه فيما بينك و بينه ، فإن أطاعك فقــد ربحتَ أخاكَ و إن هو لم يُطِعْك فآستتبعْ رجلا أو رجلين يشهدان ذلك الكلامَ ، فإن لم يستمع فأَنْهِ أمرَه الى أهل البِيعةِ (١) ، فإن لم يستمعْ من أهــل البِيعةِ فليكن عندكَ كصاحب المَكْس .

وقال ابن أبى فَنَنٍ :

إذا كنتَ تغضبُ من غيرذنبٍ * وتعتِبُ من غير جُرمٍ عليّــا
طلبتُ رضاك فإنْ عزّنى * عددتُكَ ميْتاً وإن كنتَ حيّاً
قنِعتُ و إن كنتُ ذا حاجةٍ * فأصبحتُ من أكثرالناس شيّاً
فلا تعجبَنَّ بمــا فى يديكَ * فأ كثرُ منـــه الذى فى يدَيّاً

وقال أبو نَهْشَل يعاتب صديقًا له :

عَدلتَ عن الرِّحاب الى المَضيق * وزرتَ البيتَ من غيرالطريقِ
وتَظلِمُ عنـــد طاعتــك المُوَالى * وليس الظلمُ من فعل الصديقِ
تجودُ بفضــل عدلكَ للأقاصى * وتمنعُه من الخِــلِّ الشـــفيقِ
أمَا والراقِصـاتِ (٢) بذات عِرق (٣) * وربِّ البيت والركنِ الوثيــقِ .
لقـــد أطلَقْتَ لى تُهمًا أراها * ستَحمِلُنى على مَضَض العُقوقِ

(١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق، لأنها ترقص فى خببها .
(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدعِ العتابَ فربَّ شرٍّ هاجَ أوَّلُهُ العتابُ

وقال الجَعْدِيّ :

وكانَ الخليلُ اذا رابنِي * فعاتبتُه ثم لم يُعتِبِ[1]
هَواىَ له وهَوَى قَلبِه * سواى وما ذاكَ بالأصوبِ
فإنى جَرِىءٌ على صُرْمِه * اذا ما القرينةُ لم تُصْحِبِ[2]

قال رجلٌ لصديق له يعاتبه : ما أشكوكَ إلا اليكَ، ولا أستبطئُك إلّا لكَ، ولا أستزيدكَ إلا بكَ، فأنا منتظرٌ واحدةً من آثنتين : عُتْبَى تكون منكَ، أو عُقْبَى الغِنَى عنك .

وقال آخرُ : قد حميتُ جانبَ الأمل فيكَ وقطعتُ الرجاء لك، وقد أسلمنى اليأسُ منك الى العَزاء عنك ، فإن نزَعتَ من الآن فصفحٌ لا تَثْرِيبَ فيه، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وصلَ بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خيرَ فى قُرْبى لغيرِكَ نفعُها * ولا فى صديق لا تزالُ تُعاتِبُهْ
يخونُكَ ذو القربى مِرارا وربّما * وفَى لكَ عند الجَهْد مَنْ لا تُناسِبُهْ

وقال آخر وهو أوسُ بنُ حَجَر :

وقد أُعتِبُ آبنَ العمّ إن كان ظالما * وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلَا

وكتب رجل الى صديق له : الحالُ بيننا تحتمِلُ الدَّالَّةَ، وتُوجِبُ الأُنسَ والثِّقةَ، وتبسط اللسانَ بآلاستزادة .

(١) أى لم يُرضِى، من أعتب الرجلُ صاحبَه اذا أرضاه . (٢) القرينة هنا : النفس، وأصحبت : انقادت .

وكتب رجل آخرُ الى صــديق له : قــد جعلك اللهُ ممن يحتمل الدَّالَّةَ الكبيرة لذى الحُرمةِ اليسيرة، ورفعكَ عن أن تبلغ ٱستزادةَ المستزيد بعُنْف الحَمِيَّة .

والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعتِبْ : «لك العُتْبى بأن لا رضِيتَ»(١) .

ونحوه قول بشر بن أبى خازم :

غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّل عامرٌ * يوم النِّسارِ(٢) فأَعْتَبُوا بالصَّيْلَمِ

وقال أوسُ بن حارثةَ لأبنــه : العِتابُ قبل العِقاب . وهذا نحو قول الآخر : ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدك، ووعيدُكَ بعد وَعْدك .

وقال إياسُ بن معاوية : خرجتُ فى سفر ومعى رجل من الأعراب، فلمّا كان ببعض المناهل لقيَه ٱبنُ عمّ له فتعانقا وتعاتبا والى جانبِهما شيخٌ من الحىّ، فقال لهما الشيخ : أنعِمَا عيشًا، إنّ المعاتبةَ تبعَثُ التجنّى، والتجنّىَ يبعثُ المخـاصمةَ، والمخاصمةَ تبعثُ العداوةَ، ولا خيرَ فى شىءٍ ثمرتُه العداوةُ، فقلت للشيخ : مَن أنتَ ؟ قال : أنا ٱبن تَجرِبَةِ الدهرِ ومَنْ بَلَا تلوُّنَه، فقلت له : ما أفادكَ الدّهرُ ؟ قال : العلم به، قلت : فماذا رأيتَ أحمدَ؟ قال : أن يُبقِيَ المرءُ أحدوثةً حسنة بعده، قال : فلم أبرَحْ ذلك المـاءَ حتى هلَك الشيخُ وصلّيت عليه .

وقال رجل لصــديق له : أنا أُبقِى على مودّتك من عارضٍ يغيره(٣) وعتابٍ يقدَح فيه، وأؤمّل نائيًــا من رأيك يُغنِى عن ٱقتضائكَ .

---

(١) أى أن إعتابى إياك بقولى لك : لا رضيت، على وجه الدعاء أى لا رضيت أبدا .

(٢) يوم النسار : ذكره أبو عبيدة فقال : تحالفت أسد وطيء وغطفان فغزوا بنى عامر فقاتلوهم قتالا شــديدا فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئا أشدّ ما قتلت عامرا يوم النسار . والصيلم : السيف .

(٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأتُ فى كتاب العتّابىّ : تأنّينا إفاقتَك من سكر غفلتِك، وترقّبنا آنتباهكَ من وَسَنِ رَقدتك، وصبَرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرِفتكَ فى تَعَذّيك لِطويلِ حَقّ مَنْ غَلِط فى آختيارك .

وقال الشاعرُ :

فأيّهما يا ليـلَ إن تَفعلِى بنا * فآخرُ مَهجورٍ وأوّلُ مُعتَبِ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يَجب على المرءوس اذا تجاوزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيلُه إنمـا وقع له بخفته على القلب ومحلّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامِياً على محلّه، وإلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح :

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأذى * اذا آجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يَذهَبُ

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا مسـلم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ[1] بن أمية عن نافع عن آبن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أَسْتَودِعُ اللهَ دينَـكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخرَ[2] عمرِكَ" .

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك : أن رجلا أتى النبىَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف .

(٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هـذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظِ اللهِ وكَنَفِه زوّدك اللهُ التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخير حيثُ كنتَ " .

المعتمِرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَنَ ودّع رجلا وعيناه تَهْمِلان وهو يقول :

وما الدهرُ إلا هكذا فآصطَبِرْ له * رَزِيئةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثلُ وداعِ الربيعِ * وفقدُكَ مثلُ آفتقادِ الدِّيَمْ(١)
عليكَ السلامُ فكَمْ من وفاءٍ * نُفَارِقُه منكَ أو من كَرَمْ

وقال الطائى :

بيَّنَ البينُ فَقْدَها، قلّما تَعْـ * ـرِفُ فقدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ * قبلَ الرحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهدِكم * يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ
أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بيْنٍ عاجلٍ * لقنِعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْأَلِ

وبلغنى عن بكر المازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملى، فقال لى : ما آسمُكَ؟ فقلت : بكرٌ، قال : مَنْ خلَّفت وراءك، قلتُ(٢) : بُنَيَّةٌ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غبتَ عنّا وخلَّفتنا * فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَتِمْ

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أَبَانا فلا رِمْتَ (١) مِنْ عندنا * فإنا بخـــيرٍ اذا لم تَرِمْ
أبانا (٢) اذا أضمرتكَ البلا * دُ نُجْفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِى بالله ليس له شريكٌ * ومِنْ عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

كان لبنى عُقَيلٍ عبــدٌ رضيعٌ بلِبَانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شَخَص به مواليه شـــعرا :

أشوقًا ولمَّا يَمْضِ بى غيرَ ليــلةٍ (٣) * فكيف إذا سار المطِىُّ بنا شهرَا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيـــلَ عنـد وَدَاعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْع زايلَه النَّصلُ
فإن أغشَ قومًا بعــدهم وأزورهم * فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ (٤) المَحْلُ

وقال آخرُ عند توديعه :

عجبتُ لتطويح النّوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُستــلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودّعنى والقلب يَغْلِبُها * كما يَميل نسيمُ الريح بالغُصُن
ثم آستمرتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معـرفتى إيّاكَ لم تكنِ

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقِىَ علينا أن نَكُفَّ من غَرْبِ (٥) الشُّؤونِ، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُب، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

---

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادّة «ضمر» : أرانا اذا أضمرتك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو بسفر .

(٣) الرواية المشهورة : أشـوقا ولم يمض لى غير ليـلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا

(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترى :

اللهُ جارُكَ فى ٱنطِلاقِكْ * تِلْقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ
لا تَعـذُلَنِّى فى مَسِيـ * ـرِى يوم سِرتُ ولم أُلاقِكْ
إنِّى خشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلبَيْنِ تسفَحُ غَرْبَ ماقِكْ
وعلمتُ ما يَلْقَى المـوَدِّعُ عنـدَ ضَمِّكَ(١) وٱعتِناقِكْ
فتركتُ ذاكَ تعمُّدًا * وخَرَجتُ أهرُبُ من فِراقِكْ

الهــــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلاء بن كَثيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَصافَحُوا فإنّ المصافحةَ تُذهب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فإنّ الهديّةَ تَذهَبُ بالسَّخِيمةِ(٢)" .

وحدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا بِشْر بن المفضَّل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لى ذِراعٌ(٣) لَقَبِلت، ولو دُعيتُ الى كُرَاعٍ(٤) لأجبتُ" .

وفى حديث آخر : " تهادَوْا تحابُّوا فإن الهديةَ تفتَحُ البابَ المُصْمَتَ(٥) وتَسُلُّ سَخِيمةَ القلب " .

قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : سمعْتُ نافعا يحدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

---

(١) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الضغنية والحقد .
(٣) كذا فى الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث فى البخارى ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بَكَّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث فى كلّ يوم بقِرْبةٍ من ألبان إبله ، فاختلفَ ما بينهما فأتى عمرٌو أهلَه [فقال](١): لا تبعَثُوا للحارث باللبَن فإنا لا نأمنُ أن يَرُدَّه علينا ؛ وآنقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا(٢)؛ فلما راح الحارثُ بعمرو قال : ياهذا لاتجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن ؛ فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا(٣) يحملُها اليك غيرى ،فحملها من رَدْمِ بنى جُمَح(٤) الى أجياد(٥) .

و بعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبَّادانَ(٦) بنعلين مخصُوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى، ولكنّى أحببتُ أن تعلَمَ أنك منى على ذُكْرٍ .

وقال بعضُ الشعراء :

إنّ الهـديّةَ حُلوةٌ * كالسِّحر تجتَلِبُ القلوبَا

تُدنِى البغيضَ من الهوى * حتى تُصَيِّرَه قريبَا

وتُعيدُ مُضطغِنَ العَدَا * وةِ بعد نُفْرَته حبيبَا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ، فكتب إليه : أما بعد، فلو علمتَ عددًا أقلّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثتَ به إلىّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل : «فقال» . (٣) فى الأصل : « لا » . (٤) ردم بنى جمح : موضع بمكة سمى بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بنى جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة ، يلى الصفا ، واختلف فى سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمى بذلك لأن تبعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .
(٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس .

وقد سُئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل ؛ قيــل : وكيف؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت .

أهــدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً ، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيَتْ اليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدَى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصرَ وعنــده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَلُ ويُشربُ ويُشم ، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

أتانى أخٌ من غَيْبَــةٍ كان غابهــا * وكنتُ اذا ما غاب أنشُــده(١) رَكْبا
فجاء بمعــروفٍ كثيرٍ فدسّــه * كمادسّ راعى السَّوء فى حِضنه الوَطْبا(٢)
فقلت له هــل جِئتَنى بهــديّةٍ * فقال بنفسى قلت أتحِفْ بها الكلبا
هى النفسُ لا أرثِى لها [من](٣) بليّةٍ * ولا أتمــنّى أن رأيتُ لها قُــربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّل سبيلَ الملاطفة ، فأهديتُ هديّةَ من لا يَحْتشِم ، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزَاعيّــة قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنىّ من الفقير ؟ قال : " النصيحة والدعاء "

(١) نشده : عرّفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيها المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللُّطَف[1] ؟ قال : " ما أقْبَحه ، لو أُهـديتْ إليَّ ذِراع لقَبِلتُ ، ولو دُعِيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ[2] الحُبَّ ويَذْهَب بغوائل القلوب".

وحدّثني محمد بن سَلّام الجُمَحيّ قال حدّثني خلّاد بن يزيد الباهليّ قال : أهدِيتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة في يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه ؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كأنّ شماميسَ في بِيعـةٍ * تسبِّح في بعض عِيـداتِها
وقد حضرتْ رسُلُ المِهْرجا * نِ وصَـفُّوا كريمَ هَدِيّاتِها
علوتُ برأسيَ فوق الرءوس * فأشخصْتُه[3] فـوق هاماتها
لأكسِبَ صاحبتي صَحْفَةً * تغيظ[4] بهـا بعضَ جاراتها

فأمر له بجامٍ من ذهب ، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا ، ويُنشد :

لا تبخَلَنّ بدُنيـا وهي مقبِـلةٌ * فليس ينْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها * فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السـلطان الى بعض العمال يَستهديه مِهارةً[5] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض ، ويستُرونها سَتْرَ الحُرَم ، ويسومون بهـا مهور العقائل ؛ وأنا مستخلِص لك منهـا ما يكون زينَ المَرْبَط وحُمْلانَ[6] الصديق ، إن شاء الله .

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا في الشعر والشعراء ، وفي الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا في الشعر والشعراء . وفي الأصل «تفيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع .

وكتب أبو السمْط :

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ * لنا بك كلَّ يومٍ مِهْــرجانُ
ليومِ المهرجانِ بك آختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ
جعلتُ هديّتى لك فيه وَشْياً * وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قَتَادَةَ نعلاً رقيقة، فجعل قتادةُ يَزِنها بيده، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل فى سخف هَدِيّته .

وقال الشاعر :

سـَــقى مُجّاجَنــا نَوْءُ الثريّا * على ماكان من بُخْلٍ ومَطْلِ
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وســدُّوا دونهــا بَاباً بقُفْلِ
فإن أهديتُ فاكــهةً وجدياً * وعشرَ دجاجٍ بَعثُوا بنعــلِ
ومِسْــواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ * وعشرٍ من ردئ المُقْلِ(١) حُسْلِ
فإن أهــديتُ ذاك ليحملونى * على نعــلٍ فــدقّ الله رِجْلى
أُناس تائِهونَ(٢) لهــم رُواءٌ * تَغِيم سمــاؤهم من غيرِ وَبلِ
اذا آنتسـبوا ففرعٌ من قريشٍ * ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُــكْلِ(٣)

كتب رجل الى صــديق له : لولا أنّ البضــاعة قَصّرت بى عن بلوغ الهمة لأتعبتُ المسابقين الى بِرِّك . وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البرّ، وليس لى فيها ذِكر ،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشيء. (٢) تائهون : متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة و يستحمق : عكلىّ .

فبعثت اليك بالمبتدأ يُمنه و بركتِه، والمختومِ بطِيبه ورائحتِه : جرابِ مِلْحٍ، وجراب أُشْنَان[1] .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشىءٍ فكن له ذَا قَبُولِ
لا تَقِسْه الى نَدَى كفّك الغمْـ * ـرِ ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ
وٱغتفِر قِلّةَ الهديّةِ منّى * إنّ جهدَ المُقِلّ غيرُ قليلِ

و بعث أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبَسَها * تسعى بها قدمٌ الى المجدِ
لوكان يمكن أن أُشَرِّكَها[2] * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدِّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أَوَ ما رأيتَ الوردَ أتحفَنا به * إتحافَ مَنْ خَطَر الصديقُ ببالِه
لوكان يُهْدَى لأمرئٍ ما لا يُرَى * يُهْدَى لعُظْمِ فِراقِه وزِيالِه
لرددتُ تُحفتَه عليه و إن علتْ * عن ذاك وٱستهديتُ بعضَ خصالِه

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عند تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ
واللهِ ما أدرى أأبصرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرّقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة فى مثل هذا اليوم والتأسّى بهم فى الإهداء ، و إن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرك ، فرأيتُنى إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتغسل به الثياب وغيرها .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطَرْفي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثَرها منك، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهْــدِى مالَك إليك ومُنفِق نفقتِك عليك، وفزِعتُ الى مودّتى وشكرى فوجدتُهما خالصَيْنِ لك قديمين غيرَ مستحدثَيْن، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتى لم أُجَدِّد لهــذا اليوم الجديد برًّا ولا لَطَفا. ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة، ولم أسلك سبيلا ألتمس بها برًّا أعتــدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه، إلا وجدتُّ رِضاك قد سبقنى اليه، فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقّك هديّةً اليك، وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهْى من مِلْكِهِ * أو أُهــدِ مالى فهو من مالِهِ

لــا قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة، بعث إلى الحسن والحُسين وعبدِ الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبير وعبد الله بن صَفْوان بن أُمَيّة بهدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الرّد . فلما خرج الرسل من عنــده، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم، قالوا : أخبِرْنا يا أمير المؤمنين، قال : أمّا الحسن فلعله يُنيــل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِيَ مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا . وأما الحســين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بِصفِّين، فإن بقِيَ شيء نَحَر به الجُزُر وسَقَى به اللبن. وأما عبــد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيْح[١] ! اقْضِ به دَيْنى، فإن بقى شىء فأنفذْ به عِدَاتى . وأما عبد الله بن عمر فيبــدأ بفقراء عَدِىّ بن كعبٍ، فإن بقِىَ شىء ٱدّخره لنفسه ومانَ به عيالَه . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوِده الرسولُ فيقول لبعض كُفَاته : خذوا من رسول مُعاوية ما بعَث به، وصَله الله وجَزاه خيرا، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُدٍ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلِّ أنْ أعودَ بها على ابن هِند يوما ما . وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل اليه هكذا، رُدّوا عليه، فإن رَدّ قَبِلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية؛ فقال معاوية : أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ آبنَ سِيرِينَ فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولوا له : إنى نائم — يريد: سأنام — ؛ فقلت : معى خَبِيص(١)؛ فقال : مكانَك حتى أخرج إليك .

قال رجل لأبى الدَّرْداء : إن فلانا يُقْرِئك السلام؛ فقال : هديّةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف .

وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براحٍ، وكتب اليها :

قل لمن يملك الملو * كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناكِ فآشرَبِى * وبعثنا إليكِ بِكْ

أهدى رجل الى عُبيد(٢) بن الأخطل شاةً مهزولة ، فكتب اليه عبَيد :

وهبتَ لنا يا أخا مِنْقَرٍ * وعِجْلٍ وأكرمَها أوّلَا
عجوزًا أضرَّ بها دهرُها * وأنزلها الذُّلُّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يصنع فى الطناجير ، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها فى نسخته المخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد ، وروى أنه بعث به الى فتى من بنى منقر أمه عجلية ، وكان يبعث الى بشار فى كل عام بأضحية من الأضاحى التى كان أهل البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحى ، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول ، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه القصيدة فى الأغانى باختلاف فى بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سـلوحًا[1] حسِبتُ بأنّ الرِّعاء * سَـقَوْها الغَرِيقُونَ[2] والحنظلا
وأجدبَ من ثورِ زَرّاعةٍ[3] * أصاب على جوعه سُنْبُلا
وأزهـدَ من جِيفةٍ لم تَدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصِلا[4]
فأهوتْ يمينى الى جنبها * نخلتُ حراقيفَها[5] جَنْدَلا
وأهوتْ يَسارى لعُرْقوبها * نخلتُ عَراقيبَها مِغْزَلا
فقلت أبيع فلا مَشْـرَبًا[6] * تُؤَدِّى إلىّ ولا مَأْكلا
أمَ اجعلُ من جلدها حَنْبلًا[7] * فأقْذِرْ بحنبلها حنبلا
إذا هى مرّت على مجلسٍ * من العُجْبِ كبّر أو هلّلا
رأَوْا آيةً خلفها سائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولا
فكنتَ أمرتَ بها ضخمةً * بشحمٍ ولحمٍ قد اسْتُكْمِلا
ولكنّ رَوْحًا عَدا طَوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفعلا
فعَضّ الذى خاننى حاجتى * بإستِ آمّه بَظْرَها الاغرلا[8]
فلولا مكانُك خضّبتُها * وعلّقتُ فى جِيدها جُلْجُلا
لجاءت لكيما ترى حالَها * فتعلمَ أنّى بها مُبتلَى
سأَلتُك لحمًا لصِبياننا * فقد زدتَنى فيهم عَيِّلا
فخذها وأنت بها مُحسِنٌ * وما زلتَ بى مُحسِنًا مُجْمِلا

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوّزا
(٢) الغريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .
(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس الورك .
(٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «فلا مشترى» وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختتن .

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُضحيّة، فكتب إليه :

بعثتَ إلىّ بأُضحيّــةٍ * وكنتَ حَريًّا بأن تفعلَا
ولكنها خرجتْ غَثّــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلا (١)
فإن قَبِــل الله قُرْبانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلَا

قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال : أثمان الحِذَاء (٢) بالعراق .

وقال مُسْلم بن الوليد :

جَزَى الله من أهدَى الأُتْرُنْج (٣) تحيةً * ومَنَّ بمـا يهوى عليــه وعَجّلا
أتتنا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبَهَ فى الحسن الغزالَ المكحّلا
ولو أنه أهــدَى إلىّ وِصالَه * لكان إلى قلبى ألذَّ وأوصــلا

وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً :

تأنّق فى الهــديّةِ كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّـا أنْ هَمَمتُ به مُدِلًّا * لموضِع حُرْمتى بك والإخاءِ
رأيتُ كثيرَ ما أُهْدِى قليــلًا * لعبدكَ فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صــديق له : وجدتُ المودّة مُنقطِعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متســلِّطة، وليس يُزيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانســةُ، ولا تقع المؤانســةُ إلا بالبِرّ والملاطفــةِ .

العيــــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمــرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنـا شَريك عن أبى نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من

(١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمتنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا المعزى، وقد يداوى به المحموم.

(٢) الحذاء : جمع جدى . (٣) الترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبى هُرَيرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمَّل والرمد والضرس" .

وحدّثنى القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانىّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطاَةَ بن المُنْذِر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشَّعْبِىّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبى هَـدِيّة عن أبى هِلَال قال : قال بكر بن عبـد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليـلاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم فى الدار حقٌّ فخـذوه وآنصرِفوا .

عاد رجل رَقَبةَ، فنعى رجالًا آعتلّوا مثلَ عِلّتـه، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريضٍ فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ الينا .

عاد أعرابىّ أعرابيًّـا فقال : بأبى أنت! بلغنى أنك مريض، فضاق والله علىّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بى نهوض؛ فلما حملتْنى رِجلان، وليستا تحمِلان، أتيتُك بجُرْزَةٍ[1] شيح ما مسّها عِرنَين[2] قطّ، فآشمُمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء بإذن الله .

قال كُثَيّر :

ألَا تلك عزّةُ قـــد أقبلتْ * تقلّبُ للبين طَرْفًا غَضِيضَا
تقـول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطيق النهوضا
كِلانا مَرِيضانِ فى بلدةٍ * وكيف يعودُ مريضٌ مريضا

(١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر[(١)] :

إذا مَرِضْنا أتيناكم نعودكُمُ * وتُذْنبون فنأتيكم فنعتــــذرُ

وقال بشّار :

لو كانت الفِدْيةُ مقبولةً * لقلتُ بى لا بك حُمّا كا

وكتب آخر الى عليل :

نُبِّئْتُ أنّك معتـــلٌّ فقلتُ لهم * نفسِى الفِداءُ له من كلّ محذورِ
ياليتَ علّتَـه بى غيرَ أنّ لـــه * أجرَ العليـلِ وأنّى غيرُ مأجورِ

وكتب آخر الى عليل :

أقولُ بحـقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لايغيّره الدهرُ
بِىَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بى وكان لك الأجرُ

وقال آخر فى مثله :

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ[(٢)] شَفّك وِرْدُها[(٣)] * فعُقْباكَ منها أن يطـولَ لك العمرُ
وَقَيناكَ! لو نُعْطَى المُنَى فيك والهَوَى * لـكان بى الشكوَى وكان لك الأجرُ

وفى الحديث المرفوع "حَصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، وٱستَقْبِلوا البلايا بالدعاء" . وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: "مَنْ أصبح منكم صائما؟" قال عمر : أنا ، قال : "فمن شَيّع جنازةً؟" قال عمر: أنا؛ قال : "فمن عاد مريضا؟" قال عمر : أنا؛ قال : "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر : أنا ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : " وجبتْ وجبتْ وجبتْ " . وفى حديث

---

(١) هو المؤمل بن أميـل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى) . (٢) حمى الغب : التى تنوب المريض يوما بعد يوم . (٣) الورد من أسماء الحمى وقيـل : هو يومها الذى تأخذ فيه صاحبها .

آخر : أنه صلى الله عليــه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضَع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يدَه فى يده و يسأله كيف هو، وتمـامُ تحياتكم المصافحة" .

وقال الشاعر :

إن كنتُ فى ترك العِيادةِ تاركًا * حَظِّى فإنى فى الدعاءِ لجاهـدُ
فلربمـا ترَكَ العيادةَ مُشــفِقٌ * وأتى على غِلِّ الضمِيرِ الحاسدُ

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبىّ عن أبيــه قال : كان يقال : إذا آشـتكى الرجلُ ثم عُوفِى ولم يُحْدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُــوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت : إن فلانًا داوبناه فلم ينفَعْه الدواء .

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمىّ قال : أَطْلع[1] معاويةُ فى بئر بالأَبْواء[2] فأصابتْه لَقْوة[3]، فآعتمّ بعمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذى أُصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها الناس، إنّ ابن آدم بعَرَض بلاء : إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب ، و إما مُعاقَب بذنب ، أو مبتلًى ليؤجَر ، فإن عُوتبتُ فقــد عُوتب الصالحون قبلى ، و إنى لأرجو أن أكون منهم ؛ و إن عُوقبتُ فقــد عوقب الخطّاءُون قبلى ، وما آمن أن أكون منهم ؛ و إن مَرِض عضو منّى فما أُحْصِى صحيحى ولَمَـا عُوفيتُ أكثر ، ولو أن أمرِى الى ما كان لى على ربّى أكثرُ ممـا أعطانى . وإنى و إن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإنى حَدِب على جماعتكم ، أُحبّ صلاحكم . وقد أُصبتُ بمـا ترَوْن ، فرحم الله آمرأً دعا لى بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

---

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفة ممـا يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، وقيــل : الأبواء : جبل عن يمين آرة و يمين الطريق للصعد الى مكة .

(٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق .

مَرِض أبو عمرو بن العَلَاء مَرْضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم، فقال: ما يُبْطِئ بك؟ قال: أُريد أن أُسَاهِرَك، قال: أنت مُعافًى وأنا مبتلًى، فالعافية لا تدعُك تسهَر والمرض لا يدعنى أنام، فأسألِ اللهَ أن يسوق الى أهل العافية الشكرَ، والى أهل البلاء الصبرَ والأجر.

حدثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ قال: اشتكى رجل من الأعراب، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أكثروا عليه قال: كما قلتُ لصاحبك.

قال: وقَع رجل من أهل المدينة فوَثِئَتْ(١) رِجلاه، فجعل النـاسُ يدخلون عليه ويسألونه، فلما أكثروا عليه وأُضْجِر كتب قصّته فى رُقعةٍ، فكان اذا دخل عليه [عائد](٢) وسأله دفع اليه الرقعة.

الهَيْثم بن عَدِىّ قال: كان رجل من أهل السَّوَاد مجهودًا(٣) لا يَقْصِد فى شىء إلا انصرف عنه، فغاب مرّةً فأطال، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه بَرَمٌ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها:

وما زلتُ أقطع عَرْضَ الفلاةِ * من المَشْرِقيْنِ الى المَغْرِبَيْنِ
وأطوِى الفيافىَ أرضًا فأرضًا * وأستمطر الجَدْىَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطوِى وأنشُر ثوبَ الهمومِ * الى أن رجعتُ بخُفَّىْ حُنَينِ

(١) وثئت رجله أو يده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) المجهود: هو الذى نكد عيشه. وفى الأصل «مجدود» بالدال، والمجدود: المحظوظ، والسياق يأباه.

فقـــيرًا وَقِيرًا[١] أخا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفرَ اليدينِ
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوّ * طويلَ الشّقا زانِىَ الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه : كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عنــدنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئر فذهبت حَدَبتــه فصار آدر[٢]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبتــه ، فجعل يقول : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ٱبن شُبْرُمة القاضى عن دابّته فوَثِئتْ رِجلُه، فدخل يحيى ابن نوفل الحِمْيرىّ عليه فقال :

أقول غداةَ أتانى الخبــير * فــدسّ أحاديثَـــه الهَيْنَمَهْ[٣]
لك الويلُ من مُخبِرٍ ماتقول؟ * أبِنْ لِى وعَدِّ عن الجَمْجَمَــهْ[٤]
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ة مُشْــقَلَةٌ رِجلُه مُؤْلَمَــهْ
فقلت وضاقت علىّ البلاد * وخِفتُ المُجَــلِّلَة المُعظَمَهْ
فغَزْوانُ حُرٌّ وأمّ الوليـــد * إنِ اللهُ عافى أبا شُــبْرُمَهْ
جزاءً لمعــروفه عنــدنا، * وما عِتقُ عبدٍ له أو أمَـــهْ ؟

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعــرف منزلَه ، فلمــا خرج تبِعه وقال : يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَ ما تعرفهما؟ هما سِنَّوْرانِ فى البيت .

(١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ فى إحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ، فقلنا له: كيف تجِدُك؟ قال: أجِدُني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أُناسٍ: مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد.

قيل: لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً: كيف تجِدُك؟ قال أجِدني أذوب ولا أثوب، وأجد نَجْوِي(١) أكثرَ من رُزْئي، فما بقاءُ الشيخ على هذا!.

سئل عليلٌ عن حاله فقال: أنا مُبِلٌّ غير مُستقِلّ، ومتماثِلٌ غير متحامِل.

وقيل لآخر: كيف تجدك؟ قال أجِدُني لم أرض حياتي لموتي.

وقيل لرجل من العجم: ما حالك؟ قال: ما حال منْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ! وينزل منزِلًا مُوحِشا بلا أنيس! ويَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة!.

قيل لِعِكْرِمة: كيف حالك؟ قال: بِشرٍّ، أصبحت أجرَبَ مبسورا(٢).

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قيل لشيخ من العُبّاد: كيف أنت، وكيف أحوالُك؟ فقال: ما كلُّها كما أشتهي.

قيل لآخر: ما تشتكي؟ قال: تمامَ العِدّة وانقضاءَ المدّة.

وبلغني عن مُعاوية بن قُرّة قال: مَرِض أبو الدَّرْداء، فعاده صديقٌ له فقال: أيَّ شيء تشتكي؟ قال: ذُنوبي، قال: فأيَّ شيء تشتهي؟ قال: الجنة، قال: فندعو لك بالطبيب؟ قال: هو أمرضني.

سئل رجلٌ عن حاله فقال:

كنا اذا نحن أردنا لم نَجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

(١) النجو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط، والرزء: ما يناله الانسان من الطعام.

(٢) مبسورا: به داء البواسير.

أَرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفه، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة، فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مَصْقل:

أبقى الحـوادثُ من خليـ * ـلك مثل جَنْدلة المَـراجِمْ
قـد رامنى الأقـوامُ قبـ * ـلك فآمتنعتُ من المظالِمْ

فقال مَصْقَلة: أمّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»، فقد أبقى الله منك جبلًا راسيًا وكَلأً مَرْعيًّا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوّك. وأماقولك: «قد رامنى الأقوام قبلك»، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيانَ سيّدَهم، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم؛ فأعطاه معاوية فخرج؛ فسئل عنه فقال: والله لغَمَزنى غمزةً كاد يَكسِر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا.

وقال المَدائنىّ: دخل كُثَيِّر عَزّة على عبدالملك بن مروان، فقال: ياأميرالمؤمنين، لولا أنّ سرورك لا يتمّ بأن تَسْلَمَ وأسـقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف ما بك إلىّ، ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العـافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ؛ فضحك وأمر له بمـال؛ فقال:

ونعودُ سيِّدَنا وسـيِّدَ غيرِنا * ليت التَّشَكِّىَ كان بالعُوّادِ
لو كان يُقْبَـلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفى وتِلادى

وقال آخر:

لا تَشكُوَنْ دهرًا صَحَحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحـةِ الجسمِ
هَبْكَ الخليفةَ، كنتَ منتفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّـقْمِ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ابنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس(١) هلّا ساعةً غيرَ هذه ! قال ابن عباس : إنّ أَحَبَّ الساعاتِ إلىّ أنْ أُؤَدِّىَ فيها الحقَّ أشقُّها علىّ .

وكتب رجل إلى صديق له : كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوّتك ونشاطك ؟ لا عَدِمتَهما ولا عَدِمْنا هما منك، وأعادك الله إلى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تَفضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل وأشدُّ تسكينا للاعج الشوق .

وقرأت فصلا فى كتاب(٢): لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذِكْرَك ولا لسانى لحصًّا عن خبَرِك فى مُمْساك ومُصْبَحك وتنقل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد فى ألمها ألمك ومن تتّصل بك أحواله فى السراء والضراء . ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا .

وقال عبد بنى الحَسْحَاس :

تجمّعْنَ من شَتّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغْنَ ثمانيَا
سُلَيْمى وسَلْمى والرَّبابُ وزينبُ * وهنــدٌ ودَعدٌ والمُنَى وقَطاميَا
وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَنِى * ألَا إنّ بعضَ العائداتِ دوائيَا

(١) أبو العباس : كنية عبد الله ابن العباس . (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا : « لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى لحصا عن خبرك يحب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد فى ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء . ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله » . وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يحب» نابية، ولعل أصل العبارة : وكيف بمن يحب الخ أو نحو ذلك .

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرى :

ما لى مَرِضتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويمـرَضُ كلبكم فأعـودُ

فسُمِّى «عائدَ الكلب» ، وولدُه الآن يسمَّوْن «بنى عائد الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّل به فيها

حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثَّقَفِى : أتانى آبن جُرَيج بمكة يُعَزِّينى عن بعض أهلى ، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا وآحتسابا سلا كما تسلُو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلمىّ إلى المهـدى يعزِّيه عن آبنته : أما بعـد ، فإن أحقَّ مَنْ عرَف حقَّ اللهِ فيما أخَذ منه من عَظَم حقَّ الله عليه فيما أَبْقى له . وآعلم أنّ المـاضى قَبلَك هو البـاقى بعـدك ، وأنّ أجر الصـابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منـه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب ، أولَى من التَّعْزِية على عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها * للهِ فى ظِلِّ المَكارهِ كامِنـهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشَقّ ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعْمر السَّلَمى : والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضًا ، ففُوك أهونُ علينا من سمعك و بصرك .

وقال صالح المُرِّىُّ لرجلٍ يعزِّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ فى نفسك مَوْعِظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المَرْزِئَةِ سوءُ الخلف عنها . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ

عَزَّى شَبِيبُ بن شَيْبة المَهْدِىَّ عن بانُوقة(١)، فقال : يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها .

عزَّى رجلٌ عبدَ الله بنَ طاهر عن ٱبنته فقال : أيها الأمير، مِمّ تجزَع ؟

* الموتُ أكرمُ نَزّال على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تَقَنَّعَا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُترت بقبرِ

وعزَّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكَها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَدُ
هَل ٱبنُك إلّا من سُلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضى الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودٌ الورّاق :

يمثِّل ذو اللبّ فى نفسه * مصائبَه قبل أن تَنْزِلَا

(١) بانوقة : بنت كانت للمهدىّ .

فإن نزلتْ بغتـــةً لم تَرُعْه * لِمَـا كان فى نفسه مثَّـلَا
رأى الهمَّ يُفْضِى الى آخرٍ * فصــيَّر آخرَه أوّلَا
وذو الجهــل يأمَنُ أيامَه * ويَنْسَى مصارعَ من قدخلَا
فإن بدهَتْهُ صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبــه أعْوَلَا
ولو قــدَّم الحزمَ فى أمره * لعلّمه الصــبرَ عنـد البَلَا

عزّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن آبنٍ له ،فقال : أَيَسُرُّك وهو بليَّة وفتنة، ويُحْزِنك وهو صلاة و رحمة! .

وعزّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن آبن له فقال : كان لك من زِينةِ الحيـاةِ الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

توفّى سُهَيل بن عـبد العزيزبن مروان ، فكتب الى عمرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأَطْنب فى كتابه، فكتب اليه عمر :

حَسْبِىَ(١) حياةُ الله من كلّ ميّتٍ * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقِيتُ اللهَ عــنِّىَ راضياً * فإنّ شفاءَ النفس فيما هنـالك

كتب آبنُ السَّمَّاك الى الرشيد يعزّيه بآبنٍ(٢) له : أما بعدُ، فإن آستطعتَ أن يكون شــكرُك لله حينَ قبَضــه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهَبه،(٣) فإنه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنته، أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفك لِفراقه! أَرضِيتَ الدارَ لنفسك فتَرْضَاها لآبنـك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، و بقِيتَ أنت معلّقا بالخَطَر . وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، و إنمـا هى واحدةإن صبرت ، فلا تَجْمَعِ الأمرين على نفسك .

(١) دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن . (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له» .
(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبى دُلَف : المصائبَ حالّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلْهِمَه الرضا ويَبْسُطَ أملَه فيما عنده من الثواب الآجل والخَلَف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وآنتقاما، أوّله حُزْن وأوسطُه قُنُوط وآخرُه ندامة، وهى المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تَزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك فى مَوَاضِى الأيام، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلَّتْ، فإنّ فيما أكرمنى الله به مِنْ جَمِيل رأيِ الأمير وما وضَح للناس من فضل عنايته وآبتدائه إيّاىَ بكُتُبه[1]، ما عجّل العِوضَ من المفقود .

وفى كتاب آخر: لئن كانت المصيبة جلَّت، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عوضا وافيا وخَلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزَاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت فى كتابٍ لبعض الكتّاب فى تَعْزِيةٍ : أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلَمتِ الأيامُ من مكانه، ويعمِّر ما أَخْلتْ من مَشاهِده وأوطانه حتى لا يَعْفُوَ الدائر، وأن يَسْتقبِلَ لكم أيّامَكم بأحسنِ ما أَمْضاها لمن مضَى منكم، فيجعلَكم الخلَفَ الذى لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت فى كتابِ تَعْزِيةٍ : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أن تَسْفَحها، ولا على ألمٍ فى القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك، ولا عذر فى سواهما مما أَحْبَط أجرَك وأَشْمت عدوّك وضعَّف رأيَك، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رُوحًا ولا الى من خلَّف

(١) فى الأصل : « ... وما وضح للناس فإن فضل عنايته وابتدايته إياى ...الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقلِ وذى الجهل فى مصيبتيهما تعجُّل العـاقلِ من الصبرما يتأجَّل الجاهلُ .

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقيه ذلك من إخوانه ويَفْديه منه بالأخَصّ من أَعِزّته والأنفَسِ من ماله ، سلِمتَ من مُلِمّها ، وكان سَبْقِى الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظِّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كتاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ، وما نالك من ألمِها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمِها لحَملتُ مثلَه على نفسى ، فإنى أُحِبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل سارّ وغامّ ، وألّا أتمتّعَ بأيام غُمُومِك ، ولا أقصِّرَ فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسـأل اللهَ حسنَ الاستعدادِ لمـا نتوكّفه[1] ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشْغَلَنا بمـا يَقِلُّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عمِلتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها و بينَـه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصـبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ خارِجة اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قَبُح الثنـاء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءَك ! فقالت : إن فَقْدى إياه أمّننى من المصيبةِ بعده . ونحوه قول الشاعر[2] :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبـق لى شىء عليـه أُحاذِرُ

---

(١) نتوكفه : نتوقعه .
(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى و بين محمد * وليس لمـا تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفِي الإلٰهَ اذا اشتكَى * من الأجرِ لى فيه و إن سرَّنى الأجرُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

وكما تَبْـــلى وجوهٌ فى الثَّرَى * فكذا يبـلَى عليهن الحَـــزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصبْ منه"[1].

ويقال : المصيبة المُوجِعة تُدِرّ ذكرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيـّـة وبين يديها فتًى فى السِّيَاق[2]، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدَح سَوِيق تشربه ، فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : وارَيْناه ؛ فقلت : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ يأكل القومُ زادَهم * على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ

قيـل لأعرابىّ : كيف حزنُك اليوم على ولدك؟ فقـال : ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قبلَ المصيبةِ ، فإذا وقعتْ فالْهُ عمّا أصابك .

اِشتكى بعضُ أهل محمد بن علىّ بن الحسين فجَزِع عليه ، ثم أُخبِر بموته فسُرِّىَ عنه ؛ فقيل له فى ذلك ، فقـال : ندعو اللهَ فيما نحبّ ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أَحبّ .

لمـا مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قضَى اللهُ فيه ماقضى فما أُحبُّ أنّى دعوتُه فأجابنى .

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

قال رجل من طيِّئ :

فلولا الأُسَى[1] ما عِشتُ فى الناس ساعةً * ولكن إذا ما شئتُ أسعَدنِى مِثــلِى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ ٱصطباراً وحِسْبَةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائِم

عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، لِيَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك ، عمن هو فى شُغُل مما[2] دخل عليك ، وأَعِددْ لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجزَع وسِترًا من النـار . فقال يا محمد ، أرجو ألا تكون رأيتَ غَفْلة تُنبّه عليهـا ولا جزعاً يُستتَر منه ، وما توفيق إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين ، إنه لو ٱستغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفضلٍ لكُنْتَه ، ولكنّ اللهَ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

ويفــرَح بالشىء المُعَـارِ بقـاؤه * ويحـزن لمّـا صـار وهو له ذُخُر
عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبَسٌ * فإنّ ٱبنَك المحمودَ بعد ٱبنِك الصّبرُ

وقال أيضا :

أَمالِكُ إنّ الحــزنَ أحلامُ نائمٍ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائِم
تأمّلْ رُوَيْدًا هل تَعُدَّنَّ سالمًـا * الى آدمٍ أم هل تَعُدُّ ٱبنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلَّدِ * وٱعلم بأن الدهر غيرُ مخـلّدِ

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « عما » .

أوَما تَرى أنّ الحوادثَ جمّةٌ * وتَرى المنيةَ للعباد بمَرْصَـــدِ
واذا أَتَتْك مصيبةٌ تَشْجَى بها * فَاذْكر مُصابَك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نَجْرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام: لا يُحْزِنْكم الله ولا يَفْتِنْكم، أثابكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبَيْرِيّين رجلا فقال : لا يَصْفَرْ(1) رَبْعُك ، ولا يُوحِش بيتُــك ، ولا يَضِعْ أجرُك، رحِم الله متوفّاك، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقْبَل الفِدَى * فَـدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهرِ
فياليت مَنْ فيهـا عليها وليت مَنْ * عليهـا ثوى فيهـا مقيمًا الى الحَشْرِ
وقاسمنى دهرِى بَنِيَّ بشَــطْرِه * فلمـا توفَّى شطرَه مال فى شَطْرِى
فصـاروا ديونا للنـايا ومن يكن * عليــه لهـا دين قضـاه على عُسْرِ
كأنّهــمُ لم يعــرِفِ الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ عـلى ثُكْلٍ وقــبرٌ على قــبرِ
وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبلَ وفاتهم * فلما تُوُفُّوا مات خوفى من الدهرِ
فللّه ما أعطَى ولله ما جـــزَى * وليس لأيام الرَّزِيَّة كالصبرِ
فحَسْــبُك منهم مُوحِشًا فقــدُ بِرِّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجرِ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال: أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

---

(1) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبِيّ :

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الـ * ـأحْشـاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
فُجعتُ بابنىَّ ليس بينهــما * إلا ليالٍ ليستْ لهـا عـــدَدُ
وكلُّ حزنٍ يَبْـلَى على قِدمِ الـــدَّهرِ وحُـــزنِى يُجِــدُّه الأبدُ

وقال أيضا :

ألا يَزْجُرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقِّ البنـاتِ ويُفْنِى البنينَا
وأَنْحَى عــلىّ بِلا رحمـــةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونَا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقِّى بهـم أعينَ الحاسدينا
فمَـرُّوا على حادثاتِ الزمان * كمَـرِّ الدراهـــمِ بالناقدينا
فأفنتهـمُ واحدًا واحــدًا * الى أنـ أبادتهمُ أجمعينا
وأَلْقَيْن ذاك الى ضـارِحٍ (١) * وأَلْقَيْن هــذا الى دافنينـا
وما زال ذلك دَأْبَ الزما * ن يُفْنِى الأوائلَ فالأوّلينـا
وحـتّى بكى لىَ حُسّــادُهم * فقد أَقْرَحُوا بالدموعِ الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بامرئٍ * تَرَى حاسـدِيهِ له راحمينـا
وكـانوا على ظهرها أنجُمًا * فأَضْحَوْا الى بطنهـا يُنْقَلونا
فمن كان يُسْليه مَرُّ السنين * فحُـزْنِى يجدِّده لِى الســنونا
وممـا يسكِّن وجدِى بهــم * بأن المَنُونـ ستَلْقَى المنونَا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزَّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده، اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم، وعظَّم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح للميت اذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تجْزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبِرْ ففى الله عِوَضٌ من كل فائتٍ؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجركم .

وقال أعرابىّ :

أَيُغسَل رأسِى أو تَطِيبُ مَشَارِبِى * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجِيك طرفُه * وليس لمن وارَى الـتراب نَسيبُ
وإنى لأستحيِي أخى وهو ميّتٌ * كما كنتُ أَسْتحيِيه وهو قريبُ

وقال أعرابىّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * أقمنا قليلًا بعدهم وتقـدّموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكَى * من الأجرِ لى فيه وإن سَرّنى الأجرُ
وأجزَع أن يَنْأَى به بَيْنُ ليـلةٍ * فكيف ببَيْن صـار مِيعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإِنّا وإخوانًا لنا قد تتابعوا * لكالمغتـدِى والرائح المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجمىّ :

ربّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمتْـه كفُّ مغترِسِـهْ
وكذاك الدهر مأتمُـه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبى سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ آمرئٍ وأمامَه * وأَوْحش من جيرانه فهـو سائرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يومًا فلانٌ * راعنا ذاك ساعةً ما نُحِـــيرُ
نذكُرُ الموتَ عند ذاك وننسا * ه اذا غيَّبته عنا القبـــورُ

وقال آخر :

نُراع من الجنائز قابلتنا * ونلهـو حين تخْفَى ذاهباتِ
كَرَوْعةِ ثَلَّةٍ(١) لمُغَـارِ ســبع * فلمـا غاب ظلَّت راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرَّحيـ * ـلِ وإنّا لبالأثَرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أذْكَرُ لله من أن يُذَكَّر به، وأعلَمُ بما قضَاه على خلقِه من أن يُدَلَّ عليه، وأسلَكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قَدَرِه والتنجُّز لوعدِه، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظِّه، أو أن يَحْتاج معزِّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه. فزاده الله توفيقًا الى توفيقه، وأَحْضره رشدَه، وسدّد للصواب غرضَه، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره، إنه سميعٌ قريب. وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفَّى ما أَنْقَضَ(٢) وأَرْمضَ، وفجَعَ وأَوْجع، علما بما دخل على الأمير من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أُنسه من الوحشة، الى ما خصَّنِى منـه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة. فأَعْظم الله للأمير الأجر، وأَجْزل له الذُّخر، وعصَـمه باليقين، وأنجز له ما وعد الصابرين؛ ورحِم المتوفَّى ولقَّاه الأمنَ والرَّوْحَ، وفسَح له فى المَضْجَع، وجمَعــه(٣) وإيّاه بعد العمر الطويل فى الدار التى لا خوفَ عليهم فيها ولا هم يحزنونَ.

---

(١) الثلة (بالفتح) : جماعة الغنم الكثيرة، والثلة (بالضم) جماعة الناس. (٢) أنقض : أثقل وأرمض : أوجع. (٣) فى الأصل : «وجمع له وإياه».

وفى كتاب : نحن نحمدُ اللهَ أيّها الأمير إذ[1] أخَذ على ما أبْقَى منك، وإذ[1] سلَب على ما وهَب بك؛ فأنت العِوَض من كل فائت، والجابر لكلّ مصيبة، والمؤنِس من وَحْشة كلّ فَقْد؛ وحقٌّ لمن كنت له وليًّا وعَضُدًا أن يَشْغَله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

وكتب سَعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزِّى على سلوكِ السبيل التى سلَكها الناسُ قبله والمُضِىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أمّ الأمير، فنالنى من ألم الرَّزِيّة وفاجع المصيبة ما ينال خَدَمَه الذين يخصُّهم ما خصّه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المِحَن. فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمةٍ عنده نقصا، ووفّقه عند النعم للشكر الموجِب للمزيد، وعند المِحَن للصبر المحرِز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب. ورحم الله الماضيةَ رحمةَ مَنْ رضِىَ سعيَه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأمير عن أن يعزّيه مثلى بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشِّفَاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة، وقبول العذر عمّن حِيل بينه وبين الواجب .

ولابن مكرم : ومما حرّكنى للكتاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوة العقل وأَصالة الرأى، ومدّ له من عِنانه الى قُصْوى الغايات، فإنا لله وإنا اليه راجعون على ما أفاتَتْنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وغالَى فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» . (٢) لعله «عمن» .

وأجزل لك العوض والذُّخر. فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدَادُ ثُلْمته وجابر رزيّته. وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليتْ تربيتك وحِيَاطتَك فى طبقات سِنِّك، وولَدٍ رُبُوا فى حِجْرك ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقيل إلا فى ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أَحْرب أحوالَهم بعِمارة مروءته، وقطَعهم بصلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلِفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما (١) نطق عمـا نالك وأبْقَى عندك، وهو حقُّ مِثْلِها وقَدْرُ مُلِمِّها.

وفى فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بمـا تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِتْرا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذورٍ. فأَعْظم الله أجرَك، وأَجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك؛ ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدِم رجل من عَبْسٍ، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد؛ فسأله عن سبب ضُرِّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على مالى، فطرَقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا، فنَدَّ (٢) البعـيرُ والصبيُّ معى فوضعتُه واتَّبَعْتُ البعيرَ لأحبِسه، فمـا جاوزتُ إلّا ورأسُ الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه وأَتْبعْتُ البعيرَ، فاستدار فرمَحَنى رَمْحةً حطَم بها وجهى وأذهب عينى، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: آذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أن فى النـاس من هو أعظم بلاءً منه؛ وكان عروة بن الزُّبير أُصيب بآبنٍ له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

---

(١) لعله: «بما». (٢) ندّ البعير: شرد.

يعني بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنّ أربعا — يعني يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثًا[(١)]. أحمدُك، لئن كنتَ أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافيتَ. وشخَص الى المدينة فأتاه الناس يبْكون ويتوجّعون؛ فقال: إن كنتم تُعـدُّونَني للسِّباق والصِّراع فقد أَوْدَى، وإن كنتم تُعـدُّونني للّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال علىّ بن الجَهْم:

مَنْ سبَق السَّلوةَ بالصبرِ * فاز بفضل الحمـدِ والأجرِ
يا عَجَبًا من هَلِـعٍ جازعٍ * يُصبح بين الذمّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان فى دِينِه * أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعضُ[(٢)] الشعراء:

ليتَ شعرِى ضَلَّةً * أىُّ شىءٍ قتَلَكْ
والمنايا رَصَدٌ * للفتى حيث سلَكْ
كُلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ
ليت نفسى قُدِّمتْ * للمنايا بَدَلَكْ
أىُّ شىءٍ حَسَنٍ * للفتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر:

غُرَّ امرؤٌ مَنَّتْه نفـ * ـسُ أن تدومَ له السلامَهْ
هيهاتَ! أعيا الأوليـ * ـن دواءُ دائك يادِعامه

(١) فى الأصل: «ثلاثة» باثبات التاء.

(٢) كذا بالأصل. وفى شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأوّلها:

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك

ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا.

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرْثومةٍ (١) سَمَوَا * حِينًا بأحسنِ ما تسمُو له الشجرُ
حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما (٢) وٱستُنْظِرَ الثمرُ
أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِى الزمانُ على شيءٍ ولا يَذَرُ
كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ * يجلو الدُّجى فهَوَى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لكلِّ أُناسٍ مَقْبَرٌ (٣) بفِنائهم * فهم ينقُصون والقبورُ تَزِيدُ
وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد ٱخلقَتْ * وبيتٌ لمَيْتٍ بالفِناء جديدُ
هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم * فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِد اللهُ أقوامًا لنا ذهبُوا * أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ
نَمُدُّهم كلَّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يَؤوبُ الينا منهمُ أحدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَين أنّ الأرضَ بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالِى

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ (٤) حِقْبةً * فحال قضاءُ الله دون رجائيَا
ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما * عليك من الأقدار كان حِذارِيَا

(١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُك ما وارَى الترابُ فِعالَهُ * ولكنه وارَى ثيابا وأعظُما

فَضَالةُ بن شَرِيك (١) :

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بفادحةٍ سَمَدْنَ (٢) لها سُمُودا

فردّ شعورَهنّ السودَ بيضًا * وردّ وجوهَهن البيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهن أوانِسٌ * بجوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبتُه فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه حياتَه (٣) * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِيّ :

فإنْ يَكُ أفنتْه الليالِي فأوشكتْ * فإنّ له ذكرًا سيُفْنِي اللياليَا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة :

تَعَزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعدَه * عزاءً وجفنُ العينِ مَلآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بعدَه * ولكنَّ نَكْءَ (٤) القَرْحِ بالقرحِ أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى.

(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وأنتم سامدون) أو هو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد. وقيل معناه رفعن رءوسهن يتحسرن.

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر. وفى الأصل : «إلى».

(٤) النكء : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فندِيت.

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن[1] حادث النعمة من الحظ، الى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقَّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الارتماض[2] لضرّائك والجذلِ بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتصال حالِك بى فى الأمرين .

التــهانى

حدّثنى زيد بن أخزم[3] قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبدالله النّاجى قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليَهْنِئْك الفارسُ ؛ فقال : لعله يكون بغّالا[4]، ولكن قل : شكرتَ الواهبَ، وبُورك لك فى الموهوب، وبلغ أشُدَّه، ورُزِقتَ بِرَّه .

قال مُجاهد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا دعا لمتزوّج قال : "على اليُمْن والسعادة والطير الصالح والرزقِ الواسع والمودّة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنّئه بتزويج : باليمن والبركة، وشدّة الحركة، والظفر فى المعركة .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَنْهَى أن يقال : « بالرِّفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أوّل مَنْ هنّأ وعزّى فى مَقامٍ واحد عَطاءُ بن أبى صَيْفِىٍّ الثّقفىّ، عَزَّى يزيدَ بنَ مُعَاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس بابَ الكلام، فقال : أصبحتَ رُزِئتَ خليفةً وأُعطيتَ خلافةَ الله . قضى معاويةُ نحبَه، فغفر الله ذنبَه ؛ ووَلِيتَ الرياسة، وكنتَ أحقَّ بالسياسة ؛ فآحتسبْ عند الله أعظمَ الرزيّة، وآشكر الله على أعظم العطيّة . وعَظَّم اللهُ فى أمير المؤمنين أجرَك، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك .

وقالت أعرابيّة للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرَك فى أخيك، لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عِوَضَ لها أعظمُ من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أخزم بمعجمتين .
(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيَّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتُنْكِحون أم تَرُدّون(١)؟ قالوا: بل أنكحْنا وأنعمْنا. فرجع ابنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينَك، وجمع شملَك، وأنبت رَيْعَك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله وَدُودا وَلُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخيرِ مُنتَقَلٍ، وعلى أيمنِ طائر، ولأَحْسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلًا وآجلًا خيرَ منازلِ المُفْلحين.

وقال ابن الرِّقاع لمتزوّج:

قمرُ السماء وشمسُها اجتمعا * بالسَّعدِ ما غابا وما طَلَعَا
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سُمِعَا
دام السُّرورُ له بها ولها * وتهنّأا طولَ الحياةِ معا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من اجتماع الشَّمْل، بضمّ الأهل، فشَرِكْتُك في النعمة، وكنتُ أُسوتَك في السرور، وشاهدتُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فخَلَتُ بذلك محلّ المُعايِن للحال وزينتها، فهنيئًا هَنَأك الله ما قَسَم لك، وبالرِّفاءِ والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكتّاب الى عامل: نحن من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تَلِي من أعمالك، وخَطْمِك وزَمّك إيّاها بحَزْمك وعَزْمك، وانتياشِك أهلَها من جور مَنْ وليهم قَبْلَك، وسرورِهم بتطاوُل أيّامك والكونِ في ظلّ جَناحك، في غايةِ مَنْ تخصّه وتَعُمّه نِعَمُك، وتَجُولُ به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبةَ لك، ولم يرُدَّ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئًا هَنَأك الله نعمَه خاصَّها وعامَّها، وأوزَعَك شكرَها، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيدِ فيها.

(١) في الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضي «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانىّ قد أسلم يهنئه : الحمـدُ لله الذى أرشَدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجَاحةَ رأيك ؛ فما كانت الآدابُ التى حويتَها ، والمعرفةُ التى أُوتيتَها ، لتدوم بك على غَوَايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرح ذَوُو الحجا من موجبي حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَكَ البِدارَ الى الدّين القيِّم الذى لا يقبَـل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنـا أخًا نَدين بمودّته ومُوالاته بعد التأثّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ او إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجٍّ : الحمدُ لله على تَمـام مُهَاجَرِكَ ، وسلامةِ بَدْأتك ورَجْعتك ، وإعظامه المِنَّةَ بأَوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبَرّ حَجَّك ، وتقبَّل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبَه مُفْلِحا مُنْجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تَبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمَك نيّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقًا يَحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهَنَأكم الله النعمةَ ، وجمعكم فى دار الخلافة ، وجعلكم ساسةَ الامّة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنّكم زَيْنُ السلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ أهلِ الزمان .

وكتب الى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بفِطام مولود : أنا — أعزّك الله — لمّا حمّلنى الله من أياديك ، وأودعنى من إحسانك ، وألزمنى من شكرك ، آخذ نفسى بمراعاة أمورك ، وتفقّد أحوالك ، وتَعَرُّف كلّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابلَه بما يَلْزمنى ، وأقضى

الحقَّ فيه عنّى بمَبْلَغ الوُسْع ومقدارِ الطاقة، و إن كانا لا يبلُغان واجبَك، ولا يستقِلّان بثِقْـل عارفتك . وكلُّ ما نَقَّل الله الفتى [و]بلّغه من أحوال البـلوغ ورقّاه فيه من درجات النموّ، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تُلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة. وكتب الىّ وكيلى المقيمُ ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام، وصَلَاح جسمه عند الطعام، وسَلْوته عن أوّل الغذاء، وسرورك ومَنْ يليك بما وهب الله فى هـذه الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنـه ؛ فأكثرتُ لله الحمـدَ، وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة، وتصدّقت عنه بمـا أرجو أن يتقبّله؛ وكتبت مهنئا بتجدّد النعمة عنـدكم فيه . فالحمدُ لله المتطوّلِ علينا قِبلَه بمـا هو أهله، والمجْرى لنا فيما يُوليك على حسن عادته . وهَنَأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيَر، وحَرَسها بالشكر، و بلَغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العِيَان واليقين، بمنّه وفضله .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بحجٍّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء، من جلائل حقوقهـم على أوليائهـم. وقد خصّ اللهُ حقَّـك بما لا يَسَعُنى معه آدّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشـكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأَوْبة، إذ كان الكِتابُ بها دون السـعى بأبلغ نصيبٍ من التقصير. وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعَمر بك مَشاهِدَه العِظَام، وأوردك حَرَمَه سالمـا، وأصدرك عنه غانما، ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْنِئَك بمـا أنعم به عليك فى بَدْأتك ورَجْعتك، بتقبُّل السـعى ونُجْح الطَّلِبـة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدّدها الله عندك، والصنعُ الجميـلُ تُحدثه لك الأيّام، إلّا كان آرتياحى له وآستبشارى به وآعتـدادى بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقّك الذى توجبه، و بِرّك الذى أشكره، و إخائك

الذى يَعِزّ ويَجِلّ عندى موقعُه، فجعل الله ذلك فيه وله، ووصَله بتقواه وطاعته . وبلغنى خبرُ الوِلاية التى وَلِيتَها، فكنتُ شريكَك فى السرور وعديلَك فى الآرتياح، فسألت الله أن يُعرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقَك خيرَها وعادتَها، ويُحسِنَ معونتَك على صالح نِيّتــك فى الإحسان إلى أهــل عملك والتألُّف لهم، واستعمالِ العــدلِ فيهم، ويرزقَك محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خيرَ رعيّة .

وكتب رجلٌ الى معزول: فإن أكثرَ الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وقال أيضا : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والآستدلالِ بما كان منها على مايكون، مَغْنًى عن الإكثار فى القول . وقد بلغنى آنصرافُك عن العمل على الحال التى آنصرفتَ عليها من رضا رعيّتك ومحبّتهم وحسنِ ثنائهــم وقولهم، لِمَـا(٢) بقّيتَ من الأثرِ الجميل عند صغيرهم وكبيرهم، وخلّفت من عَدْلك وحسنِ ســيرتك فى الدانى منهــم والقاصى من بلدهم؛ فكانت نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شــكرُها . فالحمــدُ لله على ما أعطاك، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أعْداك، ومكّن لك من الحال عنــد مَنْ وَلّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مَنْحًا(٣) مجدَّدا، يجب به تهنئتُك، كما يجب التوجُّعُ لغيرك .

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئةٍ بحجّ : لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ بها تفضُّلُك ويَبْسُطه آحتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنّئا لك بالأَوْبة، ومجدِّدًا

---

(١) فى الأصل: «الخيار» . (٢) فى الأصل : «ما بقيت» . (٣) بالأصل: «منعا» بالعين المهملة .

بك عهدًا، ومُحييًا نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل اللهَ أن يشكُر سعيَك، ويتقبَّل حَجَّك، ويُثْبِت فى عِلِّيِّين أثرَك، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكُتّاب : لا مُهَـنِّئَ أولَى ما يكون مهنِّئا، تعظيمًا لِنعَمه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية، منّى؛ إذ كنتُ أرجو بها ٱنضمامَ نَشْرى، وتَلَافِىَ اللهِ بعنايتك المتشتِّتَ من أمرى . فهَنَأَك الله تجدُّدَ النعم، وبارك لك فى الوِلاية، وٱفتتحها لك بالصُّنْع الجميل، وختَمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدَ[1] بنَ صَفْوان شَبِيبُ بن شيبة فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرِّ ولا عدوٌّ فى العلانيَة .

وقال الشاعر :

وإنّ من الخُلَّان مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى * به وهو داعٍ للوِصالِ أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُه * فحُلْوٌ وأمّا غَيْبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن الى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها؛ فقال : أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأَفْناء[3] العرب، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم اذا لقيهم؛ فقال : ما يسمَّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون؛ قال : فٱشهدوا أنّى منهم، فما فيمن وَصَفْتُم أحزمُ من هؤلاء .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ » ، وهى تزيد الضبط الذى أثبتناه .

(٢) ظنون : لا يوثق به .

(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم ٱكْفِنى بوائقَ الثِّقات، وٱحفَظْنى من الصَّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره : جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعـرِفه خيراً ، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم .

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزّيات :

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَـا صِرتَ حربًا عَوَانَا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنت أُعِـدُّك للنائبـات * فهأنا أطلبُ منـك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ :

كانَ صديق وكان خالصتِى * أيّامَ نجرِى مَجارِىَ السُّـوَقِ
حتى اذا راحَ والملوكَ معـا * عَدّ ٱطِّراحِى من صالحِ الخُلُقِ
خَلّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِقِ
لَبِستُه لِبْسةَ الجديدِ على الـ * ـفَقْرِ وفارقتُ فُرْقـةَ الخَـلَقِ

وقال آخر :

إذا رأيتَ ٱمرأً فى حال عُسْرتِهِ * مُواصِـلًا لك ما فى وُدِّه خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بانتـقال الحالِ ينتـقلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنـه : لولا أنِّى أشفقتُ من أشتات ظنى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك مُؤنتى (١)، ثقةً بأنّ آزديادَك من معرفة الناس سـتردّك إلىّ، فان رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ وٱغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَـعْ مُوَلِّيا، ولم آسَ على مُدْبِر، ولم أسامح نفسى على تعلّقها بك،

(١) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتّاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانّه .

ولم أُساعِدْها على نِزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبي ذلك، فكررتُ وعطفتُ أسّى على أيّامي معك وما توكّد بيني و بينك . وما من كَرّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك . ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفَّ تَحَمُّلُ ما يكون منك علىّ ولا جدت(١) فى عتابك و رضاك .

وفى جواب كتابٍ : وقد وزعني ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته؛ وقد قيل :

يأبَيْنَ إلا جفوةً وظلَما * من كثرة الوصل تجنّى(٢) الحُرْمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابك بإيحاشى، وفى اعتدادك علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكِر الخلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بينى و بينك قطّ ، فإنى لم أُخالفك ولم أشاحِكَ ولم أنازعكَ ولم أعارض نَعَمَكَ نعمَكَ بِلَا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لها فيك إذ قرّت وكفّ نِزاعُها
هى النّفسُ ما كلّفتُها قطُّ خُطّةً * من الأمر إلا قلّ منه امتناعُها
صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همِّها * فأَجهَدُها إذ قلّ منك آنتفاعُها
هَبْ آنّى أعمى فاتتِ الشمسُ طَرْفَه * وغُيِّبَ عنه نورُها وشُعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَيلًا كان شيئًا مُلفّفًا * فكشّفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تتجنى حذفت إحدى تاءيه .

فأنت أخى ما لم تكن لى حاجةٌ * فإن عرضتْ أيقنتُ أنْ لَا أخَاليَا
فلا زاد ما بينى و بينك بعـــد ما * بلوتُك فى الحـاجات إلا تمَـاديَا
فلستَ براءٍ عيبَ ذى الوُدّ كلّه * ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيَا
فعين الرضـا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخط تبدى المَساويَا
كِلانا غَنِيٌّ عن أخيه حيـاتَه * ونحن إذا مُتْنا أشـدُّ تَغَانيـا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعدُ، فقد عاقنى الشكّ فيك عن عزيمة الرأى فى أمرك، ابتـدأتَنى بلطف عن غير خبرة،(١) ثم أعقبتَنى جفاءً من غير ذنب؛ فأطمعنى أوّلُك فى إخائك، وآيسنى آخرُك من وفائك؛ فلا أنا فى غير الرجاء مُجمِعٌ لك آطّراحا، ولا أنا فى غدٍ وآنتظارِه منك على ثقة؛ فسبحانَ مَنْ لو شاء كشَف بإيضاح الرأيِ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك، فأقمنا على آئتلاف، أو آفترقنا على اختلاف.

وكتب رجلٌ الى صـديقٍ له : نحن نسـتكثرك بآعتزالك ، ونسـتديم صلتَك بجفائك، ونرى الزيادةَ فى الغمّ أدوَمَ(٢) لجميل رأيك . ومثلُه قول كُثَيِّر :

و إن شَحطتْ يومًا بكيتُ و إن دَنتْ * تدلّلتُ وآســتكثرتُها بآعتزالهـا

ونحوه قولُ الكُمَيْت :

وقد يخـذُلُ المولى دُعائى ويجتدى * أذَاتى و إن يَعدِلْ به الضيمُ أغضَبِ
فأُونِس من بعضِ الصـديق ملالَةَ الدُّ نُوّ — فأ ستبقيهـمُ — با لتجنُّبِ

وقال آخر :

إنك ما أعـلمُ ذو مَـلّةٍ * يُذهلك الأدْنَى عن الأقدمِ

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «ابتدأتنى بلطف عن غير حرمة» . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « ونرى الزيارة فى الغب أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حَسّان :

لا خيرَ فى الودّ ممن لا تزال له * مستشعراً أبدًا من خِيفةٍ وَجَلا
اذا تغيّب لم تَــبرَحْ تُسيء به * ظَنًّا وتسأل عمّا قال أو فعــلَا

وقال مُرّة بن مَحْكَان :

ترى بيننــا خُلُقًــا ظاهراً * وصدرًا عدوًّا ووجهًا طليقَا

ونحوه قول المرّار :

كَذِبٌ تَخَرّصه علىّ لقومه * سَلْمُ اللسانِ محارِبُ الإسرار

وحدّثنى أبوحَمْزةَ الأنصارىّ قال : حدّثنا العُتْبِىّ قال : قالت أعرابية لابنها : يا بنىّ، إياك وصُحبةَ مَن مودّته بِشْرُه فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخلِص لك وُدّه، ويبلُغ فى محبتك جهدَه . وأخٌ ذو نيّة يقتصر بك على حُسْن نيّته، دون رِفْده ومَعُونته . وأخ يُلَهْوِقُ لك لسانه[1]، و يتشاغل عنك بشانِه، ويُوسعك من كذِبه وأَيْمانه .

وقال المُثقّب العَبْدىّ :

فإمّا أن تكونَ أخى بصدقٍ * فأعرِفَ منك غَثّى من سَمِينى
وإلا فَٱجْتنبْنِى وٱتّخِـذْنِى * عدوًّا أتّقيــك وتتّقيــنِى

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

وليس أخوكَ الدائمُ العهــد بالذى * يسوءكَ إن ولّى ويُرضيك مُقْبِــلَا
ولكن أخوكَ النــائى مادمتَ آمنا * وصاحبُك الأدنى إذا الأمرُ أَعْضلا

(١) كذا فى الأصل ولعله : «بلسانه» واللهوقة والتلهوق : أن يبدى الانسان غير ما فى طبيعته و يتزين بمــا ليس فيه من خلق ومروءة وكرم .

وقال آخر :

لَعَمْــرُكَ ما وُدُّ اللسان بنــافعٍ * إذا لم يكن أصلُ المودّة فى القلب

وقال أبو حارِثة المَدَنىّ : ليس لملولٍ صديقٌ ، ولا لحسودٍ غِنًى ، والنظرُ فى العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأَحْنف :

أشكو الذين أذاقونى مودّتهم * حتى اذا أيْقظونى فى الهوى رقَدُوا
وآستنهضونى فلمّـا قمتُ مُنتَهِضًا * بِثِقْل(١) ما حمّلونى فى الهــوى قعَدُوا

ونحوه قول المجنون :

وأَدْنَيْتِنى حــتى إذا ما سَبَيْتِنى * بقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ(٢) سَهْلَ الأباطح
تجافيتِ عنّى حينَ لا لِىَ حِيــلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح(٣)

وقال آخر :

ولا خــير فى وُدّ إذا لم يكن له * على طول مَرّ الحادثات بقــاءُ

وأنشد آبنُ الأعرابىّ :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنــده * ومَن حبــلُه إن مُدّ غيرُ متين
ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسبابَ كلِّ قرين

(١) فى الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستنهضونى فلمــا قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . (٣) نسب القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج فى الأغانى (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال عليّ عليه السلام : " لا تؤاخِ الفاجر فإنه يزيِّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثلُه ويزيِّن لك أسوأ خِصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْن وعار . ولا الأحمقَ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرُّك ، فسكوتُه خيرٌ من نطقه ، وبعدُه خير من قُرْبه ، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش ، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصَدَّق " .

قال أبو قَبِيل : أُسرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها :

العزلة للخطابي ص ٤٥

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاك وإيّاهُ
فكم من جاهل أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو ماشَاهُ
وللشيء على الشيء * مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلب * دليلٌ حينَ يلقاهُ

وقال عَدِيّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وأَبْصِرْ قرينَه (١) * فإنّ القرينَ بالمُقارن مقتدِي

وأنشد الرِّياشيّ :

إن كنتَ لا تَصْحَب إلا فتًى * مثلَك لم تُؤتَ بأمثالِكَا

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قرينه » إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعديّ بن زيد ، من داليته المشهورة ، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه «جمهرة أشعار العرب» (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَسْتَصْحِب الرَّامِكَا (١)
هَبْنِى آمرأً جئتُ أُريد الهدي * فجُـــدْ على ضَعفِى بإسلامكا

وكتب يحيي بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنين ، أُريدك ما أردتَنى ، وأُريدك أن تتوبَ عنّى ما كان ذلك بى و بك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، و إن وقعت المقـادير بخلاف ذلك لم أَعْدُ ما يجب . والذى هاجنى على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بمـا عندى ، وآلله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد ، فجمَعنا الله و إيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِقْ بذى العقل والكرم وآطمئنّ إليه ؛ وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، وآحترس من سيّئ أخلاقه وآنتفـع بعقله ؛ وواصـل الكريم غير ذى العقل وآنتفع بكرمه وآنفعه بعقلك ؛ وآهرُب من اللئيم الأحمق (٢) .

وقال حمّاد عَجْرَد :

كَمْ من أخٍ لك لستَ تُنْكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْر
مُتصـــنّعٍ لك فى مَـــوَدّته * يَلْقـاك بالتّرحيب والبِشْر
يُطْرِى (٣) آلوَفاءَ وذا آلوفاء ويَلْـ * ـحَى الغَدْرَ مجتهِدا وذا الغدر
فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَرٍ ، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر
فارفُضْ بإجمـالٍ أُخُوّةَ (٤) مَنْ * يَقْلِى المُقِلَّ و يَعْشَقُ المُثْرِى
وعليـــكَ مَنْ حالاه واحدةٌ * فى العُسر إمّا كنتَ واليسر
لا تَخْلِطَنّهـــمُ بغـــيرهم * من يَخْلِط العِقْيانَ بالصُّفْر (٥) !

(١) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : «العاقل» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : «يطوى» وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيْدُ[1] بن الصامت :

أَلَا رُبَّ مَن تدعُو صديقا ولو تَرَى * مَقالتَه بالغَيْبِ ساءَك ما يَفْرِى
مَقالتُه كالشَّحْمِ ما كانَ شاهِدا * وبالغيب مأثورٌ[2] على ثُغْرة النَّحْرِ
تُبِينُ لك العَيْنانِ ما هو كاتِمٌ * من الضِّغْنِ والشَّحْناء بالنَّظَرِ الشَّزْرِ[3]
فَرِشْنِي بخيرٍ طالَما قد بَرَيْتَنِي * وخيرُ الموالى من يَرِيش ولا يَبْرِى

وقال آخر :

وصاحبٍ كانَ لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ
كُنّا كساقٍ تَسْعَى بها قَدَمٌ * أو كَذِراعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ
حتى اذا دانتِ[4] الحوادثُ من * خَطْوِى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى
احْوَلَّ عنّى وكان ينظر من * عَيْنِى ويَرْمِى بساعدِى ويَدِى
وكانَ لى مُؤنسا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشةٌ الى أحدِ
حتى إذا استرفَدَتْ يدى يَدَه * كنتُ كمسترفِدٍ يَدَ الأسدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كلُّهمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا
طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[5]
أخوهم المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا
وليس فيما عَلِمْتُ بينهمُ * وبين مَن كان مُعْدِما عَمَلُ

---

(١) ذكر اللسان فى مادّة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حباب .
(٢) كذا فى اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ وتهمة ، وفى الأصل : « مأمون » وهو تحريف ؛ وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه فى غيبته .
(٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان . وفى الأصل ورد هكذا : * ولاجن بالبغضاء والنظار الشزر *
(٤) دانت : قاربت .
(٥) يبتذل : يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغنى عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنّ صُحْبَــة الأشرار ربمــا أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْــلم (١) كنّا حَلِيفَىْ مودّة * هَوَانَا وقَلْبَــانَا جميعا معًا مَعَــا
أحوطُك بالوُدّ الذى لا تَحُوطُنى * وأرأبُ منك الشَّعبَ أن يتصدّعَا
فلا تَلْحَيَنّى لم أجد فيك حيــلةً * تَخَرَّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقَعَا
فهَبْك يمينى آستأكلتْ (٢) فآحتسبتُها (٣) * وجشّمتُ قلبى قطعها (٤) فتخشّعا

وقال يزيد بن الحَكَم الثَّقفىّ :

تُكَاشِرُنى (٥) كُرْها كأنّك ناصحٌ * وعينُك تُبْدِى أنّ قلبَك لى دَوِى (٦)
لِســانُك مَاذِىٌّ (٧) وقلبـــك عَلقَمٌ * وشرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطَوِى (٨)
عَدُوُّك يَخْشَى صَوْلتى إن لَقِيتُــه * وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوِى (٩)
أراكَ إذا لم أهوَ أَمرًا هَوِيتَــه * ولستَ لمــا أهوَى من الأمر بالهَوِى

---

(١) كذا بالأصل . وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا بالأصل ولم نجد هــذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشىء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشــعر تأكّل يده ، والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى ائتكل وتأكّل . (٣) فى الأغانى طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : «فقطعتها» . (٤) فى الأغانى : * وجشمت قلبى صبرة فتشجعا *
(٥) تكاشرنى : تضاحكنى من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوٍ : مُضطغنٌ .
(٧) المــاذىّ : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب ورواية البيت فيه :

لسانك ماذىّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : «ملتوى» : روى هذا البيت فى حماسة البحترىّ :

تــودّ عـــدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ اجْتَوَيْتَ الخير منّى واجْتَوِى * أذاكَ فكلٌّ يجْتَوِى قُرْبَ مُجْتَوِى (١)
وكم مَوْطِنٍ لَوْلاىَ طِحْتَ كما هَوَى (٢) * بأجرامِهِ من قُـلَّة (٣) النِّيقِ مُنْهَوِى

ويقال : إيّاك ومَن مودّتُه على قَدْر حاجته فعند ذَهاب الحاجة ذَهاب المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعرَفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا فى الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

قال جرير :

فأنت أخى ما لم تكن لِىَ حاجةٌ * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا (٤)
تَعَرَّضتُ فاسْتَمْرَرْتَ من دون حاجتى * فحالُكَ إنى مستمرٌّ لحاليا
وإنّى لَمَغْرورٌ أُعلَّل بالمُنَى * ليالِىَ أرجو أنّ مالكَ ماليا
بأىّ نِجادٍ تحمِلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِنانا من قَناتكَ ماضيا (٥)
ألا لا تخافا نَبْوَتى فى مُلِمَّةٍ * وخافا المنايا أن تفوتكما بيا (٦)

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل : «لولاك» .
(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت فى النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * فان عرضت فإننى لا أباليا

وهو من قصيدة طويلة مذكورة فى النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حىّ رهبى ثم حىّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر فى كثير من كتب الأدب مثل الكامل للمبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا

(٥) النجاد : حمائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر فى الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من محمل كان باقيا
بأىّ سنان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قناتك ماضيا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منّى اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) .

وقال أبو العَتاهِيَة :

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا * حبــك الدّهرَ أَخُـــوهُ
فإذا ٱحتجتَ إليـــه * ساعــةً مَجَّــكَ فُـــوهُ

وقال آخر :

مَوَالينــا إذا ٱفتقَروا إلينــا * وإن أَثْرَوْا فليس لنا مَوَالِى

والعرب تقول فيمن شَرِكَك فى النِّعْمة وخَذَلَك عند النائبة : يَرِبِضُ[1] حَجْرةً[2] ويَرْتَعُ وَسَطًا .

قال المـدائنىّ : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأميرُ، فأخبره بعضُ مَن حضر، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمِّ صاحب :

صُمٌّ إذا سَمِعوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوء عندهم أَذِنُوا[3]
فَطَانَةٌ فَطَنوها لو تكون لهم * مروءة أو تُقًى لله ما فَطَنُــوا
إن يسمعوا سَيِّئا طاروا به فَرَحًا * منّى وما سمعوا من صالح دَفَنُــوا

باب القرابات والولد

حدّثنى زَيْد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرَشى من ولد سعيد بن العاص قال أخبرنى أبى قال : كنتُ عند ٱبن عبّاس، فأتاه رجل فَمَتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ، فَلاَنَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِعْرِفُوا أنسابكم تَصِلوا أرحامكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ و إن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ و إن كانت بعيدةً" .

(١) فى الأصل : «تربص» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .
(٣) أذنوا : استمعوا .

حدّثنى شَبَابة قال حدّثنى القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقًّا ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبى الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَبَرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه" .

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبى أُوَيس قال حدّثنا كَثِيربن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم"(١) .

وحدّثنى أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبدالله بن دِينار عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ(٢) من الرحمن قال لها مَنْ وصَلَكِ وصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه" .

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا حَمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرِين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أَقرِباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أُعطِى قَرَاباتى لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

---

(١) ورد فى الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجنة : الشعبة من كل شىء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثني أحمــد بن الخليــل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثَوْر عن مَعْمَر[(١)] عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرّه أن يُمَدّ له في عُمْره و يُوَسَّع له في رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه" .

حدّثني أحمــد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعَيم قال حدّثنا سفيان عن عبدالله ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجَعْد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَزيد في العُمرِ إلا البِرُّ ولا يردّ القَدَر إلّا الدعاءُ و إنّ الرجلَ لَيُحرَمُ الرزقَ بالذّنبِ يُصيبُه" .

حدّثني محمد بن يحيي القُطَعيّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيدٌ عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيْبة[(٢)] عن النَّخَعيّ عن ٱبن عمر قال : أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ والدي يأخذ منّي مالي وأنا كاره ؛ فقال : "أَوَ مَا عَلِمتَ أنكَ ومالَكَ لأبيكَ" .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال : أخبرني بعضُ العرب : أن رجلا كان في زمن عبد الملك بن مَرْوان ، وكان له أب كبير ، وكان الشابّ عاقا بأبيه ، وكان يقال للشابّ "مَنَازِل"[(٣)] [(٤)] فقال الشيخ :

جَزَتْ رَحِمٌ بيْني وبين مَنَــازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُــهْ
تربَّتْ[(٥)] حتى صـار جَعْدًا شَمَـرْدَلًا * إذا قام سَاوَى غَارِبَ الفَحْل غَارِبُهْ

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروى عنه محمد بن ثور كما في التهذيب . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للخزرجي وفي الأصل «عيينة» وهو تحريف . (٣) هو منازل ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو فرعان التميمي كما في لسان العرب مادة « جعد » . (٥) تربّت : تربّى . والجعد الطويل . والشمردل : الفتيّ القويّ ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد معناه في بيتين وهما :

وربيتــه حتى إذا ما تركتــه * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعدا عنطنطا * اذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمني مالى كذا وَلَوى يَدِى * لَوى يـده اللهُ الذى لا يغالبُـهْ
وإنّى لَدَاعٍ دَعْـوَةً لو دَعَوْتُها * على جَبَـل الرَّيَّان لأنقضّ جانبُـهْ

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ : أُخرج من خَلف البيت، فسبَق رُسُلَ الأمير، ثم ٱبتُلِيَ الفتى بٱبنٍ عَقّه فى آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَـنِي مالى خَلِيجٌ وعَقّـنِي * على حينَ كانت كالحَنِيّ عظامى
تَخَـيَّرته وٱزددتُه لِـيَزيدنى * وما بعضُ ما يزداد غير عُرامِ[1]

وقال يحيى بن سعيد مولى تَيْم كوفىٌّ لٱبنه[2] :

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافعًا * تُعَلُّ بمـا أَجْنِي[3] عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعَيْنِي تَهْمُلُ
فلمّا بلغتَ الوقت فى العدّة التى[4] * إليها جَرَى ما أبتغيـه وآمُـلُ
جَعلْتَ جَزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضِّـلُ
فلَيْتَكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوّتِي * كما يفعل الجارُ المجاوِرُ تَفْعَلُ[5]

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله فى الصديق البارّ عِوَضا من الرَّحِم المُدْبِرة .

---

(١) العرام : الشراسة والأذى، وفى الأصل : «غرام» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا)، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى، وقيل : لأبى العباس الأعمى . وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له : «أنت ومالك لأبيك» .

(٣) فى أشعار الحماسة «أدنى اليك» .

(٤) رواية هذا البيت فى الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(٥) فى الحماسة : «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبي موسى : مُرْ ذوى القَرَابات أنّ يَتَزاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أَكْثَم بن صَيْفِيّ : تَبَاعَدُوا فى الدّيار تَقارَبُوا فى المودّة .

قيل لأعرابيّ : ما تقول فى ٱبن عمك ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهَير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفِى من حُذَيفة قد شفانِى
قتلتُ بإخْوَتِى سـاداتِ قومى * وقد كانوا لنـا حَلْىَ الزمانِ
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَلِيـلِى * فــلم أقطـعْ بهم إلّا بَنَـانِى

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القَتْلَى يوم الجمَل: شَفَيتُ نفسى وجَدَعتُ أنفى . وفى مثل ذلك قول القائل(١) :

قَوْمِى هُمُ قَتَلوا أُمَـيْمَ أخِى * فإذا رَمَيْتُ يُصيبنى سَهْمِى
ولئن عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن قَرَعْتُ(٢) لَأُوهِنَنْ عَظْمِى

قتل رجلٌ من العرب ٱبنَ أخيه(٣) فدُفعَ إلى أخيه لِيُقيدَه، فلمّـا أَهْوَى بالسيف أُرْعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعـزِيَةً * إحدى يَدَىّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْد صاحبه * هذا أخى حين أدعُوه وذا ولدِى

وقال بعضهم :

بكُرْهِ سَرَاتنـا يا آل عمـرو * نُغَـاديكم بمُرهَفَة النِّصـالِ
فنبكى حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبَـالى

وقال عدىّ بن زيد :

وظلمُ ذَوِى القُرْبَى أشدُّ مَضاضةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

(١) هو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة : «سطوت» .
(٣) فى الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره (١) :

سآخُذ منكم آل حَزْنٍ (٢) لِحَوْشَبٍ * وإن كان مولاىَ (٣) وكنتم بنى أَبِى
إذا كنتُ لا أُرْمَى وتُرْمَى عَشِيرتى (٤) * تُصِبْ جائحاتُ (٥) النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدّثنا أبو الخطاب قال حدّثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكرىّ عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حَقُّ كبير الإخْوَةِ على صَغِيرهم كحقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن وادًّا : "أنفُكَ منكَ وإن ذَنَّ (٦)". ومثله : "عِيصُك (٧) منك وإن كان أَشِبًا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأُمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُك من سعدِ
فإن ٱبنَ أُختِ القوم مُصْغًى (٨) إناؤه * إذا لم يُزاحِم خالَه بأبٍ جَلْدِ

وقال أُميّة بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرضَ ٱبنِ أُختِكم * رِداؤك فٱصْطَنْ (٩) حُسْنَه أو تَبَذَّلِ

---

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمرو . (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حزم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «وإن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى غير الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى مولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى وبنى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كنانتى» وقيل أراد بالكنانة مولاه . (٥) فى الحماسة : «جانحات» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجاحه . (٦) ذنّ : سال مخاطه وفى مجمع الأمثال : «وان كان أذَنَّ» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدّة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من ٱصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : ٱمتهن .

فإن تكُ[1] ذا طَوْلٍ فإنّى ٱبنُ أختِكم * وكلُّ ٱبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعْتَلِى[2]
فكن أسـدًا أو ثعلبًـا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكِلِ
وما ثعلبٌ إلا ٱبنُ أختِ ثعالبٍ * وإن ٱبن أختِ اللّيث رِئْبالُ أَشْبُلِ

وكتب بِشْر بن المُغيرة بن أبى صُفْرة إلى عمّه بهذه الأبيات :

جفانى الأميرُ والمغـيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد ٱزْوَرَّ جانبُهْ
وكُلُّهُمُ قـد نال شِـبْعًا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيـا عَمِّ مَهْلا وٱتّخِـذنى لنـوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهر جَمٌّ عجائبُـهْ
أنا السيف إلا أن للسيفِ نَبْوَةً * ومثلِى لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به يَعيبه ويَشتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول؛ فقال له : مهلا ! إنّى لآكلُ لحمى ولا أَدَعُه لآكِل .

و يقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقرب الأنساب . والبيت المشهور فى هذا :

فإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * واذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لبُزُرْجِمِهْر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك؟ فقال : إنما أُحبّ أخى اذا كان صديقا .

وقال خِداشُ بن زُهَيْر :

رأيتُ ٱبنَ عمّى باديًا لِىَ ضِغْنُـه * وواغِرُه فى الصدر ليس بذاهبِ

وأنشدنا الرِّياشىّ :

حيـاةُ أبى السيّارِ خـيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبَا
ونَعتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتَبا

---

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين، وهو الذى يتفق مع السياق بعده، وفى الأصل : «فان أك»...
(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «مغتلى» بالغين المعجمة، واغتلى : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : « اليه » .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئٍ كعشيرِهِ[1] * ولم أر ذُلًّا مثل نَأْيٍ عن الأهلِ
ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثلَ المالِ أدفعَ للرذْلِ
ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدَما[2]، فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ[3] فى * جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ
لو بأبانَيْنِ[4] جاء يخطُبها * رُمِّلَ[5] ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يَغترِبْ عن قومه لا يَزَل يَرى * مَصارِعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبَا
وتُدفَنُ منه الصالحات وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ فى رأس كَبْكَبَا[6]
وربَّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّهِ * أتانى كريمٌ يَنْغِضُ[7] الرأس مُغْضَبَا

وقال رجل من غطَفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدَّ صَحابةٍ * على دَخَنٍ[8] أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

---

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم : الجلد ما كان، وقيل : الأحمر، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حىّ من تغلب وهى قبيلته . (٤) أبانين : تثنية أبان، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل : خضب بالدم . وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحرّكه كالمستفهم عما يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخِنت النارُ اذا أُلقى عليها حطب رطب وكثر دخانها، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإنّى لأستبقِى آمرأً السَّوْءِ عُدّةً * لعَدْوة عِرّيض[١] من الناس عائبِ
أخافُ كلابَ الأبعَدِين ونَبْحَها * إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقاربِ

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجَناح؛ قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجْبر .

وكان يقال : العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل .

شكا عثمان عليّا الى العباس رضى الله عنهم، فقال : أنا منه كأبى العاقّ، إن عاش عقّه وإن مات فَجَعَه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ، إن عظيم حَقِّك علىّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّى عليك، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لآبنه يحيى : إن الله لم يَرْضَك لى فأوصاك بى، ورَضِينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ آبنـه فهجره؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورِنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، فإن غضبوا فأَرْضِهم، وإن سألوا فأعْطِهم، ولا تكن عليهم قُفْلا فيَمَلّوا حياتك ويَتَمَنّوا موتَك .

قيل لأعرابىّ: كيف آبنُك؟ — وكان عاقّا — فقال: عذابٌ رَعِف[٢] به الدّهر، فليتنى قد أودعتُه القبر، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يبرَأ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

(١) العرّيض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا ؛ فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

ووُلِد للحسن غلام، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك في هِبَتِه، وزادك من أحسنِ نعمتِه ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة ، ونسأل اللهَ الزيادةَ فى كل نعمة، ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أنصبنى، و إن كنت غنيا أذهلنى، لا أرضى بسعيٍ له سعيا، ولا بكدِّى له فى الحياة كدّا، حتى أُشفِق له من الفاقة بعد وفاتى، وأنا فى حالٍ لا يصل الىّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعىّ : عاتب أعرابىٌّ ابنَه فى شرب النبيذ، فلم يُعتِبْ(١) وقال :

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شَربتُها * غضِبتَ علىّ ! الآن طابَ لىَ الخمرُ
سأشربُ فاغضَبْ لا رَضيتَ، كلاهما * إلىّ لذيذٌ : أن أُعُقّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح لابنه صَمْصامَة :

أصمصامُ إن تشفَع لأمّك تَلْقَهَا * لها شافعٌ فى الصدرِ لم يتَبرجِ
هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ * لذبحك يا صمصامُ قلت لها اذبَحِى
أُحاذِر يا صمصامُ إن مِتُّ أن يلى * تُراثِى وإيّاك امرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ
إذا صكّ وسْطَ القومِ رأسَك صَكّةً * يقول له الناهى مَلَكتَ فأسْجِحِ(٢)

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُحبّ بُنَيّتِى ووددتُ أنى * دَفَنتُ بُنَيّتى فى قَعْرِ لَحْدِ
وما بِى أن تهونَ علىَّ لكن * مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدى

(١) لم يعتِبْ : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذى غضب عليه من أجله . (٢) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيْمَةُ لم أجزَعْ من العَــدَمِ * ولم أَجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ
وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى * ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذوُو الرَّحِمِ
أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمّ بهـا * فيهتِكَ السِّترَ من لحمٍ على وَضَمِ
تهوَى حياتى وأهوَى موتها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نَزَّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابىّ فى ٱبنته :

يا شِقَّةَ النفسِ إن النفس والهــةٌ * حَرَّى عليــك ودمعُ العين مُنسجِمُ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدِّمنى * الى الحِمام فيُبدِى وجهَها العَــدَمُ
فالآنَ نِمتُ فــلا همٌّ يؤرِّقُنى * تَهْــدا العيونُ اذا ما أودتِ الحُرَمُ

وقال أعشى سُلَيْم :

نفسِى فِداؤكَ مِن وافدٍ * إذا ما البيوتُ لبِسن الجليدا
كفيتَ الذى كنتُ أُرْجَى له * فصِرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله * فما مات من يَبْقى له مثلُ خالدِ

وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ٱبنَىْ بنته : "إنّكم لَتُجَبِّنُون و إنكم لتُبَخِّلون و إنكم لمِنْ رَيْحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـــذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزَامَى بالبَــلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامَى .

وكان يقال : ابنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ يَنشُدُ ٱبنا له بقوم، فقالوا : صِفه ؛ فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا : لم نَره ؛ فلم يَلبثِ القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ ؛ فقالوا : ما وجدتَ ٱبنَك يا أعرابيّ؟ قال: نعم هو هــذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر فى ٱمرأة :

نِعمَ ضَجيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سُحَيراً وقَرقَفَ الصَّرِدُ (١)
زيّنها الله فى العيون كما * زُيِّن فى عين والدٍ ولــدُ

وفى الحديث : "من كان له صبىٌّ فَلْيَسْتَصبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ٱبناً له :

أبيضُ من آل أبى عَتيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدّيقِ
* أَلَذُّه كما أَلَذُّ رِيقِى *

وقال أعرابىّ :

لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا (٢) * حُطِطْن من بعضٍ الى بعضِ
لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنما أولادُنـا بيننـا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ
لو هبّتِ الريحُ على بعضهـم * لٱمتنعتْ عينى من الغَمْضِ
أنزلنى الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ
وٱبتزّنى الدهرُ ثيـابَ الغِنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضى

قال بعض النّسّابين : إنمـا قيل : سَعْدُ العشيرة، لأنه كان يركب فى عشرة من ولده، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات فى الأمالى ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضا فى الحماسة بشرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف فى الرواية وتقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات ، ونسبت الى حطّان بن المعلى .

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبيّ، وقد رُئى له ثلاثةَ عشرَ ذكرا قد بلغوا : من سَرّه بنوه سَاءَتْه نفسُه .

قال بِشرُ بن أبى خازم :

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأُمّنا * وليس لهم عَالِين(١) أمٌّ ولا أبُ

وقال آخر :

أنا ٱبنُ عمّك إن نابتك نائبةٌ * وليس منك اذا ما كَعْبُك ٱعتدلا

وأنشدنا الرِّياشىّ :

الرَّحْمَ بُلَّهـا بخـير البُـلّانْ(٢) * فإنّ فيهـا للدّيارِ العُمْرانْ

وآمر المال و بنت الصّغرانْ(٣) * و إنما ٱشتُقّت من ٱسم الرحمنْ

وقال المَعْلُوطُ :

ومَنْ يلقَ ما ألقَ وإن كان سيِّدا * ويخشَ الذى أخشَى يَسِرْ سيرَ هارِبِ

مخافةَ سلطانٍ علىّ أظنُّه * ورَهْطِى، وما عاداك مثلُ الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على ٱبنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال : يا بنيّة : مالى أراكِ مهزولةً ؟ لعلّ بَعْلكِ يُغيرُكِ(٤) ؛ فقالت : لا، ما يُغيرنى ؛ فقال لزوجها : لعلّكَ تُغيرها ! قال : فأفعل، فَلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أميّة أحبُّ الىّ منها .

---

(١) عالين : حال من الضمير فى «لهم» . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا و بلالا : وصلها ونداها . والبلّان : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالغفران والرجحان وأن يكون جمع بلل» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وعجز البيت الثانى . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوج من أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمانُ بن بَشِير :

وإنى لأَعطِى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدْرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلمِ
وإنى متى ما يَلْقَنى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ
فلا تَعْدُدِ المولى شريكَك فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُك فى العُدْمِ
إذا مَتّ ذو القُرْبى اليك برِحْمِه * وغَشّك وآستغنى فليس بذى رِحْمِ
ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاك ومَنْ يرمِى العدوَّ الذى ترمى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنّهن من الضِّعافِ
مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِ
وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ عِجافِ (١)

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمّك، قال : أخاف أن تَسيرَ يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان برّ آبنك بك؟ قال: ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعَشَةً يداه * وأُمَّك ما تُسِيغ لها شرابا
اذا غَنَّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشأم وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله ، فقدِم عليه، فقال : برّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : واذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعــة كِلاب بالبصرة اليه تنسب، والعوامّ تقول مُرَبّعة الكلاب .

قال أبو عليّ الضَّرير :

أتيتُك جَذْلانَ مسـتبشرًا * لبُشراك لمـا أتانى الخـبرْ
أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذَكَـرْ
وأنّك، والرشــدُ فيما فعلـ * ـتَ، أسميتَه بآسم خيرِ البشرْ
وطهّــرتَه يوم أسـبوعه * ومن قبلُ فى الذِّكْرِ ما قد طَهُرْ[1]
فعمّــرك الله حــتى ترا * ه قد قارَب الخَطْوَ منه الكِبرْ
وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخـوتِه وبنيهــم زُمَرْ
وحتى يروم الأمورَ الجسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّ
وأوزعك[2] اللهُ شـكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ
وصلّى على السَّلَف الصالحيـ * ـن منكم وبارَك فيمن غبَرْ[3]

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضّأ إلا بمـاء مسخَّن وهما فى السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه الى قُمْقُم[4] كان يُسَخَّن فيه المـاءُ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمـا وهو فى يده حتى أصبح .

---

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنمـا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك، وفى الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد . (٤) قمقم : إناء من نحاس .

رقص أعرابىٌّ آبنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشَّحيح مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُريد بَذْلَه بدا لهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده آبنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هــذه تُفّاحة القلب ؛ فقال : آنبِذها عنك؛ قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْن الأعداء، ويُقَرِّبْن البُعَــداء، ويُورِثْن الضغائن؛ فقال : لا تقُلْ ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلُهن، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته؛ فقال له عمرو : ما أعلمُك إلا حَبّبتَهنّ الىّ .

الاعتـــــذار

كان يقال : الآعتراف يَهْدِم الآقتراف .

كتب بعض الكُتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّــك علىّ بمتقــدِّم المودّة ومُؤَكّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والوِلاية، لم أرْضَ فى قضائه بالكِتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومُعاناة السفر اليك، لا سيما مع قُرْب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغيرِ ذلك ممــا لا خِيار معه، أحلّنى فى الظاهر محلَّ المُقَصِّرين؛ وإن وهب الله فُرْجةً من الشــغل وسهّل سبيلا اليك، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمُّن بالنظر اليك، غاديا ورائحا عليك، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم (1) الى نَجاح من الحبس :

إن تَعْفُ عن عبدك المسيء ففى * فضــلك مأوًى للصَّــفْح والمِنَنِ

أتيتُ ما أســـتحقُّ من خطأ * فعُــدْ لمــا تستحقّ من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لى، * فماله غيرَك من غافـــرِ
أعـــوذ بالودّ الذى بيننا * أن يُفْسَدَ الأوّلُ بالآخرِ

كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليـك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعـذِر نفسَك إمّا أساتَ * وغيرَك بالعُـذرِ لا تعـذِر
وتُبصِر فى العين منه القذى (١) * وفى عينك الجِذع لا تُبصِر

وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَـــيِّزُ للإخـــاءِ ولِا * إخوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنَّك عن معـاشرتى * بالأُنس أن قصّرتَ فى بِرّى
إنى اذا ضاق آمرؤ بجَـــدًا (٢) * عنّى آستعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحـديث المرفوع : " من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادِقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ علىّ الحوض" . وفيه : "أقِيلوا ذوِى الهَنَاتِ عَثَرَاتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشـبه بآستئناف ذنبٍ من عُذْرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

(١) فى الأصل : «وتبصر فى الغير منك القذى» . وفى الحـديث : «يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل .
(٢) الجدا (وزان فتى) : العطية .

وقال مُطَرِّف : المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ[١] .

اعتــذر رجل الى إبراهيم[٢] فقال له : قد عذرتُك غير معتذِرٍ، إن المعاذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذَنْبا .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعــةَ مذنبٍ * خلَط احتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[٣] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْــذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسِىء فَيَعْذُرُ

وقال ابن الطَّثَرِيّة :

هَبِينى امرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسِيئا تاب بعدُ وأَعْتَبَا

وكنتُ كذى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلمــا لم يجِدْه تَطَبَّبــا

كتب بعض الكتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفْرتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا باسمى، لمــا تضمّنتَه من السَّخيمة علىّ ، فأخليتُه منه، وانتظرت باستعطافك من طويّتــك فىّ عاقبةَ امتــدادِ العهد، وأمِنتُ اضطغانَك لنفى الدّينِ الحقــد، واختصرتُ من الاحتجاج المنتسِب الى الإصرار ، والاعتذارِ المتعاوَدِ بين النُّظَراء ، والإقرار المثبِّت للأقدام ، الاستسلامَ لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك اتّسعتُ بعفوك ، وإن أَعْدَمتَنِيهما تَوَغُّر صدرك لم تَضِق من الرِّقة علىّ من مُصيبة

(١) هو مطرف بن الشخير . والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ .

(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمان ؛ وإن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةٌ بك الى آستمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُــوء من خُوِّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرَم اليــه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرِم أبلغُ من النــدم ؛ وقد ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْراً[1] إن تغمدت زَلّتى ، وكما تُحب ضرًّا إن تركتَ إقالتى ، وبخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بقِيتَ .

وكتبتُ فى كتاب آعتذار وآستعطاف : كم عسى أن يكون آنتظارِى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تمـاديك فى عَتْبك ؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد آستحييتُ وآستحييتَ من ذُلّى وعِزّك ، وخَفْضى جَنَـاحِى ونأْيِ بجانبـــك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعَمك مابَسَطنى فى القول مُدِلًّا به عليك ، ووَكّد من حُرْمتى بك ماشفَع لى فى الذنوب اليك ، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معــه نَبَوات الزمان علىّ فيك ، وأمّنتنى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك ؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عَثَرتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلتُ .

وفى كتاب آعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ؛ فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أَفْدَح[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ؛ وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولى :

لك الحــقُّ إن تَعْتِبْ علىّ لأننى * جَفَوتُ وإمّا تَغْتفِرْ فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهى الى تَفَضُّـلك بقبوله وإن أَبَلْكَ[3] يَمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه ، والى ذلك ماأسألك تعريفى خبرَك لأُراحَ اليه ، وأستزيدُ الله فى أَسْره لك .

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهد ما وصلت اليه الطاقة ، على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر.

وفى فصل آخر :

انا المُقِر بقصورى عن حقّك، وآستحقاقى جفاءك، وبفضلك من عَذْلك أعوذ، فوالله لئن تأخّر كتابى عنك، ماأستزيد نفسى فى شكر مودّتك، واطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو ينساك أخٌ مُغْرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغِيبه ! .

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ * عنـدى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا آعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصـير عذرَ أخٍ مُقِرِّ
فصُنْه عن عتابك وآعفُ عنه * فإن الصـفح شيمةُ كلِّ حرِّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعـلم ما أقول عذرتَنى * أو كنتُ أجهل[1] ما تقول عَذَلْتُكا
لكن جَهِلتَ مقالتى فعـذلتَنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعـذرتُكا

قيـل لبُزُرْجِمهر : ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلَةَ ، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال آبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهـلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعض الأَذى لم يَدْرِ كيف يُجيب
ولم يعتـذِرْ عذرَ البرىء ولم تزل * به ضَعْفةٌ[2] حتى يقـالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزّلة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب: لستُ أدرِى بأىّ شىء آستجزتَ تصديقَ ظنك حتى أنفذتَ علىّ به حكمَ قَطيعتِك، فوالله ما صَدَق علىّ ولا كاد، ولا آستجزتُ ما توهّمته فيمن لا يلزمنى حقُّه. وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكمٍ يُوجب الأعتذار، فإن الأناةَ سبيلُ أهـلِ التقى والنُّهى، والظنُّ والإسراعُ الى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاءَ، ويُميلانِ عن الوَفاءِ الى اللَّفاء[1].

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبانَ: والله فإنّى فى غُبَّر[2] يومٍ عظيم، وتلقاءَ ليلةٍ تَفْتَرُّ عن أيامٍ عظامٍ، ما كان ما بلغك.

وقرأتُ فى كتاب معتــذرٍ: إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة، وآستدامتَك لها، واجتلابَك ما بَعُد منها بشكر ما قَرُب، واستعمالَك الصفحَ لِمـا فى عاقبته من جميل عادة الله عندك؛ ستقبَلُ العذرَ على معرفةٍ منك بشناعة الذنب، وتُقِيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن.

اعتــذر رجلٌ الى جعفر بن يحيى البرمكى، فقال له جعفر: قد أغنـاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك.

وقال بعض الشعراء:

إذا ما آمرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للنصور على المدينة، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرْسَم فقال:

له حقٌّ وليس عليــه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ
وقد كان الرسول يَرى حقوقا * عليــه لأهلها وهو الرسولُ

---

(١) اللفاء: اليسير الحقير، يقال: رضى فلان من الوفاء باللفاء، أى رضى من حقه الوافى بالقليل.

(٢) غبر يوم: بواقيه، جمع غابر.

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثل بين يديه يقول :

سيأتي عذري الحسن بن زيد * وتشهد لي بصفين القبور
قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ مجيرها حفظ المجير
هما أبواك من وضعا تضعه * وأنت برفع مارفعا جدير

فاستخف الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفى كتاب لمعتذر : عُلُوّ الرُّتبة وٱتّساعُ القدرة وٱنبساطُ اليد بالسَّطْوة، ربما أنْستْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفْح ومافى إقالة المذنب وٱستبقائه من حسن السماع وجَميل الأُحدوثة، فبعثته على شِفاء غَيْظه، وحرّكته على تبريد غُلّته، وأسرعتْ به الى مُجانبة طِباعه وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر .

وفى فصل : نَبَتْ بي عنك غِرّة الحَدَاثة فردّتني اليك الحُنْكَة، وباعدتني عنك الثقةُ بالأيام فأدنتني اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك، وقبولِك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سَدّت عليك مسالكَ الصَّفْح؛ فأيُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأيُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! .

أوقع الحجّاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه [(١)] وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو : إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبَق اليه؛ فقال الحجّاج معتذرا : يٱبن عُتْبة، إنا لنَسترضيكم بأنْ نَغْضَب عليكم، ونستعطفكم

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : ٱغتابه» .

بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثِقنا لكم به ، وعلِمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ، فتعرّضنا للذى تحبّون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتــذِرًا من ذنب : عهدِى بك خطيبا فما هذا السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُبَاهاة وإنما نحن وفد توبةٍ، والتوبةُ تُتَلقّى بالآستكانة .

وقع بين أبى مسـلم وبين قائد له كلام ، فأرْبَى عليـه القائد الى أن قال له : يا لَقِيط ! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما آنبسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى فاغفر لى، قال : قد فعلتُ، فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى، فقال أبو مسلم: سبحان الله ! كنتَ تُسِىء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسِىء ! .

قال الطّائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نَكَثتْ به * أمانيه وآستخذَى بحقّك باطلُهْ
فخاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تَحُطْــه قبائلُهْ

وقال آخر :

حتى متى لا تَزال معتــذِرًا * من زلّة منـك ما تُجانِبُهـا
لا تتّــقى عيبَهـا عليــكَ ولا * ينهاك عن مثلِها عواقِبُهـا
لَتَرْكُكَ الذنبَ لا تقارِفــه * أيســرُ من توبةٍ تقارِبُهـا

قال أعرابىٌّ لآبن عمٍّ له : سأتخطّى ذنبَك الى عذرِك، وإن كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخرِ على شـك ؛ ليتمّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّـةُ منّى عليــك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ ، وأيّهما فعل فإنهما نا كِبان عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة" .

قال بعض الشعراء :

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه : العداوةُ تُتوارثُ .

وقرأتُ فى كتاب للهند : اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوًّا ، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرْضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلبُه رضاه .

قال بعض المحدّثين :

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا
ولا تَغتَرِرْ بهُدُوّ آمرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر :

اِحذَرْ مودّةَ ماذِقٍ(١) * شابَ المرارةَ بالحلاوه
يُحصِى العيوبَ عليك أيّام الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ :

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغنُ أجحفت * به سَنةٌ حلّتْ مصيبتُه حِقْدِى

(١) الماذق : الذى يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحِق لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَنَنْتَها فى الناس قَبْلِي

وقال آخر :

وروّعتُ حتى ما أراعُ من النّوى * وإن بان جيرانٌ علىّ كِرامُ
فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى * وعَيْنى على هجر الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا افترقْنا بسِنْدا(١) * دَ ولا بيننا عقَدْنا الإخاءَ
نطعنُ الناسَ بالمُثقَّفةِ السُّمـ * ـرِ على غَدْرِهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفسه .

وكان يقال : احذَرْ مُعاداة الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنّى عليه :

عَتَبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِى * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ
وحاذرتَ لَوْمى فبادرتَنى * الى اللومِ من قبل أن أبْدُرَكْ
فكنّا كما قيل فيما مضى * خُذِ اللصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لما نلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيابه شَغْبا(٢)
جعلتَ لنا ذنبا لتمنعَ نائلا * فأمسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

---

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدين أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ * ومَنْ ذا الذى يُرضِى الأخلاءَ بالبخلِ
وجَدِّكِ لا يَرْضَى[1] اذا كان عاتبا * خليلُكِ إلا بالمودّةِ والبذْلِ
متى تجمعِى مَنًّا كثيرًا ونائلًا * قليلا يُقَطِّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل الى صديقٍ له :

لئن ساءنِى أن نِلتنِى بمَسَاءةٍ * لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالكِ[2]

وقال آخر :

إذا رأيتُ ٱزوِرارا من أخى ثِقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرض أوطانى
فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعينُ غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقد غضِبتُ فما بالَيْتُمُ غضبِى * حتى ٱنصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِى

وقال زُهَيْرٌ :

وما يك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخَبِّرْك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وما تَخْفَى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال ٱبن أبى خازم :

خُذْ من الدهر ما كَفَى * ومن العيش ما صفا
لا تُلِحّنّ بالبكا * ء على منزلٍ عفا

---

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

خَلِّ عنـــك العتاب إن * خان ذو الـوُدّ أو هفـا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفـا

وقال أعرابىّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلون(١) جَنِينَ الضِّغنِ بينهـم * والضِّغنُ أَشوهُ أَوْ فى وجهه كَلَفُ(٢)
إن كاتَمونا القِـلَى نمّت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلبِ أو تَصِفُ

وقال ابنُ أبى أميّة :

كم فَرْحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تخرّصَتْهـا لِىَ فيـكَ الظنونْ
اذا قـلوبٌ أظهـرت غيرَما * تُضْمره أنبَتْـك عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبْصِـــر فى عيـــنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدى

وقال آخر :

وموْلًى كأنّ الشمس بينى وبينه * اذا ما التقينا ليس ممّن أُعاتبُهْ

يقول : لا أقدر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى وبينه . ومثلُه :

اذا أَبصَرْتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَـلِى تدورُ

وقال النَّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِناَعِها * بَدا حاجبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواسٍ فقال :

يا قمرا للنِّصفِ من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمـانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

(١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغُنٌ * كما طَرّ أوبارُ الجِراب على النَّشْرِ (١)

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثّرَى * وتبقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيَا

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تلقاها وإن قَدُمتْ * كالعُرِّ (٢) يكمُنُ حينا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابٍ للهنـد : ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكثُ، كالمـاء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سـعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنا لنَعُدُّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا ظِمْءُ (٣) الحمـار فعلتَ وفعلتَ؛ قال : أيُّما أحبُّ اليك : مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلة ؟ قال : مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمكَ أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

اِحْوَلَّ (٤) عنّى وكان ينظر من * عيْنى ويَرمى بساعدى ويَدى

---

(١) النشر: الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىّ أخضر تدفأ منه الابل (يكثر وبرها وشحمها) اذا رعته؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر)، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجربى عن أكل النشر وتحتها داء منه فى أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا اذا حى بعد ذهابه» اهـ .

(٢) العرّ : الجرب .

(٣) يقال : ما بقى منـه إلا قدر ظمء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٤) احولت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقِّب العَبْدِىّ :

ولا تَعِدى مواعِدَ كاذباتٍ * تمرّ بها رياحُ الصيفِ دونى
فإنى لو تُعاندنى شِمالِى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى
اذًا لقطعتُها ولقلتُ بِينِى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوِينى

وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنك صابرٍ[1] * عَزاءً اذا ما النفس حَنّ طَروبُها
رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيل دونها * كفاكَ لِما لابُدّ منه شَرُوبُها[2]
وإن لم يكن إلا الأسِنّةَ مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهــودِ[3] إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : اذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبِّلها .

قال الشاعر :

لقــد زادنى حبًّا لنفسىَ أننِى * بغيضٌ الى كل آمرئٍ غيرِ طائلِ
اذا ما رآنى قَطَّــعَ الطرفَ دونَه * ودُونِىَ فعــلَ العارفِ المتجاهلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اِعتزِلْ عدوَّك وآحذرْ صديقَك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن آبن عيّاش قال : أخبرنى رجل من الأَزْد قال : كنا مع أسد بن عبدالله بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدَّ نهرُ بَلْخ بأمرٍ عظيمٍ لا يوصفُ، وإذا رجل

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «لك» .
(٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : « للضطر » وهى الرواية المشهورة .

يضرِبه الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! الْحَقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تَميم ؛ قلت : امضِ راشدًا، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما اتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لِبنةٌ لضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه ؛ فقيل له : ألا تدعو لأمّك؟ فقال : إنها تميميّةٌ .

وقرأت فى كتابٍ للهند : جانب الموتورَ[1] وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك ، فإنّ السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ[2] بعضِهم من بعض ، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمْهر وأن يتزوّج ابنته بعد قتله ؛ فقال : لو كان ملِكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره موْتورة .

قال أبو حازم : لا تُناصِبَنَّ رجلا حتى تنظر الى سَريرته ؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذُله بعَداوتكَ إياه ، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساويَه ، لو أردتَ أن تعمل بأكثرَ من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتنم فى عدوّى أن أُلقِيَ عليه النَملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأَفوه الأَوْدِيّ :

بلوتُ الناسَ قَرنا بعد قَرنٍ * فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِى
وذُقتُ مرارةَ الأشياء جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ
ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من معاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : «توحشة» . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشــبهه بلاءٌ * عداوةُ غيرِ ذى حسبٍ ودِينِ
يُبيحكَ منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شمــاتة الأعـــداء

بلغ عمرَو بنَ عتبةَ شماتةُ قومٍ به فى مصائبَ، فقــال : والله، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبَّانًا يَشُبُّون الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلِقْنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبيّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

اِشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شــديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تَمنَّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيهــا بأوحدِ
وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعِى علىّ بمُخْــلَدِ
مَنِيّتُــه تجرِى لوقتٍ وحتفُــه * يصــادفُه يوما على غير مَوعدِ
فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيَّأْ لأخرى مثــلِها فكأنْ قــد

وقال الفرزدق :

اذا ما الدّهرُ جرَّعلى أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرِينــا
فقل للشامِتين بنا أَفِيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغِير على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ
ماسرّنى أنّ إبْلى فى مَبَارِكها * وأنّ شيئًا قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

أَرَواحٌ مُـودِّعٌ أم بُكـورُ * لكَ فانْظر لأىّ حالٍ تَصِـيرُ
وابيضاض السوادِ من نُذُرِالمو * تِ فهـل بعـده لإنسٍ نَذيرُ
أيّهـا الشامتُ المعـيِّرُ بالدهـ * ـرِ أأنتَ المـبرَّأُ المـوفورُ
أم لديكَ العهـدُ الوثيقُ من الأيْـ * ـيـام أم أنت جاهـلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضامَ مُجيرُ
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبـله سابورُ (١)
وأخو الحَضْر (٢) إذ بناه وإذ دجـ * ـلةُ تُجبَـى إليـه والخابورُ (٣)
شادَهُ مَرمَرًا وجلّـله كِلْـ * ـسًا (٤) فللطّيرِ فى ذُراه وُكورُ
لم يَهَبْه ريبُ المنونِ فباد الـ * ـملكُ عنـه فبابُه مهجـورُ
وتبيَّنْ ربَّ الخَوَرنقِ إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدَى تفكيرُ
سَرّه حالُـهُ وكثرةُ ما يمـ * ـلِك والبحرُ مُعرِضًا (٥) والسَّدير
فارعَوى قلبُـه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ الى المماتِ يصـيرُ
ثم بعـد الفلاحِ والمُـلك والنّعـ * ـمةِ (٦) وارَتْهُـمُ هنـاك القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهـم وَرَقٌ جَفْـ * ـفَ فألوَتْ به الصَّـبا والدَّبُورُ

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل. (٥) معرضا : متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض. (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإمّة» وهو بمعناها .

قال ابن الكلبي : لمـا قُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلـغْ أبا بكرٍ اذا ما جئتَــه * أنّ البغـايا رُمنَ أىّ مَرامِ
أظهـرن من موت النبيّ شماتة * وخضــبنَ أيديهـنّ بالعُـلّام(١)
فاقطَعْ، هُدِيتَ، أكفَّهنّ بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غمـامِ

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربَّص بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحًا إلا فى فَسادك، ولا رِفعةً إلا فى سقوط حالك والسلام .

---

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابى .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَورِىّ رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد (١)، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالما * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ
لتصلّينّ على النبىّ محمد * ولتملأن دراهمًا حِجْرى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حِجْره دراهم .

شاعر (٢) :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

---

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحـــوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدّثنى أحمدُ بن الخليل قال حدّثنـا محمدُ بن الخَصيبِ قال حدّثنى أوسُ بن عبد الله بن بُريدةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدةَ قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : " اِسْتعِينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذى نِعمـةٍ محسودٌ " .

قال خالدُ بن صفوانَ : لا تَطلُبـوا الحوائجَ فى غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلَقَاءَ .

قال شبيبُ بن شيبةَ : إنّى لأعرف أمرًا لا يتـلاقَى به آثنانِ إلّا وجب النُّجْحُ بينهما ، فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو ؟ قال : [العقل، فإنّ][2] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد : نَعَيْتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

---

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنمـا أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير فى كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر وبأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . (٢) التكلة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ[(١)] بن عمرو بن يربوع — يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيبـةُ الإخوان مَقْطَعـةٌ * لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا ما هِبتَ ذا أمَـلٍ * مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُها[(٢)] * من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ
تأنّ مواعيـدَ الكرامِ فربّما * أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسالِكُها * فالصبرُ يفتحُ[(٣)] منها كلّ ما ارتُتِجا
أخْلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته * ومُدمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا
لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فرجَا

وقال آخرُ :

إنّى رأيتُ، وللأيّامِ تجربةٌ، * للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأثرِ
وقلَّ مَنْ جَدَّ فى أمرٍ يُطالبه[(٣)] * واستصحبَ الصبرَ إلّافاز بالظَّفَرِ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى *

(٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : «يحاوله» .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخرَقُ ويعجَل فى حاجته فتتأخّر أو تبطُل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أنقَعُ» . يريدون أن الشراب الذى يُترشَّفُ رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِقِ :

إنك إن كلَّفتَنى ما لم أُطِـقْ * ساءكَ ما سرَّكَ منّى من خُلُقْ

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستَفْتِـحُ ، وبكَ أستنجِحُ ، وبمحمّد نبيك اليك أتوجّه ، اللهم ذَلِّلْ لى صعوبتَه ، وسَهِّلْ لى حُزُونَته ، وآرزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجُو ، وآصرِف عنّى من الشرّ أكثرَ مما أخاف .

وقال القَطامىُّ :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِه (١) * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

عمرُو بن بحرٍ عن إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : قلت فى أيام ولايتِى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجِفّ لِبْده (٢) ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفوّها ، خبِّرنى عن الشىء الذى هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار ، فى أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القِيانِ الحسان ، ما طرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرِ حُرٍّ لمنعمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحْتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقـد حُشيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىّ شىء سَهُلَتْ عليـك المعاودةُ والطلبُ؟

(١) كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب . وفى الأصـل :
* قد يدرك المتأنى بعدَ حاجته * وهى رواية جيدة . (٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفى الأصل : «قلبه» .

قال : لأنى لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدقُ العذر أكرَهَ الىّ من إنجاز الوعد،ولستُ لإكداء السائل أكرَهَ منّى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغبَ أوجبَ علىّ حقًّا للذى قدّم من حسن ظنه من المرغوب اليه الذى احتمل من كَلِّه[1] .
قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاما قطُّ أشـدَّ موافقة لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هـذا الكـلام .

وقال مُصعَبٌ :

فى القـوم مُعتصِمٌ بقـوّة أمره * ومُقصِّرٌ أودَى به التقصـــيرُ
لا تَرْضَ منزلةَ الذليلِ ولا تُقِمْ * فى دار مَعجَزةٍ وأنتَ خبـــيرُ
واذا هممت فامضِ همَّكَ إنما * طاب الحوائج كلُّه تغـــريرُ

وكان يقال : إذا أحببتَ أن تطاع، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلبُ بالرجاء، وتُدركُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدّثنى زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيانَ الثورىَّ يقول: اذا أردتَ أن تتزوج فأَهْدِ للأمّ . والعرب تقول : « من صانَعَ[2] لم يحتشِم مِنْ طلب الحـاجة » .

قال ميمون بن ميمون : اذا كانت حاجتُكَ الى كاتبٍ فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : نعم الشيء الهديّةُ أمامَ الحاجةِ .

---

(١) الكل بالفتح : العيال والثقل من كل ما يتكلف . (٢) صانع : هادَى .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّفَعاءَ بَلَّدوا[١] * وسألوا أميرَهم فأنكدوا[٢]

نامستُهم[٣] برشوةٍ فَأَقْرَدُوا[٤] * وسَهَّل اللهُ بها ما شدَّدُوا

وقال آخر[٥] :

وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كببتُه * على الوجه حتى خاصمتْنِي الدراهمُ

فلما تنازعْنا الخصومةَ غُلِّبتْ[٦] * علىّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول فى مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخطُبِ الحَسْنَاءَ يُعطِ مَهرًا» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

ما مِن صديقٍ وإن تمت صداقته[٧] * يومًا بأنجحَ فى الحاجات من طَبَقِ

اذا تلثَّم[٨] بالمِنديل مُنطلقا * لم يَخش نَبْوةَ بوابٍ ولا غَلَقِ

لا تُكْذَبنّ[٩] فإنّ الناس مُذ خُلِقُوا * لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ

وقال آخر :

ما أرسل الأقوامُ فى حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمِ

يأتيك عفوًا بالذى تشتهى * نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال : بلد الرجل اذا لم يتجه لشىء ، وبلد اذا نكس فى العمل وضعف . (٢) أى منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا اذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد اذا ذلّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طابة (ضبط فى الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر فى المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه اذا حكم له عليه بالغلبة . (٧) فى المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودّته » . (٨) فى المحاسن والأضداد : « تقنّع » . (٩) فى المحاسن والأضداد : « لا تكثرنّ » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدّثنى سهلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : دخل أبو بكر الهَجَرِىّ على المنصور فقال : يا أميرَ المؤمنين نغَضَ فِمى[1] وأنتم أهلُ بيتِ بركة ، فلو أذِنتَ لى فقبَّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لى منه ! فقال أبو جعفر : اخْتَرْ منها ومن الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أهونُ علىّ من ذَهَابِ درهم من الجائزةِ ألَّا تَبْقَى فى فمى حاكَّة[2] .

قال أبو حاتم : وحدّثنا الأصمعىّ عن خَلَف قال : كنتُ أرَى أنّه ليس فى الدنيا رُقْية إلا رقية الحيّات ، فاذا رقية الخبزِ أسهلُ . يعنى ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله : الأجَلُ آفةُ الأمَل ، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد ، والبِرُّ غنيمةُ الحازمِ ، والتفريطُ مصيبةُ أخى القدرة ؛ فأمر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفع[3] اليه رُقْعةً فيها : يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه ، ليس كتابى إذا كتبتُ آستبطاءً ، ولا إمساكى إذا أمسكتُ آستغناءً ، لكنّ كتابى اذا كتبتُ تذكرةٌ لك ، وإمساكى إذا أمسكتُ ثِقَةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قَصَّرتْ بى هِمّةٌ صيَّرتنى اليك ، ولا أخَّرنِى آرتيادٌ دلّنِى عليك ، ولا قَعَد بى رجاءٌ حدانِى الى بابك . وبِحَسْبِ معتصِمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ ، ولَجْءٌ الى موئلٍ وسَنَد .

دخل الهُذَيْل بن زُفَر على يزيد بن المُهَلَّب فى حَمَالاتٍ[4] لَزِمتْه ، فقال له : قد عَظُم شأنُك عن أن يستعانَ بك أو يستعانَ عليك ، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلّا وأنت أكثرُ منه ، وليس العَجَبُ أن تفعل ، وإنما العجبُ من ألّا تفعل .

(١) يقال : نغضت أسنانه أى قلقت وتحرّكت . (٢) الحاكّة : السنّ لأنها تحك صاحبها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . (٣) فى الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهى : ما يحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحَمْدُونىّ فى الحسين بن أيوب والى البَصْرة :

قُلْ لابنِ أيّوبَ قد أصبحتَ مأمولَا * لا زال بابُك مَغْشِـيًّا ومأهـولَا
إن كنتَ فى عُطْلةٍ فالعـذرُ مُتَّصِلٌ * وصِلْ اذا كنتَ بالسلطانِ موصولَا
شَرُّ الأخِـلّاءِ مَنْ ولّى قفاه اذا * كان المُوَلَّى وأعطَى البِشْرَ معزولَا
مَنْ لم يُسَمِّنْ جوادًا كان يركبُهُ * فى الخِصْبِ قام به فى الجَدْبِ مهزولَا
افْرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشـغولا * لو قَدْ فَرَغْتَ لقد أُلفيتَ مبـذولا

وقال آخر :

ولا تَعْتَـذِرْ بالشُّـغْلِ عنّا فإنمـا * تناطُ بك الآمالُ ما اتّصل الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلاة، وكان صديقَه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذِرْنِى فإنّى مشغول؛ فقال : لولا الشغلُ ما أتيتُك .

وكتب رجلٌ الى صـديقٍ له : قد عرضَـتْ قِبلَكَ حاجةٌ، فإنْ نَجَحتْ بك فالفانِى منها حَظِّى والباقِى حظُّك، وإن تَعْتذِرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقَدَّمٌ لك.

وفى فصلٍ آخر : قد عَذَرك الشُّغْلُ فى إغفالِ الحـاجةِ وعذَرنى فى إنكارك .

وفى فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالى مع علمك بها، ولا أقتضِيك عمارتَها بأكثَرَ من قدرتِك عليها ؛ فلربّما نِيلَ الغِنَى على يَدَىْ مَنْ هو دونَك بأدنَى مِن حُرْمتى. وما أستَصْغِرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستَقِلُّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تُصَفِّد يدًا بصنيعةٍ باقٍ ذكرُها جميلٍ فى الدهر أثرُها، تَغتنِمُ غِرَّة الزمان فيها وتُبادر فَوْتَ الإمكان بها، فافعَلْ .

قَدِم على زِيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبهُم فقال: أصلح الله الأميرَ! نحن، وإن كانت نَزَعت بنا أنفُسُنا إليك وأنضينا[1] ركائبَنا نحوك التماسًا لفضـلِ عطائك ،

(١) أنضينا : أهزلنا .

عالمون بأنه لا مانـعَ لـما أعطَى الله ولا مُعْطِىَ لـما منَع ؛ و إنمـا أنت أيّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكَرْناك ، وان لم يُؤْذَنْ لك فمنعتَ حَمِـدنا الله وعَذَرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلامًا أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

دخل العَتّابىّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوَفاتك فغَمّتْنى ، ثم جاءتنى وِفادتُك فسَرّتْنى ؛ فقال العتّابى : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معـك ؛ قال : سَلْنِى ، قال : يَداكَ بالعطيّة أطلقُ من لسانى .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كَبِرتْ سِنِّى ورَقَّ عَظْمِى ، وبُلِيتُ ببُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لونى فكسَدْنَ علىّ ؛ فرَقَّ له عمر ووصَله .

سأل رجلٌ أسَدَ(١) بن عبد الله فاعتلّ عليه ؛ فقال : إنى سألتُ الأميرَ من غير حاجةٍ ؛ قال : وما حَمَلك على ذلك؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّقَ منك بحبلِ مَوَدّة .

لَزِم بعضُ الحكماء بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتلَطّف للحاجب فى إيصال رُقْعةٍ ففعل ، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ :

السطرُ الأوّلُ " الأملُ والضَّرورةُ أقدمانِى عليك " .

والسطرُ الثانى " والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة " .

والسطرُ الثالثُ " الانصرافُ بِلا فائدةٍ شماتةٌ لِلأعداءِ " .

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسرى حاجة الخ» .

والسطرُ الرابعُ " فإمّا نَعَمْ مثمِرةٌ ، وإمّا لَا مُرِيحــةٌ " . فلما قرأها وَقّع فى كلّ سطرٍ : زه[1]، فأُعْطِىَ ستّةَ عَشرَ ألفَ مِثْقالِ فِضّة .

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم ، فقال له : أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك ، فإنْ تَقْضِها حَمِدنا الله وشكرناكَ ، و إن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا فى حاجةٍ أُخرى : إنى أتيتُك فى حاجةٍ ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكنّا جميعًا كريمَيْنِ ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكنّا جميعًا لئيمَيْنِ[2] .

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ ، فقال له : أتَكَلَّمُ بجُرْأة اليأسِ أم بهيبةِ الأَمَلِ ؟ قال : بل بهيبة الأمل ؛ فسأله حاجتَه فقضاها .

وقال أبو سَمّاكٍ لرجل : لم أَصُنْ وجهى عن الطَّلَبِ اليك ، فصُنْ وجهَك عن ردِّى ، وضَعْنى من كرمك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك .

قال المنصــور لرجل : ما مالُك ؟ قال : ما يَكُفُّ وجهى و يَعْجِز عـن بِرِّ الصَّديق فقال : لقد تلطَّفتَ للسؤال ، ووصَله .

وقال المنصــور لرجلٍ أَحْمَــدَ منه أمرًا : سَلْ حاجتَك فقال : يُبقيــك الله يا أمير المؤمنين ؛ قال : سل ، فليس يمكنك ذلك فى كلّ وقتٍ ؛ فقال : ولِمَ يا أمير المؤمنين !

---

(١) كلمة « ز ه » فى لغة الفرس معناها أحسنت . وفى العقد الفريد ج ا ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » .

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنى وضعت الطلبــة فى موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » والجزء الأخير من هــذا الشرح يشبه قول أبى تمــام :

عيــاش إنــك للئــيم و إننى * مذ صرتَ موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَك ولا أَغتنم مالَك وإنّ سؤالَك لزَيْنٌ، وإنّ عطاءَك لَشَرف، وما على أحدٍ بَذَل وجهَه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ ، فأمَر حتّى مُلئَ فُوه دُرًّا .

قال أبو العبّاس لأبى دُلَامة : سَلْ حاجتَك. قال : كلبٌ؛ قال : لك كلب. قال : ودابّة أتصيد عليها؛ قال : ودابة. قال : وغلام يركب الدابّة ويصيد؛ قال: وغلام . قال : وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه ؛ قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دارٍ؛ قال : ودار. قال : ولا بدّ من ضَيْعةٍ لهؤلاء؛ قال : قد أقطعتك مائة جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شيءٍ الغامرة؟ قال : ليس فيها نباتٌ. قال: فأنا أُقْطِعك ألفا وخمسمائة جريبٍ من فيافى بنى أَسَدٍ؛ قال : قد جعلتُها [كلَّها لك](١) عامرةً . قال : أُقَبِّل يدَك ؛ قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عِيالى شيئًا أهونَ عليهم فقدًا منها(٢) .

قال عبـد الملك لرجل : مالى أراك واجِمًا(٣) لاتَنْطِق؟ قال : أشكو اليك ثِقلَ الشّرَف؛ قال : أعِينوه على حَمْله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عيالُك ؟ قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّى؛ قال : ما أحسَنَ ما تَلَطّفتَ فى السؤال وفَرَض له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق، وقد ذكر هـذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأغانى : «ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها » . (٣) الواجم : الذى اشـتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هـذه الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّة الجِرْذانِ، قال : ما أحسَنَ هذه الكناية ! إملئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصه : اللهم أَقِلَّ صِبْيانَنا وأكثِرْ جِرْذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليَّ بالوليِّ والجارَ بالجارِ، فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفةٌ رُوقةٌ[(١)]، فنظر اليها، فقال سليمان : أأعجبتْك؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثال فى الاستِ وخُذْها، فقال : «صرّ عليه الغزوُ[(٢)] آستَه» . قال : واحد . قال : «آستُ البائن أعلم»[(٣)]، قال : آثنان . قال : «آستٌ[(٤)] لم تُعوَّدِ المِجْمَرَ تحترقُ»، قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يُعْطِى والعبدُ يَيْجَع بآستِه»[(٥)]، قال : أربعة . قال : «آسْتِي أَخْبثِى»[(٦)] ! قال : خمسة . قال : «عادَ سَلَاها فى آستِها»[(٧)]،

---

(١) الوصيفة : الجارية، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره . (٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى من الجانب الآخر : المعلى أو المستعلى، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى مُرّة فآستنجد بالحارث بن ظالم المرّى فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك، فقال الحارث : "إستُ البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِىَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضربُ لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ ماوية بنت عَفْزَر كانت ملكةً وكانت تتزوّج من أرادت، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم الطائى؛ فقالت له : آستقدم الى الفراش؛ فقال هذه الجملة . أراد : إنى أعرابىّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف . (٥) الذى فى الأمثال للميدانى : «الحرّ يعطى والعبد يألم قلبه» وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآل : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميدانى، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب؛ وقال فى شرحه : «يضرب فى وضع الشىء فى غير موضعه، وأصله أنّ سعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا النوار بنت جُلّ بن عدى رجاءَ أن يولد له، وكان محمقا، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت، فقال له : «لج مالِ ولجت الرَّجَم» (أى القبر)؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه، فقال له : ضع نعليك، فقال : ساعداى أحرز لهما، ثم أتى بطيب فجعل يجعله فى آسته، فقالوا له فى ذلك، فقال : «استى أخبثى» . (٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد، من الناس والمواشى .

قال : ستة . قال : « لا ماءكِ أَبقيتِ ولا حِرِكِ أَنْقيتِ »[1] ؛ قال : ليس هذا من ذاك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلّب لسليمانَ فى حَمالةٍ[2] كلّمه فيها : يا أميرَ المؤمنين ، واللهِ لَحَمْدُها خيرٌ منها ، ولَذِكرُها أحسنُ من جَمْعِها ، ويَدِى مبسوطةٌ بيدِك فٱبْسُطْها لِسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبى سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم ، لِتَباعُدٍ كان بينه وبين خالدِ بن يزيدَ بن معاويةَ ؛ فدخل عليه عمرُو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أدْنَى حقّك مُتْعِبٌ وتَقَصِّيه فادحٌ ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليكَ ، لقرابتنا منــك وإكرامِ سلَفنا لك ؛ فٱنظر الينا بالعين التى نظروا بهــا اليك ، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِمُ منك ، وزدنا بقدر ما زادك الله ؛ فقال : أفعَلُ ، وإنما يَستحقّ عطيّتى من ٱستعطاها ، فأمّا من ظنّ أنه يَستغنى بنفسه فسَنَكِلُه إليها ، يعرّض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ ممــا أخَذ ، أَوَ بِالحرمان يتهدّدنى ! يدُ الله فوق يده مانِعةٌ ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبى مسلم برُقْعةٍ يسأله أن يرفعَها الى الحجّــاج ؛ فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التى تُرفع الى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإنى أسألك أن ترفعها ، فلعلّها توافق قَدَرًا فيقضِيَها وهو كارهٌ ؛ فأدخلَها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجــاج فى الرُّقعــة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنهــا وافقتْ قدَرا وقد قضيناها ونحن كارهون .

---

(١) أصله أن رجلا كان فى سفر ومعــه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فٱغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت المـاء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء على بِشْر بن مَرْوان[1] فأنشده :

أَغفيتُ عند الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليدةٍ * مُغْنُوجةٍ[2] حَسَنٍ علىّ قيامُها
وبِبَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغلةٍ * دهماءَ مُشرِفةٍ[3] يَصِلُّ[4] لجامُها
فدعوت ربى أن يُثيبك جنّةً * عِوضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شيء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أَقْطِعْنى البَحْرَيْن، قال : إنى لا أصلُ الى ذلك . قال : فٱستَعمِلْنى على البَصْرة، قال : ماأُريدُ عَزْل عاملها . قال : تأمرُ لى بألفيْن، قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحَك ! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : ٱسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطِيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكتّاب فسأله ، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه ؛ فقال الأعرابىّ :

حوِّل العَقْد بالشمال أبا الأصْـ * ـبَغ وٱضْمُمْ الى القميص قميصًا
إنّ عَقْدَ اليمين يَقْصُرعنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصًا

يقول : حوّل عَقْد ايمين وهو عشرة الى عَقْد الشمال وهو مائة[5] .

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة ، والذى بها : امرأة مغناج وغنجة : حسنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب ، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو ، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد ، فالعشرة يُدلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابىّ فقال فى مسألته : لقـد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحْرَقَ ولقد مَشَيتُ حتى ٱنتعلتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلى بَخَصُ[1] لحمٍ وحتى تمنّيت أنّ وجهى حِذاءٌ لِقَدَمى[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قومًا فقال : رَحِم الله ٱمرأً لم تَمُجُجْ أذناه كلامى، وقَدّم لنفسه مَعاذًا من سوء مُقامى، فإن البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُصْعِبة[3]، والحياءَ زاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ عاذرٌ[4] يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدقتيْن فرحِم الله امرأً أمر بميْر[5]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : مِمّن الرجل ؟ فقـال : اللهم غَفْرا مِمّن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه؛ ذُلّ الاكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب .

سأل أعرابىٌّ رجلا فحَرَمه؛ فقال : عَلَامَ تحْرِمُنى ! فوالله ما زلتَ قِبـلةً لأملى لا تَلفِتُنى عنك المطامعُ ، فإن قلتَ : قـد أحسنتُ بَدْءًا، فما يُنْكَر لمثلك أن يُحسن عَـوْدًا ! .

قال ٱبنُ أبى عَتِيق : دخلتُ على أشْعبَ وعنده متَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستَحِى أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فَدَيتُك! معى والله من لطيف السؤال مالا تَطيب نفسى بِتركه .

قال الصَّلَتَان العَبْدىّ :

نَروح ونغـــدو لحاجاتنـا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضِى
تموت مع المـــرءِ حاجاتُه * وتبقَى له حاجةٌ ما بَـــقِى
إذا ليـــلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعـــد ذلك يومٌ فَتِى

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) فى الأصل : «حذاء لدمى» . (٣) فى المحاسن والمساوى للبيهقى طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه بٱختلاف عما هنا .
(٤) كذا فى المحاسن والمساوى . وفى الأصل : «عار» . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد سَنحتُ بها[1] * جعلتُهـا للتى أخفيتُ عُنــوانَا

كتب دِعْبلٌ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعًا[2] بلا سبب * اليــك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فاْقض ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

من يُعْتَمَد فى الحاجة ويُسْتَسْعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[3] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلُبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوُجوه[4]" .

وفى حديث آخر : "اِعتَمِدْ لحوائِجك الصِّباحَ الوُجوهِ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل" .

قالت آمرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولاتَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنٍّ إليكَ أكرمكَ اللهُ دعانى فلا عَدِمتَ الصَّــلاحَا

ودعانى إليكَ قولُ رســول الله إذ قال مُفصِــحًا إفصاحَا

إنْ أردتُم حوائجًا عند قومٍ * فتنقَّوْا لهـا الوجــوهَ الصِّباحَا

---

(١) سنحت بكذا : عرّضت ولحنت ، وقد أورد صاحب اللسان هـذا البيت فى مادة « سنح » ونسبه لسوّار بن المضرّب . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومَنا نخيــارُهمْ * مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ
أعطَى الذى أعطَى أبوه قبلَه * وتبخَّلتْ أبنــاءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشــدُّ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال مسلمُ بنُ قُتَيبة : لا تَطلُبَنَّ حاجتَكَ الى كذّابٍ فإنه يُقَرِّبُها وهى بعيــدٌ[1] ويُبعّدها وهى قريب[1] ، ولا الى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ ، ولا الى رجلٍ له عند من تسأله الحاجةَ مأكلةٌ ، فإنه لا يُؤثِرَكَ على نفسه .

أنشدَنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

ولستُ بسائِلِ الأعرابِ شيئًا * حَمِــدتُ الله إذ لم يأكُلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تَطلُبَنَّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجِّلْه حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروفٍ عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطَاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وقال بشّارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العدا[2] * فَنبِّه لهــا عُمَــرًا ثم نَمْ
فتًى لا يبيتُ على دِمْنَــةٍ * ولا يشرَبُ المـاءَ إلا بِدَمْ
يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغــدُو على نِعَمٍ أو نِقَــمْ

(١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . (٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجك بالجيّد اللسان، ولا المتسرِّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع ؛ ومَن وعَد ما يَعجِزُ عنه فقد ظلَم نفسه وأساء الى غيره ؛ ومن وَثِق بجَودةِ لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعدَه يقوم مَقامَ إنجازه . وقال أيضا : عليك بذى الحَصَرِ البَكِىّ(١)، وبذى الخِيم(٢) الرضِىّ، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِىّ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكىّ؛ وعليك بالشّهم النَّدْب(٣) الذى إن عجَز أيأسَك، وإن قدَر أطمعك .

قال بعضُ الشعراء :

لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجة * وٱقعُدْ فإنكَ قائما كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضرِبُ فى حديدٍ بارد

وقال آخرُ :

إذا الشافعُ ٱستقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه * وإن لم تَنَلْ نُجْحاً فقد وجَب الشُّكرُ

وقال آخرُ(٤) :

وإذا ٱمرؤٌ أسدَى اليكَ(٥) صنيعةً * من جاهِه فكأنّها من مالِه

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال : كان والله إذا نزلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلّاتُ النفوس .

قال الشاعرُ :

ما إنْ مَدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا ٱستَعنتُكَ إلا قلتَ مشغُولُ

ابنُ عائشةَ قال : كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليه أهلُ البصرة فى حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركِبَ؛ فقيل له :

---

(١) البكىّ : القليل الكلام . (٢) الخيم : السجية والطبيعة . (٣) الندب : الخفيف فى الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائى . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصل : «أهدى الىّ» .

إنك تُباكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِئُ به فَوْرَةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلوفَ[1] فمى، وأبلغ فى قضاء حوائجى، فخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَمَ، ويُدَاوِى من الخَوَى .

قال بعضُ المحدَثين :

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه * إليــكَ ولا عرّضتُه للمَعَــايِرِ
فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه * وخَلَّتْ[2] لديه مالَه غيرَ وافــِرِ

وقال آخرُ :

أتيتُــكَ لا أُدلِى بقُـــرْبَى ولا يدٍ * اليك ســوَى أنّى بجُودكَ واثِقُ
فإن تُولِنِى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرا * وإن قلتَ لى عذرًا أقلْ أنتَ صادِقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه : أيدِينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك بالذِّلّة، وأبصارُنَا شاخصةٌ اليك بالشكر، فافعلْ فى أمورنا حَسَبَ أملِنا فيكَ، والسلام .

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد : إنّى أتيتُكَ فى حاجةٍ صــغيرةٍ، قال : اطلب لها رجلا صغيرا . وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبــد الله بن العبّاس لرجل قال له : إنى أتيتكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله : هاتها، إنّ الرجل لا يصغُر عن كبيرِ أخيه ولا يكبُرُ عن صغيرِه .

قال رجل للأحنف: أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَنْكِيكَ[3] ولا تَرْزَؤكَ، قال: اذًا لا تُقْضَى! أمثلِى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَنكِى ولا تَرزَأُ ! .

(١) الخلوف : رائحة الفم .
(٢) فى العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) : * عليه وخلت ماله غير وافر *
(٣) لا تنكيك : لا تنال منك، من نكى العدوّ نكاية : أصاب منه . ولا ترزؤك : لا تصيب من مالك شيئا .

جاء قومٌ الى رجل يُكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةُ، فقال لرقَبةَ : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناكَ نطلُب منكَ فضلَ التوسُّعِ فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال: لا، فقال عمرو : أقِلّ من قول: «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

كان رسولُ‌الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطَى، واذا سُئِلَ مالا يجِد قال : "يصنع الله" .

قال عمرُ بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليــكِ فقالت * بين أُذْنى وعاتِقى ما تُريدُ

أى قد تضمَّنتُه لك فهو فى عُنُقِى .

سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلُنا ونحن سُؤّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلا حاجةً ، فقال : اذهَبْ بسـلام، قال السائلُ : أَنصَفَنَا مَنْ رَدَّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليـكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال : وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمَّنَ قضاءها ، قال : قد فعلتُ ،قال : حاجتى ألّا تسألَنى هــذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمـامةُ : لكنّى لا أردّ ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل آشـترى منه ثمرةَ نخله ، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له ، فقال الأصمعىّ : أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى[1] ! هى

(١) القسمة الضيزى : الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اِشترى منّى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له! اِذهبوا فاشتروا لى طعامَ السَّواد[١] على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى، ولا بدّ من الاحتيال لكم اذ لم تحتملوا لى، هــذا ما مَشَيتم معــه إلا وأنتم تُوجبون حقَّه وتُحبُّون رِفدَه، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقــد كنتُ أغنيتُه عنكم، ولكن لا أعرِفُه ولا يضرِّنّى بحقّ؛ فهَلُمَّ فلنتوزَّعْ هــذا الخسرانَ بيننا بالسواء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيِس التاجرُ لخرج له من حقّه.

قال يزيدُ بن عُمَير[٢] الأُسَيِّدى لبَنِيه: يا بَنِىّ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلَم بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم، ولَأنْ يقالَ لأحدكم: بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال: سخىٌّ وهو فقير.

وقال إسحاق بن إبراهيم:

النصرُ يُقرئكَ الســلامَ وإنمــا * أهدَى الســلامَ تعرّضًا لِلطّمعِ
فاقطَعْ لُبانَتَـــه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضِى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال: لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَهُ بالطمع فيه عن غيره، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم فى حاجةِ مُتَحرِّمٍ به، إلا ليُلَقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منع، ولِيفتَح على السائل بابَ حِرمانٍ.

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران:

إنّ الضـــميرَ اذا سألتُكَ حاجةً * لأبى الهُذَيل[٣] خلافُ ما أُبدِى
فامنعْه رَوْحَ اليأس ثم امدُد له * حبــلَ الرجاء لمُخْلِف الوعــدِ

(١) السواد: الريف. (٢) فى الأصل: «عمر» والتصويب عن السمعانى.
(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رءوس المعتزلة، وكان يبخّل، (انظر البخلاء ج ٦٩، ١٤٧، ١٤٨ طبع أوروبا)

وألِنْ له كَنَفًا ليحسُنَ ظنُّه * فى غـــير مَنفعةٍ ولا رِفْـــدِ
حتى اذا طالتْ شـــقاوةُ جَدّه * وعنـــاؤه فأَجْبَهْـــهُ بالردّ

قيل لحُبَّى المَدينيّة : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه. قيل لها : فما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فما الشرفُ ؟ قالت: اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال .

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه.

روى علىّ بن مُسْهِرٍ عن هشام عن أبيه قال: قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: أعلمـتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غِنًى، وأن المرءَ اذا يئس من شيء آستغنى عنه.

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره ،وكُلُّ مانعٍ ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه .

وقد قيل : أرخص ما يكون الشيءُ عند غَلَائه .

وقال بشّارٌ : * والدرُّ يُتركُ من غَلائِهْ *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرقّ، فإن قضاها المسئولُ آستعبده بها، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ: هذا بذُلّ البخل، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم: مَن سألكَ لم يُكرم وجهَه عن مسألتكَ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه.

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسمـاءُ بن خارجةَ : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ، فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدَّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شـيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرَى اللهَ يكفى فقدَ ما منَعُوا

أتى رجلٌ الحسنَ بن علىّ رضى الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلُحُ إلا فى غُرْمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدْقِع أو حَمالة مُفظِعة ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا فى إحداهنّ ، فأمر(١) له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالةِ أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائةَ دينار ، فنقّصه دينارا . كره أن يساوى أخاه . ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شىء ؛ فقال الرجل له : إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصّ كلامَهما عليه وفعلَهما به ؛ فقال عبدُ الله : ويحكَ ! وأنّى تجعلنى مثلَهما ! إنهما غُرّا(٢) العلمَ غُرّا المـالَ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرةَ ، فمتّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا ؛ فعاد اليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلىّ الذى سألك منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَزَارىّ الذى منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرةً الى الله ! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحاربىّ ؛ فقال : ذاك ألأمُ لك ، وأهونُ بك علىّ ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسىّ اسْفَعْ(٣) بيده .

أتى عبدَ الله بنَ الزبير أعرابىٌّ(٤) يسأله ، فشكا اليه نَقَبَ(٥) ناقته واستحمله(٦) ؛ فقال له ابنُ الزبير : ارقَعها بسِبْتٍ(٧) واخصِفْها بهُلبٍ وافعل وافعل ... ؛ فقال الأعرابى : إنى أتيتُك مُستوصِلًا ولم آتِك مُستوصِفًا ، فلا حملَتْ ناقةٌ حملَتنى إليكَ ! فقال : إنّ(٨) وصاحِبَها .

(١) فى الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرّا العلم : ألقماه ، يقال : غرّ الطائر فرخه اذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغرّ عليا بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتثقب فى خف البعير . (٦) استحمله : حمله حوائج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تُحذى منه النعال السبتية . والخصف : ان يظاهر الجلدين بعضهما الى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للخرز : المخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذى يخرز به . (٨) إنّ بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفَر بحاجته : «جاء على غُبَيْراء الظهرِ»[1] .

وتقول هى والعوام : «جاء بخُفَّىْ حُنَيْنٍ» و «جاء على حاجبه صُوفةٌ» .

وقال أبو عطاء السِّنْدِىّ فى عمر بن هُبَيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهُنّ لقرم[2] قيسٍ * طلبتُ بهـا الأخوّةَ والثناءَ
رجَعْنَ على حواجبهن صُوفٌ * فعند الله أحتسبُ الجـــزاء

والأصـل فى قولهم : « جاء بخُفَّىْ حُنَيْن » أن إسكافاً من أهل الحِيرة ساومَه أعرابىٌّ بخفَّيْن ، فآختلفا حتى أغضبه ، فآزداد غيظ الأعرابىّ ؛ فلما آرتحل أخذ حُنَيْنٌ أحد خفَّيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخرَ فى موضع آخر ؛ فلما مرّ الأعرابىّ بأحدهما قال : ما أشبَهَ هذا بخفّ حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى ؛ فلما آنتهى الى الآخر نَدِم على تَرْكه الأوّل ، وأناخ راحلتَه فأخذه و رجع الى الأوّل ، وقد كَمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معـه غيرُ الخفّين ؛ فقال له قومه : ما الذى أتيتَ به ؟ قال : بخفَّىْ حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضِيتْ حاجتـُه قيل[3] : « جاء ثانيًا من عِنانه » . فإن جاء ولمّـا تُقْضَ حاجتهُ وقد أُصِيب ببعض ما معه ، قالوا : «ذهب يبتغى قَرْنًا فلم يَرْجِع بأُذُنين» . يقول بشار :

فكنتُ كالعَيْرِ غَدَا يبتغِى * قَرْنًا فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ[4]

(١) غبيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروى : جاء على ظهر الغبـيراء ، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التى يجىء ويذهب فيها . (انظر ما يعوّل عليــه فى المضاف والمضاف اليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) .

(٢) كذا فى الشعر والشعراء للؤلف والقرم من الرجال السيّد العظيم وفى الأصل : «لقوم» .

(٣) فى الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم .

(٤) رواية هذا البيت فى الأغانى ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماد عجرد وأعشى باهلة ، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل فى شعر ، وعيّن لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابىٌّ قوما، فقيل له : بُورك فيـك ! فقال : وكَلَكم الله الى دعوةٍ لا تحضُرها نِيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبة[(١)]، فأرسل أعرابىٌّ فرسًا له فسبَقت الخيلَ؛ فقال له الوليد : ٱحملنى عليهـا؛ فقال : إن لهـا حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْر لهـا سَبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُه شأنُه عن الحاجةِ يُسْأَلُهـا : «شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعَارا» بِنَصْب الحلى، ويعار : من العارية . فأمّا قولهم : « أحقُّ الخيـل بالركض المعار»، فإنّ المُعار[(٢)] : المَنْتوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الذيّال الذنبِ[(٣)]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفتَه .

وتقول العرب لمن سُـئِل وهو لا يَقدِر فرَدّ : « بيتى يَبْخَل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كذَبْتَنِى؛ قال: لا ، ولكن كذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمن ٱعتذر بالمنع بالعُدْم وعنـده ما سُئل : « أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ[(٤)] » . قال أبو زيد : وأصـله أن رجلا ضاف قوما فٱستسقاهم لبنًا، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ ، فاعتـذروا أنه لا لبنَ عنـدهم ؛ فقال : ” أبَى الحَقِينُ العِذْرةَ “ . ويقال : « العِذْرةُ طَرَف البخل » .

---

(١) فى الأصل : «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة ، وقيل : المعار : المسمن ، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته ، وقيل : المعار : المضمر ، من عار الفرس اذا أخذ يذهب ويجىء مرحا ونشاطا ، فالمعار : ما ردد الذهاب به والمجىء حتى ضمر ، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يحيد براكبه عن الطريق ، وكذلك يروى : المُغار — بالغين المعجمة — أى المضمّر من أغرت الحبل اذا فتلته . (٣) الذيال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصــنيعةِ وهى نارُ
نسـيبُ البخلِ مذ كانَا وإن لم * يكن نسبٌ فبينهـما جِوارُ
لذلك قِيــل بعضُ المنعِ أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجـود عارُ

قال إسماعيلُ(١) القراطيسىّ فى الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مدحِــك(٢) * ما أخطأتَ فى منعى
لقـــد أحللتُ حاجاتى * بـوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

غزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْرِ [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزّى؛ فقال له حكيم بن حِزام : يٰآبن أخى، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له، فأقسمتُ عليك لا يردُّه علىّ أحدٌ منكم؛ فقال المُنْـذِر : لاها اللهِ إذًا(٣)، بل نأخذ ما تُعطِى، فإن نَحْتَجْ إليه نَسـتعِنْ به ولا نكره أن يأجُرَك اللهُ، وإن نستَغْنِ عنه نُعطِه من يأجُرنَا اللهُ فيه كما أجَرَكَ .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهمَيْــه ولم يكن * ليُغْنِيَ عـنى فقرى دِرْهما غَمْــرِ
وقلت لغمرٍ خذهما فٱصْطَرِفْهما * سريعيْنِ فى نقض المُرُوءة والأجرِ
أتمنَعُ سُؤّال العشيرةِ بعـــد ما * تَسَمَّيْتَ غمرًا وٱكتنيتَ أبا بحرِ

* (١) نسبهما ابن حجة فى خزانته ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذُكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى . (٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن، والكف حسن فى هذا البحر وهو الهزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « فى مدحيك » وبهـذه الرواية لا كف فيه . (٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة، بعد حذف همزة الوصل، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العَتَاهِيَــة الى الفضــل بن الربيع فى حاجةٍ له زماناً فلم يقضِها له، فكتب :

أكُلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُــكَ فى حاجةٍ تقولُ غَدَا!
لا جعل اللهُ لى اليـــك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا!

وقال آخر :

إن كنتَ لم تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فمــا ٱنتفاعُك من حَبْسى وتَرديدى
فالمنـعُ أجمَـلُه ماكانَ أعجَلَه * والمَطْـل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنِصفُ لسانى فى ٱمتداحك مُطْلَقُ
فإن أنتَ لم تُنْجِـزْ عِدَاتى تركتَنى * وباقى لسانِ الشـكر باليأسِ مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعـلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحَتَيْكا

المواعيـــــدُ وتَنَجُّـــزها

ذكَر جبّار بن سُــلْمَى[1] عامرَ بن الطُّفَيْل فقال : كان واللهِ اذا وعَد الخيرَ وفَى، واذا أوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلاء فى مثل هذا المعنى :

ولا يَرهَبُ ٱبنُ العمّ ما عشتُ صَوْلَتِى * ويأمَنُ منّى صــولةَ المتهــدِّدِ
وإنّىَ إنْ أوعـدتُه أو وعــدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْـدُقُ مَوْعِدى

(١) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشِيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقاشِيَّيْن البغداديّيْن) لخالد بن دَيْسم عامل الرَّىّ :

أخالدُ إنّ الرَّىّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها
وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفّ رِشاشُها
فلا غيمُها يصحو فيُؤْيِسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فترْوَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحجّاج :

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ
حِذارَ آمرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى مَا يَعِدْ من نَفْسه الشرَّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون و يفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وَعَدتِنِى ثم لم توفِى بمَوعِدَتِى * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعَدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِى : «برقٌ خُلَّب» .

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد الله إنْ أغنَى البلاءُ
فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لها كلَّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا مارأْس حولٍ تَجَرَّما(١)
فإن أوعدتْ شرًّا أتى دون وقتِهِ * وإن وَعَدَتْ خيرا أراثَ وأعتَما(٢)

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبـد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوّجه ٱبنته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوّجه إياها ، وقال : كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عزّ وجلّ بثُلُث ٱلنّفاق .

وقال الطائىّ :

تقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له * خُلْقًا وتُجزُ إنجـازَ الذى حلَفَا

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل صلّى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشّار يمدح :

اذا قال تمّ عـلى قَـوْلِه * وماتَ العَنَـاءُ بِـلَا أو نَعَمْ
وبعضُ الرجالِ بِمَـوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَمْ (١)
كجارى السَّرابِ تَرَى لَمْعَـهُ * ولستَ بواجده عنـــد كَمْ

وقال العبّاس بن الأحنف :

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ ببخله * لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر :

عسى منك خيرٌ من نَعَمْ ألفَ مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

وقال نُصَيْب :

يقول فيُحسِنُ القولَ ٱبنُ ليـلَى * ويفعل فوق أحسنِ ما يقولُ

وقال زيادٌ الأعجم :

لله درُّك مِن فـتًى * لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خيرَ فى كَذِبِ الجـوا * دِ وحبَّذا صِدقُ البخيلْ

---

(١) الرجم (بالتحريك) : القبر والحجارة التى توضع عليـه ، وبضمتين أو بضم ففتح : الحجارة التى توضع على القبر، يريد أنه فى تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثلَ فى الخُلْف بعُرْقوب . قال ابن الكلبىّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق، فأتاه أخٌ له فسأله شيئا، فقال له عُرْقوب : اذا أَطْلَعَ[1] نخلى. فلما أَطْلع أتاه، قال : اذا أَبْلح . فلما أبلح أتاه، فقال : اذا أَزْهى[2]. فلما أزهى أتاه، قال : اذا أَرْطَب . فلما أرطب أتاه، قال : اذا صار تمرا. فلما صار تَمْراً جَدَّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَيْر :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيـدُها إلّا الأباطيـــلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منك سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بيَتْرِبِ[3]

هكذا قرأته على البِصْريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ، أَقضِها قُدْما وذلك من شَكْلى
وإن قلتُ لا ، بيَّنْتُها من مكانها * ولم أُوذِهِ منها بجـــرٍّ ولا مَطْــلِ
وَلَلبَخْلَةُ الأُولى أقـــلُّ مَلامـةً * من الجُـود بَدْءًا ثم يُتْبع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَهِجتِ بها * فحـــوِّلى رحلَها عنهـا الى نَعَمِ
أو حوِّليها الى «لا» فهى تَعْدِلُها[4] * إن كنتِ حاولتِ فى ذا قلّةَ الكَلِمِ
قِســتُمْ علينا فعارضْــنا قياسَــكُمُ * يا مَن تناهَى اليه غايةُ الكَرَمِ

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلوّن تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء المثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول، وفى ديوانه «أو حولوها اليها فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغيير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صـديق له : قد أفردتك برجائى بعـد الله ، وتعجّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد ويَضَنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

وقال آخر :

وذى ثقةٍ تبدَّلَ حين أَثْرَى * ومن شِيَمى مراقبةُ الثِّقاتِ
فقلتُ له عَتَبْتَ علىّ إثمًـا * فِرارًا من مَؤوناتِ العِدَاتِ
فعُــدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ * سألْتُك (1) حاجةً حتّى المماتِ

وقال آخر فى أصحاب النبيذ :

مواعيدُهم رِيحٌ لمن يَعِدونَه * بها قطعوا بردَ الشتاء وقاظُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعدًا * وكفُّكَ بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ
تُمَنِّى الذى يأتيــك حتّى اذا انتهَى * الى أجلٍ ناولتَــه طَرَفَ الحبــلِ

وسأل خَلَف بن خليفة أبَان بن الوليد أن يَهَبَ له جاريةً، فوعده وأبطأ عليه، فكتب اليه :

أَرى حاجَتِي عند الأميرِ كأنّما * تَهُــمُّ زمانًا عنــده بمُقَامِ
وأَحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُــهُ * وصــدقُ الحيــاءِ مُلْجِمٌ بلِجامِ
أَراهــا اذا كان النهــارُ نَسِيئةً * وباللّيــلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ
فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخْــرِجٌ * من المَيْتِ حَيًّـا مُفصِحًا بكلامِ

---

(1) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فتعلم ما شكري اذا ما قضيتها[1] * وكيف صلاتي عندها وصيامي
وإن حاجتي من بعد هذا تأخرت * خشيت لما بي أن أزور غلامي

والعرب تقول : «أنجز حرّ ما وعد» .

وقال أميّة بن أبي الصّلت لعبد الله بن جُدْعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إنّ شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا * كفاه من تعرّضه الثناء

وقال الطائيّ :

واذا المجد كان عوني على المر * ء تقاضيته بترك التقاضي

وقال الزهريّ : حقيق[2] على من أورق بوعد، أن يثمر بفعل .

وقال المغيرة : من أخّر حاجة رجل فقد تضمّن قضاءها .

وقال الشاعر :

كفاك مذكّرًا وجهي بأمري * وحسبي أن أراك وأن تراني
وكيف أحثّ من يُعنى بشأني * ويعرف حاجتي ويرى مكاني

وقال الشاعر :

ياصاح قل في حاجتي * أذكرتها فيما ذكرتا
إنّ السّراح[3] من النجا * ح إذا شقيت[4] بما طلبتا

(١) في الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوربا) : «قبضتها» ، وورد فيه بعد ذكر الأبيات : «فضحك أبان وبعث اليه بجارية» . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفي الأصل : «خصه من أزهر الخ ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال في اللسان مادّة (سرح) : «وفي المثل : السراح من النجاح ، أي اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فآيسه ، فإنّ ذلك عنده بمنزلة الإسعاف» . وقال الميدانيّ بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أي ينبغي أن تؤيسه منها اذا لم تقض حاجته» . (٤) في الأصل : «شفيت» بالفاء .

وقال آخر :

فى تَصــدِّيكَ للطـالبِ إذْكا * رٌ بوعدٍ جرى به المِقـــدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذكارَ مَعْـنِيٍّ، وحَثّ مُتَيقِّظٍ، وٱستِبْطاءَ ذاكرٍ؛ إلّا أن ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ فى حاجته، حَلَّ بذلك منها أو عَقَلَ . وكتابى تذكِرةٌ والسلام .

وقال الطِّرِمّاحُ :

أَلِحُسْنِ مَـــنزلتى تُؤَخِّرُ حاجتى * أم ليسَ عندكَ لى بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ لمَخْلَدِ بن يزيدَ بن المُهلَّب :

أَتيناكَ فى حاجـــةٍ فٱقضِها * وقُلْ مَرْحبًا يَجِبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنّـا إلى مَعْشَـــرٍ * متى يَعِـــدوا عِدَةً يَكذِبوا

وقال بعض المحدَثينَ :

حوائجُ النـاسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتى لا أَرَاكَ تَقْضِـــيها

أناقـةُ(١) الله حاجتى عُقِــرَتْ * أم نَبَتَ الحُــرْفُ(٢) فى نواحِيهـا

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خبَرِى

وقال آخر :

أروحُ لتسليم عليك وأغتـدِى * وحسبُك بالتّسليم منّى تقاضيَا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا ينـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّحِ(٣) ناهيـا

(١) يعنى بناقة الله هنا ناقة صالح التى عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت ، فكنى بنبات الحرف فى نواحيها عن الإهمال ، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذى ليس للإنسان معه أمل فى شىء ، يقال : صرح الشىء تصريحا اذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا اليكَ (١) وإنما * يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأَوْصَابِ

كتب بعضُ الكتّاب الى بعضِ السلطان : أنا أنزّهك عن التجمُّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعْتَرِله الوفاء، وأُحِبّ أن يتقرّر عندك أن أملِي فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك ٱختلاسَ من يَرى فى عاجلِكَ عِوضًا من آجلك، وفى الراهنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُسْتكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلّفُ ما فوق العفوِله، وأن تَختارَ (٢) بين العذرِ والشكرِ؛ فاللهُ يعلمُ أنّ آثر الحظّين عندى أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما الحالي عندك .

وفى كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّة، كما أنّ المتحرِّمَ به مذمومٌ على التناسِى والإزالةِ . ومن مذهبِي الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يُقَدِّمنى إليها حقّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ فى الحقّ . والثانى أن أرى النفِيس من الحظّ زهيدا اذا أتَى من جهة الإرهاقِ. ولِى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها ، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُراعِى المعالى وحافِظُ بقيّةِ الكرم؛ فأىُّ سبيلٍ لِلعذرِ، بل أىّ موضعٍ لِلإكداء بين حُرْمتِي ورِعايتكَ، وذِمامِي وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروفِ مُسْتَخَفٌّ، وآخرُه مُسْتَثْقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : ربُّ (٣) الصّنيعةِ أشدُّ من ٱبتدائها .

(١) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (٣) ربَّ الصنيعةَ رباًّ : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّنْدىّ فى يزيدَ بن عمر [بن هُبَيرة] :

ثلاثٌ[1] حُكْتُهُنَّ لقَوْم[2] قيسٍ * رجَعْنَ الىّ صِفرًا خائبات

أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا * فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ[3]

فيــا عجبًا لبحرٍ فاض يسقِى * جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَــاتِى[4]

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعرُ[5] :

سألنــاه الجزيلَ فمــا تَلَكَّا[6] * وأعطى فوق مُنيتِنــا وزادا

مِرارًا ما أعودُ[7] اليــــه إلّا * تبسّم ضاحكا وثنَى الوِسادا

وقال آخرُ :

قومٌ اذا نزل الغـــريبُ بدارهم * تركوه ربَّ صَـــواهِلٍ[8] وقِيانِ

وإذا دعوتَهُــمُ ليومِ كريهــةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشمس بالفُرْسانِ

لا ينقُرُون الأرضَ عند سؤالهم * لِتَلَمُّسِ العِـلّات بِالعِيــدانِ

بل يبسُطون وجوهَهم فترى لها * عند السؤال كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

يجعَـــلُ المعروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * ويَعُـدّ الحمـدَ خـيرَ التجارَهْ

---

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء للمؤلف . وفى الأصل : «لقوم» .
(٣) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) « تأبّى » . (٧) فى الأغانى : «ما دنوتُ» . (٨) كذا فى العقد الفريد .
والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله و يده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل » ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَه تجتديه * خِلتَه بشَّرتَه ببشاره
فترى فى الطَّرْف منه حياءً * وترى فى الوجه منه آستناره

وقال آخر :

إذا غدا المهدىُّ فى جنده * أو راح فى آل الرسول الغضابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهه * كالضوء يجرِى فى ثنايا الكِعابْ (١)

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعْمَى كأنها * مواقع ماءِ المُزن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ * عليه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمشهور فى هذا قول زهير :

تَراه اذا ما جِئتَه مُتهلِّلًا * كأنّك تُعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِه] شيئا، فقال :

كَدَحْتُ بأظفارى وأعْمَلْتُ مِعْوَلِى * فصادَفْتُ جُلْمُودًا من الصَّخر أملَسَا
تشاغلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرَقَ حتى قلتُ قد ماتَ أو عسَى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتُه * يفوقُ فُواقَ [الموت] (٢) ثم تَنَفَّسَا
فقلتُ له لا بأسَ، لستُ بعائذٍ (٣) * فأفْرِخْ (٤) تَعلُوهُ الكآبةُ مُبلِسَا

وقال مسلمٌ :

أطرقَ لما أتيتُ ممتدِحًا * فلم يقُلْ "لا" فضلًا على "نَعَم"

(١) الكعاب : جمع كاعب، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن . (٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعاند» بالدال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روعه، وفى الأصل : « فأفرج » بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نخفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاءَ من أَمَمِ (١)
لو أنّ كنزَ البــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِــلَالَ بالعَـدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِىّ :

فلما أن أتيناه وقلنـا * بحاجتنا تَلَوَّنَ لَونَ وَرْسِ (٢)
وآضَ (٣) بكفّه يَحُكّ ضرسًا * يُرِينَـا أنه وَجِعٌ بِضرْسِ
فقلتُ لصاحبي أبه كُزازٌ (٤) * وقلتُ أُسِرُّه أتُراه يُمْسِى
وقمنا هاربِينَ معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ (٥) بقتلِ نفْسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المُسَاوِرِ الضَّبِّىّ وهو بُنْدَارُ (٦) الرَّىّ ، فسأله فلم يُعطِه شيئا ، فأنشأ يقول :

أتيتُ المساورَ فى حاجــةٍ * فمـا زال يَسعُلُ حتى ضَرَطْ
وحكَّ قفـاه بكُرْسُـوعِه (٧) * ومَسَّــحَ عُثْنُونَه وٱمتخَطْ
فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ (٨) السَّفَطْ
فأُقسِمُ لو عُـدتُ فى حاجتِي * لَلَطَّـخَ بالسَّـلْحِ (٩) وَشْيَ النَّمَطْ (١٠)
وقال غَلِطْنا حسابَ الخـراج * فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلّما ركِبَ صاح به الصِّبيانُ : « من الضرط جاء الغلط » فهرب من غير عَزْلٍ الى بلاد أصبهانَ .

(١) من أمم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) الكزاز : داء يحصل من شدّة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم . (٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرج بالتحريك : العرى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرج السفط هنا كناية عن الأست . (٩) السلح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهارُ بنُ تَوْسِعةَ فى قُتَيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ
فَبُدِّلَتْ بعــدَه قِردًا نُطيفُ به * كأنما وجْهُــهُ بالخلّ منضُوحُ

وقال جرير[1] :

يَزِيدُ يُغضّ الطَّــرفَ دونى كأنّمـا * زَوَى بين عينَيْــه علـىَّ المحاجِمُ[2]
فلاينبَسِطْ من بينِ عينَيكَ ما آنزوَى * ولا تلقَــنِى إلا وأنفُــكَ رَاغِـمُ

وقال آخَر :

لا تَسألِ المرءَ عن خلائِقه * فى وجههِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأبجّ[3] عن البَتّىّ قال قال محمــد بن واسع : إنك لتعرِف فُجورَ الفاجر فى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أَرَى الناس قــد أبرقُوا[4] * بلُؤمِ الفِعال وقــد أرعدوا
اذا جئتَ أفضلَهم للســلا * م ردّ وأحشاؤه تُرْعَــدُ
كأنكَ، من خشيةٍ للسّــؤا * ل، فى عينه الحيّةُ[5] الأســودُ

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى ، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادّة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأبج» بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح ، فلعله محرّف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .

(٥) كذا فى ديوانه ، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

اذا ما الرّزق أحجمَ عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زيادِ

تلقّاه بوجــهٍ مُكْفَهِــرٍّ * كأنّ عليــه أرزاقَ العِبادِ

وقال آخرُ :

ولى خليــلٌ ما مسّنى عَدَمٌ * مذ نَظَرَتْ عينُه الى عَدَمِى

بشّرَنى بالغِـــنَى تهلّــلُه * وقبل هــذا تهلُّلُ الخَـــدَمِ

ومِحنةُ الزائرينَ بيّنَــةٌ * تُعرَفُ قبل اللقاء فى الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : اِنتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤَلى] :

(١)

ليت شــعرى عن أميرى ما الذى * غاله فى الــودّ حـــتى ودّعَــهْ

لا تُهِنّى بعــد إذ أكرمتَنى، * وشـــديدٌ عادةٌ مُنــتَزَعَهْ

أُذكُرِ البــلوى الــتى أبليتَنى * وكلامًا قُلتَـــهُ فى المَجْمَعَـــهْ (٢)

لا يكُنْ برقُــك برقًا خُلَّبًــا * إنّ خيرَ الــبَرْقِ ما الغيثُ معَــهْ

والمشهورُ فى هذا قولُ الأعشى :

عَوَّدتَ كِندةَ عادةً فاْصبِرْ لهـا * واْغفِـرْ لجاهلها وَرَوِّ سِجالَهـا

(١) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبى أنس الليثى وهى :

سل أميرى ما الذى غيّر لى * ودّه والنفع حتى ودّعه

ما الذى أنكر منى فأتنى * وهو يبدى لى أمورا شنعه

لا تهنى بعد إكرامك لى * وشـــديد عادة منتزعه

واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثا قلتــه فى المجمعه

ليت من يسعى بسوء بيننا * جنه الليــل بأرض مسبعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا و يرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سأل أعرابيّ قوماً، فرقّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابيّ :

تَسَرَّى[١] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلَابيّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[٢]، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفا لكل رجلٍ ثم قَطَعه؛ فقال أبو زياد :

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يأتيني من نِعمةِ الله أكثرُ[٣]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : "الخيرُ عادةٌ والشرّ لَجَاجَةٌ" .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضَرَبنا فى البلاد فلم نَجِد * أحدا سِواك الى المكارم يُنْسَبُ

فاْصبِرْ لعادتك التى عوّدتَنا * أولا فأرشِدْنا الى مَنْ نَذهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شَوَى أخوكَ حتى اذا أنضجَ رمَّدَ[٤]» .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يُجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعننى إن تركْتُك حتى أُصيبَ خيرا منك .

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ[٥] من الرَّضَفةِ ما عليها» .

---

(١) تسرّى : تكلف السرو، والسرو: السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : « رمّل » باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اغتنام الشىء من البخيل وإن كان نزرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يوغَر (يُسَخَّنُ) بها اللبن، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه .

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه * إنّ اللئيم بمـا أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكـــر والثنـاء

حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف(١) قال قال صلى الله عليه وسلم : "اذا صَلَّى(٢) أحدُكم فَلْيُدْنِ عليه من سـتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ" .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمرانَ الجَوْنِى عن عبـد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبىّ صلى الله عليـه وسلم : الرجلُ يعمَل العمـلَ ويحبّه الناس؟ قال: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمنِ". وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " إذا أَردتُم أن تَعْلَمُوا ما لِلعبدِ عند اللهِ فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه مِن الثَّناءِ " .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الثناء يُضَاعَفُ كما تُضاعَفُ الحسناتُ؛ يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ اللهُ فى سَخائِه، و يكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن العُمَرىّ قال :قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب رضى الله عنـه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ؛ قال : سافرتَ معـه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك و بينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهـل آئتمنته على شىءٍ ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لَك به، أُراك رأيتَه يرفع رأسَه ويَخفِضه فى المسجد ! .

---

(١) ترجم له فى الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « و يقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحـديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعضُ الحكماء : إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافأة فَلْيَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النِّعمةِ أن تُحسِنَ لباسَها، وتَنسُبَها إلى وليّها، وتذكرَ ما تناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يَعلَمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يَشتهِي حَمدًا بمَجّانِ
والناسُ أكيَسُ من أن يَحمَدُوا أحدًا * حتى يَرَوْا قبلَه آثارَ إحسانِ

وقال حمّادُ عَجْرَد :

قد يَنقضِي كلُّ ما أُوليتَ من حَسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُوليتَ يومانِ
تَنْأَى بُودّك ما آستغنَيتَ عن أحدٍ * وإن طمعتَ فأنتَ الواصلُ الدّانى
الشَّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضتْ * وحَنْظَلٌ كلّما آستغنيتَ خُطْبانُ(١)

وقال عِمْرانُ بن حِطّان :

وقد عَرَضَتْ لى حاجةٌ وأَظُنّني * بأنّى اذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ
فإن أكُ فى أخْذ العطيّة مُرْبحًا * فإنك فى بذل العطيّة أربَحُ
لأنّ لك العُقْبَى من الأجرِ خالصًا * وشُكرِىَ فى الدنيا، فحظُّك أرجحُ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ يعاتب قُرَيشا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ
وما لمتُ نفسى فى قَضاء حقوقكمْ * وقد كان لى فيما آعتذرتُ به عُذرُ
وأمنَحُكُمْ مالى وتُكْفَرُ نِعمتى * وتَشتِمُ عِرضى فى مجالسها فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : آصفرّ وصار خطبانا وهو أن يصفرّ وتصير فيه خطوط خضر ، وفى الأصل : « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى .

إذا العذرُ لم يُقْبَلْ ولم يَنفعِ الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حَشْوُها الغِمرُ[1]

فكيف أُداوِى داءَكم ودواؤكـم * يَزِيدكم غيًّا ! فقــد عَظُم الأمرُ

سأحرِمُكُمْ حتى يَذِلّ صِـعابُكم، * وأبلَـغُ شيءٍ فى صَلاحِكُمُ الفقـرُ

وقال طُرَيْح الثَّقفىّ :

سَعيتُ ٱبتغاءَ الشكرِ فيما صنعتَ بى * فقصّــرتُ مغلوباً وإنى لشـاكرُ

ومثله قول الخُرَيْمىّ :

لِأنك تُعطيـــنى الجزيلَ بَدَاهـــةً * وأنت لِمَـا ٱستكثرتُ من ذاك حاقِرُ

ومثلُه قولُه أيضـا :

زاد معروفَكَ عنــدى عِظَمًا * أنه عنـــدك مَحْقُورٌ صَـغيرُ

تَتَنـاساه كأنْ لم تأْتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق ، منسوبٌ من عُرِف بها الى التخلُّقِ[2] ، وأنت تمنعُنى من ذلك وترفع الحالُ بيننـا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به . غيرأنى من الاعتراف بمعروفك ونَشْرِما تَطْوى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب فى وصفه ، على ما أرجو أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصّنيعة ، الناهضِ بحقّ النعمة .

قال ٱبنُ عنقاء الفَزَارىّ :

رآنِى على ما بى عُمَيلَةُ فٱشتَكَى * الى ماله حالى أسَرّ كما جَهَرْ

دعانى فآسانِى ولو صدّ[3] لم ألُمْ * على حين لا بَدْوٌ يُرَجّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثنيتُ[4] فعـلَه * وأوفاكَ ما أسديتَ مَنْ ذَمّ أو شَكَرْ

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .
(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أثنيت فعله أى على فعله ، فحذف حرف الجر، ويجوز أن يكون عدى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزى) .

وقال آخر (١) :

ساشكر عَمــرًا إن تَراخَتْ منيّتى * أيادِىَ لم تُمْنَن وإن هى جَلّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظْهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتى (٢) من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيْــه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأَصَمِّ ، والباذِرُ فى السَّبَخَة، والمُسْرِجُ فى الشمس، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكر له .

وقال بعضُ الشــعراء المُحْدَثِين، وقيل : إنه للبحترىّ، فبعثتُ إليه أسأله عنــه فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّــله الناظــرُ
لبيّنتُــهُ لك حــتّى تراه * فتعــلَم أنّى آمرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ فى الضميرِ * يُحَـرّكه الكَلِمُ السائرُ

وقال آخرُ :

فلو كان يَستغنى عن الشكر سيّدٌ * لعِـزّة مُلْكٍ أو عُلوِ مَــكانِ
لمــا أمر اللهُ الجليــلُ بشكره * فقــال آشكرونى أيهــا الثّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثنُــوا علينا لا أبًا لأبيكُمُ * بإحسانِنا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

وقال رجل من غَنِيٍّ :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهَالِكٌ وخُلودُ

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَتَمثَّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليــك وإنّ مَنْ * أثنى عليك بمـا فعلتَ كمن جَزَى

وقال الحارثُ بن شدّاد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

النـاسُ تحتك أقــدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسَوَّى الرأسُ والقدمُ

فَحَسْبُنا من ثناء المـادحين إذا * أَثْنَوْا عليــك بأن يُثنوا بمـا عَلِموا

وقال آخرُ :

بأىّ الخَصْــلتين عليك أُثنى * فإنى عند مُنْصَرَفى مَسُــولُ

أبالحُسْنَى وليس لهـا ضياءٌ * علىّ فمَنْ يُصَــدِّقُ ما أقــولُ

أمِ الأُخرَى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

وقال بشّار :

أُثنِي عليــك ولى حال تُكَذِّبنى * فيما أقول فأستحيي من النـاسِ

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأَكرمُ مَنْ * يمشى فخاصَمنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير : لستَ تُشــبه حالَنا فى الحُرْمة ، ولا نُشــبه حالَك فى الجاه والقُدرة، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرْمتى حرمةٌ، ولا فوق سَبَبى سببٌ ، ولا بعــد حالك حالٌ يُرتجى، ولا بعــد منزلتك منزلةٌ تُتَمَنَّى، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره، ولا أتوقع حقًّا أز يدُه فى حقوقى، ولا نُتوقَّع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ، وتُموّه بالمعـانى، والنـاس يحتجّون بالعمــل ويَقْضون بالعِيان .

وقال بعض الشعراء :

وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صــنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المراء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخَرَتْنَا من مَعَدٍّ عِصابةٌ * فخرنا عليها بآبن عُتْبَةَ عاصِمِ
يجُرُّ رِياط الحمدِ فى دار قومه * ويختال فى عِرْضٍ من الذم سالِمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقًا لا يجب عليه، وسمَح بحق يجب له، وقبِل واضحَ العذر، وآستكثرَ قليلَ الشكرِ . لا زالت أياديك فوق شكرِ أوليائك، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك، إلا وجدتُ وراءَها غايةً من معروفك يَحسُرُنى[1] بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فاللهُ من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه، وأملٍ فيك تُحقِّقُه، حتى تَمَلَّى من الأعمار أطولَها، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أَمَلانِ : أحدُهما لك، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغتَه، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقِّقَه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلةٌ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِىَ الى من يَكفُرُه مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكُتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًا ولا جَدّدتَ منه حديثًا، إلّا وأصغرُ أملِى فيك فوقَه وإن كان آستحقاقى دونه . فإن أقضِ واجبَ حقِّ الله علىَّ

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيينى ويتعبنى .

فى شكر نِعَمك فبتوفيقه وعَوْنه، وإن أُقَصِّرْ عن كُنْهه فعن غيرِ تقصيرٍ فى بلوغ الجُهْدِ فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله، فذلك ماقد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ اليه، مَعْرِفةً منّى بطَوْله وكرمه، وليس يُنكَر أياديه ولا بِدْعُ صـنائعه . وما يُرشِدُنى أملى بعـد الله إلّا اليه، ولا أفزَعُ لحادثةٍ الى غيره، ولا أتضاءلُ لنائبة معه. ولو عَجَزتُ عن النّهضةِ لمَـا حاولتُ الآستقلالَ والآنتعاشَ إلّا به. ومالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند آنقطاع الحِيَل، لا مُعَنَّفٌ طالبُه، ولا مُخَوَّفٌ على الرّدّ عنه واهبُه ، ولا عائقَ مَنْعٍ دونه، ولا تنغيصَ من ورائه ؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يُجعَلَ وَقْفًا على النوائب والعواقبِ مِنْ كنزٍ مَنْ هذه حالُه .

قالت بنو تميم لِسَلَامةَ بن جَنْدَل[1] : مَجِّدْنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أُثْنِيَ . ونحوُه قولُ عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ :

فلو أنّ قومى أنطقتْنى رِماحُهم * نطقتُ ولكنّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ[2]

قال رجل من قريش لأشعبَ : واللهِ ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقـال : إنّ معروفك كان من غيرِ مُحتسِبٍ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَاس :

أنت آمرؤٌ أوليتَـــنى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « جندب » بالباء، وهو تحريف . (٢) أجرّت : قطعت، يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك ونفرت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليكَ بعد اليومِ تَقدِمةٌ * وَالَتْكَ[1] بالتصريح مُنكشِفَا
لا تُحدِثَنّ إلىّ عارفةً * حتّى أقومَ بشكرِ ما سَلَفَا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِى
فأحييتَ من ذكرِى وما كان مَيِّتاً[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

آخر :

لأشكُرَنّك معروفًا هَممتَ به * إنّ آهتمامَك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومُك إن لم يُمضِه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير : المجوسىُّ يُولينى خيرًا فأشكرُه، ويُسلِّمُ علىّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ آبن عبّاس عن نحو هذا، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لَرَددتُ عليه مثله .

أنشد آبن الأعرابىّ :

أهلكتْنى بفلانٍ ثِقتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسنَهْ
ليس يَستوجبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيرًا منه من بعد سنهْ

وقال بعضهم : لا تَثِق بشكرِ من تُعْطيه حتى تمنعَه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر .

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجْزِيكِ أو يجْزِيكِ عنِّى[3] مُثوِّبٌ * وقَصْدُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

---

(١) والتك : تابعتك، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا
(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق)، وفى الأصل :
... ... منى مثوّب * وحسبك منّى أنْ أوَدَّ وأحمَدَ وروىّ القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ "أشكَرُ من البَرْوَق" وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ و بأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نَفْسًا عن ثَنَائِى فإننى * لَأَطْيَبُ نفسًا عن نَدَاكَ على عُسْرِى
فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ آمرئٍ إن فاتنى غرضٌ * من بِرّه أنْ فاتَه شُكرِى
إنّى إذا ضاق آمرؤٌ بجَدًا[1] * عنّى آتّسعتُ عليه بالعُذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن إبراهيم :

ومُحَجَّبٍ حاولتُه فوجدته * نَجْمًا عن الركبِ العُفاةِ شَسُوعَا
أعدمتُه لمّا عَدِمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

وقال :

فإنْ يكُ أرْبَى[2] عفوُ شكرِى على نَدَى * أُناسٍ فقد أرْبَى نَدَاهُ على جُهدِى

وقال :

وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ بِرِضَاكَ[3] غادِى
وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ * لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُؤادِ

وقال :

أبا سَعيدٍ وما وصفِى بمُتَّهَمٍ * على الثَّناءِ[4] وما شُكرى بمُخْتَرَمِ

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام، وفى الأصل : «أدنى» وهو تحريف.
(٣) كذا فى ديوان أبى تمام وهو الذى يناسب البيت الذى بعده ، وفى الأصل : « بنداك » .
(٤) فى الديوان : «على المعالى» .

لئن جحدتُكَ ما أوْليتَ من نِعَمٍ * إنّى لفى الشُّكرِ أحظَى منك فى النّعَمِ[1]
أنسى ابتسامُكَ والألوانُ كاسِفةٌ * تَبسُّمَ الصّبحِ فى داجٍ من الظُّلَمِ
رَدَدتَ رَونَقَ وجهى فى صَفيحَتِهِ * رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصّارِمِ الخَذِمِ
وما أُبالى، وخيرُ القول أصدقُه، * حَقَنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دَمى

وقال :

فلا تَكْدَرْ حِياضُك لى فإنى * أَمُتُّ اليك آمالًا طِوالَا
وفِرْ[2] جاهِى علىّ فانّ جاهى * اذا ما غَبَّ يومٌ كان مالَا

وقال :

يا مِنّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ
بالله أدفعُ عنّى ثِقْلَ فادِحِها * فإنّنى خائفٌ منه[3] على عُنُقى

وقال بشارٌ فى عمرَ بنِ العلاء :

دعانى الى عُمَرٍ جُودُه * وقولُ العشيرةِ بَحرٌ خِضَمّْ
ولولا الذى زعموا لم أكن * لِأمدحَ رَيْحانةً قبلَ شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِكَ بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه .

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت فى الديوان هكذا :
لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حسَنٍ * إنى لفى اللؤم أحظَى منكَ فى الكرم

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَرَ عرضَه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيبا لم ينقصه بشتم قال الشاعر :
أَلِكْنى وفِرْ لابن الغريرة عرضه * الى خالد من آل سلمى بن جندل

(٣) ف الديوان «منها» .

قال إبراهيمُ[1] بن المهدىّ يشكر المأمونَ :

رَددتَ مالى ولم تَمْنُنْ[2] عــلىّ به * وقبل ردِّك مالى قد[3] حَقَنْتَ دَمِى

فَأُبْتُ منـــكَ وقــد جلّلتَنِى نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ

فلو بذلتُ دَمى أبغِى رضـاكَ به * والمـالَ حتى أَسُلَّ النعلَ من قَدَمِى

ما كان ذاك سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليـكَ لولم تُعِـرْها كنتَ لم تُلَمِ

وقام علمُكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى * مقامَ شـاهِدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهَـم

وقال آخرُ، و بلغنى أنه الخَثْعَمىّ :

فاذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قـبره فاعقِـرانى

وانضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نَداه لو تَعْلمانِ

وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ؛ فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرّغبةُ فقد وصَلَتْ الينا وفاضتْ فى رِحالنا وتَناوَلهـا الأقصى والأدنى منّا، وأما الرّهبَـةُ فقد أمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الظلم، فنحن وَفدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

لولا ابنُ عُتبـةَ عمرٌو والرجاء له * ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا

أعطانِىَ المـالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنـا

---

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تبخل» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمى» . وهى هنا مصدرية .

بجُودُهُ مُتعِبٌ شكرِى ومِنَّتُه * وكلّما زدتُ شكرا زادنى مِنَنَا
يَرمِى بهمّتِه أقصى مسافتِها * ولا يُريدُ على معروفِه ثمنَا

هذا مثل قول الأعرابىّ : ما زال فلانٌ يُعطينى حتى ظننتُ أنه يُودِعُنى مالَه . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ فى شمسٍ، ومَطَرٌ جَوْدٌ فى سَبَخَةٍ، وحَسناءُ تُزَفُّ الى عِنّينٍ، وطعامٌ آستُجِيدَ وقُدِّمَ الى سَكرانَ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ فى النِّعم وأمانٌ من الغِيَر .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعزِيةُ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بَعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم، وكتَبَ[(١)] اليه : قد بعثتُ بها اليك، ولا أُقَلِّلُها تكبُّراً، ولا أُكَثِّرها تمنُّنا، ولا أَستَثِيبُكَ عليها ثناء، ولا أقطَعُ عنك بها رجاء .

وفى كتاب للهند : لاثناءَ مع كِبْر . وفيه : سِتّةُ أشياءَ لاثَباتَ لها : ظِلُّ الغَمامِ، وخُلّةُ الأشرارِ، وعِشقُ النساءِ، والمالُ الكثيرُ، والسّلطانُ الجائرُ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهْرِفْ[(٢)] قبل أن تَعْرِف » أى لا تُطنِبَنّ فى الثّناء قبل الاختبار .

---

(١) فى الأصل : « فكتب اليه » . (٢) هذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان فى مادة « هرف » وفى مجمع الأمثال للميدانى : « لا تهرف بما لا تعرف » وهى الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما مِن يدٍ فى الناسِ واحدةٍ * كيــدٍ أبو العبــاس مَولاها
نام الثِّقاتُ على مَضاجعهم * وسَرَى الى نفسى فأحياهَــا
قــد كنتُ خِفتُكَ ثم آمنَنِى * من أن أخافَكَ خوفُــكَ اللهَ
فعفوتَ عنّى عفوَ مُقتَــدِرٍ * وجبتْ له نِــعَمٌ فألغاهَــا

والبيتُ المشهور فى هذا قول النَّجاشىّ :

لا تَحمَدَنّ آمرأً حتى تُجَرِّبَه * ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُه الخُــبُرُ

وقال آخَرُ فى الآختبار :

إنّ الرجالَ إذا آختبَرْتَ طِباعَهم * ألفيتَهُمْ شتَّى على الأخبــارِ
لا تَعجَلَنَّ الى شَريعَــةِ مَوْرِدٍ * حتى تَبيَّنَ خُطّةَ الإصــدارِ

وقال الرِّياشىّ : أنشدَنى أبو العاليةِ :

اذا أنا لم أشــكُرْ(١) على الخيرِ أهلَه * ولم أذُممِ الجِبْسَ(٢) اللئيمَ المذمَّمَا
ففيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بآسمِهِ * وشَــقَّ لِيَ اللهُ المسامعَ والفَما

قال آبن التَّوأم: كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِــع اليه، ولولا رجوعه اليه لمــا جاد عليك،ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لمــا قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكرٌ. وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكرُ على النفع فى حُجّة العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفعَك أرادَ، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شَكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٥٠) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الجبس : الدنىء الجبان .

أيديهم، فلأمرين : أحدُهما التعبُّدُ ، وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالِدَينِ وإن كانا شيطانَينِ وتعظيمِ مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأن النفسَ مالا تُحصِّلُ الأمورَ وتُميِّزُ المعانىَ، فالسابقُ اليها حُبُّ مَنْ جَرَى لها على يَديهِ الخيرُ وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقصِد اليها. ألا تَرى أنّ عطيّةَ الرجلِ صاحبَه لاتخلو أن تكونَ لله أو لغير الله، فإن كانتْ لله فثوابُه على الله، وكيف يَجبُ(١) فى حجّةِ العقل شكرُه وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيرى لمَـا أعطانى، وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ، فإن كان كذلك فإنمـا جعلنى سُلّمًا الى حاجته وسببًا الى بُغيَتِه، أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبا للمكافأةِ، فإنما ذلك تجارةٌ، أو يكونَ إعطاؤه لخوف يَدى أو لِسانى أو اجترارِ مَعُونَتى ونُصرتى، وسبيلُ هـذا معروفٌ، أو يكونَ إعطاؤه للرحمةِ والرِقّةِ ولمـا يجدُ فى فؤادِه من العصرِ والألمِ، فإنما داوَى بتلك العطيّةِ من دائِه ورقّه من خِناقِه .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : نحوُ هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما النّـاسُ أثنَوْا عليك * ولا عظّمُــوك ولا عَظّموا(٢)
ولا شايَعوك عــلى ما بَلَغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا
ولــو وَجَدوا لَهُــمُ مَطْعنًا * الى أن يَعيبوك ما جَمْجَموا
ولكن صَــبَرْتَ لِمَـا ألزموك * وجُدتَ بمـا لم يكـن يلزمُ
وكان قِراكَ اذا ما لَقُوكَ * لسـانًا بمـا سرَّهم يُنْعِـمُ
وخَفضَ الجناحِ ووَشْكَ النجاح * وتصــغيرَ ما عظَّمَ المُنْعِــمُ
فأنتَ بفضــلك ألجأتَهــم * الى أن يُجِــلّوا وأن يُنعموا

وقال خَلَف بن خليفة الأقْطَع :

وفى اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ * تُميتُ بهـا عُسْرًا وتُحيي بهـا يُسْرَا

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظّموا » أى أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يـــدٌ أَوْلَيْتَهـا بغَنِيمــــة * اذا كنتَ تَبْغِى أن يُعَـدّ لهـا شُكْرَا
غِنَى النفس يَكْفِى النفسَ ما سدّ فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغِنَى فَقْـرَا

قال ٱبن عائشة : بلغنى أنّ عبد الرحمن بن حسّان سأل بعضَ الولاة حاجةً فلم يَقْضِها له (١)، فسألها آخرَ فقضاها له ؛ فقال :

ذُمِمتَ ولم تُحْمَـدْ وأدركتُ حاجتى * تَوَلَّى سِواكم أَجْرَهـا وٱصْـطِناعَها
أبى لك كَسْبَ الحمدِ رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخــير باعَهـا
اذا هى حَثَّتْـه على الخــير مَرَّةً * عَصَاها و إن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعَهـا

وقال ٱبن عائشــة : قال رجلٌ يوما لٱبن عُيَينة : ما شيء تُحَدِّثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقــولون إن الله تعالى يقول : أيّمـا عَبْدٍ كانت له الىّ حاجةٌ فشــغله الثناء علىّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أُمْنِيّتــه ؛ فقال له : يابن أخى، وما تُنْكِرِ من هذا! أما سمعتَ قول أُميّة بن أبى الصّلْت فى عبد الله بن جُدْعان :

اذا أثنَى عليـــه المرءُ يومًا * كفاهُ مِن تَعَرُّضِـــهِ الثناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجةَ الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حَمِـد غيرَ الذى أعطاه، و إن منعه ذَمّ غيرَ الذى منعه .

حدّثنا الرِّياشىّ قال : أنشدنا كَيْسان لدُكَين الراجز :

اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤمِ عِرْضُه * فــكُلُّ رداءٍ يَرْتَدِيهِ جَميــلُ (٢)
اذا المرءُ لم يَضْرَع عن اللؤم نفسَهُ * فليس الى حُسْنِ الثناء سبيلُ

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر، وفى الأصل : «فشفع رجل فقضيت حاجته» .
(٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عادياء اليهودىّ ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء ســـبيل

و يروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّلُ منازل الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنةَ[(١)] اللَّيْثىّ :

لا تَتْرُكَنْ ، إنْ صَنيعةٌ سَلَفَتْ * منـكَ وإن كنتَ لا تُصَغِّرُها
الى آمرئٍ، أنْ تقولَ إنْ ذُكِرَتْ * عندكَ فى الجِدِّ لستُ أذكُرُها
فإنّ إحياءها إماتَتُها * وإنّ مَنًّا بها يُكَدِّرُها
وإن تَوَلَّى آمرُؤٌ بشُكرِ يَدٍ * فاللهُ يَجْزِى بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإماتته .

أبو سُفيان الحِمْيَرىّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلًى لخالد القَسْرىّ ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا فى كُتُبه، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد، فإنه لن يَعْدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكُتّاب الى بعض العمّال : وما أتأمّلُ فى وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لدىّ، ومواقعَ معروفك عندى، إلا نَبَّهني التأمّل على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقل الظهرَ، لأنك أنعشتَ من عَثْرة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافَيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوالٍ ودُروس ، وتَلَقّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ طَلِيق وباعٍ رَحِيب[(٢)] . والسلام .

---

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثى . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ؛ روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته فى كتاب الأغانى (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) فى الأصل : «وبال» .

الترغيب فى قضـاء الحاجة واصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا داود بن المُحَبَّر عن محمـد بن الحسن الهَمْدانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونةَ أخيه المسـلم والسَّعْىَ معه فى حاجتِه قُضِيَتْ أو لم تُقْضَ كُلِّف أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَر فى حاجته . ومَنْ ترك الحجَّ لحاجةٍ عَرَضتْ له لم تُقْضَ حاجتُه حتى يرى رءوس المحلّقين".

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا آبن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِشْفَعُوا إلىّ و يَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيِّكم ما شاءَ" .

بلغنى عن جعفر بن أبى جعفر المـازنىّ عن آبن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمِر قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أحببتَ أن يُحِبَّـك اللهُ فآزهَدْ فى الدنيـا و إن أحببتَ أن يُحبّك الناسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذتَه اليهم " .

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال آبن عُيَينة : ليس أقول لكم إلّا ما سمعتُ : قيل لآبن المنكدر : أىُّ الأعمالِ أفضـلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ اليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زَرِيرٌ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنـا أبو رجاء العُطَارِدىُّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه ، فأتته آمرأةٌ فقالت : أبا رجاءٍ ، إنّ

---

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زريك» بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادّة زرر : « سلم بن زرير بحرير من تابعى التابعين عطاردىّ بصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ » .

لطارق الليل حقًّا، وإنّ بنى فلان خرجوا الى سَفْوان[1] وتركوا كُتُبَهم وشيئا من متاعهم؛ فآنتعل أبو رَجَاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسـيرةُ ليلةٍ للإبل، والناسُ يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا آبن المبارَك عن حميد عن الحسن قال : لَأَنْ أَقْضِيَ حاجةً لأخٍ أَحبُّ إلىّ من أن أعتكفَ سنةً .

قال آبنُ عائشـةَ : كان عمـرو بن معاوية العُقَيلىّ يقول : اللهم بَلِّغْنِي عَثَراتِ الكـرام .

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلَّبىّ : أنت مِتلافٌ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وكان آبنُ عبّاس يقول : صاحبُ المعروفِ لا يَقَعُ، فإن وقَع وجد مُتَّكَأً. هذا نحوُ قولِ النبىّ صلى الله عليه وسلم : "المعروفُ يَقِى مَصَارِعَ السُّوءِ" .

وكان آبن عبّاس يقول أيضا : ما رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه معروفا إلّا أضاء ما بينى و بينه، ولا رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه سوءا إلّا أظلم ما بينى و بينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحـاجة تَعرِض للرجل قِبَلى فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنِيَ عنها أو تأتِيَه وقد آستبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يُعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة و به ماء كثير السافى (التراب) .

وقال آخر فى مثله :

بدا(١) حين أثرى بإخوانه * ففكّك(٢) عنهم شباة(٣) العَدَمْ

وذكّره الحزم غِبَّ الأمور * فبادَرَ قبل ٱنتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجزاء، فهو كَمُلْقِي الحبِّ لِيَصِيدَ به الطيرَ لا لِينفعَه .

قال ٱبن عباس : ثلاثة لا أكافِئهم : رجل بَدَأنِى بالسلام ، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس، ورجل ٱغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التســليم علىّ ؛ فأما الرابع فلا يكافِئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزَل به أمرٌ فبات ليلته يفكّر بمَنْ يُنْزِله، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بِى .

وقال سَلْم(٤) بن قُتَيْبَة : رَبُّ(٥) المعروفِ أشدّ من ٱبتدائه .

ويقال : الإبتداء بالمعروف نافلة، ورَبُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجِمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا ؟ قال : نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيبًا من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلةٍ هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّى اليه ، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبّها وحِفظَها ؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ؛ فقال خالد : إنى لأُبغِض هذا الرجل وماله(٦) إلىّ ذنب، فقال رجل من القوم: أَوْلِه أيّها الأمير معروفًا ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «ففلّل» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّه ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العــدم وشدّته وحدّته .
(٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربًّا : تعهده وأنماه .
(٦) فى الأصل : «ومالى اليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ٱبن عباس : لا يَتِمّ المعروف إلا بثلاثٍ: تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه اذا عجّله هنّأه، و إذا صغّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيمى فى نحو هذا :

زاد معروفَك عنـدى عِظَمًا * أنه عنـــدك محقورٌ صغير
تتنـاساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائى :

جودٌ مشيْتَ به الضَّرَاءَ(١) تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ
أخفيتَـه نَخَفَيْتَه(٢) وطويتَـه * فنشرتَه والشخصُ منـه عميم(٣)

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَر رجلٌ ما أُولِىَ .

وقال رجل لبنيه : إذا ٱتخذتم عند رجل يدا فٱنسَوْها . وقالوا : المنّة تهـدِم الصنيعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنّ ماأسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أســدى بمنّانِ

قال رجل لٱبن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا ، فقال: لاخيرَ فى المعروف إذا أُحصِىَ .

وفى بعض الحـديث : "كُلُّ معروفٍ صَـدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهـله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وَقَى المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقها فعـلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ(٤)". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف الراء) : ماواراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء. والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله ، يقال : لأمشى له الضراء، ولا الخمر أى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه وإماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله ".

وكان يقـال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وٱغتدَى * لشُرب صَـبُوحٍ(١) أو لشُرب غَبوقِ
ولكنْ فتى الفِتيان مَنْ راح وٱغتدى * لِضَـــرِّ عدوٍّ أو لنفع صـــديقِ

قال ٱبن عباس : لا يُزَهِّدنَّك فى المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنِعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

إنّ الكريمَ ليُخفِى عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيًّـا وهـــو مجهودُ
إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِى القليلَ ولم * تَقْدِر على سَـعَةٍ لم يَظهر الجودُ
ولِلبخيـــلِ على أمواله عِللٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سـودُ
أوْرِق بخـيرٍ تُرَجَّى لِلنوال فمـا * تُرْجَى ٱلثِّمارُ اذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثّ النوالَ ولا تمنَعْـكَ قِلّتُـــه * فكلُّ ما سَـدّ فقرا فهـو محمودُ

والعــرب تقول : "مَنْ(٢) حَقَرَ حَرَمَ" .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْم بن قتيبة : أحدُهم يَحْقِر الشىءَ فيأتِى ما هو شرٌّ منه، يعنى المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائلة، والغبوق : ما شرب بالعشىّ. (٢) هذا مثل ذكره الميدانىّ وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أى من حقر يسيرا مّما يقدر عليه ولم يقــدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفى الحديث : « لاتردّوا السائل ولو بظلف محرق» .

وما أبالى إذا ضـيفٌ تضـيّفنى * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى
جُهدُ المقِلّ إذا أعطاك مُصْطَبِرًا * ومُكثِرٌ من غِنًى سِيّانِ فى الجـودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ" .

وقال البُرَيْق الهُذَلىّ :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقـرَه * على نفسِه ومُشِيعٌ غِنَاه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جَوازِيه ، والبيت المشهور فى هذا قول الحطيئة :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه[1] * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عَيْشِه ، وإنّ من ألَذّ اللّذّة الإفضالَ على الإخوان . وفى الحـديث المرفوع "إنّمـا لَكَ[2] من مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سِـوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ" .

وقال بَشّارٌ :

أنفِقِ المـالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دِينارَيْك دِينارٌ نَفَقْ[3]

قال بُزُرْجِمْهر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى . أخذه بعض المُحْدَثين فقال :

---

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه ، جزاءعلى جواز لمشابهة اسم الفاعل للصدر ، فكما جمع سيل على سـوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادّة جزى) . (٢) يروى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنيت وذهبت .

فأنفِقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خيّلتْ[1] حين تُعْسِرُ
فلاالجودُ يُفنِي المـالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقِي المـالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وفى "كتاب كليلة" : لا يُعَدّ عائِشًا من لايُشارَك فى غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ، فقال له : أتُحِبّ دِرهَمَك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خَيْثَم لأخٍ له : كن وصيَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجـتِى * وأُوثِر نفسِى على الوارِثِ
أعاذِلُ عاجِلُ ما أشـتهِى * أحَبُّ مِن المُبطِئِ الرّائِثِ

قال عبيد الله بن عِكْراش : زمَنٌ خَؤون ، ووارِثٌ شَفُون[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤون وكن وارِثَ الشّفونِ .

وقال أبو ذَرٍّ: لك فى مالِك شريكانِ اذا جاءَا أخذَا ولم يؤامِراك : الحَـدَثان والقَدَر، كلاهما يمرّ على الغَثّ والسمينِ، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ماتحتَ يديك وأنتَ لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص فى خطبة له : من رَزَقه الله رزقا حسنا فليكن أسـعدَ[3] الناس به فإنه إنمـا يترُك لأحد رجلين : إمّا مصلِحٍ فلا يقلّ عليه شيءٌ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقى له شيء . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرَفَى الكلام .

(١) على ما خيلت أى شبهت ولوّنت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى ينظر اليك كالكاره أو المبغض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فلينفق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يَكُنْ * لِىَ المالُ ربًّا تَحْمَدِى غِبَّه غدا
أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مخلَّدا
وقلت ولم أَعْىَ الجوابَ تبيّنى * اكان الهُزال حتفَ زيدٍ وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تَسِمُ حمدًا أو ذمًّا ؛ فمن حبَسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كلّ من أُعطى مالًا أُعطى حمدا ، ولا كلّ عديم ذميم .

وقال بعضُ المُحدَثين :

أنتَ للمال اذا أمسكتَه * فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَنْزِلُ المعُونةُ على قَدْرِ المؤُونة" .

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرِو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه؟ قال : العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره ؛ قال : نحن أحقّ بهما منك ؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك اليهما .

وقال أعرابىّ :

وما هذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما آسطعتَ من معروفها فتزوّدِ
فإنك لا تدرى بأيّةِ بلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ
يقولون لا تَبْعَدْ، ومن يك بعدُه * ذِراعَيْن من قُربِ الأحِبّة يَبْعَدِ

وقال آخر :

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسألُ * أفسدتَ ما تُعطى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنَنًا، واتّخذوا أيادِىَ ذخيرةً لمن بعــدهم : كانوا يرون اصطناعَ المعروف عليهم فرضا، وإظهارَ البِرّ حقًّا واجبا، ثم حال الزمان بنَشْءٍ اتخذوا مِنَنَهم صناعةً، وبرَّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً، واصطناعَ المعروف مقارضةً كنقد السُّوق خذ منّى وهاتِ .

قال العُتْبىّ : وقع مِيراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان وبنى مروان، فتشاحُّوا فيه، فلما انصرفوا أقبل عمرُو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تَزْلَقُ عنها أقدامُ الرجال، وأفعالا تخشع لهـا رقابُ الأموال، وألْسُنًا تَكِلُّ معها الشِّفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنهـا الجيادُ المنسوبة؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سـعة أحلامهم، ولو احتفلتْ ما تزيّنتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق العوامّ، فصار لهم رفق باللؤم وخُرق فى الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقَها؛ إن خافوا مكروها تعجّلوا له الفقر، وإن عُجِّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر، أولئك أَنْضاء فكرِ الفقر (١) وعَجَزة حَمَلة الشكر .

قال بعض الحجازيّين :

فـلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعلِ أبى البَخْتَرِى
تتبّـع إخـــوانَه فى البـــلاد * فأغْنَى المُقِـــلَّ عن المُكْثِرِ

القَنـاعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن ابن أبى ذِئْب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "مَن يَتَقَبَّلُ (٢) لى بواحدةٍ

(١) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هـذا الحديث بالهامش هكذا : "من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتقبّلُ له بالجنة " فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : "لاتَسْأَلِ الناسَ شيئًا" فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسألْ أحدا أن يُناوِلَه إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحارِبىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضى الله عنه : ليس من عبدٍ إلا و بينه و بين رزقِه حجابٌ، فإن آقتصدَ أتاه رزقُه و إن آقتحم هتَك الحجابَ ولم يُزَدْ فى رزقِه .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سفيان عن أُسامة بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصَّفَا[1] الزَّلَالَ الذى لا تَثْبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ " . وقال عليه السلام : "إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نَفْسًا لَن تَمُوتَ حتى تَسْتَكْمِلَ رِزقَها[2] فاتّقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب" .

قال آبن حازم :

للنـاس مالٌ ولى مالان مالَهُما * اذا تحارسَ أهـلُ المـالِ أحْرَاسُ
مالِى الرضا بالذى أصبحْتُ أملِكُه * ومالِىَ اليأسُ ممـا يملِكُ النـاسُ

أخذ هـذا من قول أبى حازم المدنىّ ، وقال له بعضُ الملوك : ما مالُكَ ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنى عن الناسَ .

وقال بشّارُ بن بِشر[3] :

وإنى لعَفٌّ عن فكاهةِ جارتى * وإنى لمشْـنُوءٌ الىّ آغتيابُهـا
اذا غاب عنهـا بعلُها لم أكن لهـا * زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُهـا

---

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات «اذا سدّ ... الخ» فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمى .

ولم أكُ طَلَّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالِمًا من أىّ حَوْكٍ ثيابُها
وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها
إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فذَرْها لأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال ابن أبى حازم[(١)] :

أوجعُ من وَخْزةِ السِّنانِ * لذِى الحِجا وَخزةُ اللِّسانِ
فاسترزِقِ اللهَ واستعنْه * فإنه خيرُ مُستَعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ * فمن مكانٍ الى مكانِ
لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُنسبُ فيه إلى الهوانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تعدّتْ * عليه يوما يدُ الزمانِ

حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفىّ عن يوسفَ بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلَّى بن زياد القُرْدُوسى[(٢)] : أن عامر بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَساءً لم أُبالِ على ما أُمسِى، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصبِحُ : ﴿ ما يَفتَحِ اللهُ لِلناسِ مِن رحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم: لا تجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك، وعُدَّ[(٣)] النعمَ منه عليك مَغرما .

---

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لنتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى بضم القاف . وفى الأصل : « الفردوسى » بالفاء وهو تحريف .
(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما » .

حدّثنى الرِّياشِىّ عن الأصمعىّ قال : أَبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيبٍ الهُـــذَلىّ :

والنَّفسُ رَاغِبــةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قَليــلٍ تَقْنَــعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأســود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجُزِ القُدُمِ، قال : فجزِعتْ الى المسألة، ولو صبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسألُ فيُمنَعُ، والصَّبرُ مُنتبذٌ ناحيةً يقول : لو صرتَ إلىّ لكَفَيتُكَ .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتَحفتَ القناعةَ، ويقال : اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسِّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال : بالقنــاعة .

وقال سعد بن أبى وَقّاص لٱبنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغِنى فٱطلُبه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَيْنَةَ :

لقد علِمتُ — وما الإسرافُ فى طمع — * أنّ الذى هو رزقى ســـوفَ يأتِينِى (١)

أَسْـــعَى له فيُعنّينِى تَطَلّبُـــه * ولو قعــــدتُ أتانى لا يُعنّينى

وقال أبو العَتَاهِيَة :

إن كان لا يُغنِيكَ ما يَكفِيكا (٢) * فكلّ ما فى الأرض لا يُغنِيكا

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى .

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «ان كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم : الغِنى والفقرُ يجولان فى طلب القنـاعةِ فإذا وجداها قطَنَاها .

حجّت أعرابيّـةٌ على ناقةٍ لهـا ، فقيل لها : أين زادُكِ ؟ قالت : ما معى إلا ما فى ضَرْعِها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قناعتُـه * سَببَ المطامعِ مِن غدٍ وغدِ
مَنْ لم يكن لله مُتَّهِـمًا * لم يُمسِ مُحتـاجًا الى أحـد

وقال أرْدَشِيرُ : خيرُ الشِّيم القناعةُ ، ونماءُ العقلِ بالتعلّم .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

ومَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَٱرجُ الغِنَى * والى الّذى يَهَبُ الرّغائبَ فَٱرْغَبِ
لا تَغضبَنَّ على ٱمرئٍ فى مالِه * وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فَٱغضَبِ

وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنْ فى مال جارٍ لقُربه * فكلُّ قريبٍ لا يُنَـالُ بَعِيـدُ

وقال كعبُ بن زُهَير :

قد يُعوِزُ الحازِمُ المحمودُ نِيَّتُـه * بعدَ الثَّراءِ ويُثْرِى العاجِزُ الحَمِقُ
فلا تَخافى علينا الفقرَ وٱنتَظِرى * فضلَ الذى بالغِنى مِنْ فضلِه نَثِقُ

وشكَا رجلٌ الى قوم ضِـيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرحَمُكَ الى مَنْ لا يرحَمُـك .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سلنى حاجتَكَ ، قال : أكرهُ أن أسألَ فى بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلا يسألُ فى الموقِفِ فقال : أفى مثل هذا الموضعِ تسألُ غيرَ اللهِ عزّ وجلّ ! .

وقال ابن المعذّل :

تُكَلِّفُنى إذلالَ نفسى لعزّها * وهان عليها أن أُهانَ لتكرُما
تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم * فقلتُ سَليه رَبَّ يحيَى بنِ أكثما

وقال ابن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهَدُون جنازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ .

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمعةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له * وقلَّ ما تجِدُ الراضينَ بالقِسمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنُوا * عن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ
غالَوْا بأبواب الحديدِ لعزّها * وتَنوَّقُوا(١) فى قُبحِ وجه الحاجبِ
واذا تلطّف للدّخول اليهمُ * راجٍ تلقَّوْه بوَعْدٍ كاذبِ
فارغَبْ الى مَلكِ الملوكِ ولا تكُنْ * ياذا الضَّراعةِ طالبًا من طالبِ

وُجِدَ على مِيلٍ(٢) فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا(٣) طالبَ الدّنيا * دَعِ الدنيا لِشانيكا
الى كَم تَطلبُ(٤) الدنيا * وظِلُّ الميلِ يَكفيكا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : اذا كانت لكَ الىّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإنى أضَنّ بوجهكَ عن ذُلّ السؤالِ .

(١) تنوّقوا : تأنقوا، يقال : تنوّق فى مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوّد و بالغ فيها .

(٢) الميل : منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا فى الأغانى (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحَقَّ الناس إن كنتَ مادِحاً * بمدحك مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافِرُ

وكان معاويةُ يتمثّل بهذين البيتين :

وفتًى خَلَا من ماله * ومن المُروءة غيرُ خالِي
أعطاكَ قبل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال آخر :

أبا مالكٍ لا تَسْأل النـاسَ وآلتَمِسْ * بكفّيك سَيْبَ اللهِ فاللهُ أوسَعُ
فلو تَسْأل الناسَ الترابَ لأوشَكُوا[(١)] * اذا قُلتَ هاتُوا أن يَمِيلُوا فيَمْنَعُوا

والمشهور فى هذا قول عَبِيد :

مَنْ يَسأل الناسَ يَحْرِمُوه * وسائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال سليمانُ لأبى حازمٍ : سَلْ حوائجَك ؛ فقال : قد رفعتُها الى من لا تُخْتَذَلُ[(٢)] الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ) أى المخلوقُ يَرْزُقُ فإذا سَخِط قطع رِزقَه، واللهُ عزّ وجل يَسْخَط ولا يَقطَعُ .

وقال الشاعر :

لا تَضْرَعنّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ * فإنّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّينِ
وآسترزِق اللهَ رِزقاً من خزائنه * فإنما هو بين الكافِ والنونِ

(١) روى هذا البيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تختزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلِـغْ سُليمانَ أنّى عنه فى سَعَةٍ * وفى غِنًى غيرَ أنى لستُ ذَا مالِ[1]
شُحًّا بنفسِيَ، إنى لا أرَى أحدًا * يموت هَزْلا ولا يبقَى على حالِ
فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضَّعفُ يمنَعُهُ * ولا يَزِيدُكَ فيــه حولُ محتالِ

وقال المَعْلُوطُ :

متى ما يَرَ النــاسُ الغَــنِيَّ وجارُه * فَقــيرٌ يقــولوا عاجزٌ وجَليــدُ
وليس الغِنَى والفقرُ من حيلة الفتى * ولكن حُظوظٌ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفتى من حيثُ يُرزَقُ غيرُه * ويُعْطَى الفتَى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود :

ليتــكَ آذَنْتَنِي بواحِــدةٍ * تَجعَلُهــا منك سائرَ الأبــدِ
تَحلِفُ ألّا تبَرَّنى أبــدًا * فإنّ فيهــا بردًا على كَبِدى
إن كان رِزْقِى إليك فآرمِ به * فى ناظِرَىْ حيَّــةٍ على رَصَدِ

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : حِرفةٌ يقالُ فيها خيرٌ من مَسْألَةِ الناس .

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدىّ وكان والى فارس والأهواز، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ؛ فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ؛ فقال الخليل :

ان الذى شقّ فمى ضامن * للــرزق حتى يتوفانى
حرمتــنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتــذر اليه وأضعف راتبــه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخَاطَبَتِي جاهلًا، وعند مَسْألتِي حاجةً لنفسى .

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يَستقرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شريحٌ : حاجتُكَ عندنا فأْتِ مَنزِلَكَ فإنها ستأتيكَ، إنّى لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها .

حدّثني الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخِرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثِينَ :

عَوّدتُ نفسى الضِّيقَ حتى أَلِفْتُه (١) * وأحرجَنى حسنُ العزاءِ الى الصَّبرِ

ووسّع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صدْرِى

وصَيّرنى يأسِى من الناس راجيًا * لِسُرعةِ (٢) لُطفِ اللهِ من حيثُ لا أدْرِى

وقال آخر :

حَسْبِي بعِلْمى لو نَفَعْ * ما ٱلذُّلُّ إلا فى الطَّمَعْ

مَنْ راقب اللهَ نَزَعْ * عن قُبحِ ما كان صَنَعْ

ما طار شيء فٱرتفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ

(١) هكذا ورد هذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم، وورد فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِـــرصُ والإِلحـاحُ

لمـا قتل كِسرى بُزُرْجِمهْـرَ وجد فى مِنْطَقَتِـه كتابا : إذا كانــ القــدَرُ حقًّا فالحِرصُ باطلٌ، وإذا كان الغَدْرُ فى الناس طِباعًا فالثِّقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصِدًا فالطمأنِينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ .

وقال بعض الشعراء :

من عفّ خفّ على الصّديقِ لِقاؤه * وأخو الحوائج وجهُــه مَمْــلولُ

وفى كتاب للهنـد : لا يُكثر الرجلُ على أخيـه الحوائجَ؛ فإنّ العِجلَ إذا أفرط فى مصّ أمه نطَحتْه ونحّته .

وقال عدىّ بن زيد :

قـد يُدرِكُ المُبْطِئُ من حظّـه * والرزقُ قديَسبِقُ جهدَ الحريصْ

وقال ٱبن المقفّع : الحرصُ مَحْرَمةٌ ، والجبنُ مَقْتـلةٌ، فٱنظُرْ فيما رأيتَ وسمِعتَ أمَنْ قُتِل فى الحرب مُقْبِلًا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِرا، وٱنظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّرَه والحِرص .

وقال الشاعر :

كم مِنْ حَريص على شىءٍ لِيُدْرِكَه * وعَلَّ إدراكَه يُدْنِى الى عَطَبِـهْ

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيـــةٍ * وفيهـا مَنيّتُـه لو شَـعَرْ

والعـربُ تقول فى الرجل المُلِحّ فى الحوائج الذى لا تنقضى له حاجةٌ إلا سأل أخــرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا *

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا ٱشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتّى يَقبِض على آخر .

وقال الشاعر :

أَنَّى[1] أُتِيـحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ ✱ لا يُرسِلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقَا

وفى كتاب كليلة: لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحسن الخلق .

قال ٱبن المقفع : الحِرصُ والحسدُ بِكْرَا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة .

وفى كتاب كليلة : خمسةُ حُرَصاءَ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم : المُقاتِلُ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِيِّ[2] والأسرابِ، والتّاجِرُ يَركَبُ البحرَ، والحاوى يَلسَعُ يدَه الحيّةَ، والمُخاطِرُ على شُربِ السمّ .

دخل مالك بن دِينار على رجل محبوسٍ قد أُخِذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له : ياأبا يحيى، أمَا تَرى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفَع مالك رأسَه فرأى سَلّةً، فقال : لمن هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تُنزَلَ، فأُنزِلتْ فوُضِعتْ بين يديه، فإذا دَجَاجٌ وأَخْبِصةٌ[3]، فقال مالك : هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأُمّى تيقَنُ فقلّ ما يفوتُنا .

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى . قال ٱبن برى : هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده : «أنى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُناً ساقها وأزعجها سائق مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضُبَة : واحدة التنضُب وهو شجرٌ عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ . (٢) جمع قناة وهى الآبار التى تحفر فى الأرض . (٣) أخبصة : جمع خبيص، والخبيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغةُ :

والبأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَـةٍ(١) تعـودُ(٢) ذُبَاحا(٣)

وقال أبو عليٍّ الضريرُ :

فإنّى قـد بلوتُكُمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ
وأرخصتُ الثّناءَ فعِفتُموهُ * ورُبَّتمَا غلا الشيءُ الرّخيصُ
فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه * وشرُّ الزادِ ماعاف الخَصِيصُ(٤)

وقال أعرابيٌّ :

أيّها الدّائبُ الحريصُ المُعَنّى * لك رزقٌ وسـوف تسـتوفيه
قَبّح اللهُ نائـلًا ترتجيـهِ * من يَدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيه
إنما الجـودُ والسماحُ لِمن يُعـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهك فيـه
لاينالُ الحريصُ شـيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فـوق ما يكفيه
فَسَـلِ اللهَ وَحدَه ودَعِ النا * سَ وأسخِطْهمُ بمـا يُرضيـه
لا تَرى مُعطيًا لِمـا منَـع اللـ * ـهُ ولا مانعًا لما يُعطيـه

(١) كذا فى لسان العرب مادة «ذبح» وفى الأصل : «مطمعة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمـة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمـد بن علىّ الواعظ الجزرىّ وذلك فى شهور سـنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمـد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسـلامُه على سيّدنا محمـد النبىّ وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النّسّاخ —] :

فى الاستعفاف :

عليـــك باليأس من النـاسِ * إنّ غِنَى نفسِـــك فى اليأسِ
كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كان فى حالة إفـلاس
أقول لو قـد نال هـذا الغِنَى * صَـــيّرنى منـــه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما اشـتَهَى * وعدّه النّـاسُ من النّـاسِ
قَطّع بالصـدّ حبالَ الصَّـفا * مـــنّى ولمّا يَرْضَ بالقـاسى

آخر[1] وقد أحسن :

إنّ للمعـــروف أهـــلًا * وقليـــلٌ فاعِـــلوهُ
أهنـــأُ المعـروفِ ما لم * تُبتَـــذَلْ فيـــه الوجوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا * حبـــك الدّهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليـــه * ساعـــةً مجّك فـــوهُ

(١) هو أبو العتاهية .

إنما يَعْــرِف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه
لو رأى النـاسُ نَبِيًّـا * سائــلا ما وَصَــلوهُ

وكتب أبو العيناء الى أبى القاسم بن عُبَيد الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا ـ أعزّك الله ـ وولدى وعِيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سَقَيتَه راعَ وزكا، وإن جفوتَه ذَبُلَ وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعـد بِرٍّ وإغفالٌ بعد تَعَهُّـد، فشَمِتَ عدوٌّ، وتكلّم حاسد، ولَعِبتْ بى ظنونٌ، وٱنتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها :

لا تُهِنّى بعــدَ إكرامك لى * فشــديدٌ عادةٌ مُنتزَعــهْ

آخر :

مالى مَعَاشٌ سوى ضدِّ المعاشِ فلا * أغدُو إلى عمــلٍ إلّا بلا أَمَــلِ
وليس لى شُغُلٌ يُجْــدِى علىّ إذا * فكّرتُ فيـه ومَا أنفكُّ من شُـغُلِ
كُلُّ آمرئٍ رائحٌ غادٍ إلى عمــل * وما أروح ولا أغدو إلى عمــل
ولستُ فى الناسِ موجودًا كبعضهمُ * وإنمـا أنا بعضُ النـاس فى المثل

آخــر :

المرءُ بعــد الموتِ أُحدوثةٌ * يفــنَى وتبقَى منــه آثارُهُ
يَطْـوِيه من أيّامه ما طوى * لكنّــه تُنشَــرُ أسرارُهُ
وأحسنُ الحالاتِ حالُ آمرئٍ * تَطيبُ بعـد الموت أخبارُهُ
يفــنَى ويبقَى ذكرُه بعــدَه * اذا خَلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما آبنُ آدمَ إلّا ذكرُ صالحةٍ * أوذكرُ سيّئةٍ يَسرِى بها الكَلِمُ
أمَا سَمِعتَ بدهرٍ باد أُمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ

فى البخل :

طَرَقْتُ أُنَاسًا عــلى غِرَّةٍ * فذُقتُ من العيش جهدَ البلاء
فأمّا القـــديدُ (١) وأشــباهُه * فذاك مفاتِيحُــه فى السماء
وأما السَّوِيقُ فــفى عَيْبةٍ * يُشَمُّ ويُدْعَى لــه بالبقاء
ومَنْ حاولَ الخــبز قالوا له * أتذكر شيئًا خُــبِى للدَّواء

(١) القديد : اللحم المجفف فى الشمس .

كتاب الطعـام

صنوف الأطعِمَة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِىّ رحمة الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىُّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَمْأة[1]، فقال عمر : ما هما بأحبّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبّ الخِصْبَ للسلمين .

قال الأصمعىّ : قال رجلٌ فى مجلس الأحنف : ليس شىءٌ أبغضَ الىَّ من التمر[2] والزُّبْد، فقال الأحنف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له .

عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : قال الحجّاج لجلسائه : لِيكْتُبْ كلُّ رجلٍ فى رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه و يجعلْها تحت مُصَلّاىَ، فإذا فى الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ .

عن الأصمعىّ قال قال مَدَنِىّ : الكُبَادات أربع : العصيدةُ والهريسةُ والحَيْسةُ[3] والسَّمِيذةُ[4] .

عن الأصمعىّ عن حزم قال : قال مالك بن حِقْبة لحَسّان بن الفُرَيْعة : ما تَزَوَّدْتَ إلينا ؟ قال : الحَيْسُ، قال : ثلاثةُ أسْقِيَة فى وِعاء .

---

(١) الكمأة اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض، مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق لونه الى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : «ما شىء أبغض الىّ من الزيت والكمأة» . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالدال المهملة والذال المعجمة) : الحوارى، وهى لباب الدقيق .

قال الأصمعىّ : قال بعض الأعراب : أشتهى ثريدةً دَكْناء[1] من الفُلْفُل[2]، رَقْطاء[3] من[2] الحِمَّص، ذات جِفَافين[4] من[2] اللحم ، لها جَناحان من العُرَاق[5] ، أَضْرب فيها ضَرْب ولىّ السَّوْء فى مال اليتيم .

وقال ٱبن الأعرابىّ : يقال: أطيبُ اللحم عُوَّذُه، أى أطيبه ما وَلِىَ العظمَ، كأنه عاذَ به .

عن أبى عُبَيدة قال : مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقَاشىّ، [ف]قال له : هل لك يا أبا فِرَاسٍ فى جَدْيٍ سَمين ونَبيذ زبيبٍ جيّد ؟ فقال الفرزدق : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة! يعنى جريرا .

وقال الأَحْوَص لجرير : ما تُحِبّ أن يُعَدّ لك؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ[6] وغِناءٌ ؛ قال : قد أُعِدَّتْ لك .

وقال مَدَنىٌّ لصديق له : والله أشتهى كَشْكِيَّةً[7]، ومدّ بها صوته فخرجت منه ريح؛ فقال له : ما أسرع ما لَفَحَتْكَ يا ٱبنَ عمّ .

---

(١) ثريدة دكناء : كثيرة الأبازير، والأبازير : التابل وهو ما يطيب الطعام . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفى الأصل : «ومن» . (٣) الرقطاء : السوداء تشوبها نقط بيضاء . (٤) كذا فى البخلاء، والحفاف : الجانب . وفى الأصل : « خفافين » بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين) : العظام اذا لم يكن عليها شىء من اللحم . (٦) الطلاء : الخمر . (٧) فى كتب اللغة الكشكية : ماء الشعير، وفى القواميس الفارسية : الكشك : ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف اليه شىء من اللحم .

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة : أتيتُ فلانا فأتانى بمَرَقةٍ كان فيها مُسَوَّقٌ، فلم أر فيها إلا كَبِدًا طافيــةً، فغَمَستُ يدى فوجدت مُضْغةً[1]، فمددتها فآمتدّتْ حتى كأنى أزمُر فى ناي .

أُدخِل أعرابىّ على كِسرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْــلِه ، فقال له : أىّ شيء أطيبُ لحمــا؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شيء أبعدُ صوتا ؟ قال : الجمل . قال : فأىّ شيء أنهضُ بالحِمْل الثقيل ؟ قال : الجمل. قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدَّجاج والفِراخ والدُّرّاج[2] والحِــداء؟ قال : يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح، ويُطبخ ماذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرفَ فَضْلُ ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمــل أبعدَ صوتًا ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكِىّ[3] من كذا وكذا ميلا؟ قال الأعرابىّ : ضَعِ الكُرْكىّ فى مكانِ الجمل وضَعِ الجملَ فى مكان الكركىّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا. قال كسرى : كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمِل كذا وكذا رطلا ؟ قال : لِيَبْرِكِ الفيلُ ويُبْرَكِ الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

عن جعفر بنِ سليمان قال: شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً : الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[4] قال: كان أبو عبد الرحمن الثورىّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمِّى الرأس عُرْسا لِما تجمَّع فيه من الألوان الطّيبة ،

(١) المضغة : قطعة اللحم . (٢) الدرّاج (وزان رمّان) : طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملوّن الريش . (٣) الكركىّ : طائر يقرب من الإوَزّ أبتر الذنب رمادىّ اللون فى خدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى الى الماء أحيانا . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة فى كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوربا) .

وكان يسمِّيه مرَّةً الجامعَ ومرَّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ؛ وكلّ قِدْرٍ وكلّ شِواءٍ فإنمـا هو شيءٌ واحد، والرأس فيـه الدِّماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه[1] الشحمة التى بين أصل الأذن ومُؤْخِرِ العين وطعمها على حدة]، على أن هذه الشَّحمة [خاصّةً[1]] أطيبُ من المُخّ وأنعم من الزُّبد وأدسم من السِّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدّماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذى فيه الحِسّ، وبه قِوامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هى المدركةُ والعينُ هى باب الألوان، والنفس هى السامعة الذائقة وإنمـا الأنف والأُذُن بابان . ولولا أنّ العقل فى الرأس لمـا ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفى الرأس الحواسّ الخمس . وكان يُنشد :

هُمُ[2] ضَرَبُوا رأسِى وفى الرأس أكْثَرِى * وغُـــودِرَ عندَ المُلْتَـــقَى ثَمَّ سائِرِى

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا فى زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التى تَبقى فى منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف[3] والى اللَّحْيَيْن[4] فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا ٱجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضه فى طَسْتٍ فيـه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه مع الحطب فٱستوقده فى التَّنُّور .

الأصمعىّ قال: قال أبو صَوّارة أو ٱبن دُقّة : الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْلىّ بالسكر الطَّبَرْزَذ[5]، ليس من طَعام أهل الدنيا .

---

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) فى البخلاء: «اذا». (٣) القحف: العظم الذى فوق الدماغ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شىء. (٤) اللحيان: عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفى البخلاء: «الجبين». (٥) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب، فارسىّ.

قال: وقال أبو صَوَّارة أو آبن دُقّة : أطولُ الليالى ثلاث : ليلةُ العقرب، وليلة الهرِيسة، وليلة جُدّة إلى مكة .

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى علىّ رضى الله عنه : أَطْعِمونى حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلى ثلاثا .

وقال رجل للثَّوْرِىّ فى الحديث : "إن الله يُبْغِض البيتَ اللَّحِم"، فقال : ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس .

عن أبى الصِّدِّيق[1] الناجى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تمَراتكم البَرْنِىُّ[2] يذهب بالداء ولا داءَ فيه" .

وعن آبن عُمَر عن عمر أنه قال : ياغلام أَنْضِج العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيتٌ ليس فيه تَمْرٌ جياعٌ أهلُه" .

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحِنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزِّ[3] يَوْحَلُ فيه الضِّرس .

الأصمعىّ قال: قال أعرابىّ : تمرنا جُرْدٌ[4] فُطْسٌ[5] يَغِيبُ فيه الضِّرْس، كأن نواه ألسُن الطير، تَضع التمرةَ فى فِيك فتجدُ حلاوتها فى كَعْبَيْك .

الأصمعىّ عن أبيه قال : أَسَرَ رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيَّرهما بم يُعَشِّيهما ، فآختار أحدُهما اللحمَ وآختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلْقِيا فى الفِناءِ وذلك فى شِتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ[6] عيناه .

(١) هو بكر بن عمرو أو آبن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة. (٢) البرنىّ : ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر. (٣) فى الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه. (٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأقماع . (٦) تزرّ عيناه : توقدان .

وقال غيرُ الأصمعىّ : قيل لأعرابىّ : ما رأيك فى أَكل الجِرِّىّ[1] ؟ قال : تَمْرة نِرْسِيَانَةٌ غرّاءُ الطَّرَف صفراءُ السـائر عليها مِثلُها زُبْدًا أحبُّ إلىّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

أَلَا ليتَ لِى خُبْزًا تَسَرْبَلَ رَائبًا[2] * وخيلًا من البَرْنِىّ فُرسَانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابىٌّ دقيقا وتمرا فآشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد ! قال : إنّ فى التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوة .

عن زياد النُّمَيْرىّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِترًا لم يضرّه .

الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيّةٌ[3] مُصَلَّبَة .

الأصمعىّ قال : حدّثنى رجلٌ من آل حزم قال : كان يقال : مَنْ خلا[4] على التمر فالعَجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحانىّ .

الأصمعىّ قال : قال أعرابىّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أتجعلُ عَسَلَةً فى أحشاءِ البقر كعَسَلَةٍ فى جوّ السماءِ لها مَحارِسُ من جَرِيدٍ وذوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعىّ : قيـل لآبن القَدّاح : أىّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا أكلوا قال : آنظروا أىُّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانىّ، قال: هو أطيبُ .

(١) الجرّىّ : ضرب من السـمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسـيانة ، وفى الأصل «تمرة برسنانية» وهو تحريف . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل : * ألا ليت خبزا قد تسربل رائبا *

(٣) الصيحانى: ضرب من التمر أسـود صلب الممضغة نسب الى صيحان وهو كبش كان يربط الى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب اليه ، ويقال : صلبت التمرة اذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادّة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحيانىّ : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أخلى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعىّ : العرب تقول للبخيل الأكول : "أَبَرَماً قَرُوناً"(١) أى لا يُخرِج مع أصحابه شيئا و يأكل تمرتينِ تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمـر عنها بطائرِ

سمِع الحسنُ رجلا يَعيبُ الفالُوذجَ(٢) فقال : فُتاتُ البُرِّ بلُعابِ النحل بخالِص السَّمْنِ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفرقَدٍ السَّبَخىّ : يا أبا يعقوبَ ، بلغنى أنك لا تأكلُ الفالوذجَ ، فقال : يا أبا سعيدٍ ، أخافُ ألّا أُؤدِّىَ شكرَهُ ، فقال : يا لُكَعُ ! وهل تُؤدِّى شكرَ الماءِ البارد [فى الصّيف(٣) والحارِّ فى الشتاء! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

(١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادّة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم و يأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفى الأصـل : «أبزما أكولا قروما» وهو تحريف .

(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذق معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادّة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيـلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدُم كلّ هادى
له راع بمكة مشمعـلّ * وآخر فوق دارته ينـادى
الى رُدُح من الشيزى ملاءٍ * لباب البرّ يلبـك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨١) .

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكَلَ طعامَ الخُلفاءِ، فقال : أمّا الروميّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحَلْواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال : يا أصمعيّ حَدِّثْنَا بحديث مُزَرِّدٍ، فقلت : إن مُزَرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤْثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه[1]، فخرجَتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرِّدٌ الخيمةَ وعَمَد الى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولمّا غدتْ أُمّي تَمِيرُ بَناتِها * أغرتُ على العِكْمِ[2] الذى كان يُمنعُ
لبَكْتُ[3] بصاعَيْ حِنْطةٍ صاعَ عَجْوةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقَهُ يَتريّعُ[4]
ودَبّلْتُ[5] أمثالَ الأثافِي كأنها * رُءوسُ نِقادٍ[6] قُطِّعتْ يومَ تُجمَعُ
وقلتُ لبَطنِي أبْشِرِ اليومَ إنه * حِمَى أُمِّنا مما تَحُوزُ وتَرفَعُ
فإن كنتَ مَصْفورًا[7] فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانًا[8] فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحِكَ الرشيدُ حتى آستلقَى على ظهره، ثم قال : كُلوا بآسم الله، هذا يومُ تَشبَعُ [يا أصمعيّ][9] .

(١) يحفظه : يغضبه . (٢) العكم : النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .
(٣) لبكت : خلطت، واللبيكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن. (٤) يتريع : يميع هاهنا وهاهنا لا يستقرّ له وجه لكثرته . وفى الأصل : « يتربع » بالبا الموحدة. (٥) دبلت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة . وفى الأصل « وذيلت » بالذال المعجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل) . (٦) نقاد : جمع نقدة وهى الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء فى البطن يصفرّ منه الوجه .
(٨) غرثان : جائع؛ وقد وردت هذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الحجاجُ الى عامله بفارس : ابعثْ الىّ عسلًا من عسلِ خُلَّار(١)، من النَّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشَار، الذى لم تمسَّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعضُ(٢) الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسل إلىّ بعسلٍ أَخْضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء ، من عَسلِ النَّدْغ(٣) والسَّحاء(٤)، من حِدَابِ بنى شبابة .

والعربُ تصِف العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ البارِدُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بماءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ الذهبىّ(٥) الذى اذا قَطرتْ منه قَطرةٌ على وجه [الأرض] آستدار كما يَستدِيرُ الزئبقُ ولم يَنفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُلطَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعلَقُ .

وسُئل ديمقراطيس العالِمُ عمّا يَزيدُ فى العُمر فقال : مَنْ أدام أكلَ العسلِ ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمرِه .

---

(١) خلّاركرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها مما عصرته الأيدى وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال آبن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدّستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال : ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا فى الأصل، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ : الصعتر البرىّ وهو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل «البذع» . (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادّة (حدب) . وفى الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبى، وفى لطائف المعارف للثعالبى ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبى أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل» .

والعَسلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطرىّ بقى كهيئَتِه حتى لا يَنْتَن . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ دِرهمًا حلالًا وليَشْتَرِ به عسلا ثم يَشرَبْهُ بماءِ سواءٍ فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجبه اذا ٱسْتَمْشَى[1] الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائـع أن العسلَ اذا دِيفَ[2] بالمـاء وخُلِطَ معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتقيأ به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن ٱبن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعىّ قال : كانت امرأةٌ من[3] بكر بن وائل تنزِلُ الطُّفَاوَةَ[4] وكانت قـد أدركت بعض أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان العُبّادُ يَغشَوْنَها فى منزلهـا؛ فعابَ عائبٌ عنـدها السَّوِيقَ ، فقالت : لا تَفعَـلْ ! إنه طعامُ المسافِر، وطعامُ[5] العَجْلانِ ، وغِذاءُ المبكِرِ ، وبُلغَـةُ المريضِ ، ويَشُدُّ فؤادَ الحَزِينِ، ويَرُدُّ من نَفسِ الضَّعيفِ ؛ وهو جيّدٌ فى التَّسمِين ونقاوَةِ البلغَمِ، ومَسْمُونُه[6] يُصفِّى الدمَ، إن شِئتَ كان ثريدا ، وإن شئت كان خَبيصًا ، وإن شِئت كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علىّ يقول لجاريته : خَوِّضِى[7] لنـا سويقا فأَخْثِرِيهِ ، فإنّ الرجلَ لا يَستحِى أن يزدادَ ماءً فيرقّقَــه ، ويستحى أن يزدادَ سويقًا فيُخثِرَه به .

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط (٣) فى الأصل : «كان فى الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حىّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التى نزلته . (٥) كذا بالأصل، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفى العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن ولته به . (٧) خوّض الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة، يقال : أخثر الشىء وخثره إذا غلظه بعد الرقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علىّ وهو فى مَزْرَعته وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَوِيقَ لَوْزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزَذًا(١) بِغَرِيضِ(٢) مُزْنٍ * ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ
وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بمَسِّكَ إنه طـاب الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرضٍ * يَطيبُ إذا مشيتَ به الترابُ
لِأن نَداكَ يَنفِى المَحْـلَ عنها * وتُحْيِيها(٣) أياديكَ الرِّطـابُ

وقال الحسنُ : لا تَسْقُوا نِساءكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعِلين فآحفَظُوهنّ .

وقال الرّقاشىّ : السِّمْنَةُ لِلنِّساء غُلْمةٌ وهى للرجال غَفْلَةٌ .

عن آبن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثةٌ لا تُرَدُّ : اللّبنُ والسِّواكُ(٤) والدُّهْنُ" .

الرِّياشىّ قال : سمعتُ أبا يزيدَ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسنانَه الذَّهَبُ لشربه اللّبَنَ حارًّا .

الأصمعىّ عن ذى الرُّمّةِ أنه قال : إذا قلتَ للرجل : أىُّ اللّبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ(٥)، فقُلْ : عبد مَنْ أنتَ(٦)؟ و إن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريش بآمرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ .

---

(١) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، و يقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومفردات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزذ) . (٢) الغريض من اللحم والماء واللبن والتمر : الجديد الطازج . (٣) فى الأصل : «وتجنبها» بالجيم والنون وهو تحريف .
(٤) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض .
(٦) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل اليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقـال : اللبنُ أحدُ اللحمَيْنِ .

وقال بعضُ المدنيّينَ : مَنْ تَصبّحَ[١] بِسبعِ مَوْزاتٍ[٢] وبقَـدَحٍ من لبن إبلٍ أَوارِكَ[٣] تجشّأ بَخورَ الكعبةِ .

وقف معاويةُ على آمرأةٍ فقال : هل مِن قِرًى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خُبزٌ خَمير ولبَنٌ فَطير وماءٌ نمير[٤]، والعرب تقول : "إنّ الرَّثيئةَ تَفْثأُ الغضبَ"[٥]. والرَّثيئـةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبنِ . قال بعضُ الأعرابِ :

و إذا خشِيتَ على الفؤادِ لَجاجَةً * فاضرِب عليه بجَرْعَةٍ من رائِبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه : أنِ آطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما .

وصف أعرابىّ خِصْبَ البادية فقـال : كنتُ أشربُ رثيئـةً تجرُّها الشّفتان جرًّا، وقارِصًا إذا تجشّأتُ جدَع أنفِي، و رأيتُ الكمأةَ تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً[٦] يَشَمُّها الكلبُ فيعطِسُ .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخّنَ بالنـار وسِيطَ[٧] بعُودٍ من عيـدان شجرِ التّينِ راب من ساعته. وقالوا : وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن[٨] كان فيه رُوبة جعل فيه شيئا من الحَبَقِ، وهو الفُوذَنجُ[٩] النهرىّ، فإنه يبقى كهيئته .

(١) تصبح : أكل شيئا قليلا يتعلل به . (٢) كذا فى الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» . (٣) الإبل الأوارك : التى تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع فى الرىّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطرىّ القريب العهد من الحلب . (٥) هـذا مثل ذكره الميدانىّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أى تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلقى فى السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) فى الأصل : «فإن» . (٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلَّى الرَّبَعِىّ قال : مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا ، فدعوت اللهَ تعالى ، واذا دعا العبدُ اللهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدَفَعتُ الى ذِئبينِ فى جَفْرٍ(١)، فرمَيتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فآستقيت ، ثم أتيتهما واذا هما على مُهَيْدِيَتِهِما(٢)، واذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شِبهَ الزّفير — فاشتويتُ وآحتذيتُ(٣) وآدّهنت .

قال آبن قِرْفَةَ (شيخ من سليم) : أضافنى رجل من الأعراب فجاءنى بِقِدْرٍ جِمَاعٍ(٤) ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم ، فاذا بَضْعة تَمْأَتُّ(٥) فى فمى ، وبَضْعة كأنّها بِضَع ساقٍ ، و بضعة كأنها شحمٌ زَخِمٌ(٦) ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إنى رجل صيّاد ، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبيٍ وضَبُعٍ .

قال مدنىّ لأعرابىّ : ما تأكلون وما تَدَعُون ؟ قال : نأكل ما دَبَّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَينٍ(٧) ، فقال المدنىّ : لِيَهْنِىءْ(٨) أمَّ حُبَينٍ العافيةُ .

---

(١) الجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيديتهما : على حالهما التى كانا عليها ، يقال : هو على مهيديتـه ومهيدئته ، بالهمز وعدمه ، حكاه ثعلب وقال : لامكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و (هدأ) . (٣) احتذيت : اتخذت نعلا . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هى التى تجمع الجزور . (٥) تمأت : تمتد وتمطط . (٦) زخم : كريه خبيث الرائحة . (٧) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة : دويبة قيل : هى ضرب من العظاء ، وقيل : هى أعرض من العظاء ، وقيل : هى أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهى منتنة الريح تحاماها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها ، و يقال لها : حبينة معرفة بلا ألف ولام وانما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذى هو السّق فى البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) فى الأصل : «ليهن» قال شارح القاموس فى مادّة هنأ : تقول العرب فى الدعاء : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنـة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أى لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجـع شرح القاموس (مادة هنأ) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلالِ بن عامر، فذكروا الضَّبَّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلالىَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربىّ غيرهُ، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضلُ بصَحْفةٍ فيها فِراخُ الزَّنابير(١)، فلم يَشُكّ الأعرابىّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلْجٍ يَعَافُ الضبَّ لؤمًا وبِطْنَةً(٢) * وبعضُ إدامِ العِلْجِ هامُ ذُبَابِ
ولو أنَّ مَلْكًا فى المَلَا نالك أُمَّهُ * لقالوا لقد أُوتيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهندى(٣) (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبَابَ فما عِفْتُها * وإنّى لأشهَى قَديدَ(٤) الغَنَمْ
ولحمَ الخروفِ حَنِيذًا(٥) وقد * أُتِيتُ به فاترًا فى الشَّبِمْ(٦)
فأمّا البَهَطُّ(٧) وحِيتانُكم * فما زلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ
وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فلم أر فيها كضَبٍّ هَرِمْ

---

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور : «وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى فى الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل» وذكر خاصة لذلك . (٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨)، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهى لا تختلف فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : «وعلج يعاف الضب واللوم بطنه» . (٣) كذا ورد فى اللسان (مادتى عرب وبهط) منسوبا اليه بعض هذه الأبيات، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : «أبو هند» . (٤) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . (٥) حنيذ : مشوىّ . (٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ، وقد فسره الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه اللغوى . وفى الأصل : «السنم» وهو تحريف . (٧) قال فى اللسان : «البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة» .

ولا في البُيُوض كَبَيْض الدَّجَاج * وَبيْضُ الدجاج شِفاء القَرَمْ[٢][١]
ومَكْنُ الضِّبَاب طعام العُرِيبِ * ولا تَشْتَهِيه نُفُــوسُ العَجَمْ[٣][٤]

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذُقْتَ الكُشَى بالأكبادْ * لمـا تركتَ الضَّبَّ يَعْدُو بالوادْ[٥]

ونزل رجل من العرب برجل من الأعرابِ فقدّم اليه جرادا، فقال :

لَحَى اللهُ بيتًا ضَمَّنِى بعد هَجْعةٍ * اليه دَجُوجِىٌّ من الليل مُظلِمُ
فأبصرتُ شيخًا قاعدًا بِفِنَائِه * هو العــنز إلا أنه يتــكلم
أتانا بِبِرْقَانِ الدَّبَى فى إنائه * ولم يَكُ بَرْقان الدَّبَى لِى مَطْعَمَ[٦]
فقلت له غَيِّبْ إناءَك واعتزِلْ * فهل ذاق هذا، لا أبالَك، مُسْلِمُ[٧]

وقال بعض العباسيين :[٨]

ليتَ شعرى متى تَخُبّ بِىَ النا * قةُ نحو العُــذَيْب فالصِّــنَّيْنِ[٩][١٠]
مُحْقِبًا زُكْرةً وخُبْزَ رُقاقٍ * وجُبيْنًا وقِطْعــةً من نونِ[١١][١٢][١٣]

---

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصل : «و بيض الجراد» .
(٢) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدة الشهوة الى اللحم . وفى الأصل «الشقم» وهو تحريف . (٣) المكن (بفتح الميم و إسكان الكاف) و بالنون فى آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب؛ قال فى اللسان مادة عرب : صغرهم تعظيما كما قال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . و فى الأصــل « الغريب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشى : جمع كشية (بضم الكاف و إسكان الشين) وهى أصل ذنب الضب .
(٦) البرقان : جمع برقانة وهى الجرادة المتلونة . والدبى : الجراد، أى أتانا بالمتلون من الجراد .
(٧) فى الأصــل : « فناك » . (٨) ذكر هــذا الشعر بالجزء الثانى من كتاب الأغانى (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى حنين بن بلوع الحيرى، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم، وهو أوّل ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر و به نهر ومزارع . ورواية الأغانى فى هذا الشطر : «بين السدير والصنين» وفى اللسان : «بين العذيب فالصنين» بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفى الأصل : «فى الصنين» . وفى هذا الشعر السناد وهو، كما فسره ابن سيده؛ المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاى : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقـد راح صُحْبتى * تُرى أبتغِى من صَـيْده وأُخَاتِلُهْ[(١)]
فلما التقتْ كفّى على فَضلِ ذَيله * وشالت[(٢)] شمالى زَايَلَ الضَّبَّ باطِلُهْ
فأصبح محنوذًا[(٣)] نضيجًا وأصبحتْ * تَمَشَّى على القِيزَان[(٤)] حُولًا حلائلُهْ
شديدَ آصفرار الكُشْيَتين[(٥)] كأنمـا * تَطَلَّى بوَرْسٍ[(٦)] بطنُـه وشَـوَا كِلُهْ[(٧)]
فذلك[(٨)] أشهى عندنا من نَتَاجِكم[(٩)] * لحى الله شـارِبَه وقُبِّــح آ كِلُهْ

وبنو أسد تُعَيَّر بأ كل الكلاب؛ قال الفرزدق :

إذَا أَسَدِىٌّ جاع يومًا ببلدةٍ * وكان سمينًا كلبُه فهو آ كِلُهْ

وتُعَيَّر أيضا بأ كل لحوم الناس، كما قال الشاعر[(١٠)] :

اذا ما ضِفْتَ ليلًا فَقْعسِيًّا * فـلا تأ كل له أبدًا طعامًا
فإنّ اللحم إنسـانٌ فدعْه * وخيرُ الزادِ ما منع الحـراما

---

(١) فى الأصل : «وأخاطره» والقافية فى الشعر اللام ، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبغى صـيده وأخاتله *

(٢) كذا فى كتاب الحيوان ، وشالت : ارتفعت . وفى الأصل : «نالت» . (٣) الشـواء المحـنوذ الذى قـد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنـار حتى ينشـوى انشواء شـديدا فيتهرّى تحتها . (٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبّه به أرداف النساء . (٥) كذا فى كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفى الأساس أنها شحمة مستطيلة فى جنبيه . وفى الأصل : « الكليتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة . (٨) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصـل : « كذلك » بالكاف . (٩) فى الأصل « نيا حكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ . (١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) الى معروف الدبيرى .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوُونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنَعَتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم ينْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لُبِجَ (١) به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحمًا ، فاشتروه فطبخه حتى تَهرّى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشَرَعَت اليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكْلِه ، فقال الأكبر منهم : آكُلُهُ يا أبت حتى لا أَدَع لِلذةٍ فيه مَقِيلا ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى ألِعامِه هو أم لِعامٍ أوّل ؛ قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقا وأجعل إدامه المخّ ؛ قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابىٌّ يسير وهو يُوضِع (٢) بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله ، فأنشأ يقول :

إن السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفِتْيانٍ يشربون فشَرِب معهم ؛ فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره ، وقال :

عَلِّلانى إنما الدّنيا عِلَلْ * ودَعَانى من مَلَامٍ وعَذَلْ
وانْشُلا (٣) ما اغْبَرّ من قِدْرَيكما * واسقِيانِى أبعدَ اللهُ الجَمَلْ

---

(١) يقال : لبج بالرجل ولبط به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعديه ويحمله على العدو الحثيث . (٣) نشل اللحم (من بابى ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من غير المغرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الأَكْلُ في السُّوقِ دَناءةٌ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغني أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان في سَعَةٍ من الرزقِ حتى يموتَ .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِي الفقرَ وبعده يَنفِي اللَّمَ[1] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إنّ أباك أكَلَ طعاما كاد يقتُلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرْداء : بِئس العونُ على الدِّينِ قَلبٌ نَخِيبٌ[2] ، وبطنٌ رَغِيبٌ[3] ، ونَعْظٌ شديدٌ .

أكَلَ الجارودُ[4] مع عمرَ طعامًا ، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّسْتَوْرَدَ[5] ؛ فقال عمر : امسحْ بِٱسْتِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنا نأتي فَرْقدا السَّبَخِيَّ ونحن شَبَبَةٌ[6] فيُعَلِّمُنا : إن مِن ورائكم زمانًا شديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ، وشَدِّدُوا المضغَ ،

(١) اللـم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) يعني الذنوب الصغائر .
(٢) نخيب : جبان كأنه منتزع الفؤاد .
(٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدّة النهم .
(٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه فرّ بإبله الجرد (التي أصابها الجَرَد) الى أخواله من بني شيبان ، ففشا ذلك الداء في ابلهم فأهلكها . وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة احدى وعشرين .
(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .
(٦) شببة : جمع شاب .

ومُصُّوا المــاءَ مَصًّا . واذا أكل أحدُكم فلا يَحُلَّنَّ إزارَه فتَتَّسِعَ[1] أمعاؤه . واذاجلس أحدُكم ليأكلَ فليَقْعُدْ على أليَتيه، وليَلزَقْ بطنه بِفَخذيه ، واذا فرغ فلا يَقْعُدْ وليَجِئْ وليَذْهَبْ، واْحتَمُوا[2] فإنّ مِنْ ورائكم زمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبى أوفَى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ساقِى القَوْمِ آخِرُهم شُرْبا" .

وعن الجارُودِ بن أبى سَبْرَةَ قال : قال لى بلالُ بن أبى بُرْدَةَ : أتَحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعنى عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؟ فقلت : إيهًا[3] واللهِ؛ فقال : حَدِّثْنِى عنه . فقلتُ : نأتيه وكان سِكِّيتًا[4]، إن حَدَّثَنا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدَّثْناه أحسنَ الاستماعَ، فإذا حضرَ الغَداءُ جاء خَبّازُه فمَثَلَ بين يديه؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بَطَّةٌ بكذا، ودَجاجةٌ بكذا وكذا . قال : ومايُريدُ بذاك؟ قلت : كى يَحبِسَ[5] كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهِى، فإذاوُضعَ الخِوانُ خَوَّى[6] تَخوِيَةَ الظليمِ[7] فما له إلا موضعُ مُتَّكئِه فيَجِدُّ ويَهزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَروا وكَلُّوا أكَلَ معهم أكْلَ الجائعِ المقرورِ[8] حتى يُنَشِّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اجتمعَ للطعام أربعٌ كَمَلَ : أن يكون حلالًا، وأن تَكثُرَ عليــه الأيدِى، وأن يُفتَتَح باسم الله، ويُختَتَم بحَمدِ الله .

(١) فى الأصــل : «فتشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعــام؛ وفى الأصل : «احتفوا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ؛ ومنه حديث ابن الزبير لمـا قيل له : يابن ذات النطاقين ؛ فقال : إيها والإله ، أى صدّقت و رضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) فى الأصل «يختبئ» والتصويب عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خوّى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا فى كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظليم : ذكر النعام؛ وفى الأصل : « تخوية الطين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذى أصابه القرّ وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا[1] وسَمِّتُوا .

قال أبرويزُ لصاحِبَيْ طعـامِه وشرابه : إنى سَلَّطتُكما على المعيشــةِ، وأشركتُكما فى الحياة، وجعلتكما أمينينِ على نفسى، ووَلَّيتُكما من طعامِى وشَرابِى ما التوسعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فآجعلاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سِوایَ، وفى كثرته ككثرةِ مَنْ معى على مَنْ مع غَيرى . ولا يَشهدَنَّ طعامِى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تداولُه خلا نفسًا واحدةً، وإنما أفردتُه بذلك لِتَسْتَحْكِمَ الحجّةُ فيه علىٰ مَنْ أضاعَ، وتَنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ، ولأجعلَ صاحِبَ ذاك رَهنًا بدمِ نفسِه إن هو قصَّر فى صُنعِهِ أو أوقع بغائلةٍ .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جَامٌ من حَبّ رُمّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كل لوَنَينِ ملعقةً حتى يعرِفَ آختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن[2] الثَّورىّ يُقْعِدُ آبنَه معه على خِوَانه يوم الرأس[3]، ثم يقول : إياكَ ونَهَمَ[4] الصبيان وأخلاقَ النوائح، و[دع عنـك][5] خَبْطَ المَلّاحين والفَعَلَة، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَة، وكُلْ من بينِ يديكَ؛ فإنّ حظَّكَ الذى وَقَع وصار اليك . وآعلم أنه اذا كان فى الطعام شىء طَريفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضْعة شَهِيَّةٌ[6]، فانما ذلك للشـيخ المعظّم والصبىّ المدلَّل، ولستَ

---

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادّتى سمت ودنا) . (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص١١٥)؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبدالرحمن هـذا كان يعجب بالرءوس و يحمدها و يصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هـذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل «ونهم السلطان» . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما. وأنت قد تأتى الدعوات، وتُجيب الولائم، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرِمًا[1] اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضا. وأنا بعدُ أكرهُ لك الموالاةَ بين اللحم[2]؛ فإن الله يُبغِضُ أهلَ البيتِ اللَّحِمين[3].

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحم كمدمِن الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يأكل لحما، أُفٍّ لهذا عملًا!.

وكان عمرُ يقول: إيّاكم وهذه المجازرَ، فانّ لها ضَراوةً[4] كضَراوةِ الخمر.

يا بُنيَّ عَوِّدْ نفسك الأُثْرَةَ[5] ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تَنهَش نهشَ السِّباع، ولا تَخضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدْمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضَّلك، فلا تجعل نفسك بهيمةً ولا سبعا. واحذر سرعةَ الكِظّة[6] وسَرَف البِطْنة.

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنى. وقال الأعشى:

... ... والبِطْنَةُ* ممّا تُسَفِّهُ الأحلاما[7]

واعلم أنّ الشِّبَع داعية البَشَم، وأنّ البشم داعية السَّقَم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسه، وقاتلُ نفسه ألأمُ من قاتلِ غيره.

---

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما: اشتدت شهوته اليه. (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧) طبع أوربا، وفى الأصل «بعد» وهو تحريف. (٣) اللحمين: جمع لحم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه. (٤) الضراوة بالشىء: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم): المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر و يأثرها قرن عن قرن. (٦) الكظة: الامتلاء من الطعام.

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان فى مادّة «بطن» والبيت:

يا بنى المنذر بن عبدان والبِطْنة* مما تسفه الأحلاما

وفى الأصل «والبطنة يوما تسفه الأحلاما».

يابنىّ، والله ما أدّى حقَّ الركوع والسجود ذوكِظَّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات[١] عيش الصالحين .

أىْ بنىّ،لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله درُّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم[٢]، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام .

أىْ بنىّ ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب ، وصحّتْ أبدان الرُّهبان ، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النِّقْرِس[٣] ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْءِ[٤] وخفّة الزاد . وكيف لا ترغب فى تدبيرٍ يجمع لك صحّةَ البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعَى[٥]، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة ! .

أى بُنَىّ ، لم صار الضبّ أطولَ شىء ذَمَاءً[٦] إلا لأنه يتبلَّغ بالنسيم ؛ ولِمَ قال[٧] الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وِجَاء[٨] إلّا ليجعله حِجازا[٩] دون الشهوات. اِفهم تأديب الله، فإنه لم يَقصد به إلّا الى مثلك .

أى بنىّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَغَضَ[١٠] لى سِنّ، ولا ٱنتشر لى عصبٌ، ولاعرفتُ ذنين[١١] أنف، ولاسَيَلان عين، ولاسَلَس بول، ما لذلك علّةٌ إلّا التخفيف

(١) الوجبات : جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاما على طعام . (٣) النقرس كزبرج : داء يأخذ فى الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام . (٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفى الأصل « المعاد » وهو تحريف . (٦) الذماء : بقية النفس والحركة، والمراد : أطول شىء حياة . وفى العقد الفريد "أطول عمرا". (٧) كذا بالعقد الفريد . وفى الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما فى الجامع الصغير : « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير، : أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتنزل فى قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا : مانعا وحائلا . وفى العقد الفريد : « حجابا » . (١٠) نغض قلق وتحرك . وانتشر العصب : انتفخ . (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذنان : المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل : «دنين أذن» .

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهـذه سبيل الحيـاة ، و إن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسَه .

وقال أبو نَهْشَل[(١)] : كانت لى ٱبنـة تجلسُ معى على المـائدة فتُبرز كفًّا كأنهـا طَلْعة ، فى ذراع كأنه جُمّارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصّتنى بها ، فزوّجتُها وصرت أُجلِس معى على المـائدة ٱبنـا لى فيُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة[(٢)] ، فى ذراع كأنه كَرَبة ، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقْمة طيِّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلَبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان : أكثروا الطعام ، فوالله ما بَطِن[(٣)] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلِل طعامًا تَحمَد مناما .

الأصمعىّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال : ما فىَّ فضل ؛ فقال عبدالملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد ، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى ٱستقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك؟ قال : عملى منـذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ ٱبن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة[(٤)] فقال : هل ٱتّخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : لِأنا اذا طَبخنا أنضجنا ، و إذا مَضغنا دقّقنا ، ولا نَكُظّ[(٥)] المعدة ولا نُخْليها .

---

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر و بضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المغور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : « أبا الزعيزعة » و فى ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرية» . (٥) كذا فى العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «لا نكب» .

وقال الأحنف : جنِّبوا مجالسنا ذكر النســاء والطعام، فإنى أُبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال: بلغنى أنّ أقواما لبسوا المَطَارِفَ العِتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم، طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخْــرة، يتّكئ على شمــاله، ويأكل من غير ماله، حتى اذا أدركته الكِظّة قال: يا جارية هاتى حاطوما[(١)]، ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع: الطعام لا يؤكل إلّا على شَهْوة، والمرأة لا تنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكلَ مِن سَقَط المــائدة عاش فى سَعَةٍ وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ: أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَصُ[(٢)] عينيه، وأسحى[(٣)] خدّيه، وأفُكّ لَحْيَيه، وأرمى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ، ولذلك يقول قائلهم[(٤)]: أنا من قبيلة تُبقى المخّ فى الجماجم .

دِعْبِل قال: يا بُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر[(٥)].

قال بعض الشعراء:

اذا لم أَرَى إلّا لآكُلَ أَكْلَةً * فلا رَفَعتْ يُمْنَى يدىَّ طعامى

فما أكلةٌ إنْ نِلتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعتُها بغرامِ

(١) الحاطوم: الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه: أغارها .

(٣) يقال: سحيته أسحاه إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر:

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا ننتق المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال: إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عندهم شَرَهٌ ونَهَمٌ .

(٥) الجواعر: جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعىّ قال : لا تخرج يا بُنَىّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[1] . يعنى حتى تتغذّى . وقال هلال بن جُشَم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوءات الأمور آجتنابُها

وقرأت فى الآيين[3] : أن رجلا من خدم دار المملكة أوصى آبنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك ، ولا تلفّتنّ يمينا وشمالا . ولا تتّخذنّ خِلالك قَصَبا . ولا تلْقَمنّ بسكّين أبدا ، وإذا كان فى يدك سكّين وأردتَ آلتقاما فضَعْها على مائدتك ثم آلتقِم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تتخلّل بعود آس . ولا تمسح بثيابِ بَدَنِك . ولا تُرِق ماء وأنت قائم . ولا تحفِر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُلعَن ، ولا تسترح على أُسْكُفّة[4] فتُجَهَّل ، ولا تَستَنْج بمَدَر[5] فيورثَك البواسير ، ولا تَمْتَخِط حيث يُسمَع آمتخاطك ، ولا تبصُق فى الأماكن المنظّفة .

وأجلس معاوية[6] على مائدته رجلا يؤاكله ، فأبصر فى لقمته شَعرة ، فقال : خُذِ الشعرة من لقمتك ؛ فقال له الرجل : وإنك لتراعينى مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة فى لُقْمتى! والله لا أكلتُ معك أبدا! ثم خرج الأعرابىّ وهو يقول :

ولَلموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظُ أطرافَ الأَكِيلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأَرْويتَ فهَنِّئنا ، وأكثرت وأطبتَ فزِدنا .

---

(١) الحلم : العقل ، وفسر أخذ الحلم بالغذاء لأن الشبع قوام العقل . وفى الأصل : «جلمك بالجيم» .
(٢) تقدّم هذا البيت فى باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن بشر . وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها الى هلال بن خثعم . (٣) فى تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة . (٤) الأسكفة : عتبة الباب . (٥) المدر : التراب المتلبد . (٦) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «هشام بن عبد الملك» .

الجـــوع والصـــوم

قيل لبعض الحكماء : أىُّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يابنىّ، كُلْ أطيبَ الطعامِ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول : أكثِرِ الصيام، وأطِلْ بالليل القيام .

اشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بِالمِصرِ لمّا ساءنِى شِبَعِى * ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها جُوعُ
ألا سبيلَ الى أرضٍ بها غَرَسٌ[1] * جُوعٌ يُصَدِّعُ منه الرأسَ بُرقوعُ[2]

وقال آخر :

وعادةُ الجوعِ فاْعَلمْ عِصمةٌ وغِنًى[3] * وقـد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشِّبَعِ

العُتبِىّ[4] قال: قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعَوامّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومجانينكم أظرفُ من مجانيننا ، قال : وما تدرِى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا، قال : [من] الجوع، ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه! .

وقيل لبعض حكماء الرُّومِ[5] : أىُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع، وأمّا لِمَنْ لم يَقدِر فإذا وَجَد .

(١) كذا بالأصل، ولعله « غَرَثٌ » (بالغين المعجمة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .
(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد، ومثل البرقوع البركوع واليَرْقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأوّل وفتح الياء المثناة فى الثانى) والخُنتور والخِنتار . (٣) فى الأصل : « وعنا » .
(٤) رويت هـذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .
(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونَظَر أعرابىٌّ الى قومٍ يلتمسون هلالَ شهر رمضان، فقال : أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنَابَى عَيْشٍ أغبر (١) .

وقيل لآخر : ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان ! فقال : بين يديها ثلاثون كأنها القَبَاطىّ (٢) .

وقيل لمدنىّ : بمَ تتسحَّر الليلة ؟ فقال : باليأس من فطور القابلة .

الرِّياشىّ قال : قيل لأعرابىّ : اشرب، فقال : إنى لا أشرب على ثُمَيلة (٣) . وقال :

إذا لم يكن قبـل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبَقَّـلَةٌ صـفراءُ شَحْمٌ جميعُها
فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غيرشىءٍ أوجعَ الكِبْدَ جُوعُها

قدِمَ أعرابىّ على ٱبن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان، فقيل له : أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان ؛ قال : وما شهرُ رمضان ؟ قالوا : الإمساك عن الطعام ؛ قال : أبالليلِ أم بالنهار ؟ قالوا : لا، بل بالنهار ؛ قال : أَفَيَرْضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا : لا ؛ قال : فإن لم أَصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا : تُضرَب وتُحبَس ؛ فصام أياما فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمِّى وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيَّـأ أبا عمـرٍو لشهرِ صـيامِ
فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * سـلامٌ عليكم فٱذهبُوا بسَـلامِ
فبادَرتُ أرضًـا ليس فيها مُسَيطِرٌ * علىّ ولا مَنَّـاعُ أكلِ طعَـامِ

---

(١) قدصححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ٱبن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرّفة هكذا : «لتمكن منه أذناى عيش أغبر» .

(٢) القباطىّ : ثياب بيض من كتّان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان .

(٣) الثميلة : البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن .

وأدركَ أعرابيًّا شهرُ رمضـانَ فلم يَصُمْ ؛ فعذَلَتْه آمرأتُه فى الصـوم، فزجَرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُنِى بآلصّـوم لا درَّ دَرُّها * وفى القبرِ صـومٌ يا أُمَيمَ طوِيلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ لخضر وأصحابَه، فأكلُوا ولم يأكُلْ ؛ فقيـلَ له : ألا تأكُلُ! فقال : إنّى صائمٌ، ولكن تُحفةَ الصائمِ ؛ قيل : وما هى؟ قال : الدُّهْنُ والمِجْمَـــر .

أخبـارٌ من أخبـار الأكَلَة

الأصمعىّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْسًا طَحُونًا، ومَعِدَةً هَضُومًا، وسُرْمًا نَثُورًا[1] .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنَسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمـرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكلُه حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

همُّ الكريمِ كريمُ الفِعلِ يَفْعَلُه * وهمُّ سـعدٍ بمـا يُلقِى الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِيَ سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِى الحارَّ، وشربِى القارَّ، وآتكائى[2] على شِمَالِى، وأكلِى من غيرمالِى .

وقيـل لآخرَ : ما أسمنك ؟ قال : قِلَّةُ الفِكْرِ ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنَّـومُ على الكِظَّةِ[3] .

---

(١) كذا فى اللسان مادة (سرم)، والسرم النثور : الكثير القذف للثفل من المعى . وفى الأصل : "وسرما مشاقا" . (٢) فى الأصل «وآتكالى» باللام . (٣) الكظة : شىء يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاجُ للغضبان بن القَبَعْثَرى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القيدُ والدَّعَةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأميرِ فقد سَمِنَ .

وقال آخَرُ لرجل رآه سمينا : أرَى عليكَ قَطيفةً من نَسْجِ أضرَاسِك .

وقيل لآخَرَ : إنك لَحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ البَشَرة؛ فقال : آكُلُ لُبَابَ البُرِّ بِصغَارِ المَعْز، وأدَّهِنُ بدُهنِ البَنفَسَجِ، وألبَسُ الكَتَّانَ .

قيل لمَيْسَرةَ الأَكُولِ وأنا أسمعُ : كم تأكُلُ فى كلّ يومٍ ؟ قال : مِن مَالى أو من مال غيرى؟ قالوا : مِن مالك؛ قال : دُونَان(١)؛ قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : ٱخْبِزْ وٱطْرَح .

والعرب تقول : «العاشيةُ تَهيجُ الآبيــةَ(٢)» . يريدون أنّ الذى لا يَشتَهِى أن يأكلَ، اذا نظر الى مَن يأكُلُ هاجه ذلك على الأكل .

قال جريرٌ :

وبنــو الهُجَيم(٣) سَخِيفةٌ أحلامُهم * نُطُّ(٤) اللِّحَى مُتَشابِهُــو الألوانِ
لو يَســمَعُونَ بأكْلةٍ أوشَرْبَةٍ * بعُمَانَ أصبح جمعُهُــمْ بعُمَانِ
متأبِّطين(٥) بَنِيهِــمُ وبَنَاتِهِــم * صُعْرُ(٦) الأنوف لِرِيحِ كلِّ دُخَانِ

(١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبية الإبل العواشى تبعتها فرعت معها . (٣) فى الأصل : « وبنــو الهجين » بالنون وهو تحريف، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النســخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :

* إن الهجيم قبيلة مخسوسة * (٤) نط : جمع أنط، والأنط : قليل شعر اللحية . (٥) فى الديوان : « متوركين» . (٦) كذا فى الديوان، وصعر الأنوف : ميلها، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قعـد رجلٌ على مائدة المُغيرة ، وكان منهوماً ، وجعـل ينهَش ويتعرَّقُ؛ فقال المغيرةُ : ناولُوه سكِّيناً ؛ فقال الرجل : كلُّ آمرئٍ سكِّينُهُ فى رأسه .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظاعنٌ والثريدَ باقٍ .

وقيل لآخر : ما تُسَمُّونَ المرَقَ ؟ قال : السَّخِينَ؛ قال : فإذا بَرَد ؟ قال : لا نَدَعه يبرُدُ .

قال أبو اليَقْظَانِ : كان هِـلالُ بنُ أسـعرَ التَّميمىّ ، من بنى دارِم بن مازنٍ ، شديدا أكُولًا؛ يزعمون أنه أكَل جمـلا إلا ما حَمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فَصيلًا ، وأكلَت آمرأته فصيلا ، فلما ضاجعَها لم يَصِل اليها ؛ فقالتْ : كيف تَصِلُ إلىّ وبينَنا بَعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ، فأكل مع الناس حتى فرَغُوا، ثم أكَل ثلاثَ جِفانٍ تُصـنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ؛ فقال له : شبِعْتَ ؟ قال لا ؛ فأتَوْه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشْبَعْ ، فبعثُـوا الى الجيرانِ؛ فلمّا اختلفَتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّ بهم فأمسكَ؛ فقالوا : هل لكَ فى تمرٍ شِهرِيزٍ (١) بِلبنٍ ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصِرَ (٢)؛ فقالوا له : أشبِعْتَ ؟ قال : لا؛ قالوا : فهل لك فى السَّويقِ؟ قال: نعم؛ فأتَوْه بجرابٍ ضَخْمٍ مملوء؛ فقال : هل عندكم نبيذٌ؟ قالوا: نعم؛ قال : أعنـدكم تَوْرٌ (٣) تغتَسِلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِىَ به فغسَلَه وصبَّ السَّويقَ فيـه وصبّ عليه النبيذَ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِيَ .

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم و بالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر، وفيه وجهان الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَل وكيلُ آل عمرو بن العاص قال : قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُــه[١] ، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ ابنُه[٢] بستانًا لعمرو ، قال : فجال فى البستان ساعةً ثم قال] : ناهيكَ بمالِكُم هذا [مالًا][٢] لولا جِرارٌ فيه! فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنهــا ليستْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزَّبيبِ ؛ فجــاء حتى ألقى صدره على غُصن ، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ ! أمَا عندك شيء تُطعِمُنِي؟ قلت : بلى والله! إن عنــدى لجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى ؛ قال : اعْجَلْ به ؛ فأتيتُــه به كأنه عُكَّةٌ[٣] ، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ابنَه ولا عمرَ حتى أبقى فَخِـذًا . فقال : يا أبا حفص هَــلُمَّ ؛ قال : إنّى صائمٌ ؛ ثم قال : ويلكَ ياشَمَردَلُ ! أمَا عندك شيء ؟ فقلت : بلى والله ! دَجاجاتٌ سِتٌّ كأنهنّ رِئلانُ[٤] النّعام ، فأتيتُه بهنّ ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيــهِ][٢] حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك ! أمَا عندك شيء؟ فقلت : بلى والله! إن عندى لحَرِيرةً[٥] كقُراضَةِ الذَّهب ، فقــال : اعْجَلْ بها ، فأتيتُه بعُسٍّ[٦] يَغيبُ فيه الرأسُ ، فجعل يتَلَقَّمُهَا[٧] بيده ويشربُ ، فلما فرغ تجَشّأ كأنه صاحَ فى جُبٍّ ؛ ثم قال : ياغلامُ ، أفرغْتَ من غَدائنا؟ قال : نعم ، قال : وما هو؟ قال : نَيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا ؛ قال : فأْتِني بها قِدرًا قِدرًا ؛ فأتاه بها وبقِناعٍ[٨] عليه

---

(١) كذا بالأصــل ، وسياق الكلام يأباها ، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم .

(٢) التكملة من العقــد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) العكة : وعاء السمن وهى أصغر من القربة . (٤) الرئلان : أولاد النعام ، واحدها رأل . (٥) كذا فى العقد الفريد ، والحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم ، وفى الأصل «لنبيذة» . وفى المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) « سويق » . (٦) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٧) يتلقمها من تلقم الشيء : أكله بسرعة . وفى العقد الفريد : « يقلعها بيده » . وفى الأصــل : « يتلكمه » واللكم فى كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة ، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام . (٨) القناع (بالكسر) : إناء من عسب النخل يوضع فيه الطعام .

رُقَاقٌ ، فأ كثرُ ما أ كَل من قدرٍ ثلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أ كَل لُقمةٌ ، ثم مسح يدَه وآستلقى على فراشه ، وأَذِن للناس ووُضِعت الخوانات(١) فجعل يأ كلُ مع الناس .

الخَطّابىّ عن الدِّيْرانىّ أنه قال : إنى لأعرِفُ الطعامَ الذى يأ كلُه سُليمانُ ؛ قال : لمـا آستُخلِف سُليمانُ قال لى : لا تَقْطَعْ عنّى ألطافَكَ التى كنتَ تُلطفنى بها قبل أن أُستَخْلَف ؛ فأتيته بزَنبيلَينِ أحدُهما بَيضٌ والآخرُ تِينٌ ؛ فقال : لَقِّمْنيه ، فجعلت أقشِرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أ كلَ الزَّنبيلَينِ .

العُتْبِىّ عن أبيــه قال : كان عُبيــد الله بن زِياد يأ كل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ(٢) أصبهانِية وجُبْنًا قبل غَدائه .

وعن سَــلْم بن قُتَيبــة قال : عَدَدْتُ للحجاج أربعًا وثمــانينَ لُقْمةً فى كلِّ لُقْمةٍ رغيفٌ من خبزِ المــاءِ(٣) فيه مِلْءُ كفّه سمكٌ طرِىٌّ .

وكان لعبد الرحمن بن أبى بَكْرَة آبنٌ أ كولٌ ؛ فقال له [معاوية](٤) : ما فعل آبنك التِّلْقامة(٥)؟ قال : آعتلّ ؛ قال : مثلُه لا يَعدَم عِلَّةً .

أ كل أبو الأسود الدؤلىّ وأقعــدَ معه أعرابيًّا فرأى له لَقْمًا مُنكَرًا ، فقــال له : ما آسمُكَ؟ قال : لُقمانُ ؛ قال : صدق أهلُكَ ، إنك لُقمانُ .

وُلِدَ لآبن أبى ليلى غلامٌ فعَمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ ، فلما أكلوا قام مُساوِرٌ الوَرّاقُ فقــال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِــبالَنا(٦) * بعد الثّرِيدِ فلا هَنَاهُ الفارِسُ

(١) كذا فى العقــد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . وفى الأصــل : « فوضعت الخوان » .
(٢) الجرادق جمع جردق ، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة . (٣) كذا بالأصل . (٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ طبع أوربا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما فى الأصل فراجعه . (٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهى مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال العُجَيْف[١] فى أُمّه :

يا ليتما أُمّنا شالَتْ نعامتُها * إمّا الى جنّة[٢] إمّا الى نار

ليستْ بشَبْعَى وإن أسكنتها هَجَرًا[٣] * ولا بِرَيّا ولو حلّتْ بذى قار[٤]

تَلَهَّمُ الوَسْقَ مشدودًا أشِظّتُه[٥] * كأنّما وجهُها قد طُلِىَ[٦] بالقار

خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوجهته * وهى صَنَاعُ[٧] الأذى فى الأهل والجار

رأى أبو الحارث جُمَّيْزُ سَلّةً بين يدىْ رجلٍ من الملوك، فقال له : جُعِلتُ فِداك، أىّ شيء فى تلك السَّلّة؟ فقال : بَظْرُ أُمِّك، قال : فأعضّنى به .

قيل للحارثىّ : لم لا تُؤاكِلُ الناس ؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لِنَزُوعى عن الأسوارىّ[٨] لتركتُها، ما ظنّكم برجل نَهَشَ[٩] بَضْعَةَ لحمٍ بقرٍ فاقتلع ضرسَه وهو لا يدرى . وكان اذا أكل ذهب عقلُه وجَحَظَتْ[١٠] عيناه وسَكِرَ وسَدِرَ[١١] وتَرَبَّدَ[١٢] وجهُه وغضب ولم يَسْمَعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعتريه ويعترى الطعامَ منه صرتُ لا آذَنُ له إلا ونحن نأكل الجَوْزَ والتمرَ والباقِلِّى ؛ ولم يَفجأنى قطُّ وأنا آكلُ تمرًا الا آستفّه سفًّا وزَدَا[١٣] به

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

(٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيما الى جنة أيما الى نار» . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا فى ديوان الحماسة، وفى الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر)، وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : « إلا لنزوعى عن الأسواق » ، والظاهر أن كلمة « الأسواق » هنا محرفة عن « الأسوارى » وهو الشخص الذى يحدث عنه فى هذا الحديث .

(٩) فى كتاب البخلاء : « فنهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه » . (١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت . (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير .

(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء « وذرا به ذروا » .

زَدْوًا، ولا وجدَه كَنيزًا (١) إلا وتَناوَلَ القطعةَ منه بجُمْجُمَةِ الثَّور كَدَمها كَدْما (٢)، ونهشَها طُولا وعرضًا، ورَفعًا وخفضًا، حتى يأتىَ عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثلاثِ؛ ولا رَمَى بنَواةٍ قطّ، ولا نَزَع قِمَعًا (٣)، ولا نَفَى عنه قِشْرًا، ولا فتّشه مخافةَ السوس والدود .

وقال بعض الشعراء :

تَبِيتُ تُدَهْدِه (٤) القُرّانَ (٥) حَوْلى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ
فلو أطعَمتَنى حَمَلًا سمينًـا * شكرتُك والطعـامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب :

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُك عندى فى الحياة مبارَكُ
فمن أجلهـا أستوعبُ الزادَ كلَّه * ومن أجلها أهوِى يدى فأدارِكُ

وقال آخر :

عريضُ البِطان (٦) جديد الخوان * قـريب المَراث (٧) من المـرتع
فنِصفُ النهـار لِكِرْياسِه (٨) * ونِصفٌ لمـأكله أجمـع

الأصمعىّ قال : قيل لأعرابىّ : ما يُعجبك من هذا القَنْـد (٩) ؟ قال : يُعجبنى خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعىّ : الخضد : المضغ والأكل الشديد .

(١) الكنيز : التمر يجعل فى قواصر للشتاء . (٢) كدمه كدما : عضه بأدنى فيه . (٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدهده : تدحرج . (٥) القرّان (كشدّاد) : القارورة . (٦) كذا فى البيان والتبيين، وأصل البطان : حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ؛ وفى الأصـل : « الخوان » . (٧) المراث بفتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل « بتر ياسه » وهو تحريف ، والكرياس : الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض . (٩) القند : عسل قصب السكر اذا جمد . وقد ورد فى اللسان : « قيل لأعرابىّ — وكان معجبا بالقند — : ما يعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المِعدة ، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأُعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليَقْدَح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

كان يقال : اذا كثُرتِ المَقدِرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دَبىً[1] وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا ، ومن لم يُجب الدَّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه".

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دُعى أَحدُكم فجاءَ مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ". وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب ، وكان يهيئ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُقَيد قالت : دخلنا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه ، فقال : "لا تَجمَعْنَ كذِبًا وجوعًا" .

دعا رجل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على ألّا تتكلّف ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنا ما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه ، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف .

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : أتانى الزبيرُ[١] بن دَهْمانَ يوما فسألته أن يقيم عنـدى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضـل بن الربيع وليس يمكننى التخلُّف عنـه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العــوّام ويحك نشربِ * ونَلْهُ مـع اللاهين يومًا ونَطــرَبِ
إذا ما رأيتَ اليـــوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكر وٱترُك الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل
ونَقُــل علّنا دُعِينا فغِبْنَـا * وأتانا فلم يجدنا الرســول

كان طُفَيلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم: إذا دخلتَ عُرسا فلا تلتفَّتْ تلفُّتَ المُريب، وتخيّرِ المجالس، وأجِدْ ثيابك، وٱعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان][٢] العرس كثير الزحام فمُرْ وٱنْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البــوّاب غليظا وَقَاحًا فٱبدأْ به ومُرْه وٱنْهَه من غير أن تُعنِّفَ عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على رقبةَ الغداءَ، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

ومن أشعار الطُّفَيليِّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمــدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعِدٍ * إخلافُه[٣] يدعو إلى جَفْــوهْ

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق)، وفى الأصل : "يزيد بن دهمان" وهو تحريف . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : «مخلفه» . وفى الأصل : «أخلفه» .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفنٌ (١) * فأودَى بما تُقْرَى الضيوفُ الضّيافِنُ

وقال إسحاق (٢) بن إبراهيم الموصلىّ :

نعم الصديقُ (٣) صديقٌ لا يكلّفنى * ذبحَ الدَّجاج ولا شَىَّ الفَراريج

يرضى بلونيْن من كَشْك ومن عدس * وإن تشهّى فزيتونٌ بطَسُّوج (٤)

كان سعيد بن أسعد الأنصارى إمام الجامع بالبصرة طفيلياً ، فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ إليها ، فربما بسَط معهم البُسُطَ وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أُبادر بردَ الماء ، وصفوَ القدور ، ونَشاطَ الخبّاز ، وخلاءَ المكان ، وغفلةَ الذّبّان ، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم آثنان فى آثنين قال : أربعة أرغفةٍ .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام (٥) أبى كريمة أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أَيُّمَا مسلمٍ ضَافه (٦) قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصْرُهُ حتى يأخذَ بِقرى ليلته من زرعِهِ ومالِهِ" .

(١) الضيفن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : «وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه» . (٣) فى العقد الفريد : «نعم النديم نديم الخ» . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق ، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : «المقدام بن أبى كريمة» وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى آبنُ العَجْلانِ[١] عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نَزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيرُ[٢] أسرعُ الى مُطعِمِ[٣] الطّعام من الشَّفْرةِ[٤] فى سَنام البعير" .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثِر ، قال : ليس فى الطعام سَرَفٌ . وقال الثورىّ : ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ .

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ مِنَ السُّــنّةِ أن يَمشِىَ الرجلُ مع ضَيفهِ الى باب الدارِ" .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت آبن عبـاس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهمـا .

الأصمعىّ قال: سُئل أَقرَى أهل اليمامةِ للضيف : كيف ضبطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسّــاك قال : قد أعيانى أن أَنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا .

---

(١) فى الأصل : « رؤبة بن العجاج » وهو تحريف ، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواة الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنــه آبنه وروى هو عن أبى هريرة .

(٢) كذا فى الجامع الصغير والإنافة فيما جاء فى الصدقة والضيافة لابن حجر الهيتمى . وفى الأصل : «انحرواسرع» وهو تحريف .

(٣) فى الجامع الصغير : «الى البيت الذى يغشى» وفى الانافة : «الى البيت الذى يؤكل فيه» .

(٤) فى الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصــغير . والشفرة (بالفتح) : السكين العظيمة العريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ فى عام سنةٍ، فٱبتُلِىَ برجل عنـد فطره وقد أُتى بقُرصينِ فألقى اليه أحدَهما، ثم قال : ما هذا بِمُشبِعِه ولا بِمُشبِعِى، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع ٱثنان، وألقى اليه الآخر. فلما أَوَى الى فراشه أتاه آت فقال : سَلْ؛ فقال : أسأل المغفرة؛ قال : قد فُعِل ذلك بك؛ قال : فإنى أسأل أن يُغَاثَ الناسُ .

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحْلَه[2]، فقال لامرأته : هل لكِ أن نَطوِىَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم قال : فإذا قدّمتِ الطعام فادْنِى الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصارىّ يضع يده فى القَصْعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِـع على ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصارىّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصارىّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلة"؛ ففزع الأنصارىّ وقال : أىّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لامرأته؛ قال : كان ذاك يا رسول الله؛ قال : "فوالله لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلة" .

الأصمعىّ قال : كان عمر بن عبـد العزيز اذا قدِم عليه بَريدٌ قال : هل رأيت فى الناس العُرُسَات؟ يعنى الخِصبَ للسلمين .

وقيل لأعرابىّ كان فى مجلِسٍ : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْر تفور، وكأسٍ تدور، وغِناء يصور[3]، وحديث لا يخور[4] .

---

(١) فى الأصل : «صامما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .
(٤) لا يخور : لا يضعف .

بلغنى أن محمد [بن خالد](١) بن يزيد بن معاوية كان نازلًا بحلب على الهيثم بن يزيد التنوخى(٢)، فبعث الى ضيف له من عُذْرة فقال: حدّث أبا عبد الله ما رأيتَ فى حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس، قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجبة: منها أنى رأيت قرية عاصم(٣) ابن بكر الهلالىّ، فإذا أنا بدُورٍ متباينة، وإذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها الى بعض، وإذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسى: هذا أحد العِيدين الأضحى أو الفِطر، ثم رجع إلىّ ما عَزَب عنّى من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى فى عَقِبِ صَفر(٤) وقد مضى العِيدان قبل ذلك، فبينما أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتانى رجل فأخذ بيدى [فأَدخلَنى دارا قَوْراء(٥)] وأدخلنى بيتا قد نُجِّدَ فى وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والنـاس حوله سِمَاطانِ(٦)، فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، فجَـذَب رجلٌ بيدى وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير، فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس، قلت: وَاثُكْلَ أُمّاه! رُبّ عروسٍ رأيتُ بالبـادية أهْونُ على أصحابه من هَنِ أمّـه، فلم أَلْبَث إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدوّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملًا، وأمّا ما ثَقُـل فيُدَحْرَج، فوُضعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقا حلَقا، ثم أُتِينـا بخِرَقٍ بِيض

---

(١) التكملة عن كتاب الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابى الذى رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنـه شعره وتؤخذ عنـه اللغة، روى عنه الرياشىّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت فى الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغانى ونبهنا عليها فى مواضعها. (٢) فى الأغانى: «النخعى». وفى العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) فى الأغانى: «فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالىّ». وفى العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) فى الأغانى: «خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر». (٥) الزيادة عن الأغانى. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فألقيتْ بين أيدينا، فظننتها ثيابا (١) وهممتُ عندها أن أسأل القوم خِرَقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحِكا (٢) لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة؛ فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا] (٣) صِنفٌ من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر فى عِسَاس (٤)، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجل ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءَه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطّعام، وإن شرِبتَ المـاء آنتفخ بطنُك — فلمـا ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و] (٣) الأشياخ [من أهلى] (٣): قالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا آختلف فاوصِ — فلم أزل أتداوى به ولا أَمَلُّ من شربه، فتداخلنى — نالك الخير — صَلَفٌ (٥) لا أعرفه [من نفسى]، وبكاء لا أعرف سببَه ولا عهدَ لى بمثـله، وآقتدارٌ على أمرٍ أظن معـه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو شاوتُ الأسَـد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى] (٦) بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمّ أحيانًا بان أقول له: يابن الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعـةٌ:

---

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ». (٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا. (٣) زيادة عن كتاب الأغانى. (٤) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص١٢٦)، والعساس: جمع عُس بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف. (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «خلف» وهو تحريف. (٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبقى فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان الى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدّثنى الخ».

أحدهم قد عَلّق فى عُنُقه جَعْبة فارسـية مُشَنّجَة[١] الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحَت[٢] بالخيوط شَبْحا منكرا ،وقد أُلبستْ قطعةَ فَرْو كأنهم يخافون عليها القُرّ . ثم بَدَر الثانى فاستخرج من كُمّه هَنَة [سوداء][٣] كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها فى فيه فضَرَط فيها فآستَتمّ بها أمرُهم ،ثم حَسَب[٤] على جِحَرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشا كِلا بعضُه بعضا [كأنه — علم الله — ينطق][٣]. ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالدُّهْن معه مرآتان فجعل يَمْرِى إحداهما على الأخرى مَرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصـير وخُفّان أجذمان لاساقينِ لهما، فجعـل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقلت : معتوه وربِّ الكعبــة! ثم ما بَرِح مكانَه حتى كان أَغبطَ القومِ عندى ، ورأيت النـاس يحذِفونه بالدراهم حَذْفا منكرا . ثم أرسلت الينا النسـاءُ أن أمتِعونا من لهوكم ، فبعثوا بهـم إليهن وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا . وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له ، فعَلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة،فآستخرج من جنبها عُودا فوضعه على أُذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحْكَمها وعَرَك آذانَها حرّكها بِجَسّة فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وأذاهى أحسنُ قَيْنة[٥] رأيتهاقطُّ،[وغنّى عليها][٣] فآستخفّنى

(١) التشنج : التقبض، وفى الأغانى : «مسنجة» بالسين المهملة، ومعناه : مخططة، وكلا المعنيين هنا غير واضح ، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين. ولعـل صواب الكلمة « منتفخة الطرفين » لوضوح المعنى بها وليطابق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا . (٢) كذا فى الأغانى . وشبحت : شدّت . وفى الأصل : «قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا » . وفى العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة فى الأغانى.
(٤) يريد : حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة، وهى المزمار، كما يصنع الحاسب حين يعـد بأصابعه . وعبارة الأغانى : «ثم حرك أصابعه ... الخ » . (٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « قشة » وهو تحريف .

فى مجلسى حتى قمتُ فجلستُ بين يديه، فقلت: بأبى أنت وأمّى! ما هذه الدابّة(١)؟ [فلستُ أعرفها](٢) للأعراب وما خاقتْ إلا حديثا! فقال: يا أعرابىّ، هذا البَرْبط الذى سمعتَ به، فقلت: بأبى أنت وأمى! فما هذا الخيط الأسفل(٣)؟ قال: زير، قلت: فما الذى يليه؟ قال: مَثْنى، قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلَث، قلت: فالرابع؟ قال: البَمّ، قلت: آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا.

وقال الخُرَيمىّ:

أُضاحِك ضَيْفى قبل إنزالِ رَحْلِه * ويُخْصِب عندى والمَحَلّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأضْيافِ أن يَكْثُر القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهَيّة:

وإنّى لَقوّامٌ الى الضيف مَوْهِنًا * اذا أَغدف السِّتْرَ البخيلُ المُواكِلُ(٤)
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ مِنّى بما أنا فاعِلُ
وما دُون ضَيْفى من تِلادٍ تَحُوزُه * لِىَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائلُ

آخر(٥):

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوَّرًا(٦) * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَراجِلُهْ

يقول: يُسَوِّئُ خُلقَه حتى يُطعِم أضيافَه، لإعجاله إياهم ولخوف تقصيرٍ يكون منهم.

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل «الداهية». (٢) زيادة عن كتاب الأغانى.
(٣) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فما هذه الخيوط السفلى». (٤) المواكل: العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه. (٥) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها. (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣). (٦) العذوّر: السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

وقال دِعْبِل[1] :

وإنى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىّ إلا تلك من شيمةِ العبدِ

وقال آخر[2] :

لَحافِى لحافُ الضّيف والبيتُ بيتُه * ولم يُلْهِنِى عنــه الغزالُ المُقَنَّــعُ[3]

أُحَدِّثُهُ، إن الحــديث من القِرَى * وتعــلمُ نفسى أنه ســوف يَهْجَعُ

وقال الفرزدق فى العُذافِر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالِهـا[4] * بأكثرَ خيراً من خِوَانِ عُذَافِرِ

ولو ضافَه الدّجّال يلتمِسُ القِرَى * وحَلَّ على خَبّـازه بالعساكر

بِعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهــم * لأشــبعهم يوماً[5] غَدَاءُ العُــذَافِرِ

وقال مِسْكين الدارِمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليهِ قَبْــلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارًا لى أُجاوِرُهُ * ألّا يكونَ لِبابِه سِــتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْب أبا الرَّمْكاء الكلبىّ، ومع الرجلِ فَضْــلة من حِنْطة، فراحَتْ مِعْزَى [أبى] الرَّمْكاء، فحَلَبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى ٱبنَه، ثم حاب وسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المنقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)، وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للمقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ. (٢) هو عتبة بن بجير وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب. (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته. (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا). وفى الأصل : «حين اتكالنا». (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا».

آمرأته؛ فقال الرجل : ألَا تسقُون ضيفكم ؟ فقال أبو الرِّمْكاء : ما فيهـا فضل ؛ فآستخرج الرجلُ مافِى عِكْمِه(١) من طعام وقال : هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوَه ، فطحَنَ وعَجَنَ وأوقد خبزَتَه وأخرجها فنَفَضها(٢)، فاذا رسول أبى الرمكاء يقول : يقول لك أبو الرمكاء : لا عهـدَ لنا بالخبز؛ فقـال الرجل : ما فيهـا فضل ، ثم أ كل وارتحل، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضـيفَه * من المَحْضِ ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ
فقمتُ الى حنّـانةٍ فوق أختهـا * ونارٍ وباتتْ وهى تورَى وتوقَـد
فلمـا نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو(٣) الجوع والحىُّ سُهَّدُ
وقال أبو الرمكاء بالخبز عهـدُه * قـديمٌ له حولٌ كريبٌ(٤) مُطَـرَّد
فقلت أَلَا لافضـلَ فيها لباخلٍ * ولا مَطْمـعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ
فباتَ أبو الرمكاء من فَرْطِ رِيحها * يَئِنّ كما أنّ السـليمُ المُسَـهَّدُ

ذكر أعرابىّ قوما فقال : ألغَوْا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فيَهُلّ عليهم الضِّيفان .

وقال بعضهم فى ذلك :

أقامـوا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَـنَمْ للدّيدَبانِ
فإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصَفِّقْ بالبنان على البنانِ
تراهم خشـيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

---

(١) العكم : ما يبسط من الثياب ويجعل فيه المتاع .
(٢) فى الأصل : « قال » .
(٣) فى الأصل : « تشكى » .
(٤) كريب : مكروب اشتدّ عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتَكْعَمُ(١) كلبَ الحىّ من خَشْيةِ القِرَى * وقِـدْرُكَ(٢) كالعَذْراء من دونهـا سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لَأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخـافةَ أن يَضْرَى(٣) بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضاريًا * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرزَنِ(٤)

ومَعَاذِرًا كَـذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزمانِ الألزَنِ(٥)

رأى رجلٌ الحُطَيْئةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَمٍ، قال : إنى ضيف، قال : لِلضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر(٦) :

وأُبغِضُ(٧) الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حـولِى اذا قعـدَا

ما زال ينفُـخ جَنْبَيْه(٨) وحَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضيـفَ قد وَلَدَا

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المِصرِ مُرْمِلًا(٩) * تأوّبَ(١٠) نارِى أصفر العقل(١١) قافلُ(١٢)

فقلتُ لعبـدىّ اعْجَلَا بعَشَـائه * وخيرُ عَشاءِ الضيفِ ما هو عاجلُ

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكعام لئلا ينبح فينبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «ونارك» . (٣) يضرى بنا : يولع بنا و يعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقـد : « لا أبغض » . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـل « ينفخ كتفيه » . (٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوّب : جاء أوّل الليل و يقال : تأوّبه وتأيبه على المعاقبة اذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِىَ للقِرَى * أَبِنْ لِى ما ٱلحَجَّاج بالناس فاعل
فقلت لَعَمْرِى ما لهذا طَرَقْتَنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنت آكل
تُجَهِّز كَفَّاهُ فيحْــدُرُ حَلْقُه * إلى الزَّوْرِ ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ (١)
أتانا ولم يَعْــدِلْه سَحْبانُ (٢) وائلٍ * بيانًا وعلمـًا بالذى هو قائــلُ
فما زال منــه اللَّقمُ حتى كأنه * من العِىّ لمـا أن تكلَّمَ باقــلُ (٣)

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلين على الأقتـاب بَزُّهم * حقـائبٌ وعبـاءٌ فيـه بعرين (٤)
مقدَّمين أُنوفًا فى عصائبهم * هُجْنًا، أَلَا جُدِعَتْ تلك العرانينُ
يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكُلُّ ما ســطَّروا لِلّقيم تمكينُ
باتوا وجُلتنـا الصهبـاءُ (٥) بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيهـا سكاكينُ
فأصبحوا والنَّوَى (٦) عالى مُعَرَّسِهِم * وليس كُلُّ النوى تُلقِى المساكينُ

---

(١) فى الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت فى اللسان مادّة « بقل » :

تدبّل كفاه ويحــدر حلقه * الى البطن ماضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى بكر بن وائل ، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل فى العىّ . قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فانفلت الظبى وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصهبة . وفى الأصل : « باتوا وجلتنا السهرين بينهم » . ولعله محرّف عن : * باتوا وجلتنا السهريز بينهم * والسهريز (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعنى لمـا أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا فى نحو ذلك :

وعاوٍ عَوَى والليلُ مُستحلِسُ النَّدَى * وقد ضَجَعَتْ للغَوْرِ تاليةُ النجم[(١)]
فسلَّمَ تسليمَ الصَّديقِ ولم يكنْ * صديقًا لنا إلا ليأنَسَ[(٢)] باللَّقِمِ
فقلت له والنارُ تأخذ صدرَه * لَقِمتَ لِسَمْتٍ[(٣)] أم سَرَيْتَ على عِلمِ

وقال بعض الرُّجّاز :

بَرَّحَ بالعينين خَطَّابُ[(٤)] الكُثَبْ * يقول إنِّى خاطبٌ وقد كَذَبْ
* وإنما يَطلبُ عُسًّا مِنْ حَلَبْ *

وقال آخر :

إنى لمثلكمُ من سوء فعلكمُ * إن زرتُكم أبدًا إلّا معى زادِى

وقال حمّاد عَجْرَد :

حُرَيْثٌ أبو الصَّلت ذُو خِبْرةٍ * بما يُصلِحُ المِعْدَةَ الفاسدهْ
تخوَّفَ تُخْمَةَ أضيافِه * فَعَوَّدهمْ أكلةً واحدهْ

عن قَتَادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشَة : أُحِبُّ أن تُحَدِّثنى عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشها، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التى أصبحنا بها ؛ فقال غَيْلان : حدّثنى

(١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وضجعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهى أواخرها . (٢) فى الأصل : «التأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف فى الخطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم) ، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه ؛ يعنى أن الرجل يجىء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن الأعرابى : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفى الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير، وفى الأصل : «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتى خطب وكثب) .

عمّى قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ فى الجاهليّة حَطَمتْ كلَّ شىء، فخرجتُ على بَكْرٍ لى فى العرب. فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينـالُ منه بعيرى أو من حَشَرات الأرض، حتى دَفَعتُ فى اليوم السابع إلى حِواءٍ(١) عظيم، فإذا بيتٌ جُحِشَ(٢) عن الحىّ، فملتُ إليه فخرجتْ إلىّ امرأة طُوَالةٌ حُسّانة(٣)، فقالت: من؟ قلت: طارق ليلٍ يلتمس القِرَى، فقالت: لو كان عندنا شىء لآثرناك به، والدالُّ على الخير كفاعله، حسّ(٤) هذه البيوتَ ثم انظُرْ إلى أعظمها، فإن يك فى شىءٍ منها خيرٌ ففيه، ففعلتُ حتى دَفَعْتُ إليه، فرحّب بى صاحبُه وقال: من؟ قلتُ: طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى، فقال: يافلانُ، فأجابه، فقال : هل عندك طعامٌ ؟ فقال لا ، فوالله ما وَقَر فى أذنى شىء كان أشدّ منه . قال : فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال : بلى ! قد بقّينا فى ضَرْع الفلانة(٥) شيئا لطارقٍ إن طَرَقك، قال: فأْت به، فأتى العَطَن(٦) فابتعثها . فحدّثنى عمّى أنه شهد فتح أصبهان وتُسْتَر ومهرجان وكُوَرَ الأهـواز وفارسَ وجاهه عنـد السلطان وكثرة ماله وولده، قال : فمـا سمعتُ شيئا قطُّ كان أشدّ من شَخْب تيكَ الناقة فى تلك العُلْبة، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وارتفعت عليها شمكرةٌ(٧) كلُمّة الشيخ، أقبل بها يَهْوِى نحوى، فعثَر بعود أو حجر، فسقطت العُلبة من يده، فحدّثنى

---

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين، تقول العرب: ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفى الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول وردها، فأما فى مكان آخر فمراح ومأوى . (٧) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقها، وسياق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغوة التى تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبة أعظمَ من ذهاب العُلْبة. فلمـا رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفَه فبعَث الإبلَ ثم نظر الى أعظمهـا سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال : يا عبـد الله ٱصْطَلِ وٱحتمِلْ . قال: فجعلت أهوِى بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها(١) أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى وقد كان حَّل(٢) على عظمى حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليـك ألّا تخبِرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن ٱلطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لضَيفِهم * يتخَلّلون صُـبابةً للزّاد

وقال آخر(٣) :

اِسْـتَبْقِ وُدَّ أبى المُقَـا * تِلِ حين تأكل من طَعَامِهْ
سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِـه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظَامِهْ
فتراه من خـوف ٱلنزيـ * ـلِ به يُرَوَّع فى منامِـهْ
فإذا مررتَ ببـابه * فٱحفظ رغيفَك من غلامِهْ

وقال آخر(٤) :

صـدَّق أَلِيَّتَه إن قال مجتهـدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجِبـنى لو أنّ غيرتَه(٥) * على جراذِقِه(٦) كانت على حُرَمِـهْ
إن رمتَ(٧) قتلته فأْفتِكْ بخُـبْزَتِه * فإنّ موقعهـا من لحمـه ودَمِهْ

---

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان. (٢) قحـل (كمنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل . (٤) هو أبو تمـام، (أنظر ديوانه : باب الهجاء، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصـل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجردق بالدال المهمـلة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ ، معرّب « كرده » بالكاف .
(٧) فى الديوان ونهـاية الأرب (٢ ج ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبى دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة؛ وقال :

أبو دُلَف يُضيِّع ألفَ ألفٍ * ويَضرِب بالحُسَام على الرغيفِ
أبو دلفٍ لمطبخِه قُتَارٌ[(١)] * ولكن دونَه ضربُ السيوف

وقال أبو الشَّمَقْمَق[(٢)] :

رأيت الخبزَ عزَّ لديك حتى * حسِبت الخبز فى جوّ السحابِ
وما روّحتنا لِتَذُبّ عنا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـفِ بغير الكنيف كيف يجودُ !
ما رأينا ولا سمِعنا بحُشٍّ[(٣)] * قبل هذا لِبَابِهِ إقليدُ
إن يكن فى الكنيف شيء تخبّا[(٤)] * ه فعندى إن شئت فيه مزيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها فى باب الشعراء[(٥)] .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر بن سليمان الهاشمىّ[(٦)] دَجاجٌ فَفُقِدَ فخِذٌ من دَجاجةٍ، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقَر ! والله لا أخبِز فى هذا التَّنُّورِ شهرا أو يُرَدّ! فقال ٱبنُه الأكبر : أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبى زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) . (٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوط فى البساتين، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا)، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة فى كتابه الشعر والشعراء وهى أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر . (٦) كذا فى غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتى قريبا وهو الصواب، لأنه هو المعروف بالبخل . وفى الأصل : «أبو جعفر» .

قال بعض الشعراء[١] :

يا تاركَ البيت عـــلى الضيف * وهارباً منـــه من الخـــوف
ضـــيفك قـــد جاء بخـــبزٍ له * فارجِع فكن ضيفا على الضيفِ[٢]

وقال أبو نُوَاس[٣] :

خبزُ إسمـاعيلَ كالوَشْـ * ـى اذا ما شُـــقَّ يُرْفَا
عجبـا من أثر الصنـ * ـعة فيـــه كيف يَخـفَى
إن رَفّاءك هـــذا * أحـــذقُ الأمة كفّـا
فإذا قابـــل بالنصـ * ـف من الجَرْدَقِ نصفَا
مثل ما جاء من التنّـ * ـور ما غادر حـــرفَا
أحـكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشْـفى[٣]
وله فى المـاء أيضـا * عمـــلٌ أبدع ظَـــرْفَا
مزجُه العذبَ بمـاءِ الـ * ـبئر كـى يزدادَ ضِعْفَا
فهو لا يشرَبُ منـــه * مثـل ما يشرب صِرفَا[٤]

(١) قال هذا الشعر رجل من اليمامة فى مروان بن أبى حفصة الشاعر، وكان قد نزل عليه ضيفا، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه بهذا الشعر. انظر المستطرف للابشيهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا فى العقد والمستطرف، وفى الأصل "ضيفن" بالنون .

(٣) قال هـــذا الشعر فى اسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب اسماعيل فى صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة، معرب) واصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم؛ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها فى (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبِنتِ [ٱبن] هَرْمة فقلت : ٱنحروا لنا جَزُورا ؛ قالت : والله ما هى عندنا ؛ قلت : فبقرة ، قالت لا ؛ قلت : فشاة ، قالت لا ؛ قلت : فدجاجة ، قالت لا ؛ قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتِعُ العُوذَ[1] بٱلفِصَال ولا * أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : ذاك أفناها . فبلغ ٱبنَ هَرْمة ما قالت ، قال : أشهدُ أنها ٱبنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ٱبن أبى فَنَنٍ :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنَّنى * أدعو له بالقُرْب من طَوْقِ

بقُرْبِ مَنْ إن زاره زَائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ٱبنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ و بين يديه فَرَارِيجُ ، فغطَّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُورى .

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفع المائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهِزوا[2] على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تَعْرِضوا الى الصحيح .

---

(١) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل ، واحدتها عائذ مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا : «لا أمنع العود بالحصال» وهو تحريف . والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فى الأصل : « وأجيروا » وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار! أىّ ٱبن زانيةٍ يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيتَ اليوم ؟ فإن قال نعم، قال : لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّبٍ. وان قال لا، قال : لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجلٍ من أهل خراسان(١) : لِمَ تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ(٢) فى هـذا الموضع سؤال، إنما السـؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلُّف وأكلى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسِط أيام ولايته كَسْكَر(٣)، فأتته من البصرة «دايا»، وكان فيها زِقاقُ دُوشَابٍ(٤)، فقسمها بيننا، فكلُّنا أَخَذ ما أُعطِى، غيرَ الحِزَامىّ، فأنكرْنا ذلك وقلنا : إنما يجزَع الحِزامىّ من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّتُه وأُمنيّتُه؛ فإنه لو أُعطِىَ أفاعىَ سِجِسْتَانَ، وثعابينَ مصر، وجَرَّاراتِ الأهواز(٥) لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها؛ فسألناه عن سبب ذلك، فتعسّر قليلا ثم باح بِسرِّه وقال : وَضِيعتُه(٦) أضعافُ ربحه، وأخذُه من أسباب الإدبار؛ قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر؛ قال :

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء (ص ٢٦) . وفى الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط، وهى مشهورة بالفراريج الكسكرية . (٤) كذا فى الأصل، والدوشاب : نبيذ التمر معرّب، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصـفاء ماء طيب الـــبرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحمدٌ من الدوشاب * شربة بغضت قناع الشباب

وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : عسـل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقارب بها القتالة .

(٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطُر ببالى قطّ، ولكن أوّل ذاك كِرَاء الحَمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والارُزّة والستندفود[1]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيرّتمونى شُهْرة[2]، وإن أنا حبَستُه ذهَب فى العَصائد وأشباهِها، وجذَب ذلك شِراءَ السَّمْنِ، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدُّوشاب علينا أضرّ من العِيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا آحتجتُ الى كِراء القُدُور وإلى شِراء الحُبِّ[3] والى شراء الماء والى كِرَاء من يُوقِد تحتـه؛ فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ آسودّ ثوبُها وغرّمتنا ثمَنَ الأُشْنان[4] والصابون، وآزدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسَـد ذهبت النفقـةُ باطِلا ولم نَستخلِف[5] منها عِوضا بوجه من الوجوه، لأن خلّ الدَّاذِىّ[6] يَخْضِب اللّحمَ ويغيّر الطّعم ويسوِّد المرَقَة ولا يصلُح [إلا][7] للاصطباغ[8]. وإن سلِم ــ وأعوذ بالله ــ وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنفُسنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧) : « البستندود » ولم نوفق الى معرفتـه .
(٢) الشهرة : ظهور الشيء فى شنعة . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأشنان : الحمض الذى تغسل به الأيدى . (٥) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « ولم يخلف منها بوجه من الوجوه» . (٦) فى القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فمعجمة) : الداذى : شراب الفساق وهو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال فى مادة « ذوذ » بمعجمتين : والذاذى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره ، قال الشاعر :

شربنا من الداذىّ حتى كأننا * ملوك لنا بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس : «ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله ، وكلاهما غير عربى ولا معروف» . واقتصر فى اللسان على « الداذىّ» بمهملة فمعجمة وذكر البيت . (٧) التكلة عن البخلاء .
(٨) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « للاصطناع » .

سُلَاف الفارسىّ المُعَسَّل ، والدَّجاج المُسمَّن ، وجِداء كَسْكَرَ[١] وفاكهة الجبل والنُّقْل الهَشّ والرَّيحان الغَضّ ، عند من لا يَغيض مالُه ، ولا تنقطع مادّتُه ، وعند من لا يُبالى على أى قُطْرَيه[٢] سقط ، مع فوْت[٣] الحديث المُؤْنس والسَّماع الحسن ؛ وعلى أنى إن جلستُ فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد ، وذلك الواحدُ لا بُدّ له من لحْمٍ بدرهم ، ونَقْلٍ بطَسُّوج[٤] ، وريحانٍ بقيراط ، ومن أبْزَارٍ للقِدر وحَطَبٍ للوقود ؛ وهذا كله غُرْم وشؤم وحِرمان وحُرفة[٥] وخروج من العادة الحسنة . فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالًا منى ، وإن كان موافقا فقد فتح اللهُ على مالى به بابا من التَّلَف ، لأنه حينئذ يسير فى مالى كَسَيْرى فى مال غيرى ممّن هو فوقى . فإذا علِم الصديقُ أن عندى دَاذِيًا[٦] أو نبيذًا دَقّ على الباب دقّ المُدِلّ ، فإن حجبناه فبلاء ، وإن أدخلناه فشقاء . وإن بدا لى فى ٱستحسان حديث الناس كما يَستحسنه [منى][٧] مَن أكون عنده ، فقد شاركتُ المُسْرفين ، وفارقت إخوانى الصالحين ، وصِرتُ من إخوان الشياطين ؛ واللهُ تقدّست أسماؤه يقول : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ فاذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبى من مالِ غيرى ، وصار غيرى يكتسب منّى ؛ وأنا لو ٱبتُليتُ بأحدهما لم أقُمْ به فكيف اذا ٱبتُليتُ بأن أُعطى ولا آخُذ ، وبأن أُؤكَل ولا آكُل ! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد العِصْمة ، ومن الحَوْر[٨] بعد الكَوْر ؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهون[٩] . هذا

---

(١) كسكر : تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء ، أنها مشهورة بالفراريج الكسكرية ، ولعلها مشهورة أيضا بجدائها . (٢) القطر : الناحية . (٣) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «قرب» . (٤) الطسوج : ربع الدانق . انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص .... من هذا الجزء . (٥) الحرفة : الحرمان . (٦) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «رأسا» . (٧) التكملة عن البخلاء . (٨) الحور : النقصان . والكور : الزيادة ومنه الحديث : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور» . (٩) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «أحسن» .

الدُّوشاب دسيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التى تُعقب المرارةَ . ما أخوَفنى أن يكون أبو سليمان قد ملّنى فهو يحتال لى الحِيلَ! .

وحُكِى عن الحارثى أنه قال : الوَحْدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكيل السوء؛ لأن كل أكيلٍ جليس وليس كل جليس أكيلا ؛ فإن كان لا بدّ من المُؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر علىّ بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة[1] ؛ ولا يلتقم كَبِدَ الدجاج ، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلاءة[2]، ولا يختطف كُلْيــة الجَدْى ، ولا يَزْدرِد قانِصة الكُرْكِىّ[3]، ولا يَنْتزع شاكِلةَ الحَمَل[4]، ولا يبتلع سُرّةَ السمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس ، ولا يستولى على صدور الدُّرّاج[5]، ولا يسابِق إلى أَسْقاط الفِراخ ، ولا يتناول إلا [ما][6] بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدى غيره ، ولا يمتحِن الإخوانَ بالأمور الثمينة، ولا ينتهِك أستارَ الناس بأن يشتهىَ ما عسى ألّا يكون موجودا ؛ فكيف تصلُح الدنيا ويطيب العيشُ بمن اذا رأى جَزُورِيّة[7] التقط الأَكبادَ والأَسْنِمة، وإذا عاين بَقَرِيّةً آستولى على العِراق[8] والقِطْنة[9]، وإن عاين بطنَ

(١) كذا فى البخلاء، وقد أوردها المحبّى فى كتابه « ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه » فقال : « بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة اليها » . وفى الأصل : « البيضة المقابة » . (٢) السلاءة : واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين .

(٣) الكركى : طائر يقرب من الإوز أبتر الذنب رمادى اللون فى خده لمعات سود يأوى الى الماء أحيانا . (٤) الشاكلة : الخاصرة . (٥) الدرّاج كرمان : طائر جميل المنظر ملوّن الريش، يطلق على الذكر والأنثى . (٦) التكملة عن البخلاء . (٧) كذا فى البخلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب الى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفى الأصل : « جزرية » والجزرة : الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء ، وذكر الأسنمة فى الكلام يأباها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن . (٩) القطنة : مثل الرمانة تكون على الكرش وهى ذات الأطباق، والعامة تسميها الرمانة .

سمكةٍ ٱخترق كلَّ شيء فيه، وإن أتَوا بجنب شِوَاءٍ ٱكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحدّة شهوته، ولا ينظر للعيال، ولا يُبَالى كيف دارت الحال. وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربمـا أتَى باللون الظريف الطّريف، والعادةُ فى مثـل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم، فيقدِّمه حارًّا مُمْتنِعًا[1]، وربما كان من جوهرٍ بَطىءِ الفُتور[2]، وأصحابُنا فى سهولة ٱزْدراد الحارّ عليهم فى طبائع النَّعام، وأنا فى شـدّة الحارّ [على][3] فى طِباع السِّباع، فإن نظرتُ[4] الى أن يُمكِن أتَوْا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم[5] فى بعضه لم آمَن ضررَه؛ والحارُّ ربما قتل وربمـا أعْقَم وربما أبال الدم. قال: وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر، فقال: أنتم لهذا أتركُ منى، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالا وأعَدُّ عُدّةً، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبدا وتأكلوا أبدا، فإذا أتيتُم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم، والى تزيينى[6] ذهبتم، وإلا فإنكم إنمـا تحلبُون حَلَبًا لكم شَطْرُه.

قال: كان أبو ثُمامة[7] أفطر ناسًا وفتح[8] بابَه فكثُر عليــه الناسُ، فقال: إن الله لا يَستحى من الحق، وكُلّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نَعُمَّكم بالبِرّ كنتم فيــه ســواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعضٍ؛ كذلك أنتم اذا عجَزنا أو بدا لنا، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والاعتذار اليه من بعض، ومتى قرّبتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعَدتُ الآخرين، لم يكن فى إدخال البعضِ عذرٌ، ولا فى منع الآخرين حُجّة؛ فٱنصرَفوا ولم يعودوا.

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «ممتعا» وهو تحريف. (٢) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «فى». (٣) التكملة عن البخلاء. (٤) نظرت: انتظرت. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصـل: «أشاركه». (٦) كذا فى الأصل، وفى البخلاء: «والى تربيتى». (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥): «ثمامة». (٨) فى الأصل: «ويفتح».

قال : وكان محمد بن أبي المؤمَّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم ، مارأيتُ قَصْعةً رُفِعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ الجَدْى إنما هو شيء من آيِين[1] الموائد الرّفيعة ، وإنما جعِل كالقافية[2] وكالخاتمة وكالعلامة لليسر[3] والفراغ ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءا لَقَدّموه لتقع الحِدّة به ، ولذلك قال أبو الحارث جُمَيْز[4] حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتحامَوْن بيضةَ البقيلة ، ويدَعُها كلُّ واحد لصاحبه ، وأنتَ اليوم اذا أردت أن تُمتِّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلاءة[5] لم تَقْدِر على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز، وأعداها له المالح ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكِله له لأتى على الحَرْث والنّسل .

وكان يقول[6] : ما بال الرجلِ اذا قال : اسْقِني ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّيّ أو أصغر ، وإذا قال : أطْعِمْنى شيئا أو هات لفلان طعاما ، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

---

(١) كذا فى البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عرّبه المولدون ، قال مهيار فى قصيدة له :

يجمع الخرّيت حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفى الأصل : « أنس الموائد » . (٢) فى البخلاء : « كالعاقبة » (٣) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « كالعلاوة للبشر » وهو تحريف . (٤) فى الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون فى آخره . وورد فى القاموس وشرحه فى مادّة (ج م ن) : «أبو الحارث جمين كقبيط المدينى ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاى المعجمة فى آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوتى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) فى حرف الزاى ونبهنا عليه هناك » اهـ . ولذا رجحنا ذكره بالزاى المعجمة فى جميع المواضع التى ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريبا . (٦) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : «وكان يقال» .

الجماعة، والطعامُ والشَّرابُ أخَوان . أمَا إنه لولا رُخْص المـاء وغلاء الخبز لمـا كَلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى المباء؛ والناسُ أشـدّ شيء تعظيما للأكول إذا كثُر ثمنُـه وكان قليلا فى مَنْبته وعُنْصره . هذا الجَزَر الصافى والباقِلاء(١) الأخضر أطيب من كُمَّثْرَى خُرَاسانَ والمَوْز البُستانى، وهذا الباذِنْجان أطيب من الكَمْأة ، ولكنهم لِقصرِ هِمَمِهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناسُ المـاءَ على طعامهم لمـا اتّخَمُوا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينـالَ من المـاء شيئا ، لأنه ربمـا كان شبعان وهو لا يَدرى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات، وماء مِهْران(٢) أمرأ من ماء [نهر](٣) بلْخ؛ وفى قول العرب : هـذا ماءٌ نَمِيرٌ يَصلُح عليه [المـال] دليلٌ على أن المـاء يُمْرِئ؛ حتى قالوا : إن المـاء الذى يكون عليـه النَّقاطات(٤) أمرأ من المـاء الذى تكون عليه القيّارات(٤) . فعليكم بشرب المـاء على الغداء [فانّ ذلك أمرأ](٥) .

قال وكان الثَّوْرىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعَه، فإن النوى يَعْقِـد الشحمَ فى البطن، ويُدْفِئ الكُلْيتَيْن بذلك الشّحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفَايا(٦) وجميعِ ما يَعتلِف النَّـوى . والله لو حملتم أنفسَكم على قضْم الشّـعير واعتـلافِ القَتّ(٧) لوجدتموها سريعة القَبُول ، وقد يأكل النـاسُ القتّ قَدّاحا(٨) ،

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشـديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البخلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجفف .

والشّعيرَ فَرِيكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبَةٍ[1]، أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعْلِفه الشّاءَ، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا البَاقِلّاء بقشوره ، فإن الباقِلّاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى ، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكلُه؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم، وأكّلا لما جُعِل أكلا لكم .

قال: وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاة[2] خَيْبر رجوْتُ أن أستفضل فى كل سنة مائة دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح[3] جماعةً من جيرانه ليَفْطُروا عنده [فى شهر رمضان]، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجلوا ، فانّ العَجَلة من عمل الشيطان. ثم وقف وقفةً ثم قال: وكيف لا تَعْجلون واللهُ تعالى يقول: ﴿وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً﴾. اسمعوا ما أقول لكم ، فإن فيه حسن المُؤَاكلة والتبعُّد من الأَثَرة، والعاقبةَ الرشيدة، والسيرةَ المحمودة : اذا مدّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فأمسكوا أيديَكم حتى يَفرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالاً : منها أنكم تنغّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللّحاق بكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرص

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « أن أقدر أن أبيع النوى » . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى ❊ هاك عيالى فاجهدى وجدّى

وباكرى بصالب وورد ❊ أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات وبقى عياله . وفى الأصل : « مظلة خيبر » . (٣) التكلة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللُّقَم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأن اللحم ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا و إن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضُنا فمدَّ يده وصاحبه يشرب، فيقول له : يدَكَ يا ناسِى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافِل . قال : فأتانا بأَرُزَّةٍ لو شاء أحدُنا أن يَعُدّ حباتِها(١) لعدّها، لتفرُّقها وقِلّتها، وهى مقدار نصف سُكُرُّجَة(٢) ، فوقعتْ فى فمى قطعةٌ ، وكنتُ الى جنبه، فسمع صوتا حين مَضْغتُها، فقال : آجرُش يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع(٣) باللئيم الراضع، وهو الذى يرضَع الحَلَب(٤) فلا يحلُبه فى الإناء لئلّا يُسمع صوتُ الحَلْب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلًّا حتى فَنِى ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدِىّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال](٥) للجار — إن فى دارى آمرأةً بها حَبَلٌ، والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة، فإذا طبختم فرُدُّوا شهوتَها بغَرْفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير، وإن لم تفعل ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرّةٌ(٦) : عبدٌ أو أَمَة .

---

(١) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد . (٢) السكرجة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . و إنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا دارًا بالكِرَاء للكِنْدِىّ على شروط ، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة ، وبَعَرُ الشاة ، ونِشْوَارُ(١) العَلُوفة ، وألّا يُخرِجوا عَظْما ولا يُخرِجوا كُنَاسة ، وأن يكون له نَوَى التمر ، وقشورُ الرمّان ، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته ، وكان فى ذلك يَتنزّل(٢) عليهم ، فكانوا لِطيبه و إفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دِعْبِل : أقمنا يوما عند سَهْل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى اضطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه ، فأُتِى بصَحْفةٍ عُدْمُلِيّة(٣) فيها مَرَق لحم ديكٍ عاسٍ(٤) هَرِمٍ ليس قبلها ولا بعدها غيرُها ، لا تَحُزّ(٥) فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس ، فاطّلع فى القَصْعة وقلَّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلَّب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأسَ ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به ؛ قال : ولِمَ ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه](٦) ! قال : ولأىّ شىءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأَمْقُت من يرمِى برجْلِه فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواسّ الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوتُه ما أريد ، وفيه عُرْفه الذى يُتبرّك به ، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال : "شراب كعين الديك"(٧) ، ودِماغه عجبٌ لوجع الكُلْية ، ولن ترى عظما قطُّ أهشَّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله . أو ما علمتَ أنه خير من طَرَف الجَناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرِى أنك رميت به فى بطنك ، واللهُ حَسْبُك .

---

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم و يطرقهم .

(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .

(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : «لا تجر» . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصفى من عين الديك» .

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة، فإذا رجل يُخاصِم جارًا له، فقلت : ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهما](١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فاشتهى علىّ رأسا، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب دارى أتجمّل بها عند جيرانى، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يُوهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً وهو معه، فقال(٢) : خذها فإنها بيضة العُقْر(٣)، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدِّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصِّحَاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : اِكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة جَدْىٌ يوضع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه هو ولا غيرُه ، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتَعرَّق(٤) عظامَه، فقال، ياهذا، أتطالب هـذا البائسَ بذَحْل(٥)؟! هل نطحتْك أُمُّه! قال : وأبيك إنك لَشفيق عليه(٦)! هل أرضعتْك أُمُّه ! .

قال المدائنى : كان(٧) لزِياد بن عبد الله الحارثىّ جدىٌ لا يَمَسُّه [أحد](٨)، فعشَّى فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب ، فعرَضَ أشعب يومًا للجدى من بين القوم،

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .
(٥) الذحل : الثأر . (٦) فى الأصل : « إنه لشفيق » .
(٧) فى الأصـل : «قال» وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : «لعله كان» وهو الصواب .
(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلّى بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فلْيُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوَ غيرَ ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثَّقفىّ يأكل وأصحابَه تمرا فانطفأ السراج ، وكانوا يُلقون النَّوَى فى طَسْتٍ ، فسمِع صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين (١) ؟

قال الأعشى (٢) :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم * وجاراتكم سُغْبٌ يَبِتْن خمائصا

وقال آخر (٣) :

وضيف عمرٍو وعمرٌو ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوعِ

وقال آخر :

وجيرةٍ لا ترى (٤) فى الناس مِثلَهمُ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ
إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغُنا ما تُنْضِج النار

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل :

نزلْنا بسَهْمٍ والسماءُ تلُفُّنا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأمَا
فلما رأينا أنه عاتمُ القِرَى (٥) * بخيلٌ ذكَرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

---

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، و رواية البيت فيه :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

(٤) فى الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيئه .

فقُمْنا وحَمَّلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلَالا(١) بأوصال الرَّديفَيْن مِرْجَما(٢)
يدُقّ(٣) خراطيمَ القِنَان كأنما * يدق بصَوّانِ الجلاميد حَنْتَمَا(٤)
بَجفْنا وقد باض الكَرَى فى عيوننا * فتًى من عيون المُغْرقين(٥) مسلَّما
تُنَاخُ اليــه هَجْمَةٌ(٦) وابِكيّة(٧) * رعتْ بالجِواء(٨) البقْل(٩) حولًا مُجَرَّما(١٠)
كأنّ بأَحْقِيها(١١) اذا ما تَنَعَّمتْ * مَزادا(١٢) سـقا فيــه المُزَوِّد مُعْصِما(١٣)
فبات رفيق بعــد ما ساء ظنُّه * بمنزلةٍ من آخر الليــل مُكْرَمَا
ولو أنهــا لم يدفَع العِيسَ زمُّها * رأى بعضها من بعض أَنْسائها(١٤) دمَا

وقال حُمَيْدٌ الأرقط :

ومُستَنْبِح(١٥) بعد الهدوء وقد جرتْ * له حَرْجَفٌ نَكْبَاءُ والليـــلُ عاتمُ
رفعتُ له مخلوطةً(١٦) فاهتــدى بها * يشبّ لهــا ضوءٌ من النار جاحمُ
فأطعمتُــه حتى غدا وكأنمــا * تنازعه فى أَخْدَعَيْــه(١٧) المَحَاجِمُ

---

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المضطرم العدو، وفى الأصل : «مرحما» .
(٣) فى الأصل : «تدق» . (٤) الحنتم : الخزف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت فى السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحنتم

والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب فى الأصل الفتوغرافى أمام كلمة الحنتم : «الحصيد» ولعله من معانى الكلمة . (٥) فى الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المغرقين مسلما» ، ويريد مدحه بأنه سالم من عيوب المغرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من أثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلية» .
(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) فى الأصل : «النقل» .
(١٠) مجرما : تاما ، وفى الأصل : «محرما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .
(١٢) المزاد : جمع مزادة وهى الراوية والقربة التى يستق فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفى الأصل : «أنسابها» . (١٥) فى الأصل : «ومنتبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخبوطة» وهى الشجرة التى نفض عنها ورقها . (١٧) فى الأصل «تناعه» .

كَزَمْهانَ[1] يَفْطُو[2] المشىَ لو جُعِلتْ له * رعايا الحِمَى لم يلتفت وهو قائمُ
حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لما غدا وهو عائمُ[3]

وقال الأعشى[4] :

اذا حلَّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأَطْوَاءِ خنَّقتِ الكلابَا

وقال آخر[5] :

أيابْنـــةَ عبـــد الله وابنـــةَ مالكٍ * ويابنـــةَ ذى البُرْدين والفرسِ الوَرْد
اذا ما عمِلتِ[6] الزادَ فالتمِسى له * أكِيلًا فإنى غيرُ آكِلِه وَحْدى
بعيـــدًا[7] قصـــيًّا أو قريبًـا فإنني * أخاف مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدى
وكيف يُسِيـــغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصةِ والجَهْدِ
ولَلْموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأَكيلِ على عمـــدِ

وقال مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدى :

فقلت لما غَدَوْا أُوصِى قعيدتَنا * غَدِّى بَنِيـكِ فلن تُلْفِيهُمُ[8] حِقَبَا
أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَفْ بأُمِّهِـمُ * وقد هَجَعتُ ولم أعرِف لهم نَسَبَا

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفطوها : ساقها سوقا شديدا .
(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائىّ يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ... ... * ... ... فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

* أخا طارقا أو جار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للؤلف (ص ٢٣٤) : « فلن تلقيهم » .

وقال حمّاد عَجْرد :

زرتُ آمرأً فى بيته مرّةً * له حيــاءٌ وله خِـــيرُ
يكرَه أن يُتخِمَ إخوانه * إنّ أذى التُّخْمةِ محذور
ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ مأجور

وقال بعض المُحَدَثِين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليــه يومًا * فغَــدَّانى برائحـــة الطعامِ
وجاء بلحمٍ لا شيءٍ سمينٍ (١) * فقــدّمه على طبق الكلامِ
فلما أن رفَعتُ يدى سقانى * مدامًا بعــد ذاك بلا مدامِ
فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى آمرُؤٌ عافِي إنائيَ شِرْكةٌ * وأنت آمرُؤٌ عافى إنائك واحدُ
أتهزأ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِيَ (٢) مسَّ الحقّ والحقُّ جاهدُ
أُقسِّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ * وأحسو قَرَاح المـاءِ والمـاءُ باردُ

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقـــدم بيننا لحما سمينا * فقــدّمه على طبــق الكلام
فلما أن رفعت يدى ســقانى * كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القـدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبَّار المِنقَرِى وقِدْرَه فقال :

لو أن قِدْراً بكت من طولِ مَحْبَسِها[1] * على الحفوفِ بكتْ قِـدْرُ ابنِ جَبَّارِ
ما مسَّها دَسَمٌ مُـذْ فُضَّ معدِنُها * ولا رأت بعـد نارِ القَيْنِ من نارِ

وقال :

كأنّ[2] تطلُّعَ التَّرْعيب[3] فيها * عَذَارٍ يَطَّلِعْن إلى عَذَارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها * أراجيزُ أَسْلَمَ تَهجو غِفَارَا[4]

وقال آخر[5] :

وقِدْرٍ كجَوْفِ الليل أَحْمَشْتُ[6] غليَها * ترى الفِيلَ فيها طافياً لم يُفَصَّـلِ

وقال ابن الزَّبِير[7] يمدح أسماءَ بن خارِجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوَانِه * مقطَّعـةً أعضاؤه ومَفاصِـلُهْ

---

(١) كذا فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفى الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء سحيم بن عامر أحد بنى عمرو، ومطلعها :

سألنا عن أبى السمحاء حتى * أتينا خير مطـروق لسارى

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة . وفى الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان، ويقـال : تغطمطت القـدر اذا اشتدّ غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء، كما فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقَاشِيّ :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءُ (١) جَــوْنَةٌ (٢) * تناوَلُ بعـــد الأقربين الأقاصيَا
جعلتُ أَلَالًا والرِّجَامَ وطِخْفَــةً (٣) * لهــا فاستقلَّت فوقهـــنّ الأثافِيَا
مـــؤدِّيةٌ عنا حقـــوقَ محمـــدٍ * إذا ما أتانا يابسُ (٤) الجنبِ طاوِيَا
أتى ابنُ بسـيرٍ كى يُنَفِّسَ كَرْبه * إذا لم يَرُحْ وافَى مع الصبحِ غاديَا (٥)

فأجابه ابن يسير (٦) :

وثَرْمَاءَ ثَلْمَاءِ (٧) النــواحى ولا يَرى * بهــا أحدٌ عَيْبا سِـــوى ذاك باديَا
إذا انقاصَ (٨) منهــا بعضُها لم تَجِدْ لها * رَءُوبا لمــا قد كان منهــا مُدَانيــا
وإن حاولوا أن يَشْـعَبوها فإنهــا (٩) * على الشَّـــعْبِ لا تزداد إلا تداعيَا
مُعَـــوَّذَة الإرْجَالِ (١٠) لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَـطِ (١١) الجَوْنَ الثلاثَ الأثافِيَا

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « يناول » بالياء المثناة .
(٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنــه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وبفتح) : جبــل .
(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء، وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشـــيران تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح عاديا

(٦) كذا فى كتاب البخلاء، وهو محمد بن يسير اليسيرىّ كما فى الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا)، وفى الأصل : « ابن بشير » .
(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصــل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتها، شبه بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : «وانها» بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة، والإرجال : مصدر أرجله اذا جعله يمشى، ولعــله يريد أن هذه القدر لاتنقــل لضخامتها . وفى كتاب البخلاء : «معودة الأرحال» . (١١) فى الأصل : «ولم يمتط» .

ولا اجْتَزَعتْ(١) من نحو مكة شُقَّةٌ * إلينا ولا جازت بها العِيسُ واديَا
ولكنَّها فى أصلها مَوْصِليَّةٌ * مجاوِرةٌ فَيْضًا(٢) من البحر جاريَا
أَتَتْنا تُزَجِّيها(٣) المجاذيفُ نحوَنا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَزاديا(٤)
يقول لِمَن هذِى القدور التى أرى * تَهِيلُ عليها الرِّيحُ تُربًا وسافيا
فقالوا ولن يَخفى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقاشٍ إن تأمّل دانيًا(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قدورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عواريَا
من اَضْحَى الى أضحى وإلّا فإنها * تكون بنَسْجِ العنكبوت كَما هيا
فلما آستبان الجَهْدُ لى فى وجوههم * وشكواهمُ أدخلتُهمْ فى عِياليَا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طلعتى * أَلَا أَبْشِروا هذا اليَسيرىّ جائيا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ(٦) تُثْفِيها رَقاشُ اذا شَتَتْ * مُرَكَّبَة الآذان أُمّ عِيالِ(٧)
يَغَصُّ بحيزُومِ(٨) البَعوضة صدرُها * وتُنزِلُها عفوًا بغير جِعالِ

(١) اجتزعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .

(٢) فى الأصل : «غيضا» بالغين المعجمة . (٣) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : «تجزينا» وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .

(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : « ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم . (٨) فى الأصل : تعض بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * ويَنضج ما فيها آتقاد ذبال
وتغلى بذكر النار من غير حرها * وينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتَهـا ملأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا[١] * لأخرجتَ ما فيهـا بعُود خِلال
هى القِدْرُ قِدْرُ الشيخِ بكرِ بن وائلٍ * رَبِيعُ[٢] اليتـامَى عامَ كلِّ هُزالِ

وقال أيضـا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُودًا[٣] من الصَّلَى * وقِدْرَ الرَّقاشِيِّين زَهْراء كالبـدرِ
ولو جئتَهـا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ
يُبَيِّنُهـا[٤] للمُعْـتَفى بفِنـائهــم * ثلاثٌ كَخَطِّ[٥] الثـاء من نُقَط الحِبرِ
تَرُوح على حَىِّ الرِّباب[٦] ودَارِمٍ * وسَـعْدٍ وتعـروها قَراضِبةُ الفِزْرِ
ولِلحَىِّ عَمْـرٍو نَفْحَةٌ من سِجالِهـا * وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهاميمِ[٧] من بَكْرِ
إذا ما يُنادَى بالرحيـل سَعَى بهـا * أمامَهُـمُ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وقال أبو عُبَيدة : كان لعبد الله بْن جُدْعانَ جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكبُ . وذكر غيرُه أنه وقع فيها صبىٌّ فغرِق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرىّ . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .

(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : « سودا على الصلى » . والصلى : النار . (٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « يبينها للمعتفى بفنائه » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل « مخط » وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهاين من فكر » وهو تحريف .

وقال الأشعر (١) :

وأنت مَلِيخٌ (٢) كلحم الحُـوَار * فلا أنتَ حُلْوٌ ولا أنت مُرّْ
وقدعَلِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيفِ جوعٌ وقُـرّْ

سأل يحيي بن خالد أبا الحارث جُمَّيْزاً (٣) عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقنة (٤) وأما صِحافه فمنقورةٌ من حَبّ الخَشْخَاش، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، وبين اللونِ واللونِ فَتْرَةُ نَبيّ. قال : فمن يحضُرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأ كل معه أحدٌ؟ قال: نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُكَ مخرَّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معـه وبفِنائه؟ ! قال أبو الحارث: جُعِلتُ فِداءَك، واللهِ لو مَلَك بيتًا من بَغْدادَ الى الكوفة مملوءا إبراً، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيـلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرة يَخيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك آتِّكالِى فى الغِذاء اذًا * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ من الجوعِ (٥)

---

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادّة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو :

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهـــم غنىّ مضرّْ
وقـد علم المعشر الطـارقوك * بأنك للضـيف جوع وقرّ
اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قـد ولدتك الحمـر
مسيخ مليخ كلحم الحـوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .

(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدته فغبية » بالغين والياء المثناة من تحت والباء الموحدة . (٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بمـا يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق[1] متطبّبه: صِف لِى صفةً آخُذُ بها [فى نفسى] ولا أعْدُوها، قال تياذوق : لا تتزوّج مِن النســاء إلا شابّة ، ولا تأكل من اللحم إلا فَتِيّاً ، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه ، ولا تشرَبَنّ دواءً إلا من عِلّةٍ ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجَها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدْتَ مَضْـغَه ، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام وآشربْ عليــه ، وإذا شَرِبت فلا تأكل عليــه شيئا ، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائةَ[2] خُطْوةٍ .

رَوى عبــد العزيز بن عِمْــران عن الحُلَيْس بن حَيّان الأَشْجَعىّ قال حدّثنى أبى عن شـيوخ من أشْجَع قال : سألنا يهودَ خَيْبَر : بِمَ صَحَحْتُم بخيبر ؟ قالوا : بشرب الخمرِ ، وأكل الفُوم ، وسكونِ اليَفاعِ ، وتجنُّبِ بطونِ الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع الفجرِ[3] وسقوطه .

قال الحجّاج للحَكَم بن المُنْـذر بن الجَارُود : أخبِرنى عن صفاء لونك وغِلَظ قَصَرتك[4] ، أتَشْرَبُ اللبن فهو منه؟ قال : لا ، قال : ولِم ؟ قال : لأنه مَنْتَنةٌ مَنْفَخةٌ . قال : فمـا شرابُك ؟ قال : نبيذ الدَّقَل[5] فى الصيف ونبيذ العسلِ فى الشتاء .

---

(١) كذا فى تاريخ الحكماء للقفطى (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعــة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا فى صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به و يعتمد عليه فى مداواته . وهذا الاسم ذكر مرة فى الأصل «بياذوق» ومرة أخرى «بيادوق» ، وفى العقد الفريد «يتنادون» . وكله تحريف . (٢) فى طبقات الأطباء : «خمسين خطوة» .

(٣) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) : «عند طلوع النجم وعند سقوطه» . (٤) القصرة : أصل العنق اذا غلظ . وفى الأصل : «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك» . (٥) الدقل (بالتحريك) : أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملكِ لأعرابي : إنك حَسَنُ الكِدْنةِ(١)، قال : إنى أُدْفِئُ رِجْلى فى الشتاءِ، وأُغْفِل غاشيةَ الغمِّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَنِ ٱبتدأ غِذاءَه بالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلَّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء فى بطنه . ومن أكل كلَّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يَرَ فى بَدَنه شيئا يكرهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البقر داء، ولبَنُها شفاء ، وسَمْنها دواء . والشَّحمُ يُخرِجُ مِثْلَيْه من داءٍ . ولم يَسْتَشْفِ الناسُ بشىء أفضلَ من الرُّطَبِ . والسَّمك يُذيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ والسواكُ يُذهِب البلغم(٢) . ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فلْيُباكِرِ الغَداءَ، ولْيُقَلِّل غِشْيانَ النّساء، ويخفِّفِ الرداء ، ولْيَلْبَس الحذاء . قيل : وما خِفّةُ الرّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّة الدَّيْنِ .

قيل لرجل : إنك لحَسَن السَّحنة، فقال : آكُل لُبَابَ البُرّ بِصغار المَعزِ، وأدّهِنُ بِخام البنفسج(٣)، وألبَسُ الكَتّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ : شربُ الماءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطاءٍ، وكثرةُ الكلام برفع الصوتِ .

ويقال : أربعُ(٤) خِصالٍ يَهْدِمن العُمُر وربما قَتَلْنَ : دخولُ الحمّامِ على بِطْنةٍ، والمجامعة على الأمتلاءِ، وأكل القَديدِ(٥) الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الرِّيقِ؛ وقيل : ومجامعة العجوزِ .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحم : ما أذيبت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه . (٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبزرجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : "ثلاثةٌ أشياءَ تُورِث النِّسيان أكل التُّفّاح الحامِض وسُؤْر الفأرة ونَبْذُ القملة"(١) . وفى حديث آخر "والحِجامة فى النُّقْرة(٢) والبَوْل فى الماءِ الراكِدِ".

ويقال : أربعة أشياء تَقْصِد الى العقلِ بالإفسادِ : الإكثارُ من البصل ، والباقِلاءُ ، والجِماع ، والخُمَار .

وقال النَّظّام : ثلاثةُ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسِد الذِّهنَ : طولُ النَّظر فى المِرآةِ ، والاستغراب فى الضَّحِك ، ودوام النَّظرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشاءُ الليلِ يُورِث العَشا(٣) .

ويروى فى الحديث : "تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة" . والعرب تقول : ترك العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ(٤) .

باب الحِمْيَــة

قال الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلّتَيْنِ .

وقيل لجالينوس(٥) : إنك تُقِلّ من الطَّعامِ ؛ قال : غرضى من الطَّعامِ أن آكُلَ لأَحْيا ، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

(١) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر و إلقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا . (٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما خصيان وواحده خصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

متى ما تلقنى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

(٥) ردو هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمّى[1] : مَن آحتَمى فهو على يقينٍ من المكروه، وفى شكٍّ مما يأمُلُ من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حمَى الملِكَ ومنَعه الشهواتِ ، إنما الطبيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنَه .

وقال بعض الشعراء :

ورُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقمِ عِلّةً * وعِلّةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُغَفَّلِ

ويقال : الحِميةُ للصحيح ضارّة كما أنها للعليل نافعة .

وفى الحديث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُهَيْبا يأكل تمرًا وبه رمَدٌ، فقال له : "أتأكل التمر وبك رمَد"؛ فقال : يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه.[2]

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُكرِهوا مَرْضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم".

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيّ : حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من آستقلّ بدائه فلا يتداوَيَنّ فإنه رُبّ دواء يُورث الداءَ" .

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله و إسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصرى الحافظ مات سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة فى أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التى لا رمد فيها. ونص الحديث فى الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب : «وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم و بين يديه خبز وتمر، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يارسول الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التى لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ، لأن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه، وجدّه مات مقتولا فى الجاهلية، كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة، فلم تكن له رواية عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حَمَلت صِحّتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقيه، ولكنه يُخلِقُه ويُبْليه .

عن يزيد بن الأصَمّ قال : لقيتُ [طبيبَ](١) كسرى شيخًا [كبيرا](١) قد أوثق حاجبيه بخِرْقة، وسألته عن دواء المَشْى(٢)، قال : سهمٌ يُرمى به فى جوفك أخطأ أو(٣) أصاب .

قال ابقْراط : الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ .

وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤه فى بطنه فوق سُرّته سُقِىَ الدواء، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْقَ الدواء، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى(٤) بن عبد المُطَّلِب يشتكى عينَه وهو مطرِقٌ أبدا، وكان يقول: ما بِعَيْنِى بأس، ولكن كان أخى الحارث اذا آشتكت عينُه يقول: آكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معى فيأمُرُ(٥) من يَكْحَلنى معه ليُرضيَه بذلك فأمْرَض عينى .

قال ابن أحمر حين شُفِى بطنُه :

شرِبتُ الشُّكاعَى(٦) وآلتددتُ أَلِدّة * وأقبلتُ(٧) أفواهَ العــروق المَكاوِيَا

شرِبْنا وداوَيْنـا وما(٨) كان ضارنا * إذا الله حَمَّ المــرءَ أنْ لا تَداوِيَا

وفى الحديث : "داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصِّنوا أموالَكم بالزّكاة وآستقبلوا(٩) أنواعَ البلايا بالدعاء" .

---

(١) التكلة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المَشِىّ وهو المسهل . (٣) فى الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل «أبى» أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق النبات وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . وآلتددت ألدة من قولهم التدّ الرجل اذا ابتلع اللدود وهو ماسقى فى أحد شق الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : « لما » . (٩) فى الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمَة

عن وَهْب قال قال لُقْمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارةَ إلى الرأس، ويُورِث الباسُورَ وتَيْجَع(١) له الكبد، فاجلس هُوَيْنَى وقم هوينى . فكتبتُ حكمته على باب الحُشّ(٢) .

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه ، واذا بَقِىَ أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض .

وكان أبو ذُفافَةَ الباهلىّ اشتكى ، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع ؛ فأنشأ أعرابىّ يقول :

لقد سرّنى — واللهُ وقّاك شَرَّها — * نِفَارُك منها إذْ أتاك يقودُها
كفى سَوْءَةً ألّا تزالَ مُجَبِّيًا(٣) * عَلَى شَكْوَة(٤) وَفْرَاءَ فى آسْتِكَ عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها ؛ فقالوا : إنما يتولّاها منك الطبيبُ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَس .

قال المَدائنىّ : سأل الحجّاجُ جلساءَه : ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء ؟ فقال بعضهم : أكْل التَّمْر، وقال بعضهم : الحمام، وقال بعضهم : التَّمْريخ(٥) .

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياءِ للإعياء قَضاء الحاجة .

---

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم . (٢) الحش : البستان وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلاء، لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين .
(٣) مجبيا : منكبا على وجهه ، و فى الأصل : « محببا » . (٤) الشكوة : وعاء من جلد . ووفراء : ملأى . (٥) التمريخ : التدهين .

وحدّثنى بعضُ الأطبّاء أن رجلًا شَرِب خَبَثَ الحديد المعجون فبَقِى فى جوفه، فآشتدّ عليــه وجَعُه ؛ فسُحِقَتْ له قِطْعَةٌ من المغناطيس وسُقِى إيّاه ، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق[١] طبيب الحجّاج للحجّاج: إنّ اللحم على اللحم يقتل السِّباع فى البَرِّيّة . ثم قال لى جعفر : قالت جارية لنا : كان لى ظَبْىٌ فمرّ بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكَان[٢] ، فأكل منــه فخَفَس — والخَفْس : الحَبَطُ وآنتفاخُ البطن — فسُــاِخ فوُجد قــد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[٣] الإنسان اذا بَشِمَ .

الأصمعى: قال بعض الأعراب: اللّهمّ إنى أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبى خارجة، أكل بَذَجًا[٤]، وشرِب مُعَسَّلًا[٥]، ونام فى الشمس، فلَقِى اللّهَ شبعانَ ريّان دَفْآن .

وقال آخر من الأعراب : اللهم آجعلِ التُّخَمة دائى وداءَ عيالى .

قال آبن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت آسْتُه من الكاظمين الغيــظ .

---

(١) فى الأصل «دياذوق» وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هى ضرب من الحلوى .

(٣) فى الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل ، ومنه قول الشاعر :

اذا أخذت مسواكها منحت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسّل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكول يقيء[١] اذا أكل : لا تفعل، فإن المَعِدة تَضْفِزُ[٢] الى القيء كما تَضْفِزُ الدابّة الى العَلَف، فلا يُنْضَج الطعامُ .

وأُخِذ مُزَبِّد شارِبا فاسْتُنْكِه[٣]، فأُتِي به الوالىَ فاستَنْكهوه، فقالوا[٤] نَكْهَتُه لاتُنْبِئُ عنه، قال مزبّد : إن لم أَقِئْ نبيذا فمن يضمن لى عَشَاءً .

رُئى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قَيْءَ كلب فى قِحْفِ[٥] خنزير .

النَّكْهَةُ

سُئِل تياذوق عن البَخَر فقال : دواؤه الزبيب يُعجن بسَعْتَر[٦] ثم يُؤْكَل أسبوعين أو ثلاثة . جُرِّب فذَهَب .

وتقول الروم فى الكَرَفس : إنه يُطيِّب الفم ويُذهِب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافلَ الناس وكان أكثرُ كلامه السِّرارَ[٧] .

قالت الأطباء : الجَزَر المشوِىّ والخبز المَقْلُوّ بالزيت أو بالسمن إذا مُضِغ ورُمِى بثُفْلِه[٨] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم . والفُوم[٩] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحتَه مضَغ ورقَ الزيتون الطَّرِىّ وتمضمض بعده بالخَلّ .

(١) فى الأصل : «ليقىء» . (٢) تضفز : تثب . (٣) استنكهه : شمّ ريح فه، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) فى الأصل : « قالوا » .

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أى انفصل ، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة . (٧) السرار : المسارّة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شىء وهو خثارته . (٩) الفوم : الثوم .

والسُّعْد[1] قاطع لرائحة النبيـذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مَطيِّب للنَّكْهة . والبَخَر لا يكاد يكون فى الملّاحين لأكلهم المُلّاح[2] .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارىَ الملك ألّا يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[3] والحِمَّص الرّطْب والمشمش؛ فإنه يُورِث البخر .

باب الميـاه والأَشْرِبة

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة المـاء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد . وأحْمَد الميـاه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومرورُه على الطين الأحمـر وعلى الرمل . قالوا : وممّـا يُصَفِّى من المـاء الكَدَرَ فيصـفو سريعاً أن يُلْقَى فيـه قِطَعٌ من خشب السّاج[4] أو قطعٌ من آجُرٍّ جديد .

قال بعض المُحْدَثين :

يمنع أمَـــه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصبح فيهـا وقايتونا[5] * يجرى به الثلج فى مثال

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السغد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، فلعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح : ضرب من نبات الحمض أو حمضـة مثل القُلّام فيه حمرة .

(٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان .

(٤) الساج : شجر يعظم جدّا لا ينبت إلا ببلاد الهند، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٥) كذا بالأصل ،ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما .

وقال صاحب الفِلاحة : من أراد أن يَعْذُبَ له المـاءُ الزُّعَاقُ (١) جعله فى قِـدْر جديدة من خزَف وغطَّى فاها بأسحال (٢) ثم أوقد تحتها حتى تَغلى ويَحْصُلَ فيهـا نصفُ ذلك المـاء ثم صفّاه وتركه ، فانه يَجده شَرُوبًا (٣) .

وقالوا : ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيلِ الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحلّ عظمُه ويَبِسَ جِلْدُه ، وهو مع هذا أَهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسرَعُها بردا .

قال : والنِّيل يستقبِل الشَّمال وينصُبُ فى وقت زيادة الأودية ويزيد فى وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنيـــل هِجْرانًا ومَقْليـــةً * إذ قيل لى إنما التمساح فى النيـــلِ
فمن رأى النيل رأىَ العين من كَثَبٍ * فما أرى النيل إلا فى البواقيـــل (٤)

والسَّقَنْقُور (٥) أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المرالغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الخرقة البيضاء . وفى الأصل : «سحال» ولم يرد هذا فى جمع سحل وانما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى فى شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء وفسره الخفاجى بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين فى ديوان أبى نواس وهو الذى نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشا كل السـمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشا كل التمساح لأن ذنبـه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التمساح سخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شـديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو ممـا يسعى فى البر ويدخل فى المـاء — يعنى النيل — ولهذا قيل له الورل المـائى لشبهه به ولدخوله فى الماء .

ورُوى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَذَفَ[1] الفُرات فى المَدِّ رُمَّانةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنّة .

وقال ابن ما سـويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس يَعـذُب أن يُطْبَخ حتى يَذْهب منه نِصفُه، ثم يُطْرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فانه يلطِّفه و يُذهب غائلتَه ويُعْذِبه ويمنع كَدَرَه .

قالت الأطبـاء : الفُقَّاع[2] المُتَّخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُذَام . والجُلَّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض، . والسَّـكَنْجَبِين[4] نافع من الذُّبْحة اذا كانت من حرارة ، يُشرب ويُتَغَرْغَرُ بِهِ .

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ المـاعز يُورث الهَمَّ، ويُحرِّك السوداءَ، ويُورث النسيانَ، ويَخْبُل الأولاد ، ويُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البـلادَ الباردةَ . وأحمدُ اللُّحمانِ ماخُصِىَ من المَعز . والضأنُ نافع من المِرَّة السَّوْداء[5]، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون، اذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « ومما روى عن السدى ، والله أعلم بحقه من باطله ، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فألق رمانة قطعت الجسر من عظمها ، فأخذت فكان فيها كُرّ حبّ ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة لم توجد فى الدنيا . ولولم أرهذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء ما استجزت كتابته » اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر ، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل ، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر[1] :

كأن القومَ عُشُّــوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجون[2] قــد مالت طُلَاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام نَجْواً[3] . ولحم الدَّجاج الهَرِم شرّ اللُّحمان وأغلظُها .

والبيْضُ إن سُلِق بالخَلّ ثم أُكِل بالسُّمَّاق[4] وحبِّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُــرِّيّ[5] عقَلَ الطبيعةَ .

والزُّبْدُ إنْ طُلِيَ على منابت أسنان الطفل كان مُعِيناً على نبـاتها وطلوعها، والمخُّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارُّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة[6] والفُطْر[7] — عن أبى هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقــول جُدَرِيّ[8] الأرض ، فقــال : "الكَمْأةُ من المَنِّ[9] وماؤها شِفَاءٌ للعينِ والعَجْوةُ من الجنةِ وهى شِفاء من السُّقْم" .

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدوىّ المعروف بذى الرمة . (٢) كذا فى اللسان (مادة نعج)، ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفى الأصــل « بعجون » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج من البطان من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صفار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المرىّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفى مفردات ابن البيطار : «وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فإن اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمرىّ» . وفى الأصل : «والملح المشوى» وهو تحريف .
(٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والســواد ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدرى ، وهو الحب الذى يظهر فى جسد الصبى ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدرى من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .
(٩) معنى الحديث أن الكمأة شىء أنبته الله من غير سعى ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذى كان ينزل على بنى اسرائيل .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياءَ رُبَّمَــا صرَعت أهل البيت عن آخرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر .

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأَ الفُطْرِ ما نبَت تحت ظلال الشجر،وأرْدأه كلِّه ما كان فى ظلّ شجر الزيتون فإنّه قتّال .

قالوا : والكُمَّثْرَى إذا طُبِخ مع الفُطْر أذهب ضررَه .

قالوا : والفُطْرُ يورِث الذُّبْحَةَ (١) .

قدِم أعرابىٌّ المِصْرَ فأكل فُطْرا، فأصابتْه ذُبْحةٌ، فقيل له : إن الطبيب بعث أن يُحْلَب فى فيك، فقال : ما زلت أسمع باللئيم الرَّاضِع (٢) ولا والله لا أكونه؛ قالوا : فتموت إذًا؛ قال : وإن متُّ .

وتقول الأطباء : إنْ أكل آكِلٌ الفُطْرَ فأضرَّ به، سُقِيَ الكُزْبُرَ المعصورَ وسُقِيَ من خُرْءِ الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّئَ به .

قالوا : والكَمْأَةُ تُورِث وجع القُولَنْج (٣) والسَّكْتَةَ والفالجَ ووجَع المَعِدة .

قالوا : والذباب لا يَقْرَب قِدْرًا فيه كَمْأَةٌ .

ومن أراد ٱتخاذَ الكَمْأَةِ اليابسةِ جعلها فى الطين الحُرِّ يوماً وليلةً ثم غسلها وٱستعملها .

بلغنى عن فتًى من أهل الكتاب أنه قال : كنا فى طريق مكّة بالخُزَيْمِيَّةِ (٤)، فأتانا أعرابىٌّ بكَمْأَةٍ فى كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا : بِكَمِ الكَمْأَةُ ؟ قال : بدرهمينْ ،

---

(١) الذبحة : داء يأخذ فى الحلق وربما قتل . (٢) سيذكر المؤلف أنه الذى يرضع الحلب فلا يحلبه فى الاناء لئلا يسمع صوت الحلب ، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شىء .

(٣) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح ، والفالج : الشـــلل .

(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجفر ، وقال قوم : بينه وبين الثعلبية ٱثنان وثلاثون ميلا ، وقيل : إنه : " الحزيمية " بالحاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمنَ إليه ، فلما نهَض قال له بعضُنا : « فى ٱسْتِ المَغْبُون عودٌ » (١) ، قال : بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فاذا نحن على الكمْأة .

قال بعض الشعراء :

جنَيْتُهـا تملأ كفَّ الجانى * سوداءَ ممّا قد سَقَى السَّوانِى (٢)
* كأنهـا مدهونةٌ بالبانِ (٣) *

وهذه صفة أجود الكمْأة وأقلّها أذًى .

البصـــل والثــوم

دخل داخِلٌ على نَصْر بن سـيّار وحوله بَنُونَ له صِـغارٌ ، فقال : هل تدرُونَ ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ؛ وكان يأكله نيئًا ومشوِيّا ومطبوخا .

والأطِبّاء تقول فى البصل : إنه يشهّى الى الطعام إن أُكل مشوياً أو نيئًـا ، ويشهِّى الى الجماع . وإن دُقّ وشُمّ عَطّس وشَهّى الطعامَ . وإنِ ٱكتُحِل بمائه مع العسل جلَا البصرَ . وإنْ وُضع مع الملح والسَّذابِ (٤) على عَضّة الكَلْبِ الذى ليس بكَلِبٍ نَفَع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدّمعة .

---

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السوانى : جمع سانية وهى ما يسق عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو و يطول فى استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوّار رخو خفيف ، وقضبانه سمجة خضر ، وهدبه ينبت فى القصب ، وهو طويل أخضر شـديد الخضرة ، وثمرته تشـبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شـديدة وفيها حبـه ، واذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثـل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .
(٤) السذاب : بقل يفرّع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثـل الأغصان ، ويحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، واذا انتشر سقط منـه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصافير إن أُكِلتْ بالزَّنجبيل والبصل هيّجت شهوةَ الجماع وأكثرت المَنِيّ .

عن طارق بن شِهاب قال : بعث سُليمان النبيّ عليه السلام بعضَ عفاريته وبعث معه رجلًا وقال : رُدَّه إليّ وآنظرْ الى صنيعه . فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحِك ، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسَه الى السماء وهزّه ، ونظر الى الثُّوم وهو يُكال [كيلا] والفُلْفُل [وهو] يُوزَن وزنا ، فضحك . فلما ردّه الى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بما جرى منه ، قال : لِمَ ضحِكتَ من أهل البيت ؟ ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرتَ الى السوق ؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفل ؟ قال : أمّا أهلُ البيت فإنّ الله أدخل ميّتَهم الجنّةَ وهم يبكون عليه ، ونظرت الى الناس في السُّوق والملائكةُ من فوق رُءوسهم ، والناسُ يُملُون والملائكةُ سِراعًا يكتبون ، فهززتُ رأسي ، ونظرتُ الى الثُّوم وهو شِفاءٌ يُكال كيلا ، والى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزنا . وعن وَهْبٍ[1] : أنّ سليمان عليه السلام قال : مم كنتَ تضحك ؟ قال إني مررت برجل يشترى خُفَّين ويقول لصاحبهما : شَرْطِي عليك أنْ ألبَسهما عشرَ سنين لا يتخرّقان ، فعجِبتُ كيف شَرَط أملَه ونسِي أجلَه . ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّة[2] تتكهّن وتُخبر الناسَ بما لا يعلمون ، والّذى سخّر لك الريحَ وأذلّ لك الجنّ وعبّدلك الشياطينَ ، إنّى لأعلم في بيتها تحت فراشها مطمورةً[3] فيها قناطيرُ من ذهب وفضّة وهى لا تدرى ما تحتها ، وقد ماتت هَزْلًا[4] وجوعا وحاجةً . ومررتُ بأُخرى دُهْرِيّةٍ تتطبّب وكان بها

---

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنىّ لنحت الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر فى طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك فى بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان... الخ» وقد ورد فى الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هى التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّةً داءٌ، فأكلتِ البصل فصادفتْ منه بُرءًا، فظنّت أنه حَسَم داءَها وشفاها، فهى تَصِفُه للناس من كل داء، وقد كانت فى ظهرها ريحٌ حُبِستْ (١) منذ زمانٍ فأكلتِ الثّوم أحدًا وعشرين يومًا فشُفِيتمنه؛ فعَجِبتُ لها كيف تَدَعُ أن تَصِفَه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهر يستقى منه فى قُلّة له ومعه بغلة، فلما سقَى البغلةَ ملأ القلّة ورَبَط البغلةَ بأُذن القُلّة وذهب لِبعض حاجته، فنَفَرتِ البغلةُ وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبَرّأ عقلَه ونسِى فعلَه. ومررتُ بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا ونَصِبوا وٱبتهلوا، فلما أظَلّت الرحمةُ مَلّ رجل منهم فقام، وجاء آخرلم يَنْصَبْ معهم فجلس مجلِسه، فنزلت الرحمةُ فدخل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ؛ فعَجِبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطِبّاء: إنّ الثّوم إذا شُوِىَ بالنار ووُضع على الضِّرْس المأكول ودُلِكتْ به الأسنان التى يَعْرِض (٢) فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العَطَش الحادث من البلغم، ويقوم مقام التِّرْياق فى لَسْع الهوامّ، والأمراضِ الباردة.

وتقول الرومُ فى الثّوم: إنه دواء لمن أصابه وجَعُ السَّقْىِ (٣) فى بطنه. وإن أكله مَنْ ظهر [فيه] (٤) حَرّةٌ من شَرًى (٥) أو غيره أبرأه. وإن دُقَّ الثّوم يابسًا فأُغْلِى بسَمْنٍ ولبن ثم جعلَه مَن يشتكى ضِرسَه فى فيه سُخْنًا فأمسكه ساعة، ذهب وجَعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن ٱجتوى (٦).

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل محرّفة هكذا: «جتهازمان».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السقى: ماء أصفر يقع فى البطن وهو المعروف فى الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفى الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق. (٥) الشرى: بثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكربة مائلة الى الحمرة مائية. (٦) ٱجتوى بالجيم: من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ فى الصدر أو هو كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكـراث

قالت الأطباء : الكُرّاث النَّبَطىّ اذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة ، وولّد بُخَارًا فى الرأس رديئًا . وإن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر(١) وآستُعِطَ به سكّن الصُّدَاع . وإن سُلِق أو طُحِن وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها .

وماءُ الكرّاث إذا خُلِط بمثله من أَلْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابتْه غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصر ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرُنْبُ والقُنَّبِيط

قالوا : الكُرُنْبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرُنْبِ والكَرْم عداوةٌ ، ولا يَكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرُنْب اذا تجاوروا . قالت الأطباء : إن آحتملت [المرأة](٢) بِزْرَ الكُرُنْب بعد الحَيْض أسهل المَنِىّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأَرْمَنىّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبِّ القَرْع(٣) من البطن . والقُسْطُ(٤) أيضا خاصّةً بِزْرُه يُفْسِد المَنِىّ إذا آحتملتْه المرأة بعد طُهْرِها ، ومقدارُ ما يُحْتَمَل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرُنب إن طُبِخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق(٥) وسُقِى المرأةَ التى تأخّر حَيْضُها حاضت لحِينها .

---

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون فى البطن . (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندىّ يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشيشة كالفث الرطب (شجر ينبت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهبيد ، والهبيد : الحنظل ، نبطىّ معرّب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : واذا خُلط ماءُ الكُرْنُب بالبَنْج[(١)] كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنَيْنٍ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حلْقى لا أكاد أبتلِـعُ معها رِيقى؛ فقال : هى بيّنة فى عينك . فتَغَرْغَرْ بعَقِيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات؛ ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : واذا دُقَّ الكُرْنُب وخُلِـط به شئٌ من زَاج[(٢)] الأساكِفة وشئٌ من خلّ ، فأُوجِف[(٣)] ذلك بالخِطْمِىّ[(٤)] ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع باذن الله تعالى .

السَّلْجَمُ[(٥)] والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم

قالوا : والفُجل هاضِمٌ للطعام ، فإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق؛ واذا شُـدِختْ[(٦)] قطعةُ فُجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ؛ وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرْياق . واذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوام لم يُضارّ ذلك

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمـر شبيه بالجلنار مملوء ببزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقى هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافخ عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدرّ البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، واذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه اذا أكل ، غير أنه يحرّك شهوة الطعام . (٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «واذا شدح والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعُ. قالوا : وإن دُقّ بِزْره مع الكُنْدُر وطُلِى به البَهَقُ الأسودُ فى الحمّام أذهبه. وإن شُرِب ماءُ ورَقِه نفَع من الأَرْقانِ(١) الحادث من الطِّحال .

البَـاذِنْجان

قالوا : والباذِنْجان مُكْلِف(٢) للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأورامَ الصُّلْبَة. وحدّثنى أبى عن أبى الحـارث جُمَّيْز أنه سمعه يقول فى الباذِنْجان : لا آكلُه ، لون العقرب وشَبهُ المِحْجمة(٣) . قيل له : فقد رأيناك تأكله على خِوَانِ فلانٍ ! قال: كان مَيْتَةً وأنا مُضْــطَرّ .

الخِيَـار والقِثّـاء

قالوا : شَمّ الخِيَار نافع لمن أصـابه الغَشْىُ(٤) من الحرارة . وبِزْر القِثّاءِ اذا شربه من به حُمّى الأُسْى(٥) نفعه. وإن أصابت رضيعا حُمّى فألزقتَ به خِيارتين تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شِماله ، أقلعت الحُمّى عنه .

السِّــلْق

قالوا : والسِّلْق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ ذهب بالأَبْرِبة وأطال الشعر .

---

(١) الأرقان : لغة فى اليرقان وهو، كما فى اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد ، وفى الأصـل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف : مغير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش . (٣) المحجمة : قارورة الحجام .

(٤) الغشى بالفتح ويضم : تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع .

(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأُسْر » وهو احتباس البول .

الهِلْيَوْن [1]

قالوا : والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْج .

القَرْع

قالوا : إذا شُوِى القرعُ بالنار ثم عُصِر فجُعِل من مائه فى أُذُن من آشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر اللِّحْية بدهن القَرْع المُرّ، وقِثّاءِ الحِمار [2] مُذاباً فيه شِيحٌ أَرْمَنِىّ أسرع فيها نباتُ الشَّعر .

البقول

قالوا : والجِرْجِيرُ زائد فى الباه والإنعاظ مُدِرّ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسِّياط هَوّنَ عليه بعضَ ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من ذَفَر [3] الإِبِطَين إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإِبطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عَضّة [4] آبن عِرْسٍ .

وقال بعضُ الأطباء : إن ذُرَّ بِزْرُ الجِرْجير مدقوقًا فى البيض وحُشِىَ كان ذلك زائدا فى الباه والإنعاظ زيادة بيّنة . قال أبو حاتم عن القَحْذَمىّ قال: أكله أعرابىّ فأنعظ شهرا، فقال الفرزدق يَفْخَر به :

---

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبت ولاشوك له البتة وله بزر مدوّر أخضر ثم يسودّ و يحمّر (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥). (٢) قثاء الحمار: نوع برى من أنواع القثاء. وفى الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا فى نهاية الأرب للنويرى فى باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار فى اسم الجرجير . وفى الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرص» وهو تحريف .

ومنا التميمىُّ الذى قام أَيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُمُ عَشْرَا[١]

قالوا : والسَّذَاب[٢] قاطع لشهوة الجمـاع . وقالت الروم : إن أَكَلتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ كلَّ[٣] يوم بمـاء سُخْنٍ أو نبيذٍ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّـذَابِ * جَليـــلةٍ فى الرِّقابِ
النـاسُ عنها غُفُولٌ * إلّا ذَوِى الألبـابِ
فالحمـــد لله شكرًا * لولاَ مكانُ السَّذابِ
لَغَيَّبَ[٤] الأرضَ نسلُ الـ * ـمُـغَنِّيات القِحابِ

قالوا : والبقلةُ[٥] الحمقاء اذا مُضغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عنـد رؤية الهلال الى الهِنْدِباءْ[٦] لحلف بإلله القَمرِ ألّا يأكل هِنْدِباءَ ولا لحمَ فَرَسٍ ، سَـلِمَ فى كلّ شهرٍ يحلِف فيه من وجع الضـــرس .

قالت الأطبـاء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير المـاء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بمـاءٍ باردٍ [قطع شهوة الجماع[٧]] .

---

(١) كذا بالأصل ولم نجد هـذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا » أو «ثمّ أتبعها عشرا » أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هـذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمـام الكلام يحتاج الى أن يكون بعـد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صنفان برى و بستانى والأول أعرض ورقا من الثـانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) التكملة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكْثِرَ من أكله أَورَثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكَثِّر للّبن مُدِرٌّ للبول ، وهو نافع من الصَّرْع . وإن اكْتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصَرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءَه يَصْلُح للأطفال من الحُمّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِف البصرَ .

قالت الأطباء : النَّعْنَاع يُسَكِّن القىء ، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النَّمَّام.(١)

وتقول الروم : الحَبَق(٢) الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ ونُخِل واكْتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْجُ(٣) النَّهرى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ(٤) . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشْرَب، سَهَّل السَّوْداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ(٥) يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبُرَة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقاء والهِنْدِباء .

والطَّرْخُون(٦) يُؤكل مع الكَرَفْس .

قالوا : والراسِنُ(٧) ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوِّى المثانةَ .

---

(١) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسطوع رائحته . (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة . (٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه، ويقال فيه : فودنج (باهمال الدال وضم الأوّل والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار . (٤) الطمث : دم الحيض . (٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون : بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقه طوال دقاق . (٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ[١] يَذهب بالأَرَقانِ .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو آحْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْس[٢] اذا طُبِخ وشُرِب كان دواءً من وجع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْر[٣].

باب الحبوب والبزور

تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسِّمْسِم وعُجِن بعسلِ الطَّبَرْزَد[٤] يَزيد فى الجمـاع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان آلإيِّل عليها تبعَثُ الشَّهوةَ .

قال جرير :

أجِعْثِنُ[٥] قد لاقَيْتِ عِمرانَ شَارِبًا[٦] * على الحبّة الخضراءِ ألبـان إيَّل[٧]

والحِمّص زائد فى الجماع، مُكْثِرٌ للمَنِيّ، محسِّن لِلّون، زائدٌ فى لبن المُرْضِع، يُدِرُّ دَم الحيض، وإن خُلِط بالبَاقِلاء أسمَنَ .

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصـح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثـل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق، لكن فى أطراف فروعه ثمـر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتشتبك فروعه، و يكثر فى الكروم الرطاب، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ.

(٢) الكرفس : (بفتح أوّله وثانيه وسكون ثالثـه) : نبت معروف وهو من أحرار البقـول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول .

(٤) الطبرزذ : السكر الأبيض .

(٥) جعثن : اسم آمرأة وهى أخت الفرزدق .

(٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : « ساريا » بالسين والياء وهو تحريف .

(٧) الإيّل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيّل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن بكليهما يتزن الشعر، «لجمع ألبان» ، إذ لوكان واحدا لقال لبن أيّل (انظر اللسان مادّة أول).

الأصمعيّ قال : قلت لابن أبي عُطارد : بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلةٍ من ابن سِيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ .

قالت الأطبّاء : إنّ الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمّى الرِّبْعِ(١) والحُمِّيَات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجَفِّف(٢) ... من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرْع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْفُ(٣) يُخرِج حَبّ القَرْع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجعِ الوَرِكِ . وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنْج .

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلَاءِ(٤) : إنه اذا أُدمِن أَكْلُ البصر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً لا يُنْتَفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

ودهن الشَّاهْدَانِجِ(٥) نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها.

---

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع، وذلك أن يحمّ يوما ويترك يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع . (٢) لم نتبين مكان هذه النقط في الأصل فقد وقعت في أوّل الصفحة ولم تظهر بالتصوير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦ من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَم عن جدّته قالت : سمعت عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : اذا أكلتُم الرُّمَّانَ فكلوه بشَحْمه فإنه دِباغ للمَعِـدة ، وذلك يومَ الجمعـة على المِنْبر .

الأصمعىّ : قيـل لأعرابىّ : لِمَ تُبْغِض الرّمانَ ؟ قال : لأنه مَبْخَرة[1] مَجْفَرة مَجْعَـرة .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيئانِ يُورِثانِ القملَ : التّينُ اليابس اذا أُكِلَ ، وبخار اللُّبان اذا تُبُخِّر به .

وقالت الأطِبّـاءُ : ورقُ الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصِر وشُرِب أسهل حبَّ القَرْع والدِّيدانَ والحيّاتِ المتـولِّدَة فى البطن ، وإن صُبّ ماءُ ورقه فى الأُذن أمات الدّيدانَ فيها ، وإن تُدُلِّك بورقه بعد النُّورة[2] قطع ريحَها .

وحُمّـاضُ الأُتْرُجّ[3] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ أذهبه . وحَبُّ الأُتْرُجّ نافعٌ من السّموم .

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجعرة : يريد يبس الطبيعة أى انه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه : «وإياكم ونومة الغداة فانها مبخرة مجفرة مجعرة» . (انظر اللسان والقاموس موادّ بخر وجفر وجعر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معرّبة ، قال الشاعر :

فابعث عليهـــم سنة قاشـــوره * تحتـلق المـال كحلق النـــوره

وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شىء (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأترج : ما فى جوفه ، قال ابن البيطار فى مفرداته نقلا عن أبى حنيفة الدينورى : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغـرس غرسا ولا يكون بريا ، وأخبرنى بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرّة واحدة فى السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور النرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التُّفّاح الغضُّ إن دُقَّ بالرِّفق أيّامًا خمسةً أو ستةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعَه .

عن الزُّهرىّ قال : حدّثنى رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من بات وفى بطنه جَزَرةٌ أو جَزَرتانِ أو ثلاثٌ أَمِن القُولَنْج والدُّبَيْلة[1]" .

والفُسْتُق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفَع من لَسْع الهَوَامّ .

واللُّفّاح[2] : سمّ، وربما قتل آكلَه . وتُدفع مضرّتُه بالقيْءِ بالشَّراب والعسل والإسهال وشَمِّ[3] الفُلْفُل والخردلِ والجندبادستر[4] والسَّذاب والتَّعطُّس .

قال وحدّثنى شيخٌ من الدَّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بُزُرْجِمهر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يرزُقَكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجَّ، ليكون القشر لطيبكم، ولحمتُه لفاكهتكم، والحُمّاض لصباغكم، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمتُه .

---

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : خراج ودمّل كبير ، تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح صنفان : أحدهما يعرف بالأنثى ولونه الى السواد و يقال له ريوفس أى الخس لأن فى ورقه مشاكلة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضا ، واللفاح أيضا : نوع من البطيخ صغير جسمه مخطط ورائحته طيبة الشم .

(٣) فى ابن البيطار فى الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل .

(٤) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل : «الجندجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاخين : العجينُ يُملَك . وفى الحـديث المرفوع : " أمْلِكوا العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعيْن[(١)] " .

السَّوِيقُ : يُغسَل بالمـاء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِـلْح : يُتَقَبَّل به الطبيخُ .

والخَـلُّ : يُنْضِج العَدَسَ ويُصلِحه للأكل .

البَـاقِلَّى : يُنْقَع ثم يُطبخُ . ولا يُؤكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِج على شجره، ويُلْقَى ثُفْلُه وعَجَمُه[(٢)]، ويؤكَل على ريق النَّفْس .

والعِنَب : يُقطف ويُمهل أيامًا ثم يؤكل . ولا يُؤكل من القِنَّب[(٣)] إلا لُبُّه. ولا يُؤكل من الرأس إلا أسنانُه[(٤)] وعيونُه .

الباذِنجان : يُشَقّ ويُحشى بالملح ، ويترك ساعةً فى المـاء البارد، ثم يصبّ عنه ويعاد الى المـاء مرارا، ثم يُسْلَق بعد ذلك .

الكَبَرُ : يؤكَل بالخَلّ بعد غسله بالمـاء من الخلّ .

الزيتون : يؤكَل وسط الطعام ويُصَبّ فى الخل .

---

(١) ملك العجين وأملكه : عجنه فأنعم عجنه وأجاده . والريع : الزيادة . أراد أن خبزه يزيد بما يحتمله من المـاء لجودة العجن .   (٢) عجمه : نواه .   (٣) القنب : نبات منتن الرائحة له حب مستدير يؤكل ، وفى الأصل «القند» وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر .   (٤) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن يكون «لسانه» .

ويؤكل من الأُشْتُرغاز[1] خلّه ولا يُعرض لجسمه .

والكَمْأةُ : تُنَصَّفُ ويُقْشَرعنهـا قِشرُها، وتُسلقُ بالمـاءِ والملح ثم تُستعمل بالسَّعْتَر[2] والفُلفُل، وتُقلى بالزَّيْتِ الرِّكابِيّ[3]، وكذلك الفُطْر .

السِّلْقُ والكُرُنْبُ : يُسْلَقانِ بالمـاءِ والمِلح، ويُصَبُّ ماؤهما ثم يُستعملانِ .

والبقولُ : تمسحُ ثم تؤكَل ولا تُغسل بالمـاءِ .

وأحْمَد التُّمُورِ الهَيْرُون[4]. وأحْمَد البُسُور الجَيْسَرانُ[5] . وما اصفرّ أحْمَدُ مما اسودّ .

وخير السَّمك الشَّبُّوطُ[6] والبَنانيّ والمَيّاح . ولا يؤكَل السَّمكالطَّرِيّ إلا حارًّا بالخَرْدل فى الشتاء، وفى الصيف بالخَلّ وبالأبَازِير . وأقلّ السَّمك أذى المَقُور[7]. وشرّ السَّمكِ كِباره السمارِيس[8] . وخيرُ السماريِس البِيضُ، [وأكلها][9] خيرٌ من أكل الحمرِ، وشرُّها السّودُ .

(١) الاشترغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال، وهو نبات حريف رخو وليس له صمغ وهو طويل الشوك ترعاه الابل . (٢) السعتر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة، ويقال له الصعتر بالصاد وهى اللغة الجيدة، والعامة تبدل السين زايا . (٣) كذا فى مفردات ابن البيطار فى الكلام على خواص الكمأة . وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب الى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحى قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : البرى من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من أفخر النخل معرب، وفى الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (بفتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) : ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) المقور : الحامض المنقوع فى الخل أو المـاء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك، رأس المملوح منه إذا أحرق قلع اللحم الزائد فى القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى فى البدن، ويقلع الثآليل (راجع مفردات ابن البيطار) . وفى الأصل : «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة فى الأصل هكذا «وشر السمك كباره العماريس البيض وخير العماريس البيض...الخ... والسياق يقضى بحذف «البيض» الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوابِّ من الدَّجاج، ولا خيرَ فى بَيْضِ الهَرِمةِ . وأخفّ البَيْضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب .

ولا يُعرَضُ من الرأسِ للدِّماغ ولا لِلّسانِ، ولا الغَلْصَمةِ(١) ولا الخَراطِيم .

ولَحْمُ العُنقِ خفيفٌ سريعُ الأنهضامِ . وفى الحديثِ المرفوع : "العُنُقُ هادِيةُ(٢) الشاةِ وهى أبعدُها من الأَذى" .

والفُقَّـاعُ(٣) : يُشرَبُ قبل الطَّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللَّـبَنُ : لا يُؤكَلُ ولا يشرب إلا بعد وضْع الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبَاقِلَّى(٣) : يُؤكَل بعده الفُوذَنجُ(٣) فإنه يَذْهَب بنفخته .

اللُّوبِيَاءُ(٤) : يؤكـل بعـده الخَرْدَلُ الرَّطب ، ويُشرب بعـده ماء الرُّمَّانِ والسَّكَنْجَبِين(٥) المعمول بالسكّرِ .

الهَرِيسةُ(٦) : تُؤكَل بالفُلْفُل الكثير والمُرِّى(٧) ولا يُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرة(٨) : تُطْبَخ بالفُوذَنج والسَّذابِ والكَرَفْس .

---

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه (عروق فى الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية من كل شىء : أوّله . (٣) تقدّم تفسيره فى صفحة ٢٨ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (بالمدّ والقصر، ويقال أيضا اللوباء وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم . (٧) المرىّ : الذى يؤتدم به، والعامة تخففه نسبة الى المرارة، ويسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القديمة، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار فى مفرداته وداود فى تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماضر أى الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ؛ فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل ؛ فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رُغْوتُه عاد كالمغسولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزَّيْتِ، فإن خِفْتم ضَرَره فأَنْخِنوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْنِ .

عن عُقْبَة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "[1]عليكم بالشّجرةِ التِي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيتِ الزّيتون ادَّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُورِ" .

الخَرْدَل : يُعْجَن بالخَلّ و يُغسل بالماءِ ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْمِ مِرارًا بعد أن يُنْعَم دَقُّه ونَخْلُه ، ثم يُغسل بالماءِ القَراح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خَلُّه ، ويُخْلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمّانِ الحامِض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لأبن قتيبة ، ويتلوه فى الكتابِ العاشِرِ كتابُ النساءِ . والحمد لِلهِ ربّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعينَ .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن عليّ الجزريّ الواعظ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

(١) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور» .

جاء بعـد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقـل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ و بين يديه بَدْرةٌ، فقال : ياأصمعىّ ، إن حدّثتَنِى بحديثٍ فى العَجْزِ فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا فى صَحَارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرّيح واذا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أجَمَةٍ وهو عُرْيان ، قد ٱحتملت الرِّيحُ كساءَه ، فألقَتْه على الأجمةِ ؛ فقلت له : يا أعرابىّ ؛ ما أجْلَسَك هاهنا على هـذه الحالةِ ؟ فقال : جاريةٌ وعدتُها يقال لها سَلْمى ، أنا منتظر لهـا ؛ فقلت : وما يَمْنَعُك من أخذِ كسائك ؟ فقال : العَجْز يوقِفُنى (١) عن أخْذِه ، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئا ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسمِعْنى لله أبُوك ! فقال : لا أُسْمِعك حتى تأخذ كِسائى وتُلْقِيه علىَّ ؛ قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه ، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتى بسلمى * فَيَبْطَحَها و يُلقِينى عليهـا
و يأتى بعد ذاك سَحَابُ (٢) مُزْنٍ * تُطَهِّرنا ولا نَسْـعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى ٱستلْقى على ظهره ، وقال : أعطوهُ البَدْرة ، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

---

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : «والسحاب المسخربين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «و ينشئ السحاب الثقال» و يعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أشباه الجموع فتقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لابن هَرْمة : إنى لستُ كَمَن[1] باعَك دِينَه رجاءَ مدْحِك أو خوفَ ذمّك، فقد رزقنى الله بولادة نبيّه عليه السلام المَادِحَ وجنَّبَنِى المقابِحَ، وإنّ من حقه علىّ ألّا أُغْضِى على تقصيرٍ فى حقّ ربّه . وأنا أُقْسِم لئن أُتِيتُ بك سَكرانَ لأضرِبنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأزِيدنّ لموْضع حُرْمتك بى . فليكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَلَ اليهم؛ فنَهَض ابن هَرْمة وهو يقول :

نَهانى ٱبنُ الرسولِ عن ٱلْمُدَام * وأدّبَنى بآدابِ الكِرامِ
وقال لِىَ ٱصطبِرْ عنها ودَعْها * لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تَصَبُّرى عنها وحبّى * لها حبٌّ تمكّن فى عظامى
أرى طِيبَ الحلالِ علىّ خُبْثًا * وطِيبَ النفسِ فى خُبْثِ الحَرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد فى كتاب الكامل .

(١) كذا فى الكامل للمبرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفى الأصل «ممن» .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

كتاب النساء

فى أخلاقهن وخَلْقِهن وما يُختار منهن وما يُكره

عن مُجاهِد عن يحيى بن جَعْدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تُنْكَحُ[1] المرأةُ لدينها وحَسَبِها وحُسْنِها فعليك بذاتِ الدِّينِ تَرِبتْ يَدَاك[2]" ثم قال : "ما أفادَ[3] رجلٌ بعدَ الإسلامِ خيرا من امرأةٍ ذاتِ دِينٍ تَسُرُّه اذا نظر اليها وتُطيعه اذا أمرها وتحفظه فى نَفْسِها ومالِه اذا غاب عنها" .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لا تُدْخَل المرأةُ على زَوْجها فى أقلّ من عشرِ سنين .

قالت عائشة : وأُدْخِلْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنتُ تِسع سنين .

---

(١) رواية الجامع الصغير ونزهة الأبصار والأسماع : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها و لجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» . وجاء فى اللسان : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «تنكح المرأة لميسمها ولمالها ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك» . (٢) يقال للرجل اذا قل ماله : قد ترب أى افتقر حتى لصق بالتراب ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها ولا يريدون بها حقيقتها ، كما يقال لمن يبلى فى الحرب بلاء حسنا : قاتله الله ما أشجعه .
(٣) رواية الجامع الصغير : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته و إن نظر اليها سرّته و إن أقسم عليها أبرته و إن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله» .

الأصمعيّ قال : أخبرنا شيخٌ[(١)] من بنى العَنْبَر قال : كان يقال : النساء ثلاث : فَهَيِّنةٌ لَيِّنةٌ عَفِيفةٌ مسلِمة تُعين أهلَها على العيشِ ولا تُعين العيشَ على أهلها ، وأخرى وِعاءٌ للولدِ، وأخرى « غُلٌّ قَمِلٌ[(٢)] » يَضَعه[(٣)] الله فى عُنُق مَنْ يشاء ويَفُكُّه عمن يشاء . والرجال ثلاثة : فَهَيِّنٌ لَيِّنٌ عَفِيفٌ مسلمٌ، يُصدِر الأمورَ مصـادِرَها ، ويُورِدُها مَوارِدَها، وآخرينتهى إلى رأى ذى اللُّبِّ والمقدرة فيأخذ بأمرِه،ويَنْتهى الى قوله، وآخر حائرٌ بائرٌ[(٤)]، لا يأتمر لرُشدٍ، ولا يُطيع مُرْشِدا .

عن جعفر بن محمد عن أبيـه عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : خير نسائكم العفيفةُ فى فَرْجها، الغَلِمة[(٥)] لزوجها .

وعن عُرْوة بن الزُّبيرقال : ما رَفَع أحدٌ نفسَه بعد الإيمان بالله بمثل مَنْكَحِ صِدْقٍ، ولا وَضَع نفسَه بعد الكفر بالله بمثل مَنْكَحِ سوء . ثم قال : لعن الله فلانة ، ألفت بنى فلان بيضا طِوالا فقلبتهم سُودا قِصارا .

قال بعض شعراء بنى أسد :

وأوّلُ خُبْثِ المـاء خبثُ تُرابـــه * وأوّلُ خبثِ القوم خبثُ المناكِحِ

---

(١) فى نزهة الأبصار والأسماع (ص ٤٣) : « عن الأصمعىّ عن ابن عمر قال عمر رضى الله عنه : النساء ثلاث هيّنـة ... الخ » . وفى العقد الفريد : « الأصمعىّ عن أبى عمـرو بن العلاء قال : النساء ثلاث ... الخ » . (٢) غل قمل ، مثل يضرب للمرأة السيئة الخلق كما ورد فى مجمع الأمثال للميدانى . وقد ورد فى اللسان مادّة «غل» : «قولهم فى المرأة السيئة الخلق : «غل قمل» أصله أن العرب إذا أسروا أسيرا غلوه بغل من قد وعليه شعر فربمـا قمل فى عنقـه إذا قبّ ويبس فتجتمع عليه محنتان الغل والقمل، ضربه مثـلا للمرأة السيئة الخلق الكثيرة المهر، لا يجد بعلها منها مخلصا . والعرب تكنى عن المرأة بالغل . وفى الحديث : « وإن من النساء غلا قملا يقذفه الله فى عنق من يشـاء ثم لا يخرجه إلا هو » .

(٣) فى العقد الفريد : « يلقيـه» . (٤) يقال : رجل حائر بائر : ضال تائه لا يتجه لشىء .

(٥) الغلمة : الشديدة الغلمة . وفى الحديث : « خير النساء الغلمة على زوجها » .

قال الأصمعىّ قال ٱبن زُبَير : لا يمنعكم مِن تزوُّج ٱمرأةٍ قصيرةٍ قِصَرُها ، فإنّ الطويلةَ تَلِدُ القصير، والقصيرةَ تلد الطويل؛ وإيّاكم والمُذَكَّرة (١) فإنها لا تُنْجِب .

أبو عمرو بن العلاء قال قال رجل : لا أتزوّج ٱمرأةً حتى أنظرَ الى وَلَدِى منها، قيل له : كيف ذاك؟ قال : أنظر الى أبيها وأمّها فإنها تَجُرُّ بأحدهما .

عن ٱبن أبى مُلَيكة أنّ عمر قال : يابنى السائب، إنكم قد أَضْوَيْتم (٢) فَأَنْكِحوا فى النَّزائع (٣) .

الأصمعىّ قال قال رجل : بنات العمّ أصبر ، والغرائب أَنْجَب ، وما ضَرَب رءوس الأبطال كَٱبنِ أعجميّة (٤) .

عن أَوْفَى (٥) بن دَلْهَم أنه كان يقول : النساء أربع، فمنهنّ مَعْمَع (٦) لها شيئُها أَجْمَع، ومنهن تبع تضُرّ ولا تنفَع، ومنهنّ صدع تُفَرّق ولا تجمَع، ومنهن غَيْث هَمِع إذا وقَع ببلد أَمْرَع . قال الأصمعىّ : فذكرتُ بعضَ هذا الحديث لأبى عَوَانة فقال : كان عبد الله بن عُمَير (٧) يَزِيدُ فيه : ومنهن القَرْثَع (٨) : وهى التى تَلْبَس دِرعها مقلوبا، وتَكْحُلُ إحدى عينيها وتَدَعُ الأخرى .

(١) المذكرة : المرأة المتشبهة بالذكور . (٢) أضوى الرجل : ولد له ولد ضاوأى ضعيف، وفى الحديث « اغتربوا لا تضووا » أى تزوّجوا فى البعاد الأنساب لا فى الأقارب لئلا تضوى أولادكم .
(٣) النزائع : جمع نزيعة ، وهى المرأة التى تزوّج فى غير عشيرتها . ورواية نزهة الأبصار والأسماع فى أخبار ذوات القناع : « فأنكحوا فى الغرائب » . (٤) رويت هذه القصة فى كتاب نزهة الأبصار والأسماع (ص ٤٦) عن المغيرة بن شعبة مع اختلاف فى الرواية . (٥) ذكر هذا الخبر فى ذيل الأمالى طبع دار الكتب المصرية (ص ١٢٦) مع اختلاف يسير فى الرواية . (٦) المعمع : هى المستبدّة بمالها عن زوجها لا تواسيه منه . وفى الأصل : « سمعمع » وهى الكالحة فى وجهك اذا دخلت المولولة فى أثرك اذا خرجت . (٧) فى ذيل الأمالى : « عبد الملك بن عمر » .
(٨) كذا فى ذيل الأمالى . وفى الأصل : « المقرنع » بالنون وهو تحريف . وتفسير المؤلف للكلمة التى أثبتناها أحد معانيها ، وفسرت أيضا بانها المرأة الجريئة القليلة الحياء، أو هى البذيئة الفاحشة .

عن علىّ بن زيد قال قال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : ثلاثٌ من الفَواقِر (١) : جارُ مُقامةٍ ، إن رأى حسـنةً سترها ، و إن رأى سيئةً أذاعها ؛ وٱمرأةٌ إن دخلتَ لَسَنَتْك (٢) ، و إن غِبْتَ عنها لم تأْمَنْهـا ؛ وسلطانٌ إن أَحسنْتَ لم يَحْمَدك ، و إن أسأْتَ قَتَلك .

الأصمعىّ قال : حدّثنا جُمَيْعُ بن أبى غاضِرة — وكان شيخا مُسِنًّا من أهل البادية من ولد الزِّبْرِقان بن بَدْر من قِبل النساء — قال : كان الزبرقان يقول : أَحبُّ كنائنى (٣) إلىّ الذليلةُ فى نفسها ، العزيزةُ فى رَهْطِها ، البَرْزَة (٤) الحيِّية التى فى بطنهـا غلام ويَتْبَعُها غلام . وأَبغضُ كنائنى إلىّ الطُّلَعَة الخُبَأَة (٥) ، التى تمشى الدِّفِقَّ وتجلس الهَبَنْقَعَة (٦) ، الذليلةُ فى رَهطها ، العزيزةُ فى نفسها ، التى فى بطنها جاريةٌ وتَتْبَعُها جاريةٌ .

بلغنى عن خالد بن صَـفْوان أنه قال : من تزوج ٱمرأةً فليتزوّجها عزيزةً فى قومها ، ذليلةً فى نفسها ، أدّبها الغِنى وأذلّها الفقرُ . حَصَاناً مِن جارِها ، ماجنةً على زوجها .

وقال الفرزدق يَصف نساء .

يأنَسْنَ عند بُعولِهنّ إذا خَلَوْا * وإذا همُ خرجوا فهُنّ خِفارُ (٧)

---

(١) الفواقر : الدواهى .

(٢) لسنتك : أخذتك بلسانها وذكرتك بالسوء . (٣) كنائن : جمع كنة بالفتح وهى امرأة الابن أو الأخ كأنهم توهموا فيه فعيلة . (٤) البرزة : الموثوق برأيها وعفافها ؛ وهى أيضا الجليلة المتجاهرة الكهلة التى تبرز للرجال ، أو البارزة المحاسن . (٥) الطلعة الخبأة : التى تطلع كثيرا ثم تختبئ ، ومثله الطلعة القبعة . (٦) الدفق : مشى واسع . والهبنقعة : أن تتربع وتمدّ إحدى رجليها فى تربعها .

(٧) الخفار : الحييّات .

وقال خالد بن صَفوان [لدَلال][1] : اطلبْ لى بِكرا كثيّب أو ثيّبا كبِكر، لا ضَرَعًا[2] صغيرةً ولا عجوزًا كبيرة [لم تقـر فتحنّ ولم تفت فتمحن][3] ، قـد عاشتْ فى نعمة وأدركتْها حاجةٌ . فخُلُقُ النعمةِ معها وذُلُّ الحاجة فيها، حسبى مِن جمالها أن تكون ضخمةً[4] من بعيد، مليحةً من قريب وحسبى من حَسَبها أن تكون واسِطةً فى قومها، ترْضَى منى بالسُّنَّة، إن عشتُ أكرمتُها وإن مِتُّ ورَّثتُها .

وقال رجل لصاحب له : ابغِنى امرأةً بيضاءَ البياض، سوداء السوادِ، طويلةَ الطول، قصيرةَ القِصَر . يريد : كلُّ شئ منها أبيضُ فهو شديدُ البياض، وكلُّ شيء منها أسود فهو شديدُ السواد، وكذلك الطولُ والقِصَرُ .

وقال آخر : ٱبغِنى ٱمرأةً لا تُؤَهِّل دارًا (أى لا تجعـل دارها آهِلةً بدخول الناس عليها) ، ولا تؤْنِس جارًا (أى لا تؤنِس الجيرانَ بدخولها عليهم) ، ولا تُنفُث[5] نارا أى لا تَنُمُّ وتُغْرِى بين الناس .

قال الأصمعىّ : قال أعرابىّ لٱبن عمّه : اطلب لى ٱمرأة بيضاء، مديدةً[6] فرعاء[7] جَعْدَةً[8] ، تقوم فلا يُصيب قميصُها منها إلا مُشاشةَ[9] مَنْكِبيها ، وحَلَمتَى ثَدْيَيْهـا ورانِفتَى[10]

---

(١) التكملة عن المحاسن والأضداد للجاحظ طبع أوربا (ص ٢٢١) وهو دلال المخنث وكان يخطب النساء على الرجال انظر ترجمته فى الأغانى (ج ٤ ص ٥٩ طبع بولاق) . (٢) الضرع : الصغير من كل شىء، وقيل : الصغير السن الضاوى . (٣) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل . وقد وردت هذه الحكاية فى المحاسن والاضداد (ص ٢٢٠) . وفى كتاب آداب السياسة بالعدل نسخة فتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت نمرة ٤٣٠٠ أدب لوحة ١٨١ وفى كتاب الأفراح لإزاحة الأتراح ص ٢١٤ وليس فيها هذه الجملة .

(٤) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٥) : «نخمة» . (٥) فى العقد الفريد : «لا تثقب» .

(٦) المديدة : الطويلة . (٧) الفرعاء : الهيئة الحسنة . (٨) الجعدة : المجتمعة الخلق الشديدة . (٩) المشاشة : رءوس العظام . (١٠) كذا فى العقد الفريد، والرانفتان مثنى رانفة، وهى أسفل الألية الذى يلى الأرض عند القعود . وفى الأصل : «رابعتى» وهو تحريف .

أَلْيَتَيْهَا ورُضَافَ[1] رُكْبَتَيْهَا ، إذا آستلقت فَرَمَيْتَ تحتها بالأُتْرُجَّةِ[2] العظيمة نَفَذَت من الجانب الآخر، فقال له آبن عمه : وأَنَّى بمثل هذه إلا فى الجِنان! .

ونحو قوله فى الأُتْرُجَّة قول أم زَرْع : خرج أبو زَرْع والأَوْطَابُ[3] تُمْخَضُ ، فلَقِىَ آمرأةً معها ولَدَان لها كالفَهْدَيْن يلعبان تحت خَصْرها برُمَّانتَيْن فطلَّقنى ونكَحها.

وقال آخر : ابغِنى[4] آمرأةً شَقَّاء مَقَّاء، طويلةَ الإلقاء[5]، مَنْهُوسة[6] الفَخِذين ، ناحلة[7] الصُّقْلَيْن .

أنشد ابن الأعرابىّ :

إذا كنت تَبْغِى أيِّمًا بجَهَالة * من الناس فانظُر من أبوها وخالُها
فإنهما منها كما هى منهما * كقَدِّك نعلا إن أريد مثالُها
فإن الذى ترجو من المال عندها * سيأتى عليه شؤمُها[9] وخَبَالُها[10]

---

(١) رضاف الركبة : الجلدة التى عليها .

(٢) الأترجة : ثمر شجر بستانىّ من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

(٣) الأوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) عبارة العقد (ج ٣ ص ٢٨٣): «عن أبى الحسن المدائنىّ قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لى جارية شقاء مقاء رسحاء بعيدة ما بين المنكبين ممسوحة الفخذين ، قوله شقاء يريد كأنها شقة جبل ، مقاء : طويلة ، رسحاء : صغيرة العجيزة ؛ أرادها للولد لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة» . (٥) كذا فى الأصل ولعله « الأنقاء » جمع نقا ونقو وهو عظم العضد . (٦) المنهوسة : القليلة اللحم . (٧) كذا بالأصل : ولعلها « نحيفة الصقلين أو ناحلة الصقلين» ، جاء فى اللسان مادة « صقل » : وفى حديث أم معبد : ولم تزربه صقلة أى دقة ونحول؛ وقال شمر : تريد ضمره ودقته ؛ والصقل : الخاصرة أخذ من هذا .

(٨) كذا فى الأصل . ورواية البيتين الأولين فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٢٠) :

إذا كنت مرتادا لنفسك أيما * لنجلك فانظر من أبوها وخالها
فانهما منها كما هى منهما * كما النعل ان قيست بنعل مثالها

(٩) فى الأصل : «عليها» والسياق يأباها . (١٠) فى الأصل : « سومها » بالسين وليس له معنى مناسب .

كان يقال : البِكر كالذُّرة تَطْحَنُها وتَعْجِنُها وتَخْبِزُها ، والثَّيِّبُ عُجَالة[1] راكِبٍ تَمْرٌ وسَوِيقٌ .

وقال ابن الأعرابيّ : طلّق زيادٌ[2] امرأتَه حين وجدها لَثْغاء ، وقال : أخاف أن يجيءَ وَلدِى ألثغَ ، وقال :

لَثْغَـاء تأتى بِحَيْفِسٍ[3] ألثغ * تميس فى المَوْشِىّ[4] والمُصَبَّغ

ويقال : المرأة غُلٌّ فانظر ماذا تَضَع فى عنقك ؛ وهو من قول ابن المقفّع : الدَّيْن رِقٌّ ، فانظر عند من تَضَع نفسَك . أنشد ابن الأعرابيّ :

أحبّ الخَلَاوىّ النّزيه من الهوى * وأكره أن أُسْقَى على عَطَشٍ فَضْلَا

يقول : أكرهُ المرأةَ التى أكثرت الأزواجَ وإن كنتُ مضطرًّا اليها .

وعن خالد الحَذّاء قال : خطبتُ امرأةً من بنى أسد فجئتُ لأنظرَ اليها وبينى وبينها رِواقٌ[5] يَشِفّ ، فدَعَتْ بجفنةٍ[6] مملوءة ثَرِيدًا مكلَّلة باللحم فأتتْ على آخرها ، وأتتْ بإناء مملوءٍ لَبَنًا أو نبيذًا فشَربَتْه حتى كَفَأَتْه على وجهها ، ثم قالت : ياجارية ارفَعِى السَّجْفَ فاذا هى جالسةٌ على جلد أسَدٍ واذا شابةٌ جميلةٌ ، فقالت : ياعبدالله : أنا أسَدة

---

(١) العجالة : ماتزوّده الراكب مما لايتعبه كالتمر والسويق ، ومنه المثل : «التمر عجالة الراكب» .

(٢) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٣٣) : « أبو رمادة » .

(٣) كذا فى البيان والتبيين . والحيفس : القصير السمين وقيل الدميم الخلقة . وفى الأصل « بحسن » وهو تحريف . (٤) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «الوشى» . (٥) الرواق : كسا مرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الأرض . (٦) فى الأصل : « فدعت بجفنه فيها قفير زياد الأعجم مملوءة الخ » والظاهر أن هذه العبارة مقحمة من الناسخ لأنا لم نعثر فى ترجمة زياد الأعجم ولا فى كتاب المضاف والمضاف اليه على ما يثبت صحة هذه العبارة ، وقد أورد ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٢) هذه الحكاية ولم يذكر هذه الجملة فحذفناها معتمدين على رواية العقد الفريد وعدم التئامها مع السياق .

من بنى أسد على جلد أسد وهذا مَطْعَمى ومَشْرَبى، فإن أَحبْبتَ أن تتقدَّم[١] فٱفعل، فقلت : أستخيرُ اللهَ وأنظرُ، فخرجتُ ولم أُعد .

وعن أنَس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّ سُلَيم تنظر الى آمرأة فقال : "شَمِّى عوارِضَها[٢] وٱنظرى الى عَقِبها" .

وقال النابغةُ :

ليستْ من السُّودِ أعقابًا إذا ٱنصرفتْ ※ ولا تَبِيــع بجَنْبَىْ نَخْــلَةَ الــبُرَمَا[٣]

وقال الأصمعىّ : اذا ٱسودّ عَقِب المرأة ٱسودّ سائرها .

تزوّج علىّ بن الحسين أمَّ ولدٍ لبعض الأنصار ، فلامه عبد الملك فى ذلك ، فكتب اليه : إن الله قد رفَع بالاسلام الخسيسةَ وأتمَّ النقيصة، وأكرَم به من اللؤم فلا عار على مسلم، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوّج أَمَتَه وٱمرأةَ عبده، فقال عبد الملك : إن علىّ بن الحسين يتشرّف من حيث يتَّضِعُ الناسُ .

الأصمعىّ قال : كان أهلُ المدينة يكرهون ٱتّخاذ أمهات الأولاد حتى نَشَأ فيهم علىٌّ[٤] بن الحسين والقاسمُ بن محمد [بن أبى بكر] وسالمُ بن عبد الله [بن عمر] ، ففاقوا أهلَ المدينة فقهًا وورعًا فرغِب الناس فى السَّرارِى .

---

(١) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : « تتقدّمنى » .

(٢) العوارض : الأسنان التى فى عرض الفم وهى ما بين الثنايا والأضراس واحدها عارض، أمرها بذلك لتبور (تختبر) نكهتها وريح فمها أطيب هو أم خبيث . ونصه فى ابن الأثير فى مادة عرض : أنه بعث أم سليم لتنظر آمرأة فقال : شمى عوارضها الخ . وفى الأصل : «تسمن» وهو تحريف .

(٣) نخلة : اسم موضع بين مكة والطائف . والبرم : جمع برمة وهى قدر من حجارة . وفى اللسان مادة برم :

※ والبائعات بشطى نخلة البرما ※

ويروى البرما (بفتح الباء) وهو ثمر الأراك كما فى معجم ما استعجم للبكرى فى كلامه على نخلة .

(٤) هو المعروف بزين العابدين وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس وهى أخت أمهات القاسم وسالم المذكورين بعد، وذلك أن الصحابة رضى الله عنهم لما أتوا المدينة بسبى فارس فى خلافة عمر بن الخطاب كان منهم ثلاث بنات ليزدجرد اشتراهنّ علىّ بن أبى طالب ودفع واحدة لعبد الله بن عمر ، وأخرى لولده الحسين، وأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق فأولد عبد الله أمته سالما وأولد الحسين أمته ولده زين العابدين وأولد محمد بن أبى بكر أمته ولده القاسم (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٥٥ طبع بولاق) .

وقال مَسْلَمة بن عبد الملك : عجِبْنا من رجل أحْفَى[١] شَعرَه ثم أعفاه ، أو قصّر شارِبَه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سَرارِىّ فاتَّخذ المَهِيرات[٢] .

قال رجلٌ من أهل المدينة :

لا تَشْتُمَنّ آمرأً فى أن تكون له * أُمٌّ من الروم أو سوداءُ عَجْماءُ
فإنما أُمّهات الناس أوعيةٌ * مستودَعات وللأحساب آباءُ
وربّ واضحةٍ ليست بمُنْجِبةٍ * وربما أنجبت للفحل سوداءُ

بلغنى أن رجلا شاوَرَ حكيما[٣] فى التزوّج فقال له : آفعل ، وإيّاك والجمالَ الفائقَ ، فإنه مَرْعًى أَنِيق ، فقال : ما نهيتَنى إلا عما أطلب ، فقال : أما سمعتَ قول القائل :

ولن تصادف مرعًى مُمْرِعًا أبدا * إلا وجدتَ[٤] به آثارَ مُنْتَجِع[٥]

وقال عمر بن الوليد للوليد بن يزيد : إنك لَمُعْجَب بالإماء ، قال : وكيف لا أُعْجَبُ بهنّ وهنّ يأتين بمثلك .

ويُروى عن أبى الدَّرْداء أنه قال : خيرُ نسائكم التى تدخل قَيْسًا[٦] وتخرج مَيْسا وتملأُ بيتَها أَقِطًا[٧] وحَيْسًا ، وشرُّ نسائكم السَّلْفَعَة[٨] ، التى تسمع لأضراسها قَعْقَعة ، ولا تزال جارتُها مُفزَّعة . وقد فسرتُ هذا فى كتاب غريب الحديث .

---

(١) فى الأصل : «أخفى» بالخاء المعجمة وما أثبتناه عن العقد الفريد يقال : أحفى الرجل شاربه : بالغ فى أخذه وآستقصى قصه . (٢) المهيرات : الحرائر الغاليات المهر . (٣) كذا فى بلوغ الأرب فى أحوال العرب للآلوسى (ج ٢ ص ١٢) وفى الأصل : «رجلا» وما أثبتناه أنسب . (٤) كذا فى بلوغ الأرب . وفى الأصل : « بها » . (٥) كذا فى بلوغ الأرب . وفى الأصل : « مأكول » .

(٦) قال ابن الأثير : يريد أنها اذا مشت قاست بعض خطاها ببعض فلم تعجل فعل الخرقاء ولم تبطئ ولكنها تمشى مشيا وسطا معتدلا فكأن خطاها متساوية . والميس : التبختر والتثنى . (٧) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض ، والحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت . (٨) السلفعة : البذيئة الفحاشة القليلة الحياء الجريئة على الرجال .

وقال معاوية لعَقيل[١] بن أبى طالب : أىّ النساءِ أشهى ؟ قال : المؤاتية لمـا تَهْوَى، قال : فأىّ النساء أسـوأُ؟ قال : المجانبةُ لِمـا تَرْضَى، قال معاوية : هـذا والله النَّقْد العاجل، قال عقيل : بالميزان العادل .

الأَكْفاءُ من الرجال

عن أبى هُرَيْرة قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: ”إذا جاءكم مَن تَرْضَوْن خَلْقَه وخُلُقَه فزَوِّجوه إنكم إلّا تَفْعلوه[٢] تكن فِتنةٌ فى الأرض وفسادٌ عريض“ .

وعن الحسن عن سَمُرَة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : ” الحسبُ المـال والكرم التقوى “ .

وعن أَنَسٍ قال : قالت أُمُّ حَبِيبةَ : يارسولَ الله، المرأةُ منّا يكون لها الزوجان[٣] فى الدنيا فتموت فلأيِّهما تكون فى الآخرة؟ قال : ”لأحسنهما [خُلُقا][٤] يا أمَّ حبيبةَ، ذهب حُسْن الخلق بخير الدنيا والاخرة “ .

---

(١) فى العقد الفريد (جزء ٣ ص ٢٨٤) : « لصعصعة بن صوحان » .

(٢) أورد الترمذى فى صحيحه رواية أبى هريرة لهـذا الحديث هكذا : ” اذا خطب اليكم من ترضون دينـه وخلقه فزوّجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض “ ورواه الترمذى أيضا عن أبى حاتم المزنى : ” إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد“ قالوا : يارسول الله، وان كان فيه؟ قال : ”إذاجاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه“ « ثلاث مرات » .

(٣) كذا ورد هذا الحديث فى الأصل مع نقص بعض ألفاظ لايستقيم الكلام بدونها ونصه فى الإحياء للغزالى (ج ٣ ص ٤١ طبع مصر) : « وعن أنس قال : قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هى تكون قال : «لأحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » .

(٤) كذا فى الإحياء . وفى الأصل : « ذهب حسن الخلق فى الدنيا والآخرة » .

عن عطيَّة بن قيس قال : خطَب معاويةُ أمَّ الدَّرْداء فقالت : قال أبو الدرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المرأةُ لآخرِ زوجَيْها" فلستُ بمتزوّجة بعد أبي الدرداء حتى أتزوَّجه في الجنة إن شاء الله تعالى . ويقال : إنما حَرُمَ أزواجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم على من بعده لأنّهنّ أزواجُه في الجنّة .

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تُكْرِهوا فَتَياتِكم على الرجل القبيح فإنّهنّ يُحبِبْن ما تُحِبّون .

ابن الأعرابيّ قال : قيل لابنة الخُسّ(١) : ألا تتزوّجين؟ فقالت: بلى، لا أُريده أخا فلان ولا آبنَ فلان ولا الظريفَ المتظرِّف ولا السمينَ الألحَمَ(٢)، ولكن أُريده كَسوبًا إذا غدا، ضَحُوكا إذا أتى . وكان أبوها قد كُفَّ بصرُه فقال: مابال ناقتِك؟ قالت : عينُها(٣) هاجّ ومِلْؤها راجّ وتمشي وتَفَاجّ(٤)، فقال : يا بنيّة آعقِليها، فعقلتْها . فقال : ما صنعت حتى آضْطرمتْ(٥) .

قيل لأعرابيّ(٦) : فلانٌ يخطب فلانةَ، قال : أَمُوسِر من عَقْلٍ ودينٍ ؟ قالوا : نعم، قال : فزوِّجوه .

عن عيسى بن عمر قال : قال رجل لأعرابيّ : أمُنكِحِي أنتَ؟ قال : لا، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك أصْبَحُ(٧) اللّحية .

(١) جاء في اللسان مادة «خس» أنها هند بنة الخس الإيادية المعروفة بفصاحتها . وفي الأصل : « لابنة الحسن » وهو تحريف . (٢) هو من لحم الرجل اذا صار ذا لحم . (٣) يقال : عين هاج أي غائرة، قال في اللسان تعليقا على هذه العبارة : «قالت هاج فذكّرت العين حملا لها على الطرف أو العضو وقد يجوز أن تكون احتملت ذلك للسجع» . (٤) تفاجّ : تفرج بين رجليها . (٥) كذا بالأصل ولعل اضطرمت هنا بمعنى عدت ؛ وقد ذكر في اللسان مادة « هجج » هذه الحكاية باختلاف يسير في ألفاظها ولكنه لم يذكر القسم الأخير منها . (٦) في العقد الفريد : « وقيل للحسن الخ » . (٧) الأصبح اللحية : الذى تعلو شعره حمرة ومن ذلك قيل : دم صباحيّ لشدّة حمرته . وفي هامش الأصل الفتوغرافي «أصبح : أبيض» .

وكان عَقيلُ بن عُلَّفة غيورًا ، فخطَب اليه عبدُ الملك بن مروان ٱبنته على أحد بَنِيه[(١)]، وكانت لعَقِيلٍ اليه حوائجُ، فقال له : إن كنتَ لا بدّ فاعلاً فجنِّبْنِي هُجَنَاءك[(٢)] .

وخطَب اليـه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل — وكان [إبراهيم بن] هشام والىَ المدينةِ وخالَ هشام بنِ عبد الملك — فردّه لأنه كان أبيضَ شديدَ البياض، فقال :

رَدَدْتُ صحيفةَ القُرَشيّ لمـّا * أبتْ أعراقُه إلّا ٱحمِـــرارَا

وقال رجل من الأعراب :

يُسَمُّوننا الأعرابَ والعَرَبُ ٱسمُنا * وأسمـاؤهم فِينا رِقابُ المَـــزَاوِدِ

يعنى العجم يُسَمَّوْن الحَمْراء .

ابن الأعرابىّ قال : قال عبــد الملك بن مروان لٱمرأةٍ من قريش تزوّجت رجلا مَغموصًا[(٣)] عليه : أتَنكِح الحرّة عبدَها ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين

إنّ المهور تُنْـكِح الأيامَى[(٤)] * النّســوةَ الأراملَ اليتـامَى

المرءَ لا تَبْغِى له سَلامَا

وقال ٱبن الأعرابِىّ : خطب رجلٌ إلى رجلٍ فلم يَرْضَه فأنشأ يقول :

قل للّذين سَــعَوْا يَبغُون رَخْصَتها * ما رَخّص الجوعُ عندى أُمَّ كُلْثُومِ

الموتُ خيرٌ لهـا من بَعلٍ مَنْقَصةٍ * ساقت اليـــه أباها جِلَّةٌ كُومُ[(٥)]

---

(١) هو يزيد بن عبد الملك، واسم من تزوّجها «الجرباء» . (٢) الهجناء : جمع هجين وهو من أبوه عربى وأمه أعجمية . (٣) يقال : رجل مغموص عليه فى حسبه ودينه أى مطعون عليه فيهما (٤) الأيامى : جمع أيم وهى المرأة التى لا زوج لها بكرا أو ثيبا . (٥) فى هذا الشعر على هذه الرواية إقواء وقد تقدّم تعريفه غير مرّة، ولعلها «جلة الكوم» بٱلتعريف وبذلك يخلص من الاقواء . والجلة : جمع جليل وهو العظيم ، والجلة أيضا : المسانّ من الابل . والكوم : جمع كوماء وهى الناقة المرتفعة السنام .

وكان عمر الخير نكّاحا [فكان] فى عام سَنةٍ يقول : لعل الضِّيْقة تحملهم على أن يُنْكِحوا غير الأكفاء .

وقال المُساوِر(١) للمَرّار(٢) :

ما سرّنى أنّ أُمى من بنى أَسَدٍ * وأنّ ربّىَ يُنْجينى من النارِ
وأنهم زوّجونى من بناتهم * وأنّ لى كلّ يومٍ ألفَ دينارِ

فأجابه المَرّار :

فلستَ للأمّ من عَبسٍ ومن أسدٍ * وإنما أنت دينارُ ٱبنِ دينارِ
وإن تكن أنتَ من عَبْس وأمّهمُ * فإنّ(٣) أُمّكمُ من جارة الجارِ

دينار ٱبن دينار : عبد ٱبن عبد . وجارةُ الجار : الإست ، والجار : الفَرْج .

وقال بعضُ الأعراب :

أقول لها لما أتتنى تَدُلُّنى * على ٱمرأةٍ موصوفةٍ بجمالِ
أصبتِ لها والله بعلًا كما ٱشتهتْ * إن ٱغتفرتْ منّى(٤) ثلاثَ خصالِ
فمنهن فِسقٌ لا يُبارَى وليدُهُ(٥) * ورِقّةُ إسلامٍ وقِلّةُ مالِ

وقال رجل لٱبن هُبَيْرة : أنا ٱبن الذى خطب الى معاوية ؛ فقال ٱبن هبيرة : أفزوّجه؟ قال : لا ؛ فقال : ما صنعتَ شيئا .

أبو الحسن المدائنىّ قال : خطب رجل من بنى كِلَاب ٱمرأةً ، فقالت له أُمّها : حتى أسألَ عنك ، فٱنصرف فسأل(٦) عن أكرم الحىّ عليها ، فدُلّ على شيخ فيهم كان يُحسِن المَحْضَر(٧) فى الأمر يُسأَل عنه ، فسأله أن يُحسِن عليه الثناءَ وٱنتسبَ له فعرَفه ؛

(١) هو المساوِرَ بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ . (٢) هو المرّار بن سعيد الفقعسى .
(٣) فى الأصل : « وإن » . (٤) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٩ : « منه » .
(٥) فى العقد الفريد : * فمنهن عجز لا ينادى وليده * (٦) فى الأصل : «سألت ودلت» بتاء التأنيث . (٧) يقال : فلان حسن المحضر اذا كان يذكر الغائب بخير .

ثم إنّ العجوز شَمَّرت[1] فسألته عنه فقال : أنا ربّيتُه ، قالت : كيف لسانُه ؟ قال : مِدْرَهُ قومه وخطيبُهم . قالت : كيف شجاعتُه؟ قال : حامِي قومه وكهفُهم . قالت : فكيف سَماحتُه؟ قال : ثِمالُ[2] قومه وربيعُهم . فأقبل الفتى فقال الشيخُ : ما أحسنَ والله ما أقبل ! ما ٱنثنى ولا ٱنحنى . فدنا الفتى فقال الشيخ : ما أحسنَ والله ما سَلَّمَ ! ما جار ولا خار[3]. ثم جلس، فقال: ما أحسن والله ما جَلَس ! ما دنا ولا نَأَى . فذهب الفتى ليتحرّك فضرط ، فقال الشيخ : ما أحسنَ والله ما ضرط ! ما أغنَّها ولا أطنَّها ، ولا بَرْبَرها ولا فَرْفَرها . فنهض الفتى خجِلا فقال : ما أحسن والله ما نهض[4] ! ما ٱنفتل ولا ٱنخزل . فأسرع الفتى ، فقال : ما أحسن والله ما خطا ! ما ٱزْوَرّ[5] ولا ٱقْطَوْطى . قالت العجوز : وجِّه اليه من يَرُدّه ، لو سَلَح لزوّجناه .

خطب خالدُ بن صَفْوان ٱمرأةً فقال : أنا خالد بن صفوان ، والحسبُ على ما قد علمتِيه ، وكثرةُ المال على ما قد بلغكِ ، وفيّ خِصال سأُبيِّنها لك فَتَقْدِمين عليَّ[6] أو تدعين ؛ قالت : وما هي ؟ قال : إن الحرّة إذا دنت منّي أملّتني ، واذا تباعدتْ عني أعلّتني ، ولا سبيل الى دِرهمي وديناري ، ويأتي عليَّ ساعةٌ من المَلال لو أنّ رأسي في يدي نَبَذْتُه ؛ فقالت : قد فَهِمنا مقالتَك ووعَيْنا ما ذكرتَ ، وفيك بحمد الله خصالٌ لا نرضاها لبنات إبليسَ ، فٱنصرِفْ رحمك الله .

---

(١) شمرت : جدّت وأسرعت . (٢) الثمال بالكسر : الملجأ والغياث والمطعم في الشدّة .

(٣) جار وخار بمعنى رفع صوته ، وقد سهلت همزة الأولى للازدواج .

(٤) في الأصل «ضرط» وبها لا يستقيم أسلوب القصة وسياقها . ولعل صوابها ما أثبتناه أو لعلها "انخرط" بمعنى خرج من المكان . وانفتل : التوى ، يريد أنه انصرف معتدلا . وانخزل : مشى في تثاقل .

(٥) ازورّ : مال وانحرف . واقطوطى : تثاقل في مشيه . (٦) وردت هذه الجملة في الأصل هكذا «فتقدمي علي أو تدعي» بدون إثبات النون في الموضعين وهو مخالف للقواعد العربية .

قال بعض الشعراء :

ألا ياليـــلَ إن خُيِّرتِ فينا * بعيشكِ فانظرى أين الخيارُ
فلا تَسْتنكِحى فَدْما[1] غَبِيًّا * له ثارٌ وليس عليـــه ثارُ

وقال آخرُ[2] لامرأته :

فإمّا هَلَكتُ فلا تَنكِحِى * ظَلومَ[3] العشـــيرة حَسَّادَها
يَرى مجدَه[4] ثَلْب أعراضِها * لديه ويُبْغِض مَنْ سادها

وقال آخر[5] :

فلا تَنْكِحِى إن فرّق الدهرُ بيننا * أَغَمَّ[6] القَفَا والوجهِ ليس بأَنْــزَعا
من القوم ذا لونَينِ وسّع بطنَــه * ولكن أُذَيًّا[7] حِلمُـــه ما تَوسّعَا
ضَروبًا بلَحْيَيْـه على عَظْمِ زَوْره * إذا القـــومُ هَشُّوا لِلفَعَال تَقَنَّعا

---

(١) الفدم : العيّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم . (٢) الشعر لحسان بن ثابت رضى الله عنه كما فى ديوانه والكامل للبرد من قصيدة له مطلعها :

ألم تذرالعين تسهادها * وجرى الدموع وإنفادها

(٣) فى الديوان : «خذول» .

(٤) رواية هذا البيت فى الديوان :

يرى مدحه شتم أعراضها * سفاها ويبغض من سادها

(٥) هوهدبة بن خشرم قال هذا الشعر لامرأته حين قدّم ليؤخذمنه بالثأر وكانت من أجمل النساء . وله فى ذلك قصة طويلة ذكرها أبو الفرج فى ترجمته فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى (ص ٢٦٤ — ٢٨٠ طبع أوروبا) والبغدادى فى الخزانة (ج ٤ ص ٨٤ — ٨٨ طبع بولاق) . (٦) الغمم : أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا . والنزع : انحسار مقدّم شعر الرأس عن جانبي الجبهة ، والعرب تحب النزع وتتيمن بالأنزع وتذمّ الغمم وتتشاءم بالأغم ، وتزعم أن الأغمّ القفا والجبين لا يكون إلا لئيما . (٧) أذيا : شديد التأذى ضيق الصدر . ولم يوجد هذا البيت فى هذا الشعر لا فى الأغانى ولا فى الخزانة .

زوّج إبراهيمُ بن النعمان بن بشير يحيي بن [أبي] حفصة مولى عثمانَ بن عفّان آبنتَه على عشرين ألف درهم، فعُيِّر فقال :

فمـا تركتْ عشرون ألفًا لقـائل * مَقالًا فـلا تحفِــلْ مقـالةَ لائم
فإن أكُ قد زوّجتُ مولًى فقد مَضتْ * به سُــنّةٌ قبلى وحبُّ الدّراهـــم (١)

ويحيى هـذا جدّ مروان الشاعر، وكان يهودياً فأسلم على يد عثمان (٢). وتزوج أيضا خولةَ بنت مُقَاتِل بن طَلْبَة بن قيس بن عاصم سيِّد أهل الوبَر. فقال القُلاخُ (٣) :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالت حين أنْكَحَها * لطالمَـا كنتُ منك العـارَ أنتظرُ
أنكحتَ عبدَيْنِ ترجو فضلَ مالهما * فى فِيكَ مِمـا رجوتَ التُّرْبُ والحَجَرُ
لله دَرُّ جِيـادٍ أنتَ سائِسُهـا * بَرْذَنْتَها وبهـا التّحجيلُ والغُــرَرُ

•

خطَب رجلٌ الى آبن عبّاس يتيمةً له، فقال آبن عبّـاس : لا أرضاها لك ؛ قال : ولِم، وفى حِجْرِك نشأتْ ؟ قال : لأنها تُتشرّف (٤) وتنظر. قال : وما هذا ! فقال ابن عبّاس : الآن لا أرضاك لها .

كتب زِيادٌ الى سَعيد بن العاص يخطُب اليه أُمَّ عثمان بنتَ سعيد وبعث اليه بمالٍ كثيرٍ؛ فلما قرأ الكتاب أمر حاجبَه بقبض المـال والهدايا، فلما قبضها أمره

---

(١) هذان البيتان قيلا ردّا على من قال يعيره بهذين البيتين :

لعمرى لقـــد جللت نفسك خزية * وخالفت فعل الأكثرين الأكارم
ولو كانــ جدّاك اللذان تتابعا * ببــدر لمـا راما صـــنيع الألائم

(٢) الذى فى الأغانى (ج ٩ ص ٣٦ طبع بولاق) أن الذى كان يهوديا فأسلم هو أبو حفصة، وأهــله ينكرون ذلك ويذكرون أنه من سبي إصطخر وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم .

(٣) هو القلاخ بن جناب من بنى حزن بن منقر، وقد ذكره المؤلف فى كتابه الشعر والشــعراء (ص ٤٤٤ طبع أوروبا) . (٤) تتشرف : تتطلع .

بقَسْمها بين جُلَسائه ؛ فقال الحاجب : إنها أكثر من ذلك ؛ فقال : أنا أكثر منها ، ففعل ؛ ثم كتب الى زيادٍ : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فإنّ الإنسان لَيَطْغَى أنْ رآه آستغنَى .

خطَب لَقيط بن زُرَارة الى قيس بن خالد ذى الجَدَّيْنِ الشَّيْبانىّ ؛ فقال له قيس : ومن أنت؟ قال : لَقِيطُ بن زُرَارة . قال : وما حَمَلك أن تخطُبَ إلىّ عَلَانيةً؟ فقال : لأنّى عرفتُ أنّى إن عالنتُك لم أفْضَحْك وإن سارَرْتُك لم أَخدَعْك ؛ فقال : كفء كريم ، لا تَبِيتُ واللهِ عندى عَزَبًا(١) ولا غريبا . فزوّجه آبنته وساقَ عنه .

قال رجل للحسن : إن لى بُنَيّة وإنها تُخْطَب ، فِمَّن أُزَوِّجها ؟ فقال : زوِّجْها ممن يتقِى اللهَ ، فإن أحبّها أكرمها ، وإن أبغضها لم يَظْلِمها .

قال أبو اليَقْظان : خطَب عمرُ بن الخطّاب أمَّ أبَان(٢) بنتَ عُتْبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيدُ بن أبى سُفْيان ، فقالت : لا يدخل إلا عابسا ولا يخرج إلا عابسا ، يُغْلِق أبوابَه ويُقِلّ خيرَه . ثم خطبها الزُّبَيْر ، فقالت : يدٌ له على قُرُونِى ويدٌ له فى السَّوْط . وخطبها علىٌّ ، فقالت : ليس للنساء منه حظٌّ إلا أن يَقعُد بين شُعَبِهن الأربع لا يُصِبْن منه غيرَه . وخطبها طلحة فأجابت فتزوّجها ؛ فدخل عليها علىٌّ بن أبى طالب فقال لها : رَدَدتِ مَنْ رَددتِ منّا وتزوّجتِ آبن بنت الحَضْرَمىّ ! فقالت : القضاء والقدر ؛ فقال : أمَا إنكِ تزوّجتِ أجملَنا مَرْآةً وأجودَنا كفًّا وأكثرَنا خيرًا على أهله .

---

(١) ساق عنه : دفع عنه المهر . (٢) كذا فى تاريخ الطبرى (قسم أول ج ٩ ص ٢٧٣٤ طبعة أوربا) ، وفى الأصل : «امرأة أبان بن عتبة» وهو تحريف .

الحضّ على النكاح وذمّ التبتّل

عن عَكّاف بن وَدَاعة الهِلالىّ : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له : " ياعَكّاف ألك آمرأةٌ " قال : لا ، قال : " فأنت إذًا من إخوان الشــياطين إن كنتَ من رُهبان النصارى فآلحَق بهم و إن كنتَ منّا فمن سُنّتِنا النكاحُ[1] " .

عن طاوُس أنّ رســولَ الله صلّى الله عليه وسلم قال : " لازِمامَ[2] ولا خِزامَ ولا رَهْبَانيّةَ فى الإسلام ولا تَبَتُّلَ ولا سِياحةَ فى الإسلام " .

عن إبراهيمَ بن مَيْسرةَ قال : قال لى طاوُس : لَتَنْكِحَنّ أو لَأَقُولَنّ لك ما قال عمر لأبى الزوائِد[3] : ما يَمنَعُك من النكاح إلا عجزٌ أو فجور .

(١) رواية هذا الحديث فى أسد الغابة (ج ٤ ص ٣ طبع مصر) : «جاء عكاف بن وداعة الهلالى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياعكاف ألك زوجة" قال : لا ؛ قال : "ولا جارية" قال : لا ؛ قال : "وأنت صحيح موسر" قال : نعم والحمد لله ؛ قال : "فأنت اذا من إخوان الشياطين إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع و إن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ويحك ياعكاف تزوّج" قال : فقال عكاف : يارسول الله لا أتزوج حتى تزوجنى من شئت ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميرى"» .

(٢) أراد ما كان عباد بنى اسرائيل يفعلونه من زم الأنوف وهو أن يخرق الأنف ويجعل فيه زمام كزمام الناقة ليقاد به . والخزام : جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير ، كانت بنو اسرائيل تخزم أنوفها وتخرق تراقيها ونحوذلك من أنواع التعذيب فوضعه الله عن هذه الأمة ، أى لا يفعل الخزام فى الاسلام . والرهبانية : من رهبنة النصارى ، وأصلها من الرهبة بمعنى الخوف ، كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها حتى إن منهم من كان يخصى نفســه و يضع السلسلة فى عنقه وغير ذلك من أنواع التعــذيب فنفاها النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ونهى المسلمين عنها . والتبتل : الانقطاع عن النساء وترك النكاح . والسياحة : الذهاب فى الأرض ؛ قال ابن الأثير : أراد مفارقة الأمصار وسكنى البرارى وترك شهود الجمعة والجماعات ؛ وقيل : أراد الذين يسعون فى الأرض بالشر والنميمة والإفساد بين الناس .

(٣) أبو الزوائد — و يقال له : ذو الزوائد وذو الأصابع — : صحابىّ .

عن إبراهيم قال : قال عَلْقمة لآمرأته : خُذِى أحسنَ زينتِك ثم آجلسى عند رأسى، لعلّ اللهَ أن يرزُقَك من بعض عوّادِى خيرا .

وفى بعض الأخبار: أربعٌ من سُنَن المرسلين: التّعطُّر، والنِّكاح، والسِّواكُ، والخِتَان.

باب الحسن والجمال

عن عائشةَ رضى الله عنها قالت : خطَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آمرأةً من كَلْب، فبعثنى أنظُر اليها، فقال لى: "كيف رأيتِ"؟ فقلت: ما رأيت طائلا؛ فقال: "لقد رأيتِ خالًا بخدِّها آقشعرّ كل شَعَرةٍ منك على حِدَةٍ"؛ فقالت: ما دونك سِتْر[1] .

القَحْذَمِىّ قال : دخل أبو الأسود على عُبَيْد[2] الله بن زيادٍ فقال : أصبحتَ جميلًا، فلو تعلّقتَ معاذةً[3]! فظنّ أنه يهزأ به فقال :

أفنى الشبابَ الذى أبليتُ جِدّتَه * مَرُّ الجديدينِ[4] من آتٍ ومُنطَلِقِ
لم يُبْقِيا لِىَ فى طُول آختلافِهما * شيئًا يُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَقِ

عن حَيّانَ بنِ عُمَيرٍ قال : دخلت على قَتادةَ بن مِلْحان، فمرّ رجل فى أقصى الدار فرأيته[5] فى وجه قتادة، فقال : إنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم مسَح وجهَه .

(١) كذا ورد هذا الحديث فى الأصل . والذى ورد فى كتاب أخبار النساء (ص ٩ طبع مصر) لابن قيّم الجوزية : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضى الله عنها تنظر اليها، فقال لها : "كيف رأيتها؟" قالت : ما رأيت طائلا؛ قال : "لقد رأيت طائلا ولقد رأيت خالا بخديها (صوابه خالا بخدها) حتى اقشعرت كل شعرة فيك" فقالت : ما دونك ستر يا رسول الله» .

(٢) فى الأغانى (ج ١١ ص ١١٨ طبع بولاق) : « دخل أبو الأسود الدؤلى على معاوية» .

(٣) المعاذة : ما يكتب و يعلق على الانسان ليقيه العين . وفى كامل المبرد طبع أوربا (ص ٣٢٩) والأغانى (ج ١١ ص ١١٨) : «تميمة» وهى بمعناها . (٤) الجديدان : الليل والنهار .

(٥) فى أخبار النساء : «فرأيت صورته فى وجه قتادة» وذلك أن النبىّ صلى الله عليه وسلم مسح وجهه» .

عن عَوْن بن عبـد الله قال : كان يُقال : مَنْ كان فى صورةٍ حسنةٍ ومَنْصِب لا يَشِينه ووُسِّع عليه فى الرزق، كان من خالصةِ الله .

وقال الحكم بن قَنْبَر[1] :

ليس فيها ما يُقـال له * كَمَلَتْ لو أنّ ذا كَمَلَا
كُلُّ جزءٍ من مَلَاحتها[2] * كائنٌ من حُسنها مَثَلَا
لو تَمَنَّتْ فى مَتَاعتهـا[3] * لم تُرِدْ من نفسها بَدَلَا

وقال بعضُ المُحْدَثين :

فلما رأَوْكِ العاذلون تَجَجتُهم * بحُسْنِك حتّى كلُّهم لِىَ عاذرُ

وقال أيضا :

تَحيَّر من حُسنه فهمُه * وتاه وحَقٌّ له أن يَتِيهَا
رأى غيرَه و رأى نفسَه * فلم يَرَ فيه لشىءٍ شبِيهَا

وقال الأعشى فى وصف آمرأة :

فأفضيتُ منها الى جَنّةٍ * تَدَلّت علىّ بأثمـارها

عن عائشــة رضى الله عنهـا قالت : يَؤُمُّ القومَ أقرؤهم لكتّاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواءً فأصبَحُهم وجها .

---

(١) هو الحكم بن محمد بن قنبر المـازنى، وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩ — ١٢ طبع بولاق).
(٢) رواية الأغانى :

كل جزء من محاسنها * كائن فى فضـله مثلا

(٣) متاعتها : ظرفها ، والمـاتع من كل شىء : البالغ فى الجودة الغاية .

وقال جَميل بن مَعْمَر : ما رأيتُ مُصْعَباً يختالُ بالبَـلاط[1] إلا غِرتُ على بُثَيْنة، وبينهما ثلاثةُ أيّام .

عن الشَّـعْبيّ[2] قال : دخلتُ المسجدَ باكرًا ، وإذا بمُصْعَب بن الزُّبَير والنـاسُ حولَه ، فلما أردتُ الآنصرافَ قال لى : ادنُ ، فدنوتُ منه حتى وضعتُ يدى على مِرْفَقَته[3] ، فقال : إذا أنا قمتُ فآتْبَعْنى ، وجلس قليلا ، ثم نهض فتوجّه نحوَ دارِ موسى ابن طَلْحة فتتبّعتُه ، فلما أمعنَ فى الدار التفتَ إلىّ وقال : ادخُلْ ، فدخلتُ [معـه ومضى نحوَ حُجْرته وتبِعتُه ، فالتفتَ الىّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه][4] فاذا حَجَلةٌ[5] ، فطُرِحَتْ لى وِسادةٌ فجلستُ عليها ، ورُفِـع سِجْفُ القُبّـة ، فإذا أجملُ وجهٍ رأيتُـه قطّ ، فقال : ياشَـعْبىّ ، هل تعرف هذه؟ قلت : نعم ، هذه سـيِّدةُ نساء العالمين عائشةُ بنتُ طَلْحة ، فقال : هذه ليلى ، ثم تمثّل :

وما زِلتُ[6] من ليلَى لَدُنْ طَرّ[7] شارِبى ＊ الى اليـومِ أُخْفِى إحْنَـةً[8] وأُداجِنُ
وأَحْمِـلُ فى ليـلَى لقومٍ ضَـغينَةً ＊ وتُحمَـلُ فى ليـلَى علَىّ الضـغائنُ

ثم قال : اذا شئتَ يا شَعْبىّ [فقم][9] فخرجت ، [فلما كان العشىّ رُحتُ][9] الى المسجد فإذا مُصْعَبٌ بمكانه ، فقال لى : ادْنُ ، فدنوتُ ، فقال لى : هل رأيتَ مثلَ ذلك لإنسانٍ [قطُّ][9] ؟ قلت : لا ، قال : أتدرى لِمَ أدخلناك ؟ قلت : لا ، قال : لِتُحَدِّث بمـا رأيتَ . ثم آلتفت الى [عبـد الله بن][9] أبى فَرْوة فقال : أعْطِه[10] عشرةَ

(١) البلاط : موضع بالمدينـة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة . (٢) ورد هذا الخبر فى الجزء الثانى من كتاب الأغانى (ص ٣٧٩ طبع دار الكتب المصرية) بزيادة عما هنا . (٣) المرفقة : المخدة أو المتكأ يتكأ عليه بالمرفق . (٤) التكلة عن الأغانى . (٥) الحجلة (بالتحريك) : مثل القبة ، وحجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور . (٦) الشعر لكثير كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٣٧٩ طبع دار الكتب المصرية) (٧) طر شارب الغلام (من باب نصر فهو طار) : طلع ونبت . (٨) رواية الأغانى : «حبها» . (٩) الزيادة عن الأغانى . (١٠) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «أعطنى» وهو تحريف .

آلاف درهم وثلاثين ثوبًا ، فما آنصرف [يومئذ] أحدٌ بمثل ما آنصرفتُ به : بعشرة آلاف [درهم]، و بمثل كارة[1] القصّار، ونَظَرِى[2] الى عائشة .

أبو الغُصْن الأعرابىّ قال : خرجتُ حاجّا، فلمّـا مررتُ بقُبَاءَ تداعَى[3] أهـلُه وقالوا : الصَّقِيل[4] الصَّقيل ! فنظرتُ واذا جارية كأنّ وجهها سـيفٌ صقيلٌ، فلمّا رَمَيْناها بالحَدَق أَلْقتْ البُرْقع على وجهها، فقلْنا : إنّا سَفْرٌ وفينا أَجْرٌ، فأَمْتِعينا بوجهك؛ فانْصَاعتْ وأنا أعرِف الضَّحِك فى وجهها وهى تقول :

وكنتَ متى أرسلتَ طَرْفَك رائدا * لقَلْبِــك يوما أتعبتْكَ المنـاظرُ
رأيـتَ الذى لا كُلُّه أنتَ قادرٌ * عليــه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

ومرّ رجلٌ[5] بناحية البادية فإذا فتاةٌ كأحسن ما تكون، فوقَفَ ينظر إليها، فقالت له عجوز من ناحية : ما يُقِيمُكَ على الغزال النَّجْدِىّ ولا حظّ لك فيه، فقالت الجارية : يا عَمّتاه، يظنّ كما قال ذو الرُّمّة :

و إنْ لم يكن إلّا تعلُّلُ[6] ساعةٍ * قليــلًا فإنّى نافعٌ لى قَلِيلُهَـا

وقال بعض المحدَثين :

الخـالُ يَقْبُحُ بالفتى فى خـــدّه * والخـالُ فى خــدّ الفتاة مَلِيحُ
والشَّيبُ يَحْسُنُ بالفتى فى رأسه * والشيب فى رأس الفتـاة قبيحُ

وقال جعفر بن محمد : الجَمَالُ مَرْحُومٌ .

رأى رجلٌ شُرَيحا يَجُول فى بعض الطُّرُق فقال : ما غدا بك؟ فقال : عَسِيتُ أن أنظرَ الى صورة حسنة .

---

(١) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشد . وسميت كارة القصار بذلك لأنه يكوّن ثيابه فى ثوب واحد و يحملها فيكون بعضها فوق بعض . (٢) فى الأغانى : «ونظرة الى عائشة» . (٣) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا . (٤) الصقيل : المجلو . و يقال للسيف : الصقيل لجلائه . (٥) ورد هذا الخبر فى كتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية (ص ٨٩ طبع مصر) والأغانى (ج ١٦ ص ١٢٥ طبع بولاق) بتطويل عما هنا . (٦) فى كتاب أخبار النساء : «تمتع» و فى الأغانى : «إلا معرّس ساعة» .

قالت آمرأةُ خالد بن صَفْوان له يوما : ما أجملَك ! قال : ما تقولين ذاك وما لِي عمودُ الجمال، ولا علىَّ رِدَاؤه ولا بُرْنُسه(١)؛ قالت : ما عمودُ الجمال وما رِدَاؤه وما بُرْنُسُه ؟ قال : أما عمودُ الجمال فطُولُ القَوَام وفىَّ قِصَرٌ، وأمّا رداؤه فالبياض ولستُ بأبيض، وأمّا بُرْنُسُه فسَوَادُ الشعر وأنا أَصْلَع ، ولكن لو قلتِ : ما أحلاكَ وما أملحكَ، كان أولى .

أبو اليَقْظان قال : كان يُسَمَّى جَيْش ابن الأَشْعث جَيْشَ الطواويس ، لكثرة مَن كان فيه من الفِتْيان المنعوتين بالجمال .

قال : وقال أبو اليقظان : سَمِع عمر بن الخطاب قائلا بالمدينة يقول :

أعوذُ بربِّ الناس من شرِّ مَعْقِلٍ * اذا مَعْقِلٌ رَاح البَقِيعَ مُرَجَّلا

يعنى مَعْقِل بن سِنَان الأشجعىّ ، وكان قَدِمَ المدينةَ ؛ فقال له عمر : الحقْ بِبَادِيَتِك .

وسمع امرأةً ذاتَ ليلة تقول :

أَلَا(٢) سبيلَ الى خَمْرٍ فأَشْرَبَها * أم هل سبيلٌ الى نصر بن حَجّاج

(١) البرنس : قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الاسلام ، وهو أيضا كل ثوب رأسه ماتزق به .

(٢) فى تزيين الأسواق (ج ٢ ص ٢٩ طبع بولاق) : «هل من سبيل ... أو من سبيل ... الخ» . وورد فيه بعد هذا البيت :

الى فتى ماجد الأعراق مقتبل * سهل المحيّا كريم غير ملجاج
نمته أعراق صدق حين تنسبه * أخى حفاظ عن المكروب فرّاج

فقالت لها آمرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أودّ لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد ، فدعا بها عمر فخفقها بالدرّة ، ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان ؛ فقال له : لا تساكنّى فى بلدة يتمناك النساء بها ، وأخرجه الى البصرة ؛ وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه :

قل للإمام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى غنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجى
إن الهوى زمه التقوى فقيده * حتى أقرّ بإلجام و إسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجى
لاتجعل الظنّ حقا أو تبينه * إن السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل اليها : قد بلغنى عنك خير فقرّى . اه .

وهـذا نصرُ بن حجّاج بن علاط البَهْزِىّ(١)، وكان من أجمل الناس ، فدعا به عمرُ فَسيّرهُ الى البصرة — فأتى مُجَاشِعَ بن مسعود السُّلَمِىّ فدخل عليه يوما وعنده آمرأته شُمَيلة(٢) وكان مجاشع أمّيًّا ، فكتب نصر على الأرض : أُحبُّك حُبًّا لو كان فَوْقك لأَظَلَّك ، أو تحتك لأَقَلَّك ؛ فكتبتْ هى : وأنا والله كذلك ؛ فكبَّ مجاشعٌ على الكتابة إناءً ثم أَدخلَ كاتبا فقرأه ، فأخرجَ نصرا وطلّقها — فقال نصر بن حجّاج :

وما لىَ ذنبٌ غيرَ ظَنٍّ ظننتَهُ * وفى بعض تصديق الظنون أثامُ
لَعَمْرِىَ إنْ سَيَّرْتَنِى أو حَرَمْتَنِى * وما نِلتُ ذنبًا إنّ ذا لَحَرامُ
أأن غَنَّتِ الذَّلْفاءُ ليلا بِمُنْيَةٍ * وبعضُ أمانىِّ النساء غرامُ
ظننتَ بِىَ الظنّ الذى ليس بعده * بقاءٌ ومالى فى النَّدِىِّ كلامُ
فأصبحتُ منفيًّا على غير رِيبةٍ * وقد كان لى بالمَكَّتَيْنِ مُقَامُ
ويَمنعنى ممّا تمنّتْ تكرُّمى * وآباءُ صِدْقٍ سالفون كرامُ
ويمنعها ممّا تَمَنَّت حياؤها * وحالٌ لها مع عِفّةٍ وصيامُ
وهاتان حالانا فهل أنتَ راجعى * وقد خفَّ منّى كاهلٌ وسَنامُ

وأنا أحسب هذا الشعر مصنوعا .

قال لَقِيط بن زُرَارة(٣) :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم * دُجَى الليل حتى نَظَّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ

(١) كذا فى الكامل للبرد (ص ٣٣٣ طبع أوربا) والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى . وفى الأصل : «النهرى» بالنون والراء وهو تحريف . (٢) هى شميلة بنت جنادة بن بنت أبى أزهر الزهرانية كما فى الأغانى (ج ١٩ ص ١٤٣ طبع بولاق) . وفى تاج العروس مادة «شمل» : «شميلة بنت أبى أزيهر الدوسى زوج مجاشع بن مسعود السلمى أمير البصرة ثم خلف عليها عبد الله بن عباس وكانت جميلة» . وفى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى : «شميلة بنت أبى حياء بن أبى بهر وكانت من أجمل النساء» .

(٣) نسب هذا البيت فى الكامل للبرد (ص ٣٠ طبع أوربا) والأغانى (ج ١١ ص ١٣٢ طبع بولاق) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٨٣) لأبى الطمحان القينى . وقد نص المؤلف على صحة نسبة هذا البيت للقيط فقال فى كتابه الشعر والشعراء فى ترجمة لقيط بن زرارة (ص ٤٤٦ طبع أوربا) بعد ذكره هذا الشعر ما نصه : «وبعض الرواة يحل هذا الشعر أبا الطمحان القينىّ وليس كذلك إنما هو للقيط» .

قال أبو الطَّمَحان القَيْنِيّ :

يَكادُ الغَمامُ الغُـرُّ يرْعَدُ أن رأى * وجوهَ بنى لَأْمٍ (١) ويَنْهَـلُّ بارِقُهْ

وقال آخر (٢) :

وجوهٌ لو آنّ المُعْتَفِين (٣) آعتشَوْا بهـا * صَدَعْنَ الدُّجَى حتى تَرَى الليلَ يَنْجلِي

قال عمر بن الخطاب [رضى آلله عنه] (٤) : إنّا اذا سَمِعنا بكم شَعَرْنا أَحْسَنُكم وجوها، واذا اختبرناكم كانت الخِبْرة أولَى بكم .

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه : خُصِصنا بخمس : بصَبَاحة، وفصاحة، وسماحة، ورَجَاحة، وحُظْوة (يعنى [عند] النساء) . وسئل عن بنى أميّة فقال: هم أغدرُ وأفجرُ وأمكرُ، ونحن أفصحُ وأصبحُ وأسمح .

رأتِ آمرأةُ الزبيرَ فقالت : مَن هــذا الذى هو أرقمُ يتَلَمَّظ (٥) ؟ ورأتْ عليًّـا فقالت : مَن هــذا الذى كأنه كُسِر ثم جُبِر؟ ورأتْ طَلْحة فقالتْ : من هذا الذى كأنه دينارٌ هِرَقْلِيّ (٦) ؟ .

ألبستْ سُكَينةُ بنتُ الحسين آبنةً لهـا دُرًّا كثيرا وقالتْ : واللهِ ما ألبستُها إيّاه إلّا لتفضَحَه .

---

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف . وهم بنو لأم بن عمرو بن طريف . وفى الأصل : « بنى لاء » وهو خطأ .

(٢) هو مزاحم العقيلى كما فى اللسان مادّة «عشا» . (٣) فى اللسان مادة عشا : «المدلجين» والمعتفى : كل طالب فضل أو رزق . (٤) جاء فى الكتاب المتضمن لمناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه المطبوع بمطبعة السعادة بمصر (ص ١٩٥) المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٧٣ تاريخ ما نصه : «عن عدىّ بن ثابت قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أحبكم الينا ما لم نركم، أحسنكم اسما، فاذا رأينا كم فأحبكم الينا أحسنكم أخلاقا، فاذا اختبرنا كم فأحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة» . (٥) التلمظ : أن تأخذ بلسانك ما يبقى فى الفم بعد الأكل . وتلمظت الحية اذا أخرجت لسانها كتلمظ الآكل . (٦) نسبة الى هرقل من ملوك الروم وكان ديناره أحمر التبر .

وقال بعض الشعراء يذكر نساءً جِئْنَ مع جارية :

أقبلْنَ في رأْدِ الضَّحاء[1] بهـا * وسَتَرْنَ وجهَ الشمسِ بالشمسِ

ذكر بعضُ الأعراب آمرأةً قال : خَلَوتُ بهـا والقمرُ يُرِينيها ، فلمّـا غاب أَرَتْنِيـــه .

وقال بعض الشعراء[2] :

غلامٌ رماهُ اللهُ بالحُسْنِ[3] يافِعًـا * له سِيمِيَاءُ لا تَشُـــقُّ على البَصَرْ
كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في جَبِينِه * وفي أنفه الشِّعْرَى[4] وفي وجهه القَمَرْ
ولـمّـا رأى المجدَ آستُعِيرتْ ثيابه * تَرَدَّى بثوبٍ واسِعِ الذَّيْلِ وأْتَزَرْ
إذا قِيلَتِ العَوْراء[5] أَغْضَى كأنه * ذليـلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاءَ لَٱنْتَصَرْ

قال غلامٌ من الأعراب لأمّه :

نَشَدْتُكِ بالله هــل تَعْلَمِينَ * بأنِّى طويلٌ وأنِّى حَسَـــنْ

---

(١) الضحاء ممدود مذكر : وقت ارتفاع النهار واشتداد وقع الشمس ، وقيـــل هو اذا علت الشمس الى ربع السماء .

(٢) ذكر أبو الفرج أن هـــذا الشعر مدح به عويف القوافى عبد الرحمن بن محمد ابن مروان وكان قد كفاه فى حمالة لزمته ، ثم قال : ان أبا زيد ذكر أن هذه الأبيات لابن عنقاء الفزارى فى ابن أخيه عميلة وكان قد شاطره ماله ، وروى أن أوّل الشعر :

رآنى على مابى عميلة فاشتكى * الى ماله حالى أسرّ كما جهر

وأن عويفا تمثل به . وذكر أبو على القالى فى أماليه لذلك قصة طويلة تؤيد كلام أبى زيد (انظر الأغانى (ج ١٧ ص ١١٧ طبع بولاق) والأمالى (ج ١ ص ٢٣٧ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) فى الأغانى : « بالخير » قال ابن برى : وحكى على بن حمزة أن أبا رياش قال : لا يروى بيت ابن عنقاء الفزارى :

* غلام رماه الله بالحسن يافعا *

إلا أعمى البصيرة لأن الحسن مولود ، وإنمـا هو : * رماه الله بالخير يافعا * وقوله : لا تشق على البصر ، أى يفرح به من ينظر اليـــه . (راجع لسان العرب مادة سوم) .

(٤) رواية الأغانى :

* وفى خده الشعرى وفى جيده القمر *

(٥) العوراء : الكلمة القبيحة .

قالت : قَبَّحَكَ الله ! فكان ماذا ؟ قال :

وأنّى أُقَمِّصُ بالدّارعين * غَدَاةَ الصَّباحِ[(١)] وأَحْمِي الظُّعُنْ

قال عمّه : فهلّا كان ذا قبلُ ! .

قال الشاعر[(٢)] :

بَيْضاءُ تُسْحَبُ من قيامٍ شَعْرَها[(٣)] * وتَغيبُ فيه وهو جَثْلٌ[(٤)] أَسْحَمُ

فكأنّها فيه نَهارٌ ساطِعٌ * وكأنه ليلٌ عليها مُظلِمُ

وقال الطائىّ :

بيضاءُ تبدو فى الظلام فيكتسى * نورًا وتبدو فى النهار فَيُظْلِمُ

وصف أعرابىّ آمرأةً فقال : كادَ الغزالُ يكونها، لولا ما تمَّ منها ونقص منه.

قال آبن الأعرابىّ : الحلاوة فى العينين، والجمال فى الأنف، والملاحةُ فى الفم.

قال أعرابىّ يصف آمرأةً :

خُزَاعِيَّةُ الأطراف مُرِّيَّةُ الحَشَا * فَزَارِيَّةُ العَيْنين طائيّةُ الفَمِ

كان المُقَنَّع[(٥)] الكِنْدِىّ من أجمل الناس وكانَ يتقنَّعُ لأنه كان متى سَفَرَ لُقِـعَ (أى أُصيب بِعَيْنٍ)، وهو القائل :

---

(١) غداة الصباح : غداة الغارة . (٢) هو بكر بن النطاح كما فى أمالى القالى (ج ١ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب المصرية) ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢١) وأشعار الحماسة (ص ٥٦٥ طبع أوربا) .

(٣) فى نهاية الأرب وأشعار الحماسة : «فرعها» . (٤) جثل : كثير ملتف . وأسحم : أسود . وفى أشعار الحماسة : «وحف» وهو الكثير الحسن . (٥) اسمه محمد بن ظفر بن عمير، والمقنع لقب غلب عليه ، كان أحسن الناس وجها وأمدّهم قامة وأكملهم خلقا ، وهو شاعر مقلّ من شعراء الدولة الأموية .

وفى الظَّعائنِ(١) والأحداجِ(٢) أملحُ مَنْ * حَلَّ العِـراقَ وحلَّ الشامَ واليَمَنَا
جِنِّيَّةٌ من نساء الإنسِ أحسنُ مِنْ * شَمْسِ النهار وبَدْرِ الليـل لوقُرِنَا

الحَكَم بن صَخْر الثَّقَفِىّ قال : خرجتُ حاجًّا مُختفِيًا، فلمّا كنتُ ببعض الطريق أَتَتْنى جاريتان من بنى عُقَيل لم أر أحسنَ منهما وجوها، ولا أظرفَ ألسنةً ولا أكثر علمــا وأدبًا، فقصَّرتُ بهما يومى فكسوتُهما. ثم حججتُ من قابِلٍ ومعى اهلى، وقد أصابتنى عِلَّةٌ فنَصَل(٣) لها خِضَابى، فلمّــا صرتُ إلى ذلك الموضع(٤) فاذا أنا بإحداهما، فدخلتْ علىَّ، فسألتُ مسألةَ مُنْكِرٍ فقلت : فلانة ! قالت : فِدًى لك أَبِى وأُمى! تَعرِفُنِى وأُنكِرُك؟! قلتُ : أنا الحَكَم بن صَخْر، قالت : إنى رأيتُــك عامًا أوَّلَ شابًّا سُوقَةً وأراك العامَ مَلِكا شيخا، وفى دُون هذا يُنكِر المرءُ صاحبَه(٥)، قلتُ : مافعلتْ أختُكِ؟ قالت : تزوجها ٱبنُ عمٍّ لها وخرج بها الى نَجْـد(٦) فذلك حيث يقول :

إذا ما قَفَلْنا نحوَ نَجْــدٍ وأهلِه * فحَسْبِى من الدُّنيا قُفُولٌ إلى نَجْدِ

فقلتُ : لو أدركتُها لتزوَّجتها، فقالت : ما يمنعك من شقيقتها فى حَسَبِها، ونَظِيرتِها فى جمالها؟ — تعنى نفسها — قلتُ : يمنعنى من ذلك ما قال كُثَيِّر :

إذا وَصَلَتْنا خُــلَّةٌ كى تُزِيلَنــا(٧) * أَبَيْنَــا وقلنا ٱلحــاجِبِيَّةُ أوّلُ

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج، ثم قيل للهودج بلا آمرأة وللمرأة بلا هودج : ظعينة.
(٢) الأحداج : جمع حدج وهو من مراكب النساء يشبه المحفة. (٣) فى الأصل : «فنضب».
(٤) هــذا الموضع يسمى « إمرة » بكسر أوّله وتشديد ثانيه كما فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ٢٤ طبع بولاق) وفرائد اللآل (ج ٢ ص ٦٥ طبع بيروت) والذى فى معجم ما آستعجم أنه موضع فى ديار بنى عبس.
(٥) فى المحاسن والاضداد للجاحظ (ص ٢١١) وردت هــذه العبارة هكذا : « وفى وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها » وهو مثل لفظه فى الميدانى «فى دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها» وقد وردت هذه القصة فى مجمع الأمثال مع اختلاف يسير. (٦) كذا فى المحاسن والأضـداد (ص ٢١١ طبع أوربا). وفى الأصل : « أضاح » بالحاء المهملة وهو محرّف عن «أضاخ» بالمعجمة وهى من قرى اليمـامة كما فى ياقوت. (٧) كذا فى الأصل» وفى مجمع الأمثال : « تزيلها ».

فقالت : فكُثَيِّر بيني و بينك ، أليس هو القائل :

هل وصلُ عَزَّةَ إلا وصلُ غانيــةٍ * فى وصل غانيةٍ من وصلها خَلَفُ

فسكت عيًّا عن جوابها .

قال أبو حازم[1] المدنىّ[2] : بينا أنا أرمى الجمار رأيتُ آمرأةً سافرةً من أحسن الناس وجهًا ترمى الجمارَ، فقلت: يا أَمَةَ الله، أمَا تتَّقين الله! تَسْفِرين فى هذا الموضع فَتَفْتِنين الناسَ ! قالت : أنا والله يا شيخ من اللواتى[3] قال فيهن الشاعر[4] :

منَ اللَّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغين حِسْبَةً * ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البرىءَ[5] المُغَفَّلَا

قلت : فإنّى أسأل الله ألّا يُعذِّب هذا الوجهَ بالنّار .

قال أعرابىّ :

يازينَ مَنْ ولدتْ حَوّاءُ من وَلَدٍ * لولاكِ لم تَحْسُنِ الدنيـا ولم تَطِبِ

أنتِ التى مَنْ أراه اللهُ صُورتَهـا * نالَ الخـلودَ فلم يَهْرَمْ ولم يَشِبِ

وقال أعرابىّ :

اذا هُنّ أَبْدَيْنَ الخدودَ وحُسِّرَتْ * ثغورٌ عن الأفواه كى نَتَبَسَّما

أجاد القضـاةُ العادلون قضـاءَهم * لهنَّ بِلا وَهْـمٍ وإنْ كنَّ أظلمـا

[وقال عُروة بن أُذَينة[6]] :

إنّ التى زعمتْ فؤادَك مَلَّها * خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هوًى لَهَا

(١) قال صاحب الأغانى بعد أن ذكر هذا الخبر (ج ١٧ ص ١٢١ طبع بولاق) : « وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين ، قد روى عن سهيل بن سعد وأبى هريرة ، وروى عنه مالك وابن أبى ذئب ونظراؤهما » . (٢) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «المدينى» . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١ ص ٤٠٤ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : « الذين قال لهم الشاعر » . (٤) هو العرجى . (٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : «البغىّ» وهو محرّف عن التقى و بذلك ورد فى ورقة ٨٤ ج ٣ من بهجة المجالس وأنس المجالس . (٦) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ١٦٨ طبع أوربا) وشرح أشعار الحماسة (ص ٥٤٦ طبع أوربا) ، وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة ، وفقيها محدثا وثقة ثبتا . ونسب هــذا الشعر فى الأصل الى المجنون ، ولم يرد فى ديوانه المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٤ ه ولا فى ترجمته الواردة فى كتاب الأغانى (ج ٢ ص ١ — ٩٥ طبع دار الكتب المصرية).

فإذا وجدتَ لهـا وساوسَ سَلْوةٍ * شَـفَع الفـؤادُ الى الضمير فَسَلَّها (١) (٢)

بيضـاءُ باكَرَها النعـيمُ فصاغَها * بِلَبَاقـــةٍ (٣) فأَدَقَّهـا وأَجَلَّهـا

وقال أعرابىّ يُرَقِّص آبنًا له :

يارَبِّ ربَّ مالكٍ بارِكْ فيهْ * بارِكْ لمن يُحِبُّه ويُدْنيـهْ

ذكَّرَنى لمّـا نظرتُ فى فِيهْ * أجزعَ (٤) نورٍ غربتْ أَوَاخيـهْ

والوجهُ لمـا أشرقتْ نواحيهْ * دينـارُ عينٍ بيـدِ تَبْرِيهْ

وقال آبنُ شُبْرُمَة (٥) : ما رأيتُ لِبَاسًا على رجل أزينَ من فَصاحةٍ، ولا رأيتُ لِبَاسا على آمرأةٍ أَزْينَ من شحمٍ .

قيل لأعرابىّ : إنك لَحَسَنُ الكُدْنة (٦) فقال : ذلك عنوان نعمة الله عندى .

قال الحجّاج : لا يحسُن نحرُ المرأةِ حتى يعظُم ثَدياها .

وقال المَرّار العدوىّ (٧) :

صَلْتَةُ (٨) الخدِّ طويلٌ جيدُها * ضَخْمَةُ الثَّدْى ولمّـا يَنْكَسِرْ

وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : لا تحسُن المرأةُ حتى تُروِىَ الرضيع، وتُدفِئَ الضَّجيع .

---

(١) كذا فى أشعار الحماسة والأغانى والأمالى . وفى الأصل : « دفع » . (٢) سلها : انتزعها وأخرجها . (٣) كذا فى أشعار الحماسة والأغانى . واللباقة : الحذق . وفى الأصل : « بلبانة » وهو تحريف . (٤) كذا بالأصل، ولم نوفق الى استجلاء معناه . (٥) نسبت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) لمحمد بن سيرين، وتختلف عما هنا قليلا . (٦) الكدنة (بالكسر وقد تضم) : كثرة الشحم واللحم . (٧) فى الأصل : « العبدى » وهو تحريف، إذ هو المرّار بن منقذ العـدوى من بنى العدوية (انظر شرح ابن الأنبارى للفضليات ص ١٢٢ طبعة كلية أكسفورد) وهذا البيت من قصيدة له طويلة وردت بالمفضليات (ص ١٤٢) مطلعها :

عجب خـولة إذ تنكـرنى * أم رأت خولة شيخا قد كبر

(٨) كذا فى المفضليات . وصلتة الخد : واضحته . وفى الأصل : « صلدة » وهو تحريف .

عن رجل من بنى أَسدٍ قال : أَضْلَلْتُ إِبِلًا لى ، فخرجتُ فى طلبهنّ ، فهبطْتُ واديا و إذا أنا بفتاةٍ أعشَى نُورُ وجهِها نورَ بَصرى ؛ فقالتْ لى : يا فتى ، مالى أراك مُدَلَّهًا؟ (١) فقلت : أضللتُ إبِلًا لى فأنا فى طلبها ؛ قالت : أَفَأَدُلُّك على مَنْ هى عنده و إن شاء أعطاكها؟ قلتُ : نعم ولكِ أفضلُهُنّ ؛ قالت : الذى أعطاكهنّ أخذهنّ و إن شاء ردّهنّ ، فسَلْه من طريق اليقين لا مِن طريق الآختبار ؛ فأعجبنى ما رأيتُ من جمالها وحُسْن كلامِها (٢) ، فقلت : ألكِ بَعْلٌ ؟ قالت : قد كان ، ودُعِىَ فأجاب فَأُعِيدَ إلى ما خُلِق منه . قلت : فما قولكِ فى بَعْل تُؤْمَنُ بوائقُه (٣) ، ولا تُذَمّ خلائقُه ؟ فرفعتْ رأسَها وتنفّسَتْ وقالت :

كنّا كغُصنين فى أصْلٍ غذاؤهما * ماءُ الجداول فى روضاتِ جنّاتِ

فاجْتثّ خيرَهما مِن جَنْب صاحبهِ * دَهْرٌ يكُرُّ بترحاتٍ وفرحاتِ

وكان عاهدنى إن خاننى زَمَنٌ * ألّا يُضاجِعَ أنثى بعد مَثْواتى

وكنت عاهدتُه إن خانه (٤) زمنٌ * ألّا أبوءَ ببَعْل طولَ محياتى

فلم نَزَلْ هكذا والوصلُ شيمتُنا * حتى تُوُفِّى قريبًا مذ سُنَيّاتِ

فاقبِضْ عِنانَك عمّن ليس يردَعُه * عن الوفاء خلافٌ بالتحيّاتِ

قال أبو اليَقْظان : دخل مُتَمِّم بن نُوَيرة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له عمر : ما أرى فى أصحابك مثلك ! قال : يا أمير المؤمنين ، أمَا والله إنّى مع ذلك لأركبُ الجملَ الثَّفَال (٥) ، وأعتقل الرُّمْحَ الشَّطُونَ (٦) ، وألْبَسُ الشَّمْلَةَ الفَلُوتَ (٧) .

---

(١) مدله : ساهى القلب ذاهب العقل . (٢) فى الأصل : « وحسن كمالها » .

(٣) البوائق : الشرور والغوائل . (٤) فى الأصل : « خاننى » .

(٥) الثفال : البطىء . (٦) الشطون : الطويل الأعوج . (٧) كذا فى الكامل والأغانى واللسان . مادة « فلت » . والشملة الفلوت : التى لا تكاد تثبت على لابسها لأنها صغيرة لا ينضم طرفاها ، فهى تفلت من يده اذا اشتمل بها . وفى الأصل : « القلوب » بالقاف والباء ، وهو تحريف .

ولقدْ أَسَرَنى بنو تَغْلِب فى الجاهليّة، فبلغ ذلك مالكًا فجاء لِيفتدِيَنى، فلما رآه القوم أعجَبَهُم جمالُه، وحدّثهم فأعجبَهم حديثُه، فأطلقونى له بغير فِدَاءٍ .

كان يقال : المنظَرُ محتاجٌ إلى القَبُول، والحَسَب محتاجٌ الى الأَدَب، والسُّرورُ محتاجٌ إلى الأمن ، والقرابةُ محتاجة إلى المودّة، والمعرفةُ محتاجة إلى التّجارِب ، والشرفُ محتاج إلى التّواضُع، والنجدةُ محتاجةٌ إلى الجِدّ .

قال الحسن بن وَهْب :

ما لِمَن تمّت محاسنُه * أن يُعادِى طَرْفَ مَنْ نَظَرا

لَكَ أن تُبْدِى لنا حَسَنًا * ولنا أن نُعْمِلَ البَصَرا

باب القُبْح والدَّمامة

أخبرنا بعضُ أشياخ البَصرة أنّ رجلا وآمرأتَهُ آختصما إلى أمير من أُمراء العِراق، وكانت المرأة حسنةَ المُنْتَقَب قبيحةَ المَسْفِر، وكان لها لسانٌ، فكأنّ العاملَ مال معها ، فقال : يَعْمِد أحدُكم إلى المرأة الكريمةِ فيتزوجها ثم يُسىء اليها؛ فأهوى الزوجُ فألقى النِّقابَ عن وجهها ، فقال العامل : عليكِ اللعنــةُ ، كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ .

أبو زيد الكِلَابىّ : قدِم رجلٌ منّا البَصرة فتزوّج آمرأةً ، فلمّا دخل بها وأُرْخِيَتِ السُّتورُ وأُغْلِقت الأبوابُ عليه ، ضَجِر الأعرابىّ وطالت ليلتُه ، حتى إذا أصبح وأراد الخروجَ مُنِــع من ذلك وقيل له : لا ينبغى لك أن تخرج إلا بعد سبعةِ أيام؛ فقال :

أقولُ وقد شَدُّوا عليها حجابَها * ألَا حبَّذا الأرْواحُ والبلدُ القَفْرُ
ألَا حبَّذا سيفى ورَحْلى ونُمْرُقى[1] * ولا حبَّذا منها[2] الوشاحانِ والشَّذْرُ[3]
أتَوْنى بها قبل المحاقِ بليلةٍ * فكان محاقًا كلُّه ذلك الشهرُ
وما غرَّنى الّا خِضابٌ بكفِّها * وكُحْلٌ بعينيها وأثوابُها الصُّفْرُ
تُسائلنى عن نفسها هل أُحِبّها * فقلت ألَا لَا والذى أمرُه الأمرُ
تفوح رياحُ المسك والعِطرِ عندها * وأشهد عند الله ما يَنْفع العِطرُ

وقال آخر :

أعوذ بالله من زَلّاء[4] فاحشةٍ * كأنما نيطَ ثَوْباها على عُودِ
لا يُمسك الحبلَ حَقْواها[5] إذا انتطقت * وفى الذُّنابى[6] وفى العُرْقُوب تَحْديدُ
أعوذُ بالله من ساقٍ لها حَنَبٌ[7] * كأنها من حديد القَيْنِ[8] سَفُّودُ[9]

وقال آخر :

مُوتَّرة العِلْباء[10] محفوفةُ القَفا[11] * لها نَدَبٌ[12] من حَكِّها غيرُ دارس
إذا ضحكتْ حالت غضونٌ كأنها * غَباغِبُ[13] حِرْباءٍ تحوَّزَ شامِسِ
كأنّ وَرِيدَيْها رِشاءا[14] مَحالةٍ * مُغاران من جلدٍ من القِدِّ يابِسِ

(١) النمرق : الوسادة يتكأ عليها . (٢) فى الأصل : «منا» والسياق يأباها . (٣) الشذر : ما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، وقيل : صغار اللؤلؤ . (٤) الزلاء : الرسحاء الخفيفة الوركين . (٥) الحقو : الخصر . (٦) الذنابى : أصل الذنب . (٧) الحنب : اعوجاج فى الساقين . (٨) القين : الحداد . (٩) السفود : حديدة يشوى عليها اللحم ، ويلاحظ أن بهذه الأبيات إقواء . (١٠) العلباء : عصب العنق . (١١) يريد أنها تركت تعهده حتى شعث وقل . (١٢) الندب : جمع ندبة وهى أثر الجرح . (١٣) الغباغب : جمع غبغب وهو اللحم المتدلى تحت الحنك . وتحوّز : تلوّى . والحرباء مذكر، مؤنثه حرباءة . وشامس : متشمس . (١٤) الرشاء : الحبل . والمحالة : البكرة العظيمة تستقى بها الإبل . ومغاران : مفتولان . والقدّ : السير يقدّ من جلد غير مدبوغ .

وقال آخر :

يا عجبـا والدّهرُ ذو تَعَاجيبْ * هل يَصْلُحُ الخَلخَالُ فى رجلِ الذِّيبْ
* اليابسِ الكعبِ الحديدِ العُرقُوبْ *

وقال آخر :

لهـا جسمُ بُرغُوثٍ وساقَا بَعُوضةٍ * ووجهٌ كوجه القِرْدِ بل هو أقبحُ
وتـــبرُق عيناها إذا ما رأيتَهـا * وتعبِسُ فى وجه الضَّجيعِ وتَكْلَحُ
وتفتَح — لا كانت — فمًا لو رأيتَه * توهّمتَــه بابًا من النـار يُفتَحُ
فما ضحِكتْ فى الناس إلا ظننتها * أمامهـــمُ كلبًـا يَهِـــرّ ويَنْبَحُ
إذا عاين الشيطانُ صورةَ وجهها * تَعوّذَ منهـا حين يُمسى ويُصْبِحُ
وقـــد أعجَبَتْها نفسُها فتملّحت * بأىّ جمـال ليتَ شِـعرى تَمَلّحُ

رأى أعرابىٌّ آمرأةً فى شارةٍ وهيئــة، فظنّ بها جمالا، فلما سـفَرت[1] فإذا هى غُولٌ؛ فقال :

فأظهـــرَها ربّى بمَنٍّ وقُــدْرةٍ * علىّ ولولا ذاك مُتُّ من الكَرْبِ
فلمّا بَدتْ سَبّحْتُ من قُبْحِ وجهها * وقلت لها السّاجورُ[2] خيرٌ من الكلب

كان سعيد بن بَيَانٍ التَّغلِبىّ سيِّدَ بنى تَغلِب، وكانت تحته بَرّة[3]، وكانت من أجمل النساء، فقَــدِم الأخطلُ الكوفةَ على بِشْر بن مروان، فدعاه سعيدُ بن بَيَانٍ وآحتفل ونَجَّدَ بيوتَه وآستجاد طعامَه وشرابَه، فلما شرب الأخطلُ جعل ينظر إلى وجه بَرّة وجمالها، وإلى وجه سـعيد وقبحه؛ فقال له سعيد : يا أبا مالك، أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك فأين ترى هَيْئَتَنَا من هيئتهـم ! فقال الأَخْطَل :

(١) فى الأصل : «أسفرت» وأسفرت بمعنى أضاءت ولا يستعمل فى كشف المرأة عن وجهها .
(٢) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . (٣) هى برّة بنت أبى هانئ التغلبىّ .

ما لبِنْتِكَ عيبٌ غيرُك؛ فقال سعيد : أنا والله أَحْمَقُ منك يا نصرانيّ حين أُدْخِلك منزلى، وطرَده . فخرج الأخطل وهو يقول :

وكيف يُداوينى الطبيبُ من الجَوَى * وبَرَّةُ عند الأَعورِ ٱبنِ بيَانِ
فهلّا زَجَرْتِ الطَّيْرَ إذ جاء خاطبًا * بِضَيقَةَ(١) بين النَّجْمِ والدَّبَران

قال عبد بنى الحَسْحَاس يذكر قُبْحَه :

أتيتُ نساءَ الحارِثِيِّين غُدْوةً * بوجهٍ براه اللهُ غيرَ جميلِ
فشبَّهْنَنِي كَلْبًا ولستُ بفَوْقِه * ولا دونَه إنْ كان غيرَ قليلِ

قال رجل للأحنف : «تسمعُ بالمُعَيْدِىّ(٢) لا أن تراه»؛ فقال : ما ذَمَمْتَ مِنّى يٱبن أخى ؟ قال : الدَّمامَةَ وقِصَرَ القامة؛ قال : لقد عِبْتَ علىّ ما لم أُؤامَرْ(٣) فيه .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : قدِم علينا الأحنفُ الكوفةَ مع المُصْعب بن الزُّبَيْر، فما رأيتُ خَصْلَةً تُذَمّ إلا وقد رأيتُها فى الأحنف : كان صَعْلَ(٤) الرأس، متراكِبَ الأسْنان، أشدَقَ(٥)، مائلَ الذَّقَن، ناتِئَ الوجه، غائرَ(٦) العين، خفيفَ العارِضِ، أحْنَفَ(٧) الرِّجْل، ولكنه إذا تكلّم جَلا عن نفسه .

أبو اليَقْظان قال : كان المُحارِشُ قبيحًا فقال فيه هَبَنَّقَةُ :

لو كان وجهى مثلَ وجهِ مُحارِشٍ * إذًا ما قرِبْتُ الدَّهرَ بابَ أميرِ

---

(١) كذا فى لسان العرب (مادّة ضيق) وكتاب الشعر والشعراء فى ترجمة الأخطل . قال صاحب اللسان : وضيقة : منزلة للقمر بلزق الثريا مما يلى الدبران وهو مكان نحس على ما تزعم العرب، ثم ٱستشهد بهذا البيت . (٢) روى هذا المثل بروايات كثيرة فراجعها فى الميدانى . (٣) أؤامر : أشاور . (٤) الصعل : الصغير الرأس . (٥) الأشدق : الذى فى خدّه ميل . (٦) أثبتنا هذه الكلمة لأن السياق يقتضيها . وقد وردت فى الأصل هكذا : « ناحر » وقد بحثنا فى المخصص وفقه اللغة فى معايب العين عن كلمة تتفق فى الرسم مع هذه الكلمة أو محرّفة عنها فلم نوفق . (٧) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها .

قال : وأخذ مُحارش قَذَاةً عن عبيد الله بن زِياد، فقال : صُرِف عنك السُّوءُ، فقال جُلساؤُه : اذًا يُصرفُ عنه وجْهُهُ .

سُئِل مَدَنيّ عن حِلْيَةِ رجلٍ، فقال : حِلْيَتُه مُجَمُه .

قال المأمون لمحمد بن الجَهْم : أنْشِدنى بيتًا حَسَنًا أُولِّك به كُورةً، فقال :

قَبُحَتْ مناظِرُهم فحِينَ خَبَرتُهـــمْ * حَسُنَتْ مناظِرُهـــم لقُبْحِ المَخْبَرِ[1]

فآستزاده، فأنشده :

أرادوا لِيُخْفُوا قبرَه عن عَدُوِّه * فطِيبُ تُرابِ القـبرِ دَلَّ على القبْرِ[2]

فولّاه الدِّينَوَر[3] وهَمَذَانَ .

قال أعرابىّ فى آمرأته :

ولاتَستطيع الكُحلَ من ضيق عَيْنِها * فإنْ عالجتْـــه صار فوق المَحَاجِرِ
وفى حاجبيهـا حَزَّةٌ لِغِــرَارةٍ * فانْ حُلِقَا كانا ثلاثَ غرائِرِ
وثَدْيانِ أمّا واحدٌ فكَمَــوْزَةٍ * وآخَرُ فيـــه قِربةٌ لِمُسَافِرِ

وقال إسحاق الموصلىّ : رأت قُرَيْبَةُ آبنَ سيابَةَ[4] مولى آبنِ أسد عندى، فقلتُ لها : يا أمَّ البُهْلُول كيف تَرَيْنَ هـذا ؟ قالت : ماله قَبَّحه [الله] عامّةً ! لو كان داءً ما بُرِئَ منه .

(١) هذا البيت لمسلم بن الوليد، والذى فى ديوانه (طبع مدينة ليدن) : قبحت مناظره وحسنت مناظره بالافراد . قاله يهجو رجلا بقبح الوجه والأخلاق .
(٢) هو لمسلم أيضا .
(٣) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا .
(٤) كذا بالاصل، وفى الأغانى (ج ١١ ص ٦ طبع بولاق) فى ترجمته أنه مولى بنى هاشم .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .

وقال فاتِكٌ فى سعيد بن سَلْم :

وإنّ من غاية حِرْصِ الفتى * طِلابَه المعروفَ فى باهِلَهْ
كبيرُهم وَغْدٌ ومولودُهم * تَلْعَنُهُ من قبحهِ القابِلَهْ

قال الأَسْعَرُ الجُعْفىّ (١) يهجو قومًا :

زعانِفُ (٢) سودٌ كَخَبْثِ (٣) الحديـ * ـدِ يكفى الثلاثةَ شِقُّ الإزارِ

وقال أبو نُوَاس (٤) يذكر آمرأةً :

وقائلةٍ لها فى وجهِ نُصْحٍ * عَلامَ قَتَلْتِ هذا المُستهامَا
فكان جوابُها فى حُسنِ سِرٍّ * أأَجْمَعُ وجهَ هذا والحرَامَا

كان المُغيرة بن شُعبة قبيحًا أعورَ، فخطب آمرأةً، فأبَتْ أن تتزوّجه، فبعث إليها : إنْ تزوّجتِنِي ملأتُ بيتَك خيرا، ورَحِمَك أَيْرا، فتزوّجتْ به . وسُئلتْ عنه آمرأةٌ طلّقها فقالت : عسلٌ يمانيةٌ فى ظَرف سوء .

(١) هو لقب مرثد بن أبى حمدان الجعفى الشاعر، سمى بذلك لقوله :

فلا تدعنى الأقوام من آل مالك * اذا أنا لم أسعرعليهم وأثقب

(انظر القاموس وشرحه مادة سعر) .

(٢) الزعانف : القصار .

(٣) خبث الحديد — بالتحريك وسكنت الباء لضرورة الشعر — هو ما ينفيه الكير عند إذابته مما لا خير فيه .

(٤) ورد هذان البيتان فى ديوان أبى نواس ضمن قصيدة مطلعها :

أبت عيناى بعدك أن تناما * وكيف ينام من ضمن السقاما

أنشدنا دِعْبِل(١) :

بُليتُ بِزِمِّرْدَةٍ(٢) كالعصـا * ألصَّ وأسرقَ من كُنْـدُشْ(٣)
لهـا شَـعَرٌ قَرِدٌ(٤) إذا آزَيَّنَتْ * ووجهٌ كَبَيْضِ القطا الأَبْرَشْ(٥)
كأنّ الثآليلَ(٦) فى وجهها * إذا سَفَرت بِدَدُ(٧) الكِشْمِشْ(٨)

وقال أعرابىّ :

جزى اللهُ البراقعَ من ثيابٍ * عن الفِتيان شرًّا ما بَقينا
يُوارِين المِـــلاحَ فلا نَراها * ويَزْهَيْن القِبــاحَ فيَزَّهِينـا(٩)

وقال آخر :

رأوه فآزْدَرَوْه وهو حـــرٌّ * وينفع أهــلَه الرجلُ القبيحُ

(١) فى أشعار الحماسة (ص ٨٢٢ طبع أوربا) أن هذه الأبيات لأبى الغطمش الحنفى . وقد صححه شارح الحماسة أبا المغطش الحنفى وقال : لعله سمى باسم المفعول من غطّش وذكر شارح القاموس فى مادة كندش أن ابن جنى صححه كذلك . (٢) الزمردة (كقرطعبة ، أعجمى معرّب) : المرأة التى تشبه الرجال خلقا وقيل هى السحاقة ، و يقال : زمردة بفتح الزاى والميم و يقال : زنمردة بفتح الزاى وكسر الميم ، ولا نظير له ؛ وربمـا قيل بذال معجمة ، و يروى أيضا بكسر الزاى وفتح الميم (انظر شرح القاموس واللسان مادّة « كندش » وشفاء الغليل) . (٣) كندش : لقب لص معروف عندهم كما فى شرح الحماسة . وفى اللسان : أن « الكندش : لص الطير وهو العقعق . والزِّنبال : لص الأســود . والطِّمْل : لص الذئاب . والزَّبابة : لص الفيران . والفُوَيْسقة : سارقة الفتيلة من السراج » .

(٤) رواية هذا البيت فى أشعار الحماسة :

لهـا وجه قرد اذا آزينت * ولون كبيض القطا الأبرش

(٥) الأبرش : ما به برش ، والبرش كالبرص وزنا ومعنى . (٦) الثآليل : جمع ثؤلول وهو الحبة تظهر فى الجسد كالحمصة فـا دونها . (٧) البِدَد : القطعُ المتفرقة جمع بِدَّة بمعنى القطعة . (٨) كذا فى الحماسة ، والكشمش (بكسر الكاف والميم) : عنب صغار يكون أصفر وأحمر وأسود وهو كثير بالسراة . وفى الأصل : « المشمش » . (٩) يزهين : افتعال من الزهو ، قلبت فيه تاء الافتعال دالا ثم أدغمت فى الزاى ، وفى مثل هذا يجوز إظهار الدال فيقال : يزدهين ، و بالإظهار ورد البيت فى اللسان .

كان ذو الرُّمّة يُشَبِّب بمَيّـة، وكانت من أجمل النساء ولم يَرَه قطُّ، فجعلتْ لله عليها بَدَنةً حين تراه، فلما رأته رأته رجلا دِميمًا أسودَ، فقالت: واسَوْءَتاه! وابُؤْساه! فقال ذو الرُّمة :

على وجه مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحةٍ * وتحت الثياب الشَّينُ لو كان باديَا
ألم تر أنّ المـاء يَخْبُث طعمُه * وإن كان لونُ المـاء أبيضَ صافيَا

إسحاق المَوْصلىّ قال : دخلتْ أعرابيةٌ على حَمْدُونةَ بنتِ الرشيد، فلما خرجت سُئلتْ عنها ، فقالت : وما حَمدونة ! واللهِ لقد رأيتُها وما رأيتُ طائلا ، كأنّ بطنَها قِرْبة، وكأنّ ثَدْيَها دَبّة[1]، وكأن ٱسْتَها رُقْعة، وكأن وجهَها وجهُ دِيكٍ قد نَفَش عِفْرِيَته[2] يقاتل دِيكا .

ذكر أعرابىّ ٱمرأةً حسنةَ اللفظ قبيحةَ الوجه، فقال : تُرْخِى ذيلَها على عُرْقُوبَىْ نَعامةٍ، وتُسدِل خِمارَها على وجه كالجِعالة (وهى الخرقة التى تُنْزَل بها القِدر عن النار).

وقال دِعْبِل فى كاتب :

تَمّتْ مَقابِحُ وجهه فكأنه * طَلَلٌ تَحمّل[3] ساكنوه فأوْحَشا
لو كان لِاسْتِك ضيقُ صدرك أو لصَدْ * رِك رُحْبُ دُبْرِك كنتَ أكمَلَ مَنْ مَشَى

كان بعضُ المعلّمين يُقْعِد أبناءَ المياسير والحِسانَ الوجوه فى الظِّلّ، ويُقعِد الآخرين فى الشّمس، ويقول : يا أهل الجنة، ٱبْزُقُوا فى وجوه أهل النار .

وقال رجل من أبناء المهاجرين : أبناء هذه الأعاجم كأنهم نقبوا الجَنّة وخرجوا منها، وأولادنا كأنهم مَسَاجِر[4] التّنانير .

---

(١) الدبة : القرعة . (٢) عفرية الديك : ريش عنقه . (٣) تحمل : ارتحل .
(٤) المساجر : جمع مسجرة وهى الخشبة التى يقلب بها الوقود فى التنور .

أبو المُهَلْهِل الحَدَائِىّ[1] قال : ارتحلتُ الى الرمل فى طلب مَىّ صاحبةِ ذى الرُّمّة، فما زلتُ أطلب موضعَها حتى أُرْشِدتُ اليه، فاذا خَيْمةٌ كبيرة على بابها عجوزٌ هَتْماء، فسلّمتُ عليها ثم قلتُ : أين منزل مَىّ؟ قالت : أنا مَىٌّ، فتعجّبتُ وقلت : عجبًا من ذى الرمّة وكثرة قولِه فيك ! قالت : لا تَعْجَبَنّ فإنى سأقوم بعُذره عندك، ثم قالت : يا فلانةُ، فخرجتْ من الخيمة جاريةٌ ناهدة عليها بُرْقع فقالت : اسْفِرى، فلما سفَرت تحيّرتُ لِما رأيتُ من جمالها وبراعتها، فقالت : عَلِقَنى ذو الرمّة وأنا فى سنِّها، فقلت : عذَره اللهُ ورحمه، فآستنشدتُها فجعلت تُنْشِد وأنا أكتب .

وقال أبو نواسٍ فى الرَّقاشىّ :

قـــل للرَّقاشِىّ اذا جئتَــه * لو مُتَّ يا أخرقُ لم أهْجُكَا
دونك عِرضِى فاهْجُهُ راشِـدًا * لا تَدْنَس الأعراضُ من شعرِكَا
والله لو كنتُ جريرًا لَمَـا * كنتُ بأهْجَى لك من وجهِكَا[2]

باب السَّـــواد

الأصمعىّ قال : قيــل لمدنىّ : ما رَغْبتُكم فى السَّواد ؟ قال : لو وجدنا بيضاء لسَفِدْناها .

وكان أبو حازم المدنىّ يُنْشِد :

ومن يك مُعْجَبًا ببنات كسرى * فإنّى مُعْجَبٌ ببنـات حامِ

وقال أبو حَنَش :

رأيتُ أبا الجَنْاء[3] فى النـاس حائرًا * ولونُ أبى الجنـاء لونُ البهائم
تراه على ما لاحَه[4] من ســواده * وإن كان مظلومًا له وجهُ ظـالِم

(١) الحدائى (بفتح الحاء والدال المهملتين وفى آخره ألف مهموزة) : نسبة الى حداء وهو بطن من مراد كما فى الأنساب للسمعانى . (٢) فى ديوانه : «أصلكا» . (٣) هو نصيب الشاعر كما فى الأغانى (ج ١ ص ٣٥٢ طبع دار الكتب المصرية) . (٤) لاحه : غيّره .

وقال آخرُ فى وصف أسودَ :

* كأنما وجهُك ظِلٌّ(١) من حَجَرْ *

وقال آخرُ :

* كأنما قُمِّصَ(٢) من لِيطِ جُعَلْ *

وقال آخرُ فى وصف سوداء :

كأنها والكحلُ فى مِرْوَدِها * تَكْحَلُ عينيها ببعضِ جلدِها

نظر رجل الى سوداء عليها مُعَصْفَرٌ، فقال: بَعْرة عليها رُعَاف(٣) .

الأصمعىّ قال : قيل لرجل : أىُّ الرجال(٤) أخفُّ أرواحا؟ قال : الذين أعْرَقَتْ فيهم السُّودان .

وقال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام : من تزوّج سمراءَ فطلّقها فعلىَّ مَهرُها .

يقال : قالت الخُنْفَساء لأمّها : يا أمّاه، ما أُمُرّ بأحدٍ إلا بَزَق علىّ ؛ فقالت : يا بُنَيّة تُعَوَّذِين(٥) .

(١) ظل كل شىء : سواده، والعرب تقول : ليس شىء أظل من حجر، ولا أدفأ من شجر، ولا أشدّ سوادا من ظل : (انظر اللسان مادة ظلل) . (٢) قمص : ألبس قيصا . والليط : الجلد . والجُعَل : ضرب من الخنافس . (٣) الرعاف : دم يخرج من الأنف . (٤) بالأصل : « النساء » وتوجد به كلمة أراد الناسخ إثباتها ثم عدل عنها وصورتها هكذا : « الرحا » وأثبت بدلها كلمة « النساء » ويترجح أنه أراد كتابة كلمة « الرجال » وهى الصواب بدليل قوله فى الجواب : الذين أعرقت فيهم الخ . (٥) أى تحصنين من العين، كأنها تقول لها : إن الناس يرقونك ببزاقهم من العين لأن الراقى عند ما يريد الرقية يبزق وينفث فى عوذته ، كأنها تقول لها : لا تحزنى فان الناس لإعجابهم بك يبزقون عليك خشية أن تصيبك العين .

وَفد على عبـد الملك وفْد أهل الكوفة ، فلمـا دخلوا عليه وكلّمهم ، رأى فيهم أدْلَمَ (١) عالىَ الجسم ، فلمـا كلّمه راقَه بيانُه ؛ فلما تولَّى تمثّل عبـدُ الملك بقول عمرِو ابن شَأْسٍ :

فإن عِرارًا إن يكن غيرَ واضحٍ * فإنّى أُحبُّ الجَوْنَ (٢) ذا المَنْكِب العَممْ (٣)

فالتفت الأدلم الى عبـد الملك وضحِـك ؛ فقال : علىّ به [فلمـا جىء (٤) به قال] : ما الذى أضحكك؟ فقال : أنا والله عِرارُ بن بنى أُثَرَى ، فقدّمه وسامَره حتى خرج.

قال رجل من الشعراء فى جاريةٍ سوداء :

أشْبَهكِ المِسكُ وأشبهتِه * قائمـــةً فى لونه قاعدهْ

لا شكّ إذ لونُكما واحد * أنكما من طِينــةٍ واحدهْ

وقال جرير :

تَرَى التَّيْمىَّ يَزْحَف كالقَرَنْبَى (٥) * إلى تَيْمِيّةٍ كعصا المَلِيــل (٦)

تَشِينُ الزعفرانَ عَروسُ تَيْمٍ * وتَمْشى (٧) مِشْيَةَ الجُعَـل الدَّحُول (٨)

يقول المُجْتَلُون (٩) عروسُ تَيْمٍ * شَـوَى (١٠) أُمِّ الحُبَيْنِ ورأسُ فِيل

---

(١) الأدلم : الشديد السواد ، وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل «الأدلم» بزيادة أل ولعلها من الناسخ ، وقد ذكر المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء فى ترجمة عمرو بن شأس هذه القصة ، وقال : «رأى فيهم رجلا آدم طويلا» ، والآدم بمعنى الأدلم . (٢) الجون : الأسود . (٣) المنكب العمم : الطويل .

(٤) التكملة عن كتاب الشعر والشعراء . (٥) كذا فى اللسان مادة «قرنب» وديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش . والقرنبى : دويبة تشبه الخنفساء أو أعظم منها شيئا طويلة الرجل . وفى الأصل : «كالقرلى» والقرلى : طائر . (٦) المليل : الخبز واللحم المدخل فى الملة ، والملة : الرماد الحار والجمر ، ويعنى بعصا المليل هنا : عصا التنور ، وهى حديدة سوداء طويلة .

(٧) كذا فى ديوانه المخطوط ، وفى الأصل : «وينفى» وليس لها معنى . (٨) ناقة دحول : تعارض الإبل متنحية عنها ، وقد استعيرت هنا للجعل ، وفى ديوانه : «زحول» بالزاى المعجمة .

(٩) اجتلى العروس على بعلها : عرضها عليه مجلوّة . (١٠) الشوى : الأطراف . وأم الحبين : دويبة أعظم من العظاية .

وقال آخر :

أُحبّ لحبّها السُّودانَ حتى * أُحبّ لحبّها سُودَ الكلابِ

باب العُجُــز والمَشَــايخ

الأصمعيّ قال : خاصم رجلٌ آمرأته الى زيادٍ، فكأن زيادًا شدّد عليه ، فقال الرجل : أصلح اللهُ الأميرَ، إنّ خيرَ نِصْفَيِ الرجل آخرُهما، يَذهب جهلُه ويثوبُ حلمه ويجتمِع رأيُه، وإن شرَّ نِصْفَيِ المرأةِ آخرُهما، يسوء خُلُقها ويَحِدُّ لسانُها وتَعْقَم رَحِمُها؛ فقال : اسْفَعْ(١) بيدها .

وقال بعضُ الأعراب :

لا تَنْكِحَنّ عجوزًا إن دعَوْك لها * وإن حَبَوْك على تزويجها الذّهبا
وإنْ أتَوْك وقالوا إنها نَصَفٌ(٢) * فإنّ أطيب نِصفَيْها الذى ذهبا

الأصمعيّ قال : ضَجِر أعرابيٌّ بطول حياة آمرأته، فقال :

ثلاثينَ حولًا لا أرَى منكِ راحةً * لَهِنَّكِ(٣) فى الدنيـا لَباقيـةُ العُمْـرِ
فإن أنفلِتْ من حبل صَعْبَة مَرّةً * أكُن(٤) من نساء الناس فى بَيْضة(٥) العُقْر

وقال أبو الأسود فى آمرأته أمّ عوف :

أبى القلبُ إلا أمَّ عوف وحبَّهـا * عجوزا ومن يُحْبِب عجوزًا يُفنَّدِ(٦)
كسَحْقِ(٧) اليمَـانِى قد تقادمَ عهدُه * ورُقعتُه(٨) ما شئتَ فى العـين واليَـد

---

(١) اسفع بيدها : خذ بيدها . (٢) النصف : المرأة الوسط بين الحدثة والمسنة وقيل : هى التى بلغت خمسين سنة . (٣) لهنك : اللام لام الابتداء، وهنك : إن التى للتوكيد أبدلت همزتها هاء، وهذا الإبدال سماعىّ . (٤) فى الأصل : «فكن» بالفاء وهو تحريف . (٥) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود؛ يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها .

(٦) يفند : يلام ويجهل . (٧) السحق : البالى، ويضاف فيقال : سحق ثوب وسحق عمامة ، واليمانى : العصب المنسوب الى اليمن وهى برود يعصب غزلها ويجمع ويشدّ ثم يصبغ فيأتى موشى .

(٨) فى الأصل : «ورفعته» . والتصويب عن الأغانى (ج ١١ ص ١٢١ طبع بولاق) .

وقال آخر يُشَبِّب بعجوز :

عجوزٌ عليها كَبْرَةٌ (١) ومَلاحة * وقائِلةٍ يا لَلرِّجالِ عجوزُ
عجوزٌ لو آنّ المـاءَ ملكُ يمينها * لما تَرَكتْنا بالمياه نَجوزُ

كانت لرجل من الأعراب آمرأة عجوز، وكانت تشترى العِطرَ بالخبز، فقال :

عجوزٌ تُرَجّى أن تكون فتِيّةً * وقدغارتِ العَينانوآحدودبَ الظهرُ
تَدُسّ إلى العطّار سِلعةَ أهلها * ولن يُصلِحَ العطّارُ ماأفسد الدّهرُ (٢)

طَلّق أبو الجَنَدِيّ آمرأتَه، فقالت له : بعد صُحبة خمسين سنة! فقال : مالكِ عندى ذنبٌ غيره .

وقال بعضُ الأعراب :

لا بارك اللهُ فى ليل يُقَرّبنى * الى مُضاجَعةٍ كالدَّلْك بالمَسَدِ (٣)
لقد لمستُ مُعَرّاها (٤) فما وقعت * فيما لمستُ يدى إلا على وَتِدِ
وكلّ عضو لها قرنٌ تَصُلُّ (٥) به * جسمَ الضَّجيع فيُضحِى واهىَ الجسدِ

وقال الطائى :

أحْلَى الرجال من النساء مواقعًا * من كان أشبهَهم بهنّ خُدودا

وقال آمرؤ القيس :

أراهنّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلّ مالُه * ولا مَنْ رأين الشيبَ فيه وقوَّسا (٦)

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابه * عجوزٌ علتها كبرة وملاحة * وقد جاء فى اللسان فى مادة كبر يقال : علته كبرة اذا أسنّ . (٢) ورد هذان البيتان فى الكامل للبرّد ج ١ ص ١٧٦ طبع أوربا هكذا :

عجوز ترجى أن تكون فتية * وقدلَحِبَ الجنبان واحدودب الظهر
تدس الى العطار سلعة بيتها * وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر

ولحب الجنبان : قل لحمهما . (٣) المسد : الليف . (٤) مُعرّى المرأة : مالا بدّلها من إظهاره . (٥) تصلّ : تصيب . (٦) قوّس الرجل : انحنى ظهره .

وقال عَلْقَمةُ بن عَبَدَة :

فإن تسألونى بالنساء فإننى * خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالهُ * فليس له فى وُدّهنّ نَصيبُ
يُرِدْن ثَراءَ المال حيث علمْنه * وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وقال آخر :

أرى شيبَ الرجال من الغَوانى * كمَوْضع شيبِهنّ من الرجال

وقال آخر :

أيا عجَبا لِلخَوْد يجرى وُشاحُها * تُزَفُّ الى شيخ من القوم تِنْبالِ (١)
دعاها اليه أنه ذو قرابةٍ * فويلُ الغوانِى من بنى العمّ والخال

وقال ذو الرُّمّة بخلاف قول الأوّل :

وما الفقرُ أزرى عندهنّ بوصلنا * ولكن جرَتْ أخلاقُهن على البخل

وقال المَرّار (٢) فى مثله :

وليس الغوانى للجفاء (٣) ولا الذى * له عن تقاضى دينِهنّ هُمومُ
ولكنّما يَستنجز الوعدَ تابعٌ * مُناهنّ حَلّافٌ لهنّ أثيمُ
وما جُعِلتْ ألبابُهنّ لذِى الغِنى * فيَيْأَسَ من ألبابِهنّ عَدِيمُ

---

(١) التنبال : القصير . ورواية كتاب تحفة العروس ونزهة النفوس (طبع مصر ص ٥٧) :

ألا رب حوراء المحاجر طفلة * تساق الى وغد من القوم تنبال
يقولون جرّتها اليه قرابة * فويح العذارى من بنى العم والخال

(٢) هو المرّار بن سعيد الفقعسى كما فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٤٤٠ طبع أوروبا) . (٣) كذا فى الأصل والشعر والشعراء . ولعله : « الجفاة » .

كان عثمان بن عفّان رضى الله عنـه تزوج نائلةَ بنت الفَرَافِصـة الكلبىّ[١] — والفَرَافِصةُ يومئذٍ نَصرانىّ — وكان وليَّها[٢] مسلمًا وهو أخوها، لحملها الفَرافِصةُ. فلما قدِمتْ على عثمان وضع لهـا سريرا وله آخر، فقال لهـا عثمان: إمّا أن تقومى إلىّ وإمّا أن أقومَ اليك؛ فقالت: ما تَجشّمتُ اليك من عُرْضِ السَّماوة[٣] أبعدُ ممّا بيننا، بل أقومُ أنا، فقامت حتى جلست معه على السرير، فوضع قَلَنْسُوَتَه فإذا هو أصلع، فقال: يٱبنةَ الفَرَافِصة، لا يَهُولَنَّكِ ما تَرَيْنَ من صَلَعَتِى، فإنّ وراءَ ذلك ما تُحِبِّين؛ قالت: إنى لمِنْ نِسْوة أحبُّ بُعُولتِهنّ اليهنّ الكُهولُ الصُّلْعُ؛ فقال: ٱطرحى دِرْعَك، ثم قال: ٱطرحى إزَارَكِ؛ قالت: ذاك اليك، ومسح رأسَها ودعا لها بالبركة؛ فكانت أحبَّ نسائه اليه، وولدتْ منه جاريةً يقال لها مريم.

ابن الكَلْبىّ قال: خطب دُرَيد بن الصِّمَّة خنساءَ بنت عمرو، فبَعَثتْ جاريتَها فقالت: انظُرى اذا بال أَيُقْعِى[٤] أم يُبَعْثِر؟ فقالت لها الجاريةُ: هو يُبَعْثِر، فقالت: لا حاجةَ لى فيه.

---

(١) قال فى اللسان (مادة فرفص): كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء إلا فرافصة أبا نائلة ٱمرأة عثمان بن عفان رضى الله عنـه فانه بفتح الفاء لاغير. وكذلك نص القالى فى أماليـه (ج ٣ ص ٢٠٩ طبع دار الكتب المصرية). (٢) رواية الأغانى (ج ١٥ ص ٧٠ طبع بولاق): «وأمر الفرافصة ابنه ضبا فزوّجها إياه، وكان ضب مسلما وكان الفرافصة نصرانيا». (٣) السماوة: موضع بين الكوفة والشأم وهى برّية معروفة. (٤) كذا ورد فى الأصل. والإقعاء: أن يلصق الرجل أليته بالأرض وينصب ساقيـه ونخذيه ويضع يديه على الأرض كما يقعى الكلب. (انظر اللسان مادة قعى). ورواية الأغانى (ج ٩ ص ١١ طبع بولاق): «فقالت لها انظرى دريدا اذا بال فان وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقية، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضـل فيه». ويراجع أيضا كتاب رشد اللبيب الى معاشرة الحبيب (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩٩٤ أدب ص ٨).

الأصمعىّ قال : تزوج رجلٌ آمرأةً بالمدينــة فقالوا له : إنها شابّةٌ طرِيّةٌ، من أمرها ومن أمرها، ويُدَلّسون له عجوزا، فلما دخل بها نزَع نعليْه، وهم يظنّون أنه يضربُها، فقلّدها إياهما وقال: لبّيك اللهمّ لبّيك، هذه بدنةٌ(١)، فأسكتوه وآفتدَوْا منه.

عن عبد الله بن محمــد بن عِمْران القاضى عن أبيه قال : شبابُ المرأة من خمسَ عشرةَ سنةً الى ثلاثين ســنةً، وفيها من الثلاثين الى الأربعين مُستَمْتَعٌ، واذا آقتحمتِ العقبةَ الأخرى حَسَلَتْ(٢).

تزوّج جهمٌ آمرأةً من بنى فَقْعَس وباع إبلًا له ومهَرها، فلما دخل بها اذا هى عجوز، فقال :

وما لُمْتُ نفسى مذ فُطِمْتُ بلَحْيةٍ(٣) * كما لُمْتُ نفسى فى عجوز بنى شمسِ
وبِتُّ(٤) ولم أُغْبَن غداةَ اشتريتُها * وبعتُ تِلادَ المـال بالثمن البخسِ
فإن مات جهـمٌ غِيلةً فاقتـلوا به * قُمـامَةَ إنّ النفس تُقْتَـل بالنفسِ

وقال بعضُ الشعراء :

كفاكَ بالشيب ذنبًا عند غانيةٍ * وبالشـباب شفيعًا أيها الرجلُ

خطب الحارثُ بن سَلِيل الأسدىّ(٥) الى عَلْقمةَ بن خَصَفَةَ الطائىّ(٦)، وكان شيخا، فقال لأمّ الجارية : أَرِيدِى(٧) آبنَتَك على نفسها فقالت : أىْ بُنَيَّةَ . أىُّ الرجالِ أحَبُّ

(١) البدنة من الإبل والبقر بمنزلة الأضحية من الغنم تهدى الى مكة، الذكر والأنثى فى ذلك سـواء، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها، وكانت تميز بأن يجعل فى عنقها نعل أو غيره ليعرف أنها هدى.

(٢) حسلت : رذلت . والحسيل : الرُّذَال من كلّ شىء.

(٣) الظاهر من السياق أنّ المراد من قوله « بلَحْية » المرّة من اللحى بمعنى العذل واللوم يقال : لحيت الرجل ألحاه لحيا اذا لمته وعذلته.

(٤) هكذا بالأصل . ويحتمل أن تكون . وبتّ.

(٥) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٢١ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : « الأزدى ».

(٦) كذا فى مجمع الأمثال ونهاية الأرب . وفى الأصل : « حفصة ».

(٧) فى الأصل : «أيدى» وهو تحريف والتصويب عن المحاسن والاضداد (ص ٢٣٨ طبع أوروبا) وأراده على الأمر : حمله عليه وعبارة الميدانى فى مجمع الأمثال : «ثم انكفأ الى أمها فقال : إنّ الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب الينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته، فقالت أى بنية الخ».

إليـك : الكَهْلُ الجَحْجاح[١]، الواصل المَنّاح[٢]، أمِ الفتى الوضّاح، الذَّهُول الطمّاح ؟ قالت : ياأُمَّتَاهْ

إنّ الفتــاةَ تُحبُّ الفتَى * كحبِّ الرِّعاءِ أنيقَ الكَلَا

فقالت : يابُنَيّــة، إن الشبابَ شديدُ الحِجـاب ، كثير العتاب؛ قالت : يا أُمَّتَاه، أخشى من الشيخ أن يُدَنِّسَ ثيابى، ويُبْلِيَ شبابى، ويُشْمِتَ بى أترابى؛ فلم تزل بها حتى غَلَبتها على رأيها؛ فتزوّج بهـا الحارثُ ثم رحَل بها الى قومه؛ فإنه لجالسٌ ذات يوم بفِناء مَظَلّته وهى الى جانبه، إذ أقبل شَبَابٌ من بنى أسد يعتلجون[٣]، فتنفّست ثم بكت ؛ فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ ! ؛ فقال: ثَكِلَتْكِ أمُّكِ «تَجُوع الحُرَّةُ ولا تأ كلُ بِثَديَيها» — فذهبتْ مثلا — . أمَا وأبيكِ لرُبَّ غارةٍ شهِدتُهـا ، وسَبِيَّةٍ أردفتُها ، وخمرة شربتُهـا ؛ فالْحَقِي بأهلك ، لا حاجة لى فيــك .

الرِّياشِيّ[٤] قال : خرج رجل الى الغَزْو فأصاب جاريةً وضيئةً، وكان يغــزو على فرسه ويرجع اليها، فوجد يوما فَضْلا من القول فقال :

ألَا لَا أُبالى اليومَ ما فعلتْ هنــدُ * اذا بقيت عنــدى الحمامةُ[٥] والوَرْدُ

---

(١) الجحجاح : السيد الكريم المسارع الى المكارم . (٢) المناح : الكثير العطاء .

(٣) يعتلجون : يتصارعون . (٤) وردت هذه الحكاية فى المحاسن والأضداد (ص ٢٢٩ طبع أوربا) هكذا : «خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلّف امرأة يقال لها : هند من أجمل نساء زمانها ، ولبث هناك سنين ، فاشترى جارية اسمها جمانة ، وكان له فرس يسميه الورد ، فوقعت الجارية منه موقعا فأنشأ يقول : ألا لا أبالى اليوم ... ... الأبيات» . وقد ذكرت هذه الحكاية أيضا فى المستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى (ج ٢ ص ٢٨٤ طبع بولاق) . (٥) فى المحاسن والاضداد : «الجمانة» ، ونبه مصححه على رواية فى بعض نسخه ، وهى كرواية الأصل .

شديدُ مَنَاطِ المَنْكِبين اذا جرى * وبيضاءُ صِنْهاجِيَّةٌ زانها العِقْدُ
فهذا لأيَّام الحروبِ وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرفُ الجُنْدُ

فنُمِى الشعرُ اليها فقالت :

ألَا أقرِه منّى السلامَ وقل له * غَنِينا وأغْنَتْنا غطارفةُ المُرْد (١)
بحمد أمير المؤمنين أقرَّهم * شباباً وأغزاكم (٢) حواقلةَ (٣) الجند
إذا شئتُ غنّانى رِفَلٌّ (٤) مُرَجَّلٌ * ونازعنى فى (٥) ماءِ مُعْتَصِرٍ وَرْدِ
وإن شاء منهم ناشئٌ مدّ كفَّه * على كَتَدٍ (٦) ملساء أو كَفَلٍ نَهْدِ
فما كنتم تقضون حاجةَ أهلكم * شُهودا فتقضُوها على النَّأْيِ والبعدِ (٧)

---

(١) كذا فى المستطرف (ج ٢ ص ٢٩٥ طبع بولاق) والغطارفة : جمع غطريف وهو الفتى الجميل أو السخي السرى الشاب . وفى الأصل : * غنينا وأغنتنا عرائقة المرد * وربما كانت «عرائقة» محرّفة عن «غرانقة» والغرانقة : الرجال الشباب . ورواية المحاسن والأضداد :

* عنينا بفتيان غطارفة مرد * وعنينا محرفة عن غنبنا . (٢) فى الأصل : «أغراكم» والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٤ طبع بولاق) وروايته فيه :

* شبابا وأغزاكم خوالف فى الجند *

ورواية المحاسن والأضداد :

فهذا أمير المؤمنين أميرهم * سبانا وأغناكم أراذلة الجند

وفيه : «أميرهم * سبانا وأغناكم» محرّف عن «أقرهم * شبابا وأغزاكم» .

(٣) حواقلة : جمع حوقل، والحوقل : الرجل المسن . (٤) الرفل : الطويل الذيل من الناس . والمرجل : مسرح الشعر . (٥) كذا فى المستطرف . وفى الأصل : «من» .

(٦) الكتد (وزان سبب وكتف) : مجتمع الكتفين من الانسان والفرس، وفيه أقوال أخرى . ورواية المستطرف : «على عكن ملساء» والعكن : ثنايا البطن . (٧) كذا فى المستطرف . وفى الأصل :

فما مثلكم يقضون حاجة أهلكم * قريبا فيقضوها على النأى والبعد

ولعله :

فما مثلكم يقضون حاجة أهلهم * قريبا فيقضوها على النأى والبعد

فلمّــا بلغه الشــعرُ أتاها ، وقال : أكنتِ فاعلةً ؟ فقالت : اللهُ أجلُّ فى عينى ، وأنت أهْونُ علىّ .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكتِ العربُ شيئا ما بكتِ الشبابَ، وما بلغتْ ما هو أهـــلُه .

كانت لبعض الأعراب آمرأةٌ لا تزال تُشَارُّه (١) وقد كان أسَنّ وآمتنع من النكاح، فقال له رجل : ما يُصْلِحُ بينكما أبدا ؟ فقال : لا ، إنه قـد مات الذى كان يُصْلِح بيننا (يعنى ذكره) .

قال رجلٌ لصديقٍ له :

أعَنَّستَ (٢) نفسَــك حتى إذا أتيتَ على الخمس والأربعينا
تزوّجتَهــا شارفًا (٣) فخمــةً * فــلا بالرِّفَاءِ ولا بالبنينــا
فــلا ذاتُ مال تَزَوَّجتَهــا * ولا ولد تَرْتَجِى أن يكونا
بهــا أبدًا فالتمِسْ غــيرَها * لعـــلّك تُعْطَى بِغَثٍّ سَمِينا

قال أنُوشِرْوانُ : كنتُ أخاف إذا أنا شِختُ لا تُريدنى النســاء، فإذا أنا لا أُريدُهنّ .

قال أعرابىّ :

إنّ العجوزَ فَارِكٌ (٤) ضجيعُهــا * تَسِيلُ من غير بُكًى دموعُها
تُمَدَّد الوجهَ فــلا يُطيعها * كأنّ من يُضِيفُها يُضِيعُهــا

(١) المشارّة : المخاصمة ، يقال : فلان يشارّ فلانا و يمارّه أى يعاديه ، و يروى بالتخفيف ، ومنه حديث أبى الأسود : ما فعل الذى كانت امرأته تشاره وتماره (انظر اللسان مادة شرر) .

(٢) يقـال : عنس فلان نفسه اذا حبسها عن التزوّج .

(٣) الشارف : المسنة الهرمة ، والفخمة : العبلة الضخمة .

(٤) فركه (من باب علم) : أبغضه ، وقيــل : خاص ببغضة الزوجين .

وقال أبو النجم :

قـــد زَعَمتْ أُمُّ الخِيَـارِ أَنِّى * شِبتُ وحَنَّى ظَهْـــرِىَ المُحَنِّى

وأعرضتْ فِعلَ الشَّمُوسِ عَنِّى * فقلتُ ما داؤكِ (١) إلا سِـــنِّى

* لن تَجْمَعِى (٢) وُدِّى وأنْ تَضَنِّى *

قال يزيد بن الحَكَم بن [أبى] العاص :

فما منكَ الشّبابُ ولستَ منه * إذا سألتْك لِحيَتُـك الخضابَا

وما يرجو الكبيرُ من الغَوَانِى * إذا ذهبتْ شَـبيبتُه وشابا

وقال آخر :

[ ] (٣) فالغـــوانى * نَوَافِــرُ عن مُلاحظةِ القَتِـيرِ (٤)

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمرى * ولستُ مُسَـوِّدًا وجهَ النّـذيرِ

كان سعد بن أبى وَقّاص يَخْضِبُ بالسَّواد، ويقول :

أُسَــوِّد أعلاها وتأبَى أُصولُهـا * فيا ليت ما يَسْوَدّ منها هو الأصلُ

وقال أسودُ بن دُهَيْم :

لمـا رأيتُ الشَّيبَ عِيبَ بياضُـه * تشببتُ وآبتعتُ الشبابَ بدرهمِ

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء طبع أوربا . وفى الأصل : «ذلك» . (٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . وفى الأصل : * أن تجمعى جودى وأن تضنّى *

(٣) مابين القوسين بياض بالأصل لم نوفق الى أصله ، وهو يقرب أن يكون : «وقائلة تخضَّب فالغوانى» . وورد هذا الشعر فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٢١ طبع بولاق) هكذا :

وقائلة تقـــول وقد رأتنى * أرقع عارضىّ من القتـير

عليك الخِطر هل لك أن تدنى * إلى بيض ترائبهن حـــور

فقلت لهـا المشيب نذير عمرى * ولست مسوِّدا وجه النـــذير

(٤) القتير : الشيب ، أو أوّل ما يبدو منه .

وقال محمود الورّاق :

يا خاضبَ الشَّيبِ الذى * فى كلِّ ثالثـةٍ يعــودُ
إنّ النُّصُــولَ[1] اذا بَدَا * فكأنّه شيبٌ جــديدُ
وله بَديهــةُ[2] رَوْعــةٍ * مكروهُها أبدًا عتيدُ
فــدَعِ المشيبَ كما أرا[3] * د فلن يعــودَ كما تُريدُ

أنشد ٱبن الأعرابىّ :

ولقـــد أقولُ لشَـيْبةٍ أبصرتُهـا * فى مَفْــرِقى فمنحتُهـا إعراضِى
عنِّى إليكِ فلستِ من خيرٍ ولو * عَمّمتُ منـكِ مفـارِقى ببيـاضِ
ولَقَلّمـا أرتاعُ منــكِ وإننى * فيما ألَذُّ وإن فَزِعت لَمـاضِى
فعليـكِ ما ٱستطَعْتِ الظهورَ بِلِمّتِى * وعلىَّ أن ألقـاكِ بالمِقـراض

وقال الفرزدقُ :

تَفَارِيقُ شيبٍ فى السَّوادِ لوامعٌ * وما خيرُ ليـلٍ ليس فيه نجـومُ

وقال غَيْلانُ بن سَلَمَةَ :

الشَّيبُ إن يَظهَرْ فإنّ وراءَه * عُمرًا يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِصْ منِّى المشيبُ قُلامةً * ولنحنُ حين بدا ألَبُّ وأكيسُ

---

(١) نصلت اللحية نصولا : خرجت من الخضاب. (٢) كذا فى كتاب بهجة المجالس (المجلد الثانى ورقة ١٦١ النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٦٦ أدب) ، وفى الكامل للبرد (ص ٣٣١ طبع أوربا) : «بداهة لوعة» . وفى الأصل : «بديعة روعة» . (٣) كذا فى رواية أشير اليها فى هامش الكامل للبرد (ص ٣٣١ طبعة أوربا) وقد آثرناها لمقابلة «كما تريد» . وفى الأصل : «لما أراد» .

وقال الطائى :

أبدتْ أسًى أن رأتْنى مُخْلِسَ القَصبِ (١) * وآلَ ما كان مِنْ عُجْبٍ الى عَجَبِ
لا تُنْكِرِى منــه تَخْـدِيدا (٢) تخلّله * فالسيفُ لايُزْدَرَى أن كان ذَا شُطَبِ (٣)
ولا يُؤَرِّقْكِ إيمـاضُ القَتِـيرِ به * فإنّ ذاك آبتسامُ الرأيِ والأدَبِ

وقال آخر :

يقولون هل بعــدَ الثلاثين مَلْعَبٌ * فقلت وهل قبــلَ الثلاثين ملعبُ
لقد جَلَّ قدرُ الشّيبِ إنْ (٤) كان كُلّما * بدتْ شيبةٌ يَعْرَى من اللّهوِ مَرْكَبُ

باب الخَلْق

الطــــول والقِصَـــــر

عن عمرو بن شُعَيب : أنّ النبىّ صلى الله عليــه وسلم رأى رجلا قصــيرا — أو قال شديد القِصَرِ — فسجَد .

عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : " من رأى منكم مُبْتَلًى فقال الحمــدُ لله الذى عافانى ممــا آبتلاكَ به وفضّلنى على كثيرٍ ممن خلقه تفضيلًا عافاه الله من ذلك البَلَاءِ كائنًا ما كان " .

وقال بعضُ الشعراء :

من تعادر من يسامح * من تطــاول بزياد
من تبــارانى نسينى * ببعيــد من إيادْ (٥)

(١) أخلس رأسه فهو مخلس وخليس اذا كان فيه بياض وسواد . وفى الأصل : «مخلص» بالصاد وهو تحريف . والقصب : جمع قصْبة وهى خصلة ملتوية من الشــعر . (٢) كذا فى الديوان والتخديد : التشنج والهزال . وفى الأصــل : « تجديدا تجلله » . (٣) شطب السيف : طرائقه التى تلمع من شدة جريان مائه وصفاء فرنده . (٤) يجوز فى همزة « إن » هذه الفتح على أن تكون مصدرية والكسر على أن تكون شرطية . (٥) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى تصويبه .

وقال إسحاق الموصليّ فى غلامه :

ذهبتَ سَمَاجةً(١) وذهبتَ طُولًا * كأنك من فَرَاسِخِ ديرِ سَعْدِ

وقال أبو اليَقْظان : كان يَعْلَى بن الحَكَم بن [أبى] العاص يُعَيِّر أخاه يزيد بالقِصَر، فقال يزيد :

هُمُ الرِّجالِ العُلَا أَخْذًا بِذِرْوَتِها * وإنما هَمُّ يَعْلَى الطولُ والقِصَرُ

وقال أبو حاتم :

يكادُ خَليلِى من تَقارُبِ شَخْصِه * يَعَضُّ القُرادُ باسْتِه وهو قائمُ

وقال آخر وكان قصيرا :

فإلَّا يَكنْ عَظْمِى طويلًا فإنّنى * له بالخِصال الصالحاتِ وَصُولُ

وقال أَوْفَى بنُ مُوَلَّه(٢) فى مثل ذلك :

فإن أَكُ قَصْدًا فى الرجال فإنّنى * إذا حَلّ أمرٌ ساحتِى لجسيمُ

وقال آخر :

ولمّا التقى الصَّفّانِ واختلف القَنَا * نِهَالًا(٣) وأسبابُ المنايا نِهالُهَا

تَبَيَّن لى أنّ القَمَاءَةَ ذِلَّةٌ * وأنّ أَشِدَّاءَ الرِّجال طِوَالُهَا

---

(١) فى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه : «ذهبت تماديا» . وفراسخ دير سعد : يضرب بها المثل فى الطول . (٢) كذا بالأصل ، ولم نجد هذا الاسم فى المراجع التى بين أيدينا .
(٣) نهالا : يريد أنها قد وردت الدم مرّة ولم تثنّ ؛ وذلك أن الناهل هو الذى يشرب أوّل شربة ، فاذا شرب ثانيــة فهو عالّ . وقوله : « وأسباب المنايا نهالها » أى أوّل ما يقع منها يكون سببا لما بعده ، وأنشد :

* وأن أشدّاء الرجال طيالها *

بإبدال الواو ياء ، وليس بالجيد . (انظر الكامل للبرد ج ١ ص ٥٤ طبع أوربا) .

وقال الغَطَمَّشُ الضَّبِّيّ :

ولو وجدُوا نعلَ الغَطَمَّشِ لاَحتَذَوْا * لأرجُلِهم منها ثمانِىَ أنعُلِ

كان جرير بن عبدالله يَثْفُل[(١)] إلى ذِرْوةِ البعير من طُوله ، وكانت نعلُه ذراعًا .

الأصمعىّ قال : دخل المغيرة بن شعبة على معاوية، فقال معاوية[(٢)] :

اذا راح فى قُوهِيَّةٍ[(٣)] مُتَلَبِّسًا * تَقُلْ جُعَلٌ[(٤)] يَسْتَنُّ فى لَبَنٍ مَحْضِ

وأُقسِمُ لو خَرَّتْ مِنِ آستِك بيضةٌ * لمَا آنكسرتْ من قُرْبِ بعضك من بعضِ

اللِّحَى

قال بعضُ الحكماءِ : لا تُصافِيَنّ مَنْ لاشَعْرَ على عارضَيْه وإن كانتِ الدنيا خرابًا إلّا منه .

كانت عائشة ربّما قالت : والّذى زيّن الرجالَ بآللّحَى .

وقال بعضُ المحدَثين :

يا لِحيةً طالتْ على نَوْكِها * كأنّها لِحيةُ جبريلِ

لو كان ما يَقطُر من دُهْنِها * لِيلًا لوَفَّى ألفَ قِنديلِ

ولو تراها وهى قد سُرِّحتْ * حَسِبتَها بَنْدًا[(٥)] على الفيلِ

قال رجل لبعض مجانين الكوفة : ما هذه اللّحية؟ — وكانت كبيرةً — فقال : وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا .

---

(١) كذا بالأصل . (٢) فى أمالى القالى (ج ١ ص ٢٧٨ طبع دار الكتب المصرية) : «كان المغيرة بن شعبة أعور دميما آدم ، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال ... » ثم ذكر البيتين . (٣) فى الأمالى : «اذا راح فى قبطية متأزرا» والقوهية : ضرب من الثياب بيض منسوبة الى قوهستان . والقبطية بالضم وقد تكسر : ثياب من كتّان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس كالدهرى والسهلى . (٤) فى الأمالى : «فقل» . والجعل (بضم ففتح) : ضرب من الخنافس . ويستن : يضطرب أو يذهب ويجىء . (٥) البند : العلم الكبير، فارسىّ معرب .

وقال مروان بن أبي حَفْصَة :

لقد كانتْ مجالسُنا فِساحًا * فضَيّقها بلحيَتِــهِ رَبَاحُ
مُبَعثَرةُ[1] الأسافلِ والأعالِي * لهـا فى كلِّ زاويةٍ جَناحُ

وقال آخر :

أُنَفِّشُ لحيــةً عَرُضتْ وطالتْ * من الهَدَباتِ تملأ عُرْضَ صدرِى
أكادُ إذا قعــدتُ أبولُ فيهـا * إذا أنا لم أُعَقِّصْهـا بظُفْــرِى

وقال أعرابىّ :

لا تَفخَرنَّ بلحيــةٍ * عظُمتْ[2] جوانبُها طويلهْ
تجــرى بمَفْرَقِها[3] الريا * حُ كأنها ذَنَبُ الحَســيلهْ[4]

العيون

قال إبراهيم النَّخَعىّ لسليمانَ الأعمشِ وأراد أن يُمـاشيَه : إن الناس اذا رأونا معًا قالوا : أعورُ وأعمشُ، قال : ما عليــكَ أن يأثموا ونُؤجر، قال : ما عليك أن يَسْلَموا ونَسلَمَ .

وقال ٱبْنُ عباس[5] بعد ما كُفَّ بصرُه :

إن يأخذِ اللهُ من عينيّ نورَهمـا[6] * ففى فــؤادى وسمعى منهما نورُ
قلبى ذكىٌّ وعِرْضى غيرُذى دَخَلٍ * وفى فمى صـارمٌ كالسيف مأثورُ

---

(١) فى الأصل : «مبعثلة» ، ولعل مارجحناه هوالصواب . (٢) فى اللسان مادة حسل : « كثرت منابتها» . (٣) فى اللسان : «تهوى تفرقها» والمفرق بمعنى التفرق . (٤) الحسيلة : أنثى الحسيل وهو ولد البقر . (٥) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٥٥ طبع دار الكتب المصرية) أنه لحسان بن ثابت رضى الله عنه، ولم نعثر عليه فى ديوانه . (٦) روى هذا الشعر فى الأمالى (ج ٣ ص ١٥٥ طبع دار الكتب المصرية) وكتاب الشعر والشعراء (ص ٣٤٥ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٢٥ طبع بولاق) مع اختلاف يسير .

فأخذ الخُرَيْمِيّ هذا المعنى فقال :

فإن تك عيني خَبَا نورُها * فكم قبلَها نورُ عينٍ خبا
فلم يَعْمَ قلبي ولكنّما * أرى نورَ عينِي اليه سرَى
فأسرجَ فيه الى ضوئه * سراجًا من العلم يَشْفِي العمَى

وقال الخريمىّ أيضا :

أُصْغِي الى قائدى لِيُخبِرنى * اذا التقينا عمن يُحَيِّينِي
أُريدُ أن أَعدِلَ السّلَامَ وأن * أَفصِلَ بين الشّرِيف والدُّونِ
أَسمعُ ما لا أرَى فأكرهُ أن * أُخطِئَ والسّمعُ غيرُ مأمونِ
للهِ عينِي التى فُجِعتُ بها * لو أنّ دهرًا بها يُواتِينِي
لو كنتُ خُيِّرتُ، ما أَخذتُ بها * تعميرَ نُوحٍ فى مِلْكِ قارونِ

وتماشى أعورانِ، فقال أحدُهما :

أَلَمْ تَرَنى وعَمْرًا حين نَمْشِي * نُرِيدُ السُّوقَ ليس لنا نَظيرُ
أُماشيهِ على يُمْنَى يديه * وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ

وقال قائلٌ[(١)] فى طاهر بن الحسين :

يا ذا اليمينَيْنِ وعينٍ واحِدهْ * نُقصانُ عينٍ ويمينٌ زائدهْ

وقال الأصمعىّ : جاءتْ رجلًا أعورَ نُشّابَةٌ فأصابتْ عينَه الصحيحةَ، فقال : يا ربِّ وأنا أيضا على مَحمِل .

(١) فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٢٣٤ طبع بولاق) : أنه عمرو بن بانة . ولقب طاهر بذى اليمينين، لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان فقدّه نصفين، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء : * كلتا يديك يمين حين تضربه * فلقبه المأمون بذى اليمينين، وقيل غير ذلك .

اشترى أبو الأســود جارية حَوْلاءَ فأغار امرأتَه أمَّ عوفٍ ، وكانت ابنةَ عمّه وكانت تُشارُّه(١) فى كلّ يوم وتقول : مَنْ يَشترى حَولاءَ ؛ فلمّا أكثرتْ عليه قال :

يَعيبونها عندى ولا عيبَ عندها * سِوى أنّ فى العينينِ بعضَ التأخُّرِ
فإن يكُ فى العينَيْنِ سُوءٌ فإنها * مُهفهفَــةُ الأعلى رَداحُ(٢) المؤخَّرِ

أنشدَ أبو النجم هشامَ بن عبد الملك أُرجُوزَتَه التى أوّلها :

* الحمد لله الوَهُوبِ المُجزِل *

فلم يزلْ هشام يُصَفِّقُ بيــديه آستحساناً لهــا ، حتى اذا بلغ قولَه فى صفة الشمس :

فهىَ(٣) فى الأُفْــق كعينِ الأحولِ * صَغواءُ قد كادت ولمّــا تَفْعَلِ

أمرَ بوجْءِ(٤) رقبته وإخراجِه . وكان هشامٌ أحولَ .

وقال آخر :

يقـــولونَ نَصْرانيّــــةٌ أُمُّ خالدٍ * فقلتُ دَعُوها كلُّ نفسٍ ودِينُها
فإن تكُ نصرانيّــــةً أُمُّ خالدٍ * فقد صُوِّرَتْ فى صورةٍ لا تَشِينُها
أُحِبُّكِ أن قالوا بعينِــكِ زُرقةٌ * كذاكَ عِتاقُ الطيرِ زُرْقًا عُيونُها

(١) تشارّه : تخاصمه .

(٢) امرأة رداح : ثقيلة الأوراك .

(٣) ذكر المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٣٨٣ طبع أوربا) بيتين من أرجوزة أبى النجم فى وصف الشمس وهما :

حتى اذا الشمس جلاها المجتلى * بيــن سماطى شفق مرعبــل
صفواء قد كادت ولمّا تفعــل * فهى على الأفق كعين الأحول

وصفواء : مائلة للغروب ؛ يقال : صغت الشمس تصغو صغوا فهى صغواء .

(٤) وجء رقبته : كناية عن ضربه ولكزه .

وقرأتُ فى الآيين أن[1] الرجل اذا آجتمع فيه قِصَر وسُبُوطة وحَوَل وعسم[2] وشَدَق[3]... كان لا يُستعملُ فى دار المُلْك، ويُحالُ بينه وبين التصدير للملِك[4]، وكذلك المرأةُ البَرْشاءُ[5] والبَرْصاءُ .

وقال بعض الشعراء فى صحة البصر مع الهَرَم :

إن مُعاذَ[6] بنَ مسلمٍ رجلٌ * ليس يقينًا لعُمْرِه أَمَدُ
قُلْ لمعاذٍ اذا مررتَ به * قد ضَجَّ من طول عمرك الأبدُ
قد شابَ رأسُ الزمانِ وآكتهلَ الدّهرُ وأثوابُ عُمْرِه جُدُدُ
يا نَسرَ لُقمانَ كم تَعيشُ وكم * تَسحَبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبَدُ[7]

(١) أنظر الكلام عليه فى الحاشية (رقم ١ ص ٢٥٥) من المجلد الثالث من هذا الكتاب. (٢) العسم: يبس فى المرفق والرسغ تعوج منه اليد والقدم، قال رؤبة : * لا وَقَعٌ فى نعله ولا عَسَمْ *
(٣) الشدق : سعة الفم . (٤) محل هذه النقط كلمة فى الأصل صورتها هكذا «حجتم»، ولعلها محرّفة عن «هتم»، وهو انكسار الثنايا من أصولها خاصة، أو نحو ذلك مما يرجع الى نقص فى الخلقة، أو تشويه فى الجوارح . وقد ذكر الجاحظ فى التاج فى كلامه على ندماء الملك أن أردشير بن بابك رتبهم ثلاث طبقات، وتكلم على الطبقة الثالثة وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة وقال : إنه ليس فى هذه الطبقة خسيس الأصل ولا وضيعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف ولا مرمىّ بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام . (انظر التاج للجاحظ ص ٢٣ و ٢٤ طبع بولاق) .
(٥) البرشاء : التى فى لونها نقط مختلفة . والبرصاء : التى فى جسمها لمع بياض . (٦) وردت هذه الأبيات فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٢٣ طبع بولاق) منسوبة الى محمد بن مناذر، وهى تنقص بيتا عما هنا مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ . وذكرها ابن خلكان فى الوفيات طبع بولاق (ج ٢ ص ١٤٥) فى الكلام على أبى مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوى الكوفى، ونسبها الى أبى السرىّ سهل بن أبى غالب الخزرجى الشاعر المشهور، وزاد فيها أبياتا عما هنا مع اختلاف فى بعض الكلمات . (٧) لبد : اسم آخر نسور لقمان، والذى قيل فى ذلك : أن لقمان بعثته عاد فى وفدها الى الحرم يستسق لها، فلما أهلكوا خيّر لقمان بين أن يعيش عمرَ سبع بعرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر، أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر، وكان قد سأل الله طول العمر، فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة حتى هلك منها ستة فسمى السابع لبدا، فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران كان يقول له : انهض يا لبد، فلما هلك لبد مات لقمان، وقد ذكرته الشعراء . قال النابغة الذبيانى :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

(انظر اللسان مادة لبد وحياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٤١٢ طبع بولاق ووفيات الأعيان) .

قــد أصبحتْ دارُ آدمٍ طللًا * وأنتَ فيهـا كأنّــكَ الوَتِدُ
تسأَلُ غِرْبَانَهـا اذا حَجَلَتْ * كيف يكون الصُّـداعُ والرَّمَدُ

الأُنــــوف

عن أبي زيد قال : [رأيتُ] أعرابيًا أَنْفُهُ كأنه كُورٌ من عِظَمِه، فرآنا نضحك فقال : ما يُضحِكُكم! والله لقد كنا فى قوم ما يُسمُّوننا إلا الأُفَيْطس .

عن الوليد بن بَشّار أن امرأة عَقيل بن أبي طالب، وهى بنت عُتْبة بن ربيعة، قالت : يابنى هاشم لا يُحِبُّكم قلبي أبدا ، إنّ أبي وآبنَ عميّ(١) أبو فلان بن فلان كان أعناقَهم أباريقُ فِضّةٍ، تَرِد أُنوفهم قبل شِفاهِهم؛ فقال لها عقيلٌ : اذا دخلتِ النارَ فخُذى على يَسارِك .

قال بعض الشعراء(٢) يذكر الكِبَر :

أَرَى(٣) شَعَراتٍ على حاجِـــبِيّ * بِيضًا نَبَتْنَ جميعـا تُؤَامَا
ظَلِلتُ أُهَاهِي(٤) بهنّ الكِلا * بَ أحسَبُهُنّ صِيارًا(٥) قِيامَا
وأحسَبُ أنفِي اذا ما مَشَيـ * ـتُ شخصًا أمامي رآني فقامَا

(١) كذا بالأصل، ولعل صواب العبارة : «إن أبي وعمّي وأخي كأن أعناقهم الخ» وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة، وقد قتلوا يوم غزوة بدر قتلهم حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث . (راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٣ طبع أوربا) والأغانى (ج ٤ ص ٣٥ طبع بولاق) . (٢) هو ذو الاصبع العدوانى كما فى حماسة البحترى (ص ٢٩٨ طبع أوربا) .

(٣) روى هذا البيت فى حماسة البحترى هكذا :

أرى شعرات على حاجـــبيّ * نبتن جميعـا تؤاما تؤاما

(٤) كذا فى حماسة البحترى . وفى الأصل "أهاتى" بالتاء المثناة من فوق . وأهاهى بمعنى أغرى .

(٥) فى حماسة البحترى « صوارا » وكلاهما القطيع من البقر .

وقال بعضُ المحدَثين :

اذا أنتَ أقبلتَ فى حاجةٍ * اليه فكلِّمْه مِن خَلْفِهِ
فإن أنتَ واجهتَه فى الكلا * مِ لم يَسمعِ الصوتَ من أنفِه

وقال آخرُ :

إنّ عيسى أنفُ أَنفِهْ * أنفُه ضعفُ لِضِعفِهْ
وهو لو يَستنشِقُ الثو(١) * رَ بِقرنَيْهِ وظِلْفِهْ
لَثَوَى فى منْخرٍ يَسـ * ـتغرِقُ الخلقَ بنِصفِهْ
لو تَراه راكبا والتِّـ * ـيهُ قد مال بعِطفِهْ
لرأيتَ الأنفَ فى السّر * جِ وعيسى رِدفَ أَنفِهْ

وقال قَعْنَب فى الوليد بن عبد الملك :

فقدتُ الوليد وأنفًا له * كمثل المعين(٢) أبى أن يبولَا
أتيتُ الوليدَ فألفيتُه * كما يعلم الناسُ وَخْمًا ثقيلَا

البَخَرُ والنَّتْنُ

قال أبو اليَقْظان : كان يقال لعبد الملك بن مروان : أبو الذِّبّانِ لشدّة بَخَره . يريدون أنّ الذُّباب يسقُط إذا قارب فاه من شدّة رائحته . قال : ونبَذ الى امرأةٍ له تُفّاحةً قد عضّها، فأخذَتْ سِكّينا ، فقال لها : ما تَصنعين ؟ قالت : أُميطُ عنها الأذى، فطلّقها .

(١) فى الأصل : «الثوب» وهو تحريف .
(٢) كذا بالأصل . ولم نهتد الى وجه الصواب فيه .

وقالَ مُسلِمٌ :

أنتَ تَفْسُو إذا نطقتَ ومن سبِّح مِن فسو فاك إثْمًا وزُورَا (١)

وقال آخر (٢) :

لا تُدْنِ فاكَ من الأمير ونحِّـه * حتى يُداوِىَ ما بأنفك أَهرَنُ (٣)

إن كان للظِّرِبانِ (٤) بجُحرٌ مُنتِنٌ * فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

وقال شَقيقُ بن السُّلَيك العامرىُّ لآمرأته :

إذا ما نُكِحتِ فلا بالرِّفاءِ * وإمّا أُتيتِ فلا بالبنينا

تزوَّجتِ أصلعَ فى غُرْبةٍ * تُجَنُّ الحليلةُ منه جُنونَا

إذا ما نُقِلتِ الى بيتِـه * أعدَّ لجنبيك سوطًا متينا

كأنّ المساوِكَ فى شِدْقِه * إذا هنّ أُكرِهنَ يقلَعْن طِينَا

كأن توالِىَ أضراسِه * وبينَ ثناياه غِسلًا (٥) لجينا

وقال الحكمُ بنُ عَبْدَل (٦) لمحمد بن حسّانَ بن سعد :

فما (٧) يدنُو الى فَمِه ذُبابٌ * ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْدِ (٨)

يرَيْنَ حلاوةً ويخَفْنَ موتًا * وَشيكًا (٩) إذ هَمَمْنَ له بوِرْدِ

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله :

أنت تفسو إذا نطقت ومن سبح من فسو فال إثما وزورا

(٢) هو الحكم بن عبدل الشاعر ، وله ترجمة بالجزء الثالث من الأغانى طبع دار الكتب المصرية .

(٣) هو أهرن القس بن أعين كان فى صدر الملة وعمل كنابه بالسريانية وهو ثلاثون مقالة ونقله ماسرجيس الطبيب الى العربية وزاد عليه مقالتين (انظرفهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطى). (٤) الظربان : دويبة كالهرة منتنة . (٥) الغسل : ما يغسل به الرأس من خطمىّ وطين وأشنان ونحوه . والجبين : الذى صب عليه الماء وضرب ليختلط . (٦) كذا فى الأغانى (ج ٢ ص ٤١٢ طبع دار الكتب المصرية) ، والشعر الذى رواه يؤيد ذلك . وفى الأصل : «حسان بن سعيد» . (٧) كذا ورد فى الأغانى والكامل . وفى الأصل : «وليس يقارب فاه ذبابا» . (٨) القند : عصارة قصب السكر اذا جمد . (٩) كذا فى الكامل . وفى الأصل : «ويرين موتا * ذعافا» .

وقال أعرابىٌّ :

كأنَّ إبطىَّ وقد طال المدَى * نَفْحَةُ خُرْءٍ(١) من كَوَاميخ القُرَى

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة(٢) :

من يَكُنْ إبطه كآباط ذا الخَلْـ * ـقِ فإبطاى فى عِدَادِ الفِقَاحِ(٣)

لِىَ إبطانِ يَرمِيَانِ جليسِى * بشَبيه السُّلَاحِ أو بالسُّلَاحِ(٤)

فكأنى من نَتْنِ هـذا وهـذا * جالسٌ بين مُصعَبٍ وصَبَاحِ

يعنى مُصعبَ بن عبد الله بن مصعب، وصباحَ بنَ خاقان الأهتمىّ(٥) .

البَرَصُ

كان بَلْعَاءُ بنُ قيس أبرصَ، فقال له قائل : ماهذا بك يابلعاءُ ؟ فقال : سيف الله جِلاه(٦) .

---

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١١٦ طبع مصر) . وفى الأصل : « جرء » بالجيم وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٦٠ طبع بولاق) والكامل للبرد (ص ٤٥٩ طبع أوربا) ، وفى الأصل : «عبد الله بن عبدالله العائشى التيمى» وعبد الرحمن هذا خليع من أهل البصرة .

(٣) الفقاح : جمع فقحة ، والفقحة : حلقة الدبر الواسعة .

(٤) هذه رواية الكامل للبرد . وفى الأغانى « ... خليلى * ... بل بالسلاح» . وفى الأصل : « ... خليلى * ... يوم السلاح » . والسُّلاح (بالضمّ) : النجو .

(٥) فى الأغانى والكامل : « المنقرى » . (٦) كذا فى الأغانى (ج ١١ ص ١٦٥ طبع بولاق) . وفى الأصل « حلاه » بالحاء المهملة .

وقال آبنُ حَبناء[(١)] :

إنّى آمرؤٌ حَنْظَلِىٌّ حين تَنسُبُنِى * لا مِلْعَتِيك ولا أخوالِىَ العَوَقُ[(٢)]

لا تَحسَــبَنّ بياضًا فىّ مَنقَصَةً * إن اللّهاميمَ[(٣)] فى أقــرابِها[(٤)] بَلَقُ

وقال أبو مُسْهِرٍ[(٥)] :

أيشتِمُنى زيدٌ بأن كنتُ أبرصًا * فكلُّ كـريمٍ لا أبالكَ أَبرصُ

---

(١) فى الأصل : «ابن حنباء» بتقديم النون على الباء وهو تحريف ، اذ هو المغيرة بن حبناء بن عمرو ابن ربيعة بن حنظلة ، وهو شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية . (٢) كذا ورد هذا الشعر فى الشعر والشعراء . (ص ٢٤٠ طبع أوربا) وروايته فى الأغانى (ج ١١ ص ١٦٦ طبع بولاق) :

إنى امرؤ حنظلىّ حين تنسبنى * لا آمى العتيك ولا أخوالى العوق

وقد ورد فى الأصل محرّفا هكذا :

إن أمر حنظلى حين ينســفنى * أمى العتيل وأخوالى بنو العـوق

وأورد أبو الفرج الأصبهانى من أمر هذا الشعر أن المغيرة بن حبناء كان يوما يأكل مع المفضل بن المهلب ابن أبى صفرة ، فقال له المفضل :

فــلم أر مثــل الحنظلىّ ولونه * أكيل كرام أو جليس أمـــير

فرفع المغيرة يده مغضبا ثم قال هذين البيتين ؛ ولما بلغ المهلب ماجرى تناول المفضل بلسانه وشتمه ، ثم بعث الى المغيرة بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل واعتذر اليه عنه ، فقبل رفده وعذره ، وانقطع بعد ذلك عن مؤاكلة أحد منهم . وقد فسر أبو الفرج العوق بأنهم مِنْ يَشْكُر وأنهم كانوا أخوال المفضــل . والعتيك : قبيلة . (٣) أصــل اللهميم واللهموم : الجواد السابق يجرى أمام الخيــل لألتهامه الأرض ، وكذلك يقــال للجواد من الناس الذى يسبقهم الى المكارم . (٤) كذا فى اللسان (مادة لهم) والأقراب (بالباء الموحدة) : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة . وفى الأصل «أقرانها» بالنون وهو تحريف . وفى الأغانى : «ألوانها» . (٥) نسب الابشيهى هذا البيت فى المستطرف (ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق) لرجل اسمه سهل .

وقال بعض النَّهْشَلِيِّينَ :

نَفرتْ سَـودَةُ مِنِّى إذ رَأَتْ * صَـلَعَ الرأسِ وفى الجلدِ وَضَح[١]
قلتُ يا سـودةُ هـذا والّذى * يَفْـرِجُ الكُربةَ عنّـا[٢] والكَلَحْ
هو زَينٌ لِىَ فى الوجـــه كما * زَيَّنَ الطِّرفَ تَحاسِينُ القُـزَح[٣]

وقال آخرُ :

يا كأسُ لا تَستنكرى نُحولى * وَوَضَحًا أَوْفَى على خَصِـــيلِى[٤]
فإنَّ نَعتَ الفرسِ الرَّحِـــيلِ[٥] * يكمُل بٱلغُـرّة والتَّحْجيـــلِ

وقال آخرُ :

يا أختَ سعدٍ لا تَعِيبِى بالزَّرَقْ * لايَضْرُرِ الطِّــرْفَ تَوالِيعُ[٦] البَهَقْ
* إذا جَرَى فى حَلْبَة الخيل سَبَقْ *

لمـا أَنْشد[٧] لَبِيدٌ النعمانَ بنَ المُنْذِر قولَه فى الرَّبيع بنِ زِيَادٍ العَبْسِىّ :

مهلًا أَبَيْتَ اللعنَ لا تأْكُلْ معَهْ * إنّ ٱسْـتَهُ من بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ

قال الربيع : أبيتَ اللعنَ ! والله لقـد نِكتُ أُمّه ! فقـال لَبِيدٌ : إن كنتَ فعلت لقـد كانت يتيمةً فى حِجرِك ربَّيْتَها ، وإلا تكن فعلتَ ما قلتَ فما أولاك

---

(١) الوضح : البرص ، ومنه قيل لجذيمة الأبرش : الوضّاح . (٢) فى الأصل : «منا» .
(٣) الطرف : الجواد الكريم ، والقزح : خطوط من صفرة وحمرة وخضرة ، الواحدة قزحة ، ومنه «قوس قزح» وهى قوس تتراءى فى الغمام ذات سبعة ألوان . (٤) الخصيل : جمع خصيلة وهى الشعر المجتمع .
(٥) الفرس الرحيل : القوىّ على الارتحال والسير . وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٥٤ طبع مصر) : «الرجيل» بالجيم ، والرجيل من الخيل : الذى لا يعرق . (٦) التوليع : التلميع من البرص وغيره ، الا أن التوليع : اسـتطالة البلق وتفرقه . ورواية كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٥٤ طبع مصر) :
* ليس يضرّ الطرف توليع البلق *
(٧) وردت هذه العبارة فى الأغانى (ج ١٤ ص ٩٤ طبع بولاق) مع زيادة ومغايرة فى بعض الألفاظ .

بالكذب ! وإن كانت هى الفاعلةَ فإنها من نسوةٍ فُعَّـلٍ لذلك . يعنى أنّ نِساء بنى عَبْسٍ فَواجِرُ .

وقال زيادٌ الأعجمُ :

ما إن يُدَبِّحُ[1] منهـم خارِئٌ أبدًا * إلا رأيتَ على باب آستِه القَمَرَا

يعنى أنهم بُرْصُ الأَسْتاهِ[2] .

وقال كُثَيِّر فى نحو ذلك :

ويُحَشَرُ نورُ المسلمين أمامهم[3] * ويُحشَر فى أستاه ضَمرةَ نُورُها

المَدَائِنِيّ قال : كان أَيْمَنُ بنُ خُرَيمٍ أبرصَ وكان أَثِيرًا[4] عند عبدالعزيز بن مروان ، فعتَب عليه أَيْمَنُ يوما فقال له : أنت طَرِفٌ[5] مَلُولة ؛ فقال له : أنا ملولة وأنا أؤاكِلُك مذ كذا ! . فلحِق بِبِشرِ بن مروان فأكرمه وآختصَّه ولم يكن يؤاكله . فدخل عليه يومًا وبين يديه لبن قد وُضع ؛ فقال له : قد حدّثتُ نفسى البارحةَ بالصوم ، فلما أصبحتُ أَتَوْنى بهذا وهم لا يعلمون ، ولا أرى أحدا أَحَقَّ به منكَ ، فدونكه .

عن أبى جَعْدةَ قال : أصاب أبا عَزّةَ الجُمَحِىّ وَضَحٌ ، فكان لا يُجالَس ، فأخذ شَفْرة وطعَن فى بطنه فمارت الشَّفْرةُ[6] وخرج ماءٌ أصفر وبَرِئَ ، فقال :

---

(١) التدبيح : خفض الرأس وتنكيسه حتى يكون أخفض من الظهر . ورواية الشعر والشـعراء (ص ٢٥٩ طبع أوربا) فى هذا البيت :

لا يدلح الدهر منهم خارئٌ أبدا * إلا حسبتَ على باب آسته تَمرا

(٢) فى الأصل «الأسته» . والذى فى كتب اللغة : أن جمع الأست أستاه . (٣) فى الأصل «أمامه» والتصويب عن المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٣٣٢ طبع أوربا) .

(٤) فى الأصل «أسرا» (بالسين المهملة) . وهو تحريف ، والأثير : الخليص المقدّم على غيره .

(٥) الطرف (وزان كتف) : من لا يثبت على آمرأة ولا صاحب ، والملولة : الكثير الملل والسأم لعشيره .

(٦) مارت الشفرة : نفذت الى داخل الجسم .

لاهُمَّ ربَّ وائـــل ونَهْـــدِ [١] * وربَّ من يَرعى بياضَ لَحْدى
أصبحتُ عبدًا لكَ وٱبنَ عبد * أبرأتَنِى من وَضَحٍ [٢] بجِـلدى
* مَعْ ما طَعنتُ اليوم فى مَعَدِّى *

العُـــرْجُ

كان عبد الحميد بن عبـد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أعرجَ ووَلِىَ شُرطةَ الكوفة ، والقَعْقاع [٣] بن سُوَيد كان أعرج ، فقال بعضُ [٤] الشعراء وكان أعرج :

أَلْقِ العصا ودَعِ التناوُشَ [٥] والتمسْ * عمـــلًا فهـــذِى دولةُ العُرْجانِ
لأمِـــيرنا وأمـــيرِ شُرْطتنا معًـــا * يا قومَنـــا لكليْهما رِجْلانِ

وقال رجل من العُرْج :

وما بِىَ [٦] من عيب الفتى غيرَ أننى * أَلِفْتُ قَناتى حين أوجعَنى ظهرى

وقال آخرُ :

وما بِىَ من عيب الفتى غيرَ أننى * جعلتُ العصا رِجلًا أُقيم بها رجلى

---

(١) نهد : قبيلة من اليمن . (٢) الذى فى اللسان (مادة معد) :

أبرأت منى برصا بجـــلدى * من بعد ما طعنت فى معدّى

والمعدّ : البطن . (٣) هكذا فى الأصـــل وسياق الكلام مضطرب ، ولعله : « وولى شرطة الكوفة القعقاع بن سويد وكان أعرج الخ » وذكرت هـــذه الحكاية فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٦ طبع دار الكتب المصرية) ، وفيه أن الذى ولى الشرطة رجل اسمه سهل الأشعرى ، وليس فيها ذكر للقعقاع ابن سويد هذا ، فراجعها هناك . (٤) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى . (٥) التناوش : التناول باليـــد ، وهو كناية هنا عن المسألة . وفى الأغانى : « ودع التخامع » ، والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج ، يقال : خمعت الضبع خمعا وخموعا وخمعانا اذا ظلعت فى مشيتها كأنّ بها عرجا .

(٦) هذه رواية البيان والتبيين (ج ٣ ص ٣٩ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بمصر) . وفى الأصل : «أوجعنى ظهرى وما يؤمن الفتى» وهى رواية غير واضحة .

وقال أبو زياد الكلابىّ :

أَلِفتُ عصا الطَّرْفاء[١] حتّى كأنّما * أرى بعصا الطرفاء إحدى النّجائبِ

وقال أبو الخطاب النَّهدَلِىّ[٢] :

* قد صرتُ أمشِى بثلاثِ أرجُلِ *

وقال آخرُ :

قد كنتُ أمشى على رِجْلين مُعتمِدا[٣] * فاليومَ أمشى على أُخرى من الشَّجَرِ

وقال الأعشى :

إذا كان هادِى الفتى فى البلا * دِ صدرَ القناة أطاع الأميرا

الأُدْرُ[٤]

قال أبو الخطاب : كان عندنا رجل أحدبُ، فسقط فى بئر فذهبت حَدَبَتُه فصار آدَرَ، فدخلوا يُهنّئونه، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

وقال طَرَفةُ :

فما ذنبُنا فى أن أداءتْ[٥] خُصَاكُمُ * وأن كنتمُ فى قومكم معشرًا أُدْرَا

إذا جلسوا خَيّلتَ[٦] تحت ثيابهم * خَرانِقَ[٧] تُوفِى بالضَّغيب لها نَذْرا

---

(١) قال فى اللسان مادة «طرف» نقلا عن أبى حنيفة الدينورى : الطرفاء من العضاه، وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب وإنما يخرج عصيا سمحة فى السماء (والسمحة : المستوية التى لا أُبَن فيها) . (٢) كذا بالأصل، ولم نعثر على هذه النسبة، فلعله البهدلى بالباء أو النهدى بدون لام . (٣) فى البيان والتبيين : «معتدلا» . (٤) الأدر : جمع آدر، وهو من به الأدرة وهى انتفاخ الخصية بماء يصيبها وهى التى تسمى بالقيلة المائية . (٥) كذا فى شرح ديوان طرفة (طبع روسيا ص ٤١) والشعر والشعراء (ص ٩٥ طبع أوربا)، وأداءت : صارت ذات داء . وفى الأصل : «أذاب» . (٦) كذا فى شرح الديوان والشعر والشعراء . وخيلت : ظننت . وفى الأصل «خيرت» . (٧) خرانق : مفرده خرنق وهو الفتىّ من الأرانب أو ولده . والضغيب والضغاب : صوت الأرنب والذئب .

وقال الجَعْدِىّ :

كذى داءٍ بإحدى خُصْيَتَيْه * وأخرى لم تَوَجَّع من سَقَامِ
فضمّ ثيابَه من غير بُرْءٍ * على شَعْراءَ تُنقِض بالبِهَامِ[1]

الجُــــذَام

عن أبى مُحَيْرِيز[2] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فِرّوا[3] من المجذوم كالفِرار من الأسد". وفى حديث آخر: "لا تُدِيمُوا النظر الى المجذومين فإذا كلّمتموهم فليكنْ بينكم و بينهم حجاب قِيدَ رمح" .

عن قَتَادة قال : كان[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ٱدّهَنَ بدأ بحاجبه الأيمن ثم قال : "باسم الله" .

وقال : "نباتُ الشَّعر فى الأنف أمانٌ من الجُذَام" .

وعن قتادة : أنّ مجذوماً دخل على عبد الله بن الحارث فقال : أخرجوه ، قالوا : ولِمَ ؟ قال : بلغنى أنه ملعون .

أبو الحسن قال : مرّ سليمان بن عبد الملك بالمجذومين فى طريق مكة ، فأمر بإحراقهم ، وقال : لو كان الله يريد بهؤلاء خيرا ما ٱبتلاهم بهذا البلاء .

عن إبراهيم قال . اشمأزّ رجلٌ من رجل به بلاءٌ ، فما مات حتى ٱبتُلِىَ بمثل ذلك البــلاء .

---

(١) أورد هذا البيت فى اللسان مادة شعر :

فألق ثوبه حوْلا كريتا * على شعراء تنقض بالبهام

ثم قال : أراد بالشعراء : خصية كثيرة الشعر النابت عليها ، وقوله : «تنقض بالبهام» : عنى أُدْرَة فيها اذا فَشَّت خرج لها صوت كتصويت النقض بالبهم اذا دعاها . اه . (٢) هو عبدالله بن محيريز المكىّ تابعىّ .

(٣) نص الحديث فى شرح صحيح البخارى للقسطلانى فى باب المجذوم (ج ٨ ص ٤٤٣ طبع بولاق) : «عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد"» . (٤) فى الأصل : «قال» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

باب المُهُـــور

إسحاق بن عبد الله بن أبى طَلْحة قال : خطَب جدِّى أبو طَلْحة[1] أمَّ سُلَيم[2]، فأبَتْ أن تتزوّجه حتى يُسلِمَ، وكان مشركا، وقالت : اذا أسلم فهو صَداق؛ فأســلم فكان صداقُها إسلامَه .

عن المُطَّلِب بن أبى وَدَاعَة السَّهْمىّ[3] قال : زوّج ســعيدٌ ٱبنَته على درهمين .

أخبرنا محمد بن علىّ بن أبى طالب أنّ عليًّا أصدقَ فاطمةَ بنت النبىّ صلى الله عليه وسلم بَدَنًا[4] من حديد . قال محمد : وأخبرنى ٱبنُ أبى نَجيح قال: بلغنى أن البَدَن الذى تزوّج عليه فاطمةَ كان ثمنُه ثلثَمائةِ درهم .

عن ٱبن أبى عُيَيْنة عن ٱبن أبى نَجيح عن أبيه أنّ عليًّا عليه السلام قال: أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالدِّرع فباعها بأربعمائة وثمانين درهماً وزوّجنى عليها .

---

(١) اسمه زيد بن سهل الأنصارى النجّارى . (٢) هى بنت ملحان بن خالد الأنصارية الخزرجية النجارية أم أنس بن مالك؛ واختلف فى اسمها فقيل : سهلة، وقيل : رميلة، وقيل غير ذلك . (٣) كذا فى طبقات ٱبن سعد (ج ٥ ص ٣٣٤ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (ج ١٠ ص ١٧٩ طبع الهند سنة ١٣٢٦ هـ) والتنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه (ص ٧٤ طبع دار الكتب المصرية). وفى الأصل : «المطلب بن السائب بن أبى وداعة» . ولا يعرف لأبى وداعة ٱبن ســوى المطلب . وكان أبو وداعة، واسمه الحارث بن صبيرة (بالصاد المهملة والضاد المعجمة) بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى، أسر يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن له بمكة ٱبنا كيّسا» فافتدى المطلب أباه بأربعة آلاف درهم . وهو أوّل من فُدِى من أسرى بدر . وأسلم هو وابنه يوم الفتح .

(٤) البدن : الدرع القصيرة على قدر الجسد، وقيل : هى الدرع عامة .

عن مجاهد عن ابن عبّاس أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "أعظمُ النّكاح[١] بركةً أيسره مؤونةً" . وقال فى الحديث الآخر : "اللهم أذهِبْ مُلكَ غسّان وضَعْ[٢] مهورَ كِندَة" .

أخبرنا بعض أصحاب الأخبار [قال] : قالت جارية من العرب لبنات عمٍّ لها : السعيدةُ التى يتزوّجها ابنُ عمّها فيُمهِرُها بتَيْسيْن وكلبين وعَيْرَين، فيِنبُّ[٣] التَّيْسان وينبح الكلبان وينهق العَيْران، والشقيّةُ التى يتزوّجها الحَضَرىّ فيُطْعِمُها الخَمير، ويُلْبِسها الحرير، ويحملها ليلةَ الزِّفاف على عودٍ؛ (تعنى إكافًا[٤] أو سَرْجا) .

ويقال : جاء خاطبٌ إلى قوم فقال : أنا فلان بن فلان، وأنتم لا تسألون عنّى أعلمَ بى منكم؛ قالوا : صدقتَ، فما تبذُل؟ فأنشأ يقول :

ألا أبلِغْ لديْكَ بنى يزيدٍ * بأنّى لا أُريد إلى النساءِ
سِوَى وُدّى لهنّ وأنّ عندى * ثَرِيدًا بالغَداة وبالعشاءِ

فقال شيخ منهم : أقِمْ كفيلاً بالقَصْعتين وصُلْ به . فبقى عارًا عليهم الى اليوم .

قال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار : أصدق عمرُ بن الخطّاب أمَّ كلثوم بنت علىّ أربعين ألفا، وأصدق عبدَ الله بن عمر ابنةَ[٥] أبى عُبَيْد أختَ المختار عشرةَ آلاف درهم، وأصدق محمدُ بن سِيرين امرأته السَّدوسِيّة عشرةَ آلاف درهم .

---

(١) فى الجامع الصغير : « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة » . (٢) أى حطها وأنقصها، ومهور كندة مضرب المثل فى الغلاء وقد كانت كندة لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة منهن ألفا (انظر كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبي) فى مهور . وفى الأصل : «وأضع» . (٣) نب التيس : صاح عند الهياج . (٤) إكاف الحمار وكافه : برذعته .

(٥) اسمها صفية بنت أبى عبيد بن مسعود الثقفية .

قال أعرابىٌّ :

يقولونَ تزويجٌ وأشْهَدُ أنه * هو البَيْعُ إلا أنّ من شاء يكذِبُ

أوقاتُ عقدِ النكاح

عن ضَمْرة بن حَبيب أنه قال : كان أشياخُنا يَسْتَحِبّون النِّكاحَ يومَ الجمعة .

وقال بعض العلماء : سمعت من يُخبر عن آختيار الناس آخرَ النهار على أوّله فى النِّكاح ، قال : ذهبوا الى تأويل القرآن واتّباع السنّة فى الفأل ، لأن الله سمّى الليلَ فى كتابه سَكَنًا وجعل النهارَ نُشُورًا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطِّيَرة : "أصدقُها الفألُ" ، فآثَرَ الناسُ آستقبالَ الليل لعُقْدة النِّكاح تيمّنًا بما فيه من الهدوء والاجتماع ، على صدر النهار لِما فيه من التفرّق والآنتشار .

قال : وأما كَراهيةُ الناس للنّكاح فى شوّال ، فإن أهل الجاهليّة كانوا يَطَّيَّرون منه ويقولون : إنه يَشُول بالمرأة ، فعَلِقه الجُهّال منهم ، وأبطله الله بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأنه نكَح عائشةَ رضى الله عنها فى شوّال .

خُطَبُ النكاح

قال حدّثنى محمد بن داود قال حدّثنا أبو غسّان مالك بن عبد الواحد عن مُعْتَمِر عن خالد القَسْرىّ قال — وكان قد جمع الخطب فكان يستحسن هذه ويذكرها — :

ذكرتم أمْرًا حسنا جميلا ، وعَدَ الله فيه الغِنى والسَّعَةَ ، فلا خُلْفَ لموعودِ الله ولا رَادّ لقضاء الله ، اذا أراد جِماعَ أمرٍ فلا فُرقةَ له ، واذا أراد فُرقةَ أمر فلا جِماع له . عرضتُ كذا ، فإذا قال : نعم ، قال : قد نكحتَ .

وخطب محمدُ بن الوليد [بن] عُتْبة الى عمرَ بن عبد العزيز أختَه (١) ، فقال : الحمد لله ذِي العزّة والكبرِياء ، وصلّى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعدُ ، فقد حسُن ظَنُّ مَن أودَعك حُرْمتَه وٱختارَك ولم يَخْتره عليك ، وقد زَوّجناك على ما فى كتاب الله : إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ .

خطب بِلالٌ على أخيه ٱمرأةً من بنى حِسْلٍ (٢) من قُرَيش ، فقال : نحن مَن قد عَرَفْتم ، كنّا عبدَيْن فأعتقنا اللهُ ، وكنّا ضالَّيْن فهدانا الله ، وفقيرَيْن فأغنانا اللهُ ، وأنا أخطُبُ على أخى خالدٍ فلانةَ ، فإن تُنْكِحوه فالحمدُ لله ، وإن تَرُدُّوه فالله أكبرُ ، فأقبل بعضُهم على بعضٍ فقالوا : هو بِلالٌ ، وليس مِثلُه يُدْفَع ، فزَوّجوا أخاه . فلما ٱنصرفا (٣) قال خالدٌ لبِلالٍ : يغفِر اللهُ لك ! ألَا ذكرتَ سوابِقَنا ومَشاهِدَنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال بلال : مَهْ ! صدَقتُ فأنكحك الصِّدقُ .

كان الحسنُ البصرىّ يقول فى خطبةِ النّكاح بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النّكاح الأرحامَ المنقطعةَ ، والأسبابَ المتفرّقةَ (٤) ، وجعل ذلك فى سُنَّةٍ من دِينِه ، ومِنْهاجٍ واضِحٍ من أمْرِه ، وقد خطَب إليكم فلان وعليه من الله نعمة ، وهو يَبذُل من الصَّداق كذا ، فٱستَخيروا اللهَ ورُدُّوا خيرا [يرحمكم الله] (٥) .

قال الأصمعيُّ : كان رِجالاتُ قريشٍ من العرب تَسْتَحِبّ من الخاطب الإطالةَ ، ومن المخطوب إليه الإيجازَ .

---

(١) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩) مع تغاير عما فى الأصل وقد كرره المؤلف فى الصفحة التالية مع زيادة يسيرة .

(٢) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٧٦) : « من بنى ليث » .

(٣) فى الأصل : « انصرفوا » . (٤) رواية العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩) والبيان والتبيين طبع مصر (ج ٢ ص ٥٠) : « الأنساب المتفرقة » . (٥) الزيادة عن العقد الفريد .

وأتى رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز يخطُب أُختَه ، فتكلّم بكلام جاز الحِفظَ ؛ فقال عمر : الحمدُ للهِ ذى الكِبْرياء ، وصلى الله على خاتَم الأنبياء ؛ أما بعـدُ ، فإن الرّغبة منك دَعَتْ إلينا ، والرغبةَ فِيك أجابتْ منا ؛ وقـد زوّجناك على ما فى كتاب اللهِ : إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ .

العُتْبِىّ قال : لما زَوّج شَبيبٌ ٱبنَه ابنةَ سَوَّارٍ القاضى قلنا : اليوم يَعُبّ عُبَابُه ، فلمّا ٱجتمعوا تكلّم فقال : الحمدُ لِله ، وصلّى الله على رسول اللهِ . أما بعدُ ، فإنّ المعرِفةَ منا ومنكم وبنا وبكم تمنعنا من الإكثار(١) ، وإنّ فلانا ذكر فلانةَ .

العُتْبِىّ قال حدّثنى رجل قال : حضرتُ ٱبنَ(٢) القَفَير يخطُب على نفسه ٱمرأةً من باهِلَةَ فقال :

فما حَسَنٌ أن يَمدحَ المرءُ نفسَه * ولكنّ أخلاقاً تذَمّ وتُمْـدَحُ

[وإن فلانة ذُكِرتْ(٣) لى] .

قال : وحدّثنى أبو عثمان قال : مررتُ بحاضِرٍ(٤) وقد ٱجتُمِع فيه ، فسألتُ بعضَهم : ما جَمَعهم؟ فقالوا : هـذا سيِّدُ الحىّ يريد أن يتزوّجَ مِنّا فتاةً ، فوقفتُ أنظر ، فتكلّم الشيخُ فقال : الحمدُ لِلهِ ، وصلى الله على رسول اللهِ ، أما بعد ذلك ، ففى غيرِ مَلالةٍ من ذِكرِه والصـلاةِ على رسولِه ؛ فإن الله جعل المُنَاكَحةَ التى رَضِيها فِعْلا وأنزلها وحْياً سبباً للمُناسبةِ . وإن فلانا ذكر فلانةَ وبذَل لها من الصَّداقِ كذا ، وقد زوّجتُـه

(١) هذه رواية العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩) . وفى الأصل : « الاخبار » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩) . وفى الأصل : « حضرت من النقير يخطب » وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩) . (٤) الحاضر : الحىّ العظيم .

إيّاها، وأوصيتُه بوصيّة الله لهـا . ثم قال للفتيانِ على رأسه : هاتوا نِثارَكم[١]، فقُلبتْ على رءوسِنا غرائرُ التمرِ .

قال وقال شَبّة بن عَقّال : ما تمنّيتُ أن لى بقليلٍ من كلامى كثيرًا من كلامِ غيرِى إلا يومًا واحدًا، فإنّا خرجنا مع صاحبٍ لنا نُريد أن نُزوِّجه ، فمررنا بأعرابىٍّ فأتْبَعنا ، فتكلّم مُتكلِّمُ القومِ لجاء بخطبةٍ فيها ذكرُ السموات والأرض والجبال ؛ فلما فرغ قُلنا : من يُجيبه ؟ قال الأعرابىُّ : أنا، لجثا لركبته ثم أقبل على القومِ فقال : واللهِ ما أدرى ما تحاطك وتلصّاقك[٢] منذ اليومِ ! ثم قال : الحمدُ لله ربّ العالمين وصلى الله على محمدٍ خيرِ المرسَلين . أمّا بعد، فقد توسّلتَ بحُرْمةٍ ، وذكرتَ حقًّا ، وعظّمتَ عظيما، فحَبْلُك موصول، وفَرْضُك مقبول؛ وقد زوّجناها إيّاك،وسلّمناها لك؛ هاتوا خَبِيصكم[٣] .

قال ٱبن عائشة : زوّجَ سَلْمُ بن قُتَيْبة ٱبنتَه من يعقوبَ بنِ الفَضْل ، فقال : الحمد لله، قد ملَكْتُ[٤] بِاسمِ اللهِ .

حضر المأمونُ إملاكًا[٥] وهو أمير، فسأله بعضُ من حضر أن يخطُبَ ، فقال : المحمودُ اللهُ، والمصطفَى رسولُ اللهِ، وخيرُ ما عُمِل به كتابُ الله؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ . ولم يكن فى المُناكحةِ آيةٌ مُنزَّلةٌ ولا سُنّةٌ متّبعةٌ إلا ما جعل اللهُ فى ذلك من تآلُفِ البعيدِ وبِرّ القريبِ، وليُسارِعَ اليها الموفَّق ويبادرَ اليها العاقلُ اللّبيب . وفلانٌ من قد عرَفتموه ،

(١) النثار «بالكسر» : ما ينثر فى العرس للحاضرين من الكعك وغيره، وكان نثار العرب التمر .

(٢) كذا بالأصل ! . (٣) الخبيص : ضرب من الحلواء يعمل من التمر والسمن .

(٤) ملكت : تزوجت . (٥) الإملاك : التزوج وعقد النكاح . ومثل الإملاك الملاك بكسر الميم وفتحها .

فى نَسَب لم تجهــلوه، خطبَ إليكم فلانةَ فتاتَكم، وقد بذَل لها من الصّــداقِ كذا ، فشَفِّعوا شافِعَنا ، وأنكِحوا خاطِبَنا ، وقولوا خيرًا تُحْمَدوا عليه وتُؤْجَروا؛ أقول قولى هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكم .

وصايا الأولياء للنساء عند الهداء[1]

العُتْبِيّ قال حدّثنا إبراهيم العامرىّ قال : زوّج عامرُ بن الظَّرِبِ ٱبنَته من ٱبن أخيــه ، فلما أراد تحويلَها قال لأمّها : مُرِى ٱبنَتكِ ألّا تنْزِل مفازةً إلا ومعها ماءٌ فإنه للأعلى جِلاءٌ وللأسفل نَقاء؛ ولا تُكثِر مُضاجَعتَــه ، فإنه إذا ملّ البَــدَنُ ملّ القلبُ؛ ولا تمنعه شهوتَه، فإن الحُظوةَ فى الموافقة . فلم تلبَث إلا شهرا حتى جاءته مَشْــجوجةً ؛ فقال لٱبن أخيه : يا بُنىّ ٱرفع عصاك عن بَكْرَتك، فإن كانت نفرَتْ من غير أن تُنَفَّر فذلك الداءُ الذى ليس له دواءٌ، وإن لم يكن بينكما وِفاقٌ، ففِــراقُ الخُلْعِ[2] أحسن من الطلاقِ؛ ولن تَتْرُك مالَك وأهلَك . فردّ عليه صَداقه وخلعها؛ فهو أوّلُ من خلَع من العرب .

قال الفَرَافِصةُ الكَلْبِىّ لٱبنتِــه[3] حين جهَّزها إلى عثمان رضِي الله عنــه : يا بنيّة إنكِ تَقْدَمين على نساءِ قريشٍ وهنّ أقدرُ على الطِّيبِ منكِ، فلا تُغْلَبِي[4] على خَصْلتين : الكحلِ والمــاءِ، تَطَهَّرِى حتى يكون رِيحُك رِيحَ شَنٍّ[5] أصابه المطرُ .

---

(١) الهداء : الزفاف . (٢) الخلع : الطلاق على عوض . (٣) هى نائلة بنت الفرافصة بن عمرو وهى القائلة عند ما حملت وقد كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها تخاطب أخاها ضبا وقد تولى أمر زواجها :

ألست ترى يا ضب بالله أننى * مصاحبة نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا حزنا تحث ركابهــم * كما زعزعت ريح يراعا مثقبا
لقد كان فى أبناء حصن بن ضمضم * لك الويل ما يغنى الخباء المطنبا

(أنظر الأغانى ج ١٥ ص ٧٠ و ٧١ طبع بولاق فى أخبار نائلة) . (٤) فى الأصل : «فلا تغلبين» باثبات النون . وفى الأغانى : «فاحفظى عنى خصلتين» . (٥) كذا فى الأصل، وقد ورد هذا الخبر فى الأغانى ونثر الدر المأخوذ بالتصوير الشمسى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٤٢٨ أدب لوحة ٣٦٧) وتحفة العروس طبع مصر (ص ٤٥) ومرآة الزمان المأخوذ بالتصوير الشمسى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥١ تاريخ لوحة ٣٧٣) ناقصا عما هنا وليس فيها ذكر لهذه الجملة ،

كان الزِّبْرِقان بن بدر إذا زوَّج ٱبنةً له دنا من خِدْرِها وقال : أتسمَعِين ؟ لا أُعَرِّفَنّ ما طَلَبْتِ، كونى له أَمَةً يكن لكِ عَبْدًا .

أبو الحسن : قالتِ ٱمرأةٌ لٱبنتها عند هِدَائها : ٱقْلَعِى زُجَّ رمحِه، فإن أَقرّ فاقْلَعِى سِنانَه، فإن أقرّ فاكسرى العظامَ بسيفِهِ، فإن أقرّ فاقْطَعِى اللحمَ على تُرسه، فإن أقرّ فضَعِى الإكافَ على ظهرِه فإنما هو حِمار .

قال أبو الأسود[1] لٱبنته : إيّاكِ والغَيْرة فإنها مفتاحُ الطّلاقِ، وعليكِ بالزينةِ، وأزينُ الزينةِ الكُحْل، وعليكِ بالطِّيب، وأطيبُ الطِّيبِ إسباغُ الوضوءِ، وكونى كما قلتُ لأُمك فى بعض الأحايين :

خُذِى العفوَ[2] منى تَستديمى مَودّتِى * ولا تَنْطِقِى فى سَوْرتِى حين أغضَبُ
فإنى وجدتُ الحبَّ فى الصدر والأذى * إذا ٱجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يذهبُ

بابُ سِياسة النّساء ومعاشرتهنّ

عيسى بن يونُس قال حدّثنا شَيْخٌ لنا قال : سمِعتُ سَمُرةَ بن جُنْدَبٍ يقول على مِنْبرِ البَصْرةِ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما المرأةُ خُلِقتْ من ضِلَع عوجاء[3] فإن تَحْرِص على إقامتها تكسِرْها فَدَارِها تَعِشْ بها" .

(١) فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٨) نسبت هذه العبارة مع الشعر لأسماء بن خارجة الفزارى وقال : «وقد قيل انه لأبى الأسود الدؤلى، وليس ذلك بصحيح» . (٢) العفو : الفضل الذى لا عسر فى إعطائه . وقد زاد فى إحياء الغزالى، (ج ٢ ص ٤١ طبع مصر) بيتين بعد البيت الأول نذكرهما لارتباطهما مع بقية الأبيات وهما :

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى * و يأباك قلبى والقلوب تقلب

(٣) كذا فى الأصل : "من ضلع أعوج ... على إقامته تكسره" والضلع مؤنثة، . (انظر شرح القسطلانى على صحيح البخارى ج ٨ ص ٩٢ طبع بولاق) فى باب مداراة النساء .

وقال بعض الشعراء :

هي الضِّلَعُ العوجاء لستَ تُقيمها * ألا إنّ تقويمَ الضلوعِ آنكسارُها
أتجمعُ[(١)] ضَعفًا وآقتِدارًا على الفتَى * أليس عجيبًا ضَعفُها وآقتِدارُها

عن الحسن قال : قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : النساءُ عَوْرةٌ فاستروها بالبيوت، وداووا ضَعْفَهنّ بالسكوت .

وفى حديث آخر لعمر : لا تُسْكِنُوا[(٢)] نســاءَكم الغُرَف[(٣)] ، ولا تُعَلِّمُوهنّ الكِتاب ، وآستعينُوا عليهنّ بالعُرْى ، وأكثِرُوا لهنّ من قول لا ، فإنّ نَعَم تُغْرِيهنّ على المسألة .

قال الأصمعىّ : قيل لعَقِيل بن عُلَّفة وكان غَيُورا : مَنْ خَلَّفتَ فى أهلك؟ فقال: الحافِظَيْنِ، العُرْىَ والجوعَ . يعنى أنه يُجيعُهنّ فلا يَمْزَحْن، ويُعرِيهنّ فلا يَمْرَحْن .

وقال كُثَيِّر :

وكنتُ اذا ماجئتُ أجْلَلْنَ مجلسِى * وأبْدَيْنَ[(٤)] منِّى هيبةً لاتجهُّما
يُحاذِرْنَ منّى غَيْرةً قد علمنَها * قديمًا فما يَضْحَكن إلّا تبَسُّما
تراهُنّ إلّا أنْ يُؤدِّين نظرةً * بمُؤْخِرِ عينٍ أو يُقَلِّبْنَ معْصَما
كواظِمَ لا يَنْطِقْنَ إلّا مَحُــورةً[(٥)] * رَجِيعــةَ قول بعــد أن تتَفهَّما
وكنّ اذا ما قُلْنَ شــيئا يَسُرُّه * أسَرَّ الرِّضا فى نفســهِ وتحرَّما[(٦)]

وقال ابن المقفَّع : إيّاكَ ومُشاورةَ النساء ، فإنّ رأيهنّ الى أَفْنٍ، وعزمهنّ الى وَهْنٍ . وآكفُفْ عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهنّ، فإنّ شدّة الحجابِ ، خيرٌ لك

---

(١) فى الأصل : «أيجمعن» وهو غير ملائم للسياق ومرجع الضمائر . (٢) ورد هذا الأثر فى كتاب رشد اللبيب (ص ٨٣ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩٩٤ أدب) برواية أخرى هكذا : «قال عمر رضى الله عنه : جنبوهنّ الكتابة والخط ولاتسكنوهنّ الغرف» . (٣) الغرف : جمع غرفة وهى العُلِّيّة (بالكسر والضم) ، أى لا تسكنوهنّ العلالىّ . (٤) كذا فى الأصل . وفى الأغانى (ج ١١ ص ٥٢) طبع بولاق « وأظهرن » . وفى المحاسن والأضداد (ص ٢٠٧ طبع أوربا) : «وأضمرن» . (٥) محورة أى جوابا . (٦) تحرّم : صار ذا حرمة لا تهتك .

من الآرتيابِ . وليس خروجُهنّ بأشدّ من دخول مَنْ لا تثق به عليهنّ ، فإن آستطعتَ ألّا يعْرِفن عليك فافعلْ . ولا تُمَلِّكَنّ آمرأةً من الأمرِ ما جاوزَ نفسها ، فإن ذلك أنعم لِحالها وأرْخى لبالها ، وأدومُ لجمالها ، وإنما المرأةُ رَيْحانة وليستْ بقَهْرَمانة ، فلا تَعْـدُ بكرامتها نَفْسَها ، ولا تُعطِها أن تَشفَع عنـدك لِغيرها . ولا تُطِل الخلْوَة مع النساء فيَمْلَلْنَك وتَمَلَّهنّ ، وآستَبقِ من نفسك بَقِيَّةً ، فإنّ إمساكك عنهنّ وهُنّ يُرِدْنَك بآقتدار ، خيرٌ من أن يَهْجُمْن عليك على آنكسار . وإيّاكَ والتغايُرَ فى غير مَوضع غَيْرة ، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهنّ الى السّقَم .

كان المأمون يقول : الغَيرةُ بهِيميَّة . وقال أيضا : هى ضَرْب من البخل .

أنشدنى محمد بن عُمَر للخُرَيْمىّ :

ما أحسنَ الغَيرةَ فى حِينها * وأقبحَ الغَيرةَ فى غير حِينْ (١)
مَن لم يزل مُتَّهِما عِرْسَهُ * مُتَّبِعا فيها لقول الظُّنُونْ (٢)
يُوشِك أن يُغْرِيَها بالذى * يَخافُ أن يُبرِزَها للعيونْ
حَسْبُكَ من تحصينها وَضعُها * منكَ الى عِرضٍ صحيح ودِينْ
لا يُطْلِعَنْ منك على ريبةٍ * فيتبعَ المقرونُ حبلَ القَرِينْ

وقال الشَّنْفَرى (٣) :

إذا أصبحتُ بين جبال قَوٍّ (٤) * وبَيْضانِ (٥) القُرَى لم تحذَرِينِي
وإمّا أن تُؤَدّيني وتَرْعَىْ * أمانَتَكم وإما أن تَخُونِي

(١) رواية كتاب الشعر والشعراء (ص ٥٤٥ طبع أوربا) : «فى كل حين» وقد رويت هذه الأبيات فيه مع اختلاف يسير . (٢) الظنون : السيّئ الظن ومن لا يوثق بخبره . (٣) لم نجد هذه الأبيات للشنفرى فى ترجمته فى الأغانى (ج ٢١ ص ١٣٤ طبع أوربا) ولا فى شرح المفضليات لابن محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنبارى طبع بيروت (ص ١٩٤) ولا فى كثير من المصادر الأخرى التى تحت أيدينا . (٤) قو : واد بالعقيق (عقيق بنى عقيل) . وقيل إن قوا : بين النباج وعوسجة (راجع معجم ما استعجم للبكرى فى آسم قو) . (٥) بيضان : ماءة من مياه خزاعة عند برس (اسم جبل) (راجع معجم ما استعجم فى آسم بيضان) .

إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنه * ولم أُنكِر عليــكِ فطلِّقيني
فأنتِ البعلُ يومئـذٍ فقُومِي * بسوطِك لاأبالَكِ فاضربِيني

أنشدنى عبد الرحمن عن عمه للرَّخَيْم العَبْدىّ :

كنّا ولا تعصِى الحليلةُ بعلَهـا * فاليومَ تضرِبهُ إذا ما هُوعَصَى
وَيقُلْن بُعْدًا للشيوخِ سَــفَاهةً * والشيخُ أجدرُ أن يُهاب ويُتّقى

وقال آخر :

وإنّى لأُخلِي للفتــاةِ خِباءَها * كثيرًا فتَرْعَى نفسَها أو تُضيعها
وإنّى لعَفٌّ عن مطاعمَ جَمّـةٍ * إذا زيّن الفحشاءَ للنفسِ جوعُها

قال جِرانُ العَوْدِ :

ولكن سمِعْن[1] الشــيخَ قد قال قولةً * عليكم اذا ما رِبْتُـكم بالضرائِرِ
ولا تأمنــوا مكرَ النساءِ وأمسِكوا * عُرَى المـال عن أبنائهن الأصاغِرِ
فإنــك لم يُنْــذِرْك أمرًا تخــافُه * إذا كنتَ منــه جاهلا مثــلُ خابِرِ

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال :

منَعَنى علمى بالنساء كثيرًا منهنّ ، فقد غشِيتُ ألفَ آمرأة . وإن الله لو أحلّ لرجل آبنتَه لم تنفَعْه أو تُعزِبه[2] .

أبو الحسن قال : قيــل للحجّاج : أيمــازِحُ الأميرُ أهلَه ؟ قال : ما ترَوْنِى إلا شيطانًا ! والله لربّما قبّلتُ أَخمَصَ إحداهنّ .

---

(١) كذا فى شرح ديوان جران العود رواية أبى سعيد السكرى (النسختين المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٠٩ أدب و ٦٧ أدب ش) . وفى الأصل : «وقلن سمعن الخ» .

(٢) تعزبه : تجعله عزبا . وفى الأصل «تفرقه» وهو تحريف .

قيل لرجل من العرب كان يجمع الضّرائرَ : كيف تقدِر على جمعهنّ؟ قال : كان لنا شبابٌ يُصابِرهنّ علينا، ثم كان لنا مالٌ يُصبِّرهنّ لنا ، ثم بقِى لنا خُلُق حسن ، فنحن نتعاشرُ به ونتعايش .

عن عُقْبة بن عامر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال : "كلُّ شيء يلهو به الرجلُ باطلٌ إلا تأديبَه فرسَه، ورمْيَه عن قوسه ، وملاعبتَه أهله ".

ويقال : العِيالُ سوسُ المال .

عُوتِب الكِسائيّ فى ترك التزوّج ، فقال : وجدتُ مُكابَدةَ العُزْبة أيسرَ من مكابدة العِيال .

عن عُمارة بن حمزة قال : يُخبَزُ فى بيتى كلَّ يومٍ ألفُ رغيف، كلّهم يأكله حلالًا غيرِى . وكان يأكل رغيفًا واحدًا . ويقولون : فلانٌ ربُّ البيتِ، وإنما هو كلبُ البيت .

عن عيسى بن علىّ قال فى مرَضِ مَرِضه بمدينة السلام للناس : إنّ فى قَصْرِى الساعةَ لألفَ محمومةٍ .

عن مجاهد عن أبى هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "(١) دينار أعطيتَه مِسكينا ودينار أعطيتَه فى رقبةٍ ودينار أعطيته فى سبيل الله ودينار أنفقته على أهلك هو أعظم أجرًا ".

محادثة النساء

قال بَشّار :

وحديثٍ كأنه قِطعُ الرّو * ضِ وفيه الصفراءُ والبيضاءُ

---

(١) رواية الجامع الصغير (ج ١ ص ٤١٧ طبع بولاق) : «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدّقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك» .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

وحديثُها كالغيث يسمعُه * راعِى سنين تتابعت جَدْبا
فأصاخ مُستمعا لدِرّته[1] * ويقول من فَرحٍ هيَا رَبّا

وقال القطامىّ :

وهُنّ يَنْبِذن من قول يُصِبن به * مواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصادِى

وقال الأخطلُ :

وقد تكون بها سَلْمى تُحدِّثنى * تَسَاقُطَ الحَلْى حاجاتى وأسرارى

شبّه كلامَها بعِقدٍ انقطع فتساقط لؤلؤه .

وقال جِرانُ العَوْد :

حديثٌ لو انّ اللحم يَصْلَى بحرّه * غَرِيضًا[2] أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ

وقال بشّار وذكر امرأة :

* كأنّ حديثَها سُكْرُ الشّراب[3] *

وقال أعرابىّ :

ونازعتنا ضَحيًّا[4] خفيًّا كأنه * على المُجتنى الريحانُ أمْرَعَ خاضلُه[5]
بوَحْيٍ لَوَ انّ العُصْم[6] تسمع رَجْعه * تَقَضّض[7] من أعلى أبانٍ[8] عواقِلُه[9]

(١) فى الأصل : « لدرّتها » .

(٢) غريضا : طريا . (٣) ورد هذا الشطر فى أمالى القالى (ج ١ ص ٨٤ طبع دار الكتب المصرية) ضمن بيتين أنشدهما أحمد بن يحيى النحوى وهما :

منعمة يحار الطرف فيها * كأن حديثها سكر الشباب
من المتصديات لغير سوء * تسيل اذا مشت سيل الحباب

(٤) كذا بالأصل . (٥) الخاضل : الندى . (٦) العصم : جمع أعصم وهو من الوعول والظباء : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود . (٧) تقضض : هوى بسرعة ، وفى الأصل « تقضقض » وهو تحريف . (٨) أبان : جبل . (٩) العاقل : الوعل ، سمى بذلك لعقوله أى صعوده .

وقال بشّار :

وكأنّ تحتَ لسانِها * هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرَا
وكأنّ رَجْعَ حديثها * قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرَا

وقال بعض الأعراب الحَمْقَى :

حديثُكِ أَشهَى حين آتيكِ طارقًا * من الماء والدُّوشاب(١) يُمْتَزجان
كأنّ على عَيْنيك تسعين جُلّةً(٢) * كثيرا من البَرْنِيّ(٣) والصَّرَفانِ(٤)

آخر :

كأنّ على فيها(٥) وماذقتُ طعمَه * لِبَا(٦) نَعجة سوَّطْتَه(٧) بدقيق
رَمَتْنى بسهمٍ نَصْلُه قَرَوِيَّةٌ(٨) * وفُوقاه(٩) سمنٌ والنَّضِيُّ(١٠) سَوِيق

والحَسَنُ فى هذا قولُ ذى الرُّمّة :

ولما تلاقينا جَرَتْ من عيوننا * دموعٌ كففْنا ماءَها بالأصابع
ونِلْنا سِقاطًا(١١) من حديثٍ كأنه * جَنَى النحل ممزوجًا بماء الوقائع(١٢)

(١) الدوشاب : نبيذ التمر وقد تقدم شرحه فى هذا الكتاب (ص ٢٥٠ ج ٣ حاشية ٤) .
(٢) الجلة : قفة كبيرة للتمر . (٣) البرنىّ : ضرب من التمر أصفر مدوّر وهو أجود التمر .
(٤) قال أبو حنيفة الدينورىّ : الصرفانة : تمرة حمراء مثل البرنية إلا أنها صلبة المضغة علكة وهى أرزن التمر كله . (٥) فى أشعار الحماسة ص ٨٠٤ طبع أوربا : «كأن ثناياها» ، وقد أورد هذين البيتين لشخصين مختلفين ، وورد البيت الثانى منهما هكذا :

رمتنى بسهم الحب أما قذاذه * فتمر وأما ريشه فسويق

(٦) اللبأ : أوّل اللبن فى النتاج . (٧) سوّطته : خلطته . (٨) فسر ثعلب القروية بالتمرة ، قال ابن سيده : وعندى أنها منسوبة الى القرية التى هى المصر أو الى وادى القرى .
(٩) كذا فى اللسان ، والفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفى الأصل : «وسوقاه» وهو تحريف . (١٠) النضىّ من السهم : ما بين الريش والنصل ، وقيل : نصل السهم .
(١١) سقاط الحديث : أن يتحدث الواحد وينصت له الآخر فاذا سكت تحدث الساكت ؛ قال الفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه * جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

(١٢) الوقائع : جمع وقيعة ، والوقيعة : النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء .

وقال آخر :

أَنِخْ[1] فاختَبِزْ قُرْصًا اذا آعترك الهوى * بزَيتٍ لكى يَكْفيك فَقْدَ الحبائبِ
اذا آجتمعَ الجوعُ المُـبَرِّح والهوى * نَسيتَ وِصَالَ الغانيات الكواعبِ
فدَعْ عنك تَطْلابَ الغَوَانى وحبَّها * وراجِـع تمـــر مع لِبَـأ ورائب[2]

باب النظـــــر

قال المسيحُ عليه السلام : لا يَزْنِى فَرْجُك ماغَضَضْتَ بصَرَك .

وقال رجلٌ لأخيه : احتَفِظْ من العين، فإنها أنمّ عليك من اللسان .

وقال بشار :

على النفس من عينها شاهِدٌ * فكاتِمْ حديثَك أو نُمَّـــهُ

وقال الفرزدق :

فلا تَدْخُلْ بيوتَ بنى كُلَيْبٍ * ولا تَقْـرَب لهم أبدًا رحالَا
فإنّ بهـا لوامـــعَ مُبْرِقاتٍ * يكَدْنَ يَنِكْنَ بالحَدَق الرجالَا

نظر أشعب يوما إلى آبنه وهو يُديم النظرَ إلى آمرأة، فقال : يابُنَيّ نظرُك هذا يُحْبِـــل .

وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى :

ولى نظرةٌ لو كان يُحْبِل ناظرٌ * بنظرته أنثى لقد حَبِلتْ مِنّى

(١) فى أشعار الحماسة (ص ٨٠٣ طبعة أوربا) ورد هذا الشطر هكذا :

* أنخ فاصطبح قرصا اذا اعتادك الهوى *

وقال فى الشرح : «الرواية الجيدة : أنخ فاصطبغ من الصباغ وهو الأدم، يدل على صحة هذه الرواية قوله : بزيت» . (٢) هكذا ورد هذا الشطر فى الأصل، والبيت غير موجود مع سابقيه فى كتاب أشعار الحماسة : وهو غير متزن وإن كان معناه ظاهرا .

وقال ذو الرمة — وذكر الظبية وخشفها — :

وتهجره إلّا آختلاسًا بطَرْفِها[1] * وكم من محبٍّ رهبةَ العينِ هاجرِ

مرّت أعرابيّةٌ بقوم من بنى نُمَير، فأداموا النظرَ إليها ، فقالت : يا بنى نُمَير، والله ما أخذتم بواحدةٍ من آثنتين: لا بقول الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولا بقول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابَا

فاستحيا القومُ من كلامها وأطرقوا .

وقال الطائىّ :

مُرَبِّب[2] الحزنِ فى القلوبِ * وناصرُ العزمِ فى الذنوبِ

ما شئتَ من مَنْطِق أريبٍ * فيه ومن مَنْظَرٍ عجيبِ

لمّا رأى رِقْبَةَ الأعادى * على مُعَنًّى به كئيبِ

جرّدَ لى من هواه طَرْفًا[3] * صار رقيبًا على الرقيبِ

ويقال : ربّ طَرْفٍ أفصح من لسانٍ .

وقال الشاعر :

ومُراقَبَيْن يُكَتِّمانِ هواهما * جعَلا الصدورَ لما تُجِنُّ قبورَا

يَتلاحَظان تلاحُظًا فكأنما * يتناسَخانِ من الجفون سُطورَا

(١) كذا فى الأصل والشعر والشعراء . وفى ديوانه (طبع أوربا ص ٢٨٧) : «نهارها» .

(٢) كذا فى ديوانه (طبع المطبعة الأدبية فى بيروت ص ١٨٥) . وفى الأصل : «مرتب» .

(٣) فى الديوان المذكور : «ودا» .

وقال أعرابىّ :

إن كاتمونا القِـــلَى نَمَّتْ عيونُهُـــمُ * والعينُ تُظْهِرُ[1] ما فى القاب أو تَصِفُ

وقال آخر فى مثله :

إذا قلوبٌ أظهـــرتْ غيرَ مَا * تُضْمِره أَنبَتْكَ عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبِصـــرُ فى عيـــنىَّ عنـــوانَ الذى أُبْدِى *

وقالت أعرابيّة :

ومودِّعٍ يوم الفراقِ بلحظه * شَرِقٍ من العَبَراتِ ما يَتكلَّمُ

وقال أعرابىّ :

وما خاطبتْها مُقْلَتاىَ بنظـــرةٍ * فتفهمَ نَجْوانا العيـــونُ النـــواظرُ

ولكن جعلتُ الوهمَ بينى و بينها * رســولاً فأدّى ما تُجِنّ الضمائر

ونحوه قولُ أبى العَتَاهِية :

أَمَا والذى لو شاء لم يَخْلُقِ النـــوَى * لئن غبتَ عن عَيْنِى لَمَـا غبتَ عن قلبى

يُوَهِّمُنِيكَ الشـــوقُ حـــتّى كأننى * أُناجيكَ[2] عن قُرْبٍ وماأنتَ فى قُرْبِى

وقال أحمد بن صالح بن أبى فَنَن :

دعا طَرْفُه طَرْفى فأقبـــل مُسرِعا * فأثَّر فى خدّيه فاقتصّ من قلبى

شكوتُ اليه ما أُلاقى من الهوى * فقال على رغْم فُتِنْتَ[3] فـما ذنبى

(١) كذا ورد هذا العجز فيما تقدّم من هذا الكتاب . وفى الأصل هنا :

* و يظهر القلب ما فيه له يصف *

وهو تحريف ظاهر . (٢) رواية زهر الآداب (ج ١ ص ١٣٨) .

تر ينيك عين الوهم حتى كأننى * أناجيك من قرب وإن لم تكن قربى

(٣) ورد هذا الشطر فى الأصل : * فقال على رغم فت فما ذنبى *

كان يقال : أربعٌ لا يَشْبَعْنَ من أربع : عينٌ مِن نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وأُذنٌ من خَبَر .

حدّثنى إسحاقِ بن أحمد بن أبى نَهيك(١) قال: رأيتُ رجلا فى طريق مكة وعَدِيلُه جاريةٌ فى المَحْمِل وقد شدّ عينَيها وكشَف الغِطاءَ ، فقلتُ له فى ذلك ، فقال : إنما أخاف عليها عينيها لا عيونَ الناس .

وكان عند بعض القرشيّين امرأةٌ عربيّةٌ ، ودَخَل عليها خَصِىٌّ(٢) لزوجها وهى واضعةٌ خِمَارَها ، فحلقتْ رأسَها وقالت : ما كان لِيَصْحَبَنى شَعْرٌ نَظَر اليه غيرُ ذى مَحْرَم .

باب القِيَان والعِيدان والغِنــاء

قال إسحاق بن إبراهيم : كان رجلٌ(٣) من آل جعفر بن أبى طالب ، يهـوَى جاريةً(٤) ، فطال ذلك به ، فقال للزُّبَيْرى : قد شَغَلَتْنى هذه عن ضَيْعتى(٥) وعن كل أمرى ، فاذهب بنا حتى نُكاشِفَها ، فقد وجدتُ بعض السُّلُوّ ، فأتيناها ؛ فلما أتيناها(٦) قال لها الجعفرى : أتُغَنِّين :

وكنتُ أحِبّكم فسلوتُ عنكم * عليكم فى ديارِكُمُ الســلامُ

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٢ ص ١٦٢ طبع بولاق) . وفى الأصل : «اسحاق بن أحمد بن نبيك» .

(٢) فى الأصل : « ورجل عليها حضى لزوجها» . (٣) هو محمد بن عيسى الجعفرى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ١١٨ طبع بولاق) ونهاية الأرب (ج ٥ ص ٧١ طبع دار الكتب المصرية الطبعة الأولى) .

(٤) هى بصبص جارية يحيى بن نفيس ، قال عنها أبو الفرج : « كانت جارية من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء ، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين» . (٥) كذا فى الأصل . وفى نهاية الأرب والأغانى : «صنعتى» . (٦) فى الأغانى : «فلما غنت لها قال لها ... » .

فقالت : لا ، ولكنى أُغنّى :

تحمَّـــل أهلُها منهـا فبانوا (١) * على آثار مَنْ ذهَب العفاءُ

فاستحيا وأطرقَ ساعةً وآزداد كَلَفًا ، ثم قال : أتغنّين :

وأَخْنَعُ (٢) للعُتْبَى إذا كنتُ ظالمـًا * وإن ظَلَمَتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

قالت : نعم ، وأُغنّى :

فإنــ (٣) تُقْبِلوا بالوُدّ نُقْبِلْ بمثـله * وإن تُدْبِروا أُدبِرْ على حَال بَالِيَـا

فتَقَاطعا فى بيتين ، وتواصلا فى بيتين ، ولم يشعر بهما أحدٌ .

(١) كذا فى اللسان مادة «عفا» . وشرح ديوان زهير بن أبى سلمى المزنى للا علم الشنتمرى وفى نهاية الأرب :

* تحمل أهلها عنها فبانوا *

وفى الأصل :

تحمـــل أهلها منـا فبانوا * على آثار ما ذهب العــفاء

وهذا البيت من قصيدة زهير التى مطلعها :

عفا من آل فاطمة الجواء * فيمن فالقــوادم فالحســاء

وقبل البيت :

فلمـا أنــ تحمل آل ليلى * جرت بينى و بينهـــم ظبـاء

(٢) الشعر لأبن المولى وقد ورد البيت فى الأغانى هكذا :

وأخنع بالعتبى اذا كنت مذنبـا * و إن أذنبت كنت الذى أتنصل

فى نهاية الأرب « وأخضع بالعتبى ... الخ » .

(٣) كذا فى الأصل : وفى نهاية الارب (ج ٥ ص ٧١) :

* وننزلكم منا بأقرب منزل *

وذكر هذا البيت فى مجموعة المعانى (ص ٧٩ طبع الاستانة) منسوبا لسحيم هكذا :

فانــ تقبلى بالود أقبل بمثـله * وان تدبرى أذهب الى حال باليا

وقال أحمد بن صالح بن أبى فَنَن (١) :

أَعْدَدْتُ للحرب شُرْبَ كأسٍ * ومَيْـلَ سَمْعٍ إلى قِيانِ
تَظَلُّ أوتارُهنّ تَحْكى * فصاحةً مَنطِقَ اللسانِ
ما بين يُمْنَى وبين يُسْرَى * وَحْىُ بَنانٍ إلى بَنانِ
ضَميرُ قلبٍ بقَرْعِ كَفٍّ * أبداه بَمَّانِ (٢) ناطقانِ

وقال بعض الكُتّاب (٣) وذكر العود :

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له * كأنه فَخِذٌ نِيطَتْ إلى قَدَمِ
يُبدِى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدِى ضميرَ سواه منطقُ (٤) القلمِ

وقال آخر (٥) يذكر مغنّية :

ألم تَرَها لا يُبْعِدِ اللهُ دارَها (٦) * إذا رجّعتْ فى صوتها كيف تصنعُ
تَمُدُّ نِظامَ القولِ ثم تَرُدُّه * إلى صَلْصَلٍ (٧) فى حلقها يترجّعُ

---

(١) كذا ورد هذا الاسم فيما تقدّم ص ٨٦ من هذا المجلد . وفى الأصل : «أحمد بن أبى صالح» .

(٢) بمان : مثنى بمّ وهو أحد أوتار العود الذى يضرب به . وفى الأصل : «مبان» . (٣) هو الحمدونى كما فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٢٣ طبع دار الكتب المصرية) . (٤) فى نهاية الأرب :

* يبدى ضمير سواه الخط بالقلم * وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٦٧ طبع بولاق) : « منطق الكلم » . (٥) هو عبد الرحمن بن أبى عمار من بنى جشم بن معاوية ، وكان يلقب بالقس لعبادته . والمغنية التى قيل فيها هذا الشعر هى سلامة القس ، مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت ، وسميت بهذا الاسم للقب عبد الرحمن المتقدّم لأنه كان شغف بها وشهر فغلب عليها لقبه . وسيذكره المؤلف ويذكر اسم المغنية وهذا الشعر بعد قليل من هذا الكتاب . وانظر الأغانى (ج ٨ ص ٦ و ٧ طبع بولاق) ونهاية الأرب (ج ٥ ص ٥١ و ٥٢ طبع دار الكتب المصرية) . (٦) هذه رواية الأغانى ونهاية الأرب . وفى الأصل :

ألم ترها لا يبعد الله غيرها * اذا مرحت فى صوتها حين تصنع

ورواية المستطرف (ج ٢ ص ٧٧ طبع بولاق) :

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجّعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم تردّه * الى صلصل من صوتها يترجع

(٧) كذا فى الأغانى ونهاية الأرب . وفى الأصل : «صلل» .

وقال بعض المُحْدَثين فى القِيَان :

اذا رأينَ القِيَـانُ أحمــقَ ذا * مالٍ يُقَلِّبْنَ نحــوَه الحَــدَقَا
وبالتغـــنِّى وبالتــدلُّل يَسْـ * ـلُبْنَ فؤادًا بحبِّـــه عَلِقَـا[(١)]
حـــتى اذا ما سَلَخْنَ جِـلْدَتَه * سَلْخًا رفيقـا وبـــدّد الوَرِقا
قلنَ ٱدخلوا، ذا ٱلطُّوَيرُ قد طَرَح الرِّيش*، وشُــدُّوا من دونِه الغَلَقَا[(٢)]
فبِتنَ يَرعَيْنَ فى دراهمــه * وبات يـرعَى الهُمُومَ والأَرَقا

ذُكِر عنـد القاسم بن محمـد الغِناءُ والسلوُّ عنه، فقـال لهم : أخبرونى، إذا مُيِّزَ أهلُ الحقّ وأهلُ الباطل ففى أىّ الفريقين يكون الغِناء؟ قالوا : فى فريق الباطل؛ قال : فلا حاجةَ لى فيه .

قَدِمَتْ سُكَيْنَةُ بنةُ الحسين مكة، فأتاها الغَرِيضُ ومَعْبَدٌ فغنَّياها :

عُوجِى علينا ربّةَ الهَوْدَجِ * إنّك إن لم تَفعَلى تَحْرَجِى[(٣)]

فقالت : والله ما لكما مَثَلٌ : إلا الجَدْيَيْنِ[(٤)] الحارّ والباردَ لا يُدْرَى أيّهما أطيبُ .

قال بعضهم : ليس يخلو أحدٌ فى بيته ولا فى سَـفَره إلا وهو يشدُو، فإنْ هو أساء فى ذلك سَتَر اللهُ عليه، وإن هو أحسن فَضَحه الله .

---

(١) فى الأصل : «و بالتعدّى» وهو تحريف ، ولعله «و بالتثنى» ، وقد رجحنا الأولى تمشيا مع باب القيان والغناء .

(٢) الغلق : ما يغلق به الباب . (٣) تحرجى : تأثمى . (٤) كذا فى الأغانى (ج ٢ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية) وقد وردت فيه العبارة هكذا : «ما أشبهكما إلا بالجديين الحارّ والبارد لا يدرى أيهما أطيب . وقال إسحاق فى خبره : ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحسان لا يدرى أيهما أحسن» . وفى الأصل : «الجدى» بالإفراد .

قال الهيثم : خرج شُرَيْحٌ الى مكة فشيّعه قوم، فانصرف بعضهم من النَّجَف (١) بعد السَّفْرة، ومضى معه قوم، فلما أرادوا أن يُوَدِّعوه، قال : أمّا أصحاب النَّجَف فقد قضينا حَقَّهم بالطعام، وأما أنتم فأُغَنِّيكم، ورفع عَقِيرتَه وغَنَّى :

إذا زينبٌ (٢) زارَها أهلُها * حَشَدتُ وأكرمتُ زُوّارَها
وإن هى زارَتْهم زُرْتُها * وإن لم يكن لى هوًى دارَها

عن علىّ بن هشام قال : كان عندنا بِمَرْو قاصٌّ يَقُصّ فيُبكينا، ثم يُخْرِج بعد ذلك طُنبورًا صغيرا من كُمّه فيَضرب به ويُغَنِّى ويقول :

بَا إِيْن تِيمَار بَايَدْ أَنْدَكِى شادِى (٣)

معناه : ينبغى مع هذا الغمّ قليلُ فرحٍ .

قَدِم ابنُ جامع مكةَ بخيرٍ كثير، فقال ابن عُيَيْنة : عَلَامَ تُعطيه (٤) الملوكُ هذه الأموالَ ويَحْبُونه هذا الحِبَاءَ ؟ قالوا : يُغَنِّيهم، قال : ما يقول ؟ فاندفع رجل يَحْكيه وقال :

أُطَوِّفُ بالبيت فيمن يطوفُ * وأرفَعُ مِن مِئْزرى المُسْبَلِ

---

(١) النجف : موضع بظهر الكوفة بالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢) هى زينب بنت حدير من بنى تميم، تزوّجها شريح وكان نقم عليها شيئا فضربها ثم ندم وأنشأ يقول :

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير جرم أتت به * إلىّ فما عذرى اذا كنت مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم تبق منهن كوكبا

(أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣١٨ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٨ ، الأغانى ج ١٦ ص ٣٧ جميعها طبع بولاق . وتحفة العروس ص ٤٣ طبع مصر) .

(٣) وردت هذه الجملة فى الأصل محرّفة هكذا : «ابا اين تيماز بايذ اندكى وشاديه» وما أثبتناه منقول عن القاموس الفارسى .

(٤) فى الأصل : « تعطى » .

قال : أحسنتَ ، هِيه ! فقال :

وأسجُدُ بالليـــل حتّى الصَّـــبا * ح أتلو من المُحْكَمِ المُتْزَلِ

فقال : جزاه الله عن نفسه خيرا ! هِيه ! فقال :

عسى كاشفُ الكَرْبِ عن يُوسفٍ * يُسَـــخِّرُ لى رَبَّةَ المَحْمِـــلِ

فقال : آهِ ! أمسِكْ أمسِكْ، قد علمتُ مَا نَحَا الخبيثُ، اللهمّ لا تُسَخِّرها له ! .[1]

التقبيـــــل

عن آبن أسد قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسـلم اذا آختلى مع نسائه أقعى[2] وقَبَّـــل .

قالت أُمّ البنين[3] لعَزَّةَ صاحبة كُثَيِّر : أخبريني عن قول كثيّر :

قَضَى كُلُّ ذى دَيْنٍ فوَفَّى غريمَه * وعزّةُ ممطـــولٌ مُعَنًّى غَريمُهـــا

أخبريني ما ذلك الدَّيْنُ ؟ قالت : وعدتُه قُبلةً فَخَرِجتُ[4] منها، قالت أُمّ البنين : أَنجزِيها وعليّ إثمُها .

قال رجل لأعرابيّ : ما الزِّنا عندكم؟ قال : القُبْلة والضَّمّة، قال : ليس هذا زِنًا عندنا ، قال : فما هو ؟ قال : أن يَجلِسَ بين شُعَبِها[5] الأربع ثم يُجْهِدَ نفسَه ، فقال الأعرابيّ : ليس هذا زِنا، هذا طالبُ ولدٍ .

---

(١) فى الأغانى طبـع بولاق (ج ٦ ص ٧٠) : «أما هـذا فدعه» . وفى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٢٣٢ طبع بولاق) : «أمسك أمسك ، أفسد آخرا ما أصلح أوّلا» . (٢) الإقعاء: أن يجلس الرجل على وركيه مستوفزا غير متمكن . (٣) هى ابنة عبدالعزيز أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك . (٤) كذا فى وفيات الأعيان لآبن خلكان (ج ١ ص ٦١٨ طبع بولاق) . وفى خزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٣٨٢ طبع بولاق) والشعر والشعراء طبـع أوربا فى ترجمـة كثير : « فتحرجت منها » وكلاهمـا صحيح . وفى الأصـل « نخرجت » بالخاء المعجمة ، وهو تحريف . (٥) شعب المرأة الأربع : يداها ورجلاها .

وقال [آخر][1]

فـدخلتُ مُخْتفِيّـا أُصُرّ ببيتها * حتى وَلَجْتُ على خَفِيِّ المَـوْلج

قالت وعَيشِ أخى ونِعمةِ والدى[2] * لأُنَبِّهَنَّ الحىَّ إن لم تَخْـرُجِ

فخرجتُ خِيفةَ قولِها فتَبَسّمتْ * فعلمتُ أن يمينَهـا لم تَحْـرَجِ[3]

(١) نسبت هـذه الأبيات الى جميل بن معمر العذرىّ فيما نقله ابن عساكر عن أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (راجع ترجمة جميل فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦١ — ١٦٤ طبع بولاق). وقد عزى البيت الخامس فى اللسان وشرح القاموس (فى مادة « شنج ») لجميل أيضا . ورويت الأبيات : الثانى والثالث والرابع فى اللسان (مادة « حشرج ») منسوبةً لعمر بن أبى ربيعة ، وقال ابن برى : إنها لجميل وليست لعمر . وفى شرح الشواهد الكبرى للعينى الذى بهامش خزانة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٢٧٩ — ٢٨٢ طبع بولاق) فى الكلام على قوله : « فلثمت فاها : ... الخ » أن قائل هذا الشعر هو عمر بن أبى ربيعة وقيل : هو جميل وهو الأصح وكذا قاله الجوهرى . وفى « الحماسة البصرية » : قائله عبيد بن أوس الطائى فى أخت عدىّ بن أوس الطائى . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى (ج ١ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة ، كما وردت فى الشعر المنسوب الى عمر بن أبى ربيعة بديوانه المطبوع بليبسج سنة ١٩٢٠ (ص ٢٢٨) ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

نعق الغراب ببين ذات الدملج * ليت الغـــراب ببينها لم يزعج

(٢) كذا فى الأصل والأغانى . وفى الديوان :

* قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى *

وفى الكامل للبرد طبع ليبسج (ص ١٦٥) :

* قالت وعيش أبى وأكبر إخوتى *

وفى شرح الشواهد الكبرى للعينى الذى بهامش خزانة الأدب للبغدادى :

* قالت وعيش أبى وعدّة إخوتى *

وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٥٥ طبع بولاق) :

* قالت وحق أخى وحرمة والدى *

(٣) لم تحرج : لم تضق ولم تكن جادّة هى فى حلفها فلا تأثم اذا لم تبر فيها . وتجوز روايتـه : « لم تحرج » بضم التاء أى لم توقعها فى الحرج والإثم . وروى فى وفيات الأعيان وفى شرح الشواهد الكبرى للعينى : « لم تلجج » أى لم تعتزم ، يقال : لج فى الأمر اذا تمادى فيه وأبى أن ينصرف عنه .

فلثمتُ فاهَا قابضًـا بقُرونها * شُرْبَ النَّزِيفِ[1] ببردِ ماءِ الحَشْرَجِ[2]
فتناولتْ رأسى لِتعرِفَ مَسَّه * بمُخضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[3]

وقال بعضُ الشعراء :

وما نِلتُ منها مُحَرَّمًا غيرَ أنَّنى * أُقَبِّل بَسّامًا من الثغر أبلَجا
وأَلْثُمُ فَاهَا تارةً بعـــد تارةٍ * وأَترُكُ حاجاتِ النفوسِ تَحرُّجَا

وقال آخر :

لَعَمْرِىَ إنِّى ما صبوتُ وما صَبَتْ * وإنِّى اليهـا من صِـــبًا لحليمُ
سِــوى قُبْـلةٍ أستغفر اللّهَ ذنبَها * وأُطعِمُ مسكينًا بها وأصـــومُ

وقال أبو نُوَاس :

وعاشِـــقَيْنِ[4] ٱلتفّ خَدَّاهما * عنـد ٱلتثام الحَجَرِ الأســـود
فٱشتفَيا[5] من غير أن يأثَمَـا * كأنما كانا على مَوْعِـد
لولا دِفاعُ النـاسِ إيَّاهمــا * لَمَـا استفاقا آخرَ المُسْـنَدِ[6]

قال المتوكِّل، أو غيرُه من الخلفاء، لبَخْتيَشُوع[7] : ما أخفُّ النَّقْل على النبيذ ؟ فقال له : نَقْلُ أبى نُوَاس، فقال : ما هو ؟ فأنشده :

مالِى فى الناس كلِّهـــمْ مَثَـلُ * مائِىَ خَمْـــرٌ ونَقْـــلِىَ القُبَـــلُ

---

(١) النزيف : المحموم الذى منع الماء، أو هو الذى يعطش حتى تيبس عروقه و يجف لسانه .
(٢) الحشرج : النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو، أو هو كوز صغير لطيف . (أنظر اللسان مادتى نزف وحشرج) .
(٣) مشنج : متقبض .
(٤) كذا فى ديوان أبى نواس (ص ٣٧٢ طبع مصر سنة ١٨٩٨ م) وفى الأصل : « وعاشقان بالرفع » .
(٥) فى الديوان : «فٱلتقيا» بالقاف .
(٦) المسند : الدهر .
(٧) فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٥٠٧ طبع ليدن) فى ترجمة أبى نواس ما يأتى : «و بلغنى أن بعض الخلفاء سأل ابن ماسويه عن أصلح ما ٱنتقل به على النبيذ، فقال : نقل أبى نواس وأنشده : * مالى فى الناس كلهم مثل * البيت» .

وقال بعضُ المُحْدَثين :

غَضِبتِ من قُبلةٍ بالكُرْهِ جُدْتِ بها * فهاكِ قد جئتِ فاقتصِّيه أضعافاً
لم يأمرِ اللهُ إلّا بالقِصاص فلا * تَسْـتَجْوِرِى مارآه الله إنصافاً

الدخول بالنساء والجماع

عن سعيد بن جُبَيْر قال : قلت لآبن عبّاس : ماتقول فى مُتْعةِ النّساء؟ — قال : قد أكثر الناسُ فيها حتى قال الشاعر :

قد قلتُ للشيخ لمـا طال مَجْلِسُه * ياصاحِ هل لك فى فَتْوَى آبن عبّاس
هل لك فى رَخْصَةِ الأطرافِ آنِسةٍ * تكون مَثْواكَ حتى رجعةِ الناسِ

— قال : فنهانى عنها وكَرِهها .

الأصمعىّ : أن رجلًا قعد من آمرأة مَقْعَدَ النّكاح ثم قال : أبِكْرٌ أنتِ أم ثَيِّبٌ؟ قالت : «أنتَ على المُجَرَّب»(١) .

قال الحجّاج لأكْثَل(٢) بن شَمّاخ العُكْلىّ : ما عندك للنساء؟ قال إنى لأُطيل الظَّمأَ(٣) وأُورِدُ فلا أَشرَبُ .

(١) هذا مثل من أمثال العرب ، وقد أثبتناه كما ورد فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب . وفى الأصل : « أنت بالمجرب » . قال فى اللسان : المجرّب : الذى قد جُرِّب فى الأمور وعُرِفَ ما عنده ، قالته امرأة لرجل سألها بعد ماقعد بين رجليها : أعذراء أنت أم ثيب ، قالت له : « أنت على المجرّب » أى «أنك مشرف على التجربة» . وقال الميدانى : يضرب لمن يسأل عن شىء يقرب علمه منه أى لاتسأل فانك ستعلم . (انظر اللسان مادة جرب وأمثال الميدانى ج ١ ص ٤٩ طبع بولاق). (٢) فى الأصل « أكيل » بالياء ، والتصويب عن تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٢١٦٦ طبع أوربا) والقاموس وشرحه مادة « كثل » والإصابة فى أسماء الصحابة (ج ١ ص ١١٣ طبع بولاق) وهو أكثل بن شماخ بن زيد بن شداد بن صخر بن مالك العكلى ، شهد الجسر مع أبى عبيد بن مسعود الثقفىّ وشهد فتح القادسية وله فيها آثار محمودة . (٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٠٢ طبع بولاق) . وفى الأصل : « المـا » .

وقيل لمـدَنِيّ : ما عندك فى النكاح ؟ قال : إن مُنِعتُ غَضِبتُ ، وإن تُرِكت عَجَزتُ .

قال الأحنف : إذا أردتم الحُظْوةَ عند النساءِ فأَفْحِشوا فى النِّكاح وحَسِّنوا الأخـــلاقَ .

قال مُعاوية : ما رأيتُ منهومًا بالنساء إلا رأيتُ ذلك فى مُنَّته(١) .

قال آخرُ : لذّةُ المرأةِ على قدرِ شهوتها ، وغَيْرَتُها على قدرِ محبّتها .

دعا عيسى بن موسى بجاريةٍ له ، فلم يَقدِرْ على غِشْيانها ، فقال :

القلبُ يَطْمَعُ والأسبابُ عاجزةٌ * والنفسُ تَهلِكُ بين العجزِ والطّمَعِ(٢)

وقال مُقَاتِل بن طَلْبَة بن قَيْس بن عاصم :

رأيتُ سُحَيْمًا(٣) فاقَدَ اللهُ بينَها * تَنيكُ بأيديها وتَعْيَا أُيورُها

وقال آخر :

ويُبعَثُ يومَ الحشرِ أمّا لِسانُه * فَعَيٌّ وأمّا أَيْـــرُهُ فخطيبُ

وقال آخر :

ويُعجِبنى منكِ عند الجِماع * حياةُ(٤) اللسان وموتُ النَّظَرْ

المدائنيّ قال : أَسَرتْ عَنَزةُ(٥) الحـارثَ بن ظالم ، فمرّت به امرأةٌ منهم فرأتْ كَمَرةً سَوْداء ، فقالت : احتفِظوا بأسيركم فإنه ملِكٌ وخَدْنُ ملِكٍ . قالوا : وكيف عَرَفتِ ذلك ؟ [قالت :] رأيتُ حَشَفةً سوداء من فُرُومِ النِّساء .

(١) المنة : القوّة . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٠٣ طبع بولاق) : « وجهه » .

(٢) ورد هذا البيت فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٠٣) هكذا :

النفس تطمع والأسباب عاجزة * والنفس تهلك بين اليأس والطمع

(٣) سحيم : بطن من بنى حنيفة . (٤) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٠٣) : «حياة الكلام» .

(٥) عنزة : حى من ربيعة ، جدّه الأعلى الذى سمى باسمه هو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

والقَرْمُ : ما تُضَيِّقُ المرأةُ به رَحِمَها من رَامِكٍ[١] أو عَجَمِ[٢] زبيبٍ أو غيرِه .

وكتب عبد الملك بن مَرْوان الى الحجّاج : يا بنَ المُسْتفرِمة بعَجَم الزبيب .

قال الهيثم : كان آمرؤ القيس مُفَرَّكًا[٣] ، فبينما هو يومًا مع آمرأةٍ قالت له : قم يا خيرَ الفِتْيانِ قد أصبحتَ ، فلم يقم ، فكرّرتْ عليه ، فقام فوجد اللّيلَ بحاله ، فرجع اليها فقال لها : ما حَمَلكِ على ما صَنعتِ ؟ قالت : حملنى عليه أنّك ثقيلُ الصّـدْرِ، خفيفُ العَجُزِ، سريعُ الإراقة[٤] .

قال أبو عُبَيْدة لجاريةٍ له : اصدُقينى عمّا تكره النساءُ منّى ، قالت : يَكرهن منك [أنك] اذا عَرِقت فُحْتَ بريحِ كلبٍ ، قال : أنتِ صدقتِينى ، إنّ أهلى كانوا أرضعونى بلَبَن كلبةٍ .

قال الأصمعىّ : غاضبتِ آمرأةٌ زوجَها ، فجال عليها يُجامعها ، فقالت : لعَنك الله ! كلّما وقع بينى وبينك شرٌّ جئتَنى بشفيعٍ لا أقدِر على ردّه ! .

الهيثم عن آبن عيّاش قال : كتب عُبَيْدُ الله بن زِيَاد إلى أسماء بن خارجةَ[٥] والِي البَصْرة يخطب اليه هندَ بنت أسماء فزوَّجه ، فلقيه عمرُو بنُ حارثةَ ومحمدُ بنُ الأشعث ابن قيس ومحمـدُ بن عُمَيْر ، فقالوا : خطب اليك وليس له عليك سلطانٌ فزوّجتَـه وقد عَرَفتَه ! فقال : قدكان ما كان . فقال عُقَيْبةُ[٦] الأَسَدىُّ :

(١) الرامك (بالكسر و يفتح والكسر أعلى) : شىءأسود كالقار يُخَلَط بالمسك فيصير سُكًّا (انظراللسان مادة رمك) . (٢) العجم : النوى . (٣) المفرّك (وزان معظم) : الذى تبغضه النساء .
(٤) فى الأصــل : « الإفاقة » والتصويب عن كتاب بهجة الناظر ونزهة الخاطر (النسـخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٢٤ أدب ورقة ١٣٠) . وقد ذكرت فيه هذه الحكاية مع اختلاف فى الرواية . (٥) كذا فى كتاب الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٨ طبع بولاق) وفى الأصل : «أسماء بنت حارثة» وهو خطأ . (٦) كذا فى كتاب الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٨ طبع بولاق) وكتاب سيبويه (ص ٢٦ ج ١ طبع أوربا) . وفى تحفة العروس (ص ١٦٢ طبع مصر) : « أبو عتبة الأسدى» . وفى الأصل : « ابن عقبة » .

جزاكِ[١] الله يا أسماءُ خيراً * كما أرضيْتَ فَيْشَلةَ الأمـيرِ
بِصَدْغٍ قد يفوحُ المسكُ منه * عظيمٍ مثـلِ كِرْكِرةِ البعيرِ
لقـد[٢] زوّجتَهـا حسناءَ بِكراً * تُجيدُ الرَّهْزَ من فوق السّريرِ

فبلغ الخبرُ عبيدَ الله بن زياد، فلما آستُعْمِل على الكوفة تزوّج عائشةَ بنتَ محمد ابن الأشعثِ، وزوّج أخاه سَلْم[٣] بن زيادٍ بنتَ عمرِو بن الحارثِ بن حُرَيثٍ، وزوّج أخاه عبـدَ الله بن زيادٍ آبنـةَ محمدِ بن عُمَيرٍ . قال ابنُ عيّاش : فاشـتركوا والله فى اللُّوْم جميعا .

قال آبن المبارك[٤] : ألستم تعلمون أنّى قد أرميتُ[٥] على المـائةِ ! وينبغى لمن كان كذلك أن يكون فى وَهَنِ الكَرّةِ وموتِ الشّهْوةِ وآنقطاع يَنْبُوعِ النُّطفةِ، وأن قد يكون قد مال جبينُه الى النساءِ وبفكره الى الغزل؛ قالوا : صدقت . قال : وينبغى أن يكون قد عوّد نفسَـه تَرْكَهن ، وهذا والتخلى بهنّ دهرا أن تكون العادة وتمرين الطبيعةِ وتوطين النفسِ قد حطّ من ثِقل منازعةِ الشهوةِ ودواعى الباه ، وقد علمت أنّ العادة قـد تستحكم ببعضٍ عمن ترك ملابسة النساءِ؛ قالوا : صدقت . قال : وينبغى أن يكون لمن لم يَذُق طعم الخلوةِ بهنّ ولم يُجالسهنّ متبذِّلاتٍ ولم يسمع خَلَابَتَهن للقلوب وآستمالتهن للأهواء، ولم يَرَهنّ متكشِّفاتٍ ولا عارياتٍ أن يكون اذا تقـدّم له ذلك مع طُول الترك ألّا يكون بَقِى معـه من دواعيهنّ شيء؛ قالوا :

(١) وردت هـذه الأبيات فى كتاب الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٨ طبع بولاق) باختلاف يسير عما هنا . (٢) فى نهاية الأرب (ج ٢ ص ١٠٥ النسخة الكاملة طبع دار الكتب المصرية) :

* اذا نفحت بأرواح تراها *

(٣) كذا فى تاريخ الطبرى وكتاب المعـارف للؤلف ، وفى الأصـل : «سالم» وهو خطأ .
(٤) وردت قصـة ابن المبارك هكذا فى الأصـل ولم نطمئن الى بعض عبارات وردت فيها ولم نوفق الى تصويب نطمئن اليه فأبقيناها كما هى إذ لم نعثر عليها فى مصدر آخر . (٥) أرمى كأربى : زاد .

صدقت . قال : وينبغي لمن عَلِم أنّه مجبوبٌ(١) وأنْ سببه الى خِلَاطِهِن محسوم أن يكونَ اليأس من أمتنِ أسبابه الى الزهد والسُّلْوةِ والى موت الخاطر؛ قالوا : صدقت . قال : وينبغي لمن دعاه الزُّهد في الدنيا الى أن خَصَى نفسَه ولم يُكرِهه على ذلك أبٌ ولا عدوٌّ ولا سَبَاهُ سابٍ، أن يكون مقدار ذلك الزُّهدِ يُميت الذكر ويُنسِي العزمَ؛ قالوا : صدقت . قال : وينبغي لمن سخَتْ(٢) نفسه عن الشكرِ وعن الولدِ وعن أن يكون مذكورا بالعاقِبِ الصالح أن يكون قد نَسِي هذا البابَ إن كان مرَّةً منه على ذُكرِهِ ، وأنتم تعلمون أني سَمَلتُ(٣) عيني يوم خَصَيت نفسي [و] قد نسيت كيفية الصُّوَر؛ قالوا : صدقت . قال : أوليس لو لم أكن هَرِمًا ولم يكن ها هنا آجتِناب وكانت الآلة قائمة — إلا أني لم أذُقْ لحمًا منذ ثلاثين سنة ولم تمتلئ عُروق من الشَّرَاب مخافةَ الزيادة في الشَّهوَةِ — لكان في ذلك ما يقطع الدواعي ويُسَكِّن حركةً إن هاجت ، قالوا : صدقت . قال : فإن بعد ما وصفتُ لكم لا أسمع نَغْمةً لآمرأة إلا أظُنُّ أنّ عقلي قد آختُلِس(٤)، ولربّما تراءى فؤادي عن ضحك إحداهن حتى أظنّ أنه قد خرج من فمي، فكيف ألوم عليهنّ غيري !

قال رجل لآبن سِيرين : اذا خلوتُ بأهلي أتكلّم بكلامٍ أستحِي منه؛ قال : أفْحَشُه اللّذة .

إسحاق بن إبراهيم المَوصليّ قال : كان شُرَاعةُ بن الزَّنْدَبوذ(٥) لا يأتِي النِّساءَ، وكان يقال : إنه عِنِّينٌ؛ فقال :

---

(١) في الأصل « محبوب » بالحاء المهملة . وهو تحريف . (٢) كذا بالأصل ، والذي في الأساس : تَسَخَّيت نفسي وبنفسي عن هذا الأمر اذا تركته ولم تنازعك اليه نفسك قال الخليل بن أحمد :

سخَّى بنفسي أني لا أرى أحدا * يموت هَزْلا ولا يبقى على حال

(٣) سمل الرجل عينه : فقأها . وفي الأصل : «سلمت» وهو تحريف . (٤) هذه الجملة وردت في الأصل هكذا : «فان بعد ما وصفت لكم لأسمع نغمة الامرأة وأظن امرأة أن عقلي ...» الخ . وقد صوّبناها بما يوافق السياق . (٥) كذا في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٥ طبع بولاق) وأمالي القالي (ج ٣ ص ٢١٥ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : «الزيزبون» ، وهو تحريف .

قالوا شُرَاعةُ عِنّين فقلت لهـم * اَللّهُ يعـــلم أنّى غـــيرُ عِنّـــينِ
فإن ظننتم بِىَ الظنَّ الذى زعَموا * فقرِّبونِى الى بيتِ آبن رَامِينِ

وكان آبن رامين صاحبَ قِيانٍ، وكانت الزرقاءُ[1] جاريتَه .

قال إسحاق : أنشدنى آبن كُنَاسة :

لقد كان فيهـا للأمانةِ موضعٌ * وللِسِّرِّ كتمانٌ[2] وللعينِ مَنْظَرُ

قلت : ما بقِى شىء؛ قال : فأين الموافقة ! .

الهيثم قال : قال لى صالح بن حسّان : مَنْ أفقهُ الناس ؟ قلت : اختُلِف فى ذلك؛ قال : أفقه الناسِ وضّاح اليمنِ حيث يقول :

اذا قلتُ هاتِى نوِّلينِى تبسّمتْ * وقالت معَاذَ اللهِ مِن فِعْلِ ما حَرُمْ
فما ناولتْ[3] حتى تضرّعتُ عندها * وأنبأتُهـا ما رخّص اللهُ فى اللّمَمْ

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكَلْبِىّ[4] : زوّجْنِى آمرأةً من كلبٍ، فزوّجه؛ فقال له ذاتَ يومٍ يَهْزِل معــه : وتزوّجْنا الى كلبٍ فوجدنا فى نِسائهم سَــعَةً ؛ فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين، إن نِساء كلبٍ خُلِقن لرجال كلبٍ .

قال : وسمِـع رجلٌ مِن كِنْدةَ رجلا يقول : وجدنا فى نِساءِ كِنْدَة سَعَةً، قال الكِندِىّ : إن نساء كِندة مكاحلُ فَقدتْ مَراوِدَها .

---

(١) اسمها سلامة الزرقاء كما فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٣٥ طبع بولاق) . (٢) كذا فى كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس (المجلد الثانى ورقة ٩٦ نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٦٦ أدب) . وفى الأصل : « وللكف مزداد » . (٣) فى الأغانى (ج ٦ ص ٤١ طبع بولاق) : «نولت» وكلاهما صحيح . (٤) اسمه سعيد بن الوليد الكلبىّ صاحب هشام، وهو من ولد عمرو بن جبلة الذى وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم .

تزوج أعرابىّ آمرأةً، فلمـا دخل بهـا عابثها فضَرطتْ فخرجت غَضْبَى إلى أهلها، وقالت : لا أرجع حتى يفعلَ مثلَ ما فعلتُ؛ فقال لهـا : عُودِى لأفعل، فعادت ففعل؛ فبينما هو يداعبها اذ حَبَقتْ أخرى؛ فقال الأعرابىّ :

طالبْتِني دَيْنًـا فـلم أقْضِكِ * واللهِ حتى زدتِ فى قَرْضِكِ
فـلا تلوميـنِي على مَطْـلِهِ * إن كان ذا دَأْبَكِ لم أقْضِكِ

تزوّج رجلٌ أعرابيّة فعجَز عنها، فقيل لها فى ذلك، فقالت : نحن لنا صُدُوع فى صَفًا، ليس لعاجزٍ فينا حظّ .

الهيثم عن آبن عياش قال : كانت صَعْبةُ[1] أُمُّ طَلْحة بنِ عُبَيدِ الله من بنات فارس، تزوّجها أبوسُفيان بن حربٍ فلم تَزَل به هِندٌ حتى طلّقها، فتزوّج بها عبيدُالله، وتَتبّعتْها نفسُ أبى سُفيان فقال :

إنّا[2] وصـــعبةَ فيما تَرَى * بعيدانِ والوُدُّ ودٌّ قـــريبُ
فإلّا يكن نَسَبٌ ثاقِبٌ[3] * فعند الفتاة جَمالٌ وطِيبُ
لها عند سِرّى بهـا نَخْرةٌ * يزول بها يَذْبُلٌ[4] أو عَسِيبُ
فيـا لَقُصَىٍّ ألا فاعجَبُـوا * فالوَبْرُ[5] صار الغزال الربيبُ

جلس أعرابىٌّ الى أعرابيّة، وعلِمتْ أنه إنما جلس اليها لِينظرَ آبنتها، فضربت بيدها على جَنْبها وقالت :

ومالك منها غيرَ أنك ناكحٌ * بعينيكَ عينيها فهل ذاك نافع

(١) هى الصعبة بنت الحضرمىّ عبد الله بن مالك وهى أخت العلاء بن الحضرمىّ كما فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة طبع بولاق . (٢) فى كتاب المعارف للؤلف (ص ١١٧ طبع أوربا) : «إنى وصعبة فيما يرى» (٣) الثاقب : المضىء، ومنه حديث الصدّيق رضى الله عنه : نحن أثقب الناس أنسابا، أى أوضحهم وأسناهم . (٤) يذبل وعسيب : جبلان . (٥) فى الأصل : «الوبر» من غير فاء ولعلها سقطت من الناسخ وليس خرما لأنّ الخرم خاص بأوّل البيت . والوبر : حيوان يشبه السنور وهو أصغر منه يدجن فى البيوت و يؤكل لأنه يعتلف البقول .

وقال أَيْمَنُ بن خُرَيم

لقيتُ من الغانيـات العُجَابَا * لو آدركَ منِّى العَذَارى الشَّبَابَا (١)
ولكنّ جَمْع العذارَى الحِسانِ * عَناءٌ شـديدٌ إذا المـرءُ شابَا
يُرِضْنَ (٢) بكلّ عَصَا رائضٍ * ويُصْبِحْنَ كلَّ غَدَاةٍ صِعابَا
عَلَامَ يُكَحِّلْن حُـورَ (٣) العيونِ * ويُحدِثْنَ بعدَ الخِضابِ الخِضابَا
ويُبْرِزْنَ (٤) إلا لِـمَا تعـلمون * فلا تَحْرِموا الغانيات الضِّرابَا
اذا لم يُخالَطْن كلَّ الخـلا * طِ أصْبَحْن مُخْرَنْطِماتٍ (٥) غِضابَا
يُميت العِتابَ خِلاطُ النساءِ * ويُحيي آجتنابُ الخِلاط العِتابَا (٦)

واعَدَ العَرْجِيُّ آمرأةً من الطائف، فجاء على حمارٍ ومعه غلام، وجاءت المرأة على أتان ومعها جارية؛ فوثب العرجيّ على المرأةِ، والغلامُ على الجاريةِ، والحمارُ على الأتان؛ فقال العرجيّ : هذا يومٌ غاب عُذَّالُه .

باب القِيادة

عن آبن الأَشْوع : أنه سـئل عن الواصـلة فقال : إنك لَمُنَقِّر، (٧) قالت عائشة رضى الله عنها : ليست الواصلة بالتى (٨) تَعْنُون ، وما بأسٌ (٩) اذا كانت المرأةُ زعراءَ (١٠) أن تصل شعرها، ولكن الواصلة أن تكون بَغِيًّا فى شَبِيبتها، فاذا أَسَنّت وصلته (١١) بالقيادة.

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ٣٤٧) . وفى الأصل : «أدركن» (٢) كذا فى الأصل والشعر والشعراء ورواية الأغانى (ج ٢١ ص ٩) : «يذدن بكل عصا ذائد» . (٣) فى الشعر والشعراء : « نجـل » . (٤) فى الشـعر والشعراء : «و يبرقن » . (٥) المخرنطمة : الغاضبة المتكبرة . (٦) جاء فى الشعر والشعراء بعد ذكر هذه الأبيات فى ترجمة أيمن بن خريم ما نصه : « قال له عبـد الملك بن مروان حين أنشده هـذه الأبيات : ما عرف النساء أحد معرفتك » . (٧) التنقير : البحث عن الأمور . (٨) كذا فى لسان العرب مادة «وصل» والنهاية لابن الأثير. وفى الأصل : « بالذى » . (٩) رواية النهاية لابن الأثير « ولا بأس أن تعرى المرأة عن الشعر فتصل قرنا من قرونها بصوف أسود الخ» . (١٠) زعراء : قليلة الشعر . (١١) فى اللسان مادة وصل : « وصلتها » .

قالوا : كانت ظُلْمةُ[١] التى يُضرب بها المثَل فى القيادة صَبِيّةً فى الكُتّاب[٢]، فكانت تَضرِب دُوِىَّ الصِّبيانِ وأقلامَهم، فلما شبّت زَنَتْ، فلما أسنّت قادت، فلما قعدت آشترت تَيْسًا تُنَزِّيه[٣] على العنْز .

وذكر المدائنىُّ : أنّ رجلا من السلطان كان لا يزال يأخذ قَوّادة فيحبِسها ثم يأتيه من يشفَع فيها فيخرجها ؛ فأمر صاحبَ شُرْطته فكتب فى قِصّتها : فلانة القوّادة تجمع بين الرجال والنساء لا يتكلّم فيها إلا زانٍ، فكان إذا كُلِّم فيها قال : أخرجوا قِصّتها، فاذا قُرِئت قام الشفيع مُسْتَحْيِيًا .

قال جِرَانُ العَوْد :

يُبَلِّغُهنّ الحاجَ[٤] كلُّ مُكاتَبٍ[٥] * طويلِ العصا أو مُقْعَدٍ يتزحّفُ
ومَكْمونةٍ[٦] رمداءَ لا يحذَرُونها * مكاتبةٍ ترمى[٧] الكلاب وتَحْذِفُ
رأت وَرِقًا بِيضًا فشَدّت حَزِيمَها[٨] * لها فهى أمْضى من سُلَيْكٍ وألطَفُ

---

(١) قال فى القاموس مادة «ظلم» : وظلمة بالكسر والضم : فاجرة هذلية أسنت وفنيت فاشترت تيسا، وكانت تقول : أرتاح لنبيبه (صياحه وهياجه) فقيل : « أقود من ظلمة » و « أفجر من ظلمة » . وقد ذكر الميدانى هذا المثل فى ج ٢ ص ٦٠ طبع بولاق وأطال فى الكلام عليه فانظره . (٢) يريد بالكُتّاب موضع التعليم . وفى القاموس واللسان أن هذا الاستعمال خطأ . (٣) تنزيه : تحمله على الوثبان .

(٤) الحاج : جمع حاجة . (٥) المكاتب : العبد الذى يكتب على نفسه لمولاه ثمنه و يكتب مولاه له عليه عتقه، و إنما خص العبد بالمفعول لأن أصل المكاتبة من المولى . يريد أن هذا المكاتب يأتى منازلهن بعلة الصداقة، فاذا أصاب خلوة أبلغهن ما نريد . (٦) كذا فى شرح ديوانه لأبى جعفر محمد بن حبيب المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٧ أدب ش، والشعر والشعراء (ص ٤٥٢ طبع أوربا) وفى الشرح المذكور : « المكمونة : من الكمنة وهو أن ترمد فلا يستقصى فى علاجها فيحدث فى الأجفان ورم وغلظ وتحمرّ لذلك، يقال : كمنت العين تكمن كمنة شديدة » . وفى الأصل : «مكمودة» بالدال المهملة وهو تحريف . (٧) يريد بقوله : «ترمى الكلاب وتحذف» أنها تتظاهر بالجنون .

(٨) ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

رأت ورقا بيضا فشدت ممرقا * له فهى أقضى من سليك وألطف

والتصحيح عن الديوان ، وقال فى شرحه : «حزيمها أى أمرها ورأيها على ما تريد منها من الابلاغ فهى أمضى على الهول من سليك بن سلكة السعدى . وألطف : أرفق بما نريد » .

وقال الفرزدق :

يُبَلِّغهنّ وَحْىَ القـول منّى * ويُدْخِل رأسَه تحت القِـرامِ (١)

وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

خليلىّ إنى أشـتكى ما أصابنى * لِتَسْتَيْقِنا ما قد لَقِيتُ وتَعْلما (٢)

فلا تُفْشيا سرّى ولا تَخْذُلا أخًا * أَبَثَّكُما منـه الحديثَ المُكَتَّمَا

وقولا اذا جاوزتُما أرضَ عامرٍ * وجاوزتما الحَيَّين نَهْـدًا وخَثْعما (٣)

نَزِيعـان من جَرْمِ بنِ رَبّانَ (٥) إنهـم * أَبَوْا أن يُرِيقوا فى الهَـزاهِز (٦) مِحْجَما (٤)

وخُبًّا على نِضوَيْن مُكْتَفِلَيْهما (٧) * ولا تَحْمِـلا إلا زنادا (٨) وأَسْـهُما

(١) القرام : ستر فيـه رقم ونقوش وكذلك المقرم والمقرمة . (٢) وردت هـذه القصيدة فى كتاب (الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين و يعرف بحماسة الخالديين ص ٢٠ المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٠٩ أدب) بزيادة ثلاثة أبيات واختلاف فى بعض الكلمات .

(٣) قال المؤلف فى كتابه الشـعر والشعراء فى ترجمة حميد : « ومن خبيث الهجاء قوله فى رجلين بعثهما الى عشيقته — ثم ذكر هذا البيت والذى بعده وقال — : أمرهما أن ينتسبا الى جرم لان العرب تأمنها لهذا ولا تخاف منها غارة » . وفى حماسـة الخالديين فى التعليق على هذين البيتين أنهما من ظريف الهجاء ودقيقه وممضه . وذلك أنه ذكر قوما فقال : هم لا يقتـلون ولا يقتلون فليس أحد من العرب يطلبهم بوتر ولا طائلة ، فلذلك أمر صاحبيه بالانتساب اليهـم لئلا يذكرا غيرهم من القبائل فيكون الذى يسألهما عن نسبهما يطلب تلك القبيـلة التى ذكراها بطائلة فيقتلهما ، وهذا من غريب الهجاء و بديعه .

(٤) نزيعان : غريبان . (٥) كذا فى كتاب المعـارف للؤلف (ص ٥١ طبع أوربا) والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى (ص ٢٣٢ طبـع أوربا) والتنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليـه للبكرى ص ١١٦ طبع دار الكتب المصرية) وحماسة الخالديين وفى معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٥ طبع أوربا (بالراء المهملة والباء الموحدة) وهو بطن فى قضاعة . وفى اللسان وشرح القاموس (بالزاى المعجمة والباء الموحدة)، وفى الأصل « حيان » وهو تحريف . (٦) الهزاهز : الفتن يهتز فيها النـاس .

(٧) اكتفل البعير : جعل عليه كفلا وركب عليه . وفى الأصل : «متكفليهما» بتقديم التاء على الكاف وهو تحريف . (٨) كذا فى حماسة الخالديين . وفى الأصل : «إلا زيادا وأعظما» ، وهو تحريف ، ورواية البيت فى حماسة الخالديين هكذا :

وسيرا على نضو يكما وتقصـدا * ولا تحملا إلا زنادا وأسـهما

وزادا غيضا[1] خففاه عليكما * ولا تبديا سرا ولا تحملا دما
وإن كان ليل فالويا نسبيكما[2] * وإن خفتما أن تعرفا فتلثما
وقولا خرجنا تاجرين فأبطأت * ركاب تركناها بتثليث[3] قوما[4]
ولو قد أتانا بزنا ودقيقنا * تمول منكم من رأيناه معدما
ومدا لهم فى السوم حتى تمكنا * ولا تستلجا[5] صفق بيع فيلزما
فإن أتما اطمأننتما فأمنتما * وخليتما ماشئتما فتكلما
وقولا لها ما تأمرين بصاحب * لنا قد تركت القلب منه متيما
أبينى لنا إنا رحلنا مطينا * إليك وما نرجوك[6] إلا توهما

وقال المأمون لرسول بعث به :

بعثتك مرتادا[7] ففزت بنظرة * وأخلفتنى حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا * فيا ليت شعرى عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا فى محاسن وجهها * ومتعت باستسماع[8] نغمتها أذنا
أرى أثرا منها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

---

(١) كذا بالأصل ، وفى حماسة الخالديين : « وزادا قليلا » . و رواية البيت فيها هكذا :

وزادا قليلا خففاه عليكما * ولا تبديا سرا لقوم فيعلما

(٢) أى أخفيا نسبيكما ولا تظهراه . (٣) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . (٤) كذا فى حماسة الخالديين وفى الأصل : « قيا » . (٥) استلج : تمادى وألح . (٦) فى حماسة الخالديين :

* اليك فلم نبلغك إلا تجشما *

(٧) كذا فى كتاب أخبار النساء (ص ١٣٣ طبع مصر) . والمرتاد : طالب الشىء ومتفقده ليعلم ما هو عليه . وفى الأصل : « مشتاقا » بالقاف . ولعله « مشتافا » بالفاء يقال : اشتاف فلان الشىء اذا نظره وعاينه . (٨) الاستسماع بمعنى السماع ، وفى أقرب الموارد «استسمعه بمعنى سمعه» . وفى الأصل : «باستمتاع» وهو تحريف ، ويجوز أن يكون « باستماع » و يكون على هذه الحال قد دخل عليه القبض وهو ذهاب الخامس الساكن من « مفاعيلن » .

وقال بعضُ المحدَثين :

يا سُوءَ مُنقلَبِ الرّســو * ل مُخَبَّراً بخـــلاف ظَنّى
إنّى أُعيذُكَ أنْـــ تكو * نَ شَغَلْتَنِى وشُغِلتَ عنّى

وقال زيد بن عمرو فى أمَته :

اذا طَمِثَتْ (١) قادَتْ وإن طَهُرتْ زَنَتْ * فهِى أبــدًا يُزْنَى بهــا وتَقُــودُ

بابُ الزّنا والفُسُوق

العُتبىّ، قال : قيــل لرجل فى امرأته وكانت لا تَرُدُّ يَدَ لامِسٍ : عَلامَ تَحْبِسُها مع ما تَعرِفُ منها ؟ فقال : إنها جميلةٌ فلا تُفْرَك (٢)، وأُمُّ عِيال فلا تُتْرَك .

وقال بعضُ الأعراب :

أَلِمَّــا على دارٍ لِوَاســعةِ الحبلِ (٣) * أَلُوفٍ تُسَوِّى صالحَ القومِ بالرّذلِ (٤)
يَبِيتُ بها الحُدّاثُ (٥) حتى كأنّمــا * يَبِيتونَ فيها من مَدافِعَ من نَحْلِ (٦)
ولو شَهِدَت حُجّاجَ مكةَ كلُّهم * لراحُوا وكلُّ القوم منها على وَصلِ

---

(١) طمثت : حاضت . (٢) تفرك : تبغض . (٣) رواية الأغانى :

* ألا حىّ أطلالا لواســعة الحبل *

وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٨٩ طبع بولاق) على سبيل الإنشاد مختلفة عما بالأصل اختلافا بينا . (٤) كذا فى الأغانى . وفى الأصل :

* سواء عليها صالح القوم والرذل *

والرذل على هذه الرواية مرفوع، وروىّ القصيدة بالكسر، ولذلك آثرنا إثبات ما ورد بالأغانى .

(٥) الحدّاث : المتحدّثون وهو جمــع على غير قياس حملا على نظيره نحو سامر وسمّار ؛ وفى حديث فاطمة عليها السلام : أنها جاءت الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده حدّاثا، أى جماعة يتحدّثون .

(٦) كذا بالأصل، ولعله : * يبيتون منها فى مراتع للنحل *

أنشد الفرزدقُ لسليمان(١) بن عبد الملك القصيدة التى يقول فيها :

ثلاثٌ وآثنتانِ فهنّ خمسٌ * وسادسةٌ تميلُ الى شِمَامِ(٢)

فبِتْنَ(٣) بجانبىّ مُصرَّعات * وبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الختامِ

كأنّ مَفالقَ الرُّمّانِ فيها(٤) * وجَمْرَ غضًى قعدنَ عليه حامى

فقال سليمانُ : أحللتَ نفسك يافرزدقُ : أقررْتَ عندى بالزنا وأنا إمامٌ، ولا بدّ لى من إقامة الحدّ عليك؛ فقال : بِمَ أوجبتَ ذلك علىّ ياأمير المؤمنين؟ فقال : بكتاب الله؛ قال : فإن كتاب الله يَدرأُ عنّى(٥)، قال الله جلّ ثناؤه : ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، فأنا قلتُ ما لم أفعل .

قيل لأبى الطَّمَحان القَيْنىّ : خبِّرنا عن أدنى ذُنوبك؛ قال : ليلة الدير؛ قالوا : وما ليلة الدير؟ قال : نزلت على دَيْرانيّة(٦)، فأكلْتُ طَفَيْشَلًا(٧) لها بلحم خنزيرٍ، وشربتُ من خمرها، وزَنَيتُ بها، وسَرَقتُ كساءها ومَضَيت .

وقال عمرُ بنُ أبى ربيعةَ :

يَقصِدُ الناسُ للطوافِ آحتساباً * وذُنوبى مجموعةٌ فى الطوافِ

وقال جريرٌ فى الفرزدق :

لقد وَلَدَتْ أُمُّ الفرزدقِ فاجِرًا * فجاءتْ بوَزْوازٍ(٨) قصيرِ القوائمِ

يُوصِّلُ حَبْلَيْه إذا جَنَّ لَيلُه * لِيَرْقَى إلى جاراته بالسَّلالِمِ

---

(١) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٢٩٧ طبع أوربا) . وفى كتاب النقائض : (ج ٣ ص ١٠٣ طبع ليدن) : «هشام بن عبد الملك» . (٢) الشِّمام : القُبَلُ والرشْف، كما فى النقائض . (٣) رواية الشعر والشعراء : * فبتن جنابتىّ مطرحات * (٤) كذا فى النقائض . وفى الأصل : «فيه» . (٥) يشير بذلك الى قوله تعالى : (الزانية والزانى فآجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقد صرح بالآية فى الشعر والشعراء (ص ٢١٨) . (٦) الديرانية : صاحبة الدير . (٧) الطفيشل : نوع من المرق . (٨) كذا فى كتاب النقائض (ص ٣٩٥ طبع ليدن) والوزواز : الكثير الزوان والتحرك، نسبه الى الطيش والخفة . وفى الأصل : «بوزان» وهو تحريف .

وما كان جارٌ للفــرزدق مُسلِمٌ * لِيأمنَ قِــرْدا[١] لَيلُهُ غــيرُ نائم
أتيتَ[٢] حُدُودَ اللهِ إذ كنتَ يافعًا[٣] * وشِبتَ فما يَنهاكَ شَيْبُ اللَّهازِمِ[٤]
تَتَبَّعُ فى المـاخورِ كلَّ مُرِيبــةٍ * ولستَ بأهلِ المُحْصَناتِ الكرائمِ
هوالرجسُ ياأهلَ المدينة فاحذَروا * مداخلَ رِجسٍ بالخبيثات[٥] عالمِ
لقد كان إخراجُ[٦] الفرزدقِ عنكمُ * طَهُورًا لمـا بين المصلَّى[٧] ووَاقِمِ[٨]
تدلَّيتَ تَزْنِى[٩] مِن ثمانينَ قامةً[١٠] * وقَصَّرْتَ عن باعِ العُلا[١١] والمكارمِ

وقال عمرُو بنُ بحر: قرأ قارئ ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ﴾ إلى قوله تعـالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾، قال إسماعيلُ بنُ غَزْوَانَ : لا واللهِ ما سمِعتُ بأغزَلَ من هـذه الفاسقة . وسمِـع بكثرة مُراودَتِها يوسفَ عنها فقال إسماعيلُ : أما واللهِ بى تَمَرَّستْ[١٢] .

بات أعرابىٌّ ضيفا لبعض الحضَر ، فرأى آمرأةً فهمّ أن يُخالِفَ[١٣] إليها فى أول الليل فمنعــه الكلبُ[١٤]، ثم أراد ذلك نصفَ الليل فمنعَــه ضوءُ القمرِ ، ثم أراد ذلك فى السَّحَر فإذا عجوزٌ قائمةٌ تُصلِّى، فقال :

---

(١) قوله « ليأمن قردا » : يرميه بالزنا والفجور . والعرب تقول : «هو أزنى من قرد» .
(٢) كذا فى كتاب النقائض (ص ٣٩٦ طبع أوربا) وحدود الله : محارمه . وفى الأصل : « أبيت » وهو تحريف . (٣) فى كتاب النقائض والشعر والشعراء : «مذ أنت يافع» . (٤) اللهازم : أصول اللحيين جمع لهزمة . (٥) كذا فى كتاب النقائض والشعر والشعراء . ووردت فى الأصل محرّفة هكذا : « حسم بالحسيات » . (٦) كذا فى كتاب النقائض والشعر والشعراء وقد ورد فيــه سبب هجاء جرير للفرزدق بهــذا البيت فراجعه . وفى الأصــل : « إجحاج » .
(٧) المصلى : موضع فى عقيق المدينــة . (٨) واقم : أطم من آطام المدينة ، كأنه سمى بذلك لحصانته . (٩) ويروى « تجرى » . (١٠) القامة : مقدار كهيئة رجل يبنى على شفير البئر يوضع عليه عود البكرة . (١١) كذا فى كتاب النقائض وكتاب الشعر والشعراء . وفى الأصل : « باب الفتى » . (١٢) تمرّست : تحككت ، يقال : تمرّست بالشجرة إذا تحككت بها .
(١٣) يخالف اليها : يجيئها خفية وفى غفلة من الرقباء . (١٤) فى الاصل : « فنعنا » .

لم يَخْلُقِ اللهُ شيئا كنتُ أكرَهُه * غيرَ العجوزِ وغيرَ الكلبِ والقمرِ
هذا نَبُــوحٌ وهذا يُستضاءُ به * وهــذه شَيخةٌ قوّامَةُ السَّــحَرِ

المنصورُ عن أبيه محمد بن علىّ، قال: حججْتُ فرأيتُ آمرأةً من كَلْبٍ شريفةً قد حجّتْ فرآها عمرُ بنُ أبى ربيعــةَ فجعل يُكلّمُها ويَتبعُها كلّ يوم، فقالت لزوجها ذاتَ يوم: إنى أُحِبُّ أن أتوكأَ عليكَ اذا رُحتُ الى المسجد، فراحَتْ مُتوكئةً على زوجها، فلما أبصرَها عمرُ ولّى، فقالَت: على رِسلِكَ يا فتى!

تَعدُو الذئابُ على مَن لا كلابَ له * وتَتّقِى مَرْبِضَ المستَأسِدِ[1] الحــامِى

الرِّياشىّ قال: كان أبو ذؤيب يهوَى آمرأةً من قومه، وكان رَسولُه اليها رجلا يقال له: خالد بن زهير، فخانه فيها، فقال أبو ذؤيب:

تُريدينَ كيما تَجمعِيــنِى وخالدا * وهل يُجمَعُ السَّيفَان ويحكِ فى غِمــدِ
أخالدُ ما راعيتَ مِنّى قــرابةً * فتَحفَظَنِى بالغيبِ أو بعضَ ماتُبدِى

وكان أبو ذؤيب خان فيها آبنَ عمٍّ له يُقال له: مالك بن عُوَيمر، فأجابه خالدٌ:

ولا تَعجبَنْ[2] من سَيْرةٍ أنتَ سِرتَها * وأوّلُ راضٍ سُــنّةً مَنْ يَسيرُها
ألم تَتَنَقَّذْها[3] من آبن عُوَيمِرٍ * وانت صَفِىٌّ نفسِــه ووزيرُها[4]

---

(١) كذا فى الأصــل. وفى كتاب «العقد الثميـــن» لمصححه وليم بن الورد البروسى طبــع مدينة غريفزولد: "وتتق مربض المستنفر الحامى" وصوابه كما فى اللسان: «المستثفر الحامى» وأصله من استثفر الكلب اذا أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه. وورد فى كتاب شرح الأشعار الستة للأعلم الشنتمرى المخطوط المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١ أدب ش ضمن قصيدة ميمية منسوبة للنابغة ومطلعهــا: قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * يا بؤس للجهل ضرّارا لأقوام
وخالوا بنى أسد: قاطعوهم.

(٢) كذا فى الأصل. وفى كتاب الشعر والشعراء ص ٤١٣ طبع أوربا والأغانى ج ٦ ص ٦٢ — ٦٣ طبع بولاق. * فلا تجزعن من سنة أنت سرتها *

(٣) كذا فى كتاب الشعر والشعراء وتنقذ الشىء: أخذه واستخلصه. وفى الأصل: «تتقدمها».

(٤) فى الأغانى: «... سجيرها» والسجير: الخليل.

سألت آمرأةٌ زوجها الْحَجّ فأذِن لها وبعث معها أخاه، فلما آنصرفا عنه سأله عنها، فقال :

وما علمتُ لها عيبًا أُخَـبِّره[١] * إلا آتّهامِيَ فيها صاحبَ الإبل
كنّا نهارا اذا ما السّيرُ جَدّ بنا * يُغَيِّران[٢] وما بالرحْل من مُثُـل
ويَخْلُفُون كثيرا فى منازلنا * فلا نَزالُ نَرى آثارَ مُغتَسَـل
فالله أعلمُ ما كانَتْ سَرائرُهم * واللهُ أعلمُ بالنيّاتِ والعـمَل

قال رجلٌ للفرزدق : متى عهدُك يا أبا فِراسٍ بالزِّنا؟ فقال : مذ ماتتِ العجوز.

رُمِي ببغداد فى سُوق يحيي[٣] قِمَطْرَةٌ[٤] فيها صبيٌّ وتحته مُضَرَّبات[٥] حرير، وعند رأسه كِيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها : هـذا الشقىُّ آبن الشقيّة، آبن السِّكْباج[٦] والقَلِيّة[٧]، آبن القَدَح والرَّطْلِيّة؛ رحم الله مَن آشترى له بهـذا الذهب جاريةً تربيه؛ وفى آخر الرُّقعة : هذا جزاءُ من عضل[٨] آبنته[٩].

ذكر أعرابىّ رجلًا ماجنًا فقال : لو أبصرتْ فلانًا العِيدانُ لتحرّكتْ أوتارُها، ولو رأته مُومِسةٌ لسقط خِمَارُها .

(١) فى الأصل : «ما علمت لها عيبا فيها أخبره» وهو غير متزن . (٢) يغيران : يصلحان من شأن رحلهما؛ ومثل : جمع مثال وهو الفراش، ويحتمل أن يكون « من مَيَـل » .
(٣) جاء فى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليـه للحبي : «سوق يحيي ببغداد بين الرصافة ودار المملكة، منسوب الى يحيي بن خالد البرمكى، و إياها عنى آبن حجاج فى قوله :

الى وطنى القديم بسوق يحيي * فقلبي عن هواه غير سالى »

(٤) القمطرة : شبه سفط يسف (ينسج) من قصب . (٥) مضرّبات : مخيطات، يقال : بساط مضرب أى مخيط . (٦) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل وهو معرّب سكبا بالفارسية، أو هو معرّب عن سركه باجه وقد وصفت طريقة صنعه بتفصيل فى كتاب الأطعمة المحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥١ علوم معاشية ص ٨) . (٧) القلية : مرق يتخذ من لحوم الجزر وأكبادها .
(٨) عضل المرأة عن الزواج : حبسها عنه . (٩) فى الأصل : « ابنه » .

قال بعضُ الأعراب :

ماذا يُظَنّ[1] بليـــلى إذ ألمّ بهـا * مُرَجّلُ[2] الرأسِ ذُو بُرْدَينِ مَزَّاحُ
حُلْوٌ فكَاهتُه خَـزٌّ عِمامتُه * فى كفِّه من رُقَى إبليسَ مِفتاحُ

ذكر أعرابىٌّ رجلا ماجنًا فقال : هو أكثر ذنوبًا من الدّهر ، تفِد إليه مواكبُ الضّلالة ، ويرجِع من عنده مُدَوّن الأيّام .

وذكر آخرُ قومًا فقـال : هم أقلُّ الناسِ الى أعدائهـم ، وأكثرهُم تجَرُّمًا[3] على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويُفْطِرون على الفحشاء .

قال الأصمعىّ : قلت لأمةٍ ظريفة : هل فى يديك عملٌ ؟ قالت : لا ! ولكن فى رِجلىّ[4] .

قالت جَوارٍ من القِيان لأبى نُوَاس : ليتنا يا أبا نُوَاس بناتُك ! فقال أبو نواس :
... ...[5] .

---

(١) روايةالعقد الفريد (ج٢ص ١٢٠ طبع بولاق) : «ماذا تظنّ بسلمى... الخ» . (٢) رجل شعره : سرّحه . (٣) تجرّم على فلان : ادّعى عليه الجرم وان لم يجرم . (٤) تريد أنها رقاصـة ، وقد ورد هـذا الخبر مع اختـلاف يسير فى الرواية فى كتاب الظراف والمتماجنين المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٤٤) أدب ورقة (٦٩) . (٥) هنا بياض فى الأصل بمقدار أربع كلمات ، وقد بحثنا فى كتب الأدب عن كل مايتعلق بأبى نواس سواء منها ما ألف فيه خاصـة أوما ذكرفيه عرضا ، فلم نوفق الى هـذا الخبر خاصا به . غير أنا نعلم مثل هـذا السؤال الى بشار ابن برد من جوارى المهدىّ ، وذلك بأنهن قلن للمهدىّ : لو أذنت لبشار يدخل الينا يؤانسنا وينشدنا فهو محجوب البصر ، لا غيرة عليـك منه ! فأمره فدخل اليهن وآستظرفنه ، وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك ، قال : ونحن على دين كسرى . وما ترك بياضا فى الأصـل لا يحتاج إلا الى هذا الجواب (انظر الجزء الثانى من زهر الآداب للحصرى ص ١٢٢ طبع المطبعة الرحمانية بمصر) .

قال أبو المهند :

وأفجـــرُ من راهبٍ يَدَّعى * بأنّ النساءَ عليـــه حَرَامْ
يُحـــرِّم بيضاءَ ممكورةً(١) * ويُغْنِيه فى البَضع عنها الغلامْ
إذا ما مَشَى غَضَّ من طَرْفِهِ * وفى اللَّيـــل بالدَّيْرِ منه عُرَامْ(٢)
وديرُ العَـــذَارَى(٣) فَضُوحٌ له * وعند اللُّصوص حديثُ الأنامْ

هؤلاء لصوص نزلوا ديرَ العَـذارى ليـلًا ، فأخذوا القَسّ فشـدّوه وَثَاقًا ، ثم أخذ كُلُّ رجل منهم جاريةً ، فوجدوهنّ مُفْتضّاتٍ قد افتضهنّ القَسُّ كلُّهنّ .

قال سَهْل بن هارون :

إذا نزل المخنَّثُ فى رِباعٍ * تحرّك كل ذى خَنِثٍ(٤) إليـــهِ
وصارتْ دونهم(٥) مأوَى الخَبَايَا * وصارَ الرَّبْع مدلولًا عليـــهِ

وقال آخر :

أقـــول لهـــا لمـــا أتتنى تدُلُّنى * على امرأةٍ موصـــوفةٍ بجمـــال
أصبت لها والله زوجًا كما اشتهت(٦) * إن اغتفرَتْ فيـــه ثلاثَ خِصال
فمنهنّ فســـقٌ(٧) لا يُنـادى وليدُه * ورِقّةُ إســـلامٍ وقِـــلّةُ مال

---

(١) الممكورة : المطوية الخلق من النساء المستديرة الساقين ، وقيل : المدمجة الخلق الشديدة البضعة .
(٢) العرام : الشراسة . (٣) جاء فى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبى : «دير العذارى بين أرض الموصل وبين باجرما من أعمال الرقة ، وهو دير قديم كان به نساء عذارى مترهبات وبذلك سمى . ومثله دير العذارى بقرب سرّ من رأى ، وبظاهر حلب وفيـه أكثر بساتينها » .
(٤) فى الأصل : «ذى خبث» وهو غير واضح . (٥) كذا بالأصل ، ولعلها : « دورهم » .
(٦) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٩ طبع بولاق) ، وفى الأصل :

* أصبت لهـا بعلا كما هى أشبهت *

والتحريف فيه ظاهر . (٧) فى العقد الفريد : « فمنهنّ عجز ... ... الخ » .

قال الأصمعىّ : دخلتُ على ابن رَوْح بن حاتم المهلّبىّ[1] وحضر الإذن وهو عاكف على غُلام، فقلت : له عَمَدتَ إلى الموضع الذى كان أبوك يَضرِب فيه الأعناقَ ويُعطى فيه اللُّهى[2]، تركب[3] فيه ما تركب! فقال :

وَرِثنا المجدَ عن آباءِ صدْقٍ * أسأنا فى ديارِهمُ الصَّنيعَا

إذا الحَسَبُ الرفيعُ تَوَاكَلَته * بناتُ السَّوْءِ يوشِك أن يَضيعَا

باب مَسَاوِئ النساء

عن وَهْب بن مُنَبِّه قال : عاقَب الله المرأةَ بعشرِ خصال : شِدّةِ النِّفاس، وبالحيض، وبالنجاسة فى بطنها وفَرْجها، وجَعْل ميراثِ امرأتين ميراثَ رجل واحد، وشهادةِ امرأتين كشهادة رجل، وجَعْلِها ناقصةَ العقل والدِّين لا تُصَلِّى أيّامَ حيضها، ولا يُسَلَّم على النساء، وليس عليهنّ جُمعةٌ ولا جماعةٌ، ولا يكون منهنّ نبىّ، ولا تُسافِر إلا بولِىّ.

وكان يقال : ما نُهِيَت امرأةٌ قطُّ عن شىء إلا أتته. وقال طُفَيْل فى هذا المعنى :

إن النساءَ كأشجارٍ نَبَتْنَ معًا * منها المُرارُ[4] وبعضُ المُرِّ مأكولُ

إنّ النساءَ مَتى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ * فإنّه واقعٌ لا بدّ مفعولُ

عن رَجَاء بن حَيْوَةَ قال: قال معاذ : إنكم ابتُلِيتم[5] بفتنة الضّراء فصبرتم، وإنى أخاف عليكم فتنةَ السّرّاء، وإن من أشدِّ من ذلكم عندى النساءَ، إذا تَحَلَّين

(١) ورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٦٦ طبع بولاق) بصيغة تختلف عما هنا . والبيتان من قول معن بن أوس المزنى . (٢) اللهى : العطايا أو أفضل العطايا وأجزلها . (٣) فى الأصل : « تركت فيه ما تركت » . (٤) المرار : شجر مرّ . (٥) رواية هذا الحديث فى كتاب نزهة الأبصار والأسماع (ص ١٠٣ طبع مصر) قال صلى الله عليه وسلم : "أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء. قالوا كيف يا رسول الله قال اذا لبسن ريط الشأم وحلل العراق وعصب اليمن وملن كما تميل أسنمة البخت فاذا فعلن ذلك كلفن المعسر ماليس عنده استعيذوا بالله من شرّ النساء وكونوا من خيارهن على حذر" .

الذّهبَ ولَبِسنَ رَيْطَ[1] الشـأم وعَصْبَ[2] اليَمَن ، فأتعبن الغنىَّ ، وكَلَّفن الفقـيرَ ما لا يَجِد .

قال بعض الشعراء :

تَمتَّعْ بهـا ما ساعَفَتْك ولا تكنْ * عليـك[3] شجًا يُؤذيك حينَ تَبين
وإنْ هِىَ أعطتكَ اللِّيانَ فإنّها * لغـيرك من خُلَّانها سَتَلينُ
وإن حلفتْ لا يَنقُضُ النأىُ عهدَها * فليس لمخضوبِ البَنَان يمينُ

أبو علىّ الأُموىّ قال : كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل ، عند عبدالله[4] ابن أبى بكر الصـدِّيق رضى الله عنه ، وكانت قد غلبته فى كثيرٍ من أمره ؛ فقال له أبوه : طَلِّقْها ، فطلَّقها وأنشأ يقول :

لهـا خُلُقٌ سهلٌ وحُسنٌ ومَنصِبٌ * وخَلْقٌ سَـوىٌّ ما يُعـاب ومَنطِقُ[5]

فرُمِىَ يومَ الطائف بسهم ؛ فلما مات قالت تَرْثيه :

وآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينـةً * عليـكَ ولا ينفكُّ جِلدِىَ أغبرَا
فللّهِ عينٌ ما رأتْ مثـلَه فتًى * أعزَّ وأحمَى فى الهِياج وأصبرَا
اذا شرَعتْ فيه الأسِنَّةُ خاضَها * الى الموت حتى يتركَ الرُّمحَ أحمرا

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفقَين وقيل : الريطة كل ملاءة غير ذات لِفقَين كلّها نسج واحد ، وقيل : هو كل ثوب لين رقيق (أنظر اللسان مادة ريط) . (٢) العصب : برد يصبغ غزله ثم ينسج ؛ لا يثنى ولا يجمع وانما يثنى و يجمع ما يضاف اليه ، فيقال : بردا عصب و برود عصب .
(٣) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩٥ طبع بولاق) : * جزوعا اذا بانت فسوف تبين *
(٤) كذا فى الأصل وكتاب المعارف للؤلف (ص ١٢٧) والطبرى . وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠ طبع أوربا) ونزهة الأبصار (ص ١٧ طبع مصر) : «عبد الرحمن بن أبى بكر» . (٥) كذا ورد هذا البيت فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤١) . وفى الأصل :

لهـا خلق جزل وداء ومنصب * وخلق سوىّ فى الحياة ومصدق

ثم خَطَبها عمر بن الخطّاب ، فلمّا أولَمَ [1] قال عبدُ الرحمن بن أبى بكر : يا أميرَ المؤمنين، أتأذَنُ لى أن أُدخل رأسى على عاتكة ؟ قال : نعم ، يا عاتكةُ آستترى ؛ فأدخل رأسَه فقال :

وآليتُ لا تنفكّ عيني قَــرِيرةً * عليكَ ولا ينفكّ جلدِىَ أصفرا

فَنَشَــجَتْ [2] نَشْــجًا عاليًا ، فقال عمر : ما أردتَ الى هــذا ! كُلّ النساء يفعلن هذا ! غفر الله لك . ثم تزوّجها الزُّبَير بعــد عمر وقد خلا من سنّها [3] ، فكانت تخرُج بالّليل الى المسجد ولهــا عُجَيزةٌ ضَخْمة ، فقال لهــا الزُّبير : لا تخرُجى ؛ فقالت : لا أزالُ أخرجُ أو تمنَعَنى ، وكان يكره أن يمنعَها ، لقول النبىّ صلّى الله عليه وسلم : "لا تَمنَعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ" ، فقعد لهــا الزُّبير متنكرًا فى ظُلمة اللّيل ، فلما مرّتْ به قَرَص عُجيزتَها ، فكانت لا تخرج بعــد ذلك ؛ فقال لهــا : مالكِ لا تخرُجين ؟ فقالت : كنتُ أخرج والناسُ ناسٌ ، وقد فسَد الناس فبيتى أوسعُ لى .

قال المدائنىّ : احتُضِر رجلٌ من العرب وله آبن يَدِبّ بين يديه ، وأم الصّبىّ جالسةٌ عند رأسه ، وآسمُ الصبىّ مَعْمَر فقال :

---

(١) فى نزهة الأبصار : « فلمــا أولم قال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ، ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنئها وأدعو لهــا بالبركة ، فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها ، فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالمسك ، فقال : يا عاتكة ، ألست القائلة ؟ وذكر البيت » . (٢) رواية نزهة الأبصار : « فخجلت » . ونشج البــاكى ينشج نشجا ونشيجا اذا غصّ بالبكاء فى حلقه من غير انتحــاب .

(٣) أى بعد ما كَبِرَتْ ومضى مُعظمُ عمرها .

وإنى لأخشى أن أموتَ فتنكحى * ويُقذَفَ فى أيدى المَرَاضِـعِ معمرُ
وتُرْخى سُـــتورٌ دونه وقلائدٌ[١] * ويَشغَلَكم عنــه خَلوقٌ[٢] ومجمَــرُ

فما لبِث أن مات، ثم تزوّجت، ثم صار معمرٌ الى ما ذكَر .

عن الحسن : أنّ شابّين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فأغزى[٣] أحدَهما، فأوصى أخاه بأهله ؛ فانطلق فى ليلةٍ ذات ريح وظُلْمة الى أهل أخيه يَتَعهّدُهم، فإذا سِراجٌ فى البيت يَزْهر[٤]، واذا يهوديٌّ فى البيت مع أهـله وهو يقول :

وأشعثَ غرّه[٥] الإسلامُ منّى * خَلوتُ بعِرْسه[٦] ليـلَ التّمـامِ
أَبيتُ على تَرائبها[٧] ويُضْحِى[٨] * على جرداءَ لاحِقـةِ الحِزامِ
كأنّ مَجَامعَ الرَّبَلاتِ[٩] منهـا * فِئامٌ ينهضــون الى فِئـامِ

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها «نضائد» . والعرب تقرن الستور بالنضائد ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : «لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير» . والنضائد : الحشايا والوسائد ، والعرب تطلق على جميع ذلك النضد ، قال الشاعر : * ورفعته الى السجفين فالنضد *

ورواية كتاب الموشى لأبى الطيب محمد بن اسحاق الوشاء طبع ليدن ص ٢٨٢ :

فحالت ستور بعده ووليدة * وأشغلهم عنه بخور ومجمر

(٢) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . (٣) يقال : أغزى الرجلَ وغزّاه : حمله على الغزو وبعثه اليه . (٤) يزهر : يتلألأ . (٥) كذا فى المحاسن والأضداد (ص ٢٨٩ طبع أوربا) وفى الأصل : «غيرة الاسلام» وهو تحريف . (٦) العرس : الزوجة . وليل التمـام : أطول ليـالى الشتاء . وفى كتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية (ص ٨٤ طبع مصر) : «بدر التمام» . (٧) الترائب : عظام الصدر، واحدها : تريبة وتريب . (٨) كذا فى المحاسن والأضداد . وفى الأصل : «تمشى» ولعله محرّف عن «يمسى» . (٩) كذا فى اللسان (مادتى ربل وفأم) والربلة (بفتح الباء وسكونها قال الأصمعىّ : التحريك أفصــح) : أصل الفخذ . والفئام : الجماعة من الناس ، ورواية المحاسن والأضداد : * فئام قد جمعن الى فئام * وفى الأصل :

كأن مواقع الربلات منها * قيـام ينهضون الى قيـام

فرجع الشابُّ الى أَهـله ، فاشتمل[(١)] السيفَ حتى دخلَ على أهـل أخيه فقتـله ، ثم جرّه وألقاه فى الطريق ؛ فأصبح اليهودُ وصاحبُهم قتيلٌ لا يدرُون مَنْ قتله ، فأتَوْا عمرَ بن الخطّاب فدخلوا عليـه وذكروا ذلك له ، فنادى عمرُ فى النّاس : الصـلاةَ جامعةً، فآجتمع الناسُ فصَعِد المِنبرَ فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أنشُد اللهَ رجلًا عَلِم مِنْ هـذا القتيلِ علمًا إلا أخبرنى به ؛ فقام الشابُّ فأنشده الشعرَ وأخبره خبرَه ؛ فقال عمر : لا يَقْطَع اللهُ يدَك ، وهدَر دمَه .

كان ابن عبّاس يقول : مَثَـلُ المرأة السُّوء : كان قبلكم رجلٌ صالحٌ له آمرأةُ سَوْءٍ ، فعرَض له رجلٌ فقال : إنى رسولُ الله اليكَ بأنّه قد جعَل لك ثلاثَ دَعوات ، فسَـلْ ما شئتَ من دُنيـا أو آخرة ثم نهض ، فرجع الرجُل الى منزله ؛ فقالت له امرأته : مالى أراك مفكّرًا محزونا؟ فأخبرها ؛ فقالت : ألستُ آمرأتَك وفى صُحبتك وبناتُك منّى ! فاجعلْ لى دعوةً ، فأبى . فأقبل عليه ولدُه وقلن : أُمّنا ، فلم يَزَلْن به حتّى قال : لَكِ دعوةٌ ؛ فقالت : اللّهم اجعلنى أحسنَ النـاسِ وجهًا فصارتْ كذلك ، وجعلت تُوطِئ فِراشَها وهو يَعِظها فلا تتّعِظ ، فغضب يومًا فقال : اللّهـمّ آجعلها خنزيرةً ، فتحولّت كذلك ؛ فلمـا رأين[(٢)] بناتُه ما نزل بأُمّهن بَكَيْن وضَرَبْن وُجوهَهن ونَتَفن شعورَهن ، فرقّ لهن قلبُه فقال : اللّهمّ أعِدْها كما كانت أوّلا ؛ فذهبت دَعَواتُه الثلاثُ فيها .

قال عبـدُ الله بن عِكْرِمة[(٣)] : دخلتُ على عبد الرحمن بنِ الحارثِ بن هشام المخزومىّ أعودُه ، فقلتُ : كيف تجدُك ؟ فقال : أجدُنى واللهِ بالموت ، وما موتى

(١) كذا بالأصل وحقّ اشتمل هنا أن يعدّى بالباء .

(٢) كذا بالأصل وهى لغة ضعيفة . (٣) ساق صاحب الأغانى فى ترجمة أرطاة بن سهية (ج ١١ ص ١٤٤ طبع بولاق) هذه الحكاية ونسبها الى عبـد الرحمن بن سهيل بن عمرو مع أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب . ورواها كذلك ابن قيم الجوزية فى كتاب أخبار النساء (ص ٨٣ طبع مصر) .

بأشدَّ علىّ من تمتّع [أمّ] هشامٍ ، أخاف أن تتزوّج — يعنى آمرأته — فحلفتْ له وآلَتْ ألّا تتزوّج بعــده، فغَشِى وجهَه نورٌ، ثم قال : شأن الموت أن يَنزِلَ متى شاء، ثم مات . فتزوجتْ بعُمر بنِ عبد العزيز، فقلت :[(١)]

فإنْ لَقِيتْ خــيرًا فلا يَهنِئنّها * وإن تَعِسَتْ فلِلْيَدَينِ ولِلفَمِ[(٢)]

فبلغها، فكتبتْ إلىّ: قد بلغنى بيتُــك الذى تمثّلتَ به ، وما مَثَــلِى ومثلُ أخيك إلّا كما قال الشاعر :

وهــــل كنتُ إلا والهًا ذاتَ تَرْحةٍ * قضتْ نحبَها بعــد الحَنــينِ المُرَجَّعِ
مَتَى تسـلُ عنــه تَذَّكرْ بعــد طِيَّــةٍ * من الأرض أو تَقْنَعْ بإلْفٍ فــتَرْبَعَ
فَدَعْ عنكَ مَنْ قد وارتِ الأرضُ شخصَه * وفى غيرِ مَنْ قد وارتِ الأرضُ فاطمعِ

فبلغ ذلك منّى كلّ غيــظٍ[(٣)]، واحتسبتُ حِسابَهــا ، واذا هى قــد أعجلتْ عِدَّتَها ، وقد بَقِى عليها أربعة أيّام، فدخلتُ على عمر فأخبرتُه بذلك ، فنقضَ النِّكاح وعُزِل عن المدينة[(٤)] .

كان صخر بن الشَّرِيد أخو الخَنساءِ خَرَج فى غَزْوةٍ فقاتل فيها قتالًا شديدا ، فأصابه جُرْحٌ رَغيبٌ[(٥)]، فمرِض فطال به مرضُه وعاده قومُه ، فقال عائدٌ من عُوّاده يومًا لآمرأته سَلْمَى[(٦)] : كيف أصبح صخرٌ اليومَ ؟ قالت : لا حَيًّا فيُرْجَى ولا ميّتًا

(١) كذا بالأصل ولعله « شأن الموت فلينزل متى شاء » . وعبارة كتاب النساء : « وقال : الآن فلينزل الموت متى شاء » . (٢) هذا مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان ، وفى الأثر : أن عمر رضى الله عنه أتى بسكران فى شهر رمضان فتعثر بذيله ، فقال عمر رضى الله عنه : « لليدين وللفم ، أولادنا صــيام وأنت مفطر! » ثم أمر به فحُدّ . أراد : على اليدين وعلى الفم ، أى أســقطه الله عليهما .
(٣) فى الأصل : «غيض» بالضاد المعجمة . (٤) وردت هذه القصة فى الأغانى (ج ١١ ص ١٤٤ طبع بولاق) . وهى مختلفة عما بالاصــل هنا اختلافا بينا . (٥) الرغيب : الواســع .
(٦) هى سلمى بنت كعب كان خطبها صخر فأبت حتى أغارت بنو أسد على قومها بنى سـليم فأسرت فيمن أسر فخلصها صخر وتزوج بها . (راجع هذا الخبر فى كتاب أخبار النساء ص ٨٦ طبع مصر) .

فيُنْسَى، فسمع صخرٌ كلامَها فشقّ عليه، وقال لها : أنتِ القائلةُ كذا وكذا؟ قالت : نعم غيرَ معتَذِرةٍ اليك . ثم قال عائدٌ آخر . لأُمّه : كيف أصبح صخرٌ اليومَ؟ فقالت : أصبح بحمد ٱللهِ صالحاً ولا يزالُ بحمدِ الله بخيرٍ ما رأينا سوادَه بينَنا . فقال صخر :

أرى أُمَّ صخـــرٍ ما تَمَـلُّ عِيـادَتِي * ومَلّتْ سُلَيْمَى مَضْـجَعِي ومَكانِي
وما كنتُ أَخشَى أن أكونَ جنازةً * عليـك ومَنْ يَغْـتَرّ بالحَدَثانِ
فأىُّ ٱمرِئٍ ساوَى بأمٍّ حليــلةً * فــلا عاش إلّا فى أذًى وهَوَانِ
أهُمُّ بأمرِ الحـزمِ لو أسـتطيعُه * وقد حِيـلَ بين العَـيْرِ والنَّزَوانِ
لَعَمْرِى لقد أنبهتُ مَن كان نائمًا * وأَسمعتُ مَنْ كانت له أُذُنانِ

فلمـا افاق عَمَد الى سَلْمَى فعلّقها بعَمُودِ الفُسْطاطِ حتى فاضت نفسُها، ثم نُكِس من طَعْنتِه فمات .

وقرأتُ فى سِيَرِ العجم أنّ أَرْدَشِيرَ سارَ الى الحَضْرِ(١)، وكان مَلِكُ السَّوادِ متحصّنا فيها، وكان من أعظم ملوك الطوائِف(٢)، فحاصره فيها زماناً لا يجدُ اليه سبيلًا، حتى رَقِيتِ ٱبنةُ ملكِ السَّوادِ يوماً، فرأتْ أردشيرَ فعشِقَتْه فنزلتْ وأخذت نُشّابةً وكتبتْ عليها : إنْ أنت شَرطتَ لى أن تتزوّجنِي دَلَلْتُك على موضع تَفْتتِح منه هـذه المدينة بأيسرِ حيلةٍ وأخف مؤونةٍ، ثم رمتْ بالنُّشّابةِ نحوَ أَرْدَشِير، فكتب الجوابَ فى نُشّابةٍ :

(١) الحضر : قصر بحيال تكريت بين دجلة والفرات . (٢) ملوك الطوائف هم الملوك الذين استبدّ كل ملك منهم بناحيته بعد تغلب الاسكندر على دارا بن دارا ومنهم فرس ونبيط وعرب، وكان غرض الإسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذى هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم، وقد استمر ملكهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة من ملك الإسكندر الى ظهور أردشـير بن بابك بن ساسان الذى ظفر بهم واستولى على ملكهم . وساق صاحب الأغانى (ج ٢ ص ١٤٠ طبع دار الكتب المصرية) والطبرى قسم أول (ص ٨٢٩ طبع أوربا) وكتاب أخبار النساء (ص ٨٧) هذا الخبر ونسبه الى النضيرة بنت الضيزن مع سابور بن أردشير . فأنظرها وانظر معجم ياقوت فى اسم الحضر .

لَكِ الوفاءُ بمـا سألتِ، ثم ألقاها اليها، فكتبتْ اليه تَدُلُّه على الموضع، فأرسَلَ اليـه أردشِير فافتتحه ودخلَ هو وجنودُه ، وأهلُ المدينـةِ غارُّون (١)، فقتلوا مَلِكَها وأكثرَ مُقَاتِلَتِها وتزوَّجها، فبينما هى ذاتَ ليلةٍ على فِراشه أنكرتْ مكانَها حتى سَهِرتْ لذلك عامّةَ ليلتِها، فنظروا فى الفِراش فوجدوا تحت المِحبَس (٢) وَرَقةً من ورقِ الآسِ قد أثّرتْ فى جلدِها، فسألها أردشِيرُ عند ذلك عما كان أبوها يغذُوها به، فقالت : كان أكثر غِذائِى الشّهد والزُّبْد والمُخّ، فقال أردشِيرُ: ما أحدٌ ببالِغٍ لك فى الحِبَاءِ والإكرامِ مبلغَ أبيكِ، ولئن كان جزاؤه عندكِ على جُهْدِ إحسانه مع لُطْف قَرابته وعِظَمِ حقّه جُهْدَ إساءتِكِ، ما أنا بآمن لمثله منكِ، ثم أمر بأن تُعقَدَ قرونُها بذَنَبِ فَرَسٍ شديدِ المِرَاحِ جَمُوحٍ ثم يُجْرَى، فَفُعِلَ ذلك حتى تساقطتْ عُضْوًا عضوا .

العُتْبِى : سمعتُ أبى يُحَدِّث عن ناسٍ من أهل الشأم : أن أخَوَين كان لأحدهما زوجةٌ، وكان يَغيب ويَخْلُفه [الاخرُ] فى أهلِه، فهَوِيتْه آمرأةُ الغائبِ، فأرادته على نفسِها فامتنع، فلما قَدِم أخوه سألها عن حالها، فقالت : ما حالُ آمرأةٍ تُراوَدُ فى كلّ حينٍ! فقال: أخى وآبنُ أُمّى ! وإنى لا أفضَحُه! ولكن لله علىَّ ألّا أُكلِّمه أبدًا، ثم حجّ وحجّ أخوه والمرأةُ، فلما كانوا بوادى الدَّوْم (٣) هَلَك الأخُ ودفَنُوه وقَضَوْا حجَّهم ورجعوا، فمرُّوا بذلك الوادِى ليلًا، فسمِعوا هاتِفًا يقول :

أجِدَّكَ (٤) تمضِى الدَّوْمَ ليـلًا ولا تَرَى * عليكَ لأهـــلِ الدَّوْمِ أن تتَكَلَّمَـا (٥)
وبالدَّومِ ثاوٍ لو ثَوَيتَ مــكانَه * ومَرّ بوادِى الدَّومِ حيًّا لَسلَّمَـا

(١) غارّون : غافلون . (٢) المحبس (بكسر الميم وفتح الباء) : المقرمة وهى ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه . (٣) وادى الدوم : مكان بالحجاز يفصل بين خيبر والعوارض .
(٤) قال فى اللسان مادّة جَدَدَ : أجِدّكَ مصدر منصوب بطرح الباء كأنه قال : أبجِدٍّ هذا منكَ ولا يستعمل إلا مضافا . (٥) فى الاصل : « لا تتكلما » .

فظنّت المرأة أنّ النداءَ من السماء ، فقالت لزوجها : هـذا مقام العائذ ، كان من أخيك ومنّى كيت وكيت ، فقال : واللهِ لو حلّ قتلُك لوجدتيني سريعًا ، ففارقها وضرب خَيْمةً على قبر أخيه ، وقال :

هجـرتُك فى طُول الحياةِ وأبتغي * كلامَك لما صِرتَ رَمْسًا(١) وأعظُمَا
ذكرتُ ذنوبًا فيك كنتَ اجترمتَها * أنا منك فيها كنتُ أسوا(٢) وأظلما

ولم يَزَل مقيمًا حتى مات ودُفِن بجَنْب أخيه ، فالقبران معروفان .

وقال الأخطل :

المُهدِياتُ لِمن هَوِينَ مَسبّةً * والمُحسناتُ لِمن قَلَيْنَ مقالا
يَرعَيْن عهدَك ما رأينك شاهدًا * وإذا مَذِلت يَكُنَّ عنك مِذالا(٣)
وإذا وَعدنك نائلًا أخلفنه * ووجدتَ دون عِداتهنّ مِطالا
وإذا دعونَك عمَّهن فإنه * نَسَبٌ يَزِيدُك عندهن خَبالا

عن يحيى بن طُفَيل الجُشَمي قال : كان عند رجلٍ من قريشٍ امرأةٌ يحبُّها ، فسافر عنها ، فقالت له : أُشَيِّعك ، فشيّعته ثلاثَ مَراحل ، فلما مضى قالت لخادمها : ناوِلْني بَعْرَةً ورَوْثةً وحصَاةً ، فناولها ، فألقتِ الروثةَ وقالت : راثَ(٤) خبرُك ، وألقتِ البعرة وقالت : وعَر سَفَرُك ، وألقتِ الحصاةَ وقالت : حُصَّ(٥) أثرُك ، فسمعها رجل على الماءِ فلَحِقه ، فقال له : ما هذه منك ؟ قال : امرأتي وأعزُّ الناس إلىّ ، فأخبرَه بالخبر ، فقام على الماءِ ، فلما أمسى أقبل نحو منزله فوجد معها رجلا ، فقتلهما جميعًا .

(١) الرمس : تراب القبر ، ويحتمل أن تكون «رما» . (٢) أصله «أسوأ» بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٣) المذَل والمِذال : الضجر والقلق . (٤) راث : أبطأ .
(٥) حُصّ : قُطع .

باب الوِلادةِ والولد

خاصمَتْ أمُّ عَوْفٍ — اِمرأةُ أبى الأسـود الدؤلىّ — أبا الأسـودِ إلى زيادٍ فى ولدها منه: قال أبو الأسود : أنا أحَقُّ بالولد منها، حملْتُه قبل أن تحمِله، ووضعتُه قبل أن تَضَعَه. فقالت أمُّ عوفٍ : و نمعتَه شهوةً ووضعتُه كُرْهًا، وحملتَه خِفًّا وحملتُه ثِقْلًا؛ فقال زياد : صدقتِ، أنتِ أحقُّ به، فدفَعه إليها .

أنشدنا الرِّيَاشِىّ :

غلبَتْ أُمُّـه أباه عليـــه * فهو كالكَابُلِىّ أشْـبَهَ خالَهْ[1]

وقال آخر :

واللهِ ما أشبَهنِى عِصامُ * لا خُلُقٌ منه ولا قَوَامُ
* نِمتُ وعِرْقُ الخالِ لا يَنامُ *

وقال بعض بنى أسَدٍ — والقِيافةُ[2] فيهم — : لا يُخطئ الرجلَ من أبيــه خَلّةٌ من ثلاثٍ : رأسِه، أو صوتِه، أو مِشْيَتِه .

قيل لرجلٍ : ما أشبَه وَلَدَك بك !. قال : من تُرِك وأهلَه أشبهَه ولَدُه .

قال رجل للجَمّان : ولدت آمرأتى لستة أشهر؛ فقال الجُمّان : كان أبوها ضاربًا.

عَيَّرَتْ نَوارُ[3] — آمرأةُ الفرزدقِ — الفرزدقَ بأنه لا ولدَ له؛ فقال الفرزدق :

---

(١) فى معجم البلدان ، فى الكلام على « كابل » ؛ نسب هذا الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات . والكابلىّ نسبة الى « كابل » ، وهو اسم لبقعة من الأرض بين الهند ونواحى سجستان يشتمل الناحية ومدينتها العظمى ، وكابل الآن : عاصمة أفغانستان .

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفة شبه الرجل بأخيه وأبيه . (٣) فى ديوان الفرزدق (ص ١٨٢ طبع أوربا) أن هذا الحديث جرى مع زوجته طيبة بنت العجاج المجاشعى .

وقالت أراه واحـــدًا لا أخَا له * يُوَرِّثه فى الوارثين الأباعدُ[١]
لعلَّكِ يومًا أن تَرَيْنِي كأنما * بَـنِيَّ حَوالىَّ الأُسـودُ الحَوارِدُ[٢]
فإنّ تميمًا[٣] قبـل أن يَلِدَ الحَصَى[٤] * أقام زمانًا وهو فى النـاس واحدُ

فَوَلد بعد ذلك وُلْدَه : سَبَطَة ولَبَطَة وحَبَطة وغيرهم .

بلغنى عن الزِّيادىّ قال : كنتُ مِئْناثا[٥]، فقيل لى : استغفِرْ اذا جامعتَ، فوُلِد لى بِضعةَ عَشَر ذكرا .

عن ٱبن عبّاس قال : مرّ عيسى عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدُها فى بطنها؛ فقالت : يا كلمــةَ الله ، أُدْعُ الله أن يُخلِّصنى ؛ فقال : ياخالقَ النَّفْسِ من النفس ويامُخرِجَ النفس من النفس خلِّصها؛ فألقتْ مافى بطنها . فإذا عسُر على المرأة ولادتُها فليُكتَبْ لهـا : باسم الله ، لا إلهَ إلّا هو الكريم، سبحان الله ربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ الآية .

---

(١) فى ديوانه :

تقول أراه واحدا طاح أهله * يؤمله فى الوارثين الأباعد

(٢) كذا فى الشعر والشعراء . والحوارد : المجتمعة الخلق الشديدة الهيبة ، واحدها : حارد . وفى ديوانه : « اللوابد » ، وفى الأصل : « الجوارد » بالجيم المعجمة وهو تحريف . (٣) كذا فى الديوان والشعر والشعراء . وفى الأصل : « عشبالى » وهو تحريف . (٤) المراد بالحصى هنا : العدد الكثير قال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى * وانمـا العـــزة للكاثر

(٥) المئناث : الذى يلد الإناث كثيرا .

بابُ الطَّلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ أبغضَ[(١)] الحلال الى الله الطَّلاقُ » .

الأصمعىُّ قال : كان بالمدينـــة قاضٍ، يقال له : فلانُ[(٢)] بن المطَّلِب بن حَنْطَب المخزومىّ قد أدركتُه (وأُمُّ المطّلب : أُخت مروانَ بنِ الحكم) ، خاصمتْ إليه آمرأةٌ زوجَها ، وكانت قالت : أَجَعْتَنى وأسأتَ الىّ ، والله ماتستطيع فِرانُ بيتِك أن يَمْشِين من الجَهد وما يُقِمْن إلا على الوطن ! فقال : أنتِ طالقٌ إن كنّ [ما] يُقِمْن إلّا على الوطن ، فخبّرته بمــا قالت وقال ، فقال آبنُ المطّلِب يطلُب له المعاذير : وربِّك إنّ الإبل لتكون بالمكان الجــديب الخسيس المَرْعى فتُقيم به لحبّ الوطن ، فقال الزوج حين رآه يحتال لئلا يُفرِّق بينهما : كأنمـا أشكَلَتْ عليك ، هى طالقٌ عشرين .

طلّق رجل آمرأةً عددَ نجوم السماء ، فقال آبن عبّاس : يكفيه من ذلك هَقْعةُ[(٣)] الجَوْزاء .

وطلّق رجلٌ من الأعراب آمرأةً ، وكان له منها آبنٌ يقال له حَمّادٌ ، وندِم فقــال :

فَديتُ بالأُمِّ حَمّــادًا وقلتُ له * أنت آبن ذَلْفاء[(٤)] منّى فآدنُ يا ولدى
لا يَقْــرَبَنّ[(٥)] ثلاثًا منكــُم أحدٌ * إنى وجدتُ ثلاثا أشأمَ العـــددِ

---

(١) رواية الجامع الصغير : (أبغض الحلال ...الخ) . (٢) هو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى ، كما ورد فى تاريخ الطبرى فى ذكر حوادث سنة أربع وأربعين ومائة (ص ١٥٩ من القسم الثالث طبع أوربا) . وقال فى تهذيب التهذيب : إنه ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وكنيته أبو طالب . (٣) الهقعة : ثلاثة كواكب نيرة فوق منكبى الجوزاء قريب بعضها من بعض كالأثافى ، اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف . ورواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩١ طبع بولاق) : «فقال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء» . (٤) الذلفاء : اسم علم ، ومعناه لغة : الصغيرة الأنف مع استواء الأرنبة . (٥) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا :

* لا يغرين ثلاثا منكم أحدا *

وقال علىّ بن منظور :

ما للطـــلاق فقــدتُه * وفقدتُ عاقبةَ الطَّلاقِ
طلّقتُ خيرَ حليـــلةٍ * تحت السمواتِ الطِّباقِ

كان الأصمعىّ طلّق آمرأةً ثم تبِعَتْها نفسُه، فكتب إليها :

[و] هل رأيتم بعدنا مِثْلَنا (١) * فما رأينا بعــدكم مِثْلَكُمْ
نَصيب من يُعجِبنا خلوةً * منه ولا تَجْمع ما عنـــدكمْ
قد آتخذنا بعدكم مبـــدعا * لصونكم وليس من شكلكم
إنْ شئتم لم تتخـــذه وكا * ن الصونُ والبَذْل جميعا لكم

وقال أعرابىٌّ لآمرأته :

تَمَنَّيْنَ الطلاقَ (٢) وأنتِ منّى * بعيشٍ مثلِ مَشْرقةِ الشَّمالِ

وطلّق أعرابىٌّ آمرأتَه وقال :

رحلَتْ أُمَيْمـــةُ (٣) بالطَّلاقِ * وعَتَقْتُ من رِقّ الوَثاقِ
بانتْ فـــلم يألَمْ لهـــا * قلـــبى ولم تَبْــكِ المآقى
لـــو لم أُرَحْ بطـــلاقِها * لأَرَحْتُ نفسى بالإباقِ
ودواءُ ما لا تَشـــتهيـ * ـه النفسُ تعجيلُ الفِراقِ
والعيشُ ليس يَطيبُ بَيْنَ (٤) * آثنين فى غير آتفـــاقِ

(١) فى الأصل : «مثلا» . وهذه الأبيات بها شىء من التعقيد والركاكة فأثبتناها كما هى .

(٢) فى اللسان : «تريدين الفراق» . والمشرقة مثلثة الراء : الموضع الذى تشرق عليه الشمس . وخص بعضهم به الشتاء .

(٣) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٩ وج ٣ ص ٢٩٢ طبع بولاق) : «ظعنت أمامة» . قال فى اللسان (مادة أمم) : وأميمة وأمامة : اسم آمرأة، فمن رواه «أمامة» فعلى الأصل، ومن رواه « أميمة » فعلى تصغير الترخيم .

(٤) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٩) وروى فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩٢) : «من إلفين» . وفى الأصل : «من اثنين من غير اتفاق» .

كانت لمحمد بن كُنَاسة آمرأة يُبْغضها، فمرّ بمصلوب فقال :

أيا جِذعَ مصلوبٍ أتى دون صَلْبِه * ثلاثون حَوْلًا كاملًا هـــل تُبادِلُ
وما أنت بالحِمـــل الذى قد حملتَه * بأضجرَ[1] مـــنّى بالذى أنا حامِـــلُ

وقال آخر[2] :

بِتُّ بَخسِيفٍ[3] فى شرّ مـــنزلةٍ * لا أنا فى لذّةٍ ولا فَـــرسِى
هذا على الخَسْفِ لا قَضِيمَ[4] له * وأنا ذا لا يَســـوغ لى نَفَسى
تجهّزِى للطّـــلاقِ وآرتحلى * ذاك[5] دواءُ الجوامح الشُّمُسِ
لَلَيْلتى حين بنتِ[6] طالقـــةً * ألذُّ عندى من ليـــلة العُرُسِ

عن عيسى بن عمر قال : شكا الفرزدقُ آمرأتَه، فقال له شـــيخ من بنى مُضَر كان أسنَّ منه : أفلا تَكْسَعُها[7] بالمُخرِجات ! (يعنى الطلاق)؛ فقـــال : قاتلَك الله! ما أعلمك من شيخ ! .

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٢ ص ١١٢ طبع بولاق). وفى الأصل : «بأعرض منى» . (٢) هو قتادة بن مغرب (بتشـــديد الراء، و يقـــال مغرب بضم الميم وكسر الراء) اليشكرىّ كما فى التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه (ص ٢٤ طبع دار الكتب المصرية) والشعر والشـــعراء (ص ٢٥٧ طبع أوربا)، وكان تزوّج أرنب الحنفية فلم تلد له ونشزت عليه فطلقها . وورد الشعر فى التنبيه هكذا :

تجهزى للطـــلاق وآصطبرى * ذاك دواء الجوامح الشمس
ما أنت بالحنـــة الولود ولا * عنـــدك خير يرجى لملتمس
لليلتى حين بت طالقـــة * ألذ عندى من ليـــلة العرس

ووردت هذه الأبيات فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩٢) منسوبة لأبى موسى حين طلق امرأته (رواية الشيبانى) . (٣) فى الشعر والشعراء : «بحش» وفى العقد الفريد : «بت لديها بشرّ منزلة» . (٤) القضيم : شعير الدابة . (٥) رواية العقد الفريد : * فذا دواء المجانب الشرس * (٦) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـــل : « بت » . (٧) تكسعها : تطردها .

قال خالد بن صفوان : ما بتُّ ليـلةً أحبَّ إلىّ من ليلةٍ طلّقتُ فيها نسائى ، فأَرجعُ والستورُ قد هُتِكتْ ، ومتاعُ البيت قد نُقِل ، فتبعث إلىّ إحداهن بِسُلَيلةٍ[1] مع بنتى فيها طعامى ، وتبعثُ لى الأخرى بفراشٍ أنامُ عليه[2] .

قيل لامرأة كانت تُطلَّق كثيرا : ما بالُك تُطَلَّقين ؟ قالت : يريدون التّضييقَ علينا ، ضيّق الله عليهم ! .

طلّق رجل امرأتَه ، فقيل له : ما صنعتَ ؟ قال : طلّقتُها والأرضَ من ورائها . أى لا أَقرَبُ ناحيةً هى بها .

وقال أعرابىٌّ لامرأته :

أَتوهتِ بآسمِىَ فى العالمين * وأَفنيتِ عُمرِىَ عامًا فعامًا
فأنتِ الطلاقُ وأنتِ الطلاقُ * وأنتِ الطلاقُ ثلاثًا تمـامًا

الأصمعىّ قال : أتى رجلٌ أبا حازم فقال : إنّ الشيطان قد أُولِـع بى يُوسوِس لى ويحدّثنى أنى قد طلّقتُ امرأتى ؛ فقال له : وأنا أُحدِّثك أنك قد طلّقتها ، أَوَما فعلتَ ؟ فقال : سبحانَ الله يا أبا حازم ! أفتكذِّبنى وتُصدِّق الشيطانَ ! .

وقال أعرابىٌّ وقد طلّق امرأته :

وما أنا إذ فارقتُ أسماءَ طائعًـا * بخيرٍ من السّكران رأيًا ولا عقــلَا
وما زال صَرْفُ الدهرِ حتى رأيتُنى * أبيتُ بها ضيفًا كأنْ لم أكن بَعْلَا

وقال آخر[3] :

لئن كان يُهْـدِى بَرْدَ أنيابهـا العُلا * لأفقـرَ مـنّى إننى لفقـيرُ
لقد كثُرُ الأخبـارُ أنْ قد تَزوّجتْ * فهــل يأتِيَنِّى بالطلاق بشـيرُ

---

(١) السليلة : تصغير السلة والسلة : وعاء للخبز . (٢) كذا فى أخبار النساء وفى الأصل : « عليها » . (٣) نسب هذا الشعر فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٧ طبع دار الكتب المصرية) لمجنون بنى عامر . وضمير الفاعل يعود على « الله » فى البيت الذى قبله وهو :

دعوت إلهى دعوة ما جهلتها * وربى بما تخفى الصدور بصير

باب العُشّاق سوى عُشّاق الشعراء

محمد[(١)] بن قيس الأسـدىّ قال : وجّهنى عاملُ المدينـة الى يزيد بن عبد الملك وهو خليفة فخرجت، فلما قَربتُ المدينةَ بليْلتين أو ثلاث و[(٢)]إذا أنا بامرأةٍ قاعدةٍ على قارعة الطريق، و إذا رجلٌ رأسُـه فى حِجْرها كلّما سـقط رأسه أسندَتْه، فسلّمتُ فردّتْ ولم يَرُدّ الشاب ؛ ثم تأمّلَتْنى فقالت : يافتى، هل لك فى أجرٍ لامَرْزِئَةَ فيه ؟ قلتُ : سبحان الله! وما أَحَبَّ الأجرَ الىّ وإن رُزِئتُ فيه !. فقالت : هذا آبنى، وكان إلفًا لآبنة عمٍّ له تربّيا جميعًا، ثم حُجِبَتْ عنه، فكان يأتى الموضعَ والخِباء ، ثم خطبها الى أبيها فأبَى عليه أن يُزَوِّجها؛ ونحن نرى عيباً أن تُزَوَّجَ المرأةُ من رجل كان بها مُغْرَمًا ، وقد خطَبها آبنُ عمّ لهـا وقد زُوِّجت منذ ثلاثٍ ، فهو على ماترى لايأكل ولا يشرب ولا يعقِل، فلو نزلتَ اليه فوَعَظْتَه ! فنزلتُ اليه فوعظتُه، فأقبل علىّ وقال :

ألا ما للحبيبـةِ لا تعـودُ[(٣)] * أبخـلٌ بالحبيبةِ أم صُـدودُ
مرِضتُ فعادنى قومى جميعًا * فمـا لكِ لم تُرَىْ فيمن يعودُ
فقَدتُ حبيبتى فبليتُ[(٤)] وجدًا * وفقدُ الإلفِ ياسَكَنى شديدُ
وما آستبطأتُ غيرَكِ فآعلَميه * وحَوْلِى من بنى عمّى عديدُ
فلو كُنتِ السَّقيمةَ جئتُ أسعَى * إليك ولم يُنَهْنِهْنِى الوعيـدُ

(١) وردت هذه القصة فى نهاية الأرب (ج ٢ ص ١٩٩ طبـع دار الكتب المصرية) رواية عن الأصمعى مسندة الى رجل من بنى تميم، خرج ينشد ضالة له حتى وصل الى أرض بنى عذرة، ثم ساق القصة بإسهاب عما هنا . (٢) كذا بالأصـل، ولعل الواو زيدت من الناسخ، واذا الفجائية تقع رابطا فى جواب لمـا . (٣) كذا فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٢ ص ٢٠٠) . وفى الأصـل : «لا تزرنى» . (٤) كذا فى الأصل . وفى نهاية الأرب : * فقدتك بينهم فبكيت شوقا *

قال : ثم سَكَن عند آخر كلمته ؛ فقالت العجوز : فاضت والله نفسُه ثلاثا ! فدخلنى أمرٌ لا يعلمه إلّا الله، فآغتممتُ وخِفتُ موتَه لكلامى . فلما رأتِ العجوزُ ما بى قالت : هَوِّنْ عليك ! مات بأجله وآستراح ممّا كان فيه، وقَدِم على ربٍّ كريم ؛ فهل لك فى آستكمال الأجر ؟ هذه أبياتى منك غيرَ بعيدة، تأتيهم فتنعَاه إليهم وتسألهم حضورَهم ؛ فركبتُ فأتيتُ أبياتاً منها على قدرِ ميلٍ ، فنعيتُه إليهم وقد حَفِظتُ الشعرَ، فجعل الرجلُ يَسْترجع[1] . فبينما أنا أدورُ إذا آمرأةٌ قد خرجتْ من خِبائها تَجُرُّ رداءَها ناشرةً شعرَها، فقالت : أيها الناعى ، بفيك الكَثْكَثُ[2]، بفيك الحجر! مَنْ تَنْعَى؟ قلت : فلان بن فلان . فقالت : بالذى أرسل محمدا وآصطفاه ، هل مات ؟ قلت : نعم ؛ قالت : فماذا الذى قال قبل موته ؟ فأنشدتُها الشعرَ، فوالله ماتَنَهْنَهتْ[3] أن قالت :

عَدَانى[4] أن أزورَكَ ياحبيبى * معاشرُ كلُّهم واشٍ حسودُ
أشاعُوا ماسمعتَ من الدواهى * وعابُونا وما فِيهم رَشِيدُ
وأمّا إذ ثَوَيْتَ[5] آليومَ لَحْدًا * فَدُورُ النـاسِ كُلِّهمُ لُحُودُ
فلا طابَتْ لِىَ الدنيا فُواقًا[6] * ولا لَهُمُ ولا أَثْرى العبِيدُ[7]

---

(١) استرجع : قال : إنا لله وإنا اليه راجعون . (٢) كذا فى نهاية الأرب، والكثكث : دقاق التراب وفتات الحجارة ، وقيل : التراب مع الحجارة . وفى الأصل : « الكثب » وهو تحريف . (٣) أى ما امتنعت وما انكفّت . (٤) عدانى : صرفنى وشغلنى . (٥) كذا فى تزيين الأسواق (ص٨٦ طبع بولاق) ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٠١ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : « وأما ان ثويت » . (٦) الفواق (بالضم والفتح) : قدر ما بين الحلبتين من الوقت، وهو هنا كناية عن الزمن القليل، أى لم تطب لها الدنيا مقدار هذه الفترة القصيرة . (٧) فى نهاية الأرب : « عديد » وقد ورد هذا البيت فى تزيين الأسواق برواية أخرى وهى :

فلا طابت لى الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ثم مضت معى ومع القـوم تُوَلْوِل حتى ٱنتهينا إليـه ، فغسّلناه وكفّنّاه وصلّينا عليـه ، فأكبّتْ على قـبره ، وخرجتُ لِطِيّتى حتى أتيتُ يزيد بن عبد الملك ، وأوصلْتُ إليه الكتابَ ، فسألنى عن أمور الناس ، قال : هل رأيتَ فى طريقك شيئًا ؟ قلتُ : نعم ، رأيت والله عجبا ، وحدّثته الحديثَ ، فاستوى جالسا ، ثم قال : لله أنت يا محمد بن قيس ! امضِ الساعةَ قبل أن تَعرِف جوابَ ما قدِمتَ له ، حتّى تمرّ بأهل الفتى و بنى عمّه ، وتمرّ بهم الى عامل المدينة ، وتأمره أن يُثْبِتهم فى شَرَف العطاء ، و إن كان أصابها ما أصابه ، فٱفعل ببنى عمّها ما فعلتَ ببنى عمه ، ثم ٱرجع إلىّ حتى تُخبرنى بالخـبر ، وتأخذَ جوابَ ما قـدِمتَ له . فمررتُ بموضـع القبر ، فرأيتُ الى جانبه قبرًا آخر ، فسألت عنـه فقيل : قبرُ المرأة ، أكبّت على قبره ، ولم تَذُق طعامًا ولا شرابًا ، ولم تُرْفَع عنه إلى ثلاثة أيام [إلا] ميتةً ، فجمعتُ بَنِى عمّها و بنى عمّه ، وأثبتُّهم فى شرف العطاء جميعا .

عن هاشم بن حسّان عن رجل من بنى تميم قال :

خرجتُ فى طلب ناقةٍ لى ، حتى ورَدتُ على ماءٍ من مياه طيِّئٍ ، فاذا أنا بعسكرين(١) بينهما دَعْوة(٢) ، فاذا أنا بفتًى شابٍّ وجاريةٍ فى العسكر ، واذا هو قد سمع نَبْرَةً من كلامها وهو مريض ، فرفع عقيرتَه وقال :

أَلَا ما للمليحةِ لا تَعُـودُ ✽ أبُخْـلٌ بالمليحة أم صُـدُودُ

فلو كُنتِ المريضةَ كنتُ أسعَى ✽ إليـكِ ولم يُنَهْنِهْنِى الوعيـدُ

فسمعتْ صوتَه فخرجت تعدو ، فأمسكها النساءُ ، وأبصرها فأقبل يَشتد ، فأمسكه الرجالُ ، فأفلَتَ وأفلَتَتْ ، فاعتنقا وخرّا ميّتين ، فخرج شـيخ من تلك الأخبية حتى

(١) العسكر : الجماعة من كل شىء . (٢) دعوة : أى مقـدار ما يكون بين المرء والمرء اذا دعاه سمعه ، يقال : هو منى دعوة الرجل ، أى قدر ما بينى و بينه ذاك .

وقف عليهما، فاسترجع لها، ثم قال : أمَا والله لئن كنتما لم تجتمعا حيَّين لأجمعنّ بينكما ميّتين . قال : فقلتُ : من هـذا ؟ قال : هـذا ٱبن أخى ، وهذه ٱبنتى ؛ فدفنهما فى قبر واحد .

عن ٱبن سِيرين قال : قال عبد الله بن عَجْلان صاحب هند التى عَشِقها[١] وكانت تحبّه فطلّقها :

ألَا إنّ هنـدًا أصبحتْ لك مَحْرَمًا * وأصبحْتَ من أدنَى حُمُوَّتها حَمَـا
وأصبحتَ كالمَقْمور[٢] جفنَ سلاحِه * يُقلِّب بالكفَّيْن قَوْسًا وأسْـــهُمَا

ومدّ بها صوتَه ثم مات . قال الأصمعىّ : فيه قال الشاعر :

إن متّ[٣] من الحبّ * فقد مات ٱبنُ عَجْلانِ

قيل لأعرابىّ من العُذْرِيِّين : ما بالُ قلوبِكم كأنها قلوبُ طيرٍ تَمَاثُ[٤] كما يَماثُ الملح فى المـاءِ! أما تجلّدون؟ فقال : إننا ننظر الى محاجر أعينٍ لا تنظرون إليها .

وقيل لأعرابىّ : مِمّن أنت؟ فقال : من قوم إذا أحبّوا ماتوا . فقالت جارية سمِعتْه : عُذْرِىٌّ و ربِّ الكعبة ! .

عن عبـد الملك بن عُمَيْر قال : كان أَخوانِ من بنى كَنّة[٥] من ثَقيف، أحدهما ذو أهل، والآخر عَزَبٌ، وكان ذو الأهل إذا غاب خَلَفه العَزَبُ فى أهـله؛ فغاب

---

(١) هى هند بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدى تتصل مع عبد الله بن عجلان فى النسب، انظر ترجمة عبد الله فى الأغانى (ج ١٩ ص ١٠٢ طبع بولاق) . وقد ساق صاحب تزيين الأسواق (ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق) بسبب عشقه لهند حكاية طريفة فانظره . (٢) المقمور : المغلوب فى القمار .

(٣) دخل فى هـذا البيت الخرم ، والخرم يدخل فى كل جزء أوّله وتد وذلك ثلاثة أجزاء : فعولن ، مفاعلتن ، مفاعيلن ، ولا يدخل الخرم إلا فى أوّل البيت . (٤) انماث الشىء : ذاب .

(٥) بنو كنة : قبيلة من العرب ، نسبوا الى أمهم ، وضبطه الجوهرى بفتح الكاف ، والضم عن ٱبن دريد وكذا قال أبو زكريا .

غيبةً له ، فجـاء العزبُ يومًا فطلعتْ عليه آمرأةُ الأخ، وهي لا تعلم بمكانه ، وعليها دِرْع يشِفّ ، فسترت وجهَها بذراعيها، فوقعت فى قلبه، وجعل يذوب حتى صار كأنه خَيطٌ ، فقدِم أخوه فقـال : يا أخى، مالك؟ قال : لا أدرى، وآستحيا أن يذكر ما به، فانطلق أخوه الى الحارث بن كَلَدَة طبيبِ العرب، فوصفه له ، فقال : آحملْه إلىّ، فلمـا نظر إليه قال : أمّا العينـان فصحيحتان ، وأما الجسم فذائبٌ، ولا أظن أخاك إلا عاشـقا ، قال : ترى أخى بالموت و تزعُم أنه عاشـق ! قال : هو ما أقول لك ، فآسْقِه الشرابَ، فسقاه الخمرَ، فقـال الشعرَ ولم يكن الشـعرُ من شأنه، فقال :

ألمـّا[1] بى إلى الأبيـا * ت بالخَيف أَزُرْهُنَّهْ
غزالٌ ما رأيتُ اليو * مَ فى دُورِ بنى كنّهْ
غزالٌ[2] أكحل العين * وفى مَنْطِقـه غُنَّـــهْ

فقال أخوه : والله ما أراه إلا كما قال ، ولكـــن لا أدرى من عَنَى، فسقاه شَرْبةً اخرى، فقال :

أيهـا[3] الحىُّ آسْـلَمُوا * اِسْلَموا ثُمّتَ آسْلَمُوا
لا تُوَلُّوا وتُعرِضـوا * وآرْبعوا[4] كىْ تُكَلَّمُوا

(١) هكذا ورد هذا البيت فى بلوغ الأرب للآلوسى (ج ٣ ص ٣٤٣ طبع بغداد)، وفى الأصل :

فـــترا على الأبيا * ت من خيف فزرهنه

وهو غير مستقيم الوزن . (٢) رواية بلوغ الأرب فى هذا الشطر : «أسيل الخدّ مربوب» .

(٣) ورد هذا البيت فى بلوغ الأرب للآلوسى (ج ٣ ص ٣٤٣ طبع بغداد) واللسان (مادة حما) هكذا :

أيها الجيرة آسـلموا * وقفـوا كى تـكلموا

(٤) ربع الرجل : وقف وانتظر .

خرجَتْ مُزْنَةٌ من الـ * ـبحــر رَيَّا تُحَمْحِمُ(١)

هي ما كَنَّتى(٢) وتز * عُمُ أنى لهـا حَمُ

قالِ : يا أخى هى طالقٌ ثلاثا ، فَإِنْ شِئتَ فتزَوّجها ؛ قال : وهى طـالقٌ إن تزوّجتُها . قال غيرُه : فلما أفاق ذهب على وجهه حَيَاءً ولم يَرْجع ، فهو فقيدُ ثقيف .

عن أبى مِسْكِين قال : خرج أناس من بنى حنيفةَ يتنزّهون إلى جبـل لهم ، فبَصُر فتى منهم يقال له عباس بجاريةٍ فهَوِيها ، وقال لأصحابه : والله لا أنصرف حتى أُرسِلَ إليها ؛ فطلبوا إليه أن يَكُفَّ وأن ينصرف معهم فأبى ، وأقبل يُراسل الجارية حتى وقع فى نفسها ، فأقبل فى ليـلةٍ إِضْحِيانةٍ(٣) مُتنكِّبًا(٤) قوسَه وهى بين إخوتها نائمـةٌ ، فأيقظهـا ، فقالت : انصرف وإلا أيقظتُ إخوتى فقتلوك ! فقال : والله لَلْمَوْتُ أيسرُ ممّـا أنا فيـه ، ولكن لله علىّ إن أعطيتِنى يدَكِ حتى أضـعَها على فؤادى أن أنصرفَ ، فأمكنته من يدها ، فوضعها على فؤاده ثم انصرف ؛ فلمّـا كان من القابلة أتاها وهى فى مثل حالها ، فقالت له مثل مقالتها ، وردّ عليها وقال : إن أمكنتينى من شَفَتَيْكِ أرشُفْهما انصرفتُ ثم لا أعود إليك ، فأمكنته من شَفَتَيْها فرشَفهما ثم انصرف ؛ فوقع فى قلبها منه مثلُ النار ، ونَذِر(٥) به الحىّ ، فقالوا : مالهذا الفاسق فى هذا الجبل ! انهضوا بنا اليه حتى نُخرِجَه منـه ؛ فأرسلتْ إليه : إن القوم يأتونكَ الليلةَ فاحذَرْ ، فلمـا أمسى قعد على مَرْقَبٍ(٦) ومعه قوسُه وأسهمُه ، وأصاب الحى من آخر النهـار مطـرٌ وندًى فلَهَوْا عنه ؛ فلمـا كان فى آخر اللّيـل وذهب السحابُ وطلع القمر ،

---

(١) تحمحم : تصوّت . وفى اللسان : « تجمجم » بجيمين . (٢) كذا فى اللسان (مادة حما) ووردت فى الأصل محرّفة . والكنة (بالفتح) : امرأة الابن أو الأخ . (٣) إضحيانة : مضيئة مقمرة . (٤) تنكب القوس : وضعها على منكبه . (٥) نذر به : علم به .

(٦) المرقب والمرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب .

خرجتْ وهى تريده وقد أصابها الطلّ، فنَشَرتْ شعرَها وأعجبتها نفسُها ومعها جارية من الحىّ، فقالت : هل لكِ فى عبّاسٍ ؟ فخرجنا تمشيان، ونظـر إليهما وهو على المَرْقَب، فظنّ أنهـما ممن يطلبه، فرمى بسهم فمـا أخطأ قلبَ الجارية ففلقه ! وصاحت الأخرى، فانحدر من الجبل وإذا هو بالجارية فى دمها، فقال :

نَعب الغُرابُ بما كَرِهـ * ـتُ ولا إزالةَ للقَـدَرْ
تبـكِى وأنتَ قتلتَهـا * فاصـبِر وإلّا فانتحِر

ثم وجَأَ[1] فى أوداجه بمَشَاقصه[2]، وجاء الحىّ فوجدوهما مقتولين فدفنوهما ! .

قال خَلّادٌ الأرقط : سمعتُ مشايخنا من أهل مكة يذكرون أن القَسّ[3]، وهو مولى لبنى مخزوم، كان عند أهل مكة بمنزلة عَطَاء بن أبى رَبَاح، وأنه مرّ يوماً بسَلّامَةَ[4] وهى تُغنّى، فوقف يسمَع، فرآه مولاها فدنا منه فقال : هل لك [فى] أن تدخُل وتستمع ؟ فأبى، ولم يزل به فقال : أُقعِدك فى موضع لا تراها ولا تراك، ففعل، ثم غنت فأعجبتـه، فقال : هل لك [فى] أن أُحَوِّلها[5] إليك ؟ فتأبَّى ثم أجاب، فلم يزلْ [به] حتى شُغِف بها وشُغِفت به، وعلم ذلك أهـلُ مكة . فقالت له يوماً وقد خَلَوَا : أنا والله أُحِبُّكَ، فقـال : وأنا والله أُحِبُّكِ . قالت : فأنا أُحِبّ أن أضَعَ فمى على فمـكَ، قال : وأنا والله . قالت : وأنا والله أُحِبّ أن أضع صدرى على صدركَ، قال : وأنا والله . قالت : فمـا يمنعكَ ؟ والله إن الموضعَ لخالٍ ! فأطرق ساعةً، ثم قال : إنى سمعتُ

(١) وجأ : ضرب، يقال : وجأه باليد والسكين اذا ضرب به فى أىّ موضع كان . (٢) المشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلا غير عريض . (٣) هو عبد الرحمن بن أبى عمار من بنى جشم بن معاوية، وكان فقيها عابدا من عباد مكة، وكان يسمى القس لعبادته (راجع الأغانى ج ٨ ص ٨ طبع بولاق) . (٤) سلامة : قينة من قيان أهل المدينة، وكانت حاذقة ظريفة تجيد الضرب وتحسن الغناء وتقول الشعر، وكان يقال لها سلامة القس، نسبة الى عبد الرحمن المذكور .

(٥) فى الأغانى (ج ٨ ص ٦ طبع بولاق) : « هل لك فى أن أخرجها إليك » .

الله يقول : ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وأنا والله أكره أن تكون خُلَّةٌ ما بيني و بينكِ عداوةً يومَ القيامة؛ ونهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها . وفيه قيل :

لقد فَتَنَتْ رَيّا وسَلّامةُ القَسّا[(١)] * ولم تتركا للقسّ عقلاً ولا نفسَا

ومن شعره فيها :

أهابُكِ أنْ أقولَ بذلْتُ[(٢)] نفسى * ولو أنّى أُطِيعُ القلبَ قالَا

حياءً منكِ حتى شِفَّ[(٣)] جسمى * وشَقّ علىّ كِتمانى وطالا

وهو القائل :

قد كنتُ أعذُلُ فى السَّفاهةِ أهلَها * فاعجَبْ لما تأتى به الأيّامُ

فاليومَ أرحَمُهم[(٤)] وأعلمُ أنما * سُبلُ الغَوَايةِ والهُدَى أقسامُ

وهو القائل :

ألم تَرَها لا يُبْعِدُ اللهُ دارَها[(٥)] * إذا مَرِحتْ فى صوتها كيف تصنعُ

تمدّ نظامَ القولِ ثم تردّه * الى صلصلٍ فى حلقها فترجِّعُ

---

(١) البيت لابن قيس الرقيات، كما فى الأغانى (ج ٨ ص ٦ طبع بولاق)، و بعده :

فتاتانِ أما منهما فشبيهة الـ * ـهلال وأخرى منهما تشبه الشمسا

(٢) فى الأصل : « بذات » . وما أثبتناه عن الأغانى (ج ٨ ص ٦ طبع بولاق) وهو الصواب .

(٣) شف : نحل ، يقال : شف جسمه يشف (بالكسر) اذا نحل من الهمّ والوجد، وشفه الوجد أو الهمّ يشف (بالضم) أنحله وأهزله . ورواية الأغانى : «سل» . (٤) رواية الأغانى (ج ٨ ص ٧ طبع بولاق) : « أعذرهم » . (٥) روى هذان البيتان فيما تقدم من هذا المجلد (ص ٨٧) مع اختلاف يسير .

كتبتْ مُنْيَة إلى قابوس : من سنّ سنّة فَلْيَرْضَ بأن يُحكَم عليه بها . ومن سأل مسألةً فليرْضَ من العطيّة بِقدر بَذْله . لكلّ عملٍ ثوابٌ، ولكل فعـل جَزاء . ومَن بَدأ بالظلم كان أظلم . ومَن ٱنتصر فقـد أنصف . والعفو أقربُ إلى العقل . وغير مُسِيءٍ من أعْتَب . وغير مذنبٍ من طوّل[1] . [مع][2] المَخْض تَبدُو الزُّبدةُ . عند تَناهِي البَلاءِ يكون الفـرج . كلُّ ذى قَرْحٍ يشتهى دواء قرحه . كلّ مَطْمَع مُنْتَظَر . كل آتٍ قريبٌ . مع كل فَرْحةٍ تَرْحةٌ . مَنْ خَبُث سِنخُه[3] غَلُظ كَبِدُه ونام[4] حِقدُه . الموتُ أروحُ من الهوى . اليأسُ أوّل سببِ الراحةِ . السِّحر أنفذ من الشعر . دواءُ كل مُحِبّ حبيبُه . مع اليوم غَدٌ . كما تَدين تُدانـ . اسْتَشفِ اللهَ لما بك، وٱسأله المدافعةَ عنك .

فأجابهـا :

من الكِرام تكون الرحمة، ومن اللئام تكون القسوة . مَنْ كرُم أصلُه لان قلبُـه ورقّ وجهُه . ومَنْ عاقَب بالذنوب ترك الفضلَ . ومن ترك الفضلَ أخطأ الحظَّ . ومن لم يَغْفِر لم يُغْفَر له . ومن حقَد وٱضطغن ٱكتسب الأعداء . أولى الناسِ بالرحمة مَن ٱحتاج إليهـا لِحُرمها . لكل كَرْبٍ فرجٌ، ولكل عمل ثوابٌ . من أحبّ رقّ لكلّ مُحِبّ . لاداءَ أدوى[5] من الهوى، ولا أوهن منه لذى القُوَى . لامَلَكةَ[6] أكرمُ

---

(١) كذا فى الأصل، ولعلها «تطوّل» بمعنى ٱمتن وتفضل، وستأتى مرة أخرى بهذا المعنى فى هذه القصة . (٢) التكملة من أمثال الميدانى (ج ٢ ص ٢١٠ طبع بولاق) . والمعنى أنه اذا استقصى الامر حصل المراد . (٣) السنخ : الأصل . (٤) كذا بالأصل، ولعله : «قام حقده» . (٥) صوّب ابن الأثير فى كتاب النهاية فى كلامه على الحديث : «وأىّ داء أدوى من البخل» أنه أدوأ بالهمز وقال : ولكن هكذا يروى الا أن يجعل من باب دوى يدوى دوى فهو دو اذا هلك بمرض باطن . (٦) الملكة (بالتحريك) : مصدر من مصادر ملك الشىء كالمِلْك .

من مَلَكَة كريم ، ولا قدرَة ألأم من قدرة لئيم . مَلَكْتِ فأسْجِحى(١) : قَدَرْت فأعفِى . ويلٌ للشَّجِىّ من الخَلِىّ . من كان فى نعمةٍ لم يَدْرِ قَدْرَ البليّة . من سَهَا عقلُه فسَد عيشُه، ومن فسَد عيشُه كان الموت راحتَه . الآمالُ مبسوطة، والآجالُ معدودة . والْمُتوقَّع الموت . وحسرةُ الموت مَنْ مات بِغُصّةٍ . خير الخير أعجلُه . من أراد معروفًا فلا يَتطوّل(٢) . الحبُّ أثقلُ محمول .

وكتب إليها أيضا :

قلّ من حبيبٍ كتاب ، وعظُم من محبّ مُصاب . لكلّ آخرٍ أوّلُ ، مَرْقاةٌ إلى مَرقاة . قد ينمو القليلُ فيكثُر، ويَضمحِلّ الكثير فيذهب . من طَلب وجَد . ومن أدمن الاستفتاحَ فُتحت له الأغلاق . أولى الأمور بالنجاح المواظبةُ . قد يَتْبَع الظّفرَ البصرُ، ويتبع البصرَ التغيرُ والاستثقالُ(٣)، ويتبع الاستثقالَ(٣) الاستبدالُ ؛ ولن يدومَ شىء على حال . ولكلّ همّ فرجٌ . والعناءُ مقرونٌ بالرجاء . قد يُستخرج بالكلمة الحيّة، وتَنشأ من الحبّة الشجرة . وفى اللقاء شفاءُ الغليل، وتَنفُّس الهموم . ارتاد امرؤٌ قبل حلوله، وتَثبّتَ قبل إقدامه . مع العَجَلة تكون النّدامةُ، وفى التثبّت تكون السلامةُ . العاقل مَن ابتدأ عملًا فى غير حينه فبلغ فى حين وقته . لا يُنال بغير دواء شفاءٌ . الصعبُ يُمكن بعد مَنْع . الرِّفقُ سبب القُدرة . الخُرقُ مفتاح الحرمان . من أسرّ أسراره دامت له لذّاتُه . رُبّ أَكْلةٍ تمنع أَكَلات، ولُقية تَصُدّ عن لُقيات .

(١) الإسجاح : حسن العفو . وأصل المثل ملكت فأسجح أى ملكت علىّ فأحسن العفو . يروى أن عائشة قالته لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته « ملكت فأسجح » فجهزها بأحسن جهاز وبعثها الى المدينة (راجع الميدانى ج ٢ ص ١٩٨).

(٢) يتطول : يمتن . (٣) لعلها : الانتقال .

أبياتٌ فى الغَزَل حِسانٌ

يُقَــرّ بعينى[1] أن أرى من مكانه * ذُرَى عَقِــدات[2] الأبْرَق المُتقاوِد[3]
وأن أرِدَ المــاء الذى شَرِبتْ به * سُلَيمى فقد مَلّ السُّرى كلّ واخدِ[4]
وألْصِــقَ أحشــائى بِبَرد تُرابه * وإن كان مخلوطًا بُسمّ الأساوِدِ[5]

قال أبو صخر الهُذَلِىّ[6] :

أمَا والّذِى أبكَى وأضحــكَ والّذى * أماتَ وأحيا والّذى أمرُه الأمْرُ
لقد تركتنى أحسُد الوحشَ أن أرى * أليفين منها لا يَرُوعهما الذُّعرُ
فيا هجرَ ليــلى قد بلغتَ بِىَ المَدَى * وزدتَ على ما لم يكن بَلَغ الهجرُ
ويا حبهــا زِدْنِى جوًى كل ليــلةٍ * ويا سَــلوةَ الأيّامِ موعِدُكِ الحَشْرُ
وصلتُكِ حتى قِيل لا يَعرِفُ القِلَى * وزُرتُكِ حتى قلتِ ليس له صــبْرُ
عَجِبتُ لسَــعْىِ الدهرِ بينى وبينها * فلمــا انقضى ما بيننا سكَن الدهرُ

---

(١) جاء فى الكامل (ص ٣١ طبع أوربا) عند شرح هذه الأبيات قوله :

قال أبو الحسن : رواية أبى العباس يقر بعينى (بضم فكسر)، يريد : يقر عينى، ثم أتى بالباء توكيدا ؛ وقال لنا : هكذا سمعته . ثم قال : وأجود عندى مما روى يقَرّ بعينى [بفتح الياء والقاف] وهو الأصل، والباء فى موضعها غير مؤكدة . اهـ باختصار . (٢) كذا فى الكامل، وفى الأصل : « عقبات » وهو تحريف . والعقدات : ما انعقد وصلب من الرمل، الواحدة « عقدة » والجمع « عقد وأعقاد وعقدات » . والأبرق : حجارة يخلطها رمل وطين . (٣) كذا فى الكامل للبرد وفى الأصل : «المتعاود» وهو تحريف . والمتقاود : المنقاد المستقيم . (٤) الواخد : السائر سيرا شديدا ، ويروى كما جاء فى الكامل « كل واحد وهو المنفرد فى السير المتوحد به ؛ و « كل واجد» وهو العاشق . (٥) الأساود : الحيات العظيمة واحدها «أسود» وجمع على أساود لأنه يجرى مجرى الأسماء، وما كان من باب «أفعل» اسما يجمعه على أفاعل . (٦) كذا فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٤٨ — ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية) وديوان الحماسة (ص ٥٤٤ طبع أوربا) . وفى الأصل : «السلمى» . وقد وردت هذه القصيدة فى أمالى القالى والشعر والشعراء ص ٣٥٥ مع تغيير فى كثير من ألفاظها وبعض أبياتها .

اذا ذُكِرتْ[1] يرتاحُ قلبي لذكرها * كما انتفض العُصفورُ بلّله القَطرُ
هل الوجدُ إلا أنّ قلبِيَ لو دَنَا * من الجمر قِيدَ الرمح لآحترق الجمرُ

وقال آخر[2]:

أيا خُلَّةَ النَّفْسِ التّي ليس دونها * لنا من أخِلّاءِ الصفاءِ خليلُ
ويا من كَتَمْنا حبَّه لم يُطَعْ به * عدوٌّ ولم يُؤْمَنْ[3] عليه دخيل
أمَا من مُقامٍ أشتكِي غَرْبةَ النّوى[4] * وجورَ العِدَا فيه اليك سبيلُ
وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعلّةٍ * فأفنيتُ عِلّاتِي فأيش[5] أقول
وما كلَّ يومٍ لى بأرضك حاجةٌ * وما كلَّ يوم لى إليك رسولُ

وقال المجنون :

وإنى لأَسْتَغْشِي[6] وما بِىَ نَعْسةٌ * لعلّ خيالا منك يَلْقَى خياليا
وأخرُج من بين الجُلُوس[7] لعلّنى * أُحدّث عنك النفسَ فى السِّرِّ خاليا

وقال أيضا :

فأدنَيْتِنى حتى إذا ما مَلَكتِنِى * بقول يُحِلّ العُصْمَ[8] سهلَ الأباطِح
تجافيتِ عنّى حينَ لا لِىَ حِيلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

---

(١) الرواية المشهورة فى الشطر الأوّل من هذا البيت :
* وإنى لتعرونى لذكراك هزّةٌ *

(٢) هو يزيد بن الطثرية كما فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) كذا فى أشعار الحماسة . وفى الأصل : «دونه» . (٤) كذا فى أمالى أبى على القالى (ج ١ ص ١٩٦) وشرح ديوان الحماسة . وفى الأصل : «أشتهى» وهو تحريف .

(٥) أيش معناه أىّ شىء . وفى الأمالى وديوان الحماسة : «فكيف أقول» . (٦) استغشى : تغطى كى لا يسمع ولا يرى . (٧) الجلوس : جمع جالس أى من بين الجماعة الجالسين . (٨) العصم : جمع أعصم وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض .

ونحوه قولُ العبّاس بن الأحنف :

أشــكو الذين أذاقونى مودّتهــم * حتى اذا أيقظونى فى الهوى رَقَدوا
وآستنهضونى فلمّـــا قمتُ مُنْتَهِضًا * من ثِقْل ما حمّلونى فى الهوى قعدوا

وقال بعضُ المحدَثين :

من كان يبكى لِمَــا بى * من طول وجْدٍ رَسِيس (١)
فالآن قبــل وفاتى * «لا عِطرَ بعد عَرُوس» (٢)

وقال العبّاس بن جرير من ولد خالد بن عبد الله :

ظلّتِ الأحزانُ تَكْحَلُنى * مَضَضًا طالتْ له سِــنَتى
مِنْ هَــوَى ظَبْيٍ كأنّ له * أرَبًا بالصَــدّ فى تَرَتِى
قــد حَمَى عينى محاســنَه * وحمى تقبيــلَه شَــفَتى
شَرِكتْ عينــاه ظالمــةً * فى دمى من عُظْمِ ما جَنَتِ (٣)

---

(١) الرسيس : الثابت ، وفى الأصــل : أسيس «بالألف» والأسيس : أصل كل شىء وهو غير مناسب هنا . (٢) هذا مثل ، قيل : أصله أن رجلا تزوّج آمرأة فأهديت إليه فوجدها تَفِلة ، فقال لها : أين الطيب؟ فقالت : خبأته ، فقال هذا المثل . وقيل : عروس اسم رجل مات ، فجاءت امرأته بقشوة العطر (وعاء من خوص) فكسرتها على قبره وصبت العطر ، فوبخها بعض معارنها فقالت ذلك ؛ يضرب على الأوّل فى ذم ادّخار الشىء وقت الحاجة اليه ، وعلى الثانى فى الاستغناء عن ادّخار الشىء لعدم من يدّخر له ، وقيل فى هذا المثل غير ذلك . (٣) كان الوجه أن يقال : «ظالمتين» و «ما جنتا» بالتثنية ولكن هذا الاستعمال قد ورد كثيرا فى الشعر ، ومنه قول الفرزدق :

فلو بخلت يداى بهــا وضنت * لكان علىّ للقــــدر الخيار

وكان الوجه أن يقول : «ضنتا» . وقول سلمى بن ربيعة :

وكأن بالعينين حب قرنفل * أو سنبلا كحلت به فانهلّت

وكان الوجه أيضا أن يقول : «كحلتا به فانهلتا» . ومثل هــذا كثير ، وله مبرر عند علماء النحو . (انظر كتاب شرح أشعار الحماسة ص ٢٧٤ طبع أوربا) .

وقال ٱبن الطَّثرِيّة :

وإن كنتمُ ترْجُون أن يذهَبَ الهوى * يقينًا ونَرْوَى بالشرابِ فَنَنْقَعا
فرُدُّوا هبوبَ الريح أو غيِّروا الجوَى * اذا حلَّ ألواذَ(١) الحشا فتمنّعا
تَلَفّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتُنى * وَجِعتُ من الإصغاءِ لِيتًا(٢) وأَخْدَعا(٣)

وقال ٱبن ميّادة :

بنفسى وأهلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعضِ الأذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ
ولم يَعْتَذِرْ عذرَ البرىء ولم يزَل * له سَكْتَةٌ حتى يقال مُرِيبُ

وقال علىّ بن الجَهْم فى رُقْعة أتته بخطّ جارية :

ما رُقْعةٌ جاءتك مَثْنِيّة * كأنها خَدٌّ على خَدّ
نَبْذُ(٤) سوادٍ فى بياضٍ كما * ذُرَّ فَتِيتُ المسك فى الوردِ
ساهمةُ الأسطر مصروفةٌ * عن مُلَحِ الهَزْل الى الجِدّ
يا كاتبًا أسلمنى عَتْبُه * إليه حسبى منك ماعندى

وقال جريرٌ :

أتجمَعُ قلبًا بالعراق فريقُه * ومنه بأظلال(٥) الأراكِ فريقُ
أوانِسُ أمّا مَنْ أردن عناءَه * فعانٍ ومَنْ أطْلقن فهو طليقُ
دَعوْن الهوى ثم ٱرتمَيْن(٦) قلوبَنا * بأسهُمِ أعداءٍ وهنّ صديقُ

(١) الألواذ : الجوانب . (٢) الليت : صفحة العنق . (٣) الأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة . (٤) النبذ : الشىء القليل اليسير . (٥) كذا فى ديوانه ، ويريد بأظلال الأراك البادية التى تنبت الأراك . وفى الأصل « بأطلال الأراك » بالطاء المهملة وهو تصحيف . (٦) يقول : استملن أهواءنا فمالت إليهن قلوبنا ثم كان منهنّ ما كان من إصابتها .

وقال آخر :

لَذّان[1] تُضْنيهما[2] للبين فرقتُــه * ولا يَملّان طـــولَ الدّهر ما آجتمعا
مُسْـتقبِلان بساءٍ من شـبابهما * إذا دعا دعوةَ الداعى الهـــوى شَمَعا[3]
لا يَعْجَبان لقول النـاس عن عُرُضٍ * بل يَعْجَبان لِمَـا قالا وما سمعا

وقال أعرابىّ :

وقلن لهـا سِرًّا وقيناكِ لا يَقُمْ * صحيحًا فإنْ لم تَقتُليــهِ فألْمِمى
فأذْرَتْ[4] قِناعًا دونَه الشمسُ وآتّقتْ * بأحسنِ مَوْصولَيْنِ كَفٍّ ومِعْصَمِ
فراح وما أدرى أفى طلعــةِ الضّحَى * يُرَوّح أم داجٍ من الليـــل مُظْلِمِ

وقال آخر :

يا أحسنَ النـاسِ من قَرْنٍ[5] الى قَدَمٍ * لم ألْقَ مثلَكِ فى حِـلّ ولا حَـرَمِ
يا مَنْ تلبّس حسنُ الغانيات به * قـد خُطّ قبلك فيما خُطّ بالقـلمِ

وقال ذو الرُّمّة :

وقــد كنتُ أبكى والنّوى مُطمئّنةٌ * بنـا وبكم من علم ما البينُ صانعُ
وأُشـفِق من هِجْرانكم ويَشُـفّنى * مخافةَ وشْـكِ البيــ والشملُ جامع
وأهجُركم هجــرَ البغيضِ وحبّكم[6] * على كَبِدى منــه شؤونٌ صــوادع

(١) لذّان : تثنية لذّ، واللذ : الملتذ، ويحتمل أن يكون « نذّان » تثنية ند بمعنى المثـل .
(٢) فى الأصل : « يغنيهما » بالغين المعجمة، وليس له معنى مناسب . (٣) شمعا : طربا ومرحا، وفى الأصل : « سمعا » بالسين المهملة . (٤) أذرت : ألقت . (٥) القرن : الغديرة من الشعر . (٦) كذا فى ديوانه، وفى الأصل : « وقد يرى » .

وقال أيضا :

وقد كنت أخفى حبَّ مىّ وذكرها * رسيس الهوى حتى كأنْ لا أريدها

فما زال يغلو حبُّ ميّة عندنا * ويزداد حتى لم نجد ما يزيدها

وقال :

وما زلتُ أطوى النفسَ حتى كأنها * بذى الرِّمْث(١) لم تخطُر على بالِ ذاكر

حياءً وإشفاقًا من الركب أن يَرَوْا * دليـلًا على مُستودَعات الضمائر(٢)

وقال آخر :

قُل لحادِى المَطىّ روِّحْ قليلًا * نجعل العِيسَ سَيْرهنّ ذَميلا(٣)

لا تَقِفْها على السبيل ودَعْها * يَهْدِها شوقُ من عليها السّبيلا

وقال آخر :

فإن يَرتحِلْ صَحْبى بجُثمان أعظُمِى * يُقِمْ قلبىَ المحزونُ فى منزل الرَّكبِ

ونحـوه :

جَسَـدٌ مقيمٌ فى الـدِّيا * ر ورُوحُه فى الظاعنينْ

وقال آخر :

لَعَمْرُ أبى المحضير أيّام نلتقى * بما لا نُلاقيها من الدّهر أكثُرُ

يَعُدّون يومًا واحدًا إن أتيتُها * ويَنسَوْن ما كانت من الدهر تهجُر

وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

وقلن لها قومى فدَيْناكِ فأَرْكَبِى * فأَوْمتْ(٤) بِلَالَا غيرَ ما أن تَكلّما

يُهادِينها حتى لَوَتْ بزمامه * بَنانًا كهُدّاب الدِّمَقْس ومِعْصَمَا

---

(١) ذو الرمث : واد لبنى أسد . (٢) فى ديوانه : « السرائر » . (٣) الذميل : السير اللين . (٤) كذا فى الأغانى (ج ٤ ص ٩٧ طبع بولاق) . وفى الأصل : « فقالت : ألالا » .

من البِيضِ عاشتْ بين أمٍّ عزيزةٍ * وبين أبٍ بَرٍّ أطاع وأكرما
مُنَعَّمـــةٌ لو يُصبح الذَّرُّ ساريًا * على جِلدهــا نضَّتْ (١) مدارِجُه دَما
فما رَكِبتْ حتى تطاوَل يومُها * وكانت لها الأيدى الى الحُدْبِ (٢) سُلَّما
فجَرْجَر لمـا كان فى الخِدْرِ نِصفُها * ونِصفٌ على دَأْياته (٣) ما تحـــزما
وما كاد لمّـا أن عَلَتــه (٤) يُقِلّها * بنهضته حتى ٱطمأنّ (٥) وأعْصَما (٦)
وحتى تداعت بالنّقيض (٧) حِبـالُه * وهمّتْ بَوانى (٨) زَوْرِه أن تَحَطّـما
وأثّـر فى صُمّ الصّفـا نفثـاتُه * ورَمَّتْ (٩) سُـلَيمى أمرَه ثم صَمَّما (١٠)
فسبّحن وٱستهلَلْن لمـا رأينـه * بهـا رَبِذًا (١١) سهلَ الأراجيح (١٢) مِرْجَما (١٣)
من البيض مِكْسالٌ اذا ما تَلَبّسَتْ (١٤) * بحبـل ٱمرئ لم يَنْجُ منهـا مُسَلَّما

(١) نضت : سالت وفى الأغانى ج ٤ ص ٩٧ طبع بولاق «بضت» بالباء الموحدة وهو بمعنى نضت ، يقول : لو مشى الذر على جلدها لجرى منه الدم من وقته . (٢) الحدب : جمع أحدب وحدباء وهو ما عظم ظهره من الإبل . (٣) جرجر : ردّد صوته فى حلقه ، والدأيات : أضلاع الكتف . (٤) فى الأصل : علتها . (٥) اطمأن : سكن . وفى الأصـل وردت هكذا : « اكلاْ ن » وهى قريبة الشبه مما رجحناه . (٦) أعصم : تشدّد واستمسك . (٧) النقيض : صوت المحامل . (٨) قال ابن الأثير : البوانى فى الأصل : أضلاع الصدر وقيل : الأكتاف والقوائم الواحدة بانية . (٩) فى الأصل : «رام» وهو تحريف لا يتفق مع السياق . (١٠) صمم : مضى معتزما السير . (١١) الربذ : الخفيف القوائم فى مشيه . وفى الأصل «ربدا» بالدال المهملة وهو تصحيف . (١٢) أراجيح الإبل : اهتزازها فى رَتَكانها (مشـية فيها اهتزاز) كذا فسر فى اللسان وشرح القاموس واسـتدرك عليه أبو الحسن فقال : لا أعرف وجه الصواب فيـه لأن الاهتزاز واحد والأراجيح جمع والواحد لا يخبر به عن الجمع . وفى الأساس : وأراجيح الابل : هزاتها . (١٣) المرجم : البعير يرجم الأرض بأخفافه . وفى الأصل «مزحما» بالزاى المعجمة والحاء المهملة . (١٤) تلبست : تعلقت ، ومنه :

تلبس حبهـا بدمى ولحمى * تلبس عطفة بفروع ضال

رقودُ الضّحى لا تقرَبُ الجيرةَ القُصَى * ولا الجيرةَ الأدْنَيْن إلا تجشُّما
وليست من اللّاتى يكون حديثُها(١) * أمامَ بيوت الحىّ إنّ وإنّما

وقال قيس بن ذَرِيح :

تَعلّق رُوحى رُوحَها قبل خَلْقِنا * ومِنْ بعد ما كنّا نِطافًا وفى المَهْد
فزاد كما زِدْنا فأصبح ناميًا * فليس وإن مِتْنا بمُنْفَصِم العَهْدِ(٢)
ولكنّه باقٍ على كلّ حادثٍ * وزائرُنا فى ظلمة القبر واللّحد
يكاد حَبابُ الماء يَخْدِشُ جلدَها * إذا اغتسلت بالماء من رِقّة الجلدِ
ولو لَبِستْ ثوبا من الوَرْد خالصًا * لخدّش منها جلدَها ورقُ الوردِ
يُثقلها لُبْسُ الحرير لِلِينها * وتشكو الى جاراتها ثِقلَ العِقدِ
وأرحَمُ خدّيها اذا ما لَحَظْتُها * حِذارًا لِلَحْظى أن يؤثّر فى الخدّ

تمّ كتاب النساء، وهو الكتاب العاشر من عيون الأخبار، لابن قتيبة رحمة الله عليه، وتمّ بتمامه كتابُ عيون الأخبار. وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر ابن محمد بن علىّ الواعظ الجزرىّ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه
ومظهر حقه محمد وآله أجمعين

---

(١) فى الاصل : «حديثنا» . (٢) رواية الأغانى (ج ٨ ص ١٢٠) طبع بولاق :

* وليس اذا متنا بمنصرم العهد *

[جاء فى أوّل الجزء العـاشر على ظهر الصفحة الأولى من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :]

قال لى قائلٌ وقــد لاحَ فى فَوْ(١) * دَىَّ مستشرِقا(٢) بيـاضُ القَتِــيرِ(٣)
لِمْ يَعَافُ البياضَ بِيضُ الغَوَانِى * قلتُ علمى وأنتَ عين الخبــيرِ
ليس كُرْهُ النســاءِ للشَّيْب إلا * أنه منـــذِرٌ بنـــوم الأيورِ

روى عن علىّ عليه السلام أنه سُئل عن صــفة الجماع فقال : عَوْرَاتٌ تجتمع وحياءٌ يرتفع ، إذا ظهر للعيون كان أشبه شىء بالجنون . الإقامة عليه هَرَم ، والإفاقة منه نَدَم ، ثمرةُ حلاله الولد ، إن عاش أَفْتَن(٤) ، و إن مات أَحْزَن :

اذا لم يكن فى منزل المرء حُرَّةٌ * مُدَبِّرَةٌ ضــاعت مروءةُ دارِه

وقيل : اجتمع جماعةٌ من الشعراء عند عبــد الملك بن مَرْوان فتذاكروا بيت نُصَيب وهو قوله :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإن أَمُتْ * أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيم بها بَعْدِى

فما فى القوم إلا مَن عابه وأزرَى على(٥) نُصَيب فيه ، فقال عبد الملك : فما كنتم تقولون أنتم ؟ فقال واحد(٦) منهم : كنت أقول يا أمير المؤمنين :

---

(١) الفودان . قرنا الرأس وناحيتاه . (٢) كذا بالأصل ولم نجد فى كتب اللغة استشرق بالمعنى الذى ينادى به البيت . (٣) القتير : الشيب وقيل هو أوّل ما يظهر منه . (٤) أفتن مثل فتن الثلاثى ، قال أعشى همدان وقد جاء باللغتين :

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

وكذلك حزنه وأحزنه ، قال تعالى : « إنى ليحزننى أن تذهبوا به » انظر اللسان مادة « فتن » .

(٥) يقال : أزرى عليه وأزرى به بمعنى عابه ، والأوّل قليل الاستعمال . (٦) هو الأقيشر كما فى الشعر والشعراء طبع أوربا ص ٢٤٣ وقد وردت فيه هذه الحكاية فى ترجمة نصيب مع اختلاف يسير .

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وإن أمت * فياليت شعرى مَن يَهِيمُ بها بَعْدِى

فقال له عبد الملك : أنت أسوأ رأيا من نُصَيب . فقالوا : فماذا كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت أقول :

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وإن أمت * فلا صلحتْ دَعْدٌ لِذِى خلّةٍ بعدى

فقالوا : أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين .

وجاء بعد خاتمة هذا الجزء بعض قطع شعريّة ونثريّة فى نحو ورقتين منقولة عن العقد الفريد لابن عبد ربه ، من كلام الأعراب (ج ٢ ص ١١٨ — ١٢٠ طبع بولاق) وليست من تأليف ابن قتيبة . ثم يليها بعض حكايات مرويّة عن علىّ ابن أبى طالب كرّم الله وجهه فى نحو ورقة . ثم خطبة لسيدى عبد القادر الجيلانى مرويّة عن نجليه : الشيخ عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمن فى نحو ورقة وبعض ورقة . ولم نشأ إثباتها لأنها زيادة من الناسخ وليس لها صلة بموضوع الكتاب .

فهرس رجال السند

(ب)

(خ)

(د)

(ش)

(غ)

(ى)

فهـــرس أسماء الشـــعراء

(ب)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

فهـــــرس الأعـــــلام

(أ)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبـائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

فهـــــرس الاماكن

(خ)

(د)

(ذ)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ل)

(م)

فهـــــرس الكتب

(ا)

(ن)

(و)

(ى)

فهـــــرس الأمثال

فهــــرس أيام العـــــرب

فهـــرس القـــوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
مررت	بالإياب	وافر	١ — ١٤١ : ١٢
رأيت	السحاب	«	٢ — ٣٦ : ٩،
			٣ — ٢٤٧ : ٦
ومن	للشباب	«	٢ — ١٣٩ : ١
أحبّ	الكلاب	«	٤ — ٤٣ : ٢
منعمة	الشباب	«	٤ — ٨٢ : ١٩
وأجرا	العيوب	«	٢ — ١٤ : ١٩
ومايك	القلوب	«	٣ — ١٠٩ : ١٣
أيوسف	مريب	«	٢ — ١٦٥ : ١٠
نغضّ	كلابا	«	٢ — ٢٠٣ : ١،
			٤ — ٨٥ : ٦
تركت	شرابا	«	٣ — ٩٧ : ١٧
اذا حلّت	الكلابا	«	٣ — ٢٦٣ : ٤
فما	الخضابا	«	٤ — ٥١ : ٦
ياضمر	يكذبُ	كامل	٣ — ١٨ : ١٠
ولقد	ينسبُ	«	٣ — ١٥٧ : ١٠
يعطى	كذوبُ	«	١ — ٢٤٠ : ٢
يا كاتبا	الكتاب	«	١ — ٥٠ : ٩
قوم	الأبواب	«	١ — ٩١ : ١٥
ليس	المتغابي	«	١ — ٢٢٥ : ٢
فإذا	الأنساب	«	٣ — ٩٠ : ١٣
ماأنت	الأسباب	«	٣ — ١٥١ : ٢
تأبى	عائب	«	١ — ٨٦ : ١٩
ورضيت	الكاذب	«	٢ — ٢٨ : ٥
ما ضرّ	كاذب	«	٣ — ١٤٦ : ١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
ومتى	فارغب	كامل	٣ — ١٨٦ : ٨
شادَ	راغب	«	٣ — ١٨٧ : ١٠
وإذا	رائب	«	٣ — ٢٠٨ : ٨
وإذا	عضبه	«	١ — ٤٩ : ٦
وحديثها	جذبا	«	٤ — ٨٢ : ٢
فدع	العتابُ	مجزوء الكامل	٣ — ٢٩ : ٢
إن الهديّةَ	القلوبا	«	٣ — ٣٥ : ١٢
فتى	يعجب	رجز	٣ — ٢٣ : ٥
من يجمع	جذبه	«	١ — ٢٤٣ : ١٩
وإنما	الكذبْ	«	٢ — ٢٧ : ١٩
نعم	الخابْ	«	٢ — ٤٣ : ١٥
برّح	كَذَبْ	«	٣ — ٢٤٤ : ٦
اذا تعدى	بابهُ	سريع	١ — ٨٧ : ٢
ما ضاقت	هارب	«	١ — ٨٦ : ٧
رب	الغيب	«	٢ — ١٥ : ٤
قل لأمير	واللبابْ	«	١ — ٦٣ : ١٩
اسكت	عيّابْ	«	٢ — ١٥ : ٢
إذا	الغضابْ	«	٣ — ١٥٣ : ٤
ياعجبا	الذّيبْ	«	٤ — ٣٤ : ٢
حتى متى	ماتجانبها	منسرح	٣ — ١٠٦ : ١٥
مالى	بالنشب	«	٢ — ٤١ : ٨
جئتك	الأدب	«	٣ — ١٣٣ : ٤
ان الليالى	تقلّبه	«	٢ — ١١٦ : ٦
زور	خطبه	«	٢ — ١٨٢ : ١٣
أيها	الكلابُ	خفيف	٢ — ١٦٧ : ١٤

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
لقد	أحدُ	بسيط	٢ — ١٩٤ : ٩
إن تحسدونى	حسدُوا	»	٢ — ١٠ : ١٨
من كان	عضدُ	»	٣ — ٢ : ١٣
لا يبعد	والأبدُ	»	٣ — ٦٦ : ١٣
أشكو	رقدُوا	»	٣ — ٧٨ : ٦ ،
			٤ — ١٤٠ : ٢
إن	مجهودُ	»	٣ — ١٧٨ : ١٠
إنّى	أسدِ	»	١ — ١٦٤ : ٢
ولا أقول	والولدِ	»	١ — ٣٤٠ : ١٥
كل	حسدِ	»	٢ — ١٠ : ٦
لو كان	أسدِ	»	٢ — ١٩٥ : ١٠
وصاحب	ولدِ	»	٣ — ٨١ : ٧
أقولُ	تردِ	»	٣ — ٨٨ : ١٤
لابارك	بالمسدِ	»	٤ — ٤٤ : ١٠
أضحت	لبدِ	»	٤ — ٥٩ : ٢٧
فديت	ولدى	»	٤ — ١٢٤ : ١٤
يا صاحبيّ	أذوادِ	»	١ — ١٧٦ : ١٣
زر	ميعادِ	»	١ — ٢١٧ : ١٥
إنى	زادى	»	٣ — ٢٤٤ : ٩
يا ربّ	راقودِ	»	٢ — ٤٤ : ٣
أعوذ	عُودِ	»	٤ — ٣٣ : ٨
وهنّ	الصادى	»	٤ — ٨٢ : ٥
من ذا	العناقيدِ	»	١ — ٣٢٥ : ٥
إن كنت	وترديدى	»	٣ — ١٤٤ : ٦
وما	مجهودِى	»	٣ — ١٧٩ : ١
إن العرانين	حسّادَا	بسيط	٢ — ٩ : ١٥
قامت	وجدَا	»	٢ — ١٨٨ : ٢
وعدتنى	رعدَا	»	٣ — ١٤٥ : ١٤
وابغض	قعدَا	»	٣ — ٢٤٢ : ١١
هم	المعدَهْ	»	٣ — ٢٢٤ : ١٣
ألا	يعودُ	وافر	٢ — ١٩٥ : ٢٠
وإنّك	العبيدُ	»	٢ — ١٩٦ : ١
ألا	صدودُ	»	٤ — ١٢٨ : ١٢ ،
			١٣٠ : ١٦
عدانى	حسودُ	»	٤ — ١٢٩ : ١١
أطعت	عبدِ	»	١ — ٢٤٣ : ٧
حننتى	لصيدِ	»	٢ — ٣٢٣ : ٥
أحبّ	لحدِ	»	٣ — ٩٣ : ١٧
ذهبت	سعدِ	»	٤ — ٥٤ : ٢
فما	بقندِ	»	٤ — ٦٢ : ١٣
أعاذل	القيادِ	»	١ — ١٩٣ : ١٤
أخذت	للتلادِ	»	١ — ٢٥٧ : ١١
قليل	الفسادِ	»	٢ — ١٩٥ : ٢
إذا ما	بزادِ	»	٢ — ٢٠٣ : ٦
اذا ما	زيادِ	»	٣ — ١٥٦ : ٢
وكيف	غادى	»	٣ — ١٦٦ : ١٥
لكل	هادى	»	٣ — ٢٠٣ : ١٩
فلو كنت	الحديدِ	»	١ — ٢٥٦ : ١٧
سبكناه	الحديدِ	»	٢ — ٤ : ١٨
أخ	جوادَا	»	٣ — ٦ : ٧

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
خلقت	شعيرِ	كامل	٢	١٠٢	١
وكان	لطهورِ	«	٢	١٠٢	١٩
ما أقرب	تقدرِ	«	٢	١٢٣	١
فلئن	للكبرِ	«	٢	٢٩٣	١٤
ياذا	والقدرِ	«	٣	١٠٠	١١
قحت	الخمَرِ	«	٤	٣٦	٥
ومراقبين	قبورَا	«	١	٣٩	٧،
			٤	٨٥	١٥
إنّ الحرام	مصورَا	«	١	٢٤٨	٤
أعطى	كدرهْ	«	٢	٣٣	٩
وأحبها	بعيرى	مجزوء الكامل	٣	١٢	١٠
لا ترجُ	باعتذارِ	«	٣	١٠١	٦
اقبلْ	نزرَا	«	٣	١٧	٢
وكانّ	سحرَا	«	٤	٨٣	٢
نخر	عمارَه	«	١	٣١٣	٦
رفعت	وناظرْ	«	١	٢٣٠	٧
نعب	للقدرْ	«	٤	١٣٤	٥
رأى	أشهرْ	هزج	١	١٦٦	١٠
لن يسبق	مطّارِ	رجز	١	١٤٤	١٩
أبلج	النارِ	«	١	١٩١	٩
أحثوا	ترَى	«	٢	٣٢٠	١
فابعث	النورَه	«	٣	٢٩٤	١٩
كأنّ	القرَى	«	٤	٦٣	٢
هى	القدرْ	«	٢	١٤١	١٦
أنا	غبرْ	«	٢	١٥١	٧

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
أوّل	الذكرْ	رجز	٢	١٦٠	٦
سلنى	بالسحرْ	«	٢	٣٢١	٤
ياأباالعباس	كبيرِ	رمل	٣	٣	٢
زاد	صغيرُ	«	٣	١٦٠	٩،
				١٧٧	٤
عجب	كبرْ	«	٤	٣٠	٢٢
صلتة	ينكسرْ	«	٤	٣٠	١٢
زرت	خيرُ	سريع	٣	٢٦٤	٢
المرء	آثارُه	«	٣	١٩٥	١٤
يا كاتبا	الأسطرِ	«	١	٥٠	١٣
من سبق	والأجرِ	«	٣	٦٥	٧
ما أحسن	ناصرِ	«	٣	١٠٠	٢
ولست	للكاثرِ	«	٤	١٢٣	١٩
رأيت	عبّارَا	«	١	٦٨	١٤
قد نجرت	الناجرهْ	«	١	٢٥٧	١
لا تبك	الحافرهْ	«	٢	٣٣٢	١٧
ما منّى	الأميرْ	«	١	١٠١	١١
يا عائب	تعتبرْ	«	١	٢٤٩	١٠
قل	مهذارُ	منسرح	٢	٧	١٤
ثلاثة	نشرُوا	«	٢	١٥٠	١٢
يا بؤس	دوائرُها	«	١	١٣١	١١
لا تتركن	تصغرُها	«	٣	١٧٣	٣
لا تسأل	الخبرِ	«	٣	١٥٥	٨
تفديك	فاغفرْ	«	١	٨٢	٩
ذاك	مجفرْ	«	١	١٥٧	٣

(ز)

(س)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
وما	شمسِ	طويل	٤	٤٧	٩
موترة	دارسِ	«	٤	٣٣	١٢
لقد	نفسا	«	٤	١٣٥	٤
كدحت	أملسا	«	٣	١٥٣	١٢
أراهن	وقوسا	«	٤	٤٤	١٦
رب	مغترسه	مديد	٣	٦١	١٥
للناس	أحراسُ	بسيط	٣	١٨٣	١١
ولن	الفرسِ	«	١	٢٣٥	٣
الحزم	بالناسِ	«	١	٤٢	٦
دع	الكاسي	«	١	٢٣٦	٨،
			٢	١٩٥	٨
أثني	الناسِ	«	٣	١٦٢	١١
من	والناسِ	«	٣	١٧٩	٩
قد قلت	عباسِ	«	٤	٩٥	٧
لا تأمنن	القراطيسِ	«	١	٤١	٢٠
إذا تمنيت	المفاليسِ	«	١	٢٦١	٤
كأن	رأسُ	وافر	١	٨٢	١٢
وكنت	جليسُ	«	١	٣٠٧	١
ولما	جليسُ	«	٢	٢	٦
فلما	ورسُ	«	٣	١٥٤	٤
من	الفارسُ	كامل	٣	٢٢٨	١٧
الشيبُ	متنفسُ	«	٤	٥٢	١٤
ترك	الرجسِ	«	٢	١٦٧	٩
أقبلن	بالشمسِ	«	٤	٢٦	٢
وهن	الميسا	رجز	١	٣٢١	١٦

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
عليك	الياسِ	سريع	٣	١٩٤	٩
ابك	الخرسِ	منسرح	١	٢١٢	٧
بت	فرسي	«	٤	١٢٦	٥
ولقد	كرامي	خفيف	١	٢٠٧	١٥
ليس	الموامي	«	١	٣٣٤	٦
من كان	رسيسِ	مجتث	٤	١٤٠	٥

(ش)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
أخالد	ومعاشُها	طويل	٣	١٤٥	٤
إذا الواشي	واشي	وافر	٢	٢٠	١٧
تمت	فاوحشا	كامل	٤	٣٩	١٣
كأنّ	الكشمشِ	متقارب	٢	١٨٨	١٣
بليت	كندشِ	«	٤	٣٨	٢

(ص)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
أيشتمني	أبرصُ	طويل	٤	٦٤	٥
تبيتون	خمائصا	«	٣	٢٦١	٨
فإني	حريصُ	وافر	٣	١٩٣	٤
قد	الحريصْ	سريع	٣	١٩١	١٠
حوّل	قيصا	خفيف	٣	١٣١	١٤

(ض)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
وأخرى	ناقضُ	طويل	١	٢٣٢	٦
ومالي	عريضُ	«	٣	٢٧	١١
شكرتك	يقضي	«	٣	١٦٥	٤
إذا راح	محضِ	«	٤	٥٥	٥
وقد	راضي	بسيط	٣	١٠٩	١١

(ك)

(ل)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد — ص : س
لك	المفاصلُ	طـويل	١ — ٤٨ : ١٥
لبين	الهواملُ	«	١ — ١٩٣ : ١٠
وليس	حاملُ	«	١ — ٢٣١ : ١٣
له لحظات	ونائلُ	«	١ — ٢٩٤ : ٥
فما أنا	عاطلُ	«	١ — ٣٠٢ : ٤
أبا جعفر	حائلُ	«	٢ — ١٢٤ : ١٧
ولن تنظم	الشمائلُ	«	٣ — ٨ : ٤
وإنى	المواكلُ	«	٣ — ٢٣٩ : ١٠
إذا ما	قافلُ	«	٣ — ٢٤٢ : ١٤
أيا جذع	تبادلُ	«	٤ — ١٢٦ : ٢
أجلك	جايلُ	«	١ — ٢٤١ : ١٠
لم تعلى	وعقيلُ	«	١ — ٢٧٥ : ٢
اذا المرء	جميلُ	«	٣ — ١٧٢ : ١٧
أتأمرنى	طويلُ	«	٣ — ٢٢٤ : ٣
فإلا	وصولُ	«	٤ — ٥٤ : ٩
أيا خلة	خليلُ	«	٤ — ١٣٩ : ٤
وما السيف	حاملُهْ	«	١ — ١٢٩ : ١٠
سأبغيك	فواضلُهْ	«	١ — ٢٥١ : ١٥
أخو	باطلُهْ	«	١ — ٣١٨ : ١٧
وأبيض	نوافلُهْ	«	١ — ٣٤١ : ٤
وقبلك	حبائلُهْ	«	٢ — ١٧١ : ١٠
كأنى	منازلُهْ	«	٢ — ٣١١ : ١
وأنزلنى	أشاكلُهْ	«	٣ — ٢٤ : ٦
وكم ناكث	باطلُهْ	«	٣ — ١٠٦ : ١٢
عسى	غوائلُهْ	«	٣ — ١٤٦ : ١٤
تراه	سائلُهْ	طـويل	٣ — ١٥٣ : ١٠
أقول	وأخائلُهْ	«	٣ — ٢١٢ : ٢
إذا أسدى	آكلُهْ	«	٣ — ٢١٢ : ٨
إذا نزل	مراجلُهْ	«	٣ — ٢٣٩ : ١٤
ترى	ومفاصلُهْ	«	٣ — ٢٦٥ : ١٢
ونازعتنا	خاضلُهْ	«	٤ — ٨٢ : ١٤
ولسنا	فعالُها	«	١ — ٢٤٨ : ١٤
وعيابة	يستبيلُهَا	«	٢ — ١٩ : ١٣
اذا كنت	خالَهَا	«	٤ — ٦ : ٨
وإن	قليلُهَا	«	٤ — ٢٢ : ١٢
ولما	نهالُهَا	«	٤ — ٥٤ : ١٣
ولما	بالنعلِ	«	١ — ٤٠ : ٢٠
ولما أحلونى	الشبلِ	«	١ — ٨١ : ٣
ندى	القتلِ	«	١ — ١٩١ : ٢
إلى الله	رجلي	«	١ — ٢٧٤ : ٨
نزلت	محلِ	«	١ — ٣٤١ : ١٦
فإن يقتسم	فعلي	«	١ — ٣٤٣ : ٨
ولما	حبلي	«	٢ — ١٧ : ٢
رمتنى	عجلِ	«	٢ — ٤٣ : ٨
وكيف	طفلِ	«	٢ — ٥٤ : ٥
من الدرامين	والخبلِ	«	٢ — ٧٩ : ١١
شفاء	الجهلِ	«	٢ — ١٢٣ : ٨
يموت	الرجلِ	«	٢ — ١٨٠ : ١١
أبن لى	مثلي	«	٣ — ٧ : ١٧

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
يزهدنى	الفضلِ	طـــويل	٣	٨	١٧
فلولا	مثلى	«	٣	٥٨	٢
ولم	الأهلِ	«	٣	٩١	٢
تريدين	بالبخلِ	«	٣	١٠٩	٢
وما	رجلِ	«	٣	١٢٠	٨
متى	شكلى	«	٣	١٤٧	١٢
لسانك	قفلِ	«	٣	١٤٨	١٢
وما	البخلِ	«	٤	٤٥	١١
وما	رجلى	«	٤	٦٧	١٢
ألما	بالرذلِ	«	٤	١٠٦	١٠
فألقى	المحملِ	«	١	٧٧	٢٣
أبلغ	فابخلِ	«	١	٢٩٢	١١
وكل	المغفلِ	«	٢	٨٨	٦
أبلغ	تبذلِ	«	٣	٨٩	١٣
ألكنى	جندلِ	«	٣	١٦٧	٢٠
وقدر	يفصلِ	«	٣	٢٦٥	١٠
وربت	المغفلِ	«	٣	٢٧٣	٥
اذا أخذت	المعسلِ	«	٣	٢٧٦	١٨
أجعثن	إبلِ	«	٣	٢٩٢	٩
وجوه	يجلى	«	٤	٢٥	٤
ولو	أنعلِ	«	٤	٥٥	٢
فلو	المالِ	«	١	٢٣٥	١٩
كأنّ	البالى	«	٢	١٨٧	٧
وما	العالى	«	٣	٢٥	١٧
ودهماء	عيالِ	«	٣	٢٦٧	١١

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد	ص	س
أقول	بجالِ	طـــويل	٤	١٣	١١ ،
				١١٢	١٢
أيا عجبا	تنبالِ	«	٤	٤٥	٨
لعمرى	المتاقلِ	«	١	٨١	١٢
أعاذل	الغوائلِ	«	١	٢٤٨	٨
أرى	عاقلِ	«	١	٣٢٩	١٧
سبحل	ناعلِ	«	٢	٩٨	٨
لقد زادنى	طائلِ	«	٣	١١٢	١٣
سأبغى	سبيلِ	«	١	٢٣٦	٥
إذا حل	بدليلِ	«	١	٢٥٧	١٤
وذى ندب	زميلِ	«	١	٣٤٠	١٨
أتيت	جميلِ	«	٤	٣٥	٦
وإن شحطت	باعتزالها	«	٣	٧٦	١٣
سواء	فضلَا	«	٢	٢	١٣
إذا قال	فصلَا	«	٢	١٦٩	١٤
جزى	بجلَا	«	٣	٤٣	٧
وما أنا	عقلَا	«	٤	١٢٧	١٥
وقد	أجهلَا	«	١	٣٤	٧ ،
			٣	٢٩	١٧
ومن يفتقر	مخولَا	«	١	٢٣٩	١١
يقول	متطاولَا	«	٢	٢٤	٥
كأنّ	فأسهلَا	«	٢	١٨٧	١٠
فلا	متعللَا	«	٣	٢٥	١٢
وليس	مقبلَا	«	٣	٧٧	١٧
أحب	فضلَا	«	٤	٧	٨

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
عياش	للئيمُ	كامل	٣ — ١٢٧ : ٢٠
جود	عظيمُ	«	٣ — ١٧٧ : ٧
اتضعضعت	الإظلامُ	«	١ — ١٥٠ : ٢
قد	الأيامُ	«	٤ — ١٣٥ : ٩
إن البيوت	ضخمُ	«	١ — ٢٧٨ : ٢٠
وإذا ابتليت	أسلمُ	«	٢ — ٢٦٠ : ٧
بيضاء	أسحمُ	«	٤ — ٢٧ : ٥
بيضاء	فيظلمُ	«	٤ — ٢٧ : ٨
ومودع	يتكلمُ	«	٤ — ٨٦ : ٨
أما	القائمُ	«	١ — ٢٧٢ : ١٢
وترى	مشتومُ	«	٢ — ٩ : ١٧
أفضى	قلمُهْ	«	١ — ٤٢ : ٤
أغفيت	أنامُها	«	٣ — ١٣١ : ٢
لا يصلح	المجرمِ	«	١ — ١٢ : ١٣
ما في	الحاكمِ	«	١ — ٦١ : ٩
لو كنت	خثعمِ	«	١ — ٢٦٨ : ٤
وخلا	المترنمِ	«	٢ — ١٨٦ : ٦
أبكى	الحكامِ	«	١ — ٦٨ : ٩
هش	الخدامِ	«	١ — ٨٩ : ٤
إن كنت	هشامِ	«	١ — ١٦٩ : ٣
خلق	عامِ	«	٢ — ٤٧ : ١١
أبلغ	مرامِ	«	٣ — ١١٦ : ٣
إلا أكن	لئيمِ	«	١ — ٣٣٢ : ٧
جار	الظليمِ	«	١ — ٣٧ : ١٩

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
وتصدّ	العظمِ	كامل	١ — ١٧٩ : ١٩، ٢ — ٢٣ : ٢
وتروض	الهرمِ	«	٢ — ٣٦٩ : ٤
غضبت	بالسليمِ	«	٣ — ٣٠ : ٥
لا تشكون	الجسمِ	«	٣ — ٥٠ : ١٧
قومي	سهمي	«	٣ — ٨٨ : ١٠
ومقدر	سقيمَا	«	١ — ٢٧٨ : ١٥
ضبعا	ما أظلمَا	«	١ — ١٦٦ : ٣
كل	بالسلام	مجزوء الكامل	١ — ٢٥٨ : ١٤
أرفق	طعامهْ	«	٢ — ٣٦ : ١٦
استبق	طعامهْ	«	٣ — ٢٤٦ : ١١
عيوا	الحمامهْ	«	٢ — ٧٢ : ٨
غر	السلامهْ	«	٣ — ٦٥ : ١٧
ولقد	وحائمْ	«	١ — ١٤٥ : ١١
أبق	المراجمْ	«	٣ — ٥٠ : ٣
والله	ولا قوامُ	رجز	٤ — ١٢٢ : ٩
إن بلالا	وعمهْ	«	٢ — ٦٧ : ٤
إني	للشيمْ	«	١ — ٢٨٦ : ٤
نفس	الإقداما	«	١ — ٢٢٧ : ٥
يا بين	الجرمَا	«	٣ — ٧٥ : ٨
إن المهور	اليتامَى	«	٤ — ١٢ : ١١
يا أيها	تحمْ	«	١ — ١٤٧ : ٨، ٢ — ١٤١ : ١٣
إن لنا	اللمْ	«	١ — ١٩٣ : ٦

(ن)

(ى)

صدر البيت	قافيته	بحره	مجلد ص س
فسرى	نهاريَا	طويل	١ — ٤١ : ٦ ، ٢٩٦ : ٢
بنى عمنا	القوافيَا	«	١ — ٧٧ : ٨
كفى	وثاقيَا	«	١ — ١٨٧ : ١٢
ولكن	الأعاديَا	«	١ — ٢١٩ : ٢
تقول ابنتى	لا أباليَا	«	١ — ٢٣٨ : ٥
ولما نزلنا	حاليَا	«	١ — ٢٦٢ : ١١ ، ٢ — ١٨٤ : ٢١
وجرتنا	الأمانيَا	«	٢ — ٢١١ : ٢٢
فلست	راضيَا	«	٣ — ١١ : ١٢
وإنى	ليَا	«	٣ — ١٨ : ٤
تجمعن	ثمانيَا	«	٣ — ٥١ : ١٤
وقد كنت	رجائيَا	«	٣ — ٦٦ : ١٨
فإن يك	اللياليَا	«	٣ — ٦٧ : ١١
رأيت	بداليَا	«	٣ — ٧٥ : ١٩ ، ٨٣ : ٢٠
فأنت	أخاليَا	«	٣ — ٨٣ : ٧
ألا	خاليَا	طويل	٣ — ٨٣ : ٧
وقد ينبت	كما هيَا	«	٣ — ١١١ : ٤
أروح	تقاضيَا	«	٣ — ١٥٠ : ١٧
لنا من	الأقاصيَا	«	٣ — ٢٦٦ : ٢
وثرماء	باديَا	«	٣ — ٢٦٦ : ٧
شربت	المكاويَا	«	٣ — ٢٧٤ : ١٣
على	باديَا	«	٤ — ٣٩ : ٤
فإن	باليَا	«	٤ — ٨٨ : ٦
وإنى	خياليَا	«	٤ — ١٣٩ : ١٠
إذا ما	العصىُّ	وافر	١ — ٣٣٣ : ١٦
لنا	عصىُّ	«	٢ — ٧٦ : ١٤
من كل	التحية	مجزوء الكامل	١ — ٢٥٨ : ١٦
ردا	حاديَا	رجز	١ — ١٧٥ : ٣
علانى	ريَّا	خفيف	١ — ١٨٤ : ٧
علانى	عليَّا	«	١ — ١٨٤ : ١٨
جرد السيف	أمويَّا	«	١ — ٢٠٨ : ١٥
إذا كنت	عليّاً	متقارب	٣ — ٢٨ : ١٠
أرى	لعىّ	«	٢ — ١٧٤ : ١٤

فهـــرس أنصاف الأبيـات

إصـــــلاح خطــأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية فى مجلدات الكتاب نذكرها هنا ليستدركها القــرّاء :

أغلاط المجــلد الأوّل

ص	س	خطــأ	صـــواب
٢	١	هشام ابن حسان	هشام بن حسان
٣	١٣	عبد الله ابن مسعود	عبد الله بن مسعود
١٤	٧	الضنين	الظنين
٢٦	١	معاذ ابن مسلم	معاذ بن مسلم
٢٦	١٣	سلم ابن قتيبة	سلم بن قتيبة
٢٩	١٦	عبيد الله ابن عمر	عبيد الله بن عمر
٣٠	١	نصر ابن مالك	نصر بن مالك
٣٠	٤	محمد ابن على	محمد بن على
٣١	٩	عبد الله ابن وهب	عبد الله بن وهب
٣٢	١٠	غريب	عزيب
٣٨	٨	أوس ابن عبد الله	أوس بن عبد الله
٤٠	١٨	أبح	أَبُح
٤٣	١٦	أبو حانم	أبو حاتم
٤٤	٤	عبد الملك ابن مراون	عبد الملك بن مروان

ص	س	خطـــأ	صـــواب
٤٧	٧	عِدّة	عِدَة
٥٢	٦	المغيرة بن عبيد الله	المغيرة بن عبد الله
٧٠	١٧	السندى ا ن شاهك	السندى بن شاهك
٨٠	٦	واست بغصب	وليس بغصب
٨١	٢١	ولم نجد التضعيف لا فى القاموس ولا فى اللسان	ولم نجد التضعيف فى هذا المعنى فى القاموس واللسان
٨٥	١٦	رجلى	رحلى
٨٦		١٠	٢٠ (بالهامش)
٨٧	٣	يُحْتَسَى	يَحْتَسِي
٨٨	٧	الظن	الضن
٨٨	٨	نسخت	لسخت
٨٨	٢١	القوسين المربعين	المربعين
٩٠	١	قفال	فقال
٩٩	١١	مكانا	نكالا
١١٠	٥	عيينه	عُيَيْنَه
١٢٢	١٨	عمر ابن عبد العزيز	عمر بن عبد العزيز
١٢٩	١٦	المعرفة (٢)	المعرفة (١)
١٤٧	٨	يا أيها	يأيها
١٥٠	١٩	الشيبانى	السيبانى (بفتح المهملة وسكون التحتانية)
١٥٤	١٣	مسلم ابن عمرو	مسلم بن عمرو

ص	س	خطـأ	صـواب
١٧٥	١	وإن رمحى لمعى .	وإن رمحى لمعى !!
١٧٥	٤	ذكّرنى	ذكّرتنى
٢٥٤	٥	أس	برأس
٢٥٤	١٤	لاتكون	تكون
٢٥٥	٧	إن آخيت	اذا جئت
٢٥٦	١٠	بالتعذُّر	بالتعذُّر
٢٥٧	١	نجرت ... الناجره	تجرت ... التاجره
٢٥٧	٣	الدائره	الدابره
٢٥٧	٢٠	هـذه	هاتان
٢٥٨	٣	نستغفر	تستغفر
٢٥٩	٢	أسرّ الى القلوب	أسرّ للقلوب
٢٨٠	٢٢	أُبالى البلاءَ وإنى	أَبى لى البلاءُ وأنى
٢٨٥	٨	يُنتقَدُ	يَنتَقِم
٢٨٥	١٦	الحُـىَ	الحُـىَ
٢٨٦	٧	المتمشمش	المتشمس
٣٠٤	١٢	تَعْتِبُ	تُعْتَبُ
٣٠٧	١٨	رحـل	زَحـلَ
٣١٠	١٤	بُلينا	بَلينا
٣٣٢	١٠	شرفا	سرفا
٣٤٣	٢	أننا	أنه

أغلاط المجلد الثانى

ص	س	خطأ	صواب
١١	٨	عادَى	غادى
٥٢	١٢	نَدِيَّةٌ	نَدِيَةٌ
٥٣	١٦	جيش ابن دلجة	حبيش بن دلجة
٥٦	١٦	تقنع	مقنع
٧٤	١٦	بعجون	نعجون (التصويب عن لسان العرب مادة نعج)
٨٩	١	معاوية عن عمرو	معاوية بن عمرو
٩٧	٢١	من أخثاء	فى أخثاء
٩٩	١٦	مخاليب	مخالب
١٠٤	٢	حتفا قاضيا	حنقا غاضبا (التصويب عن الحيوان للجاحظ ج ٥ ص١١٠)
١٠٦	١٤	مسملان	مسحلان
١١٨	١٣	وعَرفت	وعرّفت
١٣٥	١٢	لو	لن
١٣٥	١٨	سفيان ين عيينة	سفيان بن عيينة
١٣٨	٢٤	المشتية	المشتبه
١٤٠	٢	كافره	كافرة
١٥٥	١٦	غزالة أم شبيب	غزالة امرأة شبيب
١٧٢	٣	صُحّار	صُحَار

ص	س	خطــأ	صــواب
١٨١	٨	العيونُ	العيونْ
١٩٥	١٢	مرُّ	مرّْ
٢٩٦	١	محمد بن داو	محمد بن داود
٣٢٥	١	عُبَيد بن الأبرص	عَبيد بن الأبرص

أغلاط المجــلد الثــالث

٤	١٣	تُحسُنَ	تَحْسُن
١٩	١٧	العيش	العيس
٤٧	١٤	عَرْضَ	عُرْضَ
٩١	٣	أدفع	أرفع
١٣١	٧	شُهبًا	شَهْبَاء
١٤٢	٥	رابض	ريّض
١٧٠	٥	نِعَمُ	نِقَمُ
١٧٠	١٤	ابن التوأم	ابن التوءَم

استـــدراكات

لبعض نقط لفت نظرنا اليها بعض الأدباء ، أو لم نعثر عليها إلا بعد الطبع

المجـــلد الأوّل

ص س

٢٥ ١ « نخذ ماء رمانين الخ » كتبنا عليه بالحاشية رقم ١ أنه كذلك بالأصل الفتوغرافى ونقلنا عبارة العقد الفريد . ويظهر لنا أنه محرّف عن رمانتين .

٣٣ ٩-١١

ومولى عصانى واستبدّ برأيه * كما لم يطع بالبقتين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بئيسا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وردت هذه الأبيات الثلاثة لشاعر لم يذكر المؤلف اسمه وهو كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٠٢ طبع أوربا) نهشل بن حرىّ . والبقتان تثنية بقة : اسم موضع قريب من الحيرة وقيل : حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة وإياه أراد قصير بن سعد اللخمىّ وقد استشاره جذيمة بعد فوات الأمر وكان أشار عليه ألّا يمضى الى الزباء فلم يطعه فلما قرب منها وأحاط به عساكرها قال جذيمة: ماالرأى يا قصير ؟ فقال له : «ببقة خلفت الرأى » فضربت العرب ذلك مثلا . وهو يضرب للمكروه يسبق به القضاء وليس لدفعه حيلة . وهذه القصة واردة فى كتاب الأغانى (ج ١٤ ص ٧٤ طبع بولاق) وقد أورد الميدانىّ هذا المثل بلفظ «ببقة

ص	س	
		صرم الأمر » وذكر هذه القصة . وقد ورد فى البيت الثالث كلمة « بثيسا » وصوابها « نئيشا » يقال : فعل ذلك نئيشا أى أخيرا بعد مافات . والتناؤش : التأخر .
٨٢	٤	قال يزيد بن المهلب وهو فى الحبس : يالهفى على طلبة بمـائة ألف وفرح فى جبهة أسد، وردت فى هذا الحديث كلمتا «طَلِبة» و «فرح» ولعلهما : «طلاء» و «فرج» فقد جاء فى الأغانى (ج ٦ ص١٣٠ طبع بولاق) حديث يشبهه ونصه : «قال الوليد بن يزيد : وددت أن كل كأس يشرب من خمر بدينار وأن كلّ حِرٍ فى جبهة أسد فلا يشرب إلا سخىّ ولا ينكح إلا شجاع » .
٨٣	٤	فأدركت الذى أملت فيــه * بمكث والخطا زاد العجول وقد روى فى التنبيه على أوهام أبى علىّ القالى فى أماليه للبكرى (ص٦١): فأدركت الذى أملت منــه * بمكث والخطاء مع العجول ولو أنى عجلت سفهت رأيى * فلم أك بالعجول ولا الجهول
١٠٣	١٨	« عبد الملك بن الحجاج التغلبىّ» بالتاء المثناة والغين المعجمة وكتبنا فى الحاشية رقم ٢ أنه فى النسخة الألمانية «عبد الله» ، وقد تبين لنا أن صحة الاسم هكذا : «عبد الله بن الحجاج الثعلبىّ» بالثاء المثلثة والعين المهملة . كما فى النسخة الألمـانية والطبرى والأغانى ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق .
١١٢	١٥–١٨	تكررت فى هذه السـطور كلمة « المـادتان » ونبهنا فى أوّل موضع وردت فيه على أنها كذلك بالنسـخة الألمـانية وأنها فى الفتوغرافية هكذا «المـاذيان» وقلنا : إننا لم نوفق لتصويبها وقد ظهر لنا أن

ص	س	
		الصواب فيها « الماذيان » ومعناها الفرس الأنثى وكان من عادة الفُرْس أن يضعوا فى قلب الجيش المحارب راكب فرس أنثى فيسمى القلب ماذيانا والكلمة فارسية يقال فيها ماذيانة، وتثنى ماذيان على ماذيانين وماذيانة على ماذيانتين .
١٧٤	١٨	ورد اسم « رهم بن حزم الهلالى » وقد ورد فى أمثال الميدانى (ج ٢ ص ٢٤٥) : «رهيم بن حزن» .
٢٢٤	١٩	وردت كلمة البكارة وقلنا فى التعليق : « ولعلها محرفة عن الغباوة أو البلادة » ونزيد هنا أنه يجوز أن تكون محرفة أيضا عن « البكاءة » وهى قلة الكلام ولعل ذلك أقرب التحريفات .
٢٣٧	١٥	ورد هذا البيت :

وإنى لأستحيي من الله أن أرى * أطوف بأرض ليس فيه بعير

وردت فيه كلمة الأرض وهى مؤنثة ولا تذكير فيها وقد أعيد عليها الضمير مذكرا . والرواية الجيدة :

* أطوف بحبل ليس فيه بعير *

والحبل : الرمل المستطيل .

ص	س	
٢٥٦	١٢	ورد : « كان الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب الشاعر يُعيِّن الناس » من عيّن التاجر يعيّن تعيينا والاسم العينة وذلك اذا باع تاجر من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن . وقد كره العينة أكثر الفقهاء .
٢٦٠	١٥	ورد هذا الشطر : «فبنت من عقلى على مراحل» والظاهر أنه : «فبتُّ من عقلى على مراحل» .

ص	س	
٢٦٣	٨	وردت كلمة « جبين » بالجيم المعجمة وصوابها : «حبّين» بالحاء المهملة . والحب بالضم : إناء يتخذ للماء فى البيوت وهو المعروف بالزِّير .
٢٦٩	٤	وردت كلمة «يخذمون» هكذا بالياء ولعلها : «مخذّمون» بالميم .
٢٧٨	١٥	أثبتنا هذا البيت : «ومقدّر عنه القميص الخ» كما ورد فى الأصول . وقد عثرنا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف على رواية أوضح للمعنى وأبين وهى : «ومخرّق عنه القميص الخ» يريد أن قميصه متخرِّق من كثرة ما يتجاذبه السؤّال والعُفاة .
٢٨٥	٩	وردت كلمة «ذميم» ويظهر أنها محرّفة عن «زنيم» التى تنادى بها الكلمة التى قبلها لأن الزنيم هو الدعىّ الملصق بالقوم وليس منهم .
٣٢٢	١٠	وردت كلمة «دكانك» والصواب : «زكاتك» ويريد أنه يقتله جمال صوتها وحسن غنائها قبل أن يحول عليه الحول ويؤدّى زكاته .

المجـــــلد الثـانى

٣٣	١١	فى حديث خالد بن صفوان « كأنّك تأمل أن تعيش الدهر كلّه ، قال : ولا أخاف أن أموت فى أوّله » وقد جاء هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣طبع بولاق) ونصه : «قال لا ولكنى أخاف ألّا أموت فى أوّله » وهى الرواية الجيدة التى تتفق والسياق .
٦٧	٧	ورد هذا البيت :

فلو شاتم الفتيان فى الحىّ ظالما * لما وجدوا غير التكذب مسلما

يجوز أن تكون كلمة « مسلما » محرّفة عن « مشتما » وبذلك يكون

ص س

الشاعر قد ردّ عجز البيت على صدره كما تقتضيه صناعة البلاغة . كما يجوز أن تكون محرّفة عن « مثلما » والثلم : تناول الأعراض بالتجريح والنقد .

٩١ ١٠ وردت كلمة « سورج » وكتبنا عليها بالحاشية رقم ٤ أنها وردت هكذا بالأصلين وقلنا : لعلها الصاروج ، ونقلنا عبارة الجاحظ فى الحيوان . وقد تبيّن لنا أن كلمة السورج الواردة بالأصل هىّ الصواب وهى كلمة فارسية معناها الملح يكون فى أصول الحيطان وقد ذكرها ابن البيطار ونقل عن ديسقوريدوس أنه شىء يتولد من البحر وهو جنس من الزبد ، و يتولد فى المواضع الصخرية القريبة من البحر وله قوة مثل قوة الملح .

١١٨ ١ ورد «أزهد الناس فى الحاكم أهله» والصواب : « العالم » فقد ورد فى أحاديث الجامع الصغير هكذا : «أزهد الناس فى العالم أهله وجيرانه» كما ورد فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ١٩٨ طبع بولاق) : « أزهد الناس فى العالم جيرانه » .

١١٨ ١ وردت فى الأصل العبارة الآتية هكذا : «و إن مثل ذلك مثل الجامة تكون فى القوم فيرغب فيها الغرباء ، و يزهد فيها القرباء ؛ فبينا ذلك غار ماؤها ، وأصاب هؤلاء منفعتها ، و بقى هؤلاء يتفكنون ، أى يتندّمون » . وقلنا فى الحاشية رقم ١ عن كلمة « الجامة » لعلها الجمة . وقد تبين لنا أنّ هذه العبارة نص حديث ورد فى لسان العرب مادّة « حمم » قال : وفى الحديث "مثل العالم مثل الحمة يأتيها البعداء و يتركها القرباء فبينا هى كذلك اذ غار ماؤها وقد انتفع بها

*

ص	س	
		قوم وبق أقوام يتفكّنون أى يتندّمون". والحمة : عين فيها ماء حارّ يُستشفى بالغسل منه .
٣٠٣	٣	ورد هذا الشطر * وتمحى محاسن تلك الصور * ورواية الإحياء للغزالى التى أثبتت بالهـامش : « فتمحو محاسن الخ » وهى الرواية الجيدة، ويعنى الشاعر ببنات الثرى الدود .
٣٢٣	١١	ورد «وتحتصدون». وفى اللسان مادة «خضر»: وتُختضرون وهو الصواب، واختُضر الشاب: مات فى شبابه وريعانه كما يختضر العود ويقتطف الزهر .
٣٧٠	٢	وردت كلمة «يطا» ولعل هذه الكلمة محرّفة عن «ثطا» والثطا : إفراط الحمق. وقد نقلنا فى الهامش عبارة البيان والتبيين : «أعرابيا أشـغى فى بت » وصوابها : « أعرابيـا فى بت أشغى » والبتّ : الطيلسان من خز ونحوه . والأشغى : مختلف نبتة الأسنان فى الطول والقصر والدخول والخروج .

المجـــــلد الثـالث

٤	١٢–١٣	« واذا غرست غراسا من المعروف فلا تبغين أن تحسن تربيته » نبهنا فى الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة على أن الأصل : «فلاتبقين» بالقاف، وقد حدانا اذ ذاك إلى هذا التغيير أن معنى الجملة يسـتقيم به إذ هو يريد أن يقول : اغرس المعروف غير ناظر الى نتيجته ، ولا طالب لثمرته — وقد يتأدّى هـذا المعنى بابقاء الأصل كما هو ، ففى اللسان مادّة « بق » : أن من معانيها الانتظار يقال : بق الشىءَ

ص س

يبقيه بقيا : انتظره ورصده، ومنه قول الكميت وقيل لكثير :

فما زلت أَبْقِي الظعن حتى كأنها

أواقى سدًّى تغتالهن الحوائكُ

٦ ١٥ « وصف أعرابىّ رجلا قال : كان والله يتحسّى مرار الإخوان ويسقيهم عذبه » وكتبنا فى الحاشية رقم ٣ عن كلمة مرار أنها هى التى بالأصل وقلنا لعلها محرّفة عن مرّ لمقابلته للعذب . ونزيد هنا أنه من المحتمل أيضا أن تكون الكلمة محرّفة عن مرارة بالتاء ، وهذه الكلمة أشبه بالتحريف وإن كان يبعد احتمالها عندنا بعض الشىء أن المرارة تقابلها العذوبة لا العذب .

٤٧ ١١ « كان رجل من أهل السواد مجهودا الخ » والصواب : «محدودا» والمحدود : الذى لا يوفّق للصواب .

٦٦ ١ «وقالت صفية الباهلية فى أختها» ولعله : « فى أخيها »، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦) : وقالت أعرابية ترثى زوجها .

١٠٣ ٥ ورد البيت :

وكيف أنساك لا أيديك واحدة * عندى ولا بالذى أوليت من نعم

لعل كلمة « نعم » محرفة عن « قدم » ليصح معناه، إذ هو يريد أن يقول : كيف أنساك وأياديك عندى كثيرة لم يطل بها العهد

١٠٨ ٦—٨ ورد هذان البيتان منسوبين لأحمد بن يوسف الكاتب وهما :

ما على ذا كنا افترقنا بسندا * د ولا بيننا عقدنا الإخاء

نطعن الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وننسى الوفاء

ص	س	
		وقد رويا فى الأغانى (ج ٣ ص ١٥٠ طبع بولاق) لأبى العتاهيــة هكذا :
		ما على ذا كنا افترقنا بسندا * د وما هكذا عقدنا الإخاء
		تضرب الناس بالمهندة البيـ * ـض على غدرهم وتنسى الوفاء
١٢١	١٢	« ولا يستريح قلبه » نقلنا هــذه الرواية عن العقد الفريد وقلنا إن الذى فى الأصل : «قلمه» بالميم وكلتا الروايتين صحيحة، ولعل رواية الأصل التى نبهنا عليها فى الحاشية أقرب للصواب إذ هو يريد وصف هذا الرجل بأنه كان لا يألو جهدا فى قضاء الحوائج للناس ركوبا فيها وكتابة فلا يجف لبده من المسير لقضاء حوائجهم، ولا يستريح قلمه من الكتابة فى الشفاعة لهم .
١٤٠	٢١	فى الحاشية رقم ٦ « آستحمله : حمّله حوائج يقضيها له » والسياق يقتضى أن يكون معنى استحمله طلب اليه أن يحمله على ناقة أخرى سوى ناقته بعد أن نَقِب خفّها وكلّت عن حمله .
١٥٠	١٩–٢٠	نضيف الى ما كتبناه فى الحاشية رقم ٢ تفسيرا لقول الشاعر : أناقة الله حاجتى عقــرت * أم نبت الحرف فى نواحيها أنه يجوز أن يكون مراد الشاعر بالحرف فى هذا البيت سوء الطالع وتعس الجدّ والمعنى عليه واضح .
١٨٧	١٣	«فآرغب... ياذا الضراعة...» البيت . وقد ورد هذا البيت فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٨ هكذا : فآطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادى الضراعة طالبا من طالب

ص	س	
١٩٨	١٦	فسّر العراق فى الحاشية رقم ٥ بالعظام اذا لم يكن عليها شيء من اللحم، والمقام يقتضى أن يفسر العراق بغير ذلك . وفى اللسان : أن العرق بفتح فسكون: العظم اذا أخذ عنه معظم اللحم و بقى عليه لحوم رقيقة طيبة تؤكل وتُتَمَشّش العظام، ولحمها من أطيب اللُّحمان عندهم وجمعه عُراق بالضم، وهو من الجموع النادرة . والعَرْق أيضا : الفِدْرة من اللحم وجمعها عُراق .
٢١٨	١٣	« ولا عرفت ذنين أنف » أثبتنا هذه الرواية عن العقد الفريد وشرحنا معناها ونبهنا على أن الأصل : « دنين أذن » ونزيد هنا أن رواية الأصل توافقها رواية البخلاء للجاحظ ص ١١٩ طبع أوربا . والدنين كالطنين سواء بسواء .
٢٢٩	٨–٩	فى حديث الحارثىّ : « لم لاتؤاكل الناس ؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم الا لتزوعى عن الإسوارىّ لتركتها» كتبنا عليه فى الصفحة عينها بالحاشية رقم ٨ نقلا عن البخلاء للجاحظ « الا لسوء رعة علىّ الإسوارىّ الخ » وقلنا لعل الصواب : «إلا لشره علىّ الإسوارىّ» اعتمادا على أن سياق الكلام يقتضى ذلك، ولكن يظهر لنا أن عبارة الجاحظ فى البخلاء تؤدّى المعنى المقصود من غير حاجة الى هذا التصويب، فإن أصل معنى الورع والرعة: التحرّج والكفّ. ونقل ابن منظور عن الأصمعىّ أن الرعة : الهَدْى وحسن الهيئة أو سوء الهيئة، يقال: قوم حسنة رعتهم أى شأنهم وأمرهم وأدبهم، وأصله من الورع وهو الكفّ عن القبيح . والظاهر أن الحارثىّ يريد أن يقول : لو لم أترك مؤاكلة الناس إلا لسوء رعة علىّ الإسوارىّ الخ أى

ص س

إلا لسوء أدبه على المـائدة وترامیه على الطعام فى تلك الصورة الشنيعة التى وصفها فى باقى الحديث . وكما يصح هـذا التخريج يصح إبقاء عبارة الأصل كما هى مع تحريفها تحريفا يسيرا الى : « إلا لنزو علىّ الإسوارىّ الخ» ونزوه : توثّبه وشرهه و إقباله على الطعام بهذه الصورة. وعلىّ الإسوارىّ هذا موصوف بالشره، وله حديث طويل فى كتاب البخلاء يدل على ذلك فأرجع اليه فى الصحف : ٦٠ ، ٦٤، ٦٥ ، ٧٣، ٨٢، ٨٣ من هذا الكتاب طبع أوربا .

٢٣٢ ١١ فى حديث طفيل العرائس زعيم الطفيليين : « وأجدّ ثيابك وأعمل على أنها العقدة التى تشغل » الظاهر أن هذه الكلمة محرّفة عن « العقدة التى تستغل » والعقدة عند العرب : الحائط الكثير النخل لأن الرجل اذا اتخذ ذلك فكأنه قد أحكم أمره عند نفسه واستوثق منـه . واستغلال العقدة : استثمارها وتحصيل غلتها . فهو يريد أن يقول : إنه لا أجدى على الطفيلىّ من التخايل فى الملابس الجديدة والظهور بمظهر العظماء تلبيسا على الناس وتمويها .

٢٣٥ ١٨ فى وصف أعرابىّ لمجالس أنس : « وغناء يصور وحديث لايحور» قلنا فى الحاشية رقم ٣: «يصور : يصوّت و يظهر لنا بُعْد هذا التفسير عن الصواب، والظاهر أن المراد بها : « يُميل » ففى كتب اللغة : « صار الشىءَ إلى نفسه : أماله وصار عنقَه الىّ، وصرت الغصنَ لأجتنى ثمره، وصار وجهَه الىّ أى أقبل به علىّ » فالظاهر أن هذا الأعرابىّ يصف هنا المجلس باشتماله على غناء يميل سامعـه ارتياحا اليه وطربا منه وحديث حسن جميل مسترسل غير منقطع .

ص	س	
٢٣٧	١٢	« ولو شاوت الأسد لقتلته » الظاهر أن هذه الكلمة محرفة عن : « ولو ساورت الأسد لقتلته » . والمساورة : المغالبة والمواثبة فهو يريد أن يقول : لو غالبت الأسد فى حالة النشوة هذه لغلبته .
٢٤١	٨	« فلما نفضت الخبز بالعود أقبلت رسائل تشكو الجوع والحى سُهَّدُ » نبهنا بالحاشية رقم ٣ على أن الأصل : «تشكى» بالياء : ويظهر لنا أن الأصل صحيح أيضا : فهذا الفعل من بابى نصر وضرب على السواء.